

THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY

—◆—

GENERAL LIBRARY



دِيَوَانُ الْمُعْتَابِرِي

لِلْإِمَامِ اللَّغَوِيِّ الْأَدِيبِ أَبِي هِلَالِ الْعَسْكَرِيِّ

الجزء الأول

عن نسختي الامامين العظيمين : الشيخ محمد عبده والشيخ محمد محمود التركي
الشفيعي رحمهما الله ، الأولى في خزنة الجمعية الخيرية الاسلامية بالقاهرة
وهي مقابلة بقراءة العلامة الشيخ عبد العزيز شاويش رحمه الله ،
والثانية في دار الكتب المصرية العامرة ، مع مقابلة بعضهما بنسخة
المتحفة البريطانية بواسطة المستشرق الأستاذ الدكتور كرنكو
المتفضل بالنظر في تصحيحه

عنيت بنشره

مكتبة دارالدين

لصاحبها أستاذ الدين القديس

القاهرة - باب الخلق - حارة الجداوى ١

سنة ١٣٥٢ و حقوق الطبع محفوظة

PJ
7631
A8
1933

(كلمة عن حياة المؤلف)

عن معجم الأدباء لياقوت وعيون التواريخ لابن شاكر
وشذرات الذهب لابن العباد، وغيرها

هو أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران اللغوى
العسكرى .

قال أبو طاهر السلفى : سألت الرئيس أبا المظفر محمد بن أبى العباس الأبيوردى
رحمه الله بهمدان عنه فأثنى عليه ووصفه بالعلم والفقهِ (١) معاً ، وقال كان يتميزز احترازاً
من الطمع والدناءة والتبذل - وذكر فيه فصلاً هو في سؤال الآتى عنه - وكان الغالب عليه
الأدب والشعر، وله في اللغة كتاب وسمه بالتلخيص كتاب مفيد، وكتاب الصناعتين
صناعتى النظم والنثر وهو أيضاً كتاب مفيد جداً (٢) .

ومن جملة من روى عنه : أبو سعد السمان الحافظ بالرى ، وأبو الفنائم بن حماد
المقرى إملاءً . وأنشدنى أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكرى لنفسه :

قد تعاطك شباب وتغشاك مشيب
فأتى ما ليس يمضى ومضى ما لا يؤوب
فتأهب لسقام ليس يشفيه طبيب
لاتوهمه بعيداً إنما الآتى قريب

ومما أنشدنا القاضى أبو أحمد الموحى بن محمد بن عبد الواحد الحنفى بتستبر قال
أنشدنا أبو حكيم أحمد بن إسماعيل العسكرى أنشدنا أبو هلال الحسن بن عبد الله
ابن سهل اللغوى لنفسه بالعسكر :

(١) في نسخة « العفة » وكان « الفقه » . (٢) سيدكر باقى مصنفاته بعد .

إذا كان مائى مال من يلقب المعجم وحالى فيكم حال من حاك أو حجم
 فأين انتفاعي بالاصالة والحجا وما ربحت كفى على العلم والحكم
 ومن ذا الذى فى الناس^(١) يبصر حالى فلا يلعن القرطاس والخبر والقلم
 ومما أنشدنا القاضى أبو أحمد الحنفى بتسرى قال أنشدنى أبو حكيم اللغوى قال

أنشدنا أبو هلال العسكري لنفسه :

جلوسى فى سوقٍ أبيعُ وأشتري دليلٌ على أن الأنا مَ قرودُ
 ولا خيرَ فى قومٍ تذلُّ كرامهم ويمظمُ فيهم نذلهم ويسودُ
 وتهجوهمُ عنى رثائهُ كسوتى^(٢) هجاءٌ قبيحاً ما عليه مزيدُ

ومما أنشدناه أبو غالب الحسين بن أحمد بن الحسين القاضى باسوس قال أنشدنا
 المظفر بن طاهر بن الجراح الاسترأبادى قال أنشدنى أبو هلال الحسن بن عبد الله
 ابن سهل اللغوى العسكري لنفسه :

يا هلالاً من القصورِ تدلّى صامَ وجهى لمقلتيهِ وصَلّى
 لستُ أدرى أطلالَ ليليَ أم لا كيفَ يدري بذاك من يتقلّى
 لو تفرَّغتُ لاستطالةِ ليلي ولرعى النجومِ كنتُ مخلى

هذا آخر ما ذكره السلفى من حال أبى هلال .

قال باقوت : وهذه الأبيات الأخيرة التى منها * لست أدرى أطلال ليلي أم لا *
 والبيت الذى بعده رأيت فى بعض الكتب منسوباً إلى خالد الكاتب والله أعلم^(٣) .
 هذا عن السلفى . وذكر غيره أن أباه هلال كان ابن أخت أبى أحمد العسكري .
 وله من الكتب بعد ما ذكره السلفى : كتاب ديوان المعانى وهو من أحسن الكتب^(٤)

(١) فى عيون التواريخ (فى الدهر) . (٢) فى عيون التواريخ (رثائته ملبسي)
 (٣) لعل الغلط من الراوى لأن أباه هلال نفسه ذكر الأبيات فى الجزء
 الأول من هذا الكتاب فى الصفحة ٣٥٠ منسوبة لخالد الكاتب .

(٤) يثنى ابن شاكر فى عيون التواريخ على (ديوان المعانى) فلهله اطلع عليه .

JUNE EX 10 JUN 2 1978

وكتاب جهرة الأمثال . كتاب معاني الأدب . كتاب من احتكم من الخلفاء
إلى القضاة . كتاب التبصرة وهو كتاب مفيد . كتاب شرح الجمامسة . كتاب
مفاخرة الدرهم والدينار . كتاب المحاسن في تفسير القرآن خمس مجلدات . كتاب
العمدة . كتاب فضل العطاء على العسر . كتاب ماتلحن فيه الخاصة . كتاب
أعلام المعاني في معاني الشعر . كتاب الأوائل . كتاب ديوان شعره . كتاب
الفرق بين المعاني . كتاب نوادر الواحد والجمع . كتاب الفروق .

قال ياقوت : وأما وفاته فلم يبلغني فيها شيء ، غير أني وجدت في آخر كتاب
الأوائل من تصنيفه : وفرغنا من إتمام هذا الكتاب يوم الأربعاء لعشر خلت
من شعبان سنة ٣٩٥ ، ول بعضهم :

وأحسن ما قرأتُ على كتاب بخطَّ العسكريّ أبي هلالٍ
فلو أني جعلتُ أميرَ جيشٍ لما قاقتُ إلا بالسؤال
فإنَّ الناسَ ينهزمونَ منه وقد ثبتوا لأطرافِ العوالي

وقال أبو هلال العسكري في تفضيل الشتاء على غيره من الأزمنة :

فترتُ صبوتي وأقصرَ شجوى وأتاني السرورُ من كلِّ نحرٍ
إنَّ رَوْحَ الشتاءِ خلصَ رُوحى من حرورِ تشوى الوجوه وتكوى
بردَ الماءِ والهواءُ كأنَّ قد سرقَ البردُ من جوانحِ خلو
ريحهُ تلمسُ الصدورَ فتشفي وغماماتهُ تصوبُ فتروى
لستُ أنسى منه دَمائِمَ دجن ثمَّ من بعده نضارةُ صحو
وجنوباً تبشرُ الأرضَ بالقطرِ كما بُشِّرَ العليلُ ببرو
وغيوماً مطرِزاتِ الخواشي بوميضٍ من البروقِ وخفرو
كلما أرختِ السماءُ عُراها جمعَ القطرُ بينَ سفلى وعلو
وهي تعطيكِ حينَ هبتِ شمالاً بردَ ماءٍ فيها ورقَّةٌ جَوِّ
وترى الأرضَ في ملاءةٍ فليج مثلَ ربطٍ لبستهُ فوقَ فرو

فاستعار العراء^(١) منها لباساً
فكأن الكافور موضع ترب
وليل أظن مدة درسي
مر لي بعضها بقمه وبعض
وحديث كأنه عقد رياء
في حديث الرجال روضة أنس
ومن شعره في ارتفاع السفل :

لا يفرنكم علو لثيم
فارتفاع الغريق فيه فضوح
فعلو لا يستحق سفال
وارتفاع المصلوب فيه نكال

(١) في الأصل « العراء ». (٢) أكثر هذه الأبيات غير موجود في ديوان المعاني ، مما يدل على كثرة نظم أبي هلال وسعة ديوانه رحمه الله .

ما تقدمت به طورك عندي فبخر منه يا ابن طاهر
 وحدثني ابو احمد عن ابيه عن احمد قال حدثني ابو داود عامه الشاعر
 قال كتبت العنابي الى مالك بن طوق يستورني به ويسبني به ويدعوه
 الى صلته الرحم والقرايه بينه وبينه وكان ما كتبت ان فرانك من
 قرب منك خير به وان ابن عمك من عم نفعه وان عيسر ناسك
 احسن معاشرتك وان احب الناس اليك امدام بالمنفعه
 عليك وان اهدام الي موده فك من اهدى اليك ولا لا اقول
 ولقد بلوت الناس ثم سبوتهم ووصلت ما قطعوا من الاسباب
 فاذا القرايه لا تقرب فاطفا واذا الموده اقرب الانساب
قال ابو هلال رحمه الله

هدا الحرام رايات نعيمه هذا الحجاب وبانه الترفيع
 والحمد لله حق حمده وصلوات الله على سيدنا محمد واله وصحبه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على جلائل نعمه وفواضل آلائه وقسمه والرغبة اليه فيما يزلف لديه ويمهد المنزلة عنده ويوجب الحظوة قبله والصلاة على خير بريته محمد وعترته . قال الشيخ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل رحمه الله تعالى : جمعت في هذا الكتاب أبلغ ما جاء في كل فن وأبداع ما روى في كل نوع من أعلام المعاني وأعيانها إلى عوادها وشذاذها ، وتخيرت من ذلك ما كان جيد النظم محكم الرصف غير مهلهل رخو ولا متجمد فج ، وهذا نوع من الكلام لا يزال الأديب يسأل عنه في المجالس الخافلة والمشاهد الجامعة إذا أريد الوقوف على مبلغ علمه ومقدار حفظه فإن سبق إليه بالجواب جل قدره وفخم أمره ، وإن نسكص عن ميدانه وشال في ميزانه قلت الرغبة فيه وانصرفت القلوب عنه ، وذلك مثل ما أخبرنا به أبو أحمد الحسن ابن عبد الله بن سعيد رحمه الله تعالى ^(١) قال : كان بعض من ينتحل الأدب يريد الدخول في جملة أبي الفضل محمد بن الحسن بن العميد ^(٢) لمنادمته ، وشفع له في

(١) هو شيخ المصنف وسميه اللغوي العلامة ، يروى عنه في هذا الكتاب كثيراً ، ولد سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، وكان من الأئمة المذكورين بالتصرف في أنواع العلوم والتحقيق في التأليف ، توفي سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة . وقد اختلط السميان على صاحب الأعلام وهما في الإمامة علمان .

(٢) الملقب بالجاحظ الثاني ، كان متوسعاً في علوم الفلسفة والنجوم ، وأما

ذلك جماعة من بطانته فأحضره يوماً وفاوضه ليقف على مقداره في المعرفة فقال له
 فيما قال : ما أحسن ما قيل في صفة شعر ؟ فبقي ملياً يتفكر فقال أبو الفضل : فدعند
 خاطر كُحْدَاجَة ، ثم قال هات أيها الشيخ فقلت أحسن ما قاله قديم في ذلك قول الشاعر :
 فان أهلكُ فقد أبقيتُ بعدى قوافي تُعجبُ الممثلينا
 لذينات المقاطع محكمات لو أنَّ الشعرَ يُلبَسُ لارتدنا
 وأحسن ما قاله محدث قول أبي تمام ^(١) :

ووالله لا أنفكُ أهدي شوارداً إليك يُحملنَ الثناء المنخلا
 تخالُّ به بُرداً عليك محبراً وتحسبها عقداً عليك مُفصلاً
 الذَّ من السلوى وأطيبَ نفحةً من المسك مفتوقاً وأيسرَ محملاً
 أخفَّ على رُوحٍ وأثقلَ قيمةً وأقصرَ في سمع الجليس وأطولاً
 ويُزهى به قومٌ ولم يمدحوا بها إذا مثل الرأوى بها أو تمثلاً

الأدب والترسل فلم يقاربه فيه أحد ، كان كامل الرياسة جليل القدر ، من بعض
 أتباعه الصاحب بن عباد ، ولأجل صحبته له قيل له الصاحب ، وكان له في الرسائل اليد
 البيضاء . قال الثعالبي : كان يقال بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد .
 وكان الصاحب بن عباد قد سافر إلى بغداد فلما رجع إليه قال له كيف وجدت بها ؟ فقال
 بغداد في البلاد كالاستاذ في العباد ، وكان يقال له الاستاذ . وكان سائساً مدبراً
 للملك قائماً بحقوقه ، وله شعر رقيق ، وقصده جماعة من مشهورى الشعراء من
 البلاد الشاسعة ومدحوه بأحسن المدائح ، منهم أبو الطيب المتنبي ، توفي سنة ٣٦٠ .
 (١) هو حبيب بن أوس الطائي الشاعر المشهور ، ولد بسورية وجاب البلاد
 ومدح الخلفاء وغيرهم ، قال ابن الأثير : أما أبو تمام فرب معاني وصيقل أبواب
 وأذهان ، وقد شهد له بكل معنى مبتكر لم يمش فيه على أثر ، فن حفظ شعر الرجل
 وكشف عن غامضه وراض فكره برائضه أطاعته أعنة الكلام وكان قوله في
 البلاغة ما قالت حزام ، مات سنة ٣٣١ - كما في شذرات الذهب وغيره .

وقوله: إن القوافي والمساعي لم تزل
 هي مجوهة شره فان ألفته
 في كل معترك وكل مقامة
 فاذا القصائد لم تكن خفراءها
 من أجل ذلك كانت العرب الألى
 وتند عندهم العلا الأعلى التي
 مثل النظائم^(١) إذا أصاب فريدا
 بالشعر صار قلائداً وعقودا
 يأخذن منها ذممة وعهودا
 لم ترض منها مشهداً مشهودا
 يدعون ذلك^(٢) سؤدداً محدودا
 جعلت لها مرر القريض^(٣) قيودا

قال وبقى الرجل لا يفيض بكلمة ثم خرج ولم يعد . قوله فند يعني أن خاطره بطيء ،
 وفند هذا مخنث كان بالمدينة مولى لعائشة بنت أبي وقاص^(٤) ، وكانت بعثته
 ليقتبس ناراً فأتى مصر وأقام بها سنة ثم جاء بنار وهو يعدو فعثر فبتدد الجرفقال
 تعست العجلة فقالت فيه :

بعثتك قابساً فلبثت حولا متى يأتي غياثك من تغيث
 وقال الشاعر : مارأينا لغراب^(٥) مثلاً إذ بعثناه لحمل المشله^(٦)
 غير فند أرسلوه قابساً فتوى حولا وسب العجله

فتمثلت العرب به فقالت أبطأ من فند . وحداجة رجل يضرب به المثل في
 السرعة فقيل أسرع من حداجة^(٧) .

ومن سبق إلى الجواب عن هذا النوع فظي النضر بن شميل^(٨) اخبرنا أبو

(١) في ديوان أبي تمام المطبوع « مثل الجمان » وهو اللؤلؤ . (٢) في الديوان
 المطبوع « يدعون هذا » . (٣) في الديوان « مرر القصيد » . (٤) في مجمع الأمثال :
 بنت سعد بن أبي وقاص . (٥) غراب إسم رجل . (٦) المشله كساء تجمع فيه
 المقدحة عبا لاتهما ، وقيل ثوب يشتمل به وقيل غير ذلك . (٧) وهو رجل من عبس .
 (٨) وهو النضر بن شميل المازني البصري كان رأساً في الحديث رأساً في اللغة
 والنحو ثقة صاحب سنة ، ضاقت معيشته بالبصرة فرحل الى خراسان فشيعه من
 البصرة نحو من ثلاثمائة عالم ، توفي سنة ٢٠٣ كما في شذرات الذهب وغيره .

أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد قال حدثني أبي قال حدثنا إبراهيم بن حامد قال حدثنا أبو بشر محمد بن ناصح الاصبهاني عن النضر بن شمیل المازني قال : كنت أدخل على المأمون في سمره فدخلت عليه ذات ليلة وعلى قميص مرقوع فقال يا نضر ماهذا القشف ^(١) فقلت يا أمير المؤمنين أنا شيخ ضعيف وحر مر وشديد فأبرد بهذه الخلقان ، قال لا ولكنك قشف فأجرينا الحديث إلى أن أخذ المأمون في ذكر النساء فقال : حدثنا هشيم عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ « إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سدادٌ من عوز » فقلت صدق يا أمير المؤمنين هشيم حدثنا عوف بن أبي جميلة عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال « إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سداد من عوز » قال وكان متكئاً فاستوى جالساً فقال يا نضر كيف قلت سداد قلت يا أمير المؤمنين السداد ههنا لحن قال ويحك أتلحنني قلت إنما لحن هشيم وكان لحانة فتبع أمير المؤمنين لفظه ، قال في الفرق بينهما ؟ قلت السداد القصد في الدين والسبيل ، والسداد البلغة وكل ماسددت به شيئاً فهو سداد ، قال وتعرف العرب هذا ؟ قلت نعم العرجي ^(٢) يقول :

أضاعوني وأى فتى أضاعوا ليوم كريمةٍ وسداد نغسر

قال قبيح الله من لأدب له ، ثم أطرق ملياً ثم قال : أنشدني أخلب بيت قائمه العرب قلت حمزة بن بيض ^(٣) يقول في الحكم بن مروان :

(١) القشف : رثابة الهيئة . (٢) هو الشاعر المشهور ، منسوب الى العرج

منزلة بين مكة والمدينة ، وكان حبسه محمد بن هشام الخزومي أمير مكة لما شبه بأمه فأقام بالحبس سبع سنين ومات فيه عن ثمانين سنة ، وبعد البيت المذكور :

وصبر عند معترك المنايا وقد شرعت أسنتها بنحري

(٣) شاعر مجيد من أهل الكوفة ، كان منقطعاً إلى المهلب بن أبي صفرة وولده ثم

الى بلال بن أبي بردة . توفي سنة ١٤٠ و « بيض » بكسر الباء الموحدة وسكون

يقولون لي والعيو في هازعة
أقم علينا يوماً فلم أقم
أنى الوجوه انتجعت قلت لها
وأى وجه إلا إلى الحكم
مسى يقبل صاحباً سرادقه
هذا ابن بيض بالباب يتسم
قد كنت أسامت فيك مقبلاً
فهاذ اذحل أو قى سلمى

فقال أحسن ماشاء ، أنشدني أنصف بيت قاله العرب قلت ابن غزوية المدني

حيث يقول :

إني وإن كان ابن عمي واغراً
لمزاحم من خلفه وورائه
وئمه بصرى وإن كان امراً
مستزحزحاً في أرضه وسمايه
وأكون والى سره فأصونه
حتى يحين على وقت أدائه
وإذا الحوادث أجمعت بسوامه^(١)
فأنت صحبنا إلى جربائه
وإذا دعا باسمي لتزكب مركبا
صعباً قعدت له على سبائه^(٢)
وإذا رأيت له رداءً ناضراً
لم يلفني متمنياً لردائه

فقال أحسن ماشاء ، أنشدني أقنع بيت للعرب قلت الراعي^(٣) حيث يقول :

أطلب ما يطلب الكريم من الرزق لنفسى فأجمل الطلب
وأحلب الذرة الصفاء ولا
إني رأيت الفتى الكريم إذا
رغبت في صنيعه رغبا
والنذل لا يطلب العلاء ولا
يُعطيك شيئاً إلا إذا رها
مثل الحمار الموقع السولا
يُحسن شيئاً إلا إذا ضرباً
ولم أجد غرة الخلائق إلا الدين لما اعتبرت والحسب

الياء آخر الحروف وآخرها ضاد معجمة ، على مانص عليه في الواقي بالوفيات
والواج ، ويضبطه كثيرون بالفتح وهو خطأ . (١) السوام : الابل . (٢) السبائه
بالكسر : منتظم فقار الظهر ، ومن الفرس حاركة ، ومن الحمار ظهره . القاموس .
(٣) هو الشاعر عبید بن حصين الراعي النيرمي ، من معاصري جرير والفرزدق .

قد يُرْزَقُ الخَافِقُ المقيمُ وما شَدَّ بِمَيْشِ رَحَلِهِ وَلَا قَتْبَا
وَيُحْرَمُ الرِّزْقُ ذُو المِطْيَةِ وَالسَّرْحَلُ وَمَنْ لَا يَزَالُ مُغْتَبَرًا

فقال أحسن ماشاء ، مامالك يا نصر ؟ فقلت أريض لى بمر و أنصابها و أتمددها قال
ألا ^(١) نفيديك مع ذلك مالا ؟ قلت إني الى ذلك محتاج قال فأخذ القرطاس و كتب
ولا أدري ما كتب ، قال كيف تقول من التراب اذا أمرت أن تترب ؟ قلت أتربه ،
قال فهو ماذا ؟ قلت مترب ، قال فمن الطين ؟ قلت طنه ، قال فهو ماذا ؟ قلت مطين ،
قال هذه أحسن من الأولى ثم قال يا غلام أتربه وطنه ، ثم صلى بنا العشاء ثم قال
لخادمه تبلغ معه الى الفضل بن سهل . فأتيته فلما قرأ الكتاب قال يا نصر إن أمير
المؤمنين أمر لك بخمسين ألف درهم فما كان السبب فأخبرته ولم أكذبته فقال
لحنت أمير المؤمنين فقلت كلا إنما لحن هشيم وكان لحانة فتبع أمير المؤمنين لفظه
وقد تتبع الفقهاء ، فأمر لي الفضل بثلاثين ألفاً فأخذت ثمانين ألفاً بحرف استفاده منى .
وأخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا الصولى قال أخبرنا أحمد بن يحيى المهلبى قال
حدثني أبى قال جرى فى مجلس الواثق بالله تعالى ذكر ما قيل فى أصحاب النبىذ
فأمرت أن يسأل أبو محم عن أحسن ما قيل فى ذلك فسئل بعد أن أحضر فقال أحسنه
قول حكيم وهو شاعر عصره النمر بن تولب العكلى ^(٢) :

وفتية كالسيوفٍ أحصرهم لا حصرٌ فيهم ولا بخل
بيضٌ مساميحٌ فى الشتاء وإن أخلفَ نجمٌ عن وبله وبلوا ^(٣)
لا يتأروون ^(٤) فى المضيق وإن نادى مُنادٍ أن أنزلوا نزلوا
لا يعترى شربنا اللجاء وقد توهب فىنا القيان والحلال

فاستحسن الواثق الأبيات ووهب ^(٥) أبا محم .

(١) فى نسخة « أفلا » . (٢) من شعراء الجاهلية أدرك الاسلام كبيراً ،

وكان وجيهاً جواداً . (٣) الوبل : المطر الشديد . (٤) تأرى بالمكان : احتبس .

(٥) فى نسخة « ووصل » .

حاجة الأريب إلى هذا الفن شديدة وفاقتة اليه عميدة ، وأولى ما يصنف ويؤلف
ويقرب مأخذه وبسهل ما كانت الحاجة إليه هذه الحاجة فوقت العناية عليه وانصرفت
بالاهتمام اليه حتى تهذب وتتقف وتشذب وتدانت شعبه وتقاربت سبله ولم أبال
مألني فيه من زيادة تعب وفضل كد ونصب إذ لم يكن الانسان يبلغ ما يريد وينال
ما يرغب ^(١) إلا بتكلفتة لغوب ^(٢) ومواصلة دؤوب لاسيما إذا كان الغرض الذي
ينزع اليه جسيما يكسبه حسن الذكر ويمنحه طيب النشر من علم يتقنه أو يصنفه
ويدونه أو يراية أرادها فارتادها وسيادة طلب اقتيادها وليس ذلك للمتواني المتهاون
ولا المتواكل المتواهن ، وقد قيل :

سَهَرَتْ عُيُونُهُمْ وَأَنْتَ عَنِ الَّذِي قَاسُوهُ حَالِمٌ
وقيل : وإن سيادة الأقسام فأعلم لها صدقاء مطامعها طويل
وقيل : ان السيادة والرياسة والعلى أعباؤهن كما علمت يقال
وقيل : وإن جسيمات الأمور منوطة بمستودعات في بطون الأسود
وقلت : * إن الأمور مريحها في التعب * وفي المثل « عند الصباح يحمد القوم
السرى » وقيل * ما لمن لم يركب الأهوال حظ * وقلت :

وَلَمْ يَتَسَهَّلْ لِلْفَتَى دَرَكُ الْعُلَا إِذَا هُوَ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى الْمُتَصَعِبِ

ومن كانت له حاجة في الشيء اشتغل به وفرغ له واستندب التعب فيه حتى بلغ
مراده منه وقيل :

طَوَامِسُ لِي مِنْ دُونِهِنَّ عَدَاوَةٌ وَلِي مِنْ وَرَاءِ الطَّامِسَاتِ حَبِيبٌ
بعيدٌ علي من ليس يطلب حاجة وأما علي ذي حاجة فقريبٌ
والذي حداني علي جمع هذا النوع أيضا اني لم أجد فيه كتابا مؤلفا ولا كلاما مصنفًا
يجمع فنونه ويحوى ضروره ، ورأيت ما تفرق منه في أثناء الكتب وتضاعيف
الصحف غير مقنع يشفي الراغب ويكفي الطالب فجعمته ههنا وأضفت إلى كل نوع منه

(١) أراغ : أراد وطلب . (٢) أي متعبته أشد تعب كما في القاموس .

ما يقاربه من أمثاله وما يجرى معه من أشكاله ليكون مادة للمناقضة وقوة للمفاوضة ،
وجعلته نظماً ونثراً وخبراً وشعراً لأبعث به نشاط الناظر وأجلب به صداء الخاطر
لأن الخروج من ضرب إلى ضرب أنفي للملال وأعدى على السكلال من لزوم نهج
لا يتعداه والاقتصار على أمر لا يتوخى سواه .

وجعلته إثني عشر باباً : الباب الأول : في التهامي والمديح والافتخار .

الباب الثاني : في الخصال .

الباب الثالث : في المعاتبات والهجاء والاعتذار .

الباب الرابع : في الغزل وأوصاف الحسان .

الباب الخامس : في ذكر النار والطبخ وأنواع الطعام وصفات الشراب
وما يجرى مع ذلك .

الباب السادس : في ذكر السماء والنجوم والشمس والقمر وما يجرى مع ذلك .

الباب السابع : في ذكر السحاب والمطر والثلوج والمياه وصفات البساتين

والرياض والأشجار والثمار والرياحين والنسيم وما يجرى مع ذلك .

الباب الثامن : في ذكر السلاح والحرب وما يشبه ذلك .

الباب التاسع : في ذكر القلم والخط والكتاب وصفة البلاغة وما يجرى مع ذلك .

الباب العاشر : في ذكر الخيل والابل والسير والغلوات والسراب وصفة

سائر الحيوانات .

الباب الحادي عشر : في ذكر الشباب والمشيب والعلل والموت والمرأى

والتعازي والزهد .

الباب الثاني عشر : في صفات أشياء مختلفة .

ثم رأيت أصحابنا يشكون طولها وكبر حجمه وبعد غايته فجعلت كل باب منه

ينفرد بنفسه ويتميز من جنسه ليخف محمله ويقرب مأخذه ، على أن فوائد الكتاب

على قدره في صغره وكبره ولكن ينبغي أن يحمل على كل بقدر طاقته ويكلف

على حسب مقدرته ويحدث بما ينشط لاستماعه ويثبته لوعيه ، وتقريب الحكمة
حكمة ثانية ويكسوها المحبة ويوجد اليها الرغبة ، وأرجو أن أوافق الصواب في
جميع ماضمنت هذه الأبواب ، وإن وجد في بعض فصوله خطأ أو تعرض فيه زلل
أو تخلله خلل فغير بديع ولا قبيح شنيع لأن النقصان منوط بالإنسان لا يسلم منه
خلقه وخلقه وقوله وفعله وقد شمل العيب كل شيء حتى صارت في وجنة القمر
سفعة ، وقد قلت :

وفي كل شيء حين تخبر أمره معائب حتى البدر أكلف أسفح
والشيء إذا سلم جله فقد حسن كله وبالله التوفيق :

﴿ كتاب المبالغة ﴾

في المديح والتهاني والافتخار وهو الباب الأول
من كتاب ديوان المعاني وهو ثلاثة فصول

﴿ الفصل الأول في المديح ﴾

سمعت أبا أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد رحمه الله تعالى يقول أمدح بيت
قالته العرب قول النابغة الذبياني (١).

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملسك دونها يتذبذب (٢)

(١) هو زياد بن معاوية ، لقب بالنابغة لنبغه في الشعر ، كان يعرض عليه
الشعراء قصائدهم في سوق عكاظ ، وهو أحد أصحاب المعلقات ، كان حظي باقبال
النعمان بن المنذر ، ثم هرب خيفة من بطشه بعد أن شيب بزوجه ، ثم عفا عنه
ورجع إليه ، مات سنة ١٨ قبل الهجرة . وقيل لقب بالنابغة ببعض شعره .

(٢) السورة : المقام والمسكانة ، والملك : الملك ، ويتذبذب : يضطرب .

بأنك شمسٌ والملك^(١) كواكبٌ إذا طلعت لم يبدُ منهن كوكب
 ثم قال أخبرنا أبو بكر محمد بن يحيى بن العباس قال حدثني أبو ذكوان قال : أدخلت
 إلى إبراهيم بن العباس وهو بالأهواز خدمته فقال ما تقول في شعر النابغة * ألم تر أن
 الله أعطاك سورة - البيتين فقلت ما عندي فيه إلا الظاهر المشهور يقول فضلك على
 الملوك كفضل الشمس على الكواكب فقال نفهم معناه قبل هذا إنما يعتذر إلى
 النعمان من مدحه آل جفنة الغسانيين وتركه له ويريد أن له في مدحه لهم عذراً
 ألا ترى إلى قوله :

ولكنني كنتُ امرأةً لى جانبٍ من الأرض فيه مُستراذٌ ومذَهَبٌ
 مُلوك^(٢) وإخوان إذا ما أتيتهم أحكمهم في أموالهم وأقرب
 حكمتك في قوم أراك اصطفيتهم^(٣) فلم ترهم في شكر ذلك أذنبوا
 يقول لا تلعني على شكري وقد أحسنوا إلى إذ لجأت إليهم وإن كانوا أعداءك كما
 أحسنت إلى قوم فشكروك عند أعدائك فقد أحسنوا ولم يذنبوا ، ثم قال اعمل على أني
 أذنبت فمن أين تجد من لا يذنب فقال :

ولست بمسْتَبِقٍ أخاً لآلهُ على شعثِ أي الرجال المهذب
 فإنك مظلوماً فعبد ظلمته وإن يك ذا عتبي فمثلك يُعتب
 يقول مثلك يعفو ويحسن وإن كان عاتباً وفي كرمك ما يفعل ذلك ولك

العتبي والرجوع إلى ما يجب ، ثم فضله عليهم فقال :

ألم ترَ أن الله أعطاك سورة ترى كل ملكٍ دونها يتذبذب
 بأنك شمسٌ والملوك كواكبٌ إذا طلعت لم يبدُ منهن كوكب
 يقول ما صلحت لى أنت فاني لا أريد غيـرك من الملوك كما أن من طلعت عليه

(١) في الأصل هنا «النجوم» مكان «الملوك» الموجودة في ديوان النابغة

المطبوع ، وفي الأصل بعد أسطر كذلك . (٢) وهم ملوك غسان . (٣) الذي في

ديوان النابغة المطبوع « كفعلك في قوم أراك اصطفيتهم » .

الشمس لم يمتنع الى النجوم . قال أبو ذكوان وما زأيت أعلم بالشعر منه . ثم قال لو أراد كاتب بليغ أن ينثر من هذه المعاني ما نظمه النابغة ما جاء به في أضعاف كلامه ، وكان يفضل هذا الشعر على جميع أشعار الناس . وقد سبق بمض شعراء كندة النابغة الى هذا المعنى فقال يمدح عمرو بن هند :

تَكَادُ تَمِيدُ الْأَرْضُ بِالنَّاسِ إِنْ رَأَوْا لِعَمْرٍو بْنِ هِنْدٍ عَصَبَةً وَهُوَ عَاتِبٌ
هو الشمس وافت يوم سعد فأفضلت على كل ضوءٍ والملوك كواكب
وقالت صفية الباهلية :

أَخْسَنَى عَلَى مَالِكِ رَيْبُ الزَّمَانِ وَلَا يُبْقَى الزَّمَانُ عَلَى شَيْءٍ وَلَا يَدْرُ
كُنَّا كَأَنْجِسِمِ لَيْلٍ يَسْنُنَا قَمَرٌ يَجْلُو الدَّجَى فَهَوَى مِنْ بَيْنِنَا الْقَمَرُ
ومن ههنا أخذ أبو تمام :

كَانَ بَنِي نَبِيَّانَ يَوْمَ وِفَاتِهِ نَجُومٌ سَمَاءٍ خَرَّتْ مِنْ بَيْنِهَا الْبَدْرُ
وقال نصيب في معنى النابغة :

هُوَ الْبَدْرُ وَالنَّاسُ الْكُوكَبُ حَوْلَهُ وَهَلْ يَشْبَهُ الْبَدْرَ الْمَضَى الْكُوكَبُ
ومثل قول النابغة * احكم في أموالهم وأقرب * قول الأشجع (١) :
لَا تَسْأَلُونِي فِي مَدِيحِي مَعَشَرًا خَطَبُوا الْمَدِيحَ إِلَى الْأَمْوَالِ
يَتَرَحَّرُونَ إِذَا رَأَوْنِي مُقْبِلًا عَنْ كُلِّ مُتَسَكِّمٍ مِنَ الْأَجْلَالِ
وسمعت أبا أحمد يقول : أبرع بيت قيل في المديح قول النابغة :

فَانْكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي وَإِنْ خَلْتُ أَنْ الْمُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعٌ

ثم قال أخبرني محمد بن يحيى قال أخبرنا عون بن محمد الكندي أخبرنا تعنّب بن محرز قال سمعت الأصمعي قال سمعت أبا عمرو يقول كان زهير يمدح السوقة ولو ضرب أسفل قدميه مائة على أن يقول مثل قول النابغة * فانك كالليل الذي هو مدركي *

(١) هو أشجع بن عمرو السلمي من نخول الشعراء ، مدح البرامكة ، وتقرب

مقاله فسا لا يقول مثله زهير كان غيره أبعد منه .

أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد عن السكن بن سميث عن محمد بن عباد قال سمعت أبا عبد الله نفظويه يذكر عن الفراء قال قال الكسائي حضرت مجسماً للخليل بن أحمد وقد جمع بينه وبين يونس بن حبيب ^(١) عند العباس بن محمد في مفاصلة اللغات ومجاريها ونوادير الأعراب ومذاهب العرب ومجازها وأخبارها فكان الخليل كالسابق قرن به ذوا الزوائد الحطم في حلبة المضار إلى أن تذاكروا ^(٢) الأشعار والشعراء فأكثر يونس من ذكر زهير وتقديمه وذكر الخليل النابغة وقدمه وعظم أمره فقال العباس للخليل بم تذكر النابغة؟ قال كان النابغة أعذب على أفواه الملوك وأبسط قوافي شعر كأن الشعر ثمرات تدانين من خلده فهو يجتنيهن اختياراً، له سهولة السبق وبراعة اللسان ونقاية الفطن لا يتوعد عليه الكلام لعذوبة مخرجه وسهولة مطابه . أخبرنا شيخ لباهلة يكنى أبا جحر أن النابغة وفد على النعمان معتذراً من تلك البلاغات ومعه اعتذاره الذي يقول فيه :

* فانك كالليل الذي هو مدركي * فقال النعمان أقبل منك عذرك وأصفح لقدرك عنك ثم أمر فخلع عليه خلع الرضا وكن حبرات خضر مطرفة بالدر في قضب الذهب وانصرف إلى منزله . قال الباهلي وإن النابغة جاء يوماً مستأذناً معتذراً فقال له الحاجب الملك على شرابه قال فهو وقت الملق والشعر تقبله الأفتدة عند السكر فان يبلغ لي فلق المجد عن غررموا هبه فانتم قسم ما أفدت . فقال الحاجب والله ما تفي عنايتي بك بدون شكرك لي فكيف أرغب فيما تصف ودون ما ترغب رهبة التعدي فهل من سبب يمكن الاستئذان . فقال النابغة فعلت ما يجب عليك في الأدب وقضاؤها معقود

(١) هو الأديب النحوي ، أخذ الأدب عن أبي عمرو بن العلاء وغيره ، وهو في الطبقة الخامسة في الأدب بعد علي كرم الله وجهه ، اختلف إليه أبو عبيد أربعين سنة وخلف الأحمر عشرين سنة ، وله عدة تصانيف ، توفي سنة ١٨٢

(٢) في الأصل « تذاكر »

بشكرك فمن عنده؟ قال خالد بن جعفر الكلبي فقال أين أنت عنه بما أقول لك قال قل قال تقول له خالياً ان زياداً يقول ان قدرك فوق الغمام ووفاءك وفاء الكرام - وقال الفراء تقول له خالياً ان زياداً يقول ان من قدرك نيل الدرك بك - وزكاة الجاه رفق المستعين وناحيته من الشكر ما علمت وحاجتي ملاطمة الأسباب حتى يحرك ذكراً يمكن بمثله الاستئذان - وقال الفراء يجري ذكراً - فلما صار خالد إلى بعض ما يبعث موارد الشراب نهض فاعترضه الحاجب فقال ليهنك أبا البسام حادث النعم قال خالد هناك عيشك كل ما نحن فيه تجديد للترفضيل وإتمام للشرف وكل ذلك ببقاء الملك وحسن مواده فافاك فأخبره بما قال النابغة فقال آذنه بالطاعة وانتظار المراجعة وكان خالد رفيقاً يتأني الأمور^(١) والأسباب لطفاً وحسن بصيرة في الارتياح فدخل متبسماً وهو يقول :

ألا لملكك أو من أنت سابقه سبق الجواد إذا استولى على الأمد
ثم قال واللوات والعزى لكأني أنظر إلى أملاك ذي رعين^(٢) وذى فابش^(٣)
وقد مدت لهم قصبات المجد إلى معالي الاحساب ومناكب الانساب في حلية أنت
- أبيت اللعن - غرتها فجمت سابقاً متمهلاً وجاؤا لم يتم لهم سعى ، وجاء زياد
فقال النعمان والله لأنت في وصفك أبلغ احساناً من إحسان النابغة فيناني نظم
قوافيه ، فقال خالد أيها الملك واللوات ما أبلغ فيك حسناً إلاغمره قدرك استحقاقاً
للشرف الباهر ولو كان النابغة حاضراً لقال وقلنا ، فقال النعمان النابغة يا غلام فجرج
الحاجب فقال النابغة ما وراءك قال رفع الحجاب وأذن في السيادة والافضال فدخل
فاتنصب بين يدي النعمان وحياه بتحية الملك ثم قال أيقاخرك - أبيت اللعن - ابن
جفنة وأنت سانس العرب وغرة الحسب واللوات لأمسك أبهى من يومه ولقداللك

(١) في نسخة « يتأني للأمر » . (٢) ذو رعين : لقب ملك من أذواء اليمن

كما في المرصع لابن الأثير . (٣) ذوفائش . أحد أذواء اليمن ، اسمه يزيد ، من بني
يحصب ، وهو أبو سلامة الذي مدحه الأعشى ، على ماني المرصع لابن الأثير .

أحسن من وجهه وليسارك أسمع من يمينه وأمهلك أكثر من قومه ولنفسك أكبر
من جده وليومك أشرف من دهره ولوعدك أنجز من رفته ولهزلك أصوب من
جده ولغفرك أبسط من شبره ولأمك خير من أبيه ، ثم أنشأ :

أخلاقٌ مجدك جَلتْ مالمَّا حصر في البأس والجودِ بَيْنَ البدوِ والحَضْر
مُتَوَجِّحٌ بالمعالي فوقَ مَفْرَقِهِ وفي الوغى ضَيْغَمٌ في صُورَةِ القَمَرِ
قال فتَهلل وجه النعمان بالسرور وأمر فحشي فمه دراً ، وقال مثل هذاتراح القلوب
وبمثله تمدح الملوك ، ثم قال الخليل أفبحسن زهير أن يقول مثل هذا ؟ فقال يونس
للعباس انى لا أعجب مما حدث عن قصة النابغة وشعره قوله :

* وفي الوغى ضيغم في صورة القمر *

أجود شيء قيل في الحسن مع الشجاعة من شعر المتقدمين ومن شعر المحدثين
قول أبي العتاهية ^(١) يمدح الرشيد وولده :

بَنُو المصطفى هارون بين سريره فخير قيام حَوَله وَقُعود
يُقَلِّبُ الحَاظَ المَهَابَةَ بَيْنَهُم عُيونُ ظَبَاءٍ في قلوبِ أسودِ
وأخذه مسلم بن الوليد فقال * كأن في سرجه بدرأ وضرغاماً *
وقلت : فتى على نفسه من نفسه رَصْدٌ يَصده أن نطق الشين والذاما ^(٢)
مازالَ يَغْنَمُ مَالاً ثم يَغْرُمُهُ ما زال للمال غَنَاماً وَغَرَاماً
أغر أربع يحكى الغيث مكرمة والنجم منزلة والطود أحلاما
تجمله ^(٣) حين يبدو أن تقول له كأن في سرجه بدرأ وضرغاماً
وقد تداول الناس معنى قوله * كأنك كالليل الذى هو مدركى *

(١) غلب عليه هذا اللقب لعنوه ، وهو من مقدمى المولدين من طبقة بشار
وأبي نواس ، كان يبيع الفخار قبل أن يقول الشعر ويبرع فيه ، يقال أطبع الناس
بالشعر بشار والسيد الحميرى وأبو العتاهية ، توفي سنة ٢١١ .
(٢) الذام : العيب .
(٣) فى الأصل « يحله » .

فقال الفرزدق :

ولو حملتني الريحُ ثم طلبتني لكنت كشيء أدر كته مغادره
وهو دون قول النابغة لأن الليل أعم من الريح والريح أيضاً يمتنع منه
بأشياء ، والليل لا يمتنع منه بشيء . وأخذ الأخطل ^(١) قول الفرزدق ^(٢) فقال :
فأنت كالدهر مَبْتَوَاتًا حَبَائِلُهُ والدهرُ لاملجأ منه ولا هَرَبُ
ولو ملكتُ عِنانَ الريحِ أَصْرَفُهُ في كل ناحية مافاتك الطلب
وأخذ مسلم البيت الأول من الأخطل فقال :
وإنَّ أميرَ المؤمنينَ وفعلهُ لسكالدهرٍ لاغاد بما فعل الدهر
وهو أيضاً مأخوذ من قول النابغة : وأخذهُ أبو تمام فقال :
خَشَعُوا الصَوْتُكَ التي هي عندهم كالموت يأتي ليس فيه عاد
فالقول همسٌ والتَّداءُ إشارة خوف انتقامك والحديثُ سراد
وأخذهُ علي بن جبلة ^(٣) فقال :
وما لأمري حاولته منك مَهْرَبٌ ولو رَفَعْتُهُ في السماء المطالعُ
يلي هارب لا يهتدي لمسكانه ظلامٌ ولا ضوءٌ من الصبح لا مع
وقال البحترى ^(٤) :

- (١) هو غياث بن غوث التغلبي ، نشأ في العراق ، ودخل الشام ومدح
الملوك الامويين ، كان لا يظهر من شعره إلا المتخير . مات سنة ٩٠ .
- (٢) يقول ابن خلكان : أجمعت العلماء على أنه ليس في شعراء الاسلام مثل
ثلاثة : جرير والفرزدق والأخطل ، وكان بينهم مهاجاة وتفاخر ، يقال لولا شعر
الفرزدق لذهب ثلث اللغة ونصف أخبار الناس ، كان لا ينشد عند الخلفاء إلا قاعداً
توفي في البصرة سنة ١١٠ . (٣) هو العكوك الآتي .
- (٤) هو الوليد بن عبيد الطائي البحترى - نسبة الى جد اسمه بحتر - قال المبرد :
- أنشدنا شاعر دهره ونسيج وحده البحترى ، عرض أول شعره على أبي تمام فقال له

ولوانهم ركبوا السكاكب لم يكزوا .
 ولجدهم من خوف بأسك مهرب
 وقلت في قريب منه :

ويدنو له المطلوب حتى كأنما
 يواكب ضوء الصبح في كل مطلب
 وقالوا أمدح بيت قاله العرب قول أبي الطمجان (١) :

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم
 دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
 نجوم سماء كلما انقض كوكب
 بدا كوكب تأوى إليه كواكبه
 وما زال منهم حيث كان مسود
 تسير المنايا حيث سارت كتابه
 ومثله قول الخطيئة (٢) :

نمشى على قول أحساب أضأت لنا
 كما أضأت نجوم الليل للشارى
 ومثله قول الآخر :

وجوه لو أن المدجلين اعتشوا (٣) بها
 صد عن الدجى حتى يرى الليل ينجلي
 وقال بعض الأعراب في رجل : مادفعته في سواد إلا محاه ولا قابلت به ملماً

إلا كفاه . ومثل قوله * صد عن الدجى * قول بعض المحدثين :
 ومصباحنا قمر زاهر كقوس الجبين يشق الدجى
 وقلت : وأنشق ثوب الظلام عن قمر
 يضحك في أوجه الدجنات

أنت أشعر من أنشدني وكتب له بذلك فعظم وبجل ، وقال له أبو تمام : نعت
 إلى نفسي فقال أعيدك بالله فقال ان عمري ليس بطويل وقد نشأ لطيء مثلك ،
 مات بعدها بسنة . وكانت وفاة البحترى سنة ٢٨٤ (١) هو حنظلة بن الشرقي

القيني من الشعراء الجاهليين ، أدرك الإسلام ، ومات قبيل الهجرة .

(٢) هو جرول بن أوس العبسي من الشعراء المخضرمين ، اشتهر بالهجو
 حتى هجا والديه ونفسه . ولعل في البيت تحريفاً في رواية الأغاني :

نمشى على ضوء إحسان أضاء لنا ماضوات ليلة القمر للشارى
 (٣) الدج : السير من أول الليل . واعتشوا : استضاؤوا .

كأما النجم حين قلبه
 وقلت: ليل كما ترنفسو الغزاة أسود
 قبيعة (١) في نصاب مرآة
 كواكبه زهر ووصفر كأنها
 على أنه من نور وجهك أبيض
 قبائع منها مذهب ومفضض
 ولكنها عن وجهه تفرج
 وفيه ظلام بالصباح متوج
 وقول أبي الطمجان مولى ابن أبي السمط:

فتى لا يبالي المدجلون بنوره
 له حاجب عن كل أمر يشينه
 إلى مابه ألا تضى الكواكب
 وليس له عن طالب العرف حاجب
 وقول الآخر:

من البيض الوجوه بنى سنان
 لو انك تستضى بهم أضوا
 وقول الآخر:

غلام رماه الله بالحسن يافما
 كأن الثريا علقت في جبينه
 له سماء لا تشق على البصر
 وفي أنفه الشعرى وفي وجهه القمر
 ولما رأى المجد استعيرت ثيابه
 إذا قيلت العوراء غض كأنه
 تردي بثوب واسع الذيل واتزر
 ذليل بلا ذل ولو شاء لا تنصر
 وقول الآخر (٢):

إختر فناء بني عمرو فانهم
 إن يسألوا الخير يعطوه وإن جهدوا
 أو لو فضول وأقدار وأخطار
 فالجهد يخرج منهم طيب أخبار
 كسفت أذمار سر غير اسرار
 أرباب مكرمة أبناء إيسار
 مثل النجوم التي يهدى بها السارى
 من تلق منهم نقل لا قيت سيدهم

(١) قبعة السيف كسفينة: ماعلى طرف مقبضه من فضة أو حديد.

(٢) تروى هذه الآيات عن الجاحظ كما سيأتي.

وهذا عندي أمدح شئ قيل في وصف جماعة .

وأشيدنا أبو أحمد لعيسى بن أوس في الجنيد بن عبد الرحمن (١) :

الى مُستنيرِ الوجهِ طالَ بسؤددٍ تقاصرَ عنه الشاهقُ المتطاوُلُ
مدحتكَ بالحق الذي أنتَ أهله ومن مدحِ الأقوامِ حقَّ وباطلِ
يعيشُ الندى مادمتَ حيا فان تَمَّت فليس لحى بعد موتك طائلِ
وما لامرئٍ عندي مُخَيِّلةٌ نعمة سِوَاكَ وقد جادتِ على مخايلِ

وقالوا أمدح بيت قالته العرب قول الأعشى :

فتى لو ينادى الشمسَ أَلقتِ قنَاعَها • أو القمرَ السارى لأتقى المقالِدا

وهذا وقول أبي الطمحان من الغلو ، والغلو عند بعضهم مذموم وليس كذلك ولو كان مذموماً لما جعلوا هذين البيتين من أمدح ما قالت العرب وهما من الغلو على ما هما عليه ، ومثل هذا الغلو قول طريح بن اسماعيل (٢) :

أنتَ ابنُ مُسلنَطحِ البطاحِ ولم يضرب عليك الحنى والولج
لو قلت للسيل دع طريقك والسموج عليه كالهضب يعتلج
لارتدَّ أوساخٌ أو لكانَ له في جانبِ الأرضِ عنك مُنعرَج
وهذا من أعلى الغلو لان السيل لا ترد وجهته هيبه ولا مخافة ، والعرب تقول أجرا من السيل فيهمز ولا يهمز والهمز من الجراء وتترك الهمز من الجرى ، ويقال في المثل لأفعل كذا حتى يرد وجه السيل ، وليس هذا الشعر بمختار الرصف واللفظ وإنما جئت به لمكان غلوه ، ومن الغلو المشهور المستفيض الذي قبله الناس واستحسنوه ورووه بكل لسان قول أبي تمام في المعتصم :

يُيَمِّنُ أبى اسحقَ طالَت يدُ العلاءِ وقامت قنأة الدينِ واشتدَّ كاهلُه

(١) هو الجنيد بن عبد الرحمن المرى الأمير ولى خراسان وغيرها وكان

أجود الأجواد ، توفي سنة ١١٥ . (٢) هو طريح بن اسماعيل الثقفى الشاعر ،

لزم الوليد بن يزيد الأموى وبألف في مدحه .

هو البحر من أي النواحي أتته . فليجته المعروف والجود ساحله
 تعود بسط الكف حتى لو انه أراد انقباضاً لم تطعه أنامله
 ولو لم يكن في كفه غير نفسه لجاد بها فليتنق الله سائله
 وقلت في قريب منه :

وكيف بيت الجار منك على صدى وكفك بحر جنة البحر ساحله
 أخبرنا أبو أحمد قال سمعت أبا بكر - يعني ابن دريد - يحكي عن أبي حاتم قال
 قال الأصمعي سمعت أعرابياً يقول : انكم معاشر أهل الحضرة لتخطون المعنى ان
 أحدكم ليصف الرجل بالشجاعة فيقول كأنه الأسد ويصف المرأة بالحسن فيقول
 كأنها الشمس ، لم لا تجملون هذه الأشياء بهم أشبه ثم قال لانشدك شعراً يكون
 لك اماماً ثم أنشدني :

إذا سألت الورى عن كل مسكرمة لم تلف نسيبها إلا إلى الهول
 فتى جواداً أعاد النيل نائله فالتليل يشكر منه كثرة النيل
 وليس هذا الشعر مختاراً عندي :

والموت يرهب أن يلقى منيته في شدة عندلف الخليل بالليل
 لو عارض الشمس ألقى الشمس مظلمة أوزاحم الغيم أجاها إلى الميل
 أو بارز الليل غطته قوادمه دون القوافي كمثل الليل بالليل
 أمضي من النجم ان نابتة نائبة وعند أعدائه أجرى من السيل

ومن الجيد في هذا المعنى قول الآخر :

علم الغيث الندى حتى إذا ما حكاها عام البأس الأسد
 فله الغيث مقر بالندى وله الليث مقر بالجلد

وقد أنكر عبد الملك ما أنكره الأعرابي من تشبيه المدوح بالأسد والصحفر
 والبحر فأخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر أخبرنا عبد الأول بن مزيد - أحد
 بني أنف الناقة - عن ابن عائشة عن أبيه قال قال عبد الملك يوماً وقد اجتمع

الشعراء عنده : تشبهوننا بالأسد والأسد أبخر وبالبحر والبحر أجاج وبالجبيل
والجبيل أوعر ألا قلتم كما قال أيمن بن خزيمة في فاتك في بني هاشم :
نهاركم مكابدةٌ وصومٌ وليدكم صلاةٌ واقتراءٌ
أجعلكم وأقواماً سواءً وبينكم وبينهم الهواء
وهم أرض لأرجلكم وأنتم لأعينهم وأرؤسهم سماء
وهذا من قول أمية بن أبي الصلت ^(١) وهو أول من أتى به قوله في عبد الله
ابن جدعان ^(٢) :

أذكرُ حاجتي أم قد كفاني حياؤك ان شيمتك الحياءُ
كريم لا يُغيره صباحٌ عن الخلقِ الكريم ولا المساءُ
وأرضك أرضٌ مكرمةٌ بنتها بنو تميم وأنت لهم سماء
ونحوه قوله :

لكل قبيلة شرفٌ وعزٌّ وأنت الرأسُ يقدم كل هادي
وتصرف فيه المحدثون فقال ابن الرومي ^(٣) :

قومٌ يحلون من مجدٍ ومن شرفٍ ومن غناء محل البيض واللب ^(٤)
حلوا محامها من كل جمجمة نفعاً ورفعاً وإطلالاً على الرتب

(١) شاعر جاهلي ، ورد أن النبي ﷺ قال « كاد أن يُسلم في شعره » طاش
إلى أن أدرك وقعة بدر ورثي من مات بها من الكفار .

(٢) هو التيمي القرشي من أجواد الجاهلية ، أدرك النبي ﷺ قبل البعثة ،
يروى أنه كانت له جفنة يأكل منها القائم والراكب ، وقع فيها صبي ففرق .

(٣) واسمه علي بن العباس صاحب النظم العجيب ، كان شعره غير مرتب
فرتبه أبو بكر الصولي على الحروف ، والمطبوع هو مختصر ديوانه ، وكان سبب
موته . أن الوزير أبا الحسن بن عبید الله وزير المعتضد كان يخاف من هجوه فندس
عليه ما كلاً مسموماً في مجلسه وذلك سنة ٢٨٣ (٤) أي السيوف والدروع .

قومهم أو أس إذ حسدهم ذئب • ومن يُبْتَلُّ بَيْنَ الرَّأْسِ وَالذَّنْبِ
ومنه قول الخطيئة :

• قَوْمٌ هُمُ الْأَنْفُ وَالْأَذْنَابُ غَيْرُهُمْ • ومن يُسْوَى بِأَنْفِ النَّاقَةِ الذَّنْبَا
وقال غيره : الناس أرض بكل أرض وأنت من فوقهم سماء
وقلت : أبشر فانك رأس والعلاجسد والمجد وجه وأنت السمع والبصر
لولاك لم يك للأيام منقبة تسمو إليها ولا للدهر مفتخر

وأخبرنا أبو حامد قال أخبرنا أبو بكر بإسناد ذكره عن الهيثم بن عدي قال
دخل الأخطل على عبد الملك بن مروان فقال يأمرير المؤمنين قد امتدحتك فاستمع
مني فقال ان كنت شبيهتي بالصقر والأسد فلا حاجة لي بمدحك وان كنت قات
كما قالت أخت بني الشريد لأخيها صخر فهات فقال الأخطل وما قالت يأمرير
المؤمنين قال هي التي تقول :

فما بلغت كفو امرئ متناول • بها المجد إلا حيث مانلت أطول
ولا تبلغ المهدون في القول مدحة • ولو أطنبوا إلا الذي فيك أفضل
فقال الأخطل والله لقد أحسنت القول ولقد قلت فيك بيتين ما هما بدون
قولها قال هات فأنشد :

إذا مت مات العرف وانقطع الندى • من الناس إلا في قليل مصدر^(١)
وردت أكف السائلين وأمسكوا • من الدين والدنيا بخلف مجدد
وليس بحسن عندي أن يقال للمسروح إذا مت فإن استماع ذلك مكروه وإن
كانت الشعراء قد استعملته في كثير من مقاماتها أنشدنا أبو أحمد عن ابن دريد :
إذا مت لم توصل بعرف قرابة • ولم يبق في الدنيا رجاء لنا نائل
وهو من قول النابغة :

فان يهلك أبو قابوس يهلك • ربيع الناس والشهر الحرام

وَيُمْسِكُ بَعْدَهُ بِذَنَابِ عَيْشٍ . أَحْبَبَ الظَّهْرَ لَيْسَ لَهُ سَنَامٌ
 وَهَذَا أَجُودُ مِنَ الْأَوَّلِ لِأَنَّهُ لَمْ يَخَاطَبْ بِهِ الْمَدْمُوحَ وَلَوْ قِيلَ لَوْلَا فُلَانٌ لَكَانَ كَذَا
 وَكَذَا لَكَانَ كَمَا قَالَ عَلِيُّ بْنُ جَبَلَةَ (١) :

لَوْلَا أَبُو دُكَلْفٍ لَمْ تَحْيِي عَارِفَةٌ
 يَا بَنِي الْأَكْرَامِ مِنْ عَدَنَانَ قَدْ عَلمُوا
 وَنَاقِلُ النَّاسِ مِنْ عُدْمٍ إِلَى جِدَّةٍ
 أَنْتَ الَّذِي تُنَزِّلُ الْإِيَّامَ مَنَزِلَهَا
 وَمَا مَدَدْتَ مَدَى طَرَفٍ إِلَى أَحَدٍ . إِلَّا قَضَيْتَ بَآجَالٍ وَأَمَالَ (٢)
 تَزُورُ سَخَطًا فَنَمْسِي الْبَيْضَ رَاضِيَةً وَتَسْتَهْلُ فِتْيَكِي أَوْجُهُ الْمَالِ

وَأَخْبَرَنَا أَبُو أَحْمَدَ فِي كِتَابِ الْوَرَقَةِ عَنْ ابْنِ دَاوُدَ قَالَ قَالَ أَبُو هَفَانَ اجْتَمَعَ
 الشُّعْرَاءُ بِيَابِ الْعَتَمِمْ فَتَعَدَّ لَهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْإِزْيَاتِ فَقَالَ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 يَقْرَأُ عَلَيْكُمْ السَّلَامَ وَيَقُولُ لَكُمْ مِنْ كَانَ يَحْسُنُ أَنْ يَقُولَ مِثْلَ قَوْلِ النَّهْرِيِّ فِي الرَّشِيدِ :
 خَلِيفَةُ اللَّهِ إِنَّ الْجُودَ أَوْدِيَةٌ . أَحَلَّكَ اللَّهُ مِنْهَا حَيْثُ تَجْتَمِعُ (٣)
 إِنَّ أَخْلَفَ الْقَطْرِ لَمْ يُخْلَفْ مَخَالِيهِ أَوْ ضَاقَ أَمْرُهُ ذَكَرْنَاهُ فَيَسْتَسِعِ
 فَقَالَ ابْنُ وَهْبٍ فِينَا مِنْ يَقُولُ مِثْلَهُ :

ثَلَاثَةٌ تَشْرُقُ الدُّنْيَا بِبَهْجَتِهَا شَمْسُ الضَّحَى وَأَبُو إِسْحَاقَ وَالْقَمَرُ
 تَحْكِي أَفَاعِيْلَهُ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ الْغَيْثُ وَاللَيْثُ وَالصَّمَامَةُ الذِّكْرُ

قَالَ فَأَجَازَهُ وَفَضَلَ ابْنَ وَهْبٍ . وَبَعْضُ الشُّعْرَاءِ فِي الْمَهْلَبِ :

أَمْسَى الْعِرَاقُ سَلِيْبًا لِأَنْبَسَ لَهُ إِلَّا الْمَهْلَبُ بَعْدَ اللَّهِ وَالْمَطَرُ

(١) هُوَ الْعَكُوكُ أَحَدُ الْمُبْرِزِينَ فِي الشُّعْرِ ، عَامَةٌ شَعْرُهُ فِي مَدْحِ أَبِي دَلْفٍ

الْمَعْجَلِي ، كَانَ أَعْمَى ، قِيلَ أَنَّ الْمَأْمُونِ قَتَلَهُ لِمُبَالَغَتِهِ فِي مَدْحِ أَبِي دَلْفٍ سَنَةَ ٢١٣ .

(٢) فِي شُدْرَاتِ الذَّهَبِ « إِلا قَضَيْتَ بِأَرْزَاقٍ وَأَجَالٍ » .

(٣) سِيَّاقِي هَذَا الْبَيْتِ بَصْهَرُ « أَنَّ الْمَكْرَامَ وَالْمَعْرُوفَ أَوْدِيَةٌ » .

هذا يجودُ ويحمي عن ذمهم . وذا تعيشُ به الأُنعامُ والشجرُ
ومنه أخذ ابن وهب . وقلت في معناه :

لم تزلْ للورى ثلاثُ شمسٍ وجَهكُ المستضى . والقمرانِ
وقالوا أمدح بيت قائم العرب قول زهير ^(١) :

تراهُ إذا ماجئتهُ مُتهللاً كأنك تُعطيهِ الذي أنت سائلُهُ
وعاب بعضهم هذا البيت فقال جعل الممدوح فرحاً بعرض يئاله وليس هذا شأن
الكبير الهمة ، والجيد قول أبي نوفل عمرو بن محمد الثقفى :

ولئن فرحتَ بما بُدِّلكَ إنه . لبا يُبديكُ من نداءهِ أفرحُ
ما زالَ يُعطي ناطقاً أوسا كنتاً حتى ظننتُ أبا عقيلٍ يمزحُ
فجعله يفرح بما ينيل . ومثله قول أبي تمام :

أسائلُ نصرٍ لا تسلهُ فانهُ أحنُّ إلى الأرفادِ منك إلى الرِّفدِ
وقال بعض الأعراب : ما زال فلان يعطيني حتى حسبت أنه يودعني ، ونحو
ذلك أن الحجاج قال لاياس بن معاوية أى الناس أحب إليك ؟ قال من أعطاني
قال ثم من ؟ قال من أعطيته . وقال أبو السمع الطائى فى خلاف ما قال زهير :
فتى لا يرى سوقَ المهورِ غرابيةً ولا غالياتِ المالِ حلياً على نحرِ
فتى كان مكراماً لنفسِ كريمةٍ مُهيناً لدنيا غيرِ مأمونةِ القدرِ
وعندى أن بيت زهير أجود ما قيل من الشعر القديم ، ومن أبداع فى ذلك
البحترى فى قوله :

سلامٌ وإن كانَ السلامُ تحيةً قَوجهكُ دونَ الردِّ يكفى المسلما
ومن الجيد فى ذلك قول ابن الرومى :

(١) هو صاحب المعلقة المشهورة زهير بن أبى سلمى المضرى ، قال ابن
الأعرابى : كان زهير فى الشعر مالم يكن لغيره : كان أبوه شاعراً وخاله شاعراً
وأخته سلمى شاعرة وابناه كعب وبجير شاعرين وأخته الخنساء شاعرة .

كأَنَّمَا القَطْرُ مِنْ بَدَى يَدِهِ • والبرقُ مِنْ بَشْرِهِ وَمِنْ ضَحْكِهِ
وقول أبي الأسد :

وَلَأَنَّمَا لَأَمَتِكَ يَا قَيْضُ فِي النَّدَى
أَرَادَتْ لَثْمِي القَبْضَ عَنْ عَادَةِ النَّدَى
إِذَا مَا أَتَاهُ السَّائِلُونَ تَوَقَّدَتْ
لَهُ فِي بَنِي الحَاجَاتِ أَيْدٍ كَأَنَّهَا
وقريب منه قول أبي تمام :

عَمِيدِي بِهِمْ تَسْتَنْيرُ الأَرْضُ إِنْ نَزَلُوا • فِيهَا وَتَجْتَمِعُ الدُّنْيَا إِذَا اجْتَمَعُوا
وَيَضْحَكُ الدَّهْرُ مِنْهُمْ عَنْ غَطَارِفَةٍ
وَقَلْتُ : إِذَا عَبَسَ الزَّمَانُ فَعَمِلَ إِلَيْهِ
وَقَلْتُ : كَأَنَّكَ فِي خَدِّ الزَّمَانِ تَوْرِدُ
فَمَنْ يَكُ مَمْدُوحًا بِنِظْمِ يَصُوغُهُ
وقال البحرى :

وَتَوَاضَعُ لَوْلَا التَّكْرُمُ عَاقُهُ
وَفُتُوَّةُ جَمْعِ التَّقَى أَطْرَافُهَا
وَشَبِيهَةٌ فِيهَا النِّهْيُ فَإِذَا بَدَتْ
طَلَقُ اليَدَيْنِ إِذَا تَفَرَّقَ مَالُهُ (٣)
جَدْلَانُ (٤) يَطْرَبُ لِلسُّؤَالِ كَأَنَّهَا
وقال ابن الرومى :

(١) كذلك فى الديوان المطبوع ، وفى الأصل « وىدى أحاطهما بماء السؤدد » .

وهو تحريف (٢) فى الأصل « التنبسم فهو » . (٣) كذا فى النسخ ، والذى فى
الديوان المطبوع « خضل اليدين إذا تفرق فى الندى » . (٤) فى الديوان
المطبوع « نشوان » مكان « جدلان » .

أغرَّ أبليج يكسو نفسه جُللاً
من المحامد لا تبلى على الحقب
تلقاه من نهضة للمجد في صعد
ومن تواضعه للحق في صعب
كانه وهو مسؤلٌ ومتمدحٌ
غناه إسحقُ والأوتار في صخب
يهتزُّ عطفاه عند الحمد يسمعه
من هزة المجد لامن هزة الطرب

وهذا المصراع من قول أبي تمام:

موكلٌ ^(١) ييفاع الأرض يشرفه
من خفة الخوف لامن خفة الطرب
وقلت: وقد يؤنسُ الزوار منك إذا التفتوا
سخاء عليه للطلاقة شاهدٌ
وقلت زهير قول بعضهم فقال:

تراه إذا ماجتته متعباً
كانك بالمنقاش تنفُّ شاربهُ

وقد أحسن خطة في هذا المعنى أنشدناه أبو أحمد عنه:

قومٌ أحاول نيلهم فكأنني
حاولت تنف الشعر من أنا فيهم
قم فاسقنيها بالكبير وغنني
ذهب الذين يُعاش في أكنافهم

وقالوا أمدح بيت قائله العرب قول جرير ^(٢):

ألستم خيرَ من ركب المطايا
وأندى العالمين بطونَ راح

وليس هذا الاستفهام للشك وفي القرآن الشريف (أليس الله بعزيز ذي انتقام) (أليس الله بأحكم الحاكمين) (أليس الله بكاف عبده) وسئل بعض العرب عن أشعر الناس فقال جرير وذلك أن بيوت الشعر أربعة المديح والهجاء والافتخار والغزل وفي كلها سبق جرير: قال في المديح:

ألستم خيرَ من ركب المطايا
وأندى العالمين بطونَ راح

(١) في الديوان المطبوع «موكلاً». (٢) هو جرير بن عطية الخطمي، قال ابن خلكان أجمعوا على أنه ليس في شعراء الإسلام مثله ومثل الفرزدق والأخطل، وكان عمر بن عبد العزيز لا يأذن لأحد من الشعراء غير جرير، ولما مات الفرزدق بكى جرير وقال اني لا أعلم أني قليل البقاء بعده، مات سنة ١١٠ وقد قارب المائة.

وقال في الهجاء :

فَفُضَّ الطَّرْفَ إِنْكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَ كَبَابًا بَلَغْتَ . وَلَا كِلَابَا

وقال في الافتخار :

إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ حَسِبْتَ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ غَضَابَا

وقال في الغزل :

إِنَّ الْعَيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوْرٌ قَتَلْنَا شَمَّ لَمْ يُحْيِينَ قَتْلَانَا

يَصْرَعْنَ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حَرَكَ بِهِ وَهِنَّ أضعفُ خَلْقِ اللَّهِ أَرَكْنَا

وقال التنوخي^(١) في هذا المعنى :

فَكَلِمَا إِذْ دَادَتْ قَوَى أَجْفَانِهَا ضَعْفًا تَقْوِينَ عَلَى ضَعْفِ الْقَوَى

وأمثال هذا كثيرة نوردها فيما بعد ، ونقض بعضهم قوله :

* إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ * قَالَ :

لَقَدْ غَضِبْتُ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ فَمَا نَكَاتُ بِيغْضَتِهَا ذُبَابَا

وقالوا امدح بيت قائله العرب قول حسان^(٢) :

يَفْشُونَ حَتَّى مَاتَهُمْ كَلَابُهُمْ لَا يُسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبَلِ

يقول قد أنست كلابهم بالزوار فهم لا تنبجهم وهم من شجاعتهم لا يسألون

(١) هو أبو القاسم علي بن محمد القاضي التنوخي ، له ديوان شعر ، منه

مقصورة عارض بها الدريرية ، كما حكاها ابن خلكان وغيره .

(٢) هو حسان بن ثابت الانصارى شاعر النبي ﷺ قال أبو عبيدة : فضل

حسان الشعراء بثلاثة : كان شاعر الانصار في الجاهلية ، وشاعر النبي صلى الله

عليه وسلم في النبوة ، وشاعر اليمانيين في الاسلام ، مات عن مائة وعشرين سنة

مناصفة في الجاهلية والاسلام ، وكان لسانه يصل إلى جبهته ، ومن قوله مخاطباً

لأبي سفيان بن الحرث :

اتهجوه ولست له بكفء فشر كما تلخير كما الفداء

عن جيش يقبل نحوهم لقلّة أكثرتهم بهم ولثقتهم بيسالة أنفسهم وشدتهم على أعدائهم .
ومثله ما أنشد أبو تمام :

إذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهم^١ لا يّة حربٍ أولأى مكان
وقال ابن هرمة^(١) في أثر الكلب بالضيف :

ومستنجح تستكشطُ الريحُ ثوبه ليسقط عنهم وهو بالثوب معصم
عوى في سواد الليل بعد اعتسافه لينبح كلب أوليفزع نوم^٢
فجاوبه مستسمع الصوت للقرى له عند أقيان المهين مطعم^٣
يكاد إذا ما أبصر الضيف مقبلا يكلمه من حبه وهو أعجم^٤
وقال عمران بن عصام ، ويروى لنصيب :

لعبد العزيز على قوميه وغيرهم من غامرة
فيا بئسك أئين . أبوا بهم ودارك مأهولة عامره
وكلبك آانس بالمعتفين من الأم بابتسها الزائره
وكفتك حين ترى السائلين أندى من الليلة الممطره
فمنك المطاء ومنك البناء لكل مخبرة ساره
وقال الحطيئة في خلاف ذلك :

ملوا قراه وهرته كلابهم^٥ وضره بآنياب وأضراس
وقال بشار في قريب من المعنى الأول :

سقى الله القباب ونل عيدي وبالشرفين أيام القباب
وأيام لنا قصرت وطالت على فرعان نائمة الكلاب
وقال آخر : ومايك في من عيب فاني جبان الكلب مهزول الفصيل

معناه أن الكلب يضرب إذا نبح الضيف فهو جبان ويؤثر الضيف باللبن والفصيل
(١) هو إبراهيم بن علي الكناني القرشي سكن المدينة ورحل الى دمشق
ومدح الوليد الاموي .

مهزول . وقالوا أمدح بيت قائمه العرب قول النابغة الجعدي :

فتى تمّ فيه مايسرُّ صديقه على أن فيه مايسوءُ الاعاديا

وهذا غايه المدح لأن الرجل إذا قدر على النفع والضرر فقد كمل ، ولهذا

قيل في البرامكة :

عند الملوكة مضرةٌ ومنافعٌ وأرى البرامك لا تضرُّ وتنفعُ

لا يعرف أهجاءهم أم مدحهم لأنه إذا نفي عنهم أن يضرروا فقد قصرهم ، وقد قيل :

إذا أنت لم تنفع فضرَّ فأما يُراد الفتى كما يضرُّ وينفع

وقد تداول الناس معنى النابغة فقال بعضهم وهو من أحسن ما يروى عنه :

متى تهزز بنى قطن تجدهم سيوفاً في عوانتهم سيوف

جالوس في مجالسهم رزان وإن ضيف ألم فهم وقوف

إذا نزلوا حسبتهم بدوراً وإن ركبوا فاتهم حتوف

وقال آخر : فذلل أعناق الصعاب بيبأسه وأعناق طلاب الندى بالفواضل

فما انقبضت كفاه إلا بصارم ولا انبسطت كفاه إلا بنائل

وقال محمد بن بشر الأزدى :

فتى وقف الأيام بالعتب والرضا على بذل مال أو على حد منصل

وما إن له من نظرة ليس تحتها غمامة غيث أو ضبابة قصطل

وقال آخر : فتى دهره بشطران فيما ينوبه ففي بأسه شطر وفي جوده شطر

فلا من بغاة الخير في عينه قذى ولا من زئير الأسد في أذنه وقر

وقد أحسن البحترى في هذا المعنى وهو قوله :

هو العارض الثجاج أخضل جوده وطارت حواشى برقه فتلبها

إذا ماتلطي في وغي أصعق العدى وان فاض في أكرومة^(١) غمر الربا

رزين إذا ما القوم خفت حلومهم وقور إذا ما حادث الدهر أجلبا

(١) في الديوان المطبوع « خاض في أكرومة »

حياتك أن يلقاك بالجلود راضيا وموتك أن يلقاك بالبأس مغضبا
 حرون إذا عاززته في ملة فان جئته من جانب الذل أصحبا
 إذا هم لم يقعد به العجز مقعداً وان كف لم يذهب به الحزن مذهبا^(١)
 وقال الأسدی فی نفي الخبر والشر عن المذكور وهو من أشد الهجاء وأدله
 على الخمول :

فحسبك في القوم أن يعلموا بأنك فيهم غنى مضر
 وأنت لميح كلعنم الحوار وأنت حلو ولا أنت مر
 وقال غيره : شيخ من بنى الجارو د لاخير ولا شر
 وقال آخر : ولقد تزلت على زياد مرة فظننته شيخاً يضر وينفع
 فاذا زياداً في الدبار كأنه مشطاً يقبله خصي أصلع

وقد أحسن البحتری في المعنى الأول وهو قوله :

هو الملك الموهوب للبأس والتقى^(٢) فله تقواه وللمجد سائره
 له البأس يخشى والساحة تترجى فلا الغيث ثانيه ولا الليث طائره
 كأنه من قول منصور وهو من المعنى الذي نحن فيه :

هو الملك المملوك للمجد والتقى وصواته لا يستطيع خطارها
 لقد نشأت للشام منك سحابة يؤمل جدواها ويخشى زمارها
 فطوبى لأهل الشام أم ويل أمها أتاها حياها أم أتاها بوارها
 فان سلموا كانت غمامة نعمة وخير وإلا فالدماء قطارها
 أبوك أبو الأملك يحيى بن خالد أخو الجود والنعمى الباب صفارها
 وكأن ترى في البرمكيين من به ومن سابقات لا يشق غبارها

(١) في الأصل : إذا كف لم يقعد به العجز مقعداً وان هم لم يذهب به الهم مذهبا

والتصحيح من الديوان المطبوع .

(٢) في الديوان المطبوع « هو الملك الموهوب للدين والعلما » .

طبيبٌ بأخبار الأمور إذا التوت من الدهر. أعناقٌ قانت قصارها
وبعد بيت النابغة الجعدي^(١) قوله :

فتى كملت أخلاقه غير أنه جوادٌ فما يبقى من المال باقيا
أشم طوال الساعدين شمردل^(٢) إذا لم يرح للمجد أصبح غاديا

أخبرنا أبو أحمد أخبرنا محمد بن علي الأجرى ببغداد حدثنا أبو العيلاء قال قال
الأصمعي أنشدت الرشيد أبيات النابغة الجعدي حتى انتهت إلى قوله :

أشم طوال الساعدين شمردل إذا لم يرح للمجد أصبح غاديا
فقال الرشيد ويله ولم لم يروحه للمجد ألا قال * إذا راح المعروف أصبح غاديا *
فقلت وأنت والله يا أمير المؤمنين أعلم منه بالشعر ، وكان الرشيد جيد المعرفة ناقب
الفطنة ، قال لأبي نواس لم وثب بك أهل مصر قال لقولي :

فان يك باقي أفك فرعون فيكم فان عصا موسى بكف خصيب
قال فوثبوا بي وأرادوا قتلي وقالوا جعلت معجزة موسى لخصيب فقال له الرشيد
ألا قلت :

فان كان باقي أفك فرعون فيكم فباقي عصا موسى بكف خصيب
فيكون شعرك أحسن ويكون سالماً من التبعة فقال والله يا أمير
المؤمنين إنك لا تشعر مني وإني لم أفطن لذلك ، وأنشده العماني الراجز في
صفة الفرس :

كان أذنيه إذا تشوفاً قادمة أو قلاماً محرفا
فقال له الرشيد دع « كان » وقل « تخال » حتى يستوى شعرك ، وكان قد لحن العماني

(١) لقب بالنابغة لأنه لبث ثلاثين سنة لا يقول الشعر ثم نبغ فقلبه ، وكان
من هجر الأوثان ونهى عن الخمر قبل الإسلام ، وفد على النبي ﷺ فأسلم ، مات في
منتصف القرن الأول الهجري وقد جاوز المائة .

(٢) الشمردل : الفتى السريع من الابل ، وغيره الحسن الخلق . كما في القاموس .

ولم يعرف ولم يفضن له أهل المجلس حتى قاله الرشيد ذلك فتعجبوا من علمه وفضنته .
وقالوا أمدح بيت قائمه العرب قول حسان :

بيض الوجوه كريمه أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول
يعشون حتى ماتهم كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل
وقبله : لله در عصابة نادمهم يوماً بجلق في الزمان الأول
أولاد جفنة حول قبرايبهم قبر ابن مارية الكريم المفضل
ثم قال : فلبت أزماناً طوالاً فيهم ثم ادكرت كأنني لم أفعل
وفتي يحب المجد يجعل ماله من دون والده وإن لم يسأل

قوله « بيض الوجوه » معناه مشهورون بيهاء ولم يعن بهم البياض وقد تضمن هذا اللفظ معنى البأس والجود وغيرهما من خلال الخير لأن الانسان لا يكون نبياً مشهوراً حتى يقال عنه أبيض الوجه وأغر ووضاح إلا إذا جمعها وما يجرى معها قال الرازي : * فهن يحملن فتى وضاحاً * وقال أبو طالب في النبي صلى الله عليه وآله :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه شمال التمام عصمة للأرامل (١)
وقال السموهلي : وأيامنا مشهورة في عدونا لها غررٌ معروفةٌ وحجولٌ

أراد بالفترة والحجول الشهرة . وقلب بعض أهل البصرة قول حسان :
* بيض الوجوه كريمه أحسابهم * فقال :

سود الوجوه لثيمة أحسابهم فطس الأنوف من الطراز الآخر
كما قلب بعضهم بيت أبي نواس :

ياقمرأ أبصرت في ماتم يندب شجواً بين أتراب
بيكي . فيندرى الدر من نرجس ويلطم الوجه (٢) بعناب
فقال : وأعور أبصرت في ماتم يندب شجواً بتخاليط

(١) من لاميته المشهورة في مدح ابن أخيه النبي صلى الله عليه وآله والدفاع عنه .

(٢) في نسخة « الورد » مكان « الوجه » .

يسكى فيندرى البعر من كوة مويطيم. الشوك يسيلوط
 وأخذ حسان قوله * ثم ادكرت كأننى لم أفعل * من قول أبى كبير :
 فأذن ذلك ليس لإحينه وإذا مضى شىء كأن لم يفعل
 وقال ابن شبرمة أمدح ما قالت العرب قول الخطيئة :

أولئك قومٌ ان بنوا أحسنوا البنا وإن عاهدوا وفعوا وإن عقدوا شدوا
 وان كانت النعماء فيهم جزوا بها وان أنعموا لا كدروها ولا كدوا
 أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم من اللوم أو سدوا المسكان الذى سدوا
 ويهدلنى أبناء سعد عليهم وما قلت إلا بالذى علمت سعد
 يسوسون أحلاماً بعيداً أناةها وان غضبوا جاء الحفيظة والحد

ولعمري ان معانى هذه الأبيات أبتكار ليس للعرب مثلها وكل من تناولها فابما
 استعارها من الخطيئة وهي جامعة لخصال المدح كلها، وقوله * جاء الحفيظة والحد *
 - وروى والجد - والحد من قولك حد السيف وحد السنان ، والجد خلاف
 الهزل والختار الحد بالخاء . يقول الخطيئة فى بنى لأبى بن شماس من قريع ، وكان
 الزبرقان بن بدر لقى الخطيئة فى سفر فقال من أنت فقال أنا حسب موضع أبو مليكة
 فقال له الزبرقان انى أريد وجهاً فصرت الى منزلى وكن هناك حتى أرجع فصار الخطيئة
 الى امرأة الزبرقان فأنزلته وأكرمه فحسده بنو عمه وهم بنو لأبى فسدوا الى الخطيئة
 وقالوا له ان تحولت الينا أعطيناك مائة ناقة ونشد الى كل طنب من أطناب بيتك
 حلة محبرة وقالوا لامرأة الزبرقان ان الزبرقان انما قدم هذا الشيخ ليتزوج بنته
 ففدح ذلك فى نفسها فلما أراد القوم النجعة تخلف الخطيئة وتغافلت امرأة الزبرقان
 عنه فاحتمله القريعيون ووفوا له بما قالوا فأخذ فى مدحهم وهجا الزبرقان فقال :

أزمتُ ياساً مبيناً من نوالكم ولاترى طارداً للحر كالياس
 دَع المسكارمَ لاترحلُ لبغيتها واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى
 من يفعل الخير لا يعلم جوازيه لا يذهبُ العرفُ بين الله والناسِ

فاستعدى الزبير فان عليه فحجم عمر حسان فقال حسان ما هجاء ولكن سلج عليه ثم حبس عمر الخطيئة فقال يستعطفه :

• ماذا تقول لأفراخ بنى مرخ حمر الحواصل^(١) لأماء ولاشجر
أقيت كاسبهم في قعر مظلمة فافغر عليك سلام الله يا عمر
• ما أتروك بها إذ قدموك لها لكن لأنفسهم كانت بك الأثر
فأخرجه عمر وأجلسه على كرسي وأخذ شفرة وأوهه أنه يريد قطع لسانه
فضج وقال انى والله يا أمير المؤمنين قد هجوت أمي وأبي ونفسي فتبسم عمر وقال
مالذي قلت قال قلت لأبي وأمي :

ولقد رأيتك في النساء فسؤتني وأبا بنيك فساءني في المجلس
وقلت لأبي خاصة :

فبئس الشيخ أنت للهى تميم وبئس الشيخ أنت لدى المعالي
وقلت لأمي خاصة :

تنحى فاجامى منى بعيداً أراح الله منك العالمينا
أغربالاً إذا استودعت سرراً وكانونا على المتحدثينا
وقلت لامراتى خاصة :

أطوف ما أطوف ثم آوى الى بيت قعيدته لكعاع
وقلت لنفسي :

أبت شفتاي اليوم إلا تسكاهم بسوء فلا أدرى لمن أنا قائلة
أرى لى وجهاً قبج^(٢) الله خلقه فقبج من وجهه وقبح حامله
وقد هجا أيضاً من أحسن اليه فقال :

منحت ولم تبخل ولم تعط طائلاً فسيان لا ذم عليك ولا حمد
ثم خلى مسبيله عمر وأخذ عليه الأيهجو أحداً وجعل له ثلاثة آلاف درهم

(١) وفي رواية « زغب الحواصل ». (٢) في رواية « شوه الله » .

اشترى بها من أعراض المسلمين فقال يذكره نبيه إياه عن الهجاء ويتأسف :

وأخذت أطرار الكلام فلم تدع شتماً يضرُّ ولا مديحاً ينفع

ومنعتني عرضَ البخيل فلم يخفْ شتعي وأصبح أماناً لا يجزع .

وكان الخطيئة يذم البخل كما ترى وهو ^(١) أبخل الناس اعترضه رجل وهو

يرعى غنماً له فقال له يراعى الغنم وكان بيد الخطيئة عصاً يزجر بها الغنم فرفعها وقال

عجراً من سلم فقال الرجل انما أنا ضيف فقال : للأضياف أعددتها فتمثلت به العرب

وقالوا أبخل من الخطيئة ، وكان أحد الحمقى أوصى عند موته بأن يحمل على حمار

وقال لعلى ان حملت عليه لا أموت فاني مارأيت كريماً مات عليه قط وقال :

لكل جديد لذةٌ غيرَ أني رأيتُ جديدَ الموتِ غيرَ لذيد

وقيل له اوص فقال أوصى ان مالى للذكور دون الاناث قالوا فان الله لا يقوله

قال لكنى أقوله ، وقالوا له قل لا إله إلا الله قال أشهد أن الشياخ أشعر غطفان .

وأخذ قوله : * أغربالا إذا استودعت سرا* من قول كعب بن زهير حيث يقول :

ولا تَمسكُ بالعهدِ الذى عهدتُ إلا كما يمسكُ الماءُ الغرايبُ

أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن أبي خليفة عن دماذا عن أبي على القداح

وعباد بن سليم الحضرمى قال أنشد الخطيئة عمر :

مهريس يروى رسلها صيف أهلها إذا النار أبدت أوجه الخضرات

عظام مقيل الهام غلب رقابها تبا كر ورد الماء فى السبرات

يزيل القتاد جذبها عن أصوله إذا ما غدت مقورة ^(٢) خرصات

وكان هجاء قومه فلما بلغ إلى قوله :

فان يصطنعنى الله لا أصطنعكم ولا أعطكم مالى على العثرات

لكم دَفْرٌ مثل التيوس ونسوة ^(٣) مجاجين مثل الآئن الثعرات

(١) فى نسخة « وكان » بدل « وهو » . (٢) فى الأصل « مقورة » .

(٣) فى الأصل « لاجر » وفى ديوان الخطيئة « مجاجين » .

قال عمر بن الخطاب أنت بمدح إيلك وتهجو قومك فخرج وقال :
 رأيت ابن خطاب تجاهل بعدما رأيت له عقلاً وما كان جاهلاً
 ألا قد علمنا أن ما قال هكذا ومن قال حقاً غير ما قال باطلاً
 وقالوا بمدح أبيات قبيلت ما أنشدناه أبو أحمد عن مهلهل بن يموت عن أبيه عن الجاحظ :
 اختر فناء^(١) بنى عمرو فانهم أولو فضول وأقدار وأخطار
 إن يسألوا الخير يعطوه وإن جهدوا فالجهد يخرج منهم طيب أخبار
 وإن توددتهم لانوا وإن شتموا كشفت أذمار سر غير أسرار^(٢)
 هينون لينون أيسار ذوو يسر أبناء مكرمة أبناء إيسار
 من تلق منهم تقل لاقت سيدهم مثل النجوم التي يسرى بها السارى
 وهى على الحقيقة بمدح أبيات قبيلت . وقالوا بمدح بيت قيل قول الخنساء في أخيها :
 أغر أبلج تأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار
 أخبرنا أبو أحمد حدثنا الانباري عن ابن عكرمة الضبي أخبرنا أبو دطمة
 عن صالح بن محمد بن المسيب قال سمعت المفضل الضبي يقول أتاني رسول المهدي
 فقال أجب فإني ذلك فمضيت معه حتى دخلت وعنده علي بن يقطين وعمر بن
 بزيع والمعلّى مولاه فسلمت فرد وقال اجلس فجلست فقال أخبرني بمدح بيت
 قالته العرب فتحيرت ثم جرى على لساني قول الخنساء :

وإن صخرًا لمولانا وسيدنا وإن صخرًا إذا يشتو لنحسار
 أغر أبلج تأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار
 فقال أخبرت هؤلاء فأبوا علي فقلت يا أمير المؤمنين كنت أحق بالصواب
 فقال يا مفضل أسهرني أبيات ابن مطير الأسدي :

وقد تغدر الدنيا فيضحى غنيها فقيراً ويفنى بعد بؤس فقيرها

(١) في النسخ «ثناء» مكان «فناء» . (٢) بعض العجز غير موجود
 هنا فاستدر كناه مما سبق حيث ذكرت هذه الأبيات باختلاف يسير عما هنا .

وكم قد رأينا من تسكدر عيشه وأخرى صفا بعد اكدرار غديره
فلا تقرب الامر الحرام فانه حلاوتها تقنى ويبقى سريره

ثم قال حدثني يامفضل فقلت أي الأحاديث يشتهي أمير المؤمنين قال أحاديث
الاعراب فحدثته حتى كاد النهار ينتصف فقال كيف حالك فقلت كيف حال رجل
مأخوذ بعشرة آلاف درهم فقال يا عمر بن زريع أعطه عشرة آلاف درهم لقضاء دينه
وعشرة آلاف درهم لنفقة عياله فانصرفت بها . وكانوا يقولون قاتل الله الخنساء
مارضيت ان جعلت أخاها جبلاً حتى جعلت في رأسه ناراً فبالغت أشد المبالغة .
واعترض ابن الرومي قولها فقال :

هذا أبو الصقر فرداً في مكارمه من نسل شيبان بين الطلح والسلم
كأنه الشمس في البرج المنيف به على البرية لا ناراً على علم
وتبعته فقلت :

خير الورى لخيار الناس كلهم وشرم لشرار الناس سوار
منبه الذكر معروف طرائقه كالشمس لا علم في رأسه نار
ومن جيد ما قيل في النباهة قول الأول أنشده أبو تمام :

إني إذا خفي الرجال وجدتي ذرت بي الشمس للقاصي وللداني
وقلت : أتأمل أن تنال ندى كريم نداء أول والغيث ثاني
ويجري والحجرة في عنان فلا يخفي على ناء ودان
تصوّر في القلوب فليس ينأي على نأي المحلة والمسكان
إذا عبس الزمان فل إليه تجده البشر في وجه الزمان
وقلت : تريدون أن أخشى وأخضع للاذى وجار ابن عيسى كيف يخشى ويخضع
فتى بأسه كالدهر مأمّن ملجأ ولا فيه إقصار ولا عنه مرجع
أغر شهر في البلاد كأنها به البدر يعلو أومني الصبح بسطع

ومثله قول القاسم بن حنبل رحمه الله تعالى :

من البيض الوجوه بنى سنان
لو انك تستضيء بهم أضواؤا
لهم شمس النهار إذا استقلت
ونور لا يفنيه العماء
هم حلوا من الشرف المعلي
ومن حسب العشييرة حيث شاؤا
فلو أن السماء دنت لمجد
ومكرمة دنت لهم السماء

وقالوا أمدح بيت قالته العرب قول الخطيئة :

متى تأتاه آعشوا الى ضوء ناره
تجد خير نار عندها خير موقد

وقالوا أمدح المدح ما يكون بالفضل وهو أن يقول فلان خير من فلان وفلان

أكرم من فلان ، ومن أجود ما جاء في ذلك قول أبي تمام :

كم من وساع الخطو في طلب الندى
لما جرى وجريت كنت قطوفا (١)
أحسنتا صفدى ولكن كنت لى
مثل الربيع حيا وكان خريفا
وكلاهما اقتعد العلاء فركبتها
في الذروة العليا وكان (٢) رديفا
وقال : كوا كب مجد يعلم المجد أنها
إذا طلعت باءت بصفر كوا كبه
وقال ابن الرومي :

تلوح في دولة الأيام دولتهم
وقلت: نصرت على الاعداء فليهنك النصر
فأنت كاقبال الشيبية والصبأ
وليس كرام الناس إلا كوا كبا
وفي الناس أجواد كثير وإنما
فان أظلم الأحداث واسود ليها
كأنها ملة الاسلام في الملل
ودانت لك الدنيا وذال لك الدهر
تطيب بك الدنيا وينعمر العمر
على صفحتي ليل وأنت لهم بدر
أولئك أمجاد وأنت لهم بحر
فهم شفق فيها وأنت بها فجر

(١) في ديوان أبي تمام المطبوع :

كم من وساع الجود عندى والندى
لما جرى وجريت كان قطوفا

(٢) في الديوان «وجاء» مكان «وكان» .

أبا قاسمٍ فخرًا على المجد والعدلا
فان العلاء روضٌ وأنت به زهر
غدت أرضنا منكم سماءً مظلةً
لها أنجمٌ من زهر أخلاقكم زهرٌ
وبعد بيت الخطيئة :

وأنت امرؤٌ من تعظه اليوم نائلاً
بكفئك لم يمنعك من نائل الغد
ترى الجودَ لا يدنى من المرء حتفه
كما البخل للانسان ليس بمخلد
ومثله قول ليلى الاخيلية في توبة (١) :

فلا يبعدنك اللهُ يأتوب إنها
لقاءُ المنايا دارعاً مثل حاسر
فنعَمَ فتى الدنيا وان كان فاجراً
وفوقَ الفتى ان كان ليس بفاجر
فتى كان أحياء من فتاة خريدة
وأشجعَ من ليثٍ بخفاق خادر
فتى ينهل الحاجات ثم يُعلها
فيطلعها عنه ثنايا المصادر

يقول لا يمنعه قضاء الحاجة الأولى عن قضاء الأخرى كما قال الآخر :
وأرضعُ حاجةً بلبانِ أخرى
يقول فيرفعها المثنون عليه حتى كأنها ثنية رجع :

فأقسمُ أبكى بعد توبة هالكاً
وأفعل من نالتُ صروفُ المقادرِ
وكان بيت الأعشى :

تشبُّ لمقرورين بصطليانها
وبات على النارِ الندى والمخلقُ

يستحسن حتى قال الخطيئة * متى تأته تعشو إلى ضوء ناره * على أن قول الأعشى
* وبات على النارِ الندى والمخلق * من أجود الكلام وأبلغه ، والمخلق المدوح ،
ومثله قول حماس بن مائل :

فقلتُ له أقبل فانك راشدٌ
وإنَّ على النارِ الندى وابن مائل

وأخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو الحسن الأخفش أخبرنا ثعلب قال اجتمعنا

(١) كانت ليلى الاخيلية شاعرة فصيحة ذكية ، تعد في الشعر بعد الخنساء .

وتوبة هو ابن الحمير العقيلي من شعراء العرب المشهورين .

عند أحمد بن إبراهيم فأنشده رجل :

أمر مالك قاصر فقصره على نفسه ومشيح غناه
فقال أحمد قد جاء مثل هذا كثيراً فأنشد :

فتى إذا عدت تميم معاً سادتها عدوه بالخصر
ألبسه الله ثياب العلاء فلم تطل عنه ولم تقصر
فقال أحمد وقد جاء مثل هذا فأنشد الرجل :

أعدد ثلاث خلال قد عرفن له هل سب من أحد أو سب أبو بخلا
فقال أحمد وقد جاء مثل هذا فغاظني فقلت هات فقال نعم المدح الغريب
الذي لم يؤت مثله :

لله درُّ أبي المغيث فإنه حسن الفعال ضعيف خبط الدرهم
وقريب من هذا قول أبي البحري * حتى توهماه مخروق اليد * وفي خلاف قوله
* فلم تطل عنه ولم تقصر * قول ابن الرومي :

مدحت سليمان المغرب مدحة تجاوز حد الحسن لو كان يشكر
فعمى عنها ناظراه كأنما بعوراء عيني جسده كان ينظر
سبغت عليه حلية ليس عيها سوى أنها ظلت تطول وتقصر
بهجو سليمان بن عبد الله بن طاهر .

وسمعت عم أبي يقول أمدح شيء قيل قول الأول :

قوم سنان أبوهم ^(١) حين تنسبهم طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا
لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوم بعزهم أو مجدهم قعدوا
محسدون على ما كان من نعم لا ينزع الله عنهم ماله حسدوا
فأخذ جماعة قوله * محسدون على ما كان من نعم * فصرفوه فيه وحده .

ومنها قول أبي تمام :

(١) في بلوغ الأرب « أبوهم سنان » .

لولا التخوفُ للعواقبِ لم يزل
لولا اشتعالُ النارِ فيما جاورتُ
للحاسدِ النعمى على المحسود
ما كان يُعرفُ طيبُ عرفِ العود
وقال البحترى :

وإن يستبين الدهر موضع نعمة
وقال : محسدون كأن المكرماتِ أبت
إذا أنت لم تدل عليها بحاسد
وقال غيره : محسدون وشرُّ الناسِ منزلةً
من عاش في الناس يوماً غير محسود
وسمعه يقول من أوائل المدح الجيد الذى لا نظير له قول أمية بن أبى الصلت في
عبد الله بن جدعان ^(١) :

عطاؤك زينٌ لامرئٍ إن حبوته
وليس بشينٍ لامرئٍ بذلٌ وجهه
بيند ^(٢) وما كلُّ العطاء يزين
اليك كما بعضُ السؤال يشين
وقال زهير :

من يلق يوماً على علالته هراماً
لو نال حتى من الدنيا بمكرمة ^(٣)
يلق الساحة منه والندى خلقة
قد جعل المبتغون الخير في هريم
وروى بعض الرواة للنابغة وروى لسعيد :

والله والله لنعمَ الفتى الا عرجُ لالنكس ^(٤) ولا الخامل
الحاربُ الوافرُ والجابر السمحروب والمرجل والجامل ^(٥)
والطاعنُ الطعنة يومَ الوغى ينهل منها الاسلُ الناهل

(١) تقدم أنه كان من الأجواد . (٢) كذا في ديوانه المطبوع ، وفي

النسخ « بشيب » . (٣) وفي رواية « بمنزلة » .

(٤) النكس : الضعيف . (٥) في الأصل « المرجل والحامل » بمهملات .

والقائل القول الذي مثله
والغافر الذنب لأهل الحجا
وقال بعض الاسلاميين وأحسن :

خلفت أنامله لقائم مُرَهَفٍ
يلقى الرماحَ بوجهه ويصلده
ويقول للظرفِ اصطبر لشبا القنا
وإذا تأملَ شخصَ صَيفٍ مُقبِلٍ
أوما إلى الكرماءِ هذا طارقٌ

وسمعت الشيخ أبا أحمد يقول أمدح شيء قاله محدث قول مروان بن أبي حفصة^(٢) في معن بن زائدة الشيباني^(٣) :

بنو مطرٍ يوم اللقاء كأنهم
هم المانعون الجارَ حتى كأنما
بهاليلٍ في الاسلام سادوا ولم يكن
هم القومُ ان قالوا أصابوا وان دُعوا
ثلاثٌ بأمثال الجبال حياهم
ولا يستطيعُ الفاعلونَ فعالمهم

ثم أخبرنا المفجع أخبرنا أبو العباس محمد بن يزيد قال بلغني أن يحيى بن خالد البرمكي قال لشراحيل بن معن بن زائدة أي شعر قاله ابن أبي حفصة في أيك شعر قال قوله :

(١) مرع الوادي مثله الرء مراعة : أكلاء ، والمرع : الخصب - القاموس .

(٢) هو الشاعر اليمامي الذي أعطاه الرشيد سبعين ألف درهم لما مدحه بقصيدته

السبعين التي مطلعها * اليك قصرنا النصف من صلواتنا *

(٣) هو الأمير البطل الجواد المشهور .

نعمَ المناخُ لراغبٍ أوراها ^١ ممن تصيبُ جوائحَ الأزمانِ
 معن بن زائدةَ الذي زيدت به شرفاً إلى شرف بنو شيبانِ
 مطر أبوك أبو الالهةِ والذي بالسيف حاز هجابينَ النعمانِ
 نفسى فداءً أبي الوليد إذا علا رهج السنايك والرماح دوانى

فقال يحبى أنت لا تعلم ما قيل في أيك أين أنت عن قوله :

بنو مطر يومَ اللقاء كأنهم أسودُّ لها في غيل خفان اشبلُ
 وأنشد الأبيات المتقدمة وزاد :

تشابهَ يوماً علينا فأشكلا فما نحن ندرى أى يوميه أفضلُ
 أيوم نداء العر أم يوم بأسه وما منهما إلا أغرُّ محجل

وأخبرنا قال أخبرنا محمد بن يحيى بن علي عن أبيه عن اسحق الموصلى أخبرنا

أبو يوسف القاضي - وكان عدل الرشيد في طريق الحج - قال اعترضه اعرابي فأنشد

أبيات فزبره ^(١) وقال ألم أنهم عن قول مثل هذا الشعر ألم أقل لكم امدحونى

بمثل قول القائل . بنو مطر يوم اللقاء كأنهم . وذكر الأبيات المتقدمة ، قال أبو

يوسف فقلت له فيمن قيلت ؟ قال فى أب هذا الشاب الذى يسير فى ظل القبة

فقلت للشاب من أنت فقال شراحيل بن معن بن زائدة قال اسحق فسمعت

شراحيل يقول : ذلك اليوم آثر عندى من الدنيا بحذا فيرها .

وأنشد بعض أهل الأدب قول ابن أبي طاهر ^(٢) وقال لو استعمل الانصاف

لكان هذا أحسن مدح قاله متقدم ومتأخر :

إذا أبو أحمد جادت لنا يده لم يحمدا الاجودان البحر والمطرُ

وإن أضاعت لنا أنوارُ غرته تضاءل النيران الشمس والقمرُ

وإن مضى رأيه أو حده عزمته تأخر الماضيان السيف والقدر

(١) الزبر : الانتهاز والمنع والنهي . (٢) هو أحمد بن أبي طاهر ، قال هذا

الشعر في عبيد الله بن عبد الله بن طاهر على مافى جنى الجننتين فى تمييز نوعى المثنيين له محبى .

من لم يكن حذراً من حدِّ صولته
 حلوا إذا أنت لم تبعث مزارته
 سهل الخلاق إلا أنه خشن
 لم يدرما المزمجان الخوف والحذر
 فان أمرٌ فلو عند الصبر
 كين المهزة إلا أنه حجير
 ان صال يوماً ولا الصمصامة الذكركر
 بالامر رد إليه الرأي والنظر
 إذ جود كل جواد عنده خبر
 الجود منه عيان لا ارتياب به

ومن المديح القليل النظير قول علي بن محمد بن الأوفه :

أوفوا من الجدي والعليا في قُلِّ
 سبب اللقاء إذا شمت مخائلم
 شيم قواعدهن البأس والجود
 بسل اللقاء إذا صيد الصناديد
 محسدون ومن يعلق بجبلهم
 من البرية يُصبح وهو محسود

وقال الفرزدق وهو أجود ما قيل في الجود عوداً على بدء :

له راحةٌ بيضاء يندى بنانها
 قليل إذا اعتل البخيل اعتلاها
 جواد إذا أعطتك يوماً يمينه
 وُعدت غداً عادت عليك شمالها

ونحوه قول الأعرابي في عبد الملك :

ولقد ضربنا في البلاد فلم نجد
 فاصبر لعادتنا التي عودتنا
 أحداً سواك إلى المكازم ينسب
 أولاً فأرشدنا إلى من نذهب

وقول الآخر وهو من أجود ما قيل في حمد الرجل مكانه من قومه :

رأيتكم بقية حي قيس
 تبارون الرياح إذا تبارت
 وهضبتة التي فوق الهضاب
 وتمتلون أفعال السحاب
 يذكري مقامي في ذراكم
 مقامي أمس في ظل الشباب

ومن عادة الناس أن يتكروها ما هم فيه من العيش وما هم عليه من الأحوال ،
 وقد حمد هذا حاله معهم وعيشه فيهم حتى شبهه بعيشه في ظل الشباب وهو من
 أجود ما قيل في هذا المعنى .

وقالوا أمدح بيت قاله محدث قول علي بن جبلة المعروف بالعكوك في أبي دلف :

إمّا الدنيا أبو دلفٍ بين مبداه ومحتضره

فإذا ولي أبو دلفٍ ولّت الدنيا على أمره

قال بعض من حضر : لا يجوز أن يكون مثل هذا الشعر لهذا ، وإمّا ازدرأه
لدمايته وعشه فقال له أبو دلف أما تسمع ما يقول الناس فيك ان الشعر لغيرك لأن
الفاظه أفاظا كاتب متأدب قال الامتحان يزيل اللظنة غنى وما أظلم من استبرأ
فكيف رأى الأمير في الامتحان قال نعطيك صدوراً لتردّها بأعجاز قال ما اشتطت
ولا كلفت إلا الذي من نكب عنه حق عليه القول فدعا أبو دلف بدواة وقرطاس وكتب :

رعبت لمنشور على مفرقه ذم له عهد الصبا حين انتسب

أهدام شيب جدد في رأسه مكروهة الجدة انضاء العقب

ثم ناوله الدرج فقال كم لي في ذلك من الأجل قال شهر قال فأطلق بهما إلى
رحلى قال ليس الامتحان للشاعر في بيته بمزيل للظنة عنه ولكن تبوأ حجرة من
القصر قال فليأمر الأمير بها ففعل وركب إلى دار المأمون فأبطأت كرته فلما رجع
دخل عليه على والدرج بيده قال قد أجزت البيتين بقصيدة قال لقد خشيت عليك
النقص من الاجمال قال اليك تساق الرفاق ثم أنشدني بيتي أبي دلف^(١) ثم قال :

أشرقن في أسود أزرين به كان دُجَاه هوى البيض سبب^(٢)

فاعتضن أيام الغواني والصبا عن ميت مطلبه فن الأدب

فنازل لم يتهيج نزوله وراحل أبقى جوى حين ذهب

لم أرَ كالشيب وقاراً يُحتوى وكالشباب الغضُّ ظلاً يُستلب

كان الشبابُ لمةً أزهى بها وصاحباً حراً عزيز المصطحب

إذ أنا أجري واثماً في غيه لا أعتب الدهرَ إذا الدهرُ عتب

(١) في نسخة «ثم أنشد يمر في بيتي» .

(٢) روى صاحب الأغاني هذه القصيدة باختلاف كثير عما هنا .

وأذعر الربّ عن أطفاله . مطرد يوتج في أقطاره
 بأعوحى دلفي المنسب . تحسبه أقعد في استقباله
 كلما جالت فيه ريح فاضطرب . وهو على إرهاقه وطيه
 حتى إذا استدبرته قلت أكب . تقول فيه جنب إذا انثنى
 يقصر عنه الخزمان واللب . يخطو على عوج بناهين الثرى
 وهو كمثل القدح مافيه جنب . تحسبها ناتئة حين خطا
 لم يتواكل عن شظا ولاعصب . يرتاد بالصيد فعارضنا به
 كأنها واطئة على نكب . لا يبلغ الجهد به راكبه
 أو ابدالوحش فأجدى واكتسب . إذا تظنينا به صدقنا
 ويبلغ الريح به حين طلب . ثم انقضى ذلك كأن لم تبقه
 وان تظني فوته الطرف لزب . وخلف الدهر على أعقابه
 وكل بقيا فالى يوم عطب . فحمل الدهر ابن عيسى قاسما
 فى القدح فيه وارتجاع ماوهب . كرونق السيف انبلاجا بالندى
 ينهض به فراج هم وكرب . لاوسنت عين رأت غرته
 أو كغرابيه على أهل الريب . لولا الأمير لغدونا هملا
 واستيقظت نبوته من النوب . ولم يقيم بيأس يوم وندى
 لم يمثل مجد ولم يرع حسب^(١) . تكاد تبدى الارض ماأضمره
 ولاتلاقى سبب إلى سبب . ويستهل أملا وخيفة
 إذا تداعى خيله هلا وهب . وهو وان كان ابن فرعى وائل
 إذا استهل وجهه وان قطب . وبعلاه وعلا آبائه
 فبسماعيه ترقى فى الحسب . ياواحد الدنيا وياباب الندى
 تحوى غداة السبق أخطار القصب . وياجبر الرعب فى يوم الرهب

(١) فى نسخة زيادة «أونسب» ولعلها إشارة لنسخة فيها كذلك .

لولاك ما كان سدى ولاندى ولا قويس^{مه} عرفت ولا العرب
 خذها امتحاناً من ملئ بالحجا لكنه غير ملئ بالنشب
 وقر^ه بالأرض أو استقر بها أنت عليها الرأس والناس ذنب

قال فجعل ينشد وأبو دلف يرجف^(١) إليه حتى مست ركبته ركبته فلما

بلغ قوله * لكنه غير ملئ بالنشب * قال لا ملائى الله إن لم أملاك يا غلام كم فى بيت المال ؟ قال ما قبضته من عامل الجبل وهو مائة ألف درهم قال أعطه إياها وقليل له ذلك ، قال فأقبل عليه عقيل أخوه يعذله ويقول له أنت على باب أمير المؤمنين وبين ظهرائى قواده وأمرائه ولا وجه لما لا يرد عليك من الجبل فادفع إليه البعض قال إليك عني والله لو شاطرته عمرى لكان ذلك دون ما يستحقه على .

ومن المديح الجيد قول مروان بن أبي حفصة :

كفى القبائلَ معن^ه كلَّ معضلة^ه يحمى بها الدين^ه أو يرعى بها الحسب^ه
 كنز المحامد والتقوى ذخائر^ه وليس من كنزه^(٢) الاوراق والذهب
 أنت الشهاب^ه الذى يرمى العدو به فيستنير^ه وتخبو عنده الشهب
 بنو شريك هم القوم^ه الذين لهم فى كل يوم رهان تخرز^ه القصب
 ان الفوارس من شيبان قد عرفوا بالصدق ان نزلوا والموت ان ركبوا
 قد جرب^ه الناس قبل اليوم أنهم أهل^ه الخلو وأهل^ه الشغب ان شغبوا
 قل للجواد الذى يسعى ليدركه أقصر فمالك^ه إلا الفوت والطلب

قوله فمالك إلا الفوت والطلب من أحسن معنى وأجوده وأبينه بياناً وأشده .

اختصاراً وهو من قول زهير :

سمى بعدم قوم^ه لكى^ه يدركوهم فلم يفعلوا أولم يلاموا فلم يألوا
 وقال طريح^(٣) :

(١) عله « يزحف » وكلاهما صحيح . (٢) فى الاصل (كثرة) (٣) هو طريح

بن اسماعيل الثقفى ، أكثر شعره فى مدح خليفه الوليد بن يزيد الأموى .

قد طلب الناس ما طلبت فما نالوا ولا قاربوا وقد جهدوا
يرفضك. الله بالترك والتقوى ففعلوا وأنت مقتصد
وقلت في قريب منه :

إذا عنَّ مجدُّ أو تعرضَ سُوددٌ تسمى له ضخمُ الهمومُ همم
إذا اهتزَّ للهبجاءِ فهو مُهندٌ أو اهتزَّ للافضالِ فهو غمام
تواضعَ وهو النجمُ عزاً ورفعةً وخفَّ على الأرواحِ وهو شام^(١)
ارجيه يوماً أو ألقىهِ ساعةً فيخصب لي عامٌ ويمر عام
يُريدون منه أن يضمنَ وإنما أرادوا مجودَ الغيمِ وهو رُكام
ولا عيبَ فيه غير أن ذوى الندى خساسةً إذا قيسوا به ولثام
بلغت من العلياءِ مافاتهم معا كأن لم يروموا ما بلغت وراموا
فمن مبلغ عني الاكلامَ انهم اذا استيقظوا للمسكرات نيام
وأجمع بيت قيل في المديح قول أبي العيثل^(٢) في عبد الله بن طاهر^(٣)
قالت ركمت فقلت إن وراءكم ان قد كبرت ومن يعمر يركع
وعهدتي أمضى لشأني مطلقاً فبليتُ بعدك بالنساء والأجدع
يا من يؤمل أن تكون خِلاله كخلال عبد الله أنصت واسمع
فلا نصحنك في المشورة والذى حجَّ الحجيجُ اليه فاقبل أودع
أصدق وعفَّ وجدوا نصت واحتمل واصفح وكاف ودار واحلم واشجع

(١) جبل . (٢) هو عبد الله بن خليلد شاعر مؤدب . (٣) عبد الله بن طاهر
الخراسي الأمير الشجاع العاقل الجواد ، وفيه يقول أبو تمام وقد قصده من العراق
قصيدته المشهورة التي مطلعها :

أطلع الشمس تبغى أن تؤم بنا فقلت كلا واسكن مطلع الجود
وفي سفره أبي تمام هذه ألف الحماسة فإنه حكم عليه البرد هناك ووقع على خزانة
كتب فاختر منها الحماسة .

وقد جمع هذا البيت جميع خصال المدح ، وسمعه المتنبي فأراد أن يعيب على
قالبه (١) فأتى بما لا ينطق (٢) به اللسان ولا ينطوى عليه الجنان .

ومن الأبيات الجامعة في المديح قول ابن الرومي :
هو الغرة البيضاء من آل هاشم وهم بعده التحجيل والناس أدهم
ومن الأبيات الجامعة لمعاني الحسن قول البحترى :

ذات حسن لو استزادت من الحُسن إليه لما أصابت مزيديا
فهى الشمسُ بهجةً والقضيبُ السلدن (٣) ليناً والرَّيمُ طرفاً وجيدا
وقال في هذه القصيدة :

وإذا ما عدت يبحي وعمرا وإياساً (٤) وعامراً ووليداً
وعبيداً ومسهرراً (٥) وجدياً وتدولاً وبحترراً وعثوداً
لم أدع من مناقب المجد ما يمنع من هم أن يكون مجيداً
وقلت في المديح :

حليفٌ علاءٌ وتجد وفخرٍ وبأس وجودٍ وخيرٍ وخير
أضاء فأطرق ضوء الشمس وتم فأغضي تمام البدر
وقلت في المديح أيضاً :

من الفرّ لآحوأشمساً ومضواظي وصالوا أسوداً واستهلوا سواريا
ومن المديح البليغ قول الأوّل :
متبذل في الحبي وهو مُبجل متواضع في التوم وهو مُعظم
وما أحسن في ذكر التواضع أحد كاحسان أبي تمام في قوله :

(١) لعله «قائله» . (٢) في نسخة «ينطلق» . (٣) في النسخة المطبوعة من
ديوان البحترى «الغض» مكان «اللدن» . (٤) في النسخة المطبوعة من البحترى
«أباناً» مكان «إياساً» . (٥) في الأصل «عامراً» مكان «مسهرراً» والتصحيح
من ديوان البحترى المطبوع .

إذا أحسن الأقدامُ أن يتناولوا بلا مِنة أحسنت أن تتطولا
فمظمت عن ذاك التعظيم منهم وأوصاك نبيل القدر أن تتنبلا
وقال البحرى فى التواضع مع علو الرتبة :

دنوت تواضعاً^(١) وعلوت قدراً فإلاك المنحدر وارتفاع^(٢)
كذلك الشمسُ تبعدان تسمى ويدنو الضوءُ منها والشعاع
فأثبت بهذا المعنى فى بيت :

تواضع إذا العلاء بضبعه ؟ كما انحطَّ ضوءُ البدر وارتفع البدر
وأجود ما قيل فى صفة الرجل الحازم الجلد من قديم الشعر قول لقيط بن يعمر^(٣) :
فقلدوا أمركم لله دركم رحب الذراع بأمر الحق^(٤) مضطلعا
لا مترفاً أن رخاء العيش ساعده ولا إذا عض مكروهه به خشعا
ما انفك يحلب هذا الدهر أشطره يكون مُتبعاً طوراً ومتبعا
لا يطعمُ النومُ إلا ريث يبعثه^(٥) هم يكادُ حشاه يحطم الضلعا
حتى استمر على شزمريرته مستحكم الرأى لا قهماً ولا ضرعاً
ومن هنا أخذ الشاعر قوله :

ولست بمفراح إذا الدهرُ سرفى ولا جازع من صرفه المتقلب
وقول دريد بن الصمة^(٦)

ينازلُ اخدانَ الرجالِ وانه لمجد ثناء ثم يزدد^(٧)
ويخرج من الغراء الشدة مصدقاً^(٨) وطول السرى درى غضب مهند

(١) فى النسختين «وضوعاً» وهو خطأ (٢) الذى فى الديوان المطبوع :

دنوت تواضعاً وبعدت قدراً فشانك المنحدر وارتفاع

(٣) الأيدى شاعر جاهلي ، ومطلع هذه القصيدة «يادار عمرة من محتلمها الجرعا» .

(٤) وفى رواية «بأمر الحرب» . (٥) فى النسخ تصحيف . (٦) أصله

من هوازن ، كان شجاعاً من الأبطال الشعراء ، أدرك الإسلام ولم يسلم .

(٧) كذا (٨) كذا وفى غيره « ونخرج منه صرة القرّ جزاة » .

هذا البيت أجود ما قيل في سعة الخلق من قديم الشعر :

كميشُ الأزار خارجٌ نصفُ ساقه صبورٌ على العزاء^(١) طلاعُ أنجد
قليلُ التشكى لمصيباتِ حافظٌ من اليوم أعقابَ الأحاديث في غله

إذا سارَ بالأرضِ الفضاءِ ترينتَ لرؤيته كالمأم المتبدد
فلا يبعدنك اللهُ حياً وميتاً ومن يعله ركنٌ من الأرض يبعد

موضع هذه الايات من باب المرأى وإنما أوردتها هنا لأن قوله فيها « قليل التشكى

لمصيبات » شبيه بما تقدم من قول الآخر: * ولا جازع من صرفه المتقلب *

ومن شعر المحدثين قول أبي تمام :

وعززت بالسبع الذى بزئيره أمست وأصبحت الثغورُ عزيزا

قطب الخشونة والليان بنفسه^(٢) فغدا جليلاً فى العيون لطيفا

هزته معضلةُ الأمور وهزها وأخيفَ فى ذات الآله وخيفا

يقظان أحصدت التجارب جزمه^(٣) شزراً وتمف عزمه تثقيفا

وسلكن من أثرابه الشعل التى^(٤) لو أنهن طبعن كن سيوفا

وإنما أخذ وصف هذا البيت من ديك الجن وكان أبو تمام كثير الاناخة

عاليه وهو قوله في مرثيته :

ماء من العبرات حدى أرضه لو كان من مطر لكان هزيمًا

وبلايل لو أنهن ما كل لم تخطيء الغسلين والزقوما

وكرمى بر وعسى لو أنه ظل لكان الحر واليحموما

ونقل البيت الأول أنو تمام الى موضع آخر فقال :

مطر من العبرات حدى أرضه حتى الصباح ومقتلأى سماؤه

(١) لعله « الضراء » (٢) وفي ديوان أبي تمام المطبوع :

قطب الخشونة بالليان معاقباً فغدا جليلاً فى القلوب لطيفا

(٣) فى الديوان « عقده » (٤) فى الديوان « واستل من آرائه الشعل التى »

ومن ذلك قول أبي تمام :

وإذا رأيت أبا يزيد في ندى
أيقنت أن من السماح شجاعةً
ومكارماً عتق النجار تليدةً
متوقدً منه الزمانُ وربما

ووغى ومبدي غارة ومعيدا
تدمى وان من السماح جوداً
إن كان هضب عمايتين تليدا
كان الزمانُ بأخرين بليدا

وقال البحتري :

أغر لنا من جوده وسماحه
ولما جرى للمجد والقوم خلفه
وهل يتكافأ الناس شتى خلالهم
إذا ارتدَّ صمتا فالرؤس نواكس
وأغلب ما ينفك من يقظاته
جنان على ما جرت الحرب جامع
جدير بأن ينشق عن ضوء وجهه
تدود الدنيا با عنه نفس آية
بميد مقبل السر لا يدرك التي
ومنسكتم التدبير ليس بظاهر
ولا يعلم الأعداء من فرط عزمه

ظهير عليه ما يخيب وشافع
تقول أقصى جهدهم وهو وادع
وما يتكافى في اليدين الأصابع
وإن قال فالأعناق صور خواضع
ربايا على أعدائه وطلائع
وصدر لما يأتي من (١) الدهر واسع
ضبابه نفع تحته الموت نافع
وعزم كصدر (٢) الهندواني قاطع
يحاولها منه الأريب الخادع
على طرف الرأي الذي هو تابع
متى هو مصبوب عليهم فواقع

لم يبق وجه من وجوه المدح في الجود والشجاعة وتصوب الرأي ومضاء العزيمة
والدهاء وشدة الفكر إلا قد اجتمع ذكره في هذه الآيات ولا أعرف أحداً
يستوفى مثل هذه المعاني في أكثر مدائحها إلا البحتري .

وقال بعضهم أجود ما قيل في صفة الرجل الخازم قول زينب بنت الطرية :
إذا جدَّ عند الجدد أرضاك جدُّه
وخذ باطل إن شئت أهلك باطله

يَسْرُكُ مَظْلُومًا وَيُرِضِيكَ ظَالِمًا وَكُلُّ الْبَازِي حَمَلَةٌ فَهُوَ حَامِلُهُ
ومثله قول الآخر :

أخو الجد إن جدَّ الرجالُ وشمروا وذو باطلٍ إن كان في الناس باطلٌ
ومن المديح المفرط قول منصور النمرى في هارون :

إذا ما عدت الناسَ بعد محمدٍ فليس لهارونَ إلا ما في نظيرِ
فضله على أبي بكرٍ وعمرٍ وعثمانٍ وعلى وغيرهم من الصحابة رضَى اللهُ تعالى
عنهم ، وهذا مكروهٌ جدًّا وأكره منه قول أبي نواس :

تَنَازَعَ الْأَحْمَدَانِ الشَّبَهَ فَاسْتَبَهَا حَلَقًا وَحَلَقًا كَمَا قُدَّ الشَّرَاكِنُ
فجعل النبي ﷺ ومحمد بن هارون سواءً في الخلق والخلق .

وبعد بيت النمرى أبيات جواد منها قوله :

منيع الحمى لكنَّ أعناقَ ماله بظل الندى يسطو بها ويسور
كأنه من قول كثير :

عُرِّ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا غَلَقْتَ لِضَحْكَتِهِ رِقَابُ الْمَالِ
وهذا من قول الأخطل :

وقفتُ على خالِكَ كما فإذا الندى عليك أميرَ المؤمنين أميرُ
خرجتُ أجرُ الذيلِ حتى كأنني عليك أميرَ المؤمنين أميرُ
يروحُ ويغدو ساجيًا في وقاره على أنه يوم المرام ذكيرُ
وليس لأعباءِ الأمور إذا عرت بمكثرتُ لكن لهنَّ قهورُ
يرى ساكنَ الأوصالِ باسطَ جرده يريك الهوينى والأمرُ تطيرُ

ولا أعرف في هذا المعنى أجود من هذا البيت .

وقالوا أمدح بيت قاله محدث قول النمرى في هارون :

إن المسكارمَ والمعروفَ أوديةٌ أحلك اللهُ منها حيثُ تجتمعُ (١)

(١) تقدم هذا البيت بصدر «خليفة الله إن الجود أودية» .

أخذه من قول أبي وجرزة السعدي^(١) :

أناك المجدُّ من هنا وهنا وأنتَ لهُ بمجتمع السيول
وأخذه ابن أمية الكاتب فقال في غزل :
تركت فيك التي ؟ وأنتَ منها بمجمع الطرق
ونقلته إلى الهجاء فقلت :

أتعدو بمستن العيون مخيا وأنتَ بعيب العالمين موكل
وفي قصيدة النمرى أبيات قليلة النظير منها قوله :

مستحکم الرأي مُستغن بوحده
عن الرجال برب الدهر مضطلع
يقرى العدو المنايا والقناة ندى
من كل ذاك القرى أحواضه ترع
إذا بلغنا جمال الأرض لم ترنا
للحادثات بحمد الله نخشع
لما أخذتُ بكفى حيل طاعته
أيقنت أني من الأحداث ممتنع
ان الخليفة هارون الذي امتلأت
منه القلوب وجارت تحته ترع
ان أخلف الغيث لم تخلف مخائله
أوضاق أمرٌ ذكرناه فيتسع

أخبرنا أبو أحمد رحمه الله تعالى عن الصولي عن المبرد وغيره قال شكنا منصور
إلى العتابي طلقاً استمر بمرأته ثلاثة أيام تخوف عليها منه فقال العتابي دواؤه معك
أقرب منها وقل «هارون» فان أمرها يسهل فغضب منصور فقال له لا تغضب فأنت
قضيت بذلك في قولك :

ان أخلف الغيث لم تخلف مخائله
أوضاق أمرٌ ذكرناه فيتسع
فأسكت منصور . ومن المديح البارع قول بشار :

ألا أيها الطالب المبتغى . نجوم السماء بسعي أمم
سمعت بمكرمة ابن العلاء . فأنشأت تطلبها لست تم
إذا عرضَ الهمُّ في صدره . لها بالعطاء وضرب البهم

(١) هوزيد بن عبيد أبو وجرزة ، من التابعين .

فقل للخليفة إن جسنته
إذا أيقظتك جسامُ الأمور
فتى لا يبيتُ على رmqه
يحبُّ العطاءَ وسفك الدماءِ

وقال البحرى :

إذا المهتدى بالله عدتْ خِلاله
وقلت : كم غاية لكم تقاصرْ دُونها
يعلو كرام العالمين وإنما
وإذا تسمى الأكرمون إلى العلا
أمن المسكارم أن يُبددَ شملها
ذلت له نوبُ الزمان وأصبحت

وقال البحرى :

إذا ذكرت أسلافه وتشوهرت
إذا ماتت الأرضُ ابتدوها كأنما
ودون علاهم للمسامين برزخٌ
بتدبير مأمونٍ على الأمر رأيه
وخوها جس لا يجبُّ الغيبُ دونه

أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن عبد الله بن الحسن عن البحرى قال سمعت ابراهيم
ابن الحسن بن سهل يقول : الأوائل حجة وهؤلاء أحسن تعريفا إلى أنه أنشده
يوماً عبد الله بن أيوب التيمى شعراً يمدحه فيه فلما بلغ إلى قوله :

ترى ظاهر المأمون أحسن ظاهر
يناجى له نفساً ترسع بهمة
وأحسن مما قد (١) أسراً وأضمر
إلى كل معروفٍ وقلباً مطهراً

(١) زدنا «قد» على النسخ لأقامة الوزن .

ويخشع إجلالاً له كلُّ ناظرٍ وبأبي لخوف الله أن يتكبر
 طويلٌ نجاد. السيف مضطمر الحشا طراه طراد الجيش حتى تجسرا
 رفل إذا ما السلم رفل ذيله وان شمعت يوماً له الحرب شمرا
 فقال الفضل ما بعد هذا مدح وما أشبه فروع الاحسان بأصوله .

ومن المدح القليل النظير قول أمامة بنت الجلاح الكلبية : أخبرنا
 أبو أحمد أخبرنا أبو الحسن البرمكي أحمد بن جعفر حدثني محمد بن ناجية
 الرصفاني قال كنت أحد من وقعت عليه التهمة أيام الواقعة بمال مصر فطلبني
 السلطان طلباً شديداً حتى ضاقت على الأرض برحبها فخرجت إلى البلاد
 مرتاداً رجلاً عزيزاً منيع الدار أعوذ به وأنزل عليه حتى انتهت إلى بني شيبان
 ابن ثعلبة فدفعت إلى بيت مشرف بظهر رابية منيعة وإلى جانبه فرس مربوط
 ورمح مركون يلعب سناناه فتزلت عن فرسي وتقدمت فسلمت على أهل الخباء فردت
 على نساء من وراء السجف يرمقني من خلل الستور بعيون كهيون أخشاف
 الظباء فقالت إحداهن اطمن يا حضري فقلت وكيف يطمن المطلوب أو يأمن
 المرعوب وقلما ينجو من السلطان طالبه والخوف غالبه دون أن يأوى إلى جبل
 يعصمه أو معقل يمنعه فقالت يا حضري لقد ترجم لسانك عن قلب صغير وذنب
 كبير قد نزلت بفناء بيت لا يضام فيه أحد ولا يجوع فيه كبد مادام لهذا الحى
 سبد أو لبده هذا بيت الأسود بن قنان اخوانه كلب وأعمامه شيبان صعلوك الحى
 فى ماله وسيدهم فى فعاله لا ينازع ولا يدافع له الجوار وموقد النار وطلب النار وبهذا
 وصفته أمامة بنت الجلاح الكلبية حيث تقول :

إذا شئت أن تلقى فتى لو وزنته بكل معدى وكل يماني
 وفى بهم حملاً وُجوداً وُسودداً وبأساً فهذا الاسود بن قنان
 فتى كالفتاة البكر يسفر وجهه كأن تلالى وجه القمران
 أغر أبر ابنى نزار وبعرب وأوتقهم عقداً بقول لسان

وأوفاهم عهداً وأطوهم يداً وأعلامهم فعلاً بكل مكان
وأضربهم بالسيف من دون جاره وأطعمهم من دونه بسنان
كان العطايا والمنايا بكفه سبحانه مقرونان مؤتلفان .

فقلت الآن ذهبت عنى الوحشة وسكنت الروعة فأنى لى به قالت يا جارية
أخرجى فنادى مولاك نخرجت الجارية فما لبثت إلا هنيهة حتى جاءت وهو معها .
فى جمع من بنى عمه فرأيت غلاماً حسناً ^(١) اخضر شاربه واخطط عارضه
وخشن جانبه فقال أى المنعمين علينا أنت فبادرت المرأة فقالت يا أبا مرهف هذا
رجل نبت به أوطانه وأزعجه سلطانه وأوحشه زمانه وقد أحب جوارك ورغب فى
ذمتك وقد ضمنا له ما يضمنه لثله مثلك فقال بل الله فاك قال فأخذ بيدي وجلس
وجلست ثم قال يا بنى أبى وذوى رحمى أشهدكم أن هذا الرجل فى ذمتى وجوارى
فمن أرادته فقد أرادنى ومن كاده فقد كادنى وما يلزمنى من أمره من حال إلا ويلزمكم
مثله فليسمع الرجل منكم ما يسكن اليه قلبه وتطمئن اليه نفسه . فما رأيت جواباً
قط أحسن من جوابهم اذ قالوا بأجمعهم ماهى أول منة مننت بها علينا ولا أول يد
بيضاء طوقتناها وما زال أبوك قبلك فى بناء الشرف لنا ودفع الهم عنا فهذه أنفسنا
وأموالنا بين يديك . ثم ضرب لى قبة الى جانب بيته فلم أزل عزيزاً منيعاً حتى سنع
لى السلطان ما أملت فانصرفت الى أهلى .

ومن المديح البارع قول الأخطل :

شمس العداوة حتى يستقاد لهم ^(٢) وأعظم الناس أحلاماً إذا قدروا

أخذه خارجة بن مليح المكي وأحسن :

آل الزبير نجوم يستضاء بهم إذا احتبى الليل فى ظلماته زهروا

قوم إذا شومسوا لجم الشمس بهم ذات الأباء وان يأسرتهم يسروا

(١) فى الأصل « حين » .

(٢) فى الأصل (بهم) والتصحيح من شعر الأخطل المطبوع .

ومنه قول كثير في عبد الملك :

وقد ألبوا من جمعهم ما تألبا

أبوك الذي لما أتى مرجَ راهط

لما شاء منهم طائعين تحببا

تسنا للأعداء حتى إذا أتوا

وقال البحترى :

فان جئته من جانب الذل أصحبا

حرون إذا عاززته في ملة

ويدنو وأطراف الرماح دوانى

ونحوه : كريم بغض الطرف فضل حياته

وحده ان خاشنته خشنان

وكالسيف ان لا ينثه لان مته

ومثل قول خارجة * إذا احتبى الليل في ظلماته زهروا * قول الأشجع :

دُجى الليل حتى يستنير له الفجر

إذا غاب عنا الفجر خضنا بوجهه

وقال خارجة أيضا :

سبيل المطايا بالوجوه السوافر

ويسفر للسارى إذا جن ليله

وقال ادريس بن أبي حفصة :

وإني أرى بين أيديها باقياد

لما أتت وقد كانت منازعة

ومن رجائك في أعقابها حادى

لها أمامك نور تستضى به

عن الرتوع^(١) وتلهينا عن الزاد

لها أحاديث من ذكراك تشغلها

ولا أعرف في معناها مثلها :

كفى خابط الظلماء ضوء المصابيح

إذا أشرقت في جنح ليل وجوهمهم

فكم ثم من آسى جراح وجراح

وان ناب خطب أو ألت ملة

ومن أجود ما قيل في صفة الرجل الجواد قول أبي الأسد الدينورى :

فقت لها لن يقدح اللوم في البحر

ولأمة لأمتك يا قيس في الندى

ومن ذا الذى يثنى السحاب عن القطر

أرادت لتثنى الفيض عن عادة الندى

مواقع جود الفيض في كل بلدة مواقع ماء المزن في البلد القفر^(١)
ولا أعرف في معناها مثلها . وقلت :

تقضى مآربه من كل فائدة لكن من المجد ماتقضى مآربه
أفاده العز آباء ذوو كرم وزاده الخلق الخضر جانبه
لقد فضلت كرام الناس كلهم فهم مناسب مَجِد أنت غاربه
بالت شعري هل يسطيع شكركم دهر مساعيكم فيه مناقبه
وحين أرضيتم كنتم نوافله وأنتم حين أسخظتم نوابه
منكم على الدهر عين لا تناومه وللحوادث قرن لاتقابله
ومن أجود ما قيل في ذكر الجود قول الأشجع^(٢) في جعفر بن يحيى :

يرومُ الملوكُ جدى جعفر ولا يصنعون كما يصنع
وكيف ينالون غاياته وهم يجمعون ولا يجمع
وليس بأوسمهم في الغنى ولكن معروفة أوسع
فما خلفه لامرئ مطمع ولا دونه لامرئ مقنع
إذا رفعت كفه معشراً أبى العز والفضل أن يوضعوا
ولا يرفع الناس من حطه ولا يضع الناس من يرفع
رأيت الملوك تغض العيون إذا ما بدا الملك الاتلع
بديته مثل تدبيره متى هجته فهو مستجمع

أخذ قوله « بأوسمهم في الغنى » من قول الأول :

له نارٌ تشب بكل أرض إذا النيران جلت القناعا
وما ان كان أكثرهم سواداً ولكن كان أرحبهم ذراعاً

(١) يكرر المصنف بعض الآيات في مواضع لمناسبات .

(٢) هو أبو الوليد أشجع بن عمرو السلمى ، مدح البرامكة وانقطع إلى

جعفر بن يحيى فقربه من الرشيد فأثرى ، ورثى الرشيد بعد موته .

وقال بعض المولدين :

وما رأيتك في حال تكونُ بها أذنى إلى كل خير منك في العدم

ومن أجود ما قيل في الصلة على بعد الدار قول نهشل بن جرى :

جزى اللهُ خيراً والجزاء بكفه بنى الصلت إخوان السماحة والمجد

أتانى وأهلى بالعراق نداهمُ كما صاب غيثٌ من تهامة في نجد

فما يتغير من زمان وأهله فما غير الأيام محمد كم بعدى

فأخذه البحترى أخذاً مارأيت أعجب منه وقد وجه اليه بنو السمط برمى

حمص إلى منبج فقال :

جزى اللهُ خيراً والجزاء بكفه بنى السمط إخوان السماحة والمجد

همُ حضرونى والمهامهُ بيننا كما ارفضَّ غيثٌ من تهامة في نجد

إلا أن قوله * هم حضرونى والمهامه بيننا * أبدع وأحسن من قول

نهشل * أتانى وأهلى بالعراق نداهم * وأخذه ابن المولى فقال :

فرحتُ بجمعفِرٍ لما أتانا كما سُرَّ المسافرُ بالأياب

كمطورٍ ببلدته فأضحى غنياً عن مطالعة السحاب

وأخذه أبو السمط بن أبى حفصة فقال في عبد الله بن طاهر :

لعمري ناعمَ الغيثُ غيثُ أصابنا ببغدادَ من أرضِ الجزيرة وأبله

ورنمَ الفتى والسدُّ بينى وبينه بسبعينَ ألفاً صبحتنى رسائله

فكنا كحى صبحَ الغيثِ داره ولم يحتمل أطعمانه وجائله

وأخذه أبو تمام فقال :

لم أستطع سيراً لمُدحةِ خالدٍ فجعلتُ مدحتَهُ اليه رسولا

فليرحلنَّ اليك نائلُ خالدٍ وليكفينَّ رواحلى الترحيلا

وأخذه أبو صفان فقال في أحمد بن محمد بن توبة :

نفسى فداءُ أبى العباس من رجلٍ لم ينسئ قطُّ فى نأى ولا كئيب

يقرى وبالرقة البيضاء منزله من بالعراقين^(١) من عجم ومن عرب
 أغنيتني عن رجال أنت فوقهم في المكرمات ودون القوم في النشب
 وأصل ذلك كله من قول جرير : أخبرنا أبو أحمد عن علي بن سليمان
 الأخفش عن ثعلب عن محمد بن سلام قال قال أبو العراف بعث عبد العزيز بن
 مروان إلى جرير بمال من الشام فتجهز يريده فأتاه نعيه فقال جرير يرثيه :
 بنفسي امرأً والشام بيني وبينه أتدنى يبشرى برده ورسائله
 قال أبو أحمد قال أبو الحسن لا يجوز عندنا (إلا امرؤ) إلا أن الرواية
 هكذا ، معناه أفدى .

أتى زمنُ البيضاء بعدك فاتحى على العظم حتى ماتقوم حوافله
 فيومان من عبد العزيز تفاضلا في أي يوميه تلوم عواذله
 فيوم تحيط المسلمين جياته ويوم عطاءه ما يفرح نائله
 ومن المديح البارع قول ابراهيم بن العباس :

أسدٌ صار إذا هيجته وأبٌ برَّ إذا ما قدرا
 يعلمُ الا بعد إن أثرى ولا يعلمُ الأذى إذا ما افتقرا

ومن بليغ المديح ما أنشدناه أبو أحمد في جملة خبر أخبرناه عن أبيه عن أحمد
 ابن أبي طاهر النديم عن عبد الله بن السري عن أحمد بن سليمان قال قال عبد الله
 ابن زيد القسري كنت قائماً على رأس ابن هبيرة وعنده سباطان من وجوه الناس
 إذ أقبل شاب لم أر مثل جماله وكاله فقال أصلح الله الأمير إنى امرؤ فدحته كربة
 وأوحشته غربة ونأت به الدار وأقلقه الأعمار وحل به عظيم خذله أخلاؤه وشمته
 به أعداؤه وجفاه القريب وأسلمه البعيد فقامت مقاماً لا أرى فيه معولا ولا جازى
 نعمه إلا رجاء الله تعالى وحسن عائدة الأمير وأنا أصلح الله الأمير ممن لا تجهل

(١) العراقان : الكوفة والبصرة ، وعراق العرب وعراق العجم . كما في

جنى الجنة في تمييز نوعي المثنيين للمحبي .

أسرته ولا تضيع حرمة فان رأى الأمير أن يسد خلتي ويجبر خصاصتي فعل فقال
ابن هبيرة ممن الرجل؟ قال من الذين يقول لهم القائل:

فزاره بيتُ المجد والعزِّ فيهم فزاره قيسٌ حسب قيسٍ فعالمها
لها العزة القعساءُ والشرفُ الذي بناه لقيس في القديم رجاً لها
وهل أحدٌ أن مدَّ يوماً بأنفه إلى الشمس في جَوِّ السماءِ ينالها
لهيات ما أعياءُ القرون التي مضتْ ما أثر قيسٍ واعتلاها خصالها

فقال ابن هبيرة إن هذا الأدب حسن مع ما أرى من حداثة سنك فكم
أنت لك؟ قال تسع وعشرين - فلحن الفتى - فتبسم ابن هبيرة كالشامت به وقال
ألحن أيضاً مع جميل ما أتى عليه منطقتك، شبتته بأقبح عيب (١) فأبصر الفتى ما وقع
فيه فقال إن الأمير أصاحه الله تعالى عظم في عيني وملأت هيئته صدرى فنطق
لسانى بما لا يعرفه قلبي. فقال له ابن هبيرة: وما على أحدكم أن يتعلم العربية فيقيم
بها أوده ويحضر بها سلطانها ويزين بها مشهده ويتبوأ بها على خصمه أو يرضى أحدكم
أن يكون لسانه مثل لسان مملوكه وأكلاره (٢) وقد أمرنا لك بعشرة آلاف درهم
فإن كان سبقك لسانك وإلا فاستعن على إصلاحه ببعض ما أوصلناه إليك ولا
يستحي أحدكم من التعلم فإنه لولا هذا اللسان لكان الإنسان كالبهيمة المهمة
قاتل الله الشاعر حيث يقول:

ألم ترَ مفتاحَ الفؤادِ لسانه إذا هو أبدى ما يقول من الفم
وكلُّن ترى من صامت لك مُعجب زيادته أو نقصه في التكلم
لسانُ الفتى نصفٌ ونصفُ فؤاده فلم يبقَ إلا صورةُ اللحم والدم

ومن بارع المديح:

ولى منك موعودٌ طلبتُ نجاحه وأنت امرؤٌ لا تخلف (٣) الدهرَ موعدا
وعودتى إن لا تزال تُظلنى يدُّ منك قد قدّمت من قبلها يدا

(١) كذا والمعنى ظاهر. (٢) الأكلار: الحراث. (٣) في الأصل «يخلف».

فلو أن مجدداً أو ندى أو فضيلةً تخلدُ شيئاً كنت أنت المخلد
ومن بليغ المديح ما أنشدناه أبو أحمد عن الصُّولي عن أبي العيناء عن
الأصمعي للصموت الكلابي وقال مرة للصموت الكلابية امرأة :

لله دَرَكٌ أيُّ جنة خائف ومتاع دُنيا أنت في الحدِثان
متخبط يظأ الرحال غُلبَةً (١) وطأ الفنيق (٢) دوارح القردان
وتفرج البابَ الشديدَ رتأجه حتى يكونَ كأنه بابان
وتبعه أبو تمام فقال في ابن أبي داود :

فلتبك الاحسابُ أي حياةً وحيا أزمةً وحيةً واد
عائقٌ معتقٌ من اللوم (٣) إلا من مقاساة مغرمٍ أو نجادٍ
ومن أجود ما قيل في صفة الكمال قول كشاجم :

ومهذب الألفاظ منطقهُ مافيه من خطلٍ ولا مِينِ
ماشتت من خَرفٍ ومن شيم مافي محاسنهن من شين
ما كان أحوج ذا الكمال الى عيبٍ يوقيه من العين

قد أحسن وخَرف ولم يقصر في تغليل الخز واصابة المفصل . ومثله قوله :
يا كامل الآداب مُنفردَ العلا والمكرمات ويا كثير الحاسدِ
شخصَ الانامُ الى كمالك فاستعد من شر أعينهم بعيبٍ واحدِ
وقال ابن الرومي يمدح بعض العمال وقد نكب :

لا يستطيعك بالتقص حادٌ وأبي لك التكميلُ أن تتزيدا
وكأنتي بك قد نحت محمد في النائبات كما دعوت محمدا
فطلعت كالسيف الحسام مجرداً للحق أو مثل الهلال مجدداً

(١) المتخبط : القهار الغلاب . والغلبة بضم التين بمعنى الغلبة والقهر .

(٢) الفنيق : الفحل المسكرم لا يؤذى لكرامته على أهله ولا يركب .

(٣) في ديوان أبي تمام « الهون » .

شهد النهار وكشفه غم الدجى
 ومثله قول الآخر :
 فما كنت إلا السيف جرد في الوغي
 ومن أبلغ المديح :
 بديته وفكرته سواء
 وصدر فيه لهم اتساع
 ومن أبلغ المديح قول البحترى :
 أخذوا النبوة والخلافة وانثنوا
 وإذا قريش فاضلتك فضلتها
 وجوادها ابن جوادها وكريمها ابن
 كريمةها^(١) ونيلها ابن نيلها
 لو سارت الأيام في مسعاتهم
 رفعتهم الآيات في تنزيلها
 وإذا نشبت أخذت خير فروعها
 وقالت : لئن قلَّ أرباب المكارم والعلا
 يذكركني جود الغائم جوده
 تخال به بدرًا مع الليل باهراً
 يدبيل من الأيام والدهر منصف
 يبرز من الانجاد كل مساور
 بخلق كمن الصخر في كف لأمس
 ورأى كصدر الراغية شارع
 على بلدة يسقى الضراغم ماؤها
 ومن بارع المديح قول أبي تمام :

ان الزمان مبيض ماسودا
 وأخذ في الهيجا ورد إلى الغمد
 إذا مانا به الخطب الكبير
 إذا ضاقت من الهم الصدور
 بالمكرمات كثيرها وقليلها
 بأبي خلافتها وعم رسولها
 لتناولها لتقطع في طولها
 وقضت لهم بالفضل في تأويلها
 وإذا رجعت أخذت خير أصولها
 ليحيي كثير في العلا والمكارم
 وشكرى له شكر الثرى للغائم
 يلوح على عرف من الليل فاحم
 بعزم على الأيام والدهر حاكم
 ويعلو من الانجاد كل مكارم
 وطور كجري الماء في عين حائم
 وعزم كحد المشرفة صارم
 ويسقى بها إلى دماء الضراغم

(١) في ديوان البحترى «وشريفها ابن شريفها» مكان «وكريمها ابن كريمةها» .

رأيت لعايشٍ خلائفَ لم تكن
له كرمٌ لو كان في الماء لم يفيض
أخو عزّ مات بذله بذلٌ مُحسنٍ
يهوئك أن تلقاه في صدرٍ محفلٍ
وماضيق أخطار البلاد أضاقني
وهذي ثيابُ المدح فاجرر ذبولها
وقد أحسن التنبؤ في أبيات له منها :

وفتية من حميرٍ حمر الظبي
شموس مجد في سموات علا
وقلت : ما المجدُ الا سماءُ أنت كوكبها
فكل سابق قوم أنت سابقه
بالمقد تحكمه والأمر تيرمه
والعرض تمنعه والمسال تبذله

وللمحدثين أبيات بارعة سائرة في المديح منها قول أبي تمام :

أيا منّا مصقولةً أطرافها بك والليالي كلها أسحارُ

مأخوذ من قول عبد الملك بن صالح حدثنا أبو أحمد أخبرنا الصولي حدثنا شيخ
ابن حاتم العسكلي حدثنا يعقوب بن جعفر قال لما دخل الرشيد منبج قال لعبد
الملك أهذا البلد منزلك قال هو لك ولي بك قال كيف بناؤك فيه قال دون منازل
أهلي وفوق منازل غيرهم قال فكيف صفة مدينتك هذه قال هي عذبة الماء باردة
الهواء قليلة الأذواء قال كيف ليها قال سحر كله قال صدقت إنها لطيبة قال لك
طابت وبك كملت واين بها عن الطيب وهي تربة حمراء وسنبلة صفراء وشجرة
خضراء فياف فيح بين قيصوم وشيح . فقال الرشيد لجعفر بن يحيى هذا الكلام
أحسن من الدر المنظوم فأخذه ابن المعتز فقال :

ياربَّ ليلٍ سحرٍ كله مفتضح البدر عليل النسيم

تلتقطُ الأناضُ بردَ الندى فيه فتهديه لِنارِ الهموم

وقال ابن الرومي * كأن أيامهن كالبكر * وقلت :

أيامنا في جواره بكرٌ وليلنا في فِئانه سحر

ومنها قول أبي نواس :

أنت الخصبُ وهذه مصرُ فتدققا فكلَا كما بجر

وقوله : وليس على الله بمستنكرٍ أن يجمعَ العالمَ في واحد

وقوله : قتي يشتري حسنَ الثناءِ بماله ويعلمُ أن الدائراتِ تدورُ

فما جازه جودٌ ولا حل دونه ولكن بصيرُ الجودِ حيثُ يصير

وقول أبي العتاهية :

أنته الخِلافةُ منقادة إليه تجرُّ أذيالها

ولم تكُ تصلحُ إلاَّ له ولم يكُ يصلحُ إلا لها

ولو رامها أحدٌ غيره زلزلتِ الأرضُ زلزالها

وقول مسلم إلا أنه مرثية :

وأني واسماعيل يومَ وفاته لكالعمد يومِ الروعِ فارقهُ النصلُ

فان أغشَ قوماً بعده أو أزورهم فكالوحش يدنيهامن الأُنسِ المحل

الأُنسِ جمع مثل خدم . وقول بعض الاعراب في معن بن زائدة :

أنتَ الجوادُ ومنك الجودُ أوله فان مُقدتَ فما جودٌ لموجود

أضحت يمينك من جودِ مصورة لا بل يمينك منها صورةُ الجود

من نور وجهك تضحى الأرضُ مشرقةً ومن ثنائك يجرى الماءُ في العود

وقول البحترى :

وقد قلتُ للمعلى إلى المجدِ طَرفهُ دَعِ المجدَ فالفتحُ بنُ خاقانِ شاغله

صفت مثل ما تصفو المدامُ خلاله ودرقت كما رق النسيمُ شمائله

والعرب تتمدح بطول القامة فمن أجود ما قبلي فيه قول أبي تمام :

أناس^(١) إذا يدعى نزال إلى الوغى رأيتهم^١ رجلي كأنهم ركب^١
 من المطربين الأولى ليس ينبجلي بغيرهم للدهر صرف^١ ولا كرب^(٢)
 جعلت نظام المكرمات فلم تدر رجا سؤدد إلا وأنت لها قطب
 إذا افتخرت يوماً ربعة^١ أقبلت مجنبتى مجد وأنت لها قلب
 ومن أجود ما قيل في قدم الشرف ووضوح النسب قول أبي تمام :

نسب^١ كأن عليه من شمس الضحى نوراً ومن فلق الصباح عمودا
 عريان لا يكبو دليل^١ من عمى فيه ولا يبغي عليه شهودا
 شرف على أولى الزمان وإنما خلق^١ المناسب ما يكون جديدا
 لو لم تكن من نبعة^١ نجدية علوية لظننت^١ عودك عودا
 مطر أبوك أبو أهلة وابل ملاً البسيطة عدة وعديدا
 ورثوا الابوة والحظوظ فأصبحوا جمعوا جموداً في العلاء وجمودا
 أكفأة تلد الرجال وإنما ولد الختوف أسوداً وأسودا
 أخذه السرى فقال في المهلبى :

نسب^١ أضاء عموده في رفعه كالصبح فيه ترفع^١ وضياء
 وشمائل^١ شهد العدو بفضلها والفضل ماشهدت به الأعداء
 وهذا من قول البحترى :

لا أدعى لأبي العلاء فضيلة حتى يسلمها إليه عداه
 وقت : قد نلت بالرأي والتميز منزلة ماناها أخواك البحر والمطر
 وبالتكرم والافضال مرتبة لم يعطها خادماك السيف والقدر
 قالوا أيمطر من محل ألم^١ به فقلت قد تمطر الانهار والفسد
 مال يسدده في جمع مكرمة فالجود مجتمع^١ والماء منتشر
 كروضة أخذت بالغيث زخر^١ قها فالروض منتظم والغيث منتشر

(١) في ديوان البحترى «كأية إذا» . (٢) في نسخة «لزب» وهي الشدائد .

مناقب^١ ما يكاد الدهر يهدمها
 فابشر فانك رأس^٢ والعلا جسد
 لولاك لم تك الايام منقبه^٣
 وقلت : هل أنت إلا البدر تم تما^٤مه
 والسيف^٥ أرفف^٦ للمضاء غراره
 أنت الربيع^٧ الفض^٨ رق^٩ نسيمه
 خلق^{١٠} كنشر^{١١} الروض^{١٢} طل نباته
 للأولياء رخاؤه ورخاؤه
 يامن أدل على الزمان زمانه
 يدنو فيغمر^{١٣} كل^{١٤} شيء^{١٥} فضله
 ما ان يزال من المآثر^{١٦} والعلا
 عال^{١٧} تسور^{١٨} فوق^{١٩} قمة^{٢٠} سؤدد
 يبدو فييدي^{٢١} الصبح^{٢٢} غرة^{٢٣} وجهه
 سبق^{٢٤} الجياد^{٢٥} فما^{٢٦} يشق^{٢٧} غبار^{٢٨}ه
 ولئن أبر^{٢٩} على^{٣٠} الحسام^{٣١} عزيمة^{٣٢}
 وكأنا^{٣٣} أقلامه^{٣٤} أسيافه^{٣٥}
 ما^{٣٦} المجد^{٣٧} الا^{٣٨} العقد^{٣٩} جودك^{٤٠} شذره^{٤١}
 والجود^{٤٢} في^{٤٣} يدك^{٤٤} اليمين^{٤٥} عنانه^{٤٦}
 مازال^{٤٧} فوتك^{٤٨} في^{٤٩} اللواء^{٥٠} موليا
 فاعمر^{٥١} على^{٥٢} زمن^{٥٣} أغر^{٥٤} محجل
 وقال آخر وأحسن :

(١) الشذر : قطع من الذهب تلتقط من معدنه بلا إذابة ، أو خرز^١ يفصل

بها النظم ، أو هو اللؤلؤ الصغار - كما في القاموس .

نعماء ما صغرت إلا لأن عظموا

كم صغروا منهم والله يكلوهم

وقال أبو يعقوب الخزيمي :

لكان لها يوم الفخار بك الفضل

فلو لم يكن إلا بنفسك فخرها

فلا تعب يدي اليك ولا مهل

جريت على مهل فأتعبت من جرى

فلا مثل ذابله ولا مثل ذابخل

ويبذل دنياه ويمنع دينه

وقفت على صوب الربيع رجائيا

وقلت : وقفت على يحيى رجائيا وأنا

تمطيت جدواه ففقت اللياليا

إذا ما الليالي أدركت ما سمعت له

وان آب جاء المزن في الجود ناليا

إذا غاب جاء المزن في الجود سابقا

أو البرق جاراه ثنى البرق كاليا

إذا الغيث باراه ثنى الغيث مقصرا

حططنا إليه كي تزين القوافيا

فتى لم تزنه بالقوافي وإنما

وصالوا أميوداً واستهلوا سواريا

من الغر لا حوا أشمساً ومضوا ظبي

فمكن باقياً حتى ترى الدهر فانيا

رأيت جمال الدهر فيك مجدداً

عرس تكامل حسنها وعرائس

وقلت : في فنية أخلاقهم وفعالهم

للمجد والعلياء فيه مجالس

حل السرور حياهم في مجلس

زهر وإن نظروا العدو حنادس

فهم إذا نظروا الصديق كواكب

فهم ضراغم والعداة فرائس

أوقيل تلتف الجياد بمثلها

فالليل منهم شامس والصبح منهم دامس

فأظن ابن الرومي سبق إلى معنى قوله :

من الأيدي جميعاً والأمانى

نفائس ماله أدناه مجنى

لجانيتها فتمكن كل جاني

كذلك فوارض الثمرات تدنو

وأخبرنا أبو أحمد عن العبشمي عن المبرد قال أتى شاعر أبا البختري وهب

ابن وهب وكان من أجود قریش كان إذا سمع المادح له ضحك وسرى السرور

بجوانحه وأعطى وزاد فأشده هذا الشاعر :

ابن وهب وكان من أجود قریش كان إذا سمع المادح له ضحك وسرى السرور

بجوانحه وأعطى وزاد فأشده هذا الشاعر :

بجوانحه وأعطى وزاد فأشده هذا الشاعر :

لكل أخى فضيل نصيبٌ من العلا ورأسُ العلا طراً عقيدُ الندى وهبُ
وما ضرَّ وهباً عيبٌ من جحدِ الندى كما لا يضرُ البدرَ ينبحه الكلبُ
فتنى له الوسادة وهشَّ إليه ورفده وحمله وأضافه فلما أراد الرحيل وهو أشد
خلق الله اغتباطاً لم يخدمه أحد من غلمان أبي البختری ولا عقب له ولا حل فانكر
ذلك مع جميل ما فعل به فعاتب بعضهم فقال إنما نعین النازل على الإقامة ولا نعین
المرتحل على الفراق فبلغ ذلك جليلاً من القرشيين فقال والله لفعل هؤلاء العبيد
أحسن من رقد سيدهم .

ومن بليغ المعاني في المديح قول ابن الرومي :

لعا من عاثر لك يا ابن يحيى يموتُ الكاشحونَ وأنت تحيا
على أن المماتَ لكل حيٍّ وقيتَ به من الحدثنان محيا
وقال خلف بن خليفة :

ان استجهلوا لم يغرب الحلمُ عنهمُ وإن آثروا أن يجهلوا أعظم الجهلُ
همُ الجبلُ الأعلى إذا ماتنا كرت ملوكُ الرجالِ أوتخاطرتِ النزُلُ
مواعيدُهم فعلٌ إذا ماتكلّموا بتلك التي أن سميتَ وجب الفعلُ
ألم تر أن القتلَ غالٍ إذا رضوا وإن غضبوا في موطنٍ رخصَ القتلُ
وقلت : لقد علمت يحيى موافية العلا فضائلُ آباءِ تلها فضائله
فجاز طريفَ المجدِ بعدَ تليده رفيعَ بطولِ النجمِ حينَ بطاوله
فتى غرةَ الأيامِ حسنُ صنيعه وتيجانها أخلاقُه وشمائله
وما هو إلا المزنُ تصفو خلاله ويمتلو مبواه ويبيكرُ هاطله

الفصل الثاني من الباب الأول في الافتخار

قالوا أنخر بيت قالته العرب قول جرير :

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا
وقالوا قال عبد الملك بن مروان للفرزدق وجرير والأخطل من أتاني منكم
بصدر هذا البيت « والعود أحمد » فله عشرة آلاف درهم فما كان فيهم مجيب
فأدخل أعرابي من عذرة إليه فأنشده :

فان كان مني ما كرهت فاني أعودُ لما تهواه والعودُ أحمدُ
فقال عبد الملك أحسنت ولكن لم تصب ما أردت فأنشد :

جزينا بنى شيبانَ قدماً بفعلهم وُعدنا بمثل البدء والعودُ أحمد
قال لم تصب ما أردت فأنشد :

وأحسن عمرو في الذي كان بيننا فان عاد بالاحسان فالعودُ أحمد
فقال هذا طلبت . ثم قال أخبرني عن أهجى بيت قالته العرب قال قول جرير :
ففض الطرفَ انك من نَميرٍ فلا كعباً بلغت ولا كلابا
ولو وضعت ففاحُ بنى نَميرٍ على خُبثِ الحديدِ إذاً لذابا
قال فأخبرني عن أمدح بيت قالته العرب قال قول جرير :

ألسمَّ خَيْرَ من ركب المطايا وأندى العالمينَ بَطونَ راح
قال فما أنخر بيت قالته العرب قال قول جرير :

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا
قال فما أنزل بيت قالته العرب؟ قال قول جرير :

ان العيونَ التي في طرفها مرض ^(١) قتلنا ثم لم يحمينَ قتلانا
يصرعنَ ذا اللب حتى لا حراك بهِ ^(٢) وهنَّ أضعفُ خلقِ الله أركاناً ^(٣)

(١) وفي رواية « حور » . (٢) في هامش النسخ « انسانا » إشارة لنسخة .

قال فما أحسن بيت قيل ؟ قال قول جرير :

وطوى الطراد مع القياد بطونها طى التجار بمحضر موت يرودا

قال فما أقيح بيت قيل ؟ قال قول جرير :

ألم ترَ أنَّ جِعْثَنَ وَسَطَ سَعْدٍ تُسْمَى بَعْدَ قِضَتِهَا الرَّحَابَا (١)

ترى برصاً بأسفل (٢) إسكتيها كعنفقة الفرزدق حين شابا

قال فما أهبجن بيت قيل قال قول جرير :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا حين الزيارة فارجمي بسلام

قال فهل تعرف جريراً ؟ قال لا ولكن ترد علينا أقاويل الشعراء فلم أرَ شعراً

أرق في الوزن ولا أملاً للغم من شعره فقام جرير فقبل رأسه وجعل جائزته في

هذا العام له وأضاف عبد الملك إليها مثلها وكتب إلى عامله باليامة أن ينصف

من خصم تظلم منه .

وقد قال عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير :

بدأتم فأحسنتم فأنتيتُ جاهداً وان عدتمُ أنتيتُ والعودُ أحسن (٣)

وقال ابن المعتز أو غيره :

خليلي قد طاب الشرابُ المبردُ وقد عدتُ بعد النسك والعودُ أحمد

وقال ابن حبيب دخل رجل من بني سعد على عبد الملك بن مروان فقال له

من الرجل ؟ قال من الذين قال لهم الشاعر :

إذا غضبتُ عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا

قال فمن أيهم أنت ؟ قال من الذين يقول لهم القائل :

يزيد بنو سعد على عدد الحصى وأثقل من وزن الجبال حلومها

قال فمن أيها أنت ؟ قال من الذين يقول لهم الشاعر :

(١) سقط من النسخ بعض كلمات فاستدر كناها من النقائص .

(٢) في النقائص (بجمع) مكان (أسفل) . (٣) لعله «أحمد» .

ثياب بني عوف طهاري نقيه وأوجههم عند المشاهد غران

قال فمن أيهم أنت؟ قال من الذين يقول لهم الشاعر:

فلا وأبيك ماظلمت قريع بأن بينوا المسكارم حيث شاؤا

قال فمن أيهم أنت؟ قال من الذين يقول لهم الشاعر:

قوم هم الأنف والأذنان غيرهم ومن يسوي بأنف الناقة الذنبا

قال اجلس لاجلس والله لقد خفت أن تفخر على.

وقالوا أفر بيت قاتنه العرب قول الفرزدق:

تري الناس ما سرنا يسرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

ورواه لنا أبو علي بن أبي حفص «أربأنا» قال والارباء الاشارة إلى خلف

والايلاء إلى قدام، والناس يعملون هذا البيت لجمل في قصيدته التي يقول فيها:

وكانت تحيد الأسد عنا مخافة فهل يقتلني ذو بنان يطرف

لقد أخلفت ظني وكانت مخيلة وكم من مخيل يرتجي ثم يخلف

إذا انتهب الأقوام مجداً فاننا لنا مغرفاً مجد وللناس مغرف

وضمنا لهم صاع القصاص رهينة بما سوف نوفيها إذا الناس طففوا

تري الفاس ما سرنا يسرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

وكان جميل جيد الافتخار قال:

والشاعر المبتلى أشاعرون به كي يلمسوه^(١) وأين اللمس من زحل

وعند الناس قصيدته الفائية أحسن وألسن من قصيدة الفرزدق. وأخذ بعضهم

قوله * وكم من مخيل يرتجي ثم يخلف * فقال وأحسن:

ظننت به ظناً فقصر دونه فيارب مذنون به الخير يخلف

وما الناس بالناس الذين عرفتهم وما الدار بالدار التي كنت أعرف

وما كل من تهواه بهواك قلبه وما كل من أنصفته لك منصف

(١) في الأصل « يلمس » .

أخبرنا أبو أحمد عن المبرمان عن أبي جعفر بن العسي عن العسي قال من
أحسن ممدح به الرجل نفسه قول أعشى ربيعة :

وما أنا في نفسي ولا في عشيرتي بمنهضم حتى ولا قارع سني
ولا مسلم مولاي عند جنابة ولا خائف مولاي من شر ما أجنى
وإن فؤادي بين جنبي عالم بما أبصرت عيني وما سمعت أذني
وفضلي في الشعر واللب أني أقول على غيبي وأعلم ما أغني
فأصبحت إذ فضلت مروان وابنه على الناس قد فضلت خير أب وابن
وأشدنا أبو أحمد عن أبي بكر عن أبي حاتم عن الأصمعي قال وهو من أجود
ما ممدح به الرجل نفسه ، قال أبو هلال وهو لسكين الدارمي :

ورُبُّ أمورٍ قد بريت لحالها وقومت من أصلابها ثم رشتها
أقيم بدار الحزم مالم آهن بها فان خفت من دار هو انا تركتها
وأصلحُ جل المال حتى حسبتني بخيالاً وان حقُّ عراني أهنتها
ولستُ بولاج البيوتِ لفاقة ولكن إذا استغنيتُ عنها ولجتها
إذا قصرت أيدى الكرام عن العلا مددتُ لها باعاً طويلاً فنلتها
وعوراءُ من قيل امرئ ذي عداوة تصامتُ عنها بعد أن قد سمعتها
رجاء غيد أن يعطف الودُ بيننا ومظلمة مني بجنبي عركتها
غيره : ومالي وجهٌ في اللثام ولا يدُ ولكن وجهي في الكرام عريضُ
أصحُّ^(١) إذا لاقيتهم وكأني إذا أنا لاقيتُ اللثامَ مريضُ
وقلت في معناه :

وخلُّ الجهولِ وُبغضِي له فأني ليبب أُّحبُّ الليبيا
بصادفني الضيف طلقاً ضحوكا وان كنتُ لم أر يداعجيبا
وأستعملُ الحلمَ مالم أكن أصبتُ من الذلِّ فيه نصيبا

(١) في الأصل « أصبح » وهو تصحيف لافائدة في كثرة التنبيه على مثله .

من الخلم ضربٌ إذا رُمته لقيت من الذل فيه ضروبا
 وأنشدنا أبو أحمد قول أبي هفان * فان تسألني عنا فانا حلي العلا * ثم قال
 ليس لقوله * فانا حلي العلا * نظير ، وأنشدنا له :

لعمرى لئن بيعت في دارِ غربيةٍ ثيابي^(١) إذ ضاقت على الماكِل
 فما أنا إلا السيف يأكلُ جفنه له حليةٌ من نفسه وهو عاطل .
 وقد زاد في هذا البيت على النمر بن تولب في قوله وهو أول من أتى بهذا المعنى :
 فان تكُ أثوابي تمزق عن بلي فاني كمثلِ السيفِ في خلقِ الغمدِ
 ولائي هفان أيضاً :

تمجبت دُرٌّ من شيبى فقلتُ لها لا تعجبي من بياض الصبح في السدف
 وزادها عجبا أن رحتُ في سَمَلٍ^(٢) ومادرت دُرٌّ أن الدرَّ في الصدف
 فرأيت في هذا المعنى تكلفا فقلت :

عيرتني ان رحتُ في سَمَلٍ والدرُّ لا تزرى به الصدف
 وله أيضا في هذا المعنى :

يُعيرني عري رجالٌ سفاهةً فعزيتُ نفسي مصدراً ثم موردا
 بأني مثل السيف أحسن ما يرى وأهيب ما يُلقي إذا هو جُردا
 في ألفاظه فضول لا يحتاج إليها . ومثله في المعنى قول علي بن الجهم أورده
 في مصراع وهو * والسيف أهيب ما يرى مسالوا *
 ولا أعرف في الافتخار أحسن مما أنشده أبو تمام :

فقل لزهير إن شتمت سراننا فلسنا بثتامين للمتشم
 ولكننا نأبي الظلام ونعتصى بكل رقيق الشفرتين مصمصم
 وتجهلُ أيدينا ويجهلُ رأينا ونشتمُ بالأفعال لا بالتكلم
 هذا أحسن من كل شيء في الافتخار ، وقريب من هذا المعنى قول

(١) في النسخ « ثيابي إذا » . (٢) سمل الثوب سمولا : أخلق فهو ثوب سمل .

لقيط بن زرارة :

أغرّمك أنى بأحسن شيمية بصير^ه وأنى بالفواحش أخرق
وانك قد سايتنا فغلبتنا هنيئاً مريئاً أنت بالفحش أحق
أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا الجوهري عن عمر بن شبة قال يروى أنه قيل

للغزديق أى بيت قائله الشعراء أفخر ؟ قال قول امرئ القيس :

فلو أن ما أسعى لأذنى مَعيشة كفانى ولم أطلب قليل من المال
ولكننى أسعى لمجد مؤمّل وقد يدرك المجد المؤمّل أمثالى
قيل له فأبها أحكم قال قوله :

الله أنجح ما طلبت به والبر خير حقيبة الرجل
قال فأبها أرق قال قوله :

وما ذرفت عينك إلا لتضربى بسهميك فى أعشار قلب مقتل
قال فأبها أحسن قال قوله :

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العناب والحشف البالى
وقالوا أفخر بيت قائله العرب قول كعب بن مالك الأنصارى :

ويبر بدر إذ برّد وجوهكم جبريل تحت لوائنا ومحمد

ومن بليغ^(١) الافتخار قول الحجاج :

صبرت سليم للطعان وطامر وإذا جز عنالم نجد من يصبر
نحن الذين إذا علوا لم يضجروا يوم اللقاء وإذا علوا لم يفخروا

وقال ضمرة بن ضمرة :

أذيق الصديق رأفتى واحاطتى وقد يشتكى منى العداة الأبعاد
وذى ترّة أوجعته وسبقته فقصر عنى سعيه وهو جاهد

(قصر وهو جاهد) بليغ جداً ، ومنه أخذ المحدثون .

(١) فى نسخة (ومن أبلغ) .

ومن جيد الافتحار بالجوذ وطيب النفس به قول بعض العرب :
 تُسائلني هوازنُ أينَ مالي ومالي غير ما أنفقتُ مال
 فقلتُ لها هوازن ان مالي أضرَّ به الملماتُ النقال
 أضر به نَعَمٌ ونَعَمٌ قديمًا على ما كان من مال وبالُ
 المعنى حسن جداً ، وفي الألفاظ تكرير شائن .

أبلغ ما افتخر به في كثرة العدد قول الأول :

ما تطلعُ الشمسُ إلا عند أولنا ولا تغيبُ إلا عند آخرنا
 وقول أبي جندب :

فلو نَزادَ ألفَ ألفٍ لم نَزِدْ ولو فَقَدنا مثلهم لم نَفْتَقِدْ
 وهو من أبيات أخبرنا بها أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر بن دريد عن عمه
 عن أبيه عن ابن الكلبي ، وأخبرنا به غيره فأوردنا أجود اللفظين وأصح الروايتين
 قال بلغني أن عبد الرحمن بن حسان كان يخبر عن أبيه قال خرجت حاجا في الجاهلية
 فاذا أنا بشاب حسن العينين وضياء وبشيخ يسأله قال فسبه الفتى ثم ان الشيخ
 غيره بأن أمه من بنى الاصغر فخرى الفتى فبلغ ذلك أمه فأقبلت ترقل ارقال الناقة
 الصعبة حتى أخذت بمنكبى الشيخ وهزته وقالت :

سائلٌ وخَللٌ في إيادِ بنِ معدٍّ هل كانتِ الرومُ عبيدًا لاحد
 همُ الربيعُ والسَّنامُ المعتمدُ والذُّرَّةُ العلياءُ والركنُ الأشدُّ
 وأنتِ حرمي لثيمُ المستندِ عُصارةُ اللؤمِ التي فيها تلد

فسألت عن الشيخ فقيل المغيرة بن عبد الله الخزومي وسألت عن الشاب فقيل
 ورقة بن نوفل ، ثم مررت من فوري حتى آتني منى فاذا رجل على جمل عظيم لا يمر
 يقوم إلا هجاهم لأنه مر بالأوس والخزرج فهجاهم لاهجوته فنظر إلى قباب بيض
 في شرقي الجبل فقال لمن هذه فقيل لقرد بن تميم من هذيل فأمرها وقال :

هل ههنا من ولد قرد من أحد أعطيهم من رجزي اليوم وغد

نُفِجَ أَبُو جَنْدَبٍ وَهُوَ يَقُولُ :

نِعْمَ غَلَامٌ مِنْهُمْ جَلَدٌ عَدَدُ
يَنْفَرْنَ مِنْ وَقْعِ الْعَصَى وَالْقَدَدِ
وَإِبْنُ هُذَيْلٍ وَابْنُ أَشْيَاحٍ مَعَدُ
فَلَوْ نَزَادَ أَلْفَ أَلْفٍ لَمْ نَزِدْ
فَارْجِعْ إِلَى مَعْرَاكِ تَيْسًا ذَا حَيْدِ
أَوْفَى عَلَى رَأْسِ يَقَاعِ فَصَخْدِ
قَالَ خَلْفَتُ ابْنِي لَا أَهْجُو أَحَدًا مَا دَامَ أَبُو جَنْدَبٍ حَيًّا .

والعرب تفتخر بكثرة العدد وتذم قلته قال الأخطل * الاكثرين حصي
والاطيبين ثرى * واحتج السموأل لقلة العدد فأحسن :

تُعِيرُنَا أَنَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا
فَقُلْتُ لَهَا إِنْ السُّكْرَامَ قَلِيلُ
وَمَا قَلَّ مِنْ كَانَتْ بَقَايَاهُ مِثْلُنَا
شَبَابٌ تَسَامَى لِلْعَلَا وَكِهُولُ
وَمَا ضَرَّنَا أَنَا قَلِيلٌ وَجَارُنَا
عَزِيزٌ وَجَارُ الْأَكْثَرِينَ ذَلِيلُ

وهذه قصيدة في الافتخار ليس لها نظير وإنما تركت إيرادها كلها الشهرتها .

ومن أجود ما افتخر به محدث قول أبي تمام :

لَنَا جَوْهَرٌ لَوْ خَالَطَ الْأَرْضَ أَصْبَحَتْ
وَبَطْنَانَهَا مِنْهُ وَظَهْرَانَهَا تَبْرُ
مَقَامَاتِنَا وَقَفَّ عَلَى الْحِلْمِ وَالْحِجَا
وَأَمْرُدُنَا كَهْلٌ وَأَشِينَا حَبْرُ
إِذَا زِينَةُ الدُّنْيَا مِنَ الْمَالِ أَعْرَضَتْ
فَأَزِينُ مِنْهَا عِنْدُنَا الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ
لِيَفْخَرُ بِجُودٍ مَنْ أَرَادَ فَانَهُ
عَوَانٌ لِهَذَا الْخَلْقِ وَهُوَ لَنَا بِكَرٍ
جَرَى حَاتِمٌ فِي حَلْبَةٍ مِنْهُ لَوْ جَرَى
بِهَا الْقَطْرُ يَوْمًا قِيلَ أَيُّهُمَا الْقَطْرُ
فَتَى ذَخِرَ الدُّنْيَا أَنْاسٌ وَلَمْ يَزَلْ
لَهَا بِذَلَاً فَانظُرْ لِمَنْ بَقِيَ الذَّخِرُ
وَمِنْهَا : كِبَاةٌ إِذَا طَلَّ الْكِبَاةُ لَدَى الْوَعْيِ
أَرْمَاحِهِمْ حُمْرٌ وَأَلْوَانِهِمْ صَفَرُ
بِخَيْلٍ لَزِيدِ الْخَيْلِ فِيهَا فَوَارِسُ
إِذَا نَطَقُوا فِي مَسْهَبِ خَرَسِ الدَّهْرِ
طَوَى بَطْنَهَا الْأَسَادَ حَتَّى لَوَانَهُ
بِدَالِكَ مَا شَكَّكَتَ فِي أَنَّهُ ظَهَرَ

صبيته ما أن تحدثُ نفسها
 فإن ذمَّتِ الأعداءُ سوءَ صباحها
 مساع يضل الشعر في طرق وصفها
 وقوله: مضوا وكان المكرمات لديهم
 بهاليل لو طابت فيض أكفهم
 وأى يد في المجد مُدَّت فلم تكن
 أصارت لهم أرض العدو قطائعا
 إذا ما أغاروا فاحتوا مال معشر
 فيعطى الذى يعطيهم الجود والقنا
 يمدون بالبيض القواطع أيديا

بما خلفها مادام قدامها وتر
 فليس يؤدى شكرها الذئب والنسر
 فما بهتدى إلا لأصغرها الشعر
 لكثرة ما أوصوا بهن شرائع
 لا يقنت أن الرزق في الأرض واسع
 لها راحة من جودهم وأصابع
 نفوس لحد المرهفات قطائع
 أغارت عليهم فاحتوته الصنائع
 أكف لارث المكرمات موانع
 وهن سواء والسيوف القواطع

وقلما نجد في الافتخار شعراً يدانى هاتين القطعتين . وقلت :

خليلى باع الدهر بالعرف ضيق
 وواقع نعماء عن الحر طائر
 متى ما يصبني بالقوارع طرفه
 وهما مثل للخطوب جواب
 تريك اشتعالاً بالنجوم طوالعاً
 وتزرى على البيض الطوالع ان مضت
 تخافى الأيام فهى تخيفنى
 ولو كن في عيني لما قذبت بها
 أتطلع منها في ديارى طوالع
 يقارع منى باسلاً ذا حفيظة
 فتى باتم الفضل ليس بقانع
 فما صحبتته للأنام صنيعه

على كل ذى عقل وبالسكر واسع
 وطائر بلواه على الحر واقع
 أصابته همتى وهن قوارع
 كما أنهن للخطوب دوافع
 وهن إذا لاحت نجوم طوالع
 وهن على العلات ييض قواطع
 وللنكس تهديد إذا ريع رائع
 فكيف ترى أنى إذا صلن خاشع
 بسوء وهما عليها طلائع
 يقوم أزاء النصر حين يقارع
 ولكن بأدنى بلغة العيش قانع
 ويصحبهم منه وفيه صنائع

ولم يتواضع في مصاداة منة
له شرف في آل ساسان باذخ^ه
إلى أن قلت: تؤدبه الأيام حين تضره
وما ضاع مثلي حيث حلت ركابه^ه
ومثلي مخضوع له غير أنه
ومثلي متبوع^ه على كل حالة
وقال ديك الجن^(١) يفتخر بكلب:

كلب قبيلي وكلب خير من ولدت
وعيرتنا وما ان طل^ه را؟
غلاة موة والاشراك^ه مكتهل^ه
ان تعبسى لدم منا هريق^ه بها
أقعد وقم طالماً ان لو تطوقها
أقام حصن عليهم حصن مكرمة
إذا غدت خيلهم تستنجد المطى؟
كم عرضوا أيدياً أيضاً مكرمة^ه
أسديرون الردى المفضى بأنفسهم
وقال الجماني:

ونحن سننا الصبر في كل موطن
وقال: بنا يستشار العز عن مستقره
وقال ابن المعتز:

فقري فتى وشبابي كهل^ه و كل فضل لي عليه فضل^ه
أشكى لجودي حين يشكى البخل

(١) هو عبد السلام بن رغبان الكلبي، من الشعراء المحيدين في العصر العباسي.

وقرأت لقابوس بن وشمكير (١) الختلي (٢) رسالة في الافتخار والعتاب ليس لها نظير في علوها وإفراطها وهي : الانسان خلق أوفيا وطبع عطوفا فما بال الاصبهذ لا يحيل عوده ولا يرجى عوده ولا يخال لغيثه محيلة ولا نحال عن تنكره محيلة أمن صخر تدمر قلبه فليس يلبينه العتاب أم من الحديد جانبه فلا يحيله الاعتاب أخلق من صفاقة الدهر حجر بنوه فقد نبا عليه غرب كل حجاج أو من قساوته إباء مزاج آباءه .

فقد أبى على كل علاج ما هذا الاختيار الذي يعد الوهم فيها وهذا التمييز الذي يحسب الجهل علما وهذا الرأي الذي يزين له قبح العقوق ويمقت اليه رفاية الحقوق وما هذا الاعراض الذي صار ضربة لازب والنسيان الذي أنساه كل واجب أين الطبع الذي هو للصدور صدود وللتألف أوف ودود وأين الخلق الذي هو في وجه الدنيا البشر وفي مبسمها الثنايا الغر وأين الحيا الذي يحكي به الكرم وتحلى لمحاسنه الشيم كيف يزهد فيمن ملك عنان الدهر فهو طوع قياده وتبع مراده ينتظر أمره ليمتثل ويرتقب نهيه ليعتزل وكيف يهجر من تضاءلت الأرض تحت قدمه فصارت له في الاتقياد كبعض خدمه إذا رأت منه هشاشة أعشبت وان أحست منه بجفوة أجدبت وكيف يستغنى عن خيله العزمات والأوهام وأنصاره الليالي والأيام من هرب منه أدركه بمكائدها ومن طلبه وجدده في مراصدها وكيف يعرض عن تعرض رفاهة العيش باعراضه وتقبض الأرزاق بانقباضه وأضاء نجم الاقبال إذا أقبل وأهل هلال المجد إذا تهلل وكيف يزهي على من تحقر في عينه الدنيا وترى تحته السماء العليا وقد ركب عنق الفلك واستوى على ذات الحبيك فتبرجت له البروج وتكوكبت لعبادته السكواكب واستجارت بعزته الحجر وآثرت لمحاسنه أوضاع الثريا بل كيف يهون من لو شاء عقد الهواء وجسم الهباء وفصل ترا كيب الاشياء وألف بين النار والماء وأخذ ضياء الشمس والقمر وكفاهما عناء السير

(١) في النسخ (وشمكير) .

(٢) لعله (الختلي) . وقابوس هو الملقب بشمس المعالي الأمير الأديب المنشئ .

والسفر وسد مناخر الرياح الزعازع وأطبق أجفان البروق اللوامع وقطع أسنة
الرعود بسيف الوعيد ونظم صوب الغمام نظم الفريد ورفع عن الأرض سطوة
الزلازل وقضى ما يراه على القضاء النازل وعرض الشيطان بمعرض الانسان وكل
العيون بصور الغيلان وأثبت العشب على البحار وألبس الليل ضوء النهار أو لم يعلم
أن مهاجرة من هذه قدرته ضلال ومنابذة من هذه صورته خيال وأن من له هذه
المعجزات يشتري رضاه بالنفس والحياة ومن يأتي بهذه الآيات يتبغى هواه
بالصوم والصلاة ومن لم يتعلق منه بجبل كان بهيما لا شية به ومن لم يأو منه الى ظل
ظليل ظل صريحا لا عصمة له ولم لا يسترد طازب الرأى فيعلم أنه مالم يعاود الصلاة
مأفون ويستعيد غائب الفكر فيفهم أنه ان أقام على الفرقة مغبون أنه يقدر أن
الاستغناء عنى هو الغناء والغنى ولا يظن أن الالتواء على هو البلاء والبلى ويخال
أنه مكتف بماله وعرضه ومتمزز بسمائه وأرضه ولا يشعر أنى كل لبعض وطول في
عرض وأن قوة الجناح بالقوادم دون الخوافي وعمل الرماح بالأسنة دون العوالي،
ليس إلحاحى على سيدى مستعيدا وصاله ومستصلحا بالالحاف خصاله وعدى عليه
هذه المعائب لاستماتته من جانب الى جانب لا تى ممن يرغب فى راغب عن وصلته
أو ينزع الى نازع عن خلته أو مؤثل حالاعند من ينحت أثله^(١) ومقبل بوده على من
لا يجمله قبلته فأنى لو علمت أن الأرض لا تسف تراب قدمى لما وضعت عليها
جانبا وان السماء لا تتوق الى تقبيل هامتى لما رفعت اليها طرفا ولكنى أكره أن
يعرى نحره من قلادة الحمد ويجنب جنبه اكليل الحمد ويظل وجهه الوفاء بقبضه
على يده مسوداور كن الاخاء بفته فى عضده منهدا ولا يعجبني أن يكسوه ضوء مكارمه
كاف الخمول وبأذن لطوال المعاليه بالاقول فان فضل سيدى الخلود على الوجود والعدم
على الوجود ونزل من شامخ الى خفض ومن حالق الى دحض وجاهر بهجره وأصر على
صره ومال إلى الملل ولم يصل نار الوصال حلت عنه معقود خصرى وشغل عن الشغل به

خاطري بل محوت ذكره من صفحة فؤادي وأعددت وده فيا سال به الوادي :
 وفي الناس ان رمت حبالك واصل^١ وفي الارض عن دار القلي متحوّل
 وفي بعض ألفاظ هذه الرسالة تسكف إلا اني أوردتها لعنلو معانيها .

وقال بعضهم :

ومن يفتقر منا يسأل^٢ حسامه^٣ ومن يفتقر من سائر الناس يسأل^٤
 وقال ابن المعتز^(١) :

سألتك بالله ما تعلم انتي ولا تكتم شيئاً فعندك ما خبري
 أرفع نيران القرى لعقاتها وأصبر يوم الروع في ثغرة الثغر
 وأسأل نيلاً لا يجاد بمثله فيفتحه بشري ويختمه عذري
 وبارب يوم ما توارى نجومه مددت إلى المظلوم فيه يد النصر
 وقال : وقمت الى القوم الصفايا بمنصلي فصيرتها مجدداً لقومي وأحسابا

وأشدنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر لعبد العزيز بن زرارة^(٢) :

قد عشت في الدهر أطواراً على طرقي شتى فصادفت فيه اللين والقطعا
 لا يملأ الامر صدرى قبل موقعه ولا يضيق به ذرعى إذا وقعا
 كلاً لبست فلا النماء تبظرفي ولا تخشعت من لا وأنها جزعا
 وسألني بعض أدباء البصرة فقال ما أدل بيت على عقل صاحبه وحزمه ؟ فقلت

قول الأقبيل القيني :

إذا لم أجد بداً من الأمر خلتني كأن الذي يأتي على يسير^٥

فقال ما عدوت ما في نفسي . ومثله قول أبي النشاش :

على أي شيء يصعب الامر قد ترى بعينك ان لا بد أنك راكبه

(١) هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله الخليفة العباسي ، أولع بالشعر

ونبع فيه ، قتل سنة ٢٩٦ . (٢) هو القائد الشجاع في زمن معاوية ، قتل

في إحدى وقائع القسطنطينية فلما بلغ معاوية قال : هلك والله فتى العرب .

وفي ألفاظ هذا البيت زيادة . وقلت في معناه :

علامَ تَسْتَصعبُ الأَمْرَ لا ترى منه بُدا
بأدرٍ وخيلٌ الهويْنَا وجدَّ كما تجبدا
فلن تلاقى جدًّا حتى تلاقى كدا

ومن يبلغ الافتخار بذلاقة اللسان قول جرير :

وليس لسيفي في العظام بقيةٌ ولا لسيفٍ أسوى وقعته من لسانيا
وهي من قول حسان * ويبلغ ما يبلغُ السيفُ مذودى *

وقلت : ولي لسانٌ إذا أطلقتهُ عرضاً سعى مساعيَ ضرغامٍ وثمان
وقد نمتني أمجادٌ ججاجحةٌ من نجل ساسان تزهو نجل ساسان
هم الكواكبُ في أطرافِ داجيةٍ أو العنان على أتباج أعنانِ
قومٌ إذا ما أتوا بالسوء ما اعتذروا ولا يمتنون إن منوا باحسانِ
وقلت : من يكن صائلاً بمثلِ لساني لم يضره أن لم يصلُ بسنانِ

وأخبرنا أبو القاسم عن المقدي عن أبي جعفر عن المدائني قال قلت لرجل من جذام وأكثر من وصف ملوك الحيرة : لو كان هؤلاء الأنصار لم ترد فقال لئن كان هؤلاء القوم نصروا الدين لقد نصر أولئك الكرم ولئن كان هؤلاء خصوا بالاسلام لقد خص أولئك بالانعام ولئن حاز هؤلاء شرف اليوم وغداً لقد سبق لأولئك شرف هو باق على الأبد ولو علا فعل هؤلاء على الهواء لجارت مكارم أولئك أعنان السماء ومن يقرن بالبلد الخراب اليباب بلداً نحل به السحاب في كل مقدي وما ب .

ومن جيد الافتخار قول مبشرين هذيل الشهمي :

ألم تعلمي يا عمركِ الله أني كريمٌ على حين الكرامٍ قليل
واني لا أخزي إذا قيل ممسُقٌ جوادٌ وأخزي أن يُقالَ بخيلٌ
فان لم يكن عظمي طويلاً فاني له بالخصال الصالحاتِ وصول
وإنك قصداً في الرجالِ فاني إذا حلَّ أمرٌ ساحتني لجيل

إذا كنت في قومٍ طوالٍ فضلتهم
 ولاخيرَ في طولِ الجسومِ وعرضها
 ولم أَرِ كالمعروفِ أمّا مذاقُهُ
 وقلت : غنای غنی نفسی ومالی قناعتی
 وغری اسلامی وذخری أمانتی
 ولی عزماتٌ كالسيوفِ قواضبا
 وتفشى صدورَ الناثباتِ صدورُها
 ألا لايدمُّ الدهرَ من كان عاجزاً
 فمن لم تبلغهُ المعالی نفسه
 ولا أعرف في افتخارِ الجاهليةِ أجود
 ولا أبلغ من قولِ عمرو بنِ كلثوم (١) :
 ونحنُ الخاكمونُ إذا أُطعنا
 ونحنُ التاركونُ لما سخطنا

وقد أحسن ابراهيم بن العباس في قوله :

إِمّا تَربيتي أمامَ القومِ متبعاً
 يوما نينخُ فلا أدعى على نسب
 لا تسألِي القومَ عن حَيِّ صحبتهم
 وقال : أميلُ مع الذمامِ على ابنِ عمي
 أفرقُ بينِ معروفِي وبيني
 فاما تلفتي حُرّاً مطاعا
 فقد أرى من وراء (٢) الخليل أتبع
 واستبيحُ فلا أبقى ولا أدعُ
 ماذا صنعت وماذا أهله صنعوا
 وأقضي للصديقِ على الشقيقِ
 وأجمعُ بينِ مالي والحقوقِ
 فانك واجدى عبدَ الصديقِ

وهذا من قول الأول :

(١) في الاصل « عمرو بن أم كلثوم » و « أم » مقحمة . وهو صاحب
 المعلقة المشهورة ، كان سيد تغلب وفارسها وشاعرها وخطيبها ، مات قبل الاسلام
 بنحو نصف قرن . (٢) في الأصل « ورأى » .

وإني لعبدٌ الضيفِ مادامَ نأويا وما فيَّ إلا ذاك من شيمة العبدِ
وقال الآخر * وعبد للصحابة غير عبد * .

وسمعت بعض الشيوخ يقول أبلغ شيء قيل في الافتخار قول الآخر :

أبني حنيفة أحكموا سمهاءكم إني أخافُ عليكم أن أغضبوا

قوله * أخاف عليكم أن أغضب * بليغ في الوعيد وفي دلائل القدرة
على ما يسوؤهم ، قال أبو هلال هو لجرير فهدد فيه بالهجاء ولو كان لمن يتمكن من القتل
والامر والنكابة لسكان أفسر بيت قيل . وأخبرنا أبو أحمد عن ابن دريد عن
عبد الرحمن عن عمه قال ذكر أعرابي قوما فقال : ما نالوا بأطراف أناملهم شيئاً إلا
وطئناه بأخامص أقدامنا وان أقصى منا هم لأدنى فعالنا . وقال أبو دلف العجلي :

وكن على الدهر فارساً بطلا فأنما الدهر فارسٌ بطلٌ
لأبدٍ للخيل ان تحولوا بنا والخيل أرحامنا التي نصل
مرةً باللجين نقلها ومرةً بالدماء تنقل
حتى ترى الموت تحت رايتنا تطفأ نيرانها وتشتعل

﴿ الباب الثالث من الباب الأول في التهاني ﴾

لم تكن من الأقسام التي كانت العرب تصوغ فيها شعراً وإنما كانت أقسام
الشعر في الجاهلية خمسة : المديح والهجاء والوصف والتشبيب والمرثي حتى زاد
الناجفة فيها قسماً سادساً وهو الاعتذار فأحسن فيه ولا أعرف أحداً من المحدثين
بلغ مبلغه فيه إلا البحترى فإنه قد أجاد القول في صنوفه وأحسن وأبلغ ولم ينذر
لاحد مزيداً حتى قال بعضهم هو في هذا النوع الناجفة الثاني . ولا أعرف للعرب

شيئاً ينسب^(١) الى التهانى ومهما جاء عنهم من شكها شئ فهو عند العلماء معدود
 فى جملة المديح مثل قول أبى الصلت الثقفى يذكر سيف بن ذى يزن واتيانه بالفرس
 ومحاربه بهم الحبشة حتى أزالهم عن أرضه وهو قوله بعد ذكر الفرس :
 فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً فى رأس غمدان دار منك محلالاً
 تلك المكارم لاقبمان من لبن شبيت بماء فعادت بعد أبو الـ^(٢)

أخذه بعض شعراء الجبل فقال فى بعض رؤسائه :

فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً فى شاذ مهردوع غمدان لليمن
 فأنت أولى بتاج الملك تقصده من هوزة بن عليّ وابن ذى يزن
 ولست أختار من التهانى بالأعياد على أبيات أشجع شيئاً :

لازلت مبشر أعياد وتطويها تمضى بها لك أيام وتثنيها
 مستقبلاً غرة^(٣) الدنيا وبهجتها أيامه لك نظم فى لياليها
 العيد والعيد والأيام بينهما موصولة لك لاتقى وتفنيها
 ولا تقضت بك الدنيا ولا برحت تطوى بك الدهر أياماً وتطويها
 ليهنك النصر والأيام مقبلة اليك بالفتح معقود نواصيها
 أمست هرقة تدمى من جوانبها وناصر الملك والاسلام مدميها
 ان الخليفة سيف لا يجرد ماقارع الدين والدنيا عدوها
 وقلت : ما لليالى والأيام منقبة غراء تسمو بها إلا مساعيك
 ربي يبيحك ماتهوى على فرح كما يليحك ماتهوى ويعليك
 لألف فصل لهذا الفصل تبلغه باليمن والخير تبليه وينميك
 ولا تزال لك الأيام موطاة تمضى قضاياك منها فى أمانيك

(١) فى الاصل « ينسب ». (٢) فى الاصل « شيباء بماء فعاد ابعداً أبو الـ » .

(٣) فى النسخ « لغرة » .

ووجدت بخط أبي أحمد من أجود ما قيل في التهنية بالنوروز قول هارون بن
علي لعل بن محمد الحواري:

علي إذا الجود والمعالي بامعدن الانعام والافضال
يامن به نيظت عرى الآمال فحكم الآمال في الاموال
جود بلا من ولا اعتلال مبتداً يُغنى عن السؤال
قابله النوروز بالاقبال ونعم تأتي على اتصال
محروسة مأمونة الزوال شبهك في تصرف الاحوال
فليسله أزهر ذو اشتعال كأنه وجهك في الجمال
وصبحه بللالم ذو انجمال يحكي ندَى كفك ذا الأسيال

جری بماء و جرت بمال

ومنها: قول غدا يوفى علم الأقوال كمثل ما توفي على الرجال
فاشبهه الأجواد بالبخال وعدت^(١) مسروراً رضى البال
في نعمة ضافية الاذيال بعز ذى العزة والجلال
وأخبرني بعض اصحابنا قال كتب أحمد بن أبي طاهر إلى إسماعيل بن
بليل: أنا وإن كنت في عدد الحشم والاتباع الذين يخرجون من تفضيل
الخاصة ويرتفعون عن الدخول في جملة العامة فاني في وسط القلادة منهم
ويمكان من نظام نعمتك التي تجدهم وهذا يوم من أيام الملوك السادة الذين لم
تزل تجرى لهم السنة^(٢) على عبيدهم وأصحابهم وقوادهم وكتابهم بالاهداء اليهم
وقبول ما أهدوهم منهم ليعرف مكان التشريف في مرتبته من مكان المنحط عن منزلته
وموضع النعم من المنعم عليه في التقدم بقبول ما يهديه اليه وكل يهدى على قدر
بضاعته ورتبته ومقداره في نفسه وهيمته وعلى حسب موضعه من سيده ومالكه
وما يحويه ملكه وتباغه مقدرته وكرهته أن أمسك عن البر فأخرج عن جملة

(١) في النسخ « عدت » بدون واو (٢) في النسخ مهملة من النقط .

العبيد والحشم وأهدى ما يقصر عن الواجب اللازم والحق المفترض فجعلت هبتي مع
الثقة بعنرك والاعتماد على تفضيلك وصفحك أبيانا اقتصرت فيها على الدعاء لك
والثناء عليك أسأل الله تعالى أن يقرنه بالاجابة فيك كما قرن مدحى لك بالتصديق فقلت:

أبا الصقرِ لازالت من الله نعمةٌ
ولازالت الأعياد تمضى وتنفضى
فإنك للدنيا جمالٌ وزينةٌ
رأيت الهدايا كلها دون قدره
فلا فضل إلا وهو من فضل جوده
فأهديت من حلى المديح جواهرأ
مدائح تبقى بعد ما نفذ الدهر
شكرت لاسماعيلُ حسنَ بلائه
تجددُها الأيام عندك والدهرُ
وتبقى لنا أيامك الغررُ الزهرُ
وإنك للأحرارِ ذخرٌ هو الذخرُ
وليس لشيء عند مقداره قدر
ولا ير إلا دونهُ ذلك البرُّ
منصلةٌ يزهي بها النظمُ والنثرُ
وتبهي بها الأيام ما اتصل العمرُ
وأفضل ما تجزى به النعمُ الشكرُ

أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن أحمد بن أبي طاهر عن ابن هفان قال دخلت
على سعيد بن حميد في يوم نيروز وهو مستعد يكتب إلى اخوانه فقرأت عليه
كتابك وشعرك الى أبي الصقر - يعنى الكتاب والشعر الذى تقدم - فكتب وأنا
حاضر الى الحسن بن مخلد: أياها السيد النجيب عشت أطول الاعمار في زيادة
من النعم موصولة بقرائنها من الشكر لا تقضى حق نعمة حتى تتجدد لك أخرى
ولا يمرُّ بك يوم إلا كان موفياً على ما قبله مقصراً عما بعده قد تصفحت أحوال
الاتباع الذين تجب عليهم الهدايا إلى السادة في هذا اليوم والتمست التأسى بهم في
الاهداء اليك وان قصرت الحال عن الواجب لك فرأيتنى ان أهديت نفسى فهى
لك لاحظ فيها لغيرك ورميت بطرفى الى كرائم مالى فوجدتها منك فكنت إن
أهديت شيئاً كهدى مالك اليك ولم يزد على أن نبه على نعمتك واقتضى نفسه
بشكرك وفرغت الى مودتى وشكرى فوجدتهما لك خالصتين قديمتين غير مستجدتين
وانى ان جعلتهما هديتى لم أجد لهذا اليوم براً ولا لطفاً ولم أقس منزلة شكرى بمنزلة

من نعمتك إلا كان الشكر مقصراً عن الحق والنعمة زائدة على ما لم تبلغه الطاقة ولم أسلك^(١) سبيلاً أتمس بها ما أعتد به في مجازاتك الاوجدت فضلك قد سبقني اليها فقدم لك الحق وأحرز لك السابق فجعلت الاعتراف بالتقصير عن حقك هدية اليك تفي ما يجب لك والعذر في العجز عن برك برا أتوصل به اليك :

ان أهد نفسي فهو مالكها وله أصون كرائم الذخر
 او أهد مالا فهو واهبه وأنا الحقيق عليه بالشكر
 او أهد شكري فهو مُرتين بجميل فملك آخر الدهر
 والشمس تستغنى إذا طلعت أن تستضيء بسنة البدر

ثم قرأه على فقلت أبا عثمان الساعة قرأت عليك لابن أبي طاهر هذه المعاني بأعيانها قال والساعة عملتها وليس بيننا حشمة . ولا أعرف لهاتين الرسالتين في هذا الباب نظير آفي رقة معانيها وحسن تخريجها ، ورسالة سعيد بن حميداً كثرهما معاني . وأول من افتتح المكتبة في التهانى بالنوروز والمهرجان أحمد بن يوسف أهدى إلى المأمون سفظ ذهب فيه قطعة عود هندی في طوله وعرضه وكتب معها هذا يوم جرت فيه العادة بأطاف العبيد السادة وقد قلت :

على العبد حق فهو لاشك فاعله وإن عظم المولى وجلت فضائله
 ألم ترنا نهدي إلى الله ماله وإن كان عنه ذاغى فهو قابله
 ولو كان يهدى للقليل بقدره لقصر عمل البحر عنك وناهله
 ولكننا نهدي إلى من نُجله وإن لم يكن في وسعنا ما يشا كله

فأخذ سعيد بن حميد هذه المعاني وكتب إلى ابن صالح بن يزداد : النفس لك والمسال منك والرجاء موقوف عليك والأمر مصروف اليك فما عسانا أن نهدي لك في هذا اليوم وهو يوم قد شملت فيه العادة للاتباع الأولياء باهدائهم إلى السادة العظماء وكرهنا أن تحليه من سننه^(٢) فنكون من المقصرين أو ندعى أن

في وسعنا ما يفي بحقك علينا فنكون من الكاذبين فاقصرنا على هدية
 تقضى بعض الحق وتقوم عندك مقام أجمل البر وهي الثناء الجميل والدعاء الحسن
 فقلت: لازلت أيتها السيد الكريم دائم السرور والعطية في أتم العافية وأعلى منازل
 الكرامة تمر بك الأيام المفرحة والأعياد الصالحة فتخلقه وأنت جديد .
 فأول كلامه مأخوذ من قول المعلى بن أيوب للمعتصم: النفس لأمر المؤمنين
 والمال منه وليس فيما أوجبه الحق نقيصة ولا على أحد فيه غضاضة ، وباقيه من كلام
 أحمد بن يوسف ، والدعاء الذي في آخره لعلى بن عبيدة الرياحي لم يزد سعيد بن
 حميد فيه شيئاً .

وأحسن ما سمعت من الدعاء قول علي بن هرون بن يحيى المنجم: أمتع الله
 الأمير بما خوله واستقبل به من العمر أسرّة وأطولها وملاؤه من العز أمدّه
 وأكمله وألبسه من الانعام أسبغه وأجزله ومهد له من العيش أرغده وأفضله وجمع
 له من الخير آخره وأوله .

وللصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عباد فصول في النهاية في قليلة النظير منها
 ما كتب يهنيء بالوزارة: أنا أهنىء أطال الله بقاء سيدي الوزارة بالقائها الى فضله
 مقادتها وبلوغها في ظلها ارادتها وأنحيازها الى ذراه واضحة المجد والفخر وتوشحها من
 كفايته بفرقة سائلة على وجه الدهر واشكر له حسن أثره عليها وعطفه حنان الفكر
 اليها حتى قرت لديه قرارها وأتمت بيديه نهارها بعد أن هفا قلبها إشفاقاً من
 استشراف أيادي النقص لها وخرج صدرها من تحدث احلاس الجهل بها ولاغرو
 فهي وليدة ذراه قد آلت لا تخط خطته وعاهدت لا برحت ساحتها فالحمد لله الذي
 أقر عين الفضل ووطأ مهاد المجد وترك الحساد يتعثرون في ذيول الخيبة ويتسقطون
 في فضول الحسرة حمداً يديم أيام مولانا ويطيل بقاءه ويحرس عزه وينصر لواءه
 فقد شرح صدور المجالس وشد ظهور المحامد بتفويض الصدر الى ولينه بحقن قديم
 وحديث وبفضلين مكتسب وموروث .

وكتب : الاستاذ الربيع الذى يتصل مطره من حيث يؤمن ضرره ويدوم زهره من حيث يتعجل ثمره لازالت الايام مسعودة بقرعها الى انقاده وتقديره والازمان بحسودة بأحيازها الى امضائه وتدييره فما اكتسى الدهر حلة أبهى من حصول عنانه في يديه ومثوله من جملة العبيد لديه لازال أمراً ناهياً سامياً عالياً تنهناً الاعياد بمصادفة سلطانه وتستفيد المحاسن من رياض إحسانه .

وكتب : الأستاذ عيد الزمان وربيع الأيام وهذا الفضل الجامع لأحكام الفضل معترز اليه معترز بما لديه فغيثه مثشبه بكفه واعتداله مضاه خلقه وزهره مواز لنشره وان تسعد به سعادات لا يبلغ حدها ولا يحصر عدها وهو أطال الله بقاءه يحظر المهادة بما يحضر ما خلا السكتب التى لا يرفع عنها كبير ولا يمتنع منها خطير لازال جنابه موروداً بالعلم ومنحماً عنه بالغم .

ومثله ما كتب : قد أقبل النوروز إلى الأستاذ ناشراً حله التى استعارها من شيمته ومبدياً حليه التى أخذها من سجيته ومستصحباً من أنواره ما اكتسبه من محاسن أيامه ومن أمطاره ما اقتبسه من جودة وانعامه مؤكداً الوعد بطول بقاءه حتى يتحلى العمر ويستغرق الدهر ويستكمل من الرتب أعلاها ويحل من المنازل أسماها ويرى السادة الغتيان قد افتقروا سعيه واقتفوا هديه وأسعده سعادة تستوفي معها الهمة وما ترتقى اليه والامل وما يشرف عليه .

وكتب : أما بعد تهناء سيدى الموهبة التى ساقها اليه ومدروا قها عليه إذ كانت من عقائل المواهب مسفرة عن خصائص المراتب وكيف لاتكون كذلك وقد صدرت عن مالك الأرض وولى البسط والقبض ومصرف الثقلين ومدبر الخافقين أدام الله سلطانه وأيد أعوانه مكنوفة بكرم رأيه وشرف اختصاصه واجتباؤه وخطبتها عناية مولانا الأمير أدام الله أيامه ونصر أعلامه وحلت من سيدى محل الايجاب والاستيجاب والاستحقاق دون الاتفاق فعرفه الله ميا من أغزر شريعة بأشرف ذريعة وأبرع فضيلة حصلها بأرفع وسيلة .

وكتب في فصل له بهنيء فيه عضد الدولة وقود له ابان توأمان: وصل كتاب
 الأمير بالبشرى التي أبت النعمة بها أن تقع مفردة وامتنعت العارفة فيها أن
 تسنح موحدة حتى تسرت منحتان في موطن وانتظمت موهبتان في قرن
 وطلع من النجيين أبي القاسم وأبي كالنجار أدام الله عزهما طالعا ملك ونجما
 سعد وشهابا عز وكوكبا مجدا فتأهلت بهما ربيع المحاسن ووطئت لها أكناف
 المكارم واستشرفت اليهما صدور الاسرة والمنابر ، وفهمته وشكرت الله تعالى
 شكر من نادى الآمال فأجابته مكبة ودعا الاماني فأجابته مصحبة وحمدته
 حمداً مكافئاً جسم ما أتاح وعظيم ما أفاد واكتنفتني من السرور ما فسح مناهج
 الغبطة وسهل موارد وسعت ماورد اتساعه شرحت صدور الأولياء بمسارها وأزعجت
 قلوب الاعداء عن مقارها وسألت الله اتمام ما أدناه من الاميرين السيدين من
 سعادة لا يبتدى إليها الاختيار علوا ولا ترتقي إليها الافكار سموا وسلطان تضيق
 البحار عن اتساعه وتنخفض الافلاك عن ارتفاعه وتبليغهما^(١) أفضل ما تقسمه السعود
 وتعلو به الجود حتى يستغرقا مع السابقين أخويهما مساعي الفضل ويشيدا قواعد
 الفخر ويرحما صروف الدهر ويغبطا أطراف الأرض وهو تعالى قريب مجيب .
 وله تهنية بتجدد رتبة : وصل كتاب الاستاذ من الحضرة البهية يشير أن
 آتسها الله وحرصها بذكر مالمقاه كرم مولانا وورقاه اليه من مراتب تشريف لاتكمل
 القرائح لاقتراحها واستدعائها ولا تنسع الخواطر لالتماسها واقتضاها فحمدت الله
 ولي الحمد والشكر وأخذت بالحظ من قوة القلب وانشراح الصدر وسأته أن يطيل
 بقاء مولانا في العز الزاهن والسلطان القاطن ويعرف الاستاذ بركة مادعه من
 شرف لا يرحل مقيم ولا يتحيف عميمه انه فعال لما يريد .

وكتب في تهنية بالسلامة من الفرق : لولا ان الله تعالى عز اسمه حماني عن
 سماع المسكروه إلا في ضمان المحبوب حتى تقدم نبأ التبشير ذكر السبب المحذور لما

(١) هذه الكلمة غير منقوطة في النسخ .

وجدت في التماسك به بصيرة ولامن ترك التهالك ذخيرة إلا أن لطف الله وعطفه
عجلا الى خبر البشرى فانتفت الزوعة قبل استقرارها وانتقلت الوحشة قبل
استمرارها فتلقيت جميل صنع الله بالحمد لله رب العالمين أفضل ما قابلت به النعم
وشكرت الرغائب والقسم .

وللبحتري تهنئة للمتوكل ببلوغ المعتر يقول فيها :

يا كاليء الاسلام في عفلاته ومقيم نهجي حجه وجهاده
يهنيك في المعتر بشري بينت فينا فضيلة هديه ورشاده
قد أدرك الحلم الذي أبدى لنا عن حلمه ووقاره وسداده
ومبارك ميلاد ملكك مخبر بقريب عهد كان من ميلاده
تمت لنا النعماء فيك ممتعا ^(١) بعلو همته وورى زواده
وبقيت حتى تستضيء برأيه وترى الكهول الشيب من أولاده
وقلت في تهنئة بمولود :

قد زادني عدد الكرام كريم محض صريح في الكرام ضميم
على المحلة لا يزال كأنه للز قرن والسماك نديم
فلا أمره التميم ^(٢) كيف تصرفت حالاته ولشأنه التفخيم
فابشر فقد وافاك يوم رزقه حظ بتخليد السرور زعيم
فرع تكفل دهره بنائه حتى يكر الدهر وهو أروم
إن الهلال يصير مدة كاملاً وهمد سد الليل وهو بهيم
وهو الوجيه إذا تبدى وجهه وغداً إذا نزل العظيم عظيم
وجه كتنوير الرياض وتحتة خلق لمحسود الرياح وخيم
فلا هله شرف به متوطد ولديهم شرف أشم عميم
فاقرر به عيناً فان خلاله تصفو وتسلس أو يقال نسيم

(١) في ديوان البحتري « تمت لك النعماء فيه ممتعا » . (٢) في الاصل مهملة .

الينا من ايقاعك العقيد بين الوالدة - نفس الله لها في مدرك وأحسن بالبقية منها
 امتاعك - وبين فلان ما علمنا أنك فيه بين طاعة الديانة توخيها ومشقة فيها تجشمها
 وانك قد جدعت أنف الغيرة لها وأضرعت خد الحمية فيها وأسخطت نفسك
 بارضاؤها وعصيت هواك لرأيها فنحن نعزيك على فائت مرادك ونسأل الله الخيرة
 لك وان يجعلها أبداً معك فيما شئت وأتيت وتجنبت وأنتت والسلام . قال الشيخ
 أبو هلال رحمه الله تعالى جدعت أنف الغيرة من قول رسول الله ﷺ وقد رأى
 علياً وفاطمة عليهما السلام في بيت فرد عليهما الباب وقال «جدع الخلال أنف الغيرة» .
 وهنأ بعضهم بخروج اللحية وهو أبو نصر بن هبة الله : الحمد لله الذي له
 عند خلقه في الأحوال التي يتصرفون فيها والطبقات التي ينتقلون بينها والمراتب
 التي يندرجون عليها لطائف من حكمه وفوائد من نعمه توافق مصالحهم وتطابق
 حوائجهم في تصاريه نشوهم الطفولية والايفاع والشبية والاجتماع والبسوغ
 والاكتمال والانتفاء والسكال وجعل لكل واحد منهم في كل حد من الحدود
 وسنن من الاسنان قدراً من الاسر والقوة وصنعاً من اللون والصورة ومسافة في
 السعي والهمة وغاية في الطلب والبعية يكون به قوام عيشه وسداد أمره محطوطاً
 من الاضطراب بزيادة في بعض ذلك يُعطاها قبل بلوغ أدواته ممتهاها يناقص سائر
 وينافي نظائره فيفتح بالزيادة في الزوائد صورته ويظهر بالنقصان في الناقص آفته
 حتى اذا تعالى في المراتب أمد النهاية وتوافقت اليه أقسامه في الكفاية كمل الله
 احسانه اليه وأتم إنعامه عليه والله المنة والفضل وبه القوة والحول ، الحمد لله الذي
 كساك باللحية حلة الوقار ورداك بها رداء الابرار وصانك عن ميسم الصبا ومطامع
 أهل الهوى ماجلك من الهيبة البهية وألبسك من لباس ذوى اللب والروية وألحقك
 في متصرفاتك بمن يستقل بنفسه ساعياً ويستغنى عن بصحبه حافظاً وجعلك بما جعل
 من صورتك وكل من اداتك وآلتك قرناً لمن جاذبك وخصماً لمن نازعك ونفى
 عنك ذلة الاحتقار من أهل المراتب والايخطار تستوى معهم في المجالس الحافلة

الينا من ايقاعك العقد بين الوالدة - نفس الله لها في مدتك وأحسن بالبقية منها
 امتاعك - وبين فلان ما علمنا أنك فيه بين طاعة الديانة توخيها ومشقة فيها تجسمتها
 وانك قد جدعت أنف الغيرة لها وأضرعت خد الحمية فيها وأسخطت نفسك
 براضائها وعصيت هواك لرأيها فنحن نعزيك على فائت مرادك ونسأل الله الخيرة
 لك وان يجعلها أبداً معك فيما شئت وأتيت وتجنبت وأنت والسلام . قال الشيخ
 أبو هلال رحمه الله تعالى جدعت أنف الغيرة من قول رسول الله ﷺ وقد رأى
 علياً وفاطمة عليهما السلام في بيت فردهما الباب وقال «جدع الخلال أنف الغيرة» .
 وهنأ بعضهم بخروج اللحية وهو أبو نصر بن هبة الله : الحمد لله الذي له
 عند خلقه في الأحوال التي يتصرفون فيها والطبقات التي ينتقلون بينها والمراتب
 التي يندرجون عليها لطائف من حكمه وفوائد من نعمه توافق مصالحهم وتطابق
 حوائجهم في تصاريف نشوئهم الطفولية والايفاع والشبيبة والاجتماع والبلوغ
 والاكتمال والانتهاء والسكال وجعل لكل واحد منهم في كل حد من الحدود
 وسنن من الاستنان قدراً من الاسر والقوة وصنعاً من اللون والصورة ومسافة في
 السعي والهمة وغاية في الطلب والبغية يكون به قوام عيشه وسداد أمره محطوطاً
 من الاضطراب بزيادة في بعض ذلك يُعطاها قبل بلوغ أدواتها يناقض سائر
 ويناقض نظائر فيفتح بالزيادة في الزوائد صورته ويظهر بالنقصان في الناقص آفته
 حتى اذا تعالى في المراتب أمد النهاية وتوافقت اليه أقسامه في الكفاية كمل الله
 احسانه اليه واثم إنعامه عليه والله المنة والفضل وبه القوة والحول ، الحمد لله الذي
 كساك باللحية حلة الوقار ورداك بها رداء الابرار وصانك عن ميسم الصبا ومطامع
 أهل الهوى ماجلك من الهيبة البهية وألبسك من لباس ذوى اللب والروية وألحقك
 في متصرفاتك بمن يستقل بنفسه ساعياً ويستغنى عن بصحبه حافظاً وجعلك بما جعل
 من صورتك وكل من اداتك وآلتك قرناً لمن جاذبك وخصماً لمن نازعك ونفى
 عنك ذلة الاحتقار من أهل المراتب والاختطار تستوى معهم في المجالس الحافلة

وتجربى مجراهم في المشاهد الجامعة مسموعاً قولك إذا قلت مصفى لك إذا نطقت
 آمناً من انصراف الأبصار عنك تقرب ولادك ونبو الاستماع من حديثك لقة
 الثقة بسدادك وجارياً مجرى جلة الرجال على الحملة الى أن تكشف مخابرك بالمحنة
 وتعطى المهابة من الذاعر العادى ومن السبع الضارى إذا اتفق لكما مقام يخلو فيه
 كل واحد منك من رفق يمدده وناصر يؤيده يمسكه الاشفاق من صاحبه ويقطعه
 من مواليه اليه من ترك ابقائه فى السطوة عليه ولو كان عارياً من هذه الكسوة الشريفة
 والحلية النفيسة لسبقت اليه بالازراء الأعين وبالاتصغار القلوب والألسن وبالطمع
 أصناف الحيوان من البهيمة والانسان ثم لا يحسن من نفسه قوة على الدفع عنها ولا من
 حريمه قدرة على ما يدهاه منها وتلك نعمة من الله حباك بمنزيتها فى جمال غشاك وكمال
 أتك فليصدق بها اعترافك وشكرك وليحسن ثناؤك ونشرك قضاءً لحق الله عليك
 واستدراً للمزيد فى احسانه إليك .

وكتب الصحاب تهنة بتزوج أم وتعزية بموت أب : الأيام أطال الله بقاءك تجرى
 على أنحاء مختلفة وشعب متفرقة وأحكامها متفاوت بيننا بما يسوء ويسر وينفع ويضر وبلغنى
 من نفوذ قضاء الله فى شيخك رحمة الله تعالى ما أزعجنى وأبهم طرق السالوة دونى وان كان من
 خلفك غير خارج عن رؤية الاحياء ولا حاصل فى زمرة الأموات والله بأسو كلمك
 ويسد ثملك وقد فعل ذلك بأن أتاح الله لك بعد أيبك أباً لا يقصر عنه شفقة عليك وحنواً
 وإيثاراً لك ووبراً وقد لعمرى وفقت حين وصلت بحبلك حبله وأسكنت الكبيرة حرسها
 الله ظله لئلا تنفد من الماضى عفا الله عنه إلا شخصه فالحمد لله الذى أرشدك لما يعيد الشمل
 مجتمعا بعد فراقه والعدد موفوراً بعد اتقاصه حمداً يقضى لك بالمسرة ويحسم دونك
 مواد الوحشة ويكفيك ثواب ما قضيت من الحق وتحملته فيه من الارق انه فعال لما يريد .
 وكتب تهنئة بقدم : قد جدد الله وله الحمد جمال الدنيا وضاعف بهاها
 وزادها محاسن ترفل فى حللها وتبخت فى حليها واكتنفها بميامن يمرع جنابها
 ويفتح بالخيرات أبوابها ما استأنف جل اسمه من النعمة الشاملة والمنة الكاملة فى

تقريب ركب مولانا أطال الله بقاءه وكتب أعداءه وكتب حساده وزادهم رغباً
بزيادته تعالى إياه نعماً لا يرحل مقيمها ولا يتحيف عميمها ما اختلف العصران وتعاقب
النيران واستقبل به في وفدته ما ينقاد له أقصر الاسار ويحتوى عليه أربعة غايات
الاختيار بمنه وجوده .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً لا يبلغ نداء ولا ينفصل أخراه من أولاه حتى يستغرق نعمه
ويستوفي فواضله وقسمه وأنى ذلك وهي متطرفة إلى غير غاية وممدودة إلى غير نهاية
لا يتخطى إلى شكر بعضها إلا بتجدد أمثاله من جملتها وترادف نظائره من جماعتها
والحمد لله الذى أعطى كثيراً وقبل من الشكر قليلاً وأوجب به مزيداً والصلاة
على نبيه محمد وآله وسلم كثيراً وهو حسبنا ونعم الوكيل .

﴿ كتاب المبالغة ﴾

فى أوصاف خصال الانسان المحموده من الجود والشجاعة والعلم والحلم
والحزم والعقل وما يجرى مع ذلك وهو :

﴿ الباب الثانى من كتاب ديوان المعانى ﴾

سمعت الشيوخ رحمهم الله تعالى يقولون أجود بيت قاتنه العرب قول مسلم
ابن الوليد ^(١) :

(١) هو الملقب بصريع الغواني، تأدب فى الكوفة وعظم شأنه فى الشعر، مات بمرجان .

يَجُودُ بِالنَّفْسِ إِنْ صَنَّ الْجُودَ بِهَا وَالْجُودُ بِالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الْجُودِ
وَأَوَّلُ مَنْ جَاءَ بِهَذَا الْمَعْنَى عَلْقَمَةُ بْنُ عَبْدِ: (١)

تَجُودُ بِالنَّفْسِ لِإِيْجَادِ بِمِثْلِهَا فَانْتَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامِ خَصِيبٌ
وهذا مثل قول يزيد بن أبي يزيد الشيباني من جاد بنفسه عند اللقاء وبماله
عند العطاء فقد جاد بنفسه كليهما . وقال اعرابي : من جاد بماله فقد جاد بنفسه
وإن لا يكن جاد بها فقد جاد بقوامها . وقال علي بن الجهم : (٢)

طَلَبْتُ هَدِيَّةً لَكَ بِأَحْتِيَالِي عَلَى مَا كَانَ مِنْ حَسِيٍّ وَنَسِيٍّ
فَلَمَّا لَمْ أَجِدْ شَيْئًا نَفْسِيًّا يَكُونُ هَدِيَّةً أَهْدَيْتُ نَفْسِي
وكتب العباس بن حرب إلى بعض الأمراء وأهدى إليه هدية : لا أعلم
بمنزلة توحشه من الأمير أعزه الله ولا توحشه مني أنا موقر من بلائه وفي الطاعة
له كيد وفي المودة له كنفه وفي الخاصة كأحد أهله وإنما أطفه من ماله وقد
بعثت إليه ما يصلح ليومه وأهديت له نفسي التي هي لبذته وخدمته . وقال أبو تمام :
ولو لم يكن في كفه غير نفسه لجاد بها فليتيق الله سائله
وقد أنكر خلف بن خليفة اهداء النفس : قدم أخ له من سفر فاقتضاه خلف
الهدية فقال أهديت نفسي فقال خلف :

أَنَا أَخٌ مِنْ غَيْبَةٍ كَانَ غَابِهَا وَكُنْتُ إِذَا مَاغَابَ أَنْشُدُهُ الرِّكْبَا
فَقُلْتُ لَهُ هَلْ جِئْتَنَا بِهَدِيَّةٍ فَقَالَ بِنَفْسِي قُلْتُ أَنْحَفُ (٣)
هِيَ النَّفْسُ لَا أَسَى عَلَيْهَا إِذَا نَأَتْ وَلَا أَتَمْنِي مَا حَيَّتْ لَهَا قُرْبَا
إِذَا هِيَ وَافَتْ مِنْ ثَمَانِينَ قَامَةً فَلَا السَّهْلَ لِقَاهَا إِلَّا آتَهُ وَلَا الرَّحْبَا

(١) هو علقة الفحل من بني تميم ، شاعر جاهلي ، كان معاصراً لأمير القيس .

(٢) كان معاصراً لأبي تمام ، نشأ بقاء وخص بالتوكل العباسي ، ثم غضب

عليه فنفاه إلى خراسان ، ورحل إلى حلب فقتل فيها . (٣) كذا في النسخ

ولعله سقط «بها التراب» أو نحوه ولم نجد لها في الأغاني ولا الخزانة .

وقالوا قول مروان بن أبي حفصة ^(١) كأنه حين يعطى المال يغنمه * أجود
من قول زهير * كأنك معطيه الذي أنت سائله * لأن الغنيمة ^(٢) حلاوة
ليست للعطية . وأجود ما قيل عندي قول أبي العتاهية ^(٣) :

لو قيلَ للعباسِ يا ابنَ محمدٍ قل «لا» وأنتَ مخلدٌ ما قالها
أخبرنا أبو أحمد عن الصولي حدثنا الحسن بن الحسين الأزدي حدثنا محمد
ابن حبيب ، وعن الصولي أيضاً عن إبراهيم ، بن المعلى عن ابن حبيب قال
قال أبو العتاهية يمدح العباس بن محمد :

لو قيلَ للعباسِ يا ابنَ محمدٍ قل «لا» وأنتَ مخلدٌ ما قالها
إن الساحةَ لم تزل معقولةً حتى حلتَ براحتيكِ عقالها
وإذا الملوكُ تسارت في بلدةٍ كانوا كواكبها وكنت هلالها
فلم يثبه فقال :

هزرتك هزةَ السيفِ المحلى فلما ان ضربتُ بك اثنتي
فهبها مدحةً ذهباً ضياعاً كذبتُ عليك فيها وافترتُ

فلما قرأ العباس الأبيات غضب وقال والله لأجهدن في حتفه قال فمر أبو
العتاهية باسحق بن العباس فقال له اسحق أنشدني شيئاً من شعرك فأنشده :
ألا أيها الطالبُ المستغيثُ بمن لا يفيدُ ولا يرُفدُ
الا تسأل الله من فضله فان عطاياه لا تنفد
إذا جئت أفضلهم للسؤال ردَّ وأحشاؤه تُرعد
كأنك من خشيةِ السؤالِ في عينه الحيةُ الاسودُ

(١) من شعراء العصر العباسي ، اشتهر بمدح المهدي ، ومعن بن زائدة ،
وهارون الرشيد ، توفي سنة ١٨١ (٢) في النسخ «الغنيمة» .
(٣) هو اسماعيل بن القاسم ، اشتهر بالشعر ومذاهب الفلاسفة ،
ويغلب على شعره الزهد .

ففرّ إلى الله من أوّهم
فإني أرى الناس قد أصلوا

وإني أرى الناس قد أبرقوا
بلؤمِ الفعّالِ وقد أَرعدوا

ثم مضى فقيل لاسحق ما هذا الشعر إلا في أيك فقال اسحق أولى له أن

عرض نفسه وأحوج أبي العتاهية إلى مثل هذا مع ملكه وقعدته . ومثل قوله

* كذبت عليك فيها وافتريت * قول علي بن جبلة وقال له أبو دلف أن

تحسن أن تمدح ولا تحسن أن تهجو فقال الهدم أيسر من البناء ثم قال :

أبو دلف كالطبل يذهب صوتهُ
وباطنهُ خلوهُ من الخير أخربُ

أبا دلف يا أ كذب الناس كلهم
سواي فإني في مديحك أ كذبُ

وأخذ البحرى قوله * كانوا كوا
كبها وكنت هالها * فقال في المتوكل :

إذا غبتَ عن أرضٍ ويمتَ غيرها
فقد غابَ عنها شمسها وهلالها

غدت بك آفاقُ البلادِ خَصبيةً
وهل تحلُ الدنيا وأنتَ ثمالها (١)

فأما قوله : كأنك من خشية السؤال
في عينه الحيسة الأسود

فمن قول بعض العرب :

من دون سيبك وجه ليل مظلم
وحفيفُ نافحة و كلب موسد

وأخوك محتملٌ عليك ضغينة
وحسيفُ قومك لا تمُّ لا يحمدُ

والضيفُ عندك مثل أسودٍ صالح
لا بل أحبهما إليك الأسود

ومن جيد ما جاء في خلاف ذلك من الحث على الانفاق ومجانبة الامسك

قول ديك الجن :

قالوا السلامُ عليكِ يا أطلال
قلتُ السلامُ على المحيلِ محال

عاج الشقى مراده دمن البلى
ومرادُ عيني قلة وحجالُ

لأناد من (٢) البراج وهي زلال
ولأطرقن البيتَ فيه غزال

ولا تتركين حليلها وبقلبه
حرقُ وحشوهُ فؤاده بكبال

(١) في الأصل «ثمارها» . (٢) في الأصل (لاغاد من) .

وليشفين^(١) حبي فم^ه وحنى يد
 ماذا الغنى والبخل مالك من غنى
 أطلق يدك فان بين يدك ما
 قد تسلم الأوكال وهي مواكل
 ورجال هذى النائبات وان رأوا
 وقلت : ماذا يسرك من مال تجمه
 ولم يكن لك مال^ه يوم تنكسبه
 تحب^ه من أجله الدنيا وتورثها
 سترته عن عيون الناس كلهم
 ان لم تبكر اليه في نوائبه
 وقد أحسن القائل :

إذا أعجبتك خصال^ه امرئ
 فليس على الجودِ والمكرمات
 هو المال ان أنت لم تخترب
 فكنه^ه تكن مثل ما يعجبك
 حجاب^ه إذا جتته^ه يعجبك
 أباح^ه لك الدهر^ه ما يخربك

وإذا كان أفضل الجود ما كان مع الحاجة على حسب ما مدح الله تعالى به الانصار
 فقال (وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) وأجود ما قيل
 قول عروة بن الورد^(٢) :

فلا تشتمني يا ابن ورد فاني
 ومن يؤثر الحق^ه الثؤوب^ه يكن به
 وقال عبد الملك بن مروان ماودت ان أحداً من العرب ولدني لإقائل
 هذه الأبيات .

(١) في الأصل (ولا يشفي) . (٢) هو شاعر جاهلي كان فارساً جواداً ، قال
 عبد الملك بن مروان : من قال أن حاتم^ه أسمع الناس فقد ظلم عروة بن الورد .

ومن جيد ما قيل في الايثار على النفس قول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر كتبه
عبيد الله بن سليمان حين ولي الوزارة :

أبي دهرنا اسعافنا في نفوسنا فأسعفنا فيمن نُحِبُّ ونسكركم
فقلت له نعماك فيهم آتمها ودَعُ أمرنا ان المهيم المقدم
وهذا غاية لانه جعل أمر الممدوح أهم له من نفسه واصلاح شأنه .

ومن جيد ما قيل في جود على قوم دون قوم قول البحتری :

سحاب عداني جوده وهو هامر وبجر خطاني فيضه وهو مغمم
ويرق اضاء الارض شرقاً ومغرباً وموضع رجلى منه أسود مظلم

ومن أجود ما قيل في كبر الهمة قول بعض العرب :

له هم لا منتهى لكبارها وهمة الصغرى أجل من الدهر
له راحة لو أن معشار جودها على البر كان البر أندى من البحر
أخذه المتنبي فقال وقصر :

تجمعت في فواده همم ملء فؤاد الزمان إحداها

وموضع التقصير فيه أن الأول جعل همته الصغرى أجل من الدهر وجعل المتنبي

احدى هممه ملء فؤاد الزمان فاذا كانت ملء فؤاده فليس بأجل منها .

ومما يذكر في وصف كبر الهمة أن سيف بن ذي يزن دخل على كسرى فتطأطأ

في طاق رفيع من طيقان قصره وجلس فدفعت اليه نخدة فجعلها على رأسه وكسرى

يرمقه فلما سأل سيف حاجته قيل له ان الملك قد رأى منك خلتين عجيبتين وضع

النخدة على رأسك وإنما أعطيتها لتجلس عليها وتطأطؤك في الطاق الرفيع فقال اما

النخدة فرأيت عليها صورة الملك فوضعتها على أكرم موضع عندي وأما تطأطئي في

الطاق الكبير فان همتي أكبر منه . فاستحسن كلامه وضم اليه جيشاً أزاح بهم

الحبشة عن بلده .

ومن بليغ ما قيل في كبر الهمة قول علي بن محمد البصري :

قلبي نظيرُ الجبلِ الصَّوبِ وهمتي أكبرُ من قلبي
 فاستخر اللهَ وخذ مُرَهَمًا وافتك بأهل الشرق والغرب
 ولا تمت ان حضرت ميتة حتى تميت السيف بالضرب

ومن المذكور في ذلك قول أبي تمام:

رأى ابن دهرٍ عرقاً في خيله أعلم منه بحدباء ابله^(١)
 قد لعبت أيدى النوى بشمله متمعاً مضطجعاً بحمله
 مُنصلاً كالسيف عند سله مولودة همته من قبله
 قد دان ذو الفضل له بفضلِه كالصاب من يذقه لا يستحله
 إلا بأن يسكن تحت ظله

وقال: همة تنطاحُ النجومُ وجدُّ ألف للحضيض فهو حضيضُ
 أبلغ ما قيل في يمن النقية^(٢) قول الأعشى:

ولو رحت في ظلمةٍ قادحاً حصاةً بنبع لا أوريت ناراً
 الحصاة مع النبع لا تورى قال فأنت من يمن نقيتك لو قدحت بهما لا أوريت
 وقال بعض الأعراب:

يذكركني سعداً دواءً بالقرى لو أشرف القومُ على أرضِ العدى
 واختلطَ الليلُ بألوانِ الحصى وأرسلوا سعداً إلى الماءِ سرى
 من غير دلو ورشاءٍ لاستقى

وهو بليغ في هذا المعنى جداً: وقلت:

ليس للعين وراء شأوه إلى العلى والمكرماتِ مطرح
 قد شح بالعرض وجاد باللهي فحوى المجد بما جاد وشح
 فاذا همُّ بأمرٍ ناله فسواء جدَّ فيه أو مزح

(١) في الأصل « أهله »

(٢) النقية: النفس، يقال فلان ميمون النقية إذا كان مبارك النفس.

وقلت : إذا ما بدت فينا عطاياهُ عقتب وكم بأدىء المزنِ غير معقب
ولما يفرره تغلب دهره فقلت لعلَّ الدهرَ لم يتقلب
ويدنو له المطلوبُ حتى كأنما كواكب ضوء الصبح في كل مطلب

أبلغ ما قيل في اهتمام الرجل بأمر أخيه قول بعضهم :

سأشكرُ عمراً إن تراخت منيتي أيادي لم تُمنن وإن هي جلت
فتى غير مفراح إذا الخيرُ مسهُ ولا مظهر الشكوى إذا النعلُ زلت
رأى خطى من حيث يُخفى مكانها فكانت قذى عينيه حتى تجلت

قوله « قذى عينيه » لا يقوم مقامه شيء في شدة الاهتمام لأن الانسان إذا
قذبت عينه صرف الهممة إلى نقدتها من غير اشتغال بشيء غيرها وهو على قوله « من
حيث يخفى مكانها » أبلغ لأنه يدل على تفقد شديد وعناية تامة .

ومما هو في هذه الطريقة قول أمية بن أبي الصلت :

إذا ليلةٌ نابتك بالشكوى لم أبت لشكواك إلا ساهراً أتململُ
كأنى أنا المطروقُ دونك بالذى طرقتَ به دونى فعينى تهمل
وقالوا أشجع بيت قالته العرب قول عباس بن مرداس السلمي^(١) :

أشدُّ على الكتبية لا أبالي أحتفى كان فيها أم سواها

قالوا أربعة من الشجعان تبين دلائل الجبن في شعر ثلاثة منهم فمن الثلاثة

عنتره^(٢) في قوله :

فاذا شربتُ فأنى مستهلكُ مالى وعرضى وافرهُ لم يكلم
وإذا صحوتُ فما أقصر عن ندى وكما علمتِ شمائلى وتسكلمي

(١) هو الشاعر الفارس كان سيدياً في قومه أدرك الجاهلية والاسلام وأسلم قبل

الفتح وكان ممن ذم الخمر في الجاهلية .

(٢) هو عنتره بن شداد العبسى من شعراء الطبقة الأولى كان حليماً على

شدة بطشه اجتمع بامرئ القيس ، وقصته المشهورة خيالية لم يعرف واضعها .

وخليل غانية تركتُ مجندلاً
 هلاً سألت الخليل بالبنة مالك
 تخبرك من شهد الواقعة أني
 ومدجج كره السكاة زاله
 سبقت يداي له بعاجل طعنة
 نبئت عمراً غير شاكر نعمتي
 ثم قال: إذ يتقون بي الاسنة لم أحم

قالوا فدل على أنه وقف ولم يقدم واعتذر بتضايق المقدم . وكان عنزة هجيناً أمه
 أمة فاستعبده أبوه ، وهذه كانت العرب عاداتها في الهجناء فكان يرعى ثم اتخذ
 سلاحاً وصنع مهراً فأغارت طيء على عبس فسبوا أهله وجيرانه فركب مهره واتبع
 القوم ثم جنبهم حتى أتى من أمامهم فما زال يطعن في أعين القوم حتى ردوا عليه
 أباه وأمهم ثم عمه وابنته عبلة ثم قال لا انصرف بأهلي وأترك جيرانى فكر عليهم فقتل
 منهم أربعين فردوا عليه جيرانه وكان يقول له أبوه وعمه كر فيقول لا يحسن العبد
 السكر وإنما يحسن الحلب والصر يقرعهم بذلك إذ كانوا قد استعبدوه فاستلحقه
 أبوه يومئذ وزوجه عمه عبلة ابنته وكان عنزة يسمى الفلحاء وكانت أمه حبشية
 تسمى زيبية وقال النبي صلى الله عليه وسلم « ما سمعتُ بأعرابي فاشتبهتُ أن أراه إلا عنزة » .

والآخر قول عمرو بن معد يكرب^(٢) في قوله :

ولقد أجمعُ رجلى بها حنرَ الموتِ وإني لغرور
 ولقد أعطفها كارهة حينَ للنفسِ من الموتِ هريز
 كل ماء لك مني خلق وبكل أنا في الروع جدير

فقال « وإني لغرور » وقال بعض أهل الأدب إنما هو « لغرور » بالقاف

(١) روى « ورشاش نافذة كلون العندم » .

(٢) هو فارس اليمن ، صاحب الغارات المشهورة .

لأن الشجاع لا يمدح نفسه بالفرار سيما باللفظ البليغ من فرور . وليس كذلك لأن قوله « كل ما ذلك منى خلق » على أنه ذكر حال فرار وحال ثبات خلال الثبات قوله « ولقد أجمع رجلى بها » والحال الأخرى حال للفرار إذا كان ذلك أحزم ولو ذكرنا حالا واحدة لم يحسن أن يقول كل ماء لك منى خلق وإنما دل على اصالته وعقله في ثباته وقت الثبات وفراره ساعة الفرار وليس الشجاعة أن يجعل الرجل نفسه على الهلكة إنما ذلك هوج والشجاعة ان يتقدم وغالب ظنه ان يظفر فاما أنه اذا علم أنه اذا أقدم هلك ثم أقدم فان ذلك جنون لأن كل أحد يقدر أن يقدم على الهلكة فيهاك وإنما الشأن في أن يمدغب إقدامه وفي قريب من ذلك قوله :
 نجاشت إلى النفس أول مرة فردت على مكروها فاستقرت

فما جاشت نفسه إلا وجبن ، ولو وصف عمرو هذه الأشياء من نفسه قيل إنه ممن يصدق عن نفسه ، على أنه ربما كذب الكذبة الصلحاء روى لنا أبو أحمد عن العبشمي عن المبرد وعن غيره قال وقف عمرو بن معدى كرب وخالد بن الصعقب الهندي في جماعة بالكناسة يتحدثون فقال عمرو أغرنا مرة على بنى نهد فخرجوا مسترعفين بخالد بن الصعقب فحماة عليه فطعنته فأرديته ثم ملت عليه بالصمصامة فأخذت رأسه فقال خالد حلاً أبا ثور فان قتيلك هو المحدث فقال عمرو يا هذا إذا حدثت بحديث فاسمع فانما نرهب هؤلاء المعديّة . مسترعفين أى متقدمين ، وقوله حلاً أبا ثور أى قل ان شاء الله ويقال حلف ولم يتحلل أى لم يستثن .

ويروى عن العرب كذب كثير فمن ذلك ما يزعمون أنهم يرون الجن ويكلمون الغيلان والسعالى حتى زعم تأبط شرا انه طلب نكاح السعلاة في قوله :
 وادهم حبيت ^(١) حلبابه فيا جارتا أنت مأهولا
 فطالبتها بضعها فانثنت بوجه تهول واستغولا

(١) في النسخ زيادة (قد) قبل (حبيت) .

وكنت إذا ما هممتُ اعترمتُ وأخرى إذا قلتُ أن أفعلًا
وقال آخر :

أخو قفراتِ حالفَ الجنَّ وانتهى من الانسِ حتى ماتتقت رَسائله
له نسبُ الانسى يعرفُ نخله وللجنِّ منسُهُ خلقه وشائله
وقال عميد بن أيوب :

فله درُّ الغولِ أي رفيقه لصاحب قفرٍ خائفٍ متقفر
وكان كثير من شعرائهم يدعى أن له شيطانًا يعلمه الشعر منهم الفرزدق كان
يكنى شيطانه أبا لبيني وذكر أنه ذهب الى جبل فناداه فجاء مثل الذباب فدخل
في حلقه فقال قصيدته التي أولها * عزفت بأعشاش وما كنت تعزف *
وقال أبو النجم :

وجدت كلَّ شاعرٍ من البشر شيطانه اني وشيطاني ذكر
وزعموا أن عروة بن عتبة صرخ بقومه فأسمعهم من مسيرة ليلة . ورووا أن
لقمان بن عاد لما ضعف بصره كان يفصل بين أثر الذكر والانتى والذر اذا دب
على الصفا في الليلة الظلماء .

وقال رجل لأبي حنيفة ما كذبت قط قال هذه كذبة أشهد بها عليك .
وسأل الحجاج ^(١) قاصاً عن اسم بقرة بنى اسرائيل قال حنتمة فقال له رجل
من أولاد أبي موسى الأشعري في أي كتاب وجدت هذا قال في كتاب عمرو بن
العاص . ودخل عبد الله بن الزبير يوماً على معاوية فقال اسمع أحياناً قلتها :

إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته على طرفِ الهجرانِ إن كان يعقلُ
ويركبُ حدَّ السيفِ من أن تضيئه إذ لم يكن عن شفرةِ السيفِ مزحلُ
ثم دخل معن بن أوس المزني فأنشد * لعمرِكَ ما أدري واني لا وجلُ *
حتى صار إلى البيتين فقال معاوية ما هذا يا أبا بكر فقال أنا أصلحت المعاني وهو

(١) في الأصل « الحجاج بن حنتمة » .

ألف الكلام وهو بعد ابن ظئري وما قال من شيء فهو لي وكان عبد الله بن
الزبير مسترضعاً في مزينة :

والثالث عمرو بن الاطنابة ^(١) حيث يقول :

وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي

فزعم أن نفسه جشأت وجاشت وليس ذلك إلا من الجبن .

أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد عن الرياشي حدثنا العتيبي عن أبيه قال
دخل الحارث بن نوفل بابنه على معاوية فقال ما علمت ابنك فقال القرآن والفرائض فقال
روه من فصيح الشعر فإنه يفتح العقل ويفصح المنطق ويطلق اللسان ويدل على المروءة
والشجاعة ولقد رأيت ليلة صيفين وما يحبسني إلا أبيات عمرو بن الاطنابة حيث يقول :

أبت لي عمتي وأبي بلائي وأخذى الحمد بالثمن الريح

واعطائي على المكروه مالي وضربي هامة الشيخ المشيخ

وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي

لأدفع عن ما نثر صالحات وأحمي بعد عن عرض صحيح

بذي شطب كون الملح صاف ونفس لا تفر على القبيح

قالوا والذي يدل على الشجاعة الخالصة قول العباس بن مرداس :

أشدُّ على السكتيبة لأبالي أحتفي كان فيها أو سواها

وهذا على مذهب من ذكرنا قبل هوج ، والذي يدل على أن التثبت والثبات

وسكون النفس من تمام الشجاعة قول بلقاء بن قيس :

وفارس في غمار الموت مُنغمس إذا تأنى على مكروهه صدقا

غشيته وهو في جأواء باسلة عضباً أصاب سواء الرأس فانفلقا

بضربة لم تكن منى مخالسة ولا تعجلتها جيناً ولا فرقا

فذكر أن مخالسة الضرب من الجبن . وأحسن ما قيل في التقدم في الحرب قول زهير :

ليث بعثر بصطادُ الرجالِ إذا مالميثُ كذب عن أقرانه صدقا
 يطعنهم ما رتموا حتى إذا طعنوا ضارب حتى إذا مضاربوا اعتنقا
 وصفه بالتقدم على كل حال . وقل أحد منهم لم يصف نفسه بالتأخر ، قال حصين
 ابن محام^(١) :

تأخرتُ أستبقي الحياةَ فلم أجد نفسي حياةً مثلَ أن أتقدما
 فلسنا على الاعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما
 ذكر أنه تأخر ثم رأى أن التقدم أحرز لظفر يعيش به عزيزاً أوموت بموته شريفاً .
 وأخبرنا أبو أحمد رحمه الله تعالى عن أبيه عن علي قال قال المهدي لابن داب
 أنشدني أحسن ما قيل في وصف الفتى الشجاع فأنشده للشماخ :

وأشعث قد قدَّ السفارُ قميصه بحر شواء بالعصا غير منضج
 دعوت إلى مانا بنى فأجابني كريمٌ من الفتيان غير مزج^(٢)
 فتى يملأ الشيزى^(٣) ويروى سنانه ويضرب في رأس الكمي المدجج
 فالتفت إلى عبد الله بن مالك الخزاعي وقال هذه صفتك .

وقالوا أشجع بيت قالته العرب قول كعب بن مالك :
 نصلُ السيفِ إذا قصرن بخطونا قدماً ونلحقها إذا لم تلحق
 ورأى بعض العرب سيقاً فقال ما أجوده لولا قصر فيه فقال صاحبه نصله
 بخطوة فقال الرجل تلك الخطوة أشد من مشيتي إلى الصين .
 وأبلغ ما قيل في سعة الخطو في الحرب قول أبي تمام :

خطو ترى الصارمَ الهنديَّ منتصراً به من المارنِ الخطيَّ منتصفاً

(١) هو ابن ربيعة سيد بني سهم بن مرة من قيس وكان يقال له مانع الضيم ،
 يعد من أوفياء العرب ومن الشعراء المقلين ، ونقل في الأغاني أنه ادرك الاسلام .
 (٢) مزج كعظم : الناقص والدون من كل شيء . (٣) الشيزى بالكسر
 خشب أسود للقصاص أو هو الأبنوس .

يقول لسعة الخطو ينتصف صاحب السيف من صاحب الرمح .
وقالوا أشجع ما قيل قول الشاعر :

أقولُ لنفسي لا يجادُ بمثلها أقلى شكوكاً إنني غيرُ مدبر

وأجود ما قيل في صدق اللقاء مع قلة العدد قول أبي تمام :

قلوا ولكنهم طابوا فأنجدهم جيشٌ من الصبر لا يُحصى له عددُ
إذا رأوا للمنايا عارضاً لبسوا من اليقينِ دُروعاً مالها زردُ
ناءً عن المصريحِ الأدنى فليس لهم إلا السيوفُ على أعدائهم مدد

وأجود ما قيل في وصف القتى الشجاع وصاحب الحرب من شعر المحدثين

قول مسلم بن الوليد في يزيد بن يزيد الشيباني :

لولا يزيد لأضحى الملكُ مضطرباً أو مائلَ الرأسِ أومسترخى الطولِ
حاط الخليفةَ سيفٌ من بنى مطر أقام قائمهُ من كلفِ ذا ميل
سدَّ الثغورَ يزيدَ بعد ما انفرجت بقائمِ السيفِ لا بالختلِ والحيل
موفٍ على مهجٍ في يوم ذى رهجٍ كأنه أجلُّ يسعى إلى أمل
ينالُ بالرفقِ ما يعيا الرجالُ به كالموتِ مستعجلاً يأتي على مهل
يكسو السيوفَ نفوساً^(١) الناكثين به ويجعلُ الهام^(٢) تيجان القنا الذبل
يغدو فتغدو المنايا في أسنته شوارعاً تتحدى الناسَ بالأجل
قد عودَ الطيرِ عاداتٍ وثقنَ بها فمن يتبعنه في كلِّ مرحّل
إذا انتضى سيفهُ كانت مسالكهُ مسالكَ الموتِ في الأبدانِ والقلل
الزائديون قومٌ في رماحهم خوفُ الخيفِ وأمنُ الخائفِ الوجل
كبيرهم لا تقومُ الراسياتُ له حلاً وطفلهم في هدى مكتهل
إسلم يزيدُ فما في الملكِ من أودٍ إذا سلمتَ ولا في الدينِ من خلل

(١) في هامش نسخة « دماء » مكان « نفوس » إشارة لنسخة فيها كذلك .

وهي موافقة لما في ديوان مسلم . (٢) في النسخ « الهامة » .

وانغر فمالك في شيبان من مثل
 الله من هاشم في أرضه جبل
 وقوله: سلّ الخليفة سيقاً من بني مطر
 كالدهر لا ينثنى عماهم به
 تظلم المال والاعداء من يده
 إذا بدا رفع الاستار عن ملك
 تمضى المنايا لما تمضى أسنته
 وله أيضاً:

يلقى المنية في أمثال عدتها
 كالليث بل مثله الليث الهصور إذا
 غنى الحديد غناء غير تغريد
 وقالوا أشجع بيت قاله محبث قول أبي تمام:

فما بلّ في مستنقع الموتِ رجله
 وقد كان فوت الموت سهلاً فردّه
 غدا غدوةً والحمد نسج ردايه
 وأخذ معنى البيت الأول من قول عوف بن قطن بقوله يوم الجمل:

لا أبتغي اللحد ولا أبتغي السكن
 من هاهنا محشر عوف بن قطن
 وأجود ما قيل في سكون الجأش في الحرب قول البحترى:

لقد كان ذاك الجأش جأش مسالم
 تسرع حتى قال من شهد الوغى
 لقاء عدا (١) أم لقاء حبايب
 وصاعقة في كفه ينكفي بها
 على أرؤس الاقران خمس سحائب

وهذا البيت أجود ما قيل في معناه جعل السيف صاعقة وأصابع الضارب
 سحائب تجود على مؤلمين بغيتها وتقتل معاوية بصاعقتها .

(١) في النسخ « أعداء » والوزن لا يستقيم بها .

(أصدق بيت قائله العرب) أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن أبي العيناء
قال قال الاصمعي أصدق بيت قائله العرب وأحكمه قول الخطيئة :

من يفعل الخيرَ لا يعدم جوازِ بهُ لا يذهبُ العرفُ بينَ الله والناس
وقال المحدث في معناه * ماضع عرف وان أوليته حبراً * وقال الافوه (١) :

والخيرُ تزادُ منه ما كفيت (٢) بهُ والشرُّ يكفيكَ منه قلما زاد
وقيل خير من الخير فاعله وخير من الذهب معطيه ، وقال عبيد الله الابرصى :

الخيرُ يبقى وان طالَ الزمانُ بهُ والشرُّ أخبثُ مأوعيتَ من زاد
وأخبرنا أبو أحمد رحمه الله تعالى أخبرنا الجوهري أخبرنا عمر بن شبة حدثنا
محمد بن عبد الله بن الزبير حدثنا سفيان بن سعيد عن عبد الملك بن عمير
قال سمعت أبا سامة بن عبد الرحمن يحدث بحديث عن أبي هريرة قال قال رسول

الله ﷺ أصدق كلمة قالتها العرب :

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلٌ وكلُّ نعيمٍ لاحالة زائلٌ

وكل أناسٍ سوفَ تدخلُ بينهم دوبيهةٌ تصفرُّ منها الأناملُ

وأخبرنا أبو أحمد رحمه الله تعالى أخبرنا الجوهري أخبرنا أبو زيد حدثنا

ابراهيم بن المنذر حدثنا محمد بن فليح عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب أن

عثمان بن مظعون كان في جوار الوليد بن المغيرة وكان لا يؤذى كما يؤذى أصحابه

يعنى من المسلمين فسأل الوليد أن ينزل من جواره فبرىء منه فلما جلس مع القوم

ولبيد ينشدهم * ألا كل شيء ما خلا الله باطل * فقال عثمان صدقت ثم أنشد

لبيد رأس البيت * وكل نعيم لاحالة زائل * فقال عثمان كذبت فأسكت القوم

ولم يدروا ما أراد ثم أعاد ثانية فصدقه عثمان وكذبه لأن نعيم الآخرة لا يزول فقال

لبيد ما هكذا كانت مجالسكم فنزا رجل من قريش فلطم عين عثمان فأحضرت فقال

(١) هو صلاة بن عمرو الاودى أحد نخول شعراء الجاهلية وحكائها

وسادتها وقرساتها . (٢) وفي رواية « لقيت » .

له الوليد كنت في ذمة منيعة ففرجت منها وكنت عن الذي لقيت عينك غنيا
 فقال بل كنت الى الذي لقيت فقيراً وعيني التي لم تلطم الى مثل ما لقيت صاحبها
 فقيرة فقال ان شئت أنجزتك ثانية فقال لأربلى في جوارك ، وأول هذه القصيدة :

ألا تسألان المرء ماذا يُحاولُ انحبُ فيقضى أم ضلالٌ وباطلُ
 حبائلُهُ مبشوءةٌ بسبيله ويفنى إذا ماخطأتهُ الحبائلُ
 إذا المرءُ أسرى ليلةً ظنَّ أنه قضى عملاً والمرءُ ما عاشَ حاملُ

وأجود من هذا سبكاً ورصفاً قول الصلتان :

نُروحُ ونغدو لحاجتنا وحاجةُ من عاش لا تنقضى

وأخبرنا أبو أحمد عن رحالة قال قيل لرجل سماه أنشدنا أصدق بيت قالته

العرب قال الناس يقولون ◦ كل امرئ في شأنه ساعى ◦ وأنا أقول :

كأن مُقللاً حين يغدو لحاجةٍ الى كلٍّ من يلقى من الناس مذنبُ

وأصدق بيت قاله محدث قول البحترى :

نصليكَ في الأكرامتين فانما يسودُ الفتي من حيثُ يسخو ويشجع
 زرعتُ رجاءً في ذراكٍ مُبكراً وجلُّ حصادِ المرءِ من حيثُ يزرعُ

أجود ما قيل في القناعة قول الشاعر :

إذا سدَّ بابُ عنك من دونِ حاجةٍ فدعها لأخرى لينَّ لك بأبها
 وإن قرابَ البطنِ يُغنيك ملؤه ويكفيك سواتِ الأمورِ اجتنابها

أخذه ابن الرومي فقال وأحسن :

إذا ماشئت أن تعرفَ يوماً كذبَ الشهوه

فكل ماشئت يُغنيك عن العذبةِ والحلوه

وطامن شئت يُغنيك عن الخناء في الذروه

فكم أنساك ماتوها هُنيلُ الشيءِ لم تهوه

وقال ابن هرمة :

إذا مطمَعٌ يوماً غزاني غزوتهُ
 كتائب ناسٍ كرهاً واطرادها
 أمصَّ ثمادى والمياه كثيرة
 أعالج منها حضرها واكتدادها
 وأرضى بها من بحر آخر أنه
 هو الرأى أن ترضى النفوس ثادها
 وأبرع بيت قيل من قديم الشعر قول أبي ذؤيب :

والنفسُ رغبةٌ إذا رغبتها
 وإذا تردُّ إلى قليلٍ تقنع
 وقد أحسن أبو العتاهية في قوله :

أنت محتاجٌ فقيرٌ أبداً
 دون ما ترضى بأدنى ما لديك
 وذمَّ بعضهم القناعة فقال هي خلق البهيمة ، معناه أنها إذا وجدت أكلت
 وإن لم تجد باتت على الخسف ليس لها محالة دون الانطواء على الجوع ولا نكير
 دون الاقرار بالهزل كما قيل :

ولا يقيم على ضيمٍ يُرادُ به
 إلا الأذلَّان غير الحى والوتدُ
 هذا على الخسفِ مربوطٌ برمته
 وإذا يُشجُّ فلا يرثى له أحدُ

وإلى هذا المذهب ذهب على بن محمد في قوله :

إذا اللثيمُ مطَّ حاجبيه
 وذادَ عن حريمِ درهميه
 فتركَ عنانَ البخلِ في يديه
 وقم إلى السيفِ ^(١) وشفرتيه
 واستنزلَ الرزقَ بمضريبه
 إن قعدَ الدهرُ فقم إليه
 وقلت : سأستعطفُ الأيامَ حتى تردَّنى
 إلى جانبِ منها يلينُ ويسهلُ ^(٢)
 وأقنعُ لا أن القناعة لي هوى
 ولكنَّ صونَ العرضِ بالحرِّ أجل
 وقال ديك الجن :

لا تقم للزمانِ في منزلِ الضيمِ
 ولا ترتبطك رقةٌ حالٍ
 وإذا خفتَ أن يراهقك العدْمُ
 فعدْ بالمتقناتِ العوالى
 وأهن نفسك الكريمةَ للموتِ
 وقحم بها على الأهوالِ

(١) في الأصل « وقم بالسيف » . (٢) في الأصل « تلين وتسهل » .

فلعمري للموت أجمل بالحر من العيش ضارعا للرجال
 أى ماء يجول في وجهك بالحر إذا ما امتهنته بالسؤال
 ثم لا سيما وقد عصفت الدهر بأهل الندى وأهل النوال
 فقليل من الورى من تراه يُرتجى أن يصون عرضا بمال
 وفي المعنى الأول ما أنشدنا أبو أحمد رحمه الله تعالى أنشدنا أبو بكر بن
 دريد أنشدني أحمد بن المعدل^(١) لأخيه عبد الصمد^(٢) :

رأت عدى فاستراحت رحلى سبيلك إن سواها سبيلي
 يرجى اليسار لها بالقول لعل المنية قبل القبول
 لعمري التي وعدتك الثراء بجدوى الصديق وبر الخليل
 لقد قذفت بك صعب المرام واستجملت لك غير الجميل
 ساقى العفاف وأغنى الكفـال فليس غنى النفس جود الجزيل
 ولا أتصدى لشكر الجواد ولا استعد لدم البخيل
 وأعلم أن بنات الرجاء تحل العزيب محل الذليل
 وأن ليس مستغنيا بالكثير من ليس مستغنيا بالقليل
 قال أبو أحمد لو كان شعر عبد الصمد كله هكذا رأيتني في الشعر. وقال البصير :

قلت لأهلى وراموا أن أميرهم بماء وجهى فلم أفلح ولم أكد
 لا تجمعوا إن تهينوني وأكرمكم ولا تمدوا إلى نيل اللئام يدي
 تبلغوا وادفعوا الحاجات ما ندفعت ولا يكن همكم في يومكم لفسد
 فرب ملتبس مالميس يدركه ومدرك مآمنى غير مجتهد
 أبلغ ما قيل في مساعدة الرجل أخاه وأجوده قول دريد بن الصمة وقد أغار
 هو وأخوه عبد الله على نعم لقيس فاستاقوها فلما كانوا ببعض الطريق نزل عبد الله
 ليريح ويستريح ويقسم المال بين أصحابه فتهاه دريد فبينما هما كذلك رأوا غيرة

(١) في الأصل «ابن المعتزل». (٢) من شعراء العصر العباسي نشأ في البصرة.

فقالوا الرقيبهم ماترى قال خيلاً كالعقبان عليها فولرس كالصبيان فقال فزاره ولا
 بأس ثم رأوا غبرة أخرى فقالوا له ماترى قال خيلاً كأن قوائمها تنقلع من صخر قال
 تلك عبس والموت فلما خالطوهم قتل عبد الله فقال دريد :

أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد
 فلما عصوني كنت منهم وقد أرى غوايتهم أنى ^(١) بهم غير مهتدى
 وما أنا إلا من غزية أن غوت غويت وان ترشد غزية أرشد
 وأسر دريد ثم نجا فغزاهم من قابل فقتل قاتل أخيه . ووجه المبالغة فى هذا
 الكلام أنه أخبر بموافقة أخيه على علمه بأنها غى وترك مخالفته مع معرفته أنها رشد
 كراهة الخروج من هواه وترك مطابقتة على رضاه . وقريب منه قول عمر بن أبى
 ربيعة وروى لغيره :

وذى ودّ أملت إليه نصحاً وكان لما أشيرُ به سميماً
 أطافَ بغيه ونهيتُ عنها وقلتُ تجنبِ الأمرِ الفظيماً
 أردتُ رشادَهُ جهدى فلما عصى وأبى ركبناها جميعاً
 وأنشدنا أبو أحمد عن الصولى عن الحسن بن محمد المهري عن التوزى :
 تنخلتُ آرائى وسقتُ نصيحتى إلى غير طلقٍ للنصيح ولا هشٍ
 فلما أبى نصحى سلكتُ سبيله وأوسعته من زور قول ومن غشٍ
 وقال آخر :

ألم تعلم يا ابنى رجاجة أنى أغش إذا ما للنصح لم يُقبل
 ومن جيد ما قيل فى النصيحة قول مخيس بن أرطاة :
 عرضتُ نصيحةً منى ليحيى فقال غششتنى والنصح مره
 ومابى أن أكون أعيب يحيى ويحيى طاهرُ الاخلاق بره
 ولكن قد أنانى أن يحيى يُقالُ عليه فى نقعاء شره

(١) فى النسخ « أو أنى غير » .

فقلتُ له تجنبُ كلَّ شيءٍ يُقالُ عليكُ إنَّ الحرَّ حرُّ
ومثل ما تقدم قول الشاعر أنشدناه أبو أحمد عن جماعة :

إنَّ أبا الصدقِ الذي ابنُ يخذعكُ ومن يضرُّ نفسهُ لينفعكُ
ومن إذا صرفَ زمانَ صدعكُ شتتَ شملَ نفسه ليجمعكُ

وان غدوتَ ظالماً غدا معك

فسرَّوه يكفكُ عن الظلمِ ، وليس كذلك لأنَّ معنى الأبيات لا يقتضيه وإنما
أراد أنه يعاونك على الظلم على حسب ما قال عمر بن أبي ربيعة « ركبناها جميعاً »
وقال ابن ميارة في النصيحة :

نصحتك يارباحُ بأمرِ حزمٍ فقلتُ هشيمةً من أهل نجد
نهيتك عن رجالٍ من قريشٍ على محبوبك الأصابِ جرد
ووجدتُ ما وجدتُ على زباحٍ وما أغنيت شيئاً غيرِ وجدي
وقال العباس بن جرير :

إرعَ الاخاءَ أبا محمد الذي يصفو وصنهُ
وإذا رأيتَ منافساً في نيلِ مكرمةٍ فكفهُ
إنَّ الصديقَ هو الذي يراك حينَ تغيبُ عنه
وإذا كشفتَ غطاءَهُ أهدتَ ما كشفتَ عنهُ
مثل الحسامِ إذا اتضاهُ أخو الحفيظةِ لم يخنه
يسعى لما تسعى له كرماءً وإن لم تستعنه
ومن أبلغ ما قيل في ارضاء الرجل عن أخيه قول الراجز :

لم أقضِ من مصيبةِ زيدٍ أربي فتى إذا نهته لم يَغضبِ
أبيضُ بسامٍ وإن لم يعجبِ ولا يرضن بالمتاع المحتبِ
موكل النفسِ بحفظِ الغيبِ أقصى رفيقين له كالأقربِ

وهذا خلاف ما قيل * من غاب غاب نصيبه * وقلت في قريب منه :

بذلت من شكرى ما لم يبذل لم أجد أجمل إذ لم أجمل
يحمل من ثقلى ما لم يحمل فمز في عيني حين ذل لي
إن جمال الحر في التجمل وقد يكون العز في التذلل

والمجد شهد يجتنى من حنظل

ومن قديم ما جاء في هذا النحو قول أوس :

وليس أخوك الدائم العهد بالذى يلوئك إن ولى ويرضيك مُقبلاً
ولكنه النائي إذا كنت آمناً وصاحبك الأدنى إذا الأمرُ أعضلاً
أبلغ ما قيل في التانى وأجوده وأشدّه اختصاراً ما أنشدناه أبو أحمد للمرار الفقعسى :

تقطع بالتزول الأرض عنا وبعد الأرض يقطعه النزول
وهذا مأخوذ من قول النبي ﷺ « ألا إن هذا الدين مَتِينٌ فَأَوْغِلْ فِيهِ
يَرْفِقِ فَإِنَّ الْمُنْتَبِتَ لَا أَرْضاً قَطَعَ وَلَا ظَهراً أَبْقَى » وتقول العرب شر السير
الحققة ، وهى شدة السير . وقلت في نحو قول المرار :

وحطّ بها كوار خوص لو اغب يقلل ! كثار الذميل ذميلها
نغض عبرة حلّ الفراق عقالها وأقلق هجران الحبيب مقيلها
فلا غرو إن فاضت ذموع متيم على الدار يسقى ظهن طولها
ومن المشهور في التانى قول القطامي :

قد يدرك التانى بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

وقال غيره :

ومستعجل والمكث أدنى لرشده ولم يدر ما يلقاه حين يبادر

وقيل لبعض العلماء لم لم يقل « كل حاجته » فيكون أبلغ قال ليس « كل » من كلام
الشعر ، وقد صدق ولو قال كل حاجته لكان متكلفاً مردوداً وكثيراً ما يقع « كل » في
الشعر قلق المكان كوقوعه في بيت ابن طباطبا :

في الأئمة دعى أعلى بقيمتي فقيمة كل الناس ما يحسنونه

ولا أعرف أن «كلا» وقع في بيت أحسن منه في بيت أبي العتاهية :

أعلمت عُتْبَةً أنى منها على أجل مطل

وشكوت ما ألقى اليها والمدام تستهل

حتى إذا برمت بما أشكوكا يشكو الأذل

قالت فأى الناس تعرف ما تقول فقلت كل

ومن الذى يهوى فلا يزهى عليه ولا يذل

وقد أصاب القائل في صفة العقل :

وجدت العقل نوعين فطبع مسموع

ولا ينفع مسموع إذا لم يك مطبوع

أجود ما قيل في الاختيار قول ابن المعدل أظنه :

إذا لم تقدحى زنديك يوماً فما يدريك أيهما الوري

وأول الأبيات :

رأنا أم عمرو فازدرتنا ونقض الحرب منظره زرى

إذا لم تقدحى زنديك يوماً فما يدريك أيهما الوري

سلى بي تخبرى أنى طروب الى الايسار أبلغ بختري

وانى حين تختلف^(١) العوالى الى الابطال أكيس قسورى

كلبنى للندى والبأس انى بكل بسالة وندى حرى

ومثله قول الآخر :

زنى القوم حتى تعرفى عند وزنهم اذا رُفِعَ الميزان كيف أميل

وقال النبي ﷺ (أخبر ثقله) معناه اختر من شئت تجد دون ما تظنه فيه

وتطلع على ما تكره منه فتبغضه ، وليس في جميع ما قيل في هذا المعنى أبلغ منه

ولا أوجز وقد شرحه ابن الرومي فقال :

دعني الى فضل معروفكم وجوه مناظرها معجبه
 فأخلقتم ما توسمته وقل حميد على التجربه
 وملمعة خلتها روضة فألفيتها دمنة معشبه
 ظلمتكم لا تطيب الفروع إلا وأعراقها طيبه
 وكنت حسبت فلما حسبت عني على الحساب مع المحسبه
 فهل تعذروني كعذريكم بأن أصولكم المذنبه
 جزيت موازينكم بالسواء وعذر بعذر فلا معتبته

وقد قال الناس : الطمانينة قبل التجربة حق ، والمثل السائر * لا تحمدنَّ امرأً
 حتى تجربه * سمعت عم أبي يقول ما سمعنا في الشكر أوجز من قول يحيى بن خالد
 * الشكر كفؤ النعمة * ولا أطرف من قول البحترى * الشكر نسيم النعمة *
 وأنا أقول لم يسمع أجمع في الشكر من قول ابراهيم بن العباس : أخبرنا به أبو أحمد
 عن الصولي عن أحمد بن اسماعيل قال قال ابراهيم بن العباس : الشكر داعية المزيدي
 وقيمة العارفة ورباط النعمة ولسان المعطفة . وأبلغ ما قيل في الشكر من الشعر
 قول يحيى بن زياد الحارثي أنشدناه أبو أحمد عن الصولي :

حلفت برب العيس تهوى بركبها الى حريم ما عنه للركب معدل
 لما بلغ الانعام في الفضل غاية تفضل إلا غاية الشكر أفضل
 ولا بلغت أيدي المنيلين بسطة من الطول إلا بسطة الشكر أطول
 ولا ثقلت في الوزن أعباء منة على المرء إلا منة الشكر أثقل
 فن شكر المعروف يوماً فقد آتى أخا العرف من جنس^(١) المكافاة من عل
 وقال الآخر : فعلت خيراً كثيراً وأنت أكثر منه
 ونحن أكثر منه لشكرنا لك عنه

وأجود ما قيل في عظم النعمة وقصور الشكر من قديم الشعر قول طريح بن اسماعيل :

سميتُ ابتغاءَ الشكرِ فيما صنعتُ بي
قوله وإني لشاكرٌ مع قوله مغلوباً بحسن الموقع ، وهو مأخوذ من قول الآخر :

فراق حبيب لم يبين وهو بائنٌ

لأنك توليني الجميلَ بداهةً

فأرجعُ مغبوطاً وترجعُ بالتي

وقول الآخر :

ولو أن لي في كلِّ منبتِ شعرةٍ

وقول دعبل :

هجرْتُك لاعتن جفوةً وملاحةً

ولكنني لما أتيتك راغباً

فسلانٌ ^(١) لا آتيك إلا معذراً

فان زدتَ في برى تزايدتْ جفوةً

وقول أبي نواس :

قد قلتُ للعباسِ مُعذراً

أنتَ امرؤٌ قلدتني نعماً

لانسدينَ إلى عارِفةً

وهو أول من أتى بهذا المعنى إلا أنه عبر عنه عبارة طويلة ، وأحد أدواء

الكلام فضل ألفاظه على معانيه . وقال البحترى :

ها تيك أخلاقُ اسماعيل في تعب من العلاء والعلاء منهم في تعب

أدأبتُ شكري فأمسى منك في نصب أقصر فمالي في جدواك من أرب

لا أقبلُ الدهرَ نيلاً لا يقومُ لهُ شكري ولو كان مسديه إلى أبي

لما سألتك وإفاني نذاك على أضعاف شكري فلم أظفر ولم أخب

(١) أصله « من الآن » . (٢) في الأصل « نكتني »

وقلت في معناه :

تقاصرَ عن نداءه باعُ شكري
وآسى أن تطولَ يداي منه
كأن ندى يديه عناقُ بين
لهجتُ بذكره لا بينَ عنه
حناني ثقله ولو أنَّ قوساً
تلقى منكبي لما حناني
فها أنا منه مفتقرٌ وغاف
وقلي فيه منطلقٌ وعان

وقال البحتري :

إني هجرتك إذ هجرتك وحشة
أخجلتني بندي يديك فسودت
وقطعتني بالجودِ حتى أنبي
صلةً غدت في الناس وهي قطيعة
ليواصلنك ركبُ شعرٍ سائر
حتى يتم لك الثناء مخلداً
فنظلتُ تحسدك الملوكُ الصيدي

لا العودُ يذهبها ولا الأبداءُ
ما بيننا تلك اليدُ البيضاء
متخوفٌ أن لا يكون لقاء
عجباً وبرُّ راحٍ وهو جفاء
برويه فيك لحسنه الأعداء
أبداً كما تمت لك النعماء
وأظل تحسدني بك الشعراء

وقد أحسن ثمامة فيما كتب إلى بعضهم : قد حيرني سوء رأيك في فما أهتدي

لطلب الاعتذار وأنت مولى نعمة أنا عبد شكرها فلا تفضمني من حسن رأيك

فأضوى ولا نسقطني عن حيطتك فأثوى . وقریب من المعنى الأول قول البحتري :

من معيني منكم على ابن فرات
كلما قلت أطلق الشكرُ رقي
ومكافاة ما أنالَ واسدي
رجعتني له أياديهِ عبداً

سمعت عم أبي يقول ما سمعنا بالرضا بالقسمة والشكر أحسن من قول صالح بن

مسار : ما أدري الغمة الله فيما بسط على أفضل أم نعمته فيما زوى عني فجعل ما منعه

نعمة والناس يجعلونه محنة ونقمة . وكتب بعضهم في المعنى الأول : أنا وإن كنت

ذافاقة إلى طولك فليست لى طلاقة بما حملتنيه من برك وما أجد لنفسى معقلا ولا
أعرف لها متعللا إلا فى الاقتداء بمن عجز عن شكر ما أولى فخير نقيصته بالاعتراف
والتقصير واعتمد من شكره على تصريف المعاذير . وكتب إلى بعض الأصدقاء
وصل كتابك مقرونا بالتوقيع فى معنى المعيشة فأعاد الأمل جديداً والجد سعيدا
والهمة سامية تمسح وجه النجم وتقبل عارض الشمس وتمسك بعنان البدر فأذن
بعمارة الجاه وتكفل برفع القدر وضمن أعلواء الأولياء وكبت الحساد وكب
الأعداء إلى غير ذلك من أنس أورده وسرور جدده ووحشة صرفها وكربة
كشفها ، وفهمته وتأملت التوقيع فتصور لى الغناء بصورته وقابلنى بصدق مخيلته
وعرفت أن الدهر قد غضت جفونه ونامت عيونه وتنحت عن ساحتى خطوته
وهذه نعم أعيا بذكرها فكيف أطعم فى أداء شكرها بل عسى أن يكون الاعتراف
بقصور الشكر عنها شكراً لها ومقابلة لما خلص الى منها وأنا معترف بذلك
اعتراف الروض بمقوق الأنواء إذا تحلى بيواقيت الأنوار والآلى الأنداء .
وجعل جعفر بن يحيى البرمكى الشكر باظهار حسن الحال أبلغ من الشكر
بالقول . أخبرنا أبو أحمد أخبرنا المبرمان أخبرنا أبو جعفر بن القتيبي عن القتيبي قال
أراد جعفر بن يحيى حاجة كان طريقه إليها على باب الأصمعى فدفع إلى خادم له
كيساً فيه ألف دينار وقال انى سأنزل فى رجعتى الى الاصمعى ثم سيحدثنى ويضحكنى
فاذا ضحكك فضع الكيس بين يديه فلما رجع ودخل عليه فرأى حُجباً مكسور
الرأس وجرة مكسورة العنق وقصعة مشعبة وجفنة اعشار وراه على مصلى بال
وعليه بركان أجرد فغمز غلامه أن لا يضع الكيس بين يديه فلم يدع الأصمعى
شيئاً مما يضحك الشكلاان والغضبان إلا أورده عليه فما تبسم ثم خرج فقال لرجل
يساره من استرعى الذئب ظم ومن زرع سبخة حصد الفقر إنى والله لما علمت
أن هذا يكتم المعروف بالفعل ما حلفت بنشره له باللسان وأين يقع مديح اللسان
من آثار العيان ان اللسان قد يكذب والحال لا يكذب والله در نصيب حيث يقول :

فعادوا فأثمنوا بالذي أنت أهله^١ ولو سكتوا أثنت^٢ عليك الخقائب^٣
 تم قال أعلمت أن ناس أبرويز أمدح لأبرويز من شعر زهير لآكل سنان .
 قد أتى جعفر في هذا الفصل من المعاني بما لم يأت به أحد قبله وشرحه شرحاً ليس
 مثله لأحد سواه . وقالت الحكماء لسان الحال أصدق من لسان الشكوى .

وقد أجاد ابن الرومي في هذا المعنى فقال :

حال تبيع^٤ بما أوليت^٥ من حسن^٦ وكل ما تدعيه غير^٧ مردود
 كل^٨ هجاء^٩ وقتلي لا يجل^{١٠} لكم فما يداويكم^{١١} مني سوى الجود^{١٢}
 وقالوا : شهادات الأحوال أعدل من شهادات الرجال .

ومما جرى في باب الشكر وهو من أبدع ما قيل في معناه ما أنشدناه أبو أحمد قال
 أنشدنا الصولي قال أنشدنا أحمد بن اسماعيل الخطيب لنفسه :

وإني وإن أحسنت^{١٣} في القول^{١٤} مرة^{١٥} فنك^{١٦} ومن آتارك^{١٧} امتار^{١٨} هاجسي
 تعلمت^{١٩} مما قلته^{٢٠} وفعلته^{٢١} فأهديت^{٢٢} غصناً^{٢٣} من حنأ^{٢٤} لغارسي

أخذه ابن طباطبا فقال في ابن رستم الاصبهاني :

لا تنكرن^{٢٥} اهداءنا^{٢٦} لك^{٢٧} منطقاً^{٢٨} منك^{٢٩} استفدنا^{٣٠} حسنه^{٣١} ونظامه^{٣٢}
 فالله^{٣٣} جل^{٣٤} وعز^{٣٥} بشكر^{٣٦} فعل^{٣٧} من^{٣٨} يتلو^{٣٩} عليه^{٤٠} وحيه^{٤١} وكلامه^{٤٢}

وفي غير هذا المعنى يقول أبو تمام :

كم غارة^{٤٣} لك^{٤٤} في المسكارم^{٤٥} ضخمة^{٤٦} غادرت^{٤٧} فيها^{٤٨} ماملكت^{٤٩} قتيلا
 فرأيت^{٥٠} أكثر^{٥١} ما بذلت^{٥٢} من^{٥٣} اللهي^{٥٤} نزرأ^{٥٥} وأصغر^{٥٦} ما شكرت^{٥٧} جزيلا

وقد أحسن ابن الرومي :

هاجرت^{٥٨} عنك^{٥٩} الى^{٦٠} الرجا^{٦١} ل^{٦٢} فكان^{٦٣} عرفهم^{٦٤} كنفك^{٦٥}
 ورجعت^{٦٦} من^{٦٧} كتب^{٦٨} اليك^{٦٩} مفرغاً^{٧٠} نفسي^{٧١} لشرك^{٧٢}
 ولما^{٧٣} أروم^{٧٤} بما^{٧٥} أقو^{٧٦} ل^{٧٧} زيادة^{٧٨} في^{٧٩} رفع^{٨٠} ذكرك^{٨١}
 لكنه^{٨٢} حق^{٨٣} . أو فسيه^{٨٤} عدوانك^{٨٥} بعد^{٨٦} برك^{٨٧}

كم نعمة لك ملاء فكسرى لا تلاحظها بفكرك
 (أحسن ما قيل في الصبر) أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن ابن الرياشي عن
 أبيه عن الأصمعي قال قال أبو عمرو أحسن ما قيل في الصبر قول أبي خراش^(١):

تقول أراه بعد عروة لاهيا وذلك رزء لو علمت جليل
 فلا تحسبي أني تناسيت عهدهُ ولكن صبري يأميم جميل
 وبمعدهُ : ألم تعلمي ان قد تفرق قبلنا خليلا صفا مالك وعقيل

وقال الأصمعي أحسن ما قيل فيه مع الشرح قول أبي ذؤيب :

وتجدي للشامتين أريهم أني لريب الدهر لا أتضعع
 حتى كافي للحوادث مروة بصفا المشعر كل يوم تفرع
 وقوله: وإني صبرت النفس بعد ابن عنبس وقد لج من ماء الشؤون لجوج
 لأحسب جدلاً أو لينبأ شامت وللشر بعد القارعات فروج

وأجود ما قاله محدث فيه قول ابن الرومي أنشدناه أبو أحمد عن ابن المسيب

رواية ابن الرومي عن أبيه الرومي :

أرى الصبر محموداً وفيه مذاهب فكيف إذا مالم يكن عنه مذهب
 هناك يحق الصبر والصبر واجب وما كان منه كالضرورة أوجب
 فشد أمرؤ بالصبر كفاً فانه له عصمة أسبابها لا تقضب
 هو المهرب المنجي لمن أهدت به مكاره دهر ليس عنهن مهرب
 لبوس جمال الجنة من شماتة شفاء أسي يثنى به ويشوب
 فيأعجباً للشيء هذى خلاله وتارك ما فيه من الخط أعجب
 وقد يتظنى الناس ان أساهم وصبرهم فيه طباع مركب
 وانهما ليسا كشيء مصرف بصرفه ذو نكبة حين ينكب
 فان شاء أن يأتي أطاع له الأسي وان شاء صبراً جاءه الصبر يجلب

(١) هو خويلد بن مرة الشاعر الفارس المشهور بالعدو ، أسلم وعاش الى زمن عمر .

وليس كما ظنوها بل كلاهما
 يصرفه المختار منها فتارة
 إذا احتج محتج^١ على النفس لم يكند
 وساعدها الصبر الجميل فأقبلت
 وإن هو مناها الاباطيل لم تزل
 فتضحى جزوعان أصابت مصيبة
 فلا يعذرن^٢ التارك الصبر نفسه

لكل لبيب^٣ مستطاع^٤ مسبب
 يراد فيأتي أومزاد فيذهب
 على قدر مايمنى له يتعقب
 اليها له طوعاً جنائب تحب
 تقاتل^٥ بالغيب القضاء فتغلب
 وتمسى هلوغاً إذ تعذر مطلب
 بأن قيل إن الصبر لا يتكسب

ومن أجود ما قيل في ذم الحقد قول ابن الرومي :

الحقد داء^٦ دفين^٧ لا دواء له
 فاستشف منه بصفح أو معاتبه
 واجعل طلابك بالواتار ما عظمت
 ثم قال يمدحه :

وخير^٨ سجات^٩ الرجال سجية^{١٠}
 وما الحقد إلا نوأم^{١١} الشكر في الفتى
 فغيث^{١٢} ترى حقداً على ذى اساءة
 ولولا الحقد^{١٣} المستكنات^{١٤} لم يكن

توفيك ما تسدى من القرض والغرض
 وبعض^{١٥} السجايا ينتسبن إلى بعض
 فتم^{١٦} ترى شكراً على حسن القرض
 لينقض وتر^{١٧} آخر الدهر ذو نقض

وأول من مدح الحقد عبد الملك بن صالح في قوله : إن كنت تريد الحقد بقاء
 الخير والشر عندي أنهما الباقيان . وأجمع كلمة قيلت في الصبر قول بعضهم الصبر
 مظنة النصر . وقال الآخر : الصبر مطية لا تسكبو وإن عنف عليه الزمان . وسمعت
 عم أبي يقول : الصبر شرية^(١) شمراية^(٢) وقال * نفرج أيام الكريهة بالصبر *
 وقال آخر : * وهل جزع^(٣) يجدى على فأجزع * فجعل الصابر الصبر
 ضرورة لعله أن الجزع غير مجد . وقلت :

(١) الشرى : شجر الخنظل والأرى : العسل .

قالوا صبرت وما صبرت جِلادةً لكن ثقلة حيلتي أتصبرُ
وليس في الحيوان شيء أصبر من الحمار والجل وذلِكَ أنهما يحملان الحمل
الثقيل على الدبر ويبلغان به الغاية البعيدة على الحفا حتى قالت العرب «أصبر من ذى
ضاغط» وهو أن يضغط موضع الابط أصل الكركرة حتى يد ميه . ويقولون :

أصبرُ من عودٍ بجنيبه جلبُ قد أثر البطانُ فيه والحقبُ

قاله جلجلة بن قيس من أشيم فصار مثلاً ، وقال سعيد بن أبان بن عيينة بن حصن :

أصبرُ من ذى ضاغطٍ مُعَرِّكٍ ألقى يوانى صدره للمبرِّكِ

ويقولون أصبر من ضب لما هو فيه من التشف واليبس . وقالوا حيلة من

لاحيلة له الصبر . وسمعت والدى يقول لعن الله الصبر فإن مضرتَه حاجلة ومنفعته

آجلة وذلك أنك معجل بالصبر ألم القلب لتنال المنفعة في العاقبة ولعلها تفوتك

لعارض يعرض وكنت قد تهججت الضرر من غير أن تصل الى نفع . فنظمته

بعد ذلك وقلت :

الصبرُ عن تجبه صبرُ ونفعُ من لأم في الهوى ضرر

من كان دون المرادِ مُصطبراً فلستُ دون المرادِ أصطبر

منفعة الصبرِ غيرُ حاجلةٍ وربما حالَ دُونها الغير

فقم بنا نلتمس ما ربنا أقامَ أولم يقم بنا التقدر

ان لنا أنفساً تسودنا أعانهن ^(١) الزمان أو يذر

وايع من العيش ما تسرُّ به ان عذل الناس فيه أو عذروا

وقال أبو هلال أجمع كلمات سمعتها في الحلم ما سمعت عم أبي يقول الحليم

ذليل عزيز وذلك أن صورة الحليم صورة الذليل الذى لا انتصار له واحتمال السفه

والتغافل عنه في ظاهر الحال ذل وان لم يكن به . وقيل الحليم مطية الجهول لاحتمال

جهله وتركه الاتصاف منه . وقال الأوَّل :

(١) فى الاصل «اعانهن من» ولعل «من» زائدة .

وليس يتم الحلم للمرء راضياً إذا كان عند السخط لا يتعلم
 كما لا يتم الجود للمرء موسراً إذا كان عند العسر لا يتكرم
 ولهذا قال شيخ من الاعراب وقد قيل له ما الحلم قال الذي تصبر عليه وقال الشاعر :
 لن يدرك المجد أقوامٌ وان كرموا حتى يذلوا وإن عزوا لأقوام
 ويشتموا فتري الألوان مسفرةً لاصفح ذلّ ولكن صفح أحلام
 وسمعته يقول الحلم عقال الشر وذلك أن من سمع مكروهة فسكت عنها انقطع
 عنه أسبابها وان أجاب اتصلت بأمثالها . وأنشدوا في هذا المعنى :

وتخرج نفس المرء عن وقع شتمةٍ ويشتم ألفاً بعدها ثم يصبر
 ولا أعرف في الحلم معنى أحسن من معنى معاوية في قوله أنى لأرفع نفسي أن
 يكون ذنب أوره من حلمي وما غضبي على من أملك أو ما غضبي على من لا أملك .
 يريد أنى إذا كنت مالكاً للمذنب فأنى قادر على الانتقام منه فلم أزم نفسي
 الغضب وان لم أكن أملكه فليس يضره غضبي فلم أغضب عليه فأضر نفسي
 ولا أضره . وقال الشاعر في الحلم والاعضاء عن المكروه مع القدرة على التغيير :
 مفض على العوراء لو لا الحلم غيره انتصاره

وأسمع بعضهم الشعبي فقال له ان كنت صادقاً فغفر الله لي وان كنت كاذباً
 فغفر الله لك . وهذا أعجب ماجاء في هذا الباب وأحسنه . وأجود شيء قيل في الحلم
 من الشعر ما أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا ابن دريد أخبرنا أبو عثمان عن الأخفش
 قال نال رجل من الخليل بن أحمد وأسمعه فقال الخليل :

سأزوم نفسي الصفح عن كل مذنب وان كثرت منه على الجرائم
 وما الناس إلا واحد من ثلاثة شريف ومشروف ومثل مقاوم
 فأما الذي فوق فأعرف فضله وأتبع فيه الحق والحق لازم
 وأما الذي مثل فان زل أو هفا تفضلت إن الفضل بالعز حاكم
 وأما الذي دوني فان قال صنت عن إجابته عرضي وان لام لائم

قسم هذا الشاعر ثم فسّر فأحسن ولم يدع مزيداً . ومن عجيب ما روى في
الحلم ما أخبرنا به أبو أحمد عن رجّاله قال جى . قيس بن عاصم يابن له قتيلاً وابن
أخ له كتيفاً وقيل له هذا قتل ابنك فلم يقطع حديثه ولا نقض حبوته فلما فرغ من
حديثه التفت الى بعض بنيه فقال قم الى ابن عمك فاطلقه والى أخيك فادفنه والى أم
القتيل فاعطها مائة ناقة فانها غريبة لعلها أن تسلو عنه ثم اتكأ على شقه الأيسر وقال :

إني امرؤٌ لا يعترى خُلُقِي دَسَّ يَغِيرُهُ ولا أفنُ
من منقر في يدي مَكْرَمَةٍ والفرعُ يَنْبِتُ فوقهُ العِصنُ
خطباءُ حينَ يقولُ قائلهم بيضُ الوجوهِ مصاقعُ لسنُ
لا يفظنونَ لعيبِ جارهم وهمُ لحفظِ جوارهم فطنُ

ويوصف الحلم بالرزانة وأجود ما قيل في ذلك قول مروان بن أبي حفصة (١) :

ثلاثٌ بأمثالِ الجبالِ حياهمُ وأحلامهم منها لدى الوزنِ أثقلُ
وقد ذكراه . والعرب تسمى العلم حلماً قال المتلمس :

لدى الحلم قبل اليوم ما تفرع العصا وما علم الانسانُ إلا ليعلمها
ومن أشرف نعوت الانسان أن يدعى حليماً لأنه لا يدعاه حتى يكون عاقلاً
وعالماً ومصطبراً محتسباً وِعفوّاً وصاحباً ومحتملاً وكافلاً ، وهذه شرائف الاخلاق
وكرائم السجاياء والخصال . وقد خولف هؤلاء فقيل في خلاف مذهبهم هذا أنشد المبرد :

أباحسن ما أقبح الجهل بالفسى وللحلم أحياناً من الجهل أقبحُ
إذا كان حلم المرء عوناً عدوه عليه فإن الجهل أعنى وأروحُ
وقال غيره :

قليل الأذى إلا عن القرن في الوغى كثير الأيادي واسع الذرع بالفضل
ويحلم ما لم يجب الحلم ذلةً ويجهل ما شدت قوى الحلم بالجهل
وقال غيره :

(١) في النسخ «حفص» في مواضع .

ترفعت عن شتم العشيرة انى رأيت أبى قد كف عن شتمهم قبلى
 حلیم إذا ما الحلم كان جلاله وأجهل أحياناً إذا التمسوا جهلى
 وقال غيره : * إذا الحلم لم ينفعك فالجهل أحزم * وقالوا ليس شيء خيراً من
 الحق إلا العفو وذلك أن عقاب المستحق للعقاب حق والعفو خير منه ، ومن أحسن
 ما جاء فيه قول بعضهم : لو أن المسىء لى عبد لأخ لى لرأيت تفمده والصفح عنه
 إجلالاً لقدر مولاه واعظاً ما أحق صاحبه فأنا بالصفح عن عبد الله أولى .

وفي ذم العفو قول عميرة بن عقيل :

وما ينفك من سعد الينا قطوع الرحم بادية^(١) الأديم
 ونفرتها كأن لم يفعلوها وطول العفو أدرب^(٢) للظالم

أجود ما قيل فى المشهورة قول بشار أخبرنا أبو أحمد أخبرنا محمد بن يحيى حدثنا
 الغلابى حدثنا محمد بن عبد الرحمن التميمى قال دخل بشار على ابراهيم بن عبد الله
 ابن الحسن بن الحسين فأشده قصيدة يهجو فيها المنصور ويشير برأى يستعمله فى
 أمره فلما قتل ابراهيم خاف بشار فقلب الكنية وأظهر أنه قالها فى أبى مسلم ، أوها :

أبا جعفر ما كل عيش بدائم وما سالم عما قليل بسالم
 على الملك الجبار يقتحم الردى ويصرعه فى المازق المتلاحم
 كأنك لم تسمع بقتل متوج عظيم ولم تعلم بهلك الأعاجم
 تقسم كسرى رهطه بسيوفهم وأمسى أبو العباس أحلام نائم
 وقد ترد الأيام عزاً وربما وردن كلوماً باديات الكشائم
 ومروان قد دارت على نفسه الردى لاجرامه لابل قليل الجرائم
 وأصبحت تجرى سادراً فى طريقهم ولا تتقى أشباه تلك المقائم
 تجردت للإسلام تعفو رسومه وتعرى مطايا لليوث الضراغم
 فمازلت حتى استنصر الدين أهله عليك فعاذوا بالسيوف الصوارم

(١) فى النسخ غير منقوطة . (٢) لعله (آدب) .

لحى الله قوماً رأسوك عليهم
أقول لبسام عليه جلالة
من الفاطميين الدعاة إلى الهدى
سراج العين المستضىء وتارة
إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن
ولا تجعل الشورى عليك غضاصة
وما خير كفى أمسك الغل اختها
وخل الهوى بالضعيف ولا تكن
وحارب إذا لم تعط إلا ظلامة

هذا ما أورده أبو هلال العسكري وفي بعض الكتب زيادة في هذه القصيدة وهي :

فأذن على الشورى المقرب نفسه
فأنك لا تستطرد الهـم بالـمى
وما قارع الأقوام مثل مشيع
ولا تشهد الشورى امرأ غير كاتم
ولا تبلغ العليا بغير المكارم
أريب ولا جلى العمى مثل عالم

وما خير كفى - البيت . قال أبو بكر فحدثني الجمحي قال سمعت المازنى

يقول سمعت أبا عبيدة يقول ميمية بشارهذه أحب إلى من ميميتى جرير والفرزدق .

وقيل لبشار ما أحسن أبياتك فى المشورة فقال المستشار بين صواب يفوز بشمرته

أو خطأ يشارك فى مكروهه فقيل له هذا والله أحسن من شعرك . ومن الأفراد

التي لا شبيه لها قول عبد الملك بن صالح فى ذم المشورة : ما استشرت أحداً إلا انكبر

على وتصاغرت له ودختنى الذلة فمليك بالاستبداد فان صاحبه جليل فى العيون

مهيّب فى الصدور فاذا افتقرت إلى العقول حقرتك العيون فتضعضع شأنك ورجفت

بك أركانك واستحقرك الصغير واستخف بك الكبير وما عز سلطان لم يفنه

عقله عن عقول وزرائه وآراء نصحاءه . فذم المشورة كما ترى وهى ممدوحة بكل لسان .

وقال رومى لغارمى نحن لانملك من يشاورو فقال الغارمى نحن لانملك من

لايشاور ،وقد أجمع الناس ان الفرس أعقل من الروم .

ومن أوجز ما قيل في الطمع قول بعضهم إذا طمعت ملأت . ويقولون
الطمع طبع ، والطمع الدنس وأنشد :

لاخيرَ في طمع يدعو إلى طبع وُغفَةٌ من قوام العيش تكفيني

والغفَةُ القوت وأصلها الفأرة ^(١) وسميت بذلك لأنها قوت للسنور . وأنا

أقول إن أول الطمع ذلة وأوسطه شقوة وآخره حسرة . وقال ثابت قطنة ^(٢) :

ألا تُمَي عميرة أن رأني عزفت النفس عما لم ينالا

أحزم كلمة سمعتها عن العرب قولهم « إن ترد الماء بماء أكس » معناه ينبغى

أن تحتفظ بما عندك حتى تصل إلى غيره ولا تلقى ما في يدك رجاء لما هو

أكثر منه فلعلك لاتناله لحادث يحدث . ومثل ذلك قولهم « لا يرسل الساق إلا

ممسكاً ساقاً » أى لا يترك معتمداً إلا اذا وجد مثله . وأصله في الحرباء لا يترك

ساق شجرة حتى يمسك بساق أخرى ، قال الشاعر :

أنى أتيج لها حرباء تنضبة ^(٣) لا يرسل الساق إلا ممسكاً ساقاً

أجود ما قيل في الحياء قول الخنساء :

ومحرقٌ عنه القميص تخاله بين البيوت من الحياء سقيماً

حتى إذا رفع اللواء رأيتُه تحت اللواء على الخميس زعيماً

أخذه بعضهم وأحسن :

يشبهون سيوفاً في صرامتهم وطول أنضية الأعناق والقمم

إذا غدا المسك يُجرى في مفارقهم راحوا كأنهم مرضى من الكرم

(١) في الأصل تصحيف في بعض الكلمات ، والتصحيح من القاموس .

(٢) كان قائداً شجاعاً ، شهد وقائع خراسان سنة ١٠٢ وأصيبت عينه فجعل

عليها قطنة فعرف بها . وفي الاصل (ثابت بن فظنه) .

(٣) في أمثال الميداني « بليت بأشوس من حرباء تنضبة » .

وقال غيره :

كريمٌ يفضُّ الطرفَ فضلُ حياؤه
ويدنو وأطرافُ الرماحِ دوان
وكالسيفِ إن لابتتهُ لأن مسه
وَدَّاهُ إن خاشيتهُ خشنان

وقال أبو دهبيل :

تَرَزُّرُ الكَلَامِ مِنَ الحَيَاءِ تَخَالُهُ
صَمْتًا وَليْسَ بِجِسْمِهِ سَقَمُ
عَقَمَ النِّسَاءُ فَلَا يُلِدْنَ شَبِيهَهُ
إِنَّ النِّسَاءَ بِمِثْلِهِ عَقَمُ
غیره : انى كاتى أرى من لاحياء له
ولا أمانة بين الناس عريانا

أجود ما قيل في تفضيل الجد على العقل والاعخبار بأن الحظ والعقل لا يجتمعان قول الاول:

ومالبُ اللبيبِ بغيرِ حظ
بأغى في المعيشة من فتيل
رأيتُ الحظَّ يسترُ عيبَ قومٍ
وهيئاتَ الحظوظِ من العقول

والعرب تقول «اسع بجدة أودع» .

أجود ما قيل في التنزه والتصون وترك السؤال قول بعضهم : السخاء أن
تكون بمالك متبرعاً وعن مال غيرك متورعاً . فجعل اليأس مما في أيدي الناس
سخاءً لأن النفس إذا سخت وسمحت لم تتطلع إلى مال الغير كما انها اذا ضاقت
وحرصت ناقت الى ما ليس لها ، وهو معنى حسن دقيق أخذه ابن أبي حازم فقال:

ومنتظر سؤالك بالعطايا
وأفضل من عطاياها السؤال
إذا لم يأتك المعروف طوعاً
فدعه فالتنزه عنه مال

وما أحسب انى سمعت في هذا المعنى أحسن من هذا وقالت :

ألا إن القناعة خيرُ مال
لدى كريمٍ يروحُ بغيرِ مال
وان تصبر فإن الصبر أولى
بمن عثرت به نوب الليالى
تجمل إن بليت بسوءِ حال
فان من التجمل حسن حال

أجود ما قيل في مضاء العزم وثبوت الرأى والفظنة من الشعر القديم قول

أوس بن حجر :

الألمى الذى يظن بك الظن كأنه قد رأى وقد سمعا
وقالت الحكماء لا ينتفع الرجل بعلمه حتى ينتفع بظنه . وكان عمر رضى الله
عنه يقول إذا أنا لم أعلم ما لم أرماعلمت مارأيت . وقلت :

أما نك مصروفٌ إلى كلِّ راهبٍ وسيدك موقوفٌ على كلِّ راغبٍ
تباشرتِ الدنيا بجدواك واكتفتِ فلم تتباشرِ بالغيوثِ الصوائبِ
تبسمُ منك الدهرُ عن زائنٍ ^(١) له وعين عليه في اختلافِ النوائبِ
بصيرٌ له دونَ العواقبِ فكرةٌ تكشف عن رأى وراءَ العواقبِ
ليشكركَ بجدُّه لا تزال تحوطه وتحميه بالنصلين عزمٍ وقاضبِ
كأنى إذا أمسكتُ منك بعروةٍ أخذت باهدابِ الغيومِ السواكبِ

وليس في المضاء والعزيمة أجود من قول أبى تمام :

وركب كأطرافِ الاسنة عرسوا على مثلها والليلُ تسطو غياهبه
لأمر عليهم ان تمَّ صدوره وليس عليهم أن تمَّ عواقبه
مأخوذ من قول الأول :

غلامٌ وغى تقحمها فأودى وخانَ بلادَهُ الزمنُ الخوون
وكان على الفتى الاقدامُ فيها وليس عايه ماجنتِ المنون
وقوله : وقد علم الافشين وهو الذى به يُصانُ رداءُ الملك من كلِّ جانبِ
بأنك لما استخذل الأمر ^(٢) واكتسى اهابى سيفى فى وجوه التجاربِ
تجلته بالرأى حتى أريته به ملءَ عينيه مكانَ العواقبِ
سلت له سيفين رأياً ومنصلاً وكلُّ لنجمٍ فى الدجسة ثاقبِ
وكنت متى تهزز خطب تغشه ^(٣) ضرائب أمضى من رفاق المضاربِ
وقال : وسارت به بين القنابل والقنا عزائمُ كانت كالقنسا والقنابلِ

(١) فى هامش النسخة (راقب له) إشارة لنسخة فيها كذلك .

(٢) فى الديوان (النصر) . (٣) فى الاصل (لحظ تغيثه) .

ومن جيد ما قيل في كتمان السر قول الأول :

تلاقت حيازي (١) على قلب حازم
أواخي رجالاً لست أطلعُ بعضهم (٢)
على سرِّ بعضٍ ان قلبي واسع (٣)
ولا غرنى أنى عليه كريمٌ
وما الناس إلا جاهل وعليم
عليم فينسى أو جهول يذيعه
والمثل السائر :

إذا ضاق صدر المرء عن سرِّ نفسه
فصدر الذي يستودع السر أضيق
أحسن ما قيل في العقل ما أنشدناه أبو أحمد عن ابن دريد :

وأفضل قسم الله المرء عقله
إذا كمل الرحمن المرء عقله
يعيش الفتي بالعقل في الناس أنه
ومن كان غالباً بعقل ونجدة
يزين الفتي في الناس صحة عقله
ويزري الفتي (٤) في الناس قلة عقله
ونحوه قول الآخر :

ولم أرَ مثلَ الفقر أوضع للفتى
ولم أرَ من عدمٍ أضرَّ على الفتى
إذا عاشَ بين الناسٍ منعدم (٥) العقل

وقال سهل بن هرون : العقل راية الروح والعلم راية العقل والبيان ترجمان العلم .
أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أحمد بن عبد الواحد أخبرنا أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي
قال قال قيس بن ساعدة أفضل العقل معرفة الرجل بنفسه (٦) وأفضل العلم وقوف

(١) في الأصل (حياذي) . (٢) في النسخ (بينهم) .

(٣) في النسخ (ذاسعة) . (٤) سقط « الفتي » من النسخ .

(٥) في الأصل (من عدم) . (٦) في نسخة (نفسه) .

كذلك فهو بليغ جداً . وأنشدنا أبو أحمد عن بعض رجاله لشاعر في بعض العلماء هو الامام مالك بن أنس إمام دار الهجرة رحمه الله تعالى :

يأبى الجوابَ فما يرجعُ هَيْبَةً والسائلونَ نواكسُ الأذقانِ
هدى التقيَّ وعزُّ سلطانِ النهي وهو المهيبُ وليس ذا سلطانِ

ومن أحسن تشبيهه جاء في الهيبة قولهم (كأن على رؤوسهم الطير) وذلك أن الهائب تسكن جوارحه فكان على رأسه طائراً يخاف طيرانه إن تحرك وقال أبو نواس :
أضمرُّ في القلبِ عتاباً له فان بدا أنسيتُ من هيبته
ومثل هذا في النسيب كثير وشبيهه قول الأول :

أهاؤكُ إجلالاً وما بكِ قُدرةٌ على ولكن ملءُ عينِ حبيبها
وما هجرتك النفسُ أنك عندها قليلٌ ولأن قلَّ منك نصيبها

لا ترى أجود من قوله « ملء عين حبيبها » ولا أحسن ولا أبلغ ولعلك لا تجد لفظه تقوم مقامها ، ويقولون حسن يملأ العين . وهيبة تملأ الصدر . وقال
* وتملأ عين الناظر المتوسم * وقال ابن الرومي :

في فتيةٍ من ولدِ المنصورِ أملاً للعين من البدورِ
وقال آخر * إذا ذكرت أمثالها تملأ الفجا * وقد أجاد أبو تمام في صفة الهيبة والخافة فقال :

تَبَّتُ المقامِ يرى القبيلةَ واحداً ويُرَى فتحسبهُ القبيلُ قبيلاً
وقال :

قد أترعت منه الجوانحُ هَيْبَةً ^(١) بطلت لديها سورةُ الأبطالِ

لو لم يراحفهم لراحفهم له ما في قلوبهم من الأوجالِ
ومثله قول ابن المعتز :

أنا جيشٌ إذا غدوتُ وحيداً ووحيد في الجحفلِ الجراءِ

(١) في ديوان أبي تمام « رهبة » .

وقلت في نحو ذلك :

قبيلكم في العزِّ يعلو قبائلاً وواحدكم في المجدِ يكثر معشرا
وقال الأشجع في ابراهيم بن نهيك وقد ولي اعمونة :

شدَّ الخطامَ بأنفٍ كلِّ مخالفٍ حتى استقامَ له الذي لم يخطم
لا يصلح السلطان إلا هيبه تلقى البرىء بفضلِ جرمِ المجرم
منعت مهابتك النفوسَ حديثها بالشيءِ تسكره وإن لم تعلم
ونهبجت من حزمِ السياسة منهجاً فهمت مذهبه الذي لم يفهم
وأبلغ من هذا كله ما أنشدناه أبو أحمد عن العشمي عن المبرد :

وأنت حياً في الحروب محاهم والجيش باسم أيهم يستهزم
يقول به الجيش يستهزم إذا ذكر فليس أبلغ منه . ومثله قول الفرزدق :
لييك وكيف خيل ليل مغيرة تساقى الحمام بالردنية السمير
لقوا مثلهم فاستهزم موهم بدعوة دعوها وكيفا والجياد بهم تجرى
ومثله قول الآخر :

سماؤك تمطر الذهبا وحربك يلتظي الهبا
وأى كتيبة لاقتك لم تستحسن الهربا

فجعلها تستحسن الهرب إذا لاقته ولا تخشى اللائمة إذا فرت منه فهو غاية .
ومما هو بليغ في باب المهابة قول الأشجع :

وعلى عدوك يا ابن عمِّ محمد رصدان ضوء الصبح والاظلام
فاذا تنبه رعته وإذا هدى^(١) سلت عليه سيوفك الاحلام
فنقله أبو نواس إلى غزال فقال :

قاسيتُ فيه الهومَ والأطما وصرتُ فيه بينَ الوردى علما
أكون يقظان في تذكره حتى إذا تمتُ كان لي حلما

(١) في الأصل « هدى » .

ومما هو أبلغ من ذلك كاه قول النبي ﷺ « نصرت بالرعب » وما وصف أحد هيبة صاحب السلطان إذا بدا كما وصفها البحترى في قوله :

إذا ما مشى بين الصفوف تقاصرت
رؤسُ الرجال عن أشم سميدع
يقومون من بُعد إذا أبصروا به
لأبلج موقور الجلالة أروع
ويدعون بالاسماء مثنى وموحداً
إذا حضروا باب الرواق المرفع
وان سار كف اللحظ عن كل منظر
سواه وغض الصوت عن كل مسمع
فلمست ترى إلا إفاضة شاخص
وقوله: تراءوك من أقصى الساط فقصروا
ولما قضوا صدر السلام تهافتوا
إذا أسرعوا في خطبة قطعهم
جلالة طلق الوجه جانبه السهل
إذا نكسوا أبصارهم من مهابة
وما لوأ بلحظ خلت أنهم قبل

وقال أبو بكر الصولى وهو من البليغ :

إذا ما بدا والقوم فوق سرورهم
تناثرت الأشراف منهم على الأرض
وقال البحترى :

ومبجل وسط الرجال خفوفهم
لقيامه وقيامهم لعوده
فالله يكلوه لنا ويحوطه
ويعزه ويزيد فى تأييده

أبلغ ما جاء في وصف العلم قول على رضى الله تعالى عنه : قيمة كل امرىء ما يحسنه .
وشد به بعضهم فقال : قيمة كل امرىء علمه .

ولأعرف في مدح العلم وعد خصاله أبلغ من كلامه رضى الله تعالى عنه خاطب به
كميل بن زياد أئبته لك هنا وان كان مشهوراً : أخبرنا أبو أحمد حدثنا الهيثم بن أحمد
ابن الزيدانى حدثنا على بن حكيم الأذرى حدثنا الربيع بن عبد الله المدنى حدثنا
عبد الله بن حسن عن محمد بن على عن أبائه عن كميل بن زياد قال أخذ بيدي على
رضى الله تعالى عنه فلما أصحرتنا قال يا كميل ان هذه القلوب أوعية وخيرها أوطاها

فاحفظ عني ما أقول لك : الناس ثلاثة عالم رباني ومتعلم على سبيل النجاة وهم جوعاء أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يأووا الى ركن وثيق يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الانفاق ، يا كميل محبة العلم دين تدين به تكتسب به الطاعة في حياتك وجميل الاحدوثه بعد وفاتك والعلم حاكم والمال محكوم عليه ، يا كميل مات خزان المال والعلماء باقون مابقي الدهر أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة هاه ان ههنا لعلماء جماً لو أصبت له حملة بلى أصبت لقتاً^(١) غير مأمون يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا فيستظهر بحجج الله على أوليائه ، أو متقاداً لحملة الحق لا بصيرة له في اجنائه فيقدح الشك في قلبه عند أول عارض من شبهة ، أو لا ذا ولاذا فمنهموم باللذات سلس القياد للشهوات ومغرم بالجمع والادخار ليس من رعاة الدين أقرب شبيهاً بهم الانعام السائمة اللهم بلى لاتخلو الأرض من قائم بحجة إما ظاهر وإما خائف اثلا تبطل حجة الله وتبيناه وكم وأين أولئك الأقلون عدداً الأعظمون قدراً بهم يحفظ الله تعالى حججه حتى يودعها أسماع نظرائهم ويزرعوها في قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقائق الأمور فباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعده المترفون وآنسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها متعلقة بالمحل الأعلى ، يا كميل أولئك أولياء الله من خلقه وعماله في أرضه والدعاة الى دينه هاه شوقاً الى رؤيتهم .

ومما حث به على تحفظ العلوم قول بعض الاوائل : خير العلم ما إذا غرقت بسفينتك سبح معك ، وقال الخليل :

افخر وكأثر بالقريحة إنها فخر المسكائر

واعلم بأن العلم ما أوعيت في صحف الضائر

وقال أبو هلال رحمه الله تعالى لو قال « ماضنته صحف الضائر » كان

(١) اللقن : السريع الفهم - كما في القاموس .

أجود ، وقال غيره :

استودعَ العلمَ قرطاساً فضيعه
وبئسَ مُستودِعُ العلمِ القراطيسُ
وقلت : تقل غناء عن جهول مغمر
دفاتر تلتقى في الظروفِ وترفعُ
تروح وتفدو عنده في مضية
وكائن رأينا من نفيسٍ يضيع
ومن المختار في طلاقة اللسان قول الآخر :

إذا قال لم يترك مقالاً ولم يقف
لعمى ولم يثن اللسان على هجر
يصرِّفُ بالقولِ اللسانَ كما اتحنى
وينظرُ في اعطافه نظرَ الصقر
ونحوه : لا خبيرَ في حشو الكلا
م إذا اهتديتَ الى عيوبه

وأجود ما قيل في إقامة الاعراب وترك التغيير ما أنشدناه أبو أحمد عن الصولي :

وبعجبني زى الفتى وجماله
ويسقط من عيني ساعةً يلحنُ
على أن للاعرابِ حداً وربما
سمعتُ من الاعرابِ ما ليس يحسنُ
ولا خيرَ في اللفظِ الكريه استعاهه
ولا في قبيح اللحن والقصدُ أزينُ

سمعتُ أبا أحمد يقول أحسن ما سمعت في السؤال قول عبد الله بن العباس وقد
سئل بم أدركت هذا العلم قال بلسان سؤال وقلب عقول . ثم أخبرنا قال أخبرنا
الحسن بن علي بن عاصم ثنا الهيثم بن عبد الله حدثنا علي بن موسى الرضى حدثني
أبي حدثني أبو جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن الحسن رضى الله تعالى عنهم
قال قال رسول الله ﷺ « العلم خزائن مفتاحها السؤال فاسألوا فإنه يؤجر فيه
أربعة السائل والمستمع والعالم والمحب لهم » وأجود ما جاء في السؤال من الشعر
ما أنشدناه أبو أحمد أنشدنا ابن الانبارى عن أبيه :

شفاء العى في طولِ السؤالِ
وعدلك في المقالِ وفي الفعالِ
وبجثك في الأمورِ عن المعانى
وتخريجِ المقالِ من المقالِ
وقولك بالصواب إذا أنارت
شواهدُه ورفضك للجدالِ
وصمتك حينَ تسمعُ من حكيمٍ
ليفهمك الصحيحَ من المحالِ

أجود ما قيل في صفة اللسان وآمه ما أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن
 دريد قال أحمد بن عيسى العكلي حدثنا الخليل عن عبد الله بن صالح بن مسلم
 القاضي قال قال بعض الحكماء لابنه يابني اللسان أداة يظهر بها البيان وشاهد يخبر عن
 الضمير وحاكم يفصل به الخطاب وناطق يرد به الجواب وشافع تدرك به الحاجة ومعز يرد
 الأحران وواعظ ينهى عن القبيح ومزين يدعو إلى الحسن وزارع يحرث المودة
 وحاصد يذهب بالضعفين ومُله يوقف الاستماع ألا ترى أن الله تعالى رفع درجة
 اللسان بأن أنطقه بالتوحيد وليس شيء من الجوارح ينطق به غيره .

ومن أجود ما احتج به للكلام ما أخبرنا به أبو أحمد حدثني أبي حدثنا أحمد
 ابن أبي طاهر حدثنا أبو تمام قال تذاكرنا الكلام في مجلس سعيد بن عبدالعزيز
 التنوخي وحسنه والصمت ونبله فقال سعيد ليس النجم كالقمر انك إنما تمدح
 السكوت بالكلام ولا تمدح الكلام بالسكوت وما أنبأ عن شيء فهو أكبر منه .
 ومثله ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبيه عن أحمد حدثنا أبو تمام حدثنا أبو
 عبد الرحمن الأموي قال ذكر الكلام في مجلس سليمان بن عبد الملك فذمه
 أهل المجلس فقال سليمان كلا إن من تكلم فأحسن قدر أن يسكت فيحسن
 وليس كل من سكت فأحسن قدر أن يتكلم فيحسن .

ومن أجود ما احتج به للصمت ما أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا أبي أخبرنا أحمد بن
 أبي طاهر حدثنا حبيب بن أوس حدثني عمرو بن هاشم البيروتي قال تحدثنا يباب
 الأوزاعي وفينا اعرابي من بني عليم بن ضاب لا يتكلم فليل له بحق ما سميت خرس
 العرب ألا تتحدث مع القوم فقال إن الحظ للمرء في أذنه وأن الحظ في لسانه لغيره
 وإنما جعل للمرء أذنان ولسان ليسكون استماعه ضعف كلامه . قال فحدثنا الأوزاعي
 فقال والله لقد حدثكم فأحسن .

وقد سوى بعضهم بين الصمت والكلام فحدثني أبو أحمد عن أبيه عن
 أحمد بن أبي طاهر عن أبي تمام حدثني يحيى بن إسماعيل الأموي حدثني إسماعيل

ابن عبيد الله قال قال جدى : الصمت منام العاقل والنطق يقظته ولا منام الايقظة ولا يقظة إلا بجمام . قال أبو هلال : وأنا أقول الصمت يورث الجبسة والخصر وإن اللسان كلما قلب وأدير بالقول كان أطلق له : أخبرنى بعض أصحابنا قال ناطقت فتى من بعض أهل القرى فوجدته ذليق اللسان فقلت له من أين لك هذه الذلاقة قال كنت أعمد كل يوم إلى خمسين ورقة من كتب الجاحظ فأقرأها برفع صوت فلم أجز على ذلك مدة حتى صرت إلى ماترى . وسعى البيان سحراً لدقة مسلكه وأول من نطق به رسول الله ﷺ وهو من أجمع ما مدح به البيان : حدثنا أبو القاسم عبد الوهاب بن ابراهيم أخبرنا أبو بكر أحمد بن حماد العقدي أخبرنا أبو جعفر أحمد بن الحارث الخزاز أخبرنا المدائنى قال قال أبو الحسن بن مسلم بن محارب بن مسلم بن زياد عن عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن الاثم أخبرنى عن الزبير بن بدر فقال مطاع فى أذنيه شديد العارضة مانع لما وراء ظهره . فقال الزبير قال : إنه ليعلم منى أكثر من هذا ولكنه حسدى . فقال عمرو : أما والله يارسول الله انه لزم المروءة ضيق العطن أحق الوالد لثيم الخال وما كذبت فى الأولى ولقد صدقت فى الأخرى رضيت فقلت أحسن ما أعلم وسخطت فقلت أسوأ ما أعلم فقال رسول الله ﷺ (ان من البيان لسحرا وان من الشعر لحكمة) وأما تعجب رسول الله ﷺ من نقضه وإبرامه فى حال واحدة ومثل هذا من البلاغة أصعب مرأماً وأعجز مطلباً وقد أشبعنا القول فيه فى كتاب صنعة الكلام .

ومما يدخل فى باب ما أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا الصولى حدثنى الطيب بن محمد الباهلى قال موسى بن سعيد بن عن أحمد بن يوسف الكاتب قال دخل خالد بن صفوان التميمى على أبى العباس السفاح وعنده أخواله من بنى الحارث بن كعب فقال له ما تقول فى أخوالى قال هم هامة الشرف وخرطوم الكرم وغرس الجود إن فيهم لخصالاً ما اجتمعت فى غيرهم من قومهم انهم لا طولهم أمماً وأكرمهم

شياً وأطعمهم طعاماً وأوفاهم ذمناً وأبدهم همأهم الحجر في الحرب والرفد في الجذب
والرأس في الخطب وغيرهم بمنزلة العجب . فقال لقد وصفت أبا صفوان فأحسنت
فزاد أخواله في الفخر ففضب أبو العباس لأعمامه فقال أفخر يا خالد فقال أعلى
أخوال أمير المؤمنين فقال نعم وأنت من أعمامه فقال وكيف أفخر أقواماً هم من
بين ناسج برد وسائس فرد ودافع جلد دل عليهم الهدهد وغرقتهم الفأرة وملكتهم
امرأة . فأشرق وجه أبي العباس وجعل يضحك . قال وحدثني ابن المزرع قال سمعت
عمرو بن بحر الجاحظ وقد ذكر كلام خالد هذا يقول والله لو نفكر في جمع
معايهم واختصار اللفظ في مثالبهم بعد ذلك المدح المهذب سنة لكان قليلاً
فكيف على بديه لم يرض فكراً .

وأجود ما قيل في كراهة المزاح قولهم ان المزاح هو السباب الاصغر ، وقيل
المزاح سباب النوكي . وأجود ما قيل في تحوف عاقبته قول أبي نواس :

انه نار وقدح القادح وأي جسد بلغ المازح
ومثله : صارَ جسداً ما فرحت به رُبَّ جدٍ جرَّه لُعبُ

وقلت : غضبت للمزح ولم تنظر في موقعه المزح في موضعه كالجد في موضعه
أجود ما قيل في التظافر والتعاون قول قيس بن عاصم المنقري يوصي ولده وقومه
وجدت في كتاب غير مسموع لما حضر عبد الملك بن مروان الوفاة وعائنته وقال
يا بني أوصيكم بتقوى الله وليعطف الكبير منكم على الصغير ولا يجهل الصغير حق
الكبير وأكرموا مسلمة بن عبد الملك فإنه نابتكم الذي عنه تعبرون وبمجنم الذي
به تستجبرون ولا تقطعوا من دونه رأياً ولا تعصوا له أمراً ، وأكرموا الحجاج بن
يوسف فإنه الذي وطأ لكم المغابر وذل لكم قارب العرب وعليكم بالتعاون والتظافر
وإياكم والتقاطع والتدابير . فقال قيس بن عاصم لبنيه :

بصلاح ذاتِ البينِ طولُ بقائكم إن مُدَّ في عمري وإن لم يُمدد
حتى تلين جلودكم وقلوبكم لمسود منكم وغير مسود

إن القداح إذا جُمعن فرامها بالكسر ذو حَنق وبطش أي
 عزت ولم تكسر وإن هي بُدِّتْ فالوهن والتكسير للمتبدد
 ثم قام علي بن خالد بن يزيد بن معاوية وخالد بن عبد الله بن أسيد فقال لهما قد
 حضر من الأمر ماتريان فان كان في نفوسكما شيء من بيعة الوليد نزعناه وجعلنا
 الأمر حيث شئتما قالوا بل رضىنا أ كمل الناس لها وأقواهم عليها قال أما والله لو
 غيرها قلتما لمتما قبل ثم رفع طرف فراشه فاذا نحتته سيف مجرد فقال للوليد لا أعرفنك
 إذا أنامت تعصر عينيك وتمسحها نعل الأمة الوعكاء شمر وبرز والبس جلد
 النمر وادع الناس إلى بيعتك فمن قال برأسه هكذا فقل بسيفك هكذا . ثم لم يزل
 متمثلا بقول الشاعر :

وهل من خالد اما هلكننا وهل بالموت ياللناس عار
 ثم قال الحمد لله الذى لا يبالي أصغيره لك في ملكه أم كبير ثم قضى . فقال هشام
 ابن عبد الملك :

وما كان قيس هلك هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهديما
 فسمعها الوليد فتظير منها فرفع يده فلطمه وقال إنك أعور مشؤوم هلاقت كما
 قال التميمي :

إذا سيدنا منا ذرا حدنا به تخبط فينا ناب آخر مكرم
 فسمع مسامة الصيحة فقال ذروا الصياح فانكم إن استقمتم استقام الناس
 وإن اختلفتم اختلفوا .

أخبرنا أبو حمد أخبرنا أبو بكر بن دريد أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال
 كان عبد الملك بن مروان ذات ليلة في سمره مع ولده وأهل بيته وخاصته فقال ليقبل
 كل واحد منكم أحسن ما قيل من الشعر وليفضل من رأى من الشعراء تفضيله
 فأنشدوا وفضلوا فقال بعضهم أمرؤ القيس وقال بعضهم النابغة وقال بعضهم
 الأعشي ، ولما فرغوا قال أشعر والله من هؤلاء جميعاً عندى الذى يقول :

وذى رحمٍ قلمتُ أظفارَ ضغنه
 إذا صمتهُ وصلَ القرابةِ سامنى
 وأسعى لسكى أبى ويهدم مصالحي
 يحاولُ رغبي لا يحاولُ غيرهُ
 فان أتصر منه أكن مثلَ رائس
 فبادر متى التأى والمرءُ قادرُ
 فان أعف عنه أغض جفناً على القذى
 حفظتُ الذى قد كان بينى وبينه
 فما زلتُ فى إين له وتعطف
 لأستل منه الضغنَ حتى سلته
 فقالوا يا أمير المؤمنين من قائل هذه الأبيات فما أحسنها وأرضاها قال معن

ابن أوس المزنى .

ومن أجمع ما قيل فى المعروف قول النبي ﷺ « المعروف كاسمه » أخبرنى
 عم أبى عن أبيه قال قال العتابى كنت واقفاً بباب المأمون أنتظر من يستأذنه لى
 فأقبل يحيى بن أكرم فعمت اليه فقلت استأذن لى على أمير المؤمنين فقال لست
 بحاجب فقلت ولكنك ذو فضل وذو الفضل معوان قال سلكت بى غير سبيلى قلت
 ان الله قد أتخفك بجاه وهو مقبل عايك بالزيادة ان شكرت وبالنقصان ان كفرت
 وأنا لك منذ اليوم أنفع منك لنفسك أذعو الى ازدياد نعمتك وتأبى على ولكل
 شىء زكاة وزكاة الجاه رقد المستعين وقد قال رسول الله ﷺ (أفضلُ المعروف
 فضلُ جاهك تعود به على من لاجاه له) فقعدت ودخل فما لبث ان خرج
 الحاجب يسأل عنى فدخلت فقال حدثنا أبو نصر التمار عن سفيان بن عيينة عن
 ابن نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال اجتمع أربعة من أصحاب رسول الله
 ﷺ على بن أبى طالب والعباس بن عبد المطلب وجعفر الطيار وعمر بن الخطاب

رضي الله تعالى عنهم أجمعين فنادوا المعروف فقال علي : المعروف حصن من الحصون وكنز من الكنوز فلا يزهدنك فيه كفر من كفره فقد يشكر الشاكر ماضاعه جمود الكافر . وقال العباس : المعروف أفضل الأمور وأوثق الحصون ولا يتم إلا بثلاثة تعجيله وتصغيره وستره فاذا عاجلته هنأته وإذا صغرت عظمته وإذا سترته تمته ان بأهل المعروف من الرغبة أكثر مما بأهل الحاجة اليهم وبيان ذلك ان لهم ذكروه وسناؤه ونغره فهما آيت من معروف فانما آيته لنفسك . وقال عمر إن لكل شيء أنفأ وأنف المعروف السراح . نخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال « فيم أتم » فقالوا تنادى المعروف فقال عليه الصلاة والسلام « المعروف كاسمه وأول من يدخل الجنة المعروف وأهله » .

ومن أجود ما قيل في بذل المعروف وان كان قليلاً ما أخبرنا به أبو أحمد عن الجوهري عن المنقري عن الأصمعي عن بعض العباسيين قال كتب كلثوم بن عمرو الى رجل في حاجة : بسم الله الرحمن الرحيم أطال الله بقاءك وجعله يمتد بك الى رضوانه وجنته . أما بعد فانك كنت روضة من رياض الكرم تبتهج النفوس بها وتستريح القلوب اليها وكنا نعفيها من النجعة استتماماً لزهرتها وشفقة على نضرتها وادخاراً لثمرتها حتى مرت بنا في سفرتنا هذه سنة كانت قطعة من سني يوسف اشتد علينا كلبها وأخلفتنا غيومها وكذبنا بروقها وفقدنا صالح الاخوان فيها فاجتمعنا وأنا بانتجاعى بك كثير الشفقة عليك مع علمي بأنك نعم موضع الزاد واعلم بأن الكريم إذا استنحى من اعطاء القليل ولم يحقر الكثير لم يعرف جوده ولم تظهر همته وأنا أقول في ذلك :

ظل اليسار على العباس محدود	وقلبه أبدأً بالبخل معقود
ان الكريم ليخفي عنك عمرته	حتى تراه غنياً وهو مجهود
وللبخيل على أمواله علل	زرق العيون عليها أوجه سود
إذا تكرّحت أن تعطى القليل ولم	تقدر على سعة لم يظهر الجود

بثَّ النوالَ ولا يمتنعُ قلتهُ فكلُّ ماسدٍ فقراً فهو محمود
قال فشاطره ماله حتى بثَّ إليه قيمة نصف خاتمه وفرد نعله . ومن مليح ماجاء
في هذا المعنى قول ابن الرومي :

أبا عمرو لك المثلُ المعلى	وجدُ عدوكُ التربُّ الذليلُ
رأيتَ المطلَّ ميداناً طويلاً	يروضُ طباعهُ فيه البخيلُ
فما هذا المطالُ فدتك نفسى	وباعك بالندى باعٌ طويلُ
أظنك حينَ تقدرُ لي نوالاً	يقلُّ لديكُ لي منهُ الجزيلُ
فلا تقدرَ بقدركُ لي نوالاً	ولا قدرى فيحقرُ ماتنيلُ
وأطلقَ مأمهمُ به عساهُ	كفافي أيها الرجلُ النليلُ
وإلا فالسلامُ عليكُ منى	نبت دارٌ فاسرعَ بي الرحيلُ
إذا ضاقتُ على أملٍ بلادُ	فما سدتُ على عزمٍ سبيلُ

وقال غيره :

وما الجودُ عن فقرِ الرجالِ ولا الغنى
ولسكنهُ خيمُ الرجالِ وخيرها
ومن عجيب المعاني في عظم السؤال وموازنته للنوال بل رجاحته عليه ما
أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد أخبرنا السكن بن سعيد عن محمد بن
عباد قال دخل كوثر بن ذفر بن الحارث السكلابي على يزيد بن المهلب فقال له أيها
الأمير أنت أعظم قدراً من أن تستعان أو يستعان عليك وليس تفعل من المعروف
شيئاً إلا وهو يصغر دونك وأنت أكبر منه وليس العجب أن تفعل ولكن العجب
أن لا تفعل . فقال سل حاجتك قال حملت عشر ديات وقد بهظتني فقال قدأمرت
لك بها وشفعتها لك بمثلها فقال أمامسألتك بوجهي فأقبله منك وأما ما ابتدأتني
به فلا حاجة لي فيه . قال ولم وقد كفتك مؤنة السؤال ؟ قال لا أتى رأيت الذي
أخذت مني بمسألتى إياك بوجهي أكثر مما نالتى من عرفك وكرهت الفضل على
نفسى . فقال له يزيد أسألك بحقك على لما رأيتني أهله من انزال الحاجة بي إلا قبلتها فقبلها .

وسأل العتابي رجلاً فحصر وأقل فقليل له قد أقلت فقال وكيف لا أقل
ومى ذل المسألة وحيرة الطلب وخضوع الهيبة وخوف الرد . وقيل لا آخر متى
يكون البليغ عيباً قال إذا سألت حاجة لنفسه . وقال أحمد بن أبي خالد الاحول :
ما استكثرت بدلاً بذلته قط لا في أرى الأجر والشكر أكثر منه ولا استصغرت
معروفاً قط لا في أراه أكبر من تركه .

ومن جيد ما قيل في الترغيب في المعروف قول الأول :

فانك لا تدري إذا جاء سائلٌ أنتَ بما تعطيه أم هو أسعدُ
عسى سائلٌ ذو حاجة ان منعه من اليوم سؤلاً أن يكون له غدُ

هذا آخر كتاب الخصال والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد
النبي الأُمى وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذى بصر ناسب الحمد ووقفنا على طرق الذم لنضع كلاً منهما في موضعه
ونستعمله في حينه ونلحقه بمستحقه إذ ذكر من أحبه فقال (نعم العبد إنه أوأب)
ووصف من مقته فقال (هماز مشاء بنميم مناع للسخير معتد
أئيم عتل بعد ذلك رنيم) فذم قوله وفعله وعاب شيمته وخلقه وهتك
بالشم عرضه وسود بالذم وجهه جزاء بما اكتسب من ذميم الفعال ووفقاً لما أطلقه
من اسم المقال نكلاً من الله والله عزيز حكيم . وصلى الله على نبيه محمد البشير النذير
الداعى إلى الله بآذنه والسراج المنير وعلى آله الطيبين وعترته .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

في المعاتبات والهجاء والاعتذار وهو :

﴿ الباب الثالث من كتاب ديوان المعاني ﴾

وهو يشتمل على ثلاثة فصول

﴿ الفصل الأول في المعاتبات ﴾

فمن أوائل ذلك ما أخبرنا به أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر عن المدائني قال قال عليه الصلاة والسلام لطلحة حين رأى تلونه عليه « فراقٌ جميلٌ خيرٌ من مُصْحَبَةٍ عَلَى دَخْنٍ » والدخن والدخل والفساد والمذخول الفاسد وقد دخل فسد ، وروى (على دخل) ومن قديم ما جاء في ذلك قول أبي ذؤيب :

تُرِيدِينَ كَمَا تَجْمَعِينَ وَخَالِدًا وَهَلْ يُجْمَعُ السِّيفَانِ وَيَحْكُ فِي غَمْدِ

يقول لأُم عمرو امرأة من هذيل وكان رجل منهم يقال له وهب بن عمرو - وقيل وهب بن جابر - هو بها فامتنت عليه فخرج يوماً بتصيد فختل ظبية فلما أخذها أنشد :

فَالِكِ يَأْسِبِيهَةَ أُمِّ عَمْرٍو إِذَا حَايِنْتَنَا لَا تَأْمِنِينَا

فَعَيْنِكَ عَيْنَهَا إِذْ تَنْظُرِينَا ^(١) وَجَيْدُكَ جَيْدُهَا لَوْ تَنْطَقِينَا

وَسَاقِكَ سَاقَهَا ^(٢) وَلَا أُمِّ عَمْرٍو خَدْلُجَةٌ يَضِيقُ بِهَا الْبَرِينَا

وَرَأْسُكَ أَزْعَرَ وَلَا أُمِّ عَمْرٍو غَدَاثُرٌ يَنْعَمِرُنَ وَيَلْتَثِنِينَا

ثم خلا منها فبلغ ذلك أم عمرو فواصلته وكان رسوله اليها أبو ذؤيب فلما أبتع وترعرع رغبت اليه واطرحت وهباً وخشى أبو ذؤيب الفضيحة فقصر عنها

(١) «تنظرينا» غير موجودة في الاصل . (٢) (ساقها) غير موجودة في الاصل .

وجعل يرسل إليها خالد بن إبراهيم^(١) فلم تلبث ان علفت خالداً وتركت أبا ذؤيب
فجعل أبو ذؤيب يعاتب خالداً ، مثل قوله :

فنفسك فأحفظها ولا تبند^(٢) للعدى من السرِّ ما يطوى عليه ضميرها
رعى خالد سرى ليلى نفسه توالى على قصد السبيل أمورها
فلما تراماه الشبابُ وغيهُ وفي النفس منه غدره ونحورها^(٣)
لوى رأسه عني ومال بودة أغانيجُ خودٍ كان فينا يزورها
تعلقه منها دلالٌ ومقلّةٌ تظلُّ لأصحاب الشقاء تديرها
وما أنفستُ الفتيانِ إلا قرائن تبينُ ويبقى^(٤) هامها وقبورها
فأجابه خالد :

لا يبعدن الله حلمك اذ غزا وسافرَ والاحلام جمُّ غنورها
لعلك إما أمُّ عمرو تبدلت سواك خليلاً شامئى تستخيرها^(٥)
فلا تجزعن من سنة أنت سرتها فأول راض سنة من يسيرها
وهذا جواب لا ترى أقطع منه لأنه ذكر أنه إنما جوزى بمثل فعله :
فان السنى فينا زعمتَ ومثلها لفيك ولكنى أراك تجوزها^(٦)

- (١) خالد هذا هو ابن أخت أبي ذؤيب وابن عمه ، على ما في ديوان أبي
ذؤيب ، وفيه (خالد بن زهير) لا (بن إبراهيم) . وأبو ذؤيب هو خويلد بن خالد
ابن محرث من بني تميم بن سعد بن هذيل ، شاعر مفلح ، أدرك الجاهلية والاسلام
قدم المدينة على النبي ﷺ وهو في مرضه فمات قبل وصوله بلبلة وشهد دفنه ، وتوفي
في خلافة عمر ، وسئل حسان : من أشعر الناس فقال حياً أم رجلاً ؟ قالوا حياً
قال هذيل ، وأشعر هذيل غير مدافع أبو ذؤيب . (٢) في نسخة «تفش» .
(٣) في ديوان أبي ذؤيب «فتنة وفجورها» . (٤) في الاصل (ويثنى) .
(٥) تستخيرها : تستعطفها وأصله أن الغزال والعجل يخور إلى أمه فتجيبه ، معناه
تطلب منها أن تجيبك . (٦) تجوزها أي تعبدل عنها . وفي الديوان (تجوزها) .

ألم تنقذها من ابنِ عويمر وأنت صفيُّ نفسه وسجيرها
فان يك يشكو من قريبِ مخانة^(١) فتلك الجوازي عقبها ونُصورها
وفيه يقول أبو ذؤيب:

يُرَى ناصحاً فيما بدا فاذا خلا فذلك سكينٌ على الحلقِ حاذق
ثم ان وهباً بعث ابنه عمرأ فوهب لها ذات يده فواصلته وكان لعمر و علايتها
ونخالد سرها فجاء خالد ليلاً وعمر و معها على شراب فقتله وهرب فبلغ الخبر وهباً
فركب في جمع فتبعوه حتى لحقوه فقتلوه فقال أبو ذؤيب يرثيه:

لعمر و أبي الطيرِ المربة غدوة على خالد ان قد وقعن على لحم
كليه وربى لن تعودى بمثله عشية لاقته المنية بالردم
فانك لو أبصرتِ مصرعَ خالدٍ منعت^(٢) الستارَ بين أظلم فالحزم
علمت بأن البابَ ليست؟ ولا البكر لاضمت يدك على غنم
ضروب لهاماتِ الرجالِ بسيفه إذا التفت الأبطالُ مجتمعا الحزم
ومن قديم العتاب المزوج بالشكوى قول جميل:

لحي الله من لا ينفعُ الودُّ عندهُ ومن حبله إن مدَّ غير متين
ومن هو إن تحدث له العينُ نظرةً تقصب لها أسباب كل قرين
ومن هو ذولونينِ ليس بدائمٍ على العهدِ خوانٌ لكل أمين
ومن هو عند العينِ أما لقاءه فحلوا وأما غيبه فظنون

وكتب بعض الكتاب: لو كنت أعلم أنك تعتب إذا عاتبك سلكت في
ذلك مذهباً لا يبلغ فيه القصوى ولا اقتصر على الأدنى ولا أخليتك من الاستزادة
في غير شكوى والتعريف في غير تعنيف والاحتجاج في غير تنكيت ولا توقيف
ولكن شر القول مالا يسمع وليس لقائله فيه منتفع وأشبه البر بالعقوق ما استكرهت

(١) في ديوان أبي ذؤيب (وان كنت تشكو من خليل مخانة) وفي النسخ

نقص كلمات في الايات استدر كناها من الديوان. (٢) في النسخ غير منقوطة:

عليه النفوس ، وقد قال الشاعر :

وليس بمن في المودة شافعٌ إذا لم يكن بين الصلوعِ شفيعٌ
وكتب السكرخي : قد واصلت أياماً تباغادواً إليك وزواحا حتى ملني البكور
وسئمتني التهجير وشكائي الطريق ولحائي الصديق في كل ذلك أعاق بالحجاب
وتستقبلني ردة البواب :

ولاخيرَ في ودِّ امرئ متكارهٍ عليك ولا في صاحبٍ لاتواقه
وهذا ذره ^(١) عتاب جاش به الصدر وضاق عن كتمان الصبر فان عطفتك
حفاظ فأهل الفضل والبر أنت وإلا فاني على العهد الذي كان بيننا ولا أقول كما قيل :
فما ملني الانسانُ إلا ملتهُ ولا فاني شيءٌ فظلت له أبكى
ولا أقول كما قيل :

وإني على عهد الأخلاءِ دائمٌ ولست إذا مال الصديقُ على حرفٍ
إذا أنال أصفح وأغضض على القذى فلا أنبسط في الحادثات إذا كنى
ومن أظف الكلام قول بعض الكتاب : أنفذ إلى أبو فلان كتاباً منك
فيه ذره عتاب كان أحلى عندي من تعريسة الفجر وألذ من الزلال العذب
فلك العتيبي ولبيك وسعديك داعياً مستجاباً له وعاتباً معتذراً إليه ولو شئت مع
ذلك أن أقول إن العتب عليك أوجب والاعتذار لك أزم لقلت ولكني
أسأحك ولا أشاحك وأسلم لك ولا رادك لأن أفعالك عندي مرضية وشيمك لدى
مقبولة ولولا أن للحجة موقعها لقصرت العنان عما أجريت إليه من هذا العتاب
وكففت اللسان عما أطلقته فيه من مر هذا الخطاب وقت :

إذا مرضتم ^(١) أتيناكم نعودكم وتذنبون فنأتيكم ونعتذر
ولا ترى كلاماً أظف من هذا ولا أحسن في معناه . وكتب بعضهم لست
أقتضى الوفاء بكثرة الالحاح فأثقل عليك ولا أقابل الجفاء بترك العتاب فأغتم

(١) في القاموس : ذره من خبر : شيء منه . (٢) في الاصل (إذا مرضنا) .

القطيعة منك والمثل السائر « ويبقى الود ما بقى العتاب ». وقلت :

أمنعاً إذا جئتكم أستعيرُ فكيف إذا جئتُ أستوهبُ
ومثلي إذا كان في معشري فلعزُّ عندهم منكب
يُقرَّب مثلي إذا ما نأى ويكرمُ مثلي إذا يقرب
عتبتك للودِّ لا للقلبي وواصلُ صديقاً ماتعتب

ومما يجرى مع هذا الباب قول الآخر :

إذا رأيتُ ازوراراً من أخى ثقة ضاقتُ على برحبِ الارضِ أوطاني
فان صدَدتُ بوجهي كي أكافئه فالعينُ غضبي وقلبي غيرُ غضبان

وقد أحسن العباس بن الأحنف في قوله :

كنا نعاتبكم ليالي عودكم حلو المذاق وفيكم مستعتبُ
فالآن اذ ظهرَ التعتبُ منكم ذهبَ العتابُ وليس عنكم مذهب
ومن مشهور العتاب قولهم :

طال المطالُ فلا خلودَ فحاجةٌ مقضيةٌ أو برُّ ينفعُ
واعلمُ بأنى لانسرُّ بحاجةٍ إلا وفي عمرى بها مستمتع

ومن جيد المعاتبات قولُ أبي تمام في أبي دلف :

يأيهما الملكُ النائي بفرته^(١) وجوده لمرجى^(٢) جوده كئيبُ
ليس الحجابُ بمقصٍ عنك لي أملاً أنَّ السماءَ تُرجى حين تحجب
مادونَ بابك لي باب أوذُ به وما وراءك لي مشوى ومطلب
وقوله في أبي سعيد :

لعمرك لليأسُ غيرُ المرثِ خيرٌ من الطمع الكاذب
وللريبُ تحصره بالنجاح خيرٌ من الأمل الخائب

وقال يعاتب موسى بن ابراهيم الرافعي في ضنه عنه بجاهه :

(١) في الاصل « برؤيته ». (٢) كذا في ديوان أبي تمام ، وفي الاصل « لمراعى » .

سأقطع أرسانَ العتابِ بمنطقٍ
وانَّ امرأً ضنت يدها على امرئٍ
أخذته من قول مسلم :

وأحببتُ من حبها الباخلينَ
إذا سئل عرفاً كسا وجهه
يفارُ على المالِ فعلَ الجوادِ
وقول أبي تمام :

لا ل وهب أكفُّ كلما اجتديتُ
قومٌ تراهم غيارى دُون مجدهم
ومنها: دنيا ولكنها دنيا ستنصرم
ومنها: فلا تقل قدمٌ أزرى يبهجته
وقد أحسن ابن الرومي وأجاد في قوله لقومٍ إستمعان بهم فأعانوا خصمه :

تخذتكم درعاً وترساً لتدفعوا
وقد كذت أرجومنكم خير ناصر
فان أنتم لم تحفظوا لمودتى
قفوا موقفَ المذور منى بمنزل
هى النفسُ إما أن تعيشَ عزيزةً
عفاءً على ذكر الحياة إذا حمت
وهذا مثل قوله أيضاً :

عفاءً على الدنيا إذا مستحقها
وسأل بعض الرؤساء أن يكتب له كتاباً إلى رئيس فقال :

أبخلُ بالقرطاسِ والخطُّ عن أخٍ
وكفالكِ أندى في العطايا من المزنِ

(١) في ديوان مسلم المطبوع «نيا يامن اللؤم حمر أوسودا». (٢) في الديوان «أن يجودا».

فلا يكن المبدول للوم^(١) مسميه وقرطاسه^١ بين الصيانة والخزن
وهي طويلة. وقال جحظة يعاتب على شدة الحجاب :
الله يعلم أننى لك شاكر^٢ والحى للفعل الجليل شكور
لسكن رأيت^٣ بباب دارك جفوة^٣ فيها لصفو صنعة تكدير
مابال دارك حين تدخل^٤ جنة^٤ وبياب دارك منكر^٥ ونكير
غيره : (٢) سأترك هذا الباب مادام إذنه على ما أرى حتى يلين قليلا
إذالم أجد يوماً إلى الاذن سلما وجدت^٦ إلى ترك^٦ الحياء سبيلا
وقول أبي تمام * ان السماء ترجى حين تحتجب * مأخوذ من قول الأول :
وإنى لأرجوكم على بطء سعيكم كما في بطون الخاملات رجاء
وقد أحسن أبو تمام في معاتبه ابن أبي دواد واستبطائه إياه في قوله :
رأيت العلام معمورة منك دارها إذا اجتمعت يوماً^(٣) وقر^٣ قرارها
وكم نكبة ظلماء تحسب ليللة تجلى لنا من راحتك نهارها
فلا جارك العافي تناول محلها ولا عرضك الوافي تناول ظارها
فلا تمكنن^٤ المطل من ذمة الندى فبئس أخوالأيدى الكبار^(٤) وجارها
فان الأيدى الصالحات كبارها إذا وقعت تحت المطال صغارها
وما نفع من قدبات بالأمس صادياً^(٥) إذا ماسمأ اليوم طال انهارها
وخير عداة المرء^(٦) محتضراتها كما أن خيرات الليالى قصارها
وما العرف^(٧) بالتسوية الا كذلة تسليت عنها حين شط^٧ مزارها

- (١) (للوم) ساقطة من الأصل فاستدر كناها من ديوان ابن الرومى المخطوط .
(٢) نسبها ابن خلكان لأبي العميثل ، وفيه (يخف) مكان (يلين) و (اللقاء)
في موضع (الحياء) . (٣) في ديوان أبي تمام « جاشاً » .
(٤) في ديوان أبي تمام « الفرار » . (٥) في الأصل « ضارياً » .
(٦) في ديوان أبي تمام « الحر » . (٧) في الديوان « وما النفع » .

وقد أحسن في هذه الأبيات ما شاء وفي قوله أيضاً لملك بن طوق وقد حجبته :
 قل لابن طوق رحاسعد إذا خبطت نوائب الدهر أعلاها وأسفلها
 أصبحت حاتمها جوداً وأحنفها حلماً وكيسها علماً ودغفلها
 مالي أرى الحجرة الفيحاء ^(١) مقفلة عني وقد طال ما استفتحت مقفلها
 كأنها جنة الفردوس معرضة وليس لي عملٌ زاك فأدخلها
 وليس لهذا التمثيل نظير في حسنه وبراعته .

وكتب الصحاح أبو القاسم ^(٢) إلى بعضهم يعاتبه في صغر كتابه إليه : كتابي
 وعندي نعم من أعظمها خلوص ودك وبقاء عهدك ورد لي كتاب حسبته
 يطير من يدي خلفته ويلطف عن حسي لقلته وعهدى بك تروى إذا سقيت
 وتجزل إذا أعطيت فما الذي أحالك وبدل حالك أملال أم كلال أم اقلال وليس
 عندي أنك تمل صديقاً صدوقاً وشقيقاً شقيقاً ولا عندي أنك تكل ولو ملأت
 الأرض كلاماً وشحنت صفحات الجوى نظاماً ولا عندي أنك تقل وبجر فضلك
 فياض وثوب علمك ففضفاض فما أملك وقد نبوت وزهدت وجفوت إلا أن أصبر
 على هجرتك كما تتمتع بصلاتك لتكون عني نسخة أخلاقك إذا قربت وبعدت
 ووصلت وصددت وأكره أن أطيل وقد قصرت وأكثرت وقد أقلت فتسأمني كما
 سئمت عادتك وتتركني وقد تركت شيمتك فأحب أن تطالني بأخبارك وعوارض
 أوطارك إن شاء الله تعالى :

إذا أنت عاتبت الصديقَ ولم يكنِ بوذك لم يعتبك حين تعاتبه
 ومن برعَ شرقى البلادِ سوامهُ وغريبها يملكه ؟ صاحبه
 ومن يخلط الماءَ الزُّلالَ بآجنٍ من الماءِ تحبث ما تطيب مشاربه
 وكتبت جواباً عن كتاب نقصت فيه من الخطاب : وقفت على الفصل
 المؤذن بالجفاء المشتمل على سوء الجزاء وعلى ما احتواه من ذنوب الخطاب ووضع الدعاء

(١) في ديوان أبي تمام «البيضاء» . (٢) هو الصحاح بن عباد الوزير البليغ المشهور .

وعجبت كيف حططت الدماء من رتبته المعروفة وخفضت الخطاب عن درجته
 المسأوفة وأنت على منزلتك لم تزد نقيراً وأنا في درجتي لم أنقص قطيراً فكيف
 لو زدت زادك الله بصرّاً بمالك وعلبك وأراك من عيبك ما لا يتصور لديك
 وكغفك من شر نفسك ما هاصر عليك من كيد عدوك وشماتة حسودك ولا
 أختار لك أن تتكبر كلما تكبر وتتجبر كلما تجبر فقد سمعت ما قال يحيى بن خالد:
 من بلغ رتبة فتاه أخبر أن محله دونها ومن بلغها فتواضع أعلم أن حقه فوقها
 فكيف والأحوال على ما كانت عليه لم يصر الهلال بدرّاً ولا الشبل لبتاً ولا الفصن
 ساقاً ولا القطوف معتاقاً. والعرب تسمى الكبريتها وهو الخيرة لأن صاحبها لا يهتدى
 لرشاد ولا يصل إلى سداد ولو لم يكن إلا التطير من اسمه دون التحلى بقبح سمته
 ورسمه لكان العاقل حقيقاً بتركه وخليقاً برفضه، وقد قيل ليس لمعجب رأى
 ولا لمتكبر صديق فإياك أن تحرم نفسك بكبرك الذي يضرك ولا ينفعك ويحطك
 ولا يرفعك استفادة الإخوان الذين هم أبلغ في الخير والشر من البيض الحداد
 وأحضر عناء في الأمان والخوف من الطرائف والتلاد فان ذلك غبن كبير وحرمان
 جسيم، وقد قال الأول:

مايأل من أوله نطفةً وآخره جيفةٌ يفخرُ

ولبعض بنى هاشم وهو الرضى رحمه الله تعالى:

ولربّ مولى لا يفضُّ جاحهُ طولُ العتابِ ولا عناءُ العذلِ
 يطفئ عليك وانتَ تلامُّ شعبه والسيف يأخذ من بنانِ الصيقلِ
 ضاقَ الزَّمانَ فضاقَ فيه تقلىي والماءُ يجمع نفسه في الجدولِ

وقال بعضهم في يزيد بن المهلب:

فمن يلازم النازلون محلهُ ؟ فنزلكم للحمدِ والشكرِ منزلُ
 رأى الناسُ فوقَ المجدِ مقدارَ مجدكم فقد يسألونكم فوقَ ما كان يسألُ
 وقصر عن مسعاكم كلُّ آخرٍ وما فاتكم ممن تقدّم أوّلُ

بلغتُ الذي قد كنتُ آمله لكم
ومالٍ حقٌّ واجبٌ غيرُ أني
فإن أنتمُ أنعمتمُ وبررتُمُ
وإن كنتمُ أوليتُموني تفضلاً
وكم مُلحفٍ قد نالَ منكم رغبةً
وعودتموني قبل أن أسألَ الغني
وقال ابن الرومي :

من الحيفِ تحسيسٌ^(١) النوالِ ومطله
وكن نخلتةً تلوى وتسنى عطاءها
وقال : يا شبيهةَ البدرِ في الحسنِ وفي بُعدِ المثالِ
جُدْ فقد تنفجرُ الصخرةُ بالماءِ الزُّلالِ

وله في المعانيب مالا أعرف لغيره - قال :

يا ابن الوزير الذي تمتَّ وزارتهُ
إن كنتُ أحسنتُ في وصفي ما تترك
وإن أكن قلتُ مالا أستحقُّ به^(٢)
إنَّ المديحَ إذا ماساراً مُنفرداً
فقد يعزُّ بليغٌ في بلاغته
أسهمتُ فيكم لكي أعلى فطاطاني
إنَّ السلايمَ لا تبني أطاولها
لكن ليصعدَ انجاداَ تشرفهُ
وقد هبطتُ بما شيدتهُ لكم
لا تجتمعنَّ على العارِ والنارا
فأثروا في بالاحسانِ آقارا
منكم ثواباً فردوه وما سارا
من الثوابِ كسى من قاله عارا
وقد يظنُّ سوى المختارِ مختارا
تقصيركم بي فقد أزمعتُ إقصارا
بوماً ليهبطَ بانينهنَّ اغوارا
حتى يمدَّ اليها^(٣) الناسُ أبصارا
من حالي ولعلَّ الله قد خارا

(١) في الأصل « تطفيف » وفي ديوان ابن الرومي « تحسيس » .

(٢) في الديوان « أو كنت قد قلت مالا أستحق به » . (٣) في الديوان (إليه) .

كم هابط صاعد من بعد مهبطه^(١) وغائر منجد من بعد ماغارا
 نقلت في كفة الميزان فانكدرت تهوى وشال خفاف الناس^(٢) أقدارا
 صبراً فكم ناهض من بعد وقعتيه يوماً وكم واقع من بعد ماطارا
 لابني سمير^(٣) صروف غير غافلة يحسن نقصاً كما أحسن امرارا
 وقال: وتابع بعد الفتح قوماً سبقتهم فلم أنافي نعمك ردف وهم صدرم
 ولم يصف من شيء صفاء طوبى فلم شربهم صفو ولم مشربي كدر
 وما جاء مدح مثل مدحى فيكم فلم كسبهم مدح ولم مكسبي جزر
 ومالى لا أنفك أنى مسنداً ولى منكم ظهر وما مثلكم ظهر
 لعمرى لقد غوت غير مقصر لتجبر من مالى وقد أمكن الجبر
 وكم قائل أبلغت فيما تقوله فقلت له غنيت لو ساعد الزمر
 وقلت: قد كنت توليني الحسنى وتكرمنى وكنت أشكر ما أتى من الحسن
 فما بدا لك في جود ومكرمة تجرى من المجد مجرى الروح في البدن
 ارجع الى الحالة الأولى فان لنا شكراً يكون لها من أوفر الثمن
 وحسن أحدوثه لو كنت تبصرها حسبها مغرة في جبهة الزمن
 أركب من المسك في أصداغ غانية كأنها قرأ أوفى على غصن
 وللصاحب بن عباد في الاستزادة والعتاب آيات لم يمر بي من شعره أجود منها فمنا:
 يشهد أبناء المفاخر كلهم بأن مضيع الأكرمين مضيع
 يززعك الواشون عن حومة العلا وكان بعيداً أن يززع لعلا
 وقد طرف البحتري في قوله يستبطن محمد بن العباس الكلابي:
 المئة الدينار منسية في عدة أشبعها خلفا
 لاصدق اسماعيل فيها ولا وفاء ابراهيم إذ وفي

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط (هبطته). (٢) في الديوان (القوم).

(٣) ابنا سمير: الليل والنهار لأنه يسمر فيهما أي يتحدث — كما في جنى الجنة.

ان كنت لاتنوي نجاحاً لها فكيف لا تجملها ألفا
وقوله : عمرت أباسحق مصلح العمر ولا زال مزهواً بآبائك^(١) الدهر
فأنت ندى نجيا به حيث لا ندى وقطرٌ يرجى جوده حيث لا قطر
على أنني بعد الرضا متسخطاً ومستتب من خطه سهلها وعر
وقد أوحشتني ردة لم أكن بها بأهل ولا عندي بتأويلها خبر
فلم جئت طوع الشوق من بعد غابتي الى غير مشتاق ولم رددني بشر
وما بالله يأبي دخولي وقد رأى خروجي من أبوابه ويدي صفر
ومن جيد ما قيل في حسن الاقتضاء قول أبي تمام :

وإذا المجد كان عوني على المر وتقاضيته بترك التقاضى
وقول الآخر : أروح بتسليم وأغدو بمثله وحسبك بالتسليم متى تقاضيا
وفي خلاف ذلك قول بعضهم : تفتى بكرمك تمنع من اقتضائك وعلمي بشغلك
يحدو على اذ كارك . ومما يجرى مع هذا الباب قول الآخر :

أنت أمضى من أن تحرك للجد ولكن شراهة الشعراء
وفي خلاف ذلك قول الآخر :

أروح وأغدو نحوكم في حوائجي فأصبح منها غدوة كالذي أمسى
وقد كنت أرجو للصديق شفاعتي فقد صرت أرضي أن أشفع في نفسي
وقول الآخر : ولعموت خير من حياة زهيدة وللمنع خير من عطاء مكدر
ومن مליح الاستبطاء ما كتب بعضهم : كتابي ليس باستبطاء واما ساكي ليس
باستغناء ولكن كتابي تذكرة لك واما ساكي ثقة بك . وكتب عثمان الى علي رضي
الله تعالى عنهما : أما بعد فقد بلغ الماء الزبي والحزام الطيبين وطمع في من لا يدفع عن نفسه :
فان كنت ما كولاً فكن خيراً آكل وإلا فأدركني ولما أمرق
ومما جاء في ذم العتاب قول بعض الحكماء : العتاب رسول الفرقة وداعي القلى وسبب

السلوان وباعث الهجران. وقال بعضهم: العتاب يبعث التجنى والتجنى ابن المحاجة والمحاجة
 أخت العداوة والعداوة أم القطيعة. وقال بعضهم: سبيل من يأخذ على أيدي الأحداث أن
 لا يكدرهم بالتوبيخ لئلا يضطروا إلى القحة. وقال غيره العتاب داعية الاجتناب فاذا
 انبسطت المعاتبة انقبضت المصاحبة. وقال آخر: حرك اخوانك يبعث العتاب لئلا
 يستعذبوا أخلاقك وأغض عن بعض ماتنكر منهم لئلا يوحشهم الحاحك. وهذا
 أقصد ما قيل في هذا المعنى. وكتبت في فصل لى: العتاب مقدمة القطيعة وطلبيعة
 الفرقة فتجنبه قبل أن يجنبك حظك من السرور بروية أحبابك وانتقل عنه قبل
 أن ينتقل بك عن مقر غبطتك بمشاهدة أودائك وإن لم تجد منه بداً فاقصد فيه
 ولا تكثر منه فإن الكثير من المحبوب مملول فكيف من المكروه والاقتصاد في
 المحمود ممدوح فكيف من المذموم. وقال ابن الرومي:

أرّفه ما أرّفه في التقاضى وليس لديك غير المطل نقد
 خلا وعد مدت إليه كفى ^(١) فأعرض دونه مظل يمد
 إذا إنجاز وعدك كان وعداً فيكفني من الوعدين وعد
 وقال: سألت قفيزين من حنطة فجدت بكر من المنع واف
 وأتبعته منعك لى بالمجاب مهلاً هديت ففى المنع كاف
 كأنى سألتك حبّ القلوب ذلك الذى من ورام الشفاف
 وقد أجاد الآخر حيث يقول:

وكن عند ما نرجوه منك فأننا جميعاً لما أوليت من حسن أهل
 ولا نعتذر بالشغل عنا فأنما تناط بك الآمال ما اتصل الشغل

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط «مددت إليه عيني».

﴿ الفصل الثاني من الباب الثالث في الهجاء ﴾

قالوا أهجى بيت قالته العرب قول جرير :

ففضَّ الطرفَ إنك من نميرٍ فلا كهباً بلغت ولا كلاباً

أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد حدثنا أبو عثمان عن التوزي عن أبي عبيدة عن يونس قال قال عبد الملك بن مروان يوماً وعنده جلساؤه : هل تعلمون أهل بيت قيل فيهم شعر ودوا أنهم افتدوا منه بأموالهم ، وشعر لم يسرهم به حمر النعم ؟ فقال أسماء بن خارجة نحن يا أمير المؤمنين ، قال وما قيل فيكم ؟ قال قول الحارث بن ظالم :

وما قومي بشعلبة بن سعدٍ ولا بفزارة الشعر الرقابا

فو الله يا أمير المؤمنين إنى لا لبس العمامة الصفيقة فيخيل لى أن شعر قفاى قد بدا منها . وقول قيس بن الخطيم ^(١) :

هممنا بالاقامة ثم سرنا مسير حذيفة الخير بن بدر ^(٢)

فما يسرنا أن لنا بها أوبه سود النعم . فقال هانيء بن قبيصة أولئك نحن يا أمير المؤمنين ، قال ما قيل فيكم ؟ قال قول جرير :

ففضَّ الطرفَ إنك من نميرٍ فلا كهباً بلغت ولا كلاباً

والله لو ددنا أننا افتديناها بأملاكنا ، وقول زياد الأعمجم :

لعمرك ما رمحُ بني نميرٍ الصدور ولا قصار ؟

فو الله ما يسرنا به حمر النعم . قال أبو بكر وذو كران جريراً لما قال :

والتغليُّ إذا تمنحَ للقرى حكَّ استه وتتمثل الأمثالا

(١) كان شاعر الأوس وأحد رجالاتها ، اشتهر باتباعه قاتلى أبيه وجده حتى

قتلها وقال في ذلك شعراً ، أدرك الاسلام وقتل قبل أن يسلم .

(٢) في النسخ تصحيف صححناه من ديوان قيس .

قال قد قلت بيتاً فيهم لو طعن أحد في استه لم يحكمها .

وأخبرنا أبو القاسم عن المعدي عن أبي جعفر عن المدائني قال مرت امرأة بيني
 نمير فتغامزوا إليها فقالت يا بني نمير لم تعملوا بقول الله تعالى ولا بقول الشاعر :
 يقول الله تعالى (قُلْ لِلدِّينِ بَيْنِي وَبَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا) ويقول الشاعر :
 * فغض الطرف إنك من نمير * فحججوا وكان النميري إذا قيل له ممن أنت ؟
 قال من نمير فصار يقول من بني عامر بن صعصعة .

ولو قيل إن أهجى بيت قالته العرب قول الفرزدق لم يبعد وهو :

ولو ترمى بلؤم بني كليب نجوم الليل ما وضحت لسارى

ولو يرمى بلؤمهم نهار لدنس لؤمهم وضح النهار

وهذا مثل قول الآخر :

ولو أن عبد القيس ترمى بلؤمها على الليل لم تبد النجوم لمن يرى

وقالوا أهجى بيت قالته العرب قول الأعشى :

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم وجاراتكم غرقي بيتن خائفا

وكان من حديث هذا الشعر أن عامر بن الطفيل بن مالك وعلقمة بن علاثة

تنازعا الزعامة فقال عامر : أنا أفضل منك وهي لعمي ولم يمت - وعمه عامر بن

مالك بن جعفر بن كلاب وكان قد اهتز وسقط - وقال علقمة : أنا أفضل منك أنا

عفيف وأنت عاهر وأنا وفي وأنت غادر وأنا ولود وأنت عاقر وأنا أدنى إلى ربيعة .

فتداعيا إلى هرم بن قطبة ليحكم بينهما فرحلا إليه ومع كل واحد منهما ثلثائة من

الابل مائة يطعمها من تبعه ومائة يعطيها الخا كم ومائة يعقرها إذا حكم . فأبى هرم

ابن قطبة أن يحكم بينهما مخافة الشر ، وأبى أن يرحلا فخلا بملقمة وقال له : أترجو

أن ينصرك رجل من العرب على عامر فارس مضر أندى الناس كفاً وأشجعهم لقاءً

لسان رمح عامر أذ كر في العرب من الأحوص وعمه ملاعب الأسنه وأمه كبشة

بنت عروة الرحال وجدته أم البنين بنت عمرو بن عامر فارس الفحباء وأمك من

النخع وكانت أمه مهيبة وأم علاثة^(١) من النخع ، ثم خلا بعامر فقال له أعلى علقمة
تفخر أنت تناوته أعلى ابن عوف بن الأحوص أعف بن عامر وأحلمه وأسوده
وأنت أعور عافر مشؤوم أما كذلك رأى يزك عن هذا أ كنت تظن أن أحدا من
العرب ينصرك عليه . فلما اجتمعوا وحضر الناس للقضاء قال أنما كر كبتى البعير فرجعا
راضين . والصحيح أنه توأرى عنهم ولم يقل شيئاً فيهما ولو قال أنما كر كبتى الجمل
لقال كل منهما أنا اليمنى فكان الشرح حاضرآ . ولقد سأله عمر بن الخطاب رضى الله
تعالى عنها بعد ذلك لمن كنت حاكماً لو حكمت ؟ فقال اعفنى يا أمير المؤمنين فلو
قلتها لعادت جذعة فقال عمر صدقت مثلك فليحك . فارتحلوا عن هرم لما أعيام نحو
عكاظ فلقبهم الأعشى منحدراً من اليمن وكان لما أرادها قال لعلقمة اعقدلى حبلاً
قال أعقد لك من بنى عامر قال لا تغنى عنى قال فمن قيس قال لا قال فما أنا رائدك .
فأتى عامر بن الطفيل فأجاره من أهل السماء والأرض ، فقيل له كيف تجيره من أهل
السماء ؟ قال ان مات وديته فقال الأعشى لعامر أظهر انكما حكمتانى ففعل فقام
الأعشى فرفع عقيرته في الناس فقال :

حكمتموه ففضى بينكم أبلج مثل القمر الزاهر
لا يأخذ الرشوة في حكمه ولا يبالي غبن^(٢) الخاسر
علقم ما أنت^(٣) الى عامر الناقض الاوتار والواتر
واللامس الخليل بخيل إذا تار عجاج الكمه الثائر
ساد وأنى رهطه سادة وكبرآ سادوك عن كابر

وشد القوم على الابل المائة ففقروها وقالوا عامر وذهبت به الغوغاء وجهد
علقمة أن يردها فلم يقدر على ذلك فجعل يتهدد الأعشى فقال الأعشى :
أتانى وعيد الحوص من آل جعفر فباعبد عمر ولونهيته الأحوصا

(١) بياض في الأصل ، وذكر القصة صاحب الأغاني بغير هذه الرواية . (٢) «غبن»
ساقطة من الأصل فاستدر كنها من بلوغ الأرب . (٣) في الأصل «لالت» .

فما ذنبنا أن جاشَ ببحر ابن عمكم
 كلا أبويكم كانَ فرعَ دطاميةِ
 تبيتونَ في المشتى ملاءَ بطونكم
 يراقبن من جوعٍ خلالَ مخافةِ
 رمى بك في أخراهمُ تركك الندى
 فعضَ حَدِيدَ الارضِ ان كنتِ ساخطاً
 فبكي علقمة لما بلغه هذا الشعر وكان بكأوه زيادة عليه في العار . والعرب تعير
 بالبكاء ، قال مهلهل :

يبكي علينا ولا نبكي على أحدٍ
 لنحنُ أغلظُ أكباداً من الابل
 وقال جرير :

بكي دوالٌ لا يرفأ اللهُ دمعهُ
 وكان الحطيئة مع علقمة وليد مع عامر ^(١) فقال الحطيئة :
 يا عام قد كنتَ ذاباع ومكرمة
 لو أن مسعاةً من جاريته أمم
 جارت قرماً ^(٢) أجاد الأحوصان به
 ضخم الدسيعة في عرينه شمم
 لا يصعبُ الأمرُ إلا حيث يركبه ^(٣)
 وقال: فما ينظر الحكام في الفصل بعدما ^(٤)
 بدوا واضح ذو غرّةٍ وحجول

(١) كذا في النسخ ، وفي طبقات الجحفي (وكان الحطيئة مع علقمة بن علاثة حين نافر عامر بن الطفيل) . (٢) وفي رواية (جارت فرعا) وفي ديوان الحطيئة : جارت قرماً أجاد الاحوصان به . جزل المواهب في عرينه شمم والأحوصان : الاحوص بن جعفر بن كلاب - واسمه ربيعة وكان صغير العينين - وعمرو بن الاحوص ، كافي جنى الجنتين في المثنيين للمحبي .
 (٣) في طبقات الجحفي وديوان الحطيئة (الإلا ريث يركبه) .
 (٤) في الأصل (بعدها) والتصحيح من ديوان الحطيئة .

وهاتان القصيدتان جيدتان بارعتان في معنيهما ولكن الناس استخفوا قول
الأعشى * علقم لالنت الى عامر * فر على أسنتهم وسقط شعر الخطيئة .

أخبرنا أبو علي بن أبي جعفر أخبرنا جعفر بن محمد حدثنا أبو عبيدة العسكري
حدثنا محمد يعني ابن الوليد حدثنا أبو زكريا عن الأصمعي قال قال عبد الملك
ابن مروان لأمية ^(١) مالك وللشاعر إذ يقول :

إذا هتفَ العصفورُ طارَ فؤادهُ وليثُ حديدُ النابِ عندَ الثرائدِ ^(٢)

قال أصابه حد من حدود الله تعالى فأقمته عليه ، قال فهلا درأته عنه بالشبهات ؟
قال كان أهون عليّ من أن أعطل حداً من حدود الله تعالى فقال يابني أمية أحسابكم
أحسابكم أنسابكم أنسابكم لاتعرضوا للهجاء ^(٣) فان للشعر مواسم لا يزيدھا الليل
والنهار إلا جدة ^(٤) والله ما يسرنى اى هجيت بيت الأعشى حيث يقول :

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم وجاراتكم غرثى يبتن خائصا

ولى الدنيا بخذا فيرها ، ولو أن رجلا خرج من عرض الدنيا كان قد أخذ عوضاً
لقول ابن حرثان :

على مكثريهم حق من يعتر بهم ^(٥) وعند المقلين الساحة والبذل

هكذا رواه لنا والبيت لزهير . وقالوا أهجى بيت قالته العرب قول الخطيئة في
الزبرقان بن بدر :

دَعِ المكارِمَ لا تَرَحَّلْ لبغيتها واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى

وأخبرني أبو أحمد سمعت بعض الشيوخ يقول اجتمع مطيع بن إياس وبجي
ابن زياد وحماد عجرد وجعفر بن أبي وزرة في مسجد الكوفة فامتروا ^(٦) في أهجى
بيت قالته العرب ثم اتفقوا على قول الفرزدق في جرير :

(١) في الاصل (لابنه) (٢) عجز البيت في الأصل غير منقوط فصحيحناه

من الامالى والعقد الفريد ، وفيه (صوت) مكان (هتف) . (٣) في الاصل (للفضحاء)

(٤) في الاصل (حيرة) . (٥) في الاغانى « رزق من يعتر بهم » .

(٦) في الأصل غير منقوطة .

أتم قرارة كل معدن سوءة
ولكل سائلة تسيل قرار
أخذه أبو تمام فقال :

وكانت زفرة ثم اطمانت
وكذلك لكل سائلة قرار
وقالوا أهجى بيت قالته العرب قول الأخطل جرير :

مازال فينا رباط الخيل معلمة
وفي كليب رباط اللؤم والعمار
قوم إذا استنبح الأضياف كابهم
قالوا لأهمم بولى على النار

قالت بنو تميم ما هجينا بشيء هو أشد علينا من هذا البيت . وهو يتضمن
وجوهاً شتى جعلهم بخلاء بالقرى وجعل أهمم خادمتهم يأمرونها بكشف فرجها ،
وجعلهم يدخلون بالماء أن يطفئوا به النار فيأمرونها بأن تطفئها بيوها بينهم وبين
المجوس لتعظيم المجوس النار ، الى غير ذلك وان نارهم من قلتها كانت تطفئها بيوها .

وقالت بنو مشاجع ما هجينا بشعر أشد علينا من قول جرير :

وبرحران غداة كبل معبد
نكحت نساؤهم بغير مهور

وقالت بنو كليب ما هجينا بشعر أشد علينا من قول الفرزدق :

ألست كليبياً إذا سيم سوءة
أقر كآقرار الخلية للبعل

وقالوا بل أهجى بيت قالته العرب قول الطرماح :

تميم بطرق اللؤم أهدي من القطا
ولو سلكت سبل المسكارم ضلت
وقال بعض الشيوخ لو أن هذا البيت لجرير أو لمن فى طبقته لحكم على جميع

ما فى معناه وبعده وهو أبلغ ما قيل فى الاحتمار والتقليل والجبن :

ولو أن حرقوصاً على ظهر نملة
تشد على صفي تميم لوكت

ولو جمعت يوماً تميم مجموعها
على ذرة معقولة لاستقلت

ولو أن أم العنكبوت بنت لها
مظلتها يوم الندى لاستظلت

ولو أن برغوثاً يرفق مسكه
إذا نهلت منه تميم وعلت

وأبلغ ما قيل فى الخمول قوله أيضاً :

لو كان يخفى على الرحمن خافية^١ من خلقه خفيت عنه بنو أسد
 قوم أقام بدار الذل أولهم كما أقامت عليه خدمة الوتر^(١)
 وقال ابن الأعرابي قال أبو عمرو بن العلاء أحسن الهجاء ما تنشده العاتق في
 خدرها فلا يقبح بها مثل قول أوس :

إذا ناقة شعرت برحل وتمرق إلى حكم تعدى فضل ضلالها
 وقال ابن الأعرابي وأنا أقول مثل قول جرير :

ولو أن ثعلب جمعت أحسابها يوم التفاخر لم تزن مثقالا
 وقيل أهجى ما قالته العرب قول الأعرابي :

اللؤم أكرم من وبر ووالده واللؤم أكرم من وبر وما ولدا
 قوم إذا جرجان منهم^(٢) أمنوا من لؤم أحسابهم أن يقتلوا قودا
 وقال النجاشي^(٣) في بني العجلان :

قبيلة لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل
 ولا يردون الماء إلا عشية إذا صدر الوراد^٤ عن كل منهل
 فاستعدوا عليه عمر بن الخطاب فقال ما قيل فيكم؟ فأنشدوه :

إذا الله عادى أهل لؤم ورقة فمادى بني العجلان رهط ابن مقبل
 فقال عمر إن كان مظلوماً استجيب له ، قالوا وقد قال :

قبيلة لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل
 فقال لبت آل الخطاب هكذا . قالوا وقد قال :

ولا يردون الماء إلا عشية إذا صدر الوراد^٤ عن كل منهل

(١) سقط من النسخ بعض عجز البيت فاستدر كناه من العقد الفريد .

(٢) في الأصل « إذا ما حرجانهم » .

(٣) في الأصل هنا « النحاس » وفي موضع آخر (النخاش) والصواب

« النجاشي » وهو شاعر أمير المؤمنين على رضي الله تعالى عنه على ما في بلوغ الأرب وغيره .

قال عمر : ذاك أقل للكأك - يعني الازدحام ، قالوا وقد قال :
 تعاف الكلاب الضاريات لحومهم ويا كفن من عوفٍ وكعبٍ ونهشل
 قال أحياناً^(١) القوم قتلاهم ولم يضيعوهم ، قالوا وقد قال :
 وما سُميَ العجلان إلا لقيلمم حُذِ القعبَ واحلبَ أيها العبدُ واعجل
 فقال عمر خير القوم خادمهم ثم بعث إلى حسان فسأله فقال ما هجائم ولكن
 سلح عليهم قههد النجاشي وقال ان عدت قطعت لسانك .

وكانوا يتمدحون بتقديم الورد وكان أعزهم أسبقهم إلى الماء بابله ومثل قوله :
 * تعاف الكلاب الضاريات لحومهم * قول البحترى :

ورددت العتاب عليك حتى سئمت وآخر الود العتاب
 وهان عليك سخطى حين تغدو بمرض ليس يأكله الكلاب
 ومن التناهى فى الاحتقار والنجول قول بعضهم^(٢) :

قالوا الأشاقر تهجوهم فقلت لهم ما كنت أحسبهم كانوا ولا خلقوا
 قوم من الحسب إلا كى بمنزلة كالققع بالقاع لا أصل ولا ورق
 إن الأشاقر قد حلوا بمنزلة لو يرهبون بنعل عندنا علقوا
 لا يكثرُونَ وإن طالت حياتهم لو تبول عليهم فأرة غرقوا
 وقول الآخر * لويحلوا بالحرير ما وجدوا * وقول الآخر ، أستغفر الله من قوله :

يكاد من رقة ولؤم يخفى على البارى القديم
 وقول أبى الهيثام :

يا جعفر بن القاسم بن محمد مالى أراك عن الندى معزولا
 إني أقول مقالة تجرى بها لو كنت من كرم أسكنت قليلا

وقول أبى تمام :
 ما كنت أحسب أن الدهر يمهنى حتى أرى أحداً يهجوهُ لا أحد

(١) فى الأصل «أحياة» (٢) نسبت فى العقد باختلاف فى بعض الألفاظ لزيد الاعجم ،

ونحوه قوله: هب من له شيء يريد حجابهُ ما بال لا شيء عليه حجاب

وقال * وأنت أنزر من لا شيء في العدد *

ومن مشهور ما قيل في بلوى الأختيار بالأشرار قول الأول :

فلو أتى بليتُ بهاشمي خولتهُ بنو عبد الداني

صبرتُ على عداوتهِ ولكن^(١) تعالى فانظري بمن ابتلاني

وشكار جل إلى أبي العيناء رجلاً فقال فك دخل في العدد وخرج من العدد،

يقول هو يعد في الحساب ويخرج من عدد التحصيل ، وهو من قول القائل :

خرجنا الغداة إلى زهة وفينا زياد أبو صعصعه

فسته رهط به خمسة وخسة رهط به أربعة

وقلت في معناه :

أنظر إليهم ولا تعجبك كثرتهم فأنما الناس قلوا كلما زادوا

ولا يهولنك من دهائمهم عدد فليس للناس في التحصيل أعداد

عجبت من زهدهم فيما يزينهم والناس مذ خلقوا في الخير زهاد

ومن التناهي في صفة الخول قول عبد الصمد في أبي العباس محمد بن يزيد المبرد :

سألنا عن ثماله كل حي فقال القائلون ومن ثماله

فقلت محمد بن يزيد منهم فقالوا زدتنا بهم جهاله

ومن الاستحقرار الشديد قول مسلم :

أمويس قل لي أين أنت من الوري لأنت معلوم ولا مجهول

أما الهجاء فدق عرضك دونه والمدح عنك كما علمت جليل

فاذهب فأنت طليق عرضك إنه عرض عززت به وأنت ذليل

فجمله دون الهجاء والهجاء فوقه فلا يهجي لضعته وقتنه .

ومن ههنا أخذ إبراهيم بن العباس قوله :

(١) وفي نسخة « لمان على ما ألقى ولكن » .

فكن كيف شئت وقل ما تشاء وأبرق يميناً وأرعد شمالاً
 نجابك لؤم منجى الذباب حتمه مقاذيره أن ينالا
 وهذه الأبيات وإن كانت مشهورة فإن لا يرادها ههنا معنى كبيراً وذلك أتى
 لست أجد خيراً منها في معناها وأجود، وقد شرطت أن لأضمن هذا الكتاب
 الاكل جيد اللفظ بارع المعنى ، وأنت أيضاً إذا احتجت إليه تتناوله من قرب .
 وأنشد الجاحظ :

ووفقت أنك لا نسبُ حماك لؤمك أن تُسباً
 وقال الآخر : بذلة والديك كسيت عزاً وباللؤم اجترأت على الجواب
 وقال غيره : دناءة عرضك حصن منيع تفيك اذا ساء منك الصنيع
 فقل لعدوك ما تشتهي فأنت الرفيع المنيع الوضع
 قلت : لست الوضع ولا الصغير وإنما أنت الوضع عن الوضع الأصغر
 لانفخرن وإن غدوت مقدماً فعلى جبينك سيماء مؤخر
 وقال أبو نواس :

ما كان لو لم أهجهُ غالب قام له هجوى مقام الشرف
 يقول قد أسرف في هجوننا وإنما زادَ بذلك السرف
 غالبٌ لا تسمعي لتبني العلا بلغت مجدأً بهجأى فقف
 قد كنت مجهولاً ولكنى نوّهت بالمجهول حتى عرف
 فجعل شرفهم ونباهتهم بهجائه إياهم ، وقوله :

وما أبقيت من غيلان إلا كما أبقيت من البظر المواسى
 ومن قديم الهجاء لمن لا يقع في حياته وفي موته فجعية قول بعضهم :
 وأنت امرؤ منا خلقت لغيرنا حياتك لانفع وموتك فاجع
 وقال ابن الرومي :

فلا تخش من أسهمي قاصداً ولا تأمنن من العاير

ولكن وراك معراتها
تضاؤل قدرك في الخاطر
وقال غيره :

إني هجوت بكل لفظٍ مقذعٍ
زيداً وكان له الهجاء مديحاً
وقلت : يا أبا القاسم هل أبصرت
شبهاً لك في قبحك
ونظيراً لك في شؤمك
أو لؤمك أو شحك
إن من شبهك الكلب
فقد بالغ في مدحك
وقلت : أهنت هجائي يا ابن عروة فاتحى
على ملام الناس في البعد والقرب
وقالوا أتيجو مثله في سقوطه
فقلت لهم جريت سيفي على كلب
وقال ابن الرومي :

خسأت كلباً مرّياً مرّةً
فقال مهلاً يا أبا خالد
حسبكم خزيّاً بنى آدم
شركتكم إياه في الوالد
ومثله ما أنشدناه أبو أحمد قال أنشدني ابن لنكك^(١) لنفسه :

وعصبة لما توسّطتهم
صارت^(٢) على الأرض كالتغام
كأنهم من سوء أفهامهم
لم يخرجوا بعد إلى العالم
يضحك إبليس سروراً بهم
لأنهم عاراً على آدم
وقلت : قلت للكلب حين مرّ بي أخساً
فكأنني كويت قلبك كيا
أترى اني أعدك كلباً
أنت عندى إذا نبحت الثريا

ومن التناهي في الاستصغار والحوّل قول زياد الأعجم :

إذا ماتني الله امرؤٌ وأطاعه
فليس به بأسٌ وإن كان من جرم
ولو جمعت جرم على رأس نملة
لباتوا شباعاً يضربون من الشحم
ومن بليغ ماجاء في الاستصغار ما رواه قدامة قال قال محمد بن ناشد سألني

(١) هو أبو الحسن محمد شاعر البصرة وأهجي أهل زمانه بالمقطعات .

(٢) في رواية « ضاقت » .

فلان عن رجل فقلت يساوي فلس ، فقال قد زدت في قيمته درهمين .

ومن أبلغ ما قيل في الهجاء قول ذى الرمة :

وأمثلُ أخلاقِ امرئٍ التمسِ أنها صلابٌ على طول الهوانِ جلودها
وما انتظرتُ غيابها للممة^(١) ولا استؤمرت^(٢) في حلٍّ أمرشودها
إذا امرئياتٌ حللن^(٣) ببلدة من الأرض لم يصلح ظهوراً صعيدها
وقال غيره : لعمرك ما تبلى سرايلُ عامرٍ من اللؤم ما دامت عليه ظهورها
وقال أبو سعيد الخزومي :

يا ثابت بن أبي سعيدٍ إنها دوكٌ وأحراها بأنٍ تنقلا
هلا جعلت لنا كحرمةٍ دعبل في استٍ أم كلبٍ لا تساوي دعبلا
وقالوا أهجى بيت قاله محمد بن حنبل في بشار :

نسبت إلى بردٍ وأنت لغيره فهيك لبرد نلت أمك^(٤) من برد

وأخبرني أبو أحمد أخبرني أبو الحسن الصيمري عن أبي العلاء قال حماد عجرد

* نسبت إلى بردٍ وأنت لغيره * قال بشار تهباً لحماد في هجائي في هذا البيت
خمساً معان أوردتها جرير في الفرزدق فلم يقدر عليها حيث يقول :

لما وضعت على الفرزدق ميسمى وضع البعيث جدعت أنف الأخطل
ومن أجود ما هجى به الدعش قول دعبل في مالك بن طوق :

الناسُ كلهمُ يسعى لحاجته ما بين ذى فرح منها ومهموم
ومالكٌ ظلٌّ مشغولاً بنسبته يرمُّ منها خراباً غير مرموم
يبنى بيوتاً خراباً لأنيسَ بها ما بين طوقٍ إلى عمرو بن كلثوم

(١) في الشعر والشعراء (العظيمة) . (٢) في الشعر والشعراء (استؤذنت) .

(٣) في الشعر والشعراء (نزلن) . (٤) سقط من الأصل (نلت أمك)

فاستدر كنها من الأغاني وهي بالكاف ، وفيه (دعيت إلى برد) .

وقال ابراهيم بن اسماعيل النسوي ^(١) :

لو أنّ موتى تميم كلهم نشروا وأثبتوك لقييل الأمر مصنوع
إنّ الجديد إذا ما زيد في خلق تبين الناس أنّ الثوب مرقوع
وقالوا أهجى بيت قاله محدث قول الآخر :

قبحت مناظرهم فحين خبرتهم حسنت مناظرهم لقبح الخبير
ولست أعرف أبلغ في الهجاء من قول الأول :

إن يفجروا أو يفردوا أو يبخلوا لم يحفلوا
وعَدُوا عليك مرجلين كأنهم لم يفعلوا

هذا أبلغ من ذكر الفروج والقول الفاحش المقذع في الأمهات والاخوات
ومن البليغ قول حسان :

أبناء طارف لن تلقى لهم شهباً إلا التيوس على أقفائها الشعر
ان نافروا نفروا أو كثروا كثروا أو قامروا الزنج عن أحسابهم قمر
كأنّ ريحهم في الناس إذ خرجوا ريح الكلاب إذا مامسها المطر ^(٢)

قد استوفى المعنى عند قوله (ريح الكلاب) ثم قال (إذا مامسها المطر) فجاء
بتتيم حسن. وقالوا قول جرير * تفتت شواربهم على الابواب * وقالوا قول حسان :

أبوك أبو سوء وخالك مثله ولست بخير من أيك وخالك
وإنّ أحقّ الناس ان لا تلومه على اللؤم من أنى أباه كذلك

ومن الافراط في صفة البخل قول ابن الرومي في سليمان بن عبد الله بن طاهر :
تجنب سليمان قفل الندى فقد يئس الناس من فتحه
فلو كان يملك أمر استه لما طعم الخش في سلحه

(١) في الأصل (النسوي) ولعل صوابه (النسوي) نسبة الى نسا التي يجوز

فيها نسوي ونسائي ، وهو ابراهيم بن اسماعيل بن يسار النسائي شاعر ابن شاعر .

(٢) في ديوان حسان المطبوع اختلاف في بعض الألفاظ .

وأبلغ ما قيل في الهجاء باللؤم قول الفرزدق :

ولو تُرمى بلؤم بني كليب
نجوم الليل ما وضحّت أسرار
ولو لبس النهار بني كليب^(١)
لدنس لؤمهم وضح النهار
وما يغدو عزيز بني كليب
ليطلب حاجة إلا بجار
وقد مر البيتان الأولان فيما تقدم . ومن الإفراط في الهجاء قول الآخر :
لو أطلع الغراب على تميم
وما فيها من السواتِ شابا
وقول الآخر :

سأل الله ذا المن من فضله
ولا تسألن أبا وائله
فما سأل الله عبداً له
نحابة ولو كان من باهله
وقال الآخر : ولو قيل للكلب يا باهلي
لا عول من قبح هذا النسب
وأشدني أبو أحمد أشدني أبو مسلم بن بحر لابراهيم بن العباس وهي أبيات
مشهورة أوردتها لأنني لست أجد مثلها في معناها :

ولما رأيتك لافسقا
تهاب ولا أنت بالزاهد
وليس عدوك بالمتقى
وليس صديقك بالحامد
أتيت بك السوق سوق الرقيق
فناديت هل فيك من زائد
على رجل غادر بالصديق
كفور لنعائه جاحد
فما جاءني رجل واحد
يزيد على درهم واحد
سوى رجل حار منه الشقا
فبعثك منه بلا شاهد
وأبت إلى منزلي سالماً
وحلّ البلاء على الناقد
وقد أحسن التصرف فيها فما قاربه في معانيها أحد .

وأبلغ ما قيل في البخل قول ابن الرومي :

(١) في الأصل «بنو كليب» والتصحيح من منتهى الطلب في أشعار العرب .

يُقْتَرُ عَيْسَى عَلَى نَفْسِهِ وَ لَيْسَ بِيَاقٍ وَلَا خَالِدٍ
فَلَوْ يَسْتَطِيعُ لِتَقْتِيرِهِ تَنْفَسَ مِنْ مَنْخَرٍ وَاحِدٍ
رَضِيَتْ لَتَشْتِيَتْ (١) أُمُورُهُ يَدِي وَارِثٍ لَيْسَ بِالْحَامِدِ

والناس يظنون أن ابن الرومي ابتكر هذا المعنى وإنما أخذه مما رواه الجاحظ أن فلاناً كان يقير (٢) إحدى عينيه ويقول إن النظر بهما في زمن واحد من السرف.

ومن الفرد الذي لا شبيه له قول بعضهم :

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو أَنِّي بَتُّ طَاهِرًا فَبِجَاءِ سَلَوِيَّ فَبَالَ عَلَى رَجُلِي
فَقُلْتُ أَقْطَعُوهَا بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ فَأَنَّى كَرِيمٌ غَيْرٌ مَدْخِلُهَا رَحْلِي
وَقُلْتُ : وَقَفْتُ لَدَيْكُمْ لِلسَّلَامِ عَلَيْكُمْ وَقَوْفِي عَلَى أَطْلَالِ سَلْمَى وَعَاتِكِ
يُرُومِكِ تَسْلِيمِ الْعَفَاةِ كَأَنَّهُ بُوَادِرُ طَعْنٍ فِي الضُّلُوعِ مَوَاشِكِ
وَمَا فِيكُمْ حَرٌّ يَكْرُمُ ضَيْفَهُ وَلَكِنْ إِذَا مَا سَاءَ أَوْ كَرَّمَ نَائِلُهُ
وَإِنْ كُنْتُمْ نَاسًا وَمَا أَنْتُمْ بِهِ فَانِ الْقُرُودَ وَالْكَلابَ مَلَائِكُهُ

وليس في هذا الباب أبلغ من هذا ولا أعرقى سبقت إليه . وقال بعضهم :

سَمِعْتُ الْمَدِيحَ أَنَا سَاءَ دُونَ مَا لِهْمٍ رَدَّ قَبِيحٍ وَقَوْلٍ لَيْسَ بِالْحَسَنِ
فَلَمْ أَفْزَ مِنْهُمْ إِلَّا بِمَا حَمَلْتُ رَجُلٌ الْبِعُوضَةَ مِنْ فَخَّارَةِ اللَّبَنِ
وَهَذَا كَمَا تَرَاهُ بَلِيغٌ جَدًّا . وَقَالَ الْآخِرُ * يَعْطِيكَ مَا تَعْطِيكَ مَكْحَلَةٌ *

وَأُنشَدْنَا أَبُو أَحْمَدَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي طَاهِرٍ لَدَعْبَلٍ :

أَتَقْفَلُ مَطْبِخًا لَا شَيْءَ فِيهِ مِنْ الدُّنْيَا تَخَافُ عَلَيْهِ أَكْلُ
فَهَذَا الْمَطْبِخُ اسْتَوْثَقَتْ مِنْهُ فَمَا بَالُ الْكَنِيْفِ عَلَيْهِ قَفْلُ
وَلَكِنْ قَدْ بَخَلْتُ بِكُلِّ شَيْءٍ فَحَتَّى السَّلْحَ مِنْكَ عَلَيْكَ بَخْلُ
وَأُنشَدْنَا : وَإِنَّ لَهُ لَطِبْخَانًا وَخَبْرًا وَأَنْوَاعَ الْفَوَاكِهِ وَالشَّرَابِ
وَلَكِنْ دُونَهُ حَبْسٌ وَضَرْبٌ وَأَبْوَابٌ تَطَابِقُ دُونَ بَابِ

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط « لتفريق » . (٢) في النسخ « يقتر » .

كأمثال الملائكة الغضاب

فالكوكب المنحس يسقي الأرض أحيانا

«لا والرغيف» فذاك البر من قسمه

فان موقعها من لحمه ودمه

على جرادقة كانت على حرمه

يزداد نتن الكلاب بالمطر

يغدو عليه يلاعبه

أفضى إليه يعاتبه

وتذب عنه كتائبه

والضيف ينتف شاربه

واكيلان من درر وشدر

بكا الخنساء إذ فجعت بصخر

و حرب مثل وقعة يوم بدر

ما إليه لا كل^(٣) من سبيل

ئف في سلتين في مندبل

وسيور قددن من جلد فيل

والمفاتيح عند ميكائيل

يقتل في الجود آباءه

فقد جاءه كل ما ساءه

يؤدون الذباب يمر عنه

وقال الخليل بن أحمد :

لا تعجبن لخير زل عن يده^(١)

وقال أبو تمام :

صدق أليته^(٢) ان قال مجتهدا

وان همت به فافتك بخبرته

قد كان يعجبني لو أن غيرته

وقال آخر : يزداد لؤما على المديح كما

وقلت : حبز الأمير عشيّة

وإذا بدأ جلسه

ومحوطه أحرأه

فالزور يصفع عنده

وقال آخر: قى لرغيفه فرط وشغف

إذا كسر الرغيف بكى عليه

ودون رغيفه قلع الثنايا

وقال آخر: إن هذا القى بصون رغيفا

هو في سفرتين من آدم الطا

مخمت كل سلة برصاص

في جراب في جوف تابوت موسى

وقلت : لنا سيد واحد ماجد

لثيم إذا جاءه طارق

(١) في الاصل غير منقوطة . (٢) أي قسمه .

(٣) في العقد الفريد « لناظر » وفي الأصل تصحيف صححناه من العقد .

وهل يطعمُ الناسُ في خبزِهِ
فما ولغ الكلب في لؤمِهِ
إذا كان يمنعهم ماءً
لما زال يقذفُ أمعاءَهُ

وسمعت عن أبي حفص يقول قال جعفر بن محمد العسكري أبلغ ما قاله محدث
في البخل قول بعضهم :

الحابس الرُّوثَ في أعفاجِ بقلته
وأجود ما قيل في البخل قول بعضهم :

وعدت فأكدت المواعيد بيننا
وأجرت لي جبلا طويلا تبعته
وأقامت إقلاع الجهام بلا وبلا
ولم أدر أن اليأسَ في طرف الخبل
وقال أبو نواس :

رأيتُ قدور الناس سوداً من الصلَى^(١)
يُبيئُها للمعتنى بفنائهم
وقدر الرِّقاشين زهراء كالبدر
إذا ماتنادوا للرَّحيل سعى بها
ولو جئتها ملائ عبيطاً^(٢) مجزراً
غيره: يحصنُ زاده عن كلِّ ضرر
ولا يروى من الآداب^(٣) شيئاً
سوى يدٍ لا بُرهةَ الأيادي
ولا يبقى الكثيرُ مع الفساد
قليلُ المالِ تُصلحهُ فيبقى
وقلت في مثله :

يطعمُ دونَ الشبع أولادهُ
لم يروِ إلا خـبراً واحداً
ويختمُ البُرمةَ والجفنه
وقال آخر: ظمئتُ إذ سألتك ماءَ كرم
من أن تدنَسَ بالدَّسَمِ
ويختمُ البُرمةَ تزَهتها
بيضاءَ يُشْرِقُ نورُها
قد تذهبُ البطنةُ بالفطنة
وماءُ الكرم للرجلِ الكريم

(١) الصلَى بالكسر: النار. (٢) لحم عبيط: أى صحيح طرى. (٣) في رواية «الاشعار»

لو كانت عرضك مثلها كنت الممدح في الأوم
أو كان فعلك مثل قو
ومن أبخل بيت قيل :

وما روحتنا لتذببنا
وقال أبو نواس يصف قدراً :

يغصُّ بحلقوم الجرادة صدرها
وتغلي بذكري النار من غير حرها
هي القدر قدر الشيخ بكر بن وائل
وقال ابن الرومي :

رأى البخل طبا فهو يحمي ويحتمى
فلست ترى في بيته غير جائع

ومن أجود ما قيل في زيادة البخل والشح مع زيادة المال قول ابن الرومي :

إذا غمر المال البخل وجدته
يزيد به يساً وان ظن^(٢) يربط
وليس عجيباً ذاك منه فإنه
إذا غمر الماء الحجارة تصلب

وهو مأخوذ من قول بعض حكماء الهند . وأنشدنا أبو أحمد عن أبيه عن أبي طاهر :

رغيفك في الحجاب عليه قفل
وحراس وأبواب منيعه
وأوا في يته يوماً رغيفا
فقال لضيفه هذا وديمه
وأنشدنا عنه :

له حاجب دونه حاجب
وحاجب حاجبه محتجب

وقال أبو تمام :

لا تكلفن وأرض وجهك صخرة
في غير منفعة مؤونة حاجب

(١) في الأصل « جفال » بالفاء ، والتصحيح من القاموس حيث قال :

الجعال بالكسر : خرقة ينزل بها القدر . (٢) سقط من الأصل (يساً وان

ظن) فاستدر كناها من ديوان ابن الرومي المخطوط .

وقال آخر: لاتتخذن أباباً ولا حاجباً
 وأنشدنا: أعجبت أن ركب ابن حزم بغلة
 وعجبت أن جعل ابن حزم حاجباً
 وقال آخر: إحتجب الكاتب في دهرنا
 القومُ يخلون بحجابهم
 وقال آخر وأحسن:

وصاحبٌ أسرفتُ في مدحه
 حجابهُ ألزمني منزلي

وقلت في معناه:

مدحت فلم تصدق ولم تك مذنباً
 وما الجهلُ إلا أن تقرَّظَ معشراً
 وأنشدنا أبو أحمد:

لاخيرَ في صاعدٍ فأذكره
 ليس له ما خلا اسمه نسبُه

ومن أظرف ما قيل في هذا الباب قول ابن الرومي:

لك وجهٌ كأخر الصكِّ فيه
 كخطوطِ الشهودِ مشتبهاتٍ
 وقلت: إن كان شكلك غير متفق
 من عصابة شتى إذا اجتمعوا
 صورت من نطف قد اختلفت
 فورثت من ذا قبح منظره
 غيرتني أن رحت في صملي

لحات كثيرة من رجال
 معليات أن لست بآبن حلال
 فكذا خاللك غير مؤلفة
 شبهت داركم به عرفه
 فأتت خاللك وهي مختلفة
 وورثت ذاك خناه^(١) أو صلفه
 والدرُّ لا تزرى به الصدفة

(١) في الأصل غير منقوطة.

وأجود ما قيل في عظم الجسم مع قلة العقل من الشعر القديم قول حسان :

* جسم البغال وأحلام العصافير * وقال ابن الرومي :
طولٌ وعرضٌ بلا عقلٍ ولا أدبٍ فليس يحسن إلا وهو مصلوبٌ
وقال وأحسن :

إذا فقت الذميمة بحسن جسمٍ فلا يسبقك بالشم الشريفة
فيصبح أفضل الرجلين نفساً وتصبح أعظم الرجلين جيفة
وأنشدنا أبو أحمد أنشدني ابن لنكك لنفسه :

إثنان لم ينكرهما منكراً بغض أبي إسحق والموت
ويدعى العلم على أنه قد طار بالجهل له الصوت
لا يلتقي والعلم في مجلس أو يلتقى الإدراك والفوت

و كتب ابن العميد :

وليت شعري بأى حلى تصديت له وأنت لو توجت ^(١) بالثريا وتمنطقت
بالجوزاء وتوشحت بالمجرة وتقلدت قلادة الفكّة ما كنت إلا عطلاً ولو توضحت
بأنوار الربيع الزاهر وشدخت في جبينك غرة البدر الباهر واستعرت من الصباح
توباً وخضت أوضاع النهار خوفاً ما كنت إلا غفلاً .

وأبلغ ما قيل في صفة ثقيل ما أنشدناه ابن أبي حفص عن جعفر :

وثقيل أشد من غصص الموت ومن زفرة العذاب الأليم
لو عصت ربّها الجحيم لما كان ن سواه عقوبة للجحيم
وأبدع ما قيل في هذا المعنى قول بشار :

ربما يثقل الجليس وإن كان ن خفيفاً في كفة الميزان
ولقد قلت حين طلل على القوم ^(٢) ثقيل أربي على ثهلان

(١) في الأصل «توجت» . (٢) في الأصل «ولقد قلت حين في الأرض» وفي
العقد الفريد «ولقد قلت إذ أطل على القوم» . وفيه «أبا عمران» بدل «أبا سفيان» .

كيف لم تحمل الأمانة أرضه
أخذه ابن الرومي فقال :

أنتَ فضلٌ وفضلُ الشيءِ لغوٌ
حُقرَ الفضلُ ثمَّ صُغرتَ عنه
ثمَّ عرَّجتَ فاحتواك انتقاصٌ
ثمَّ بردتَ فانتصفتَ من الناءِ
فقبولُ النفوسِ إياكَ عندي
إنَّ قومًا أصبحتَ تنفقُ فيهم
أو أناسَ غدوا وراحوا من الظَّرِّ
فمتى ظفروا بزورٍ ظريفٍ
كالأعرابِ لم يروا درمكَ البرِّ^١ فهمُ يعظمونَ خيرَ الشعيرِ
وكذا القومُ لم يروا لجةَ البحرِ^٢ رفهمُ يكبرونَ ماءَ الغديرِ
ياتقيلًا على القلوبِ خفيًا
طر سخيفًا وقع مقيتًا فطورًا
كسفاةً وتارةً كثبير
وله : وثقيلٌ سبحانهُ من ثقيل
وتعالى عن كلِّ مثلٍ وند
حمل اللهُ أرضه ثقلها
وعلاها بثالثٍ من أد^٣

وأجود ما قيل في تباعد الأشباه من الأقرباء^(٢) ما أخبرنا به أبو أحمد عن
الصولي قال سمعت المبرد يقول لم يقل في تباعد الأشباه من الأقرباء أجود من قول
ابن أبي عيينة يهجو خالد بن يزيد المهلبى ويمدح أباه في كلمة :
أبوك لنا غيثٌ نعيشُ بفضلِهِ^(٣) وأنتَ جرادٌ ليس يبقَى ولا يندَرُ
له أثرٌ في المسكراتِ يسرُّنا وأنتَ تعنى دائماً ذلك الأثر

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط «لعلى خطة» وفي الأصل نقص كلمات إستكملناه
من الديوان . (٢) في نسخة «القرناء» . (٣) في الأغانى (يعاش بوبله) .

لقد قنعت قحطان خزباً بخالد فهل لك فيه يخزك الله يأمضر
 فسمع المهدي بيته هذا فقال بل تكرمون وتوثرون . وله في مثل ذلك يقول
 في قبيصة بن روح بن حاتم بفضل عليه ابن عمه داود بن يزيد بن حاتم :
 أقبيصُ لست وان جهدت بيالغ^(١) سعي ابن عمك في الندى داود^(٢)
 شتان بينك يا قبيص وبينه إن المذمم ليس كالمحمود
 داود محمود وأنت مذمم عجباً لذلك وأتما من عود
 ولرب عود قد بشق لمسجد^(٣) نصفاً وسائرُه لحش يهود^(٤)
 وقلت في خلاف ذلك :

كم حاجة أزلتها بكريم قوم أو لثيم
 فاذا الكريم من اللثيم أو اللثيم من الكريم
 سبحان رب قادر قدر البرية من أديم
 فشريفهم ووضعهم سيان في شرف ولوم
 قد قل خير غنيهم فغنيهم مثل العديم
 وإذا اختبرت حميدهم ألفيته مثل الذميم
 لا (نفع فيه)^(٥) للصغير من الأمور ولا العظيم
 أنظر الى كبر الجسوم ولا تسل رفع الجسيم

وقالوا أنصف بيت قيل في الهجاء قول حسان :

هجوت محمداً فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء
 أنه جوه ولسن له بكفء فشر كما لخير كما الغداء

(١) في الأغاني (بمدرک) . (٢) في الأغاني (ذى العلاء داود) .

(٣) سقط من النسخ (لمسجد) فاستدر كناها من الأغاني .

(٤) في النسخ مصحفة ، والتصحيح من الأغاني .

(٥) في النسخ يياض ولعله سقط (نفع فيه) أو (خير فيه) أو ما يقار بها وزنًا ومعنى .

يقوله في أبي سفيان بن الحارث ، وفيه يقول أيضاً :
 أبوك أبٌ حرٌّ وأمك حُرَّةٌ وقد يلد الحرَّانِ غيرَ نجيب
 فلا يعجبَنَّ الناسُ منك ومنهما فما خَبَثُ من قِصَّةٍ بعجيب
 وأخبرنا أبو علي بن أبي حفص أخبرنا جعفر بن محمد قال أهدى ما قالت العرب قول الشاعر :
 فصبراً على ذلِّ ربيع بن مالك وكلُّ ذليلٍ خير عاداته الصبر
 تحالفكم فقرٌ قديمٌ وذلةٌ وبئسَ الخليفةان المذلةُ والفقر

.....

ومن غير هذا الفن ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبيه عن عسل قال قال أبو سرح
 سمعني أبو دلف أنشد :

لا يمنعك خفضُ العيشِ في دَعَةٍ نزوعِ نفسٍ إلى أهلٍ وأوطانِ
 تلقى بكلِّ بلادٍ إن حلتَ بها أهلاً بأهلٍ وجيراناً بجزيرانِ
 فقال هذا الأُم بيت قائمه العرب . والنزوع ههنا ردىء والجيد النزاع ، وإنما
 جعل هذا البيت أبو دلف الأُم بيت قائمه العرب لانه يدل على قلة رعاية وشدة
 قساوة ، وحنين الرجل الى وطنه من المناقب التي يعتد بها ويمدح لأجلها لما فيه
 من الدلائل على كرم الطينة ووفور العقل ، وقد قالت الحكماء : حنين الرجل الى
 وطنه من علامات الرشدة . وقال بزرجمهر : من علامات العاقل بره باخوانه
 وحنينه إلى أوطانه ومداراته لأهل زمانه ، وقال أعرابي : لا تشك بلداً فيه قبائلك
 ولا تجف أرضاً فيها قوايلك . وقالت العرب : أكرم الخليل أشدها جزعاً من
 السوط وأكيس الصبيان أشدهم بفضاً للمكتب وأكرم الصفايا أشدها حنيناً إلى
 أوطانها وأكرم المهارة أشدها ملازمة لامهاتها وأكرم الناس آفهم للناس .
 وقلت : إذا أنا لأشتاقُ أرضَ عشيرتي فليسَ مكاني في النهي بمكين
 من العقل أن أشتاقَ أوَّلَ منزل غنيتُ بخفضٍ في ذراه ولين
 وروض رعاهُ بالأصائلِ ناظري وغصنُ ثناءً بالغداةِ يميني

وَأَيَّ لَأَنْسَى الْعَهْدَ إِذَا أَنْتَ بَنَاتِ النَّوَى دُونَ الْخَلِيطِ وَدُونِي
 إِذَا أَنَا لَمْ أَرَعِ الْعَهْدَ عَلَى النَّوَى فَلَسْتُ بِأَمُورٍ وَلَا بِأَمِينٍ
 وَسَنَدُ كَرَمٍ مِنْ هَذَا الْبَابِ طَرَفًا فِيمَا بَعْدَ أَنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى (١). وَمِمَّا لَانْكَادُ
 نَجِدُ أَجُودَ مِنْهُ فِي مَعْنَاهُ مَا أَخْبَرْنَا بِهِ أَبُو أَحْمَدَ عَنِ الصَّوَلِيِّ قَالَ دَخَلَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ
 عَلَى بَعْضِ الْأَمْرَاءِ بِبِرْقَعِيدٍ (٢) فَجَعَلَ يَنْشُدُهُ وَجَعَلَ الْأَمِيرُ يَعْأَتِبُ جَارِيَةً بَيْنَ يَدَيْهِ
 وَلَا يَسْمَعُ مِنْهُ فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ :

أَدَبٌ لِعَمْرُكَ فَاسِدٌ مِمَّا تُؤَدِّبُ بِرَقَعِيدٍ
 مَنْ لَيْسَ يَعْرِفُ مَا يَرِيدُ فَكَيْفَ يَعْرِفُ (٣) مَا نَرِيدُ
 مَنْ لَيْسَ يَضْبِطُهُ الْحَدِيدُ فَكَيْفَ يَضْبِطُهُ الْقَصِيدُ (٤)
 مَالِي رَأَيْتُكَ مَرْسَلًا أَيْنَ السَّلَاسِلُ وَالْقَيُودُ
 أَغْلَا الْحَدِيدُ بِأَرْضِيكُمْ أَمْ لَيْسَ يَصْطُكُ الْحَدِيدُ

وَقُلْتُ فِي الْمَعْنَى الَّتِي تَقْدَمُ :

قَلَّ خَيْرُ ابْنِ قَاسِمٍ فَعَنَاهُ كَعَدَمِهِ
 كَادَ مِنْ خَشِيَةِ الْقَرَى يَخْتَبِي فِي حِرَامِهِ
 جَازَ فِي اللَّؤْمِ حَدَّةُ كَأَيْهِ وَعَمِهِ
 كَادَ بِعَدِيكَ لَوْ مَهُ لَوْ تَسْمِيَتَ بِاسْمِهِ
 وَقُلْتُ : قَرَانَا بَقَوْلَا إِذْ أَنْخَنَا بِيَابِهِ فَأَصْبَحَ فِينَا ظَالِمًا لِلْبِهَائِمِ
 وَقَفْنَا عَلَيْهِ الرَّكْبَ نَسْأَلُهُ الْقَرَى وَنَحْنُ عَلَى أَعْنَاقِ أَغْبَرٍ (٥) قَائِمِ

(١) وذلك في « القول في الحنين إلى الأوطان في الجزء الثاني ص ١٨٦ » .

(٢) بليدة في طرف بقعاء الموصل . (٣) في معجم البلدان (بدرى) مكان

(يعرف) . (٤) هذه الأبيات الثلاثة هي التي ذكرت في معجم البلدان ،

وأما البيتان الآتيان فلعلهما من أبيات أخرى أوردها ابن خلسكان في ترجمة

يوسف البياسي . (٥) في الأصل هنا (أعبر) وسيأتي في موضع آخر (أعبر) .

فصامَ وصومَ الليلِ ليس بجائزٍ وإن جازَ في فقهه ^(١) اللثامُ الاشائمُ
 أجازَ صيامَ الليلِ حينَ استفرَّه ^(٢) تعاوَرُ ضيفَ في دُجى الليلِ عائمُ
 فبتنا أديمَ الليلِ نظوى على الطوى كأننا على غبراءَ من ظهرِ واشمِ
 وأطعمنا لما مرقنا ^(٣) من الدجى دحاريجَ لاتنساقُ في حلقِ طاعمِ
 مُدَوَّرَةٌ سودَ المتونِ ^(٤) كأنها خصى الزنجَ لاحت تحت فيشِ قوائمِ ^(٥)
 فأبشارها تحكى بطونَ عقاربِ وارؤسها تحكى أنوفَ محاجمِ
 ومن أعجب الهجاءِ هجو الرجلِ نفسه وهو مارويناه للحطيفة ثم قال ديك الجن :

أيها السائلُ عنى لست بى أخبرمى

أنا إنسانٌ برانى الله في صورةِ جنى

بل أنا الاسميجُ فى العيينِ فدع عنك التظنى

أنا لا أسلم من نفسى فمن يسلم منى

وهجأ أبو نواس نفسه من حيث لا يعلم فقال في رجل وعده أبو نواس وعدائهم مطله :

وأخوس ^(٥) ولاجٌ على ورائحٍ رجاءَ نوال لو أعين ^(٦) بجود

زويت ^(٧) له وجهاً قطوباً عن الندى وأياسته من وعده بوعيد ^(٨)

فان كنت لآعن سوء فعلك مقلعاً فدونك فاستظهر بنعل حديد

فعندى مطلٌ لا يطير غرابه مطير ولا يدعى له بوليد

ومن خبيث الهجاء قول ابن الرومى :

منى الهجاء ومنك الصبر فاصطبر لشرٍ منتظرٍ ياشرٍ منتظر

(١) فى الأصل (نقد) مكان (فقه) الواردة فى ميسراتى .

(٢) فى الأصل (فرقنا) . (٣) يريد الباذنجان . (٤) فى الأصل (قيس) .

(٥) فى ديوان أبى نواس (وأخوس) بانحاء المعجمة ، ولعل ما فى الأصل هو

الأقرب . (٦) فى ديوان أبى نواس (لويغان) . (٧) فى الديوان (قطبت له) .

(٨) فى الديوان (من نائل بوعيد) .

أنت اللثيم فإن تصبر فمن قجة
 رأيت عيبك شعري حين تالمه
 على الهوان وإن تجزع فمن خور
 شبيهه عض أخيك الكلب للحجر
 فانظر إلى الكلب مرمياً لتعلم أن
 لم تترك شيئاً منه ولم تندر
 وقال ابن الزمكدم :

وليل كوجه البرقيدي ظلمة
 سربت ونومي فيه نوم مشرد^{مه}
 ورد أغانيه وطول قرونه
 كعقل ابن هرون ورقة دينه^(١)
 على أولق فيه اختبال^{مه} كأنه
 أبو جابر في خبطه وجنونه

ومن أبلغ ما قيل في الجبن من الشعر القديم قول الشاعر :

ولو أنها عصفورة لحسبتها
 مسومة تدعوا عبيداً وأزماً
 أي لو رأيت عصفورة لحسبتها من جبنك خيلاً مسومة، ومثله قول عروة بن الورد:
 وأشجع قد أدر كتهم فوجدتهم
 يخافون خطف الطير من كل جانب
 ومثله قول الآخر :

مازلت تحسب كل شيء بعدهم
 خيلاً تسكر عليهم ورجالا
 وقال أبو تمام :

موكل بفضاء الأرض يشرفه
 من خفة الخوف لا من خفة الطرب
 وأبلغ ما قاله محدث في ذلك قول ابن الرومي :

وفارس أجبن من صفره
 لو صاح في الليل به صائح^{مه}
 يحول أويهور من صفره
 لسكانت الأرض له طفره
 يرحمه الرحمن من جبنه
 فيرزق الجندي النصره

وقال في سليمان بن عبد الله بن طاهر:

قرن سليمان قد أضرب به
 لا يعرف القرن وجهه ويرى
 شوق إلى وجهه سيدنه
 قفاه من فرسخ فيعرفه

(١) في معجم البلدان (كعقل سليمان بن فهدودينه). (٢) في المعجم (فيه الهباب).

وقال فيه : هو الأسد الورد في قصره وليكنه ثعلب المعركة
ومن ظريف ماجاء في ذلك قول أبي العمر هرون بن محمد من أهل آمل خرج

عليه اللصوص فسلم اليهم متاعه وهرب : أنشدناه أبو أحمد عن الانباري :

طلت تشجعتي ضللاً بتضليل وللشجاعة خطبٌ غير مجهول
هاتي شجاعاً بغير القتل مصرعه أوجدك ألف جبان غير مقتول
والله لو أن جبريلاً تكفل لي بالنصر ما خاطرت نفسي لجبريل
إسمع أحدك عن بأسى شكر؟ خلاف بأس المساعير البهايل
لما بدت منهم نحوى؟ تسرع الذعر في عرضي وفي طولي
حتى اتقيتهم طوعاً بذات يدي وانصعت أطوي الغلاميلا إلى ميل
الله خلصني منهم و ؟ حتى تخلصت مخضوب السراويل

وهذا خلاف مقاله المتنبي :

وإذا لم يكن من الموت بدٌ فمن العجز أن تموت جباناً

وقال سعيد بن العاصي حين هرب مروان بن محمد :

لجَّ الفرارُ بمروانٍ فقلتُ له عادَ الظلومُ ظليماً همُّهُ الهربُ
أنى الفرارُ وتركِ الحربِ إذ كشفت عنك الهوينا فلا دينٌ ولا حسبُ
فراسه الحلم فرعون العذاب وان تطلبُ نداءه فكابُ دونه كلبُ

فشبهه بالنعامة في الجبن وهو من أنفر الحيوان . وقال بعض العرب :

نفرَ جةٌ ينفرُ من ظلِّ الشجرِ فؤاده أنثى وضرسه ذكر

والنفر جة الجبان . ومن جيد ما قيل في النظير قول بعضهم :

الكوكب الذنبيُّ يخسبُ بالعجائبِ بعد سبعة

خلعوا عليه ويجلو ه وصار في عزٍّ ومنعه

وكذاك يُفعلُ بالجدو ر لنجرها في يوم جمعه

وقريب منه : وزارة العباس منكوسة تقتلع الدولة من أسها

كأنه حين غدا راكباً في خلعة يعجز عن لبسها
 جارية السبوء إذا جربت ثياب مولاها على نفسها
 وأكسل ما سمعناه ما أنشدناه أبو أحمد عن ابن عماد عن سليمان عن يحيى بن
 سعيد الأموي لبعضهم :

سألت الله أن يأتي بسلي وكان الله يفعل ما يشاء
 فيأخذها ويطرُحها بجني ويرقدها وقد كشف الغطاء
 ويأخذني ويطرُحني عليها ويرقدها وقد قضى القضاء
 ويرسل ديمة سحا علينا فيغسلنا ولا يلتقي عناه
 أخبرنا أبو أحمد عن أبي عمر عن ثعلب قال قلت لابن الأعرابي من أحق
 الأعراب ؟ قال أعرابي سبق الناس إلى الموسم وجعل يدعو الله لحاله وشأنه
 ويقول : اللهم اقض حاجاتي قبل أن يدهمك الوفد . قال ثعلب أفلا أدلك على أحق
 منه الذي يقول :

خلق السماء وأرضه في ستة وأبوك يمدد حوضه في عام
 وسألني بعض الأديباء من أهل البصرة فقال أي الشعراء أشد حمقاً ؟ قلت الذي يقول :
 أتبه على إنس البلاد وجنّها ولو لم أجد خلقاً لتهت على نفسي
 أتبه فلا أدري من التيه من أنا سوى ما يقول الناس في وفي جنسي
 فان صدقوا أتى من الانس مثلهم فما في عيب غير أتى من الانس
 فقال ما عدوت ما في نفسي . وقال بعضهم لابنه إياك والكبر وكيف الكبر مع
 النظافة التي منها خلقت والرحم التي فيها حملت والغذاء الذي به غذيت .
 ومن يبلغ ماجاء في ذم الكبر قول بعضهم : التواضع مع السخافة والبخل أحمد
 من السخاء والأدب مع الكبر والعجب . وقلت في مثل هذا :
 وعندهم مُذنبٌ مُذنبٌ مُذنبٌ أحمد من محسن مدلّ
 وأبلغ ما قيل في صلابة الوجه قول الأعرابي : لو دق بوجهه الحجاره لرضها

ولو خلا بالكعبة لسرقها .

ومن المنظوم قول بعضهم :

لو كنت من شيء خلافا لم يكن ليكون إلا مشجبا في مشجب
يأليت لي من جلد وجهك رقعة فأقد منها حافرا للأشهب

والبيت الأول مأخوذ من قول بعضهم : فلان يشجب من حيث رأيت وجدت (لا) .
وقد أحسن ابن أبي العتاهية في قوله :

قتلت (لا) فانها خبعت خالعة العدم^(١)

فهى تستهلك الجيسل وتأتى على الكرم

وقول أبي تمام :

وسابح هطل التعداء هتان على الجزاء آمين غير خوان

أظعي الفصوص ولم تظما قوائمه فخل عينيك في ظمان ريان

فلو تراه مسيحافي الحصى ريم تحت السنابك من مثني ووحدان

أيقنت ان لم تثبت أن حافره من صخرة تدمر أو وجه عثمان

وقال في معناه يمدح رجلا ويهجو عثمان هذا :

عثمان لا تلهج بذكر محمد يرضيك طول المجد عنك وعرضه

بذلك كله امساكه ويموت بسطك في المسكارم قبضه

وكان عرضك في السهولة وجهه وكان وجهك في الخزونة عرضه

وقال أبو الشعمق :

صلابة الوجه سلاح الفتى ورقة الوجه من الحرفه

من كان صلبا وجهه محكما فانت منه الدهر في طرفه

ومن أنجل ما قاله محدث قول ابن طباطبا الأصبهاني يخاطب غلامه :

إجعل الزوج من مراجك فردا واقتصد يا غلام والقصد أجدى

(١) في الأصل (الحلم) .

ان يكنُ فقدك الضياء رديئاً فاقنصادي للزر أردى وأردى
وقد غير هذا البيت في وجوه الأبيات المقولة في البخل .

ومن أملح ما قيل في مخالفة ظاهر الرجل باطنه قول بعضهم :

إذا ما جئتَ أحمدَ مستميحاً فلا يفرركَ من ظرهُ الأنيقُ
لهُ خلقٌ وليسَ عليه خلقٌ كسبارقةٍ تروق ولا تريق

ومن ملح في الدعوة رزين العروضي :

لقد جئتُ يا ابنَ أبي تبَّعٍ بأُمِّ الدَّواهي لدى المجمع
حلفتُ بأنك^(١) من حميرٍ وليس اليمين على المدعى

وملح أيضاً في قوله :

ان فخرَ الناسِ بأبائهم أنبتهم بالعجب العاجب
قلتَ وأرغمتَ أباً خاملاً أنا ابنَ أختِ الحسنِ الحاجب

ومن أملح ما قيل في إفشاء السر قول بعضهم :

أودَّعتهُ السرَّ فالفيتهُ أتمَّ من كأسٍ على راح
وقال السري :

تثنى عنك فاستشعرتَ هجراً خلالَ فيك لست لها براض
وانك كلما استودعتَ سرّاً أتمَّ من النسيم على الرِّياض

وقد أحسن كعب بن زهير غاية الاحسان في قوله :

ولا تمسك بالعهدي الذي عهدتُ إلا كما يمسك المَاءُ الغرايل
وأخذه الخطيئة فقال :

أغر بالاً إذا استودعتِ سرّاً وكانوا على المتخذيننا

والكانون: الرجل الثقيل ، قال الشاعر :

ليت الكوانين في زبل معلقة تحت الثريا بجبل ثم ينقطع

(١) في الأصل «حلفت بأبائك» .

وقدمر فيا تقدم يدت الحطيثة .

ومدح ابن الرومي ابن المدير ^(١) فردمديحه فقال فيه :

رَدَدْتُ عَلَى مَدْحِي بَعْدَ مَطْلٍ وَقَدْ دَسَّتْ مَلْبَسَهُ الْجَدِيدَا

وقلت امدح به من شدت غيري ومن ذا يقبل المدح الرديدا

ولاسيا وقد اعلقت ^(٢) فيه مخازيك اللواتي لن تبيدا

ثم اخنى عايه بالهجاء حتى قال فيه وقد ضربه الريح بالاهواز ضربة في وجهه

مدحه بها البحتري مدحا كثيرا فمن ذلك قوله :

ووجه ضمان البشر فيه موقفٌ على النجح والحاجات تترى عجالها

به من صفيح الهند وشم تينته صفيحةٌ وصّاح يروق جمالها

متى ربدتها عزةٌ أو حفيظةٌ أعيد اليها بالسؤال صقالها

متى ترها يوماً عليها دليلها تعجبك من شمس عليها هلالها

وذكرها ابن الرومي فأفحش في قوله :

بوجه أبي اسحق صدع كمرضة له قصة غير الذي هو يظهر

يخبّر عنه أنه أثر ضربة يبعث سيوف الزنج حين يخبّر

وما ضربته الزنج في الوجه بل رأى أبورهم فانشق في وجهه حر

في آيات سخيفة فطلبه ابن المدير أشد الطلب فلما ظفر به وأراد قتله أنشأ يقول :

حَقُّكَ الصَّفْحُ عَنْ ذُنُوبِي وَحَقِّي أَنْ قَتَلِي مُحَلَّلٌ لَكَ طَلْقٌ

فَاعْفُ عَنْ عَبْدِكَ الْمُسِيءِ وَلَا تَبْسُطْ بِمَا يَسْتَحِقُّ مَا تَسْتَحِقُّ

فمعا عنه وأجازه . وقال يهجو بخيلاً :

نمأك عندي التي أقرُّ بها انك أصبحت لي من الغير

وحبك الذم لا تقي بك ما أشبه خطم الخنزير بالقدر

أبديت في أوليات لؤمك ما قدرت في أخريات الآخر

(١) في دائرة المعارف للبستاني (ابن المهدي). (٢) في الأصل (أعقت).

كالقطرانِ الذي يرى أبدأً في رأسه ما اقتنى من العكر
 وهو من قول الناس أول الدن دردى . وقالت العلماء البلاغة أن تجعل المعنى الدنى
 ربيعاً والمعنى الرفيع وضيعاً . ومثل قول ابن الرومي قول الديلمي :
 في أوانِ الشبابِ عاجلني الشيبُ سببٌ وهذا من أول الدنِّ دُردي
 وليس هذا بالمختار لا بتدال لفظه . وقلت في بخيل :

قفعَ البردُ ضيفَ عمرٍ وفأضحى مثلَ من فيهِ يأخى زمانه
 بات للبردِ في طهارةِ سوءٍ ومن الجوعِ والطوى في بطانه
 وهو قدماً للضيفِ جوعٌ وقرئٌ ولمولاهُ ذلَّةٌ ومهانه
 جمع الرأسِ بين رأسه ورجلي فكأنى في يئسه أرسانه ؟
 وقلت : ضفتَ عمراً فجاءني برغيفٍ زادني أكله على الجوعِ جوعا
 ثمَّ ولى يقولُ وهو كئيبٌ لطفَ نفسى على رغيفِ أضيعا
 كان خداعةَ الضيوفِ ولكنَّ ربما أصبحَ الخدوعُ خديعا
 كنتُ أنزلته محلاً ربيعاً فعدا ذلك الرفيعُ وضيعا
 عجباً منه إذ أتيجَ هجاءُ كيفَ لم يمتنع وكاب منيعا
 (اتفاق الأسماء والألقاب وتباعدا ما بينها في الأخلاق)

قال الأوَّل في ذلك :

يزيد الخير إنَّ يزيدَ قومي سميكَ لا يزيدُ ولا تزيدُ
 يقودُ عصابةً وتقودُ أخرى فيرزق من يقودُ ومن تقودُ
 شبيهك في الولادة والتسمي ولكن لا يجودُ كما تجودُ
 ومثله : علىٌّ وعبدُ اللهِ بينهما أبٌ وشتانَ ما بين الطبايعِ والفعلِ
 ألم ترَ عبدَ اللهِ يلحى على الندى عليّاً ويلحاهُ علىٌّ على البخلِ
 ومثله : فإنَّ يكُ جحرانا إلى جمعِ نسبةِ ففي الرأى والأخلاقِ مختلفانِ
 ومأنتَ مثلى في مقامِ أقومهُ لدى البأسِ إلا أننا أخوانِ

آخر: لئن وصلت أبوتنا انتساباً لقدمه قطعتُ مراتنا العقولُ
 أبوك أبي وأنت أخي ولكن تبابت الطبائمُ والشكولُ
 أخبرنا أبو أحمد عن الصولي قال قال لنا المكتفي بالله يوماً ما أهتك بيت
 من الشعر وأفجر قائل أنعرفونه؟ فقال يحيى بن علي المنجم قول أبي نواس:
 ألا فاسقني خمرًا وقل لي هي الخمرُ ولا تسقني سرًّا إذا أمكن الجهرُ
 فقلت له إن المأمون أمر أن يخطب بهذا البيت على منابر خراسان وقال من
 عيوب محمد أنه استجلس رجلاً يقول ألا اسقني خمرًا، ولكن الحسين بن الضحاك
 الخليل قد قال ما هو أهتك من هذا قال وما هو؟ فأشدهته:

أتبعْتُ سُكْرًا بسكرٍ وابتعتُ خمرًا بقر

فقال هذا لعمري أهتك من ذلك. قال أبو هلال رحمه الله تعالى: وأبلغ
 الهجاء ما يكون بسبب الصفات المستحسنة التي تخلص النفس من الحلم والعلم والعقل
 وما يجري مجرى ذلك، وليس الهجاء بقبح الوجه وضوالة الجسم وقصر القامة
 وما في معنى ذلك بايغاً مرضياً، وينبغي أيضاً أن يتضمن الهجاء والمديح من نعوت
 المهجو والمدح وأسماؤهما وصفاتهما ما هما مشهوران به فاذا ذكر لم يخفيا.

أخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن أبي عثمان^(١) عن التوزي عن أبي عبيدة
 قال مدح مصعب بن عمير الليثي عاصم بن عمرو بن عثمان بن عفان فحرمه فقال^(٢):

سيروا فقد جن الظلام عليكم فيئس امرؤ يرجو القرى عند عاصم
 دفننا إليه وهو كالريح خاطباً^(٣) فشد على أكبانا بالعمائم
 ومالي من ذنب إليه علمته سوى أني قد جئته غير صائم
 فلولا يد الفأروق عندى رميته بقافية يحدى بها في المواسم

(١) (أبي عثمان) غير موجودة في الأصل فزدناها اعتماداً على ما ورد في أسانيد
 الكتاب في غير هذا الموضع. (٢) ذكر صاحب الاغانى ثلاثة أبيات منها منسوبة
 للحزبن باختلاف في بعض الألفاظ. (٣) في الاغانى « كالتيس طاعماً ».

فليتك من جرّم بن زبّان أوني نعيم أو النوكي أبان بن دارم
 أناس إذا ما الضيف حلّ بدارهم غدا جائعاً غرثان ليس بناعم
 فلما بلغ ذلك عاصماً قال ما أكثر من يسمى عاصماً حتى يقول : عاصم بن عمرو بن
 عثمان بن عفان فبلغه ذلك فقال :

جنبتها عاصماً من أن تلمّ به أعني ابن عمرو بن عثمان بن عفان
 إذا أناخت به الضيفان طارقة جاءت بنوه إلى الضيفان ضيفاناً
 فبلغه ذلك فقال : الآن طوقني بها طوق الحمامة لعنه الله تعالى . وقال بعضهم :
 أرى ضيفك في الدار وكرّب الموت يفشاهُ على خبزك مكتوبٌ سيكفيكم اللهُ
 وقال بشار (١) :

وضيفٌ عمرو وعمروٌ يسهران معاً عمرو لبطنته والضيفٌ للجوع
 آخر : نوالك دونهُ خرطُ القناد وخبزك كالثريا في البعاد
 ولو أبصرتَ ضيفاً في المنام حرّمتَ المنامَ إلى التناد
 أرى عمرَ الرغيفِ يطولُ جدّاً لديك كأنه من قوم عاد
 وما أهجوك أنك كفاء شعري ولكني هجوتك للكساد
 وقال آخر : رأى الصيف مكتوباً باظنن لبخله وتصحيحه ضيفاً فقام يوابه
 ورأيت في ألفاظ هذا البيت زيادة فقلت :

قد كان للمال ربا فصار في البخل عبده وصحف الصيف ضيفاً فقام يلطمُ خده
 وقال أبو نواس : * على خبز إسماعيل واقيةُ البخل * أخبرنا أبو أحمد أخبرنا
 أحمد بن عماد أخبرنا ابن حدثني محمد بن عمران بن مطر الشامي حدثني خالي الحسن
 ابن محمد قال نصب إسماعيل بن أبي سهل في صحن داره فاصطحبنا أربعين يوماً
 ومعنا أبو نواس فبلغت نفقته أربعين ألف درهم فقال أبو نواس بعد ذلك فيه :

خبزُ إسماعيل كالوشى إذا ماشق يرفا

(١) من المولدين ، كان رقيقاً ضريباً ، اتهم بالزندقة فضرب حتى مات .

عجباً من أثر الصنعة فيه كيف يخفى
 إن رفائك هذا أطف^(١) الأمة كفا
 فاذا ألق بالنصف من الحروف نصفاً^(٢)
 أطف الصنعة حتى ماترى مطعن أشفى^(٣)
 مثل ماجاء من التنوير ما غادر حرفاً
 وله في الماء أيضاً عملٌ أبداعٌ ظرفاً
 مزجه العذب بماء السببر كى يزداد ضعفاً
 فهو لا يسقيك منه مثل ما يشرب^(٤) صرفاً

فلم يسبق أبو نواس إلى هذه المعاني وهي كما تراها غاية . قال وقال فيه أيضا :
 على خبز إسماعيل واقية البخل فقد حلّ في دار الأمان من الأكل
 وما خبزُهُ إلا كعقواء مغرب تصوّر في بسط الملوك وفي المثل
 يحدث عنها الناس من غير رؤية سوى صورة ما ان تمر ولا تحلى
 وما خبزُهُ إلا كأوى يرى ابنه ولم ير أوى في الحزون وفي السهل^(٥)
 وما خبزهُ الا كليب بن وائل ليالى يحمى^(٦) عزه منبت البقل
 وإذ هو لا يستب خصمان عنده ولا الصوت مرفوعٌ بجدي ولا هزل
 فان خبزُ إسماعيل حلّ به الذي أصاب كليياً لم يكن ذاك عن ذلك
 ولكن قضاء ليس يسطاع رده بحيلة ذى مكر ولادهى ذى عقل
 وكان الجاحظ يفضل قوله * وإذ هو لا يستب خصمان عنده * على قول مهلهل
 * واستبّ بعدك يا كليب المنزل * وغير ذلك قال ابن الرومى :

(١) في ديوان أبي نواس « أحذق الامة » . (٢) في الديوان « وإذا قابل
 بالنصف من الجردق نصفاً » والجردق: الرغيف . (٣) في الديوان (مغرر أشفى) .
 والاشفى بالكسر: المثقب . (٤) في النسخ (يشرب) مكان (يسقيك) وبالعكس .
 (٥) في ديوان أبي نواس « في حزون ولا سهل » . (٦) في الديوان « ومن كان يحمى » .

وقينة أبرد من ثلجة تطلُّ منها النفسُ في ضجة
 كأنها من نبتها نوصةً لكنها في اللونِ أترجه
 تفاوتتْ خَلقتها فاغدتْ لكلِّ من عطل محتجه^(١)
 كأنها والوشمُ في جلدها زرنخةٌ شيبتْ بلبلنجه
 خراجةٌ للفسق دخاله تعجبها الدخلة والخرجه
 كأنما فقحتها فحمة فت عليها طاب ثلجه

وهي آيات سخيفة تركت أكثرها لسخفه . ونقل قوله * فهي لمن عطل محتجه *
 إلى موضع آخر فقال في اسماعيل بن بلبل :

لأسقيتْ نعى تسربلتها كم حجةٍ فيها لزنديق
 وقد أبدع أبو نواس في قوله يهجو جعفر بن يحيى :

قالوا امتدحتْ فإذا اعتضتْ قلتُ لهم خرقَ النعالِ وإخلاقِ السراويل^(٢)
 ذاك الأمير الذي طالتْ علاقوته كأنه ناظرٌ في السيفِ بالطول
 وكان جعفر طويل الوجه والقفا . وقال فيه أيضا : قفا ملك يقضي الهموم على بثق *

وقلت : سوداء يذرفُ دمعها مثلَ الاتونِ إذا وكفُ
 وكأنها من قبحها سلحُ العليلِ على الخرفِ
 وقال أبو تمام :

فأشهدُ^(٣) ماجسرتْ على إلا وزيدُ الخليلِ دونك في الشجاعه
 ووجهك إذ رضيتْ به ندبما فانتَ نسيحٌ وحدك في القناعه
 ولو بدلتْهُ وجهاً إذا لم أصلُّ به نهراً في جماعه
 ومن أعجب ما قيل في كبر الأنف قول كشاجم :

لقد مرَّ عبدُ الله في السوقِ راكباً له حاجبٌ من أنفه وهو مطرقُ
 رعيت له من جانب السوقِ مخطة توهمتْ أن السوقِ منها سيفرقُ

(١) في الأصل « فهي لمن عطل محتجة » . (٢) في ديوان أبي نواس

« إبلاء السراويل » . (٣) في ديوان أبي تمام « فأقسم » .

فأقنر به أنفأً وأقنر برُّه على وجهه منه كنيفٌ معلقٌ
وقال غيره: أنت في البيت وعرنيدك في البيت يطوف

ومن أقبح ماجاء في قبح الاسنان قول جرير:

إذا ضحكت شبهت أنيابها العلي خنافس سودا في صراة قلب

وأما خص الأنياب العلي دون السفلى لأنها تبدو في التبسم والتكلم وعند
التثاؤب، وهو كقول الآخر:

إذا كان يهدى برد أنيابها العلي لأقنر مني اني لفقير

فشبه أسنانها بالخنافس وسعة فها بالقلب، والصراة: الماء الفاسد فشبهه به فساد
نكمتها. وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر عن الرياشي عن ابن سلام قال دخلت ديباجة
المدنية على امرأة فقيل لها كيف رأيتها قالت لعنها الله كأن بطنها قرية وكان
نديها دبة وكان استها رقعة وكان وجهها وجه ديك قد نفش عرفه يقاثل ديكاً.

ومن بديع الهجاء بالتبزيق والتخط والبخر قول ابن الرومي:

تحسبُ مزكوماً وان لم تزكم	من سدة في أنفك المورم
محشرج الصدر برطلى بلغم	إن لم تنخع مرةً تنخم
نخامة كالضفدع الموشم	دكناء رقطاع بقيق أودم
ممتخطاً بالكوع أو بالمصم	تضطر من أنف وتفسو من فم
ذانكهة من لم تمته يصدم	حتى دعاك الملائم أرحم ترحم

وقال جحظة^(١) في البخر:

تنفس في وجهي فكذت أموت	وأعرض عني جانباً فحييت
ونسى؟ حتى حسبتُ بأنني	وربكما يا صاحبي خريت

وقال بعضهم في سرعة الكلام:

كأن بني راين إذ جاء جمعهم فراريج يلقى بينهن سويق

(١) هو أحمد بن جعفر البرمكي، لقبه عبد الله بن المعتز بجحظة.

وقال دعبل في قصر الشعر :

فوهاءٌ شوهاهٌ لها شعرةٌ
كانها خملٌ على مسح

وقال ابن المعتز في أمر ديبنتف :

وَخَدُهُ مَشُوكٌ مَزُورٌ التلويز
وَأَنْفُهُ كَسْتَرَةٍ مَشْتَرِقِ الْأَفْرِيزِ^(١)
وَقَلْتُ : لَعِبَ الزَّمَانُ بِحَسَنِ وَجْهِ مُحَمَّدٍ
قَدْ كَانَ مَعْرُوفَ الْجَمَالِ فَلَمْ يَزَلْ
عَهْدِي بِهِ مُتَكَفِّراً مُتَعَصِّفِ
وَكَأَنَّمَا صَدَغَاهُ فِي وَجَنَاتِهِ
كَأَنَّهُ فَرْنِيَّةٌ كَثِيرَةُ الشُونِيزِ
تَحْسِبُهُ إِذَا بَدَأَ سِجَاجَةَ النُّورِوزِ
لَعِبَ الصَّبَا بِالرَّبِّعِ حَتَّى أَقْفَرَا
يَنْتَابُهُ^(٢) الْحَدَثَانُ حَتَّى أَنْكَرَا
ثُمَّ اغْتَدَى مُتَصَدِّلاً مُتَزَعْفَرَا
جَعَلَانِ يَنْتَابَانِ سِلْحاً أَصْفَرَا

وقال ابن الرومي في غير هذا المعنى يحكى عن امرأة :

أَنَا كَعْبَةُ النَّبِكِ الَّتِي نَصَبْتَهَا لَهُ
فَتَبَيْتُ بَيْنَ مَقَابِلِ وَمَدَائِرِ
كَأَجِيرِي الْمُنْشَارِ يَجْتَذِبَانِهِ
وَلَا أَعْرِفُهُ سَبَقَ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى وَهُوَ مِنْ أَظْرَفِ مَعْنَى وَأَعْجِبِهِ .
فَتَلَقَّ مِنِّي^(٣) حَيْثُ شَدَّتْ وَكَبِيرِ
مِثْلَ الطَّرِيقِ لِمَقْبَلِ أَوْ مَدْبِرِ^(٤)

وقال أيضاً وهو من ظريف المعاني :

رَأَيْتُ فِي دَارِ حَسِينٍ مَشْرَعَهُ
لَهَا بظُورٍ فِي اسْتِهَا بِجَمْعِهِ
وَأَمْرَاةٌ قَاعِدَةٌ مَرْبَعَةٌ
كَأَنَّهَا أَتْرَجَةٌ مَفْقَعَةٌ

وقال في خصي أراد أن يتزوج بامرأة :

قُلْ لِنَجْحِ أَخْطَاتِ بَابِ النَّجَاحِ إِذْ تَعَاطَيْتَهُ^(٥) بِلَا مِفْتَاحِ
لَسْتُ بِالسَّابِحِ الْمَجِيدِ فَدَعِ عَنكَ رُكُوبَ الْبَحَارِ لِلْسَّبَاحِ

(١) في ديوان ابن المعتز المطبوع (تحشى من الافريز) . (٢) في الأصل مبهمه من

النقط . (٣) في ديوان ابن الرومي (فتلق منها) . (٤) في الديوان (ولمدبر) .

(٥) في ديوان ابن الرومي المخطوط (بل تعاطيته) .

فظع الحب بالخصى كما يظم فقد المردي بالملاح
 ليت شعري بما تظنك تصبي قلب ودان يا كسير النجاح
 أبوجه كأنه وجهه قرد حائل اللون جامد المصباح
 نمشة فوق صفرة قتره كوزيم الذباب في اللقاح
 إنما أنتم فقاح فمهلاً ماغناء الفقاح في الأجرح
 إن من يعشق النساء بلا أبيض كمثل الغازي بغير سلاح
 لن يكون الطعان إلا برمح فدعوا^(١) الطعن للطوال الرماح
 ثم قال: معشراً شبهوا القروود ولكن خالفوها في خفة الأرواح
 وهي طويلة. ومن أعجب ما قيل في البحر قول الخالدي في رجل حلق سباله بعد أن أطاله:

حلفت سبالك جهلاً بما يوارى من النكرات القباح
 فعذبت صحكك حتى المساء وعذبت عرسك حتى الصباح
 فلا أهد الله ذاك السبال فقد كان سترأ على مستراح

وقال ابن السكن:

رجل يبع الكأس كل عشيّة ويعاقب المسواك كل صباح
 وقلت: قال لي صاحبي وقد صغفته نفحات الكروس من في وصف
 لعن الله ليلة بت فيها مع رفيقي كأننا في الكنيف
 وقد أبدع ابن الرومي في قوله:

فسا على القوم فقالوا له إن لم تقم من بيننا قمنا
 فقال لاعدت فقالوا له من يبع فيه ذا كما كنا

وقال أيضاً يذكر قينة:

مسمومة^(٢) الربق إذا قبلت صحفت التقبيل تقبيلاً

(١) في ديوان ابن الرومي (فاتر كوا).

(٢) في الاصل «مسخوقة» والتصحيح من ديوان ابن الرومي المخطوط.

قبلها جلود عرارة يحسنُ للبخراءِ تقييلا
 فاحشةُ النقصانِ لكنها قد كملت بالبظر تكميلا
 أزرى بها الله فلم يعطها إلا بطول البظر تفضيلا
 إذا بدا الفيلُ وخرطومهُ قلنا أعارتَ بظرها الفيلا
 غول بيت الشرب من قبها يرونَ في النوم التهاويلا
 ما أحسنَ الأرقم طوقاً لها وأحسنَ الأسود اكليلا
 قد عذبَ اللهُ امرأً نالها طورينِ تعجيلاً وتأجيلا
 لها ضراطٌ ريمه عاصفٌ يطفيءُ في الليل القناديلا
 حلت سراويلي على واسع ماخلته إلا سراويلا
 أحلت تنكيلى ياب استها فكان للتنكيل تنكيلا
 لورامت التوبة لم تستطع لسنة الشيطان تبديلا
 يابسة العود وقد ذلت قطوفها للنيل تذليلا
 وهي طويلة عجيبة ليس لأحد في ملاحظتها وعلو جودتها وكثرة معانيها شيء .

ومما قيل في طول اللحية قول ابن الرومي :

ولحية لو شاء ذو المعارج أغنى بها كواسد النواسج^(١)
 بنسج مسحين لجان الدارج^(٢) وفرّق الباقي على الكواسج

ومن ذلك قول بعضهم وهو مشهور :

ألم تر أنّ الله أعطاك لحيةً كأنك منها قاعدٌ في جوائق
 وقال الآخر : ألم تر أنّ الله أعطاك لحيةً كأنك منها بين تيسين قاعدٌ

وكان العوفي إذا كتب كتاباً أخذ لحيته تحت إبطه وإذا كلمه إنسان من
 الجانب الآخر التفت إليه فخالصت لحيته من تحت إبطه فمرت على الكتاب

(١) سقط من النسخ « كواسد النواسج » وكذلك في شعر ابن الرومي نقص

كثير في الأصل استكملناه من الديوان المخطوط . (٢) في الديوان (الديبج) .

فطمست جميع ما كتبه فيقول اللهم غفرا ، فقال فيه بعضهم أوفى غيره :
 لحيه قاضي القضاة لوجهدت مجهودها لم تكن كمنفقته
 إذا أراد السكري توسدّها فقد كفته مكان مرفقته

وقال رقية بن مصقلة لأبي شيبة القاضي : لو كانت لحيتك هذه من الذنوب
 لكانت من الكبائر . وقد قيل من تدلت لحيته فقد تقلص عقله .

وقلت : قل للعدل بلحية موفورة وسما ولحية كل الحى جهله
 لا يعجبك طول نبذك إنّه من طال لحيته تكوسج عقله

وقد أجاد ابن الرومي وأبلغ وجمع في أبيات من المعاني ما لم يجمعه أحد في
 هذا الباب وهو قوله :

ان تطل لحيه عليك وتعرض فالتحالي معروفة للحمير
 علق الله في عذاريك مخلا ة ولكنها بغير شعير
 لو غدا حكمها على لطارت في مهب الرياح كل مطير
 ارع منها موسى فانك منها شهد الله في أنام كبير
 أيما كوسج رأها فيلقى ربّه بعدها صحيح الضمير
 هو أخرى بأن يشك ويفرى باتهام الحكيم في التقدير
 ماتلقاك كوسج قط إلا جور الله أيما تجوير
 لحيه أهملت فطالت وفاضت فاليها تشير كف المشير
 مارأها عين امرئ مارأها قط إلا أهل بالتكبير
 روعة تستخفه لم يرعها من رأى وجه منكر ونكير
 فاتق الله ذا الجلال وغير منكر منك ممكن التغير
 أوقفصر منها فحسبك منها قيد شبر علامة التذكير
 لو رأها النبي يوماً لأجرى في لحي الناس سنة التقصير
 واستحب الأحناف فيهن والحلقة مكان الاعفاء والتوفير

أراد قول النبي ﷺ « أَحْفُوا الشَّوَارِبَ وَأَعْفُوا عَنِ اللَّحْيِ »^(١).

وقلت : ان أبا عمرو له **لَحْيَةٌ** بعيدةُ البعضِ من البعضِ
مضى الى السوقِ وعثنونه أقامَ في البيتِ فلم يمضِ
وهو إذا ما مرَّ في سكةٍ يمشيها بالطولِ والعرضِ
يدوسها الناسُ بأقدامهم كأنها أرضٌ على الأرضِ

وأخبرنا أبو أحمد عن أبيه قال قال الجاهز كان لبعض أصحابنا في الظاهرة تل
تراب فاتاه غلامه برجل يضرب له اللين وقد حمل في عنقه قالباً وإذا لحيته ملء
القالب فقلت له ليس في قالبك فضل يدخل فيه الطين مع لحيتك فقال إني سأخرجها
من القالب قبل ضرب اللين وإنما أردت أن أدفئها فيه قليلاً ، قال فلما رأيت حمقه
قلت يحتاج أن يضرب في كل يوم ألف لبنة . قال خريم أنا أقدر على ذلك .

وقال الناجم : لابن شاهين **لَحْيَةٌ** طوله شطرُ طولها
فهو **الدَّهْرَ كُلَّهُ** عائرٌ في فضولها

ولولا القصد لجمع أعيان المعاني والشرط المتقدم لتركت التشنيع المفلوظ من
المنظوم والمنثور على أن العلماء لو تركوا رواية سخيف الشعر لسقطت عنهم فوائد
كثيرة ومحاسن جمّة موفورة في مثل شعر الفرزدق وجبرير والبعيث والأخطل
 وغيرهم ولولم يصلح ذكر الفروج بتصريح أسمائها لكان تسمية أهل اللغة
إياها بذلك خطأ وهذا محال^(٢).

ومما قيل في الذمامة وقصر القامة ما ينسب لأبي نواس وهو لغيره^(٣) :

إذا استنَّ في قوهية متبخترا فقل جرذٌ يستنُّ في لبنٍ محضٍ

(١) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائي وغيرهم بألفاظ مختلفة - كما في
كشف الخلفا . (٢) والكن للكناية محاسن ، وفي معنى الحديث الشريف
ان الله يكره الفحاش البذيء اللسان . (٣) نسبها القالى في الامالى لرجل من
أهل الكوفة : وفيها : إذا راح في قبضية متأزراً فقل جعل يستن في لبن محض

فأقسم لو خرت من استك بيضة^{هـ} لما انكسرت من قرب بعضك من بعض

وقال غيره: ألا يا بَيْدَقَ الشطرنجِ في القيمةِ والقامه

وقال آخر: يعثر الناس في الطريقِ من دمامته؟

وقال آخر: فقام إلى الغلام أسي وغيظاً بقدر لم يزد فيه القيام

وقال ابن الرومي: أنت تشتم عرضي وأنت في طول أبري

وقال الناجم: ينقص الأحرار من شأنه وهو أخو القلة والنقص

كأنه البرغوث لم يخطه في صغر الجثام والقرص

وقال: وعازب الرأي ضعيف مفرور مكاثر في العلم وهو مكثور

في جسم عصفور وحلم عصفور

وقال آخر: كأنهم كلي غم الأضاحي إذا قاموا حسبهم قعودا

وفي غير هذا المعنى قول الآخر:

إذا لبس البياض فعدل قطن وأن لبس السواد فعدل فخم

وقال ابن الرومي في القبح والسواد:

وجهك يا جعفر من قبحه أولى من العورة بالستر

كأنما تأوى إليه الدجى إذا هي انتقضت عن الفجر

وقال ابن طباطبا في مجذور:

ذو جُدْرِيٍّ وجهه يحكيه جلد السمكة

أو جلد أفعى ساخت أو قطعة من شبكة

أو حلق الدرع إذا أبصرتها مشبكه

أو سفر محجب أو كرش منفرقة

أو منخل أو عرض رقعته منتهكه

أو حجر الحمام كم من وسخ قد دلكه

أو كور زنبور إذا فرخ فيه تركه

أو كدر الماء إذا ظهر فيه حبسه
 أو سلحة جامدة تنقر فيها الديكة
 يفضه من قبحه كل طريق سلحه

وقد أبدع ابن الرومي :

جُدري ما شأنها وهي شينٌ كلُّ أثر في ذلك الوجهِ نقشٌ
 بدلت من صفائر وقرون^(١) حملَ أنف فيه لغرخين عَشُّ

وقلت في غير هذا المعنى :

قد حسن ظاهره وباطنه وأمرٌ مخبره ومنظره
 شعره نجدد في عوارضه مثل المسكا الرطب تسفره

وقال ابن طباطبا في أسودين : أخبرنا أبو بكر أحمد أخبرني عبد الله بن أبي
 عامر قال كان أبو الحسن العلوي المعروف بابن طباطبا قصد يوماً أبا علي بن رستم
 فصادف على بابهِ عثمانين أسودين كالفتح متعممين بعمامتين حراوين فامتحنهما
 فوجدهما من الأدب خالين فدخل مجلس ابن رستم وكتب في درج :

رأيتُ بباب الدار أسودين ذوى عمامتين حراوين
 كجمرتين فوق فخمتين قد غادَرَ الروض قرير العين
 جدُّ كما عثمان ذو النورين فإله أنسل ظلمتين
 ياقبح شين صادرٍ عن زين حدائد تطبع من لجين
 ما أنتم إلا غرابا بسين طيرا فقد وقعتما
 ردا ذوى ا في المصرين المظهرين الحب للشيخين
 وخلي الشيعَةَ للسبطين لا تبرما إبرام رب الدين
 ستعطيان في مدى عامين صكاً بخفين الى حنين

وقال أبو تمام يهجو عياشاً بعد ما مات :

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط (عوضت من ذوائب وقرون)

كرت على اللؤم ^(١) بما سادته وساءه كرتك الخاسرة
 أسهرت عين اللؤم منذ انطوت عليك أنوابك بالساهرة
 قد كانت الدنيا شفت لوعتي منك ولكن أذت بالآخره
 يا أسد الموت تخلصته من بين لحبي أسد القاهره
 أبارك المسكروه من مثله فاقرة نجتك من فاقره
 وقال فيه : وتصور القبر الذي ضمنته ^(٢) حتى ظننا أنه المقبور

فأتيج لأبي تمام مخذ الموصلي فهجاه بعد موته فقال :

سقى حمارك ياطأني غادته من المنى وقطعان من السكر
 حر الحلاق وبرد الشعر اتلفه فجاءه الموت من حر ومن حصر

ومما قيل في البرد أيضاً قول بعضهم في المبرد :

ويوم كنار الشوق في القلب والحشا على أنه منها أحر وأومد ^(٣)
 ظلت به عند المبرد قائلاً فما زلت في أفاظه أتبرد

وفلج أحد الشعراء فسئل عنه رجل فقيل له ما كان سبب فالجه ؟ قال أكل يتين

من شعره . ومن جيد ما قيل في برد الغناء قول بعضهم :

كاد من برده يجمد روعي ضرب الله شقه بغنائه
 وقال غيره : غنى لنا نصر فقلنا له مصعب جرأك على السبع
 وحرك العود بأطرافه فكان يحتاج إلى الصفع
 فقامت من مجلسه هارباً أدعو على كفيه بالقطع

وقال كشاجم : ومعن بارد النفسمة مختل البيدين

مارآه أحد في دار قوم مرتين

صوته أقطع للذات من صيحة بين

(١) في ديوان أبي تمام (على البخل) . (٢) في الديوان (الذي أسكنته) .

(٣) الومد : الحر الشديد مع سكون الريح .

وقلت : قد أسمعنا غناءً لا خلاقَ به
 حتى إذا ارتفعت في الصوت لارتفعت
 وكلما انخفضت فيه مرزومة
 لا تجد عنه بأبواب مصبغة
 وقال ابن الرومي :

وإذا غنت ترى في حلقتها
 وقال الناجم : وقنية شتمها قنوتُ
 مفقودة الكلِّ غير بطن
 وقال غيره : كأن أبا الحسين اذا تغنى
 يلوك لسانه طوراً وطوراً
 وقال المصيصي : وتحسب الندمان في حلقة
 ما عجيبي منه ولكني
 وقلت في عواد : يقول لنا غير ما يضرب
 ككيسان يكتب غير الذي
 فيكتب غير الذي قاله
 فصمتاً إذا شئت اطرابنا
 ولا ناسي ؟ إذا جئتني
 وقلت : تغنى لنا فجعلنا عليه
 جعلنا اللطام لهاجمة

كل عرقٍ مثل بيت الأرضه
 أحسن أصواتها السكوت
 مثقل فهي عنكبوت
 يحاكي عاطساً في عين شمس
 كأن بضرسه ضربانِ ضرس
 دجاجةً يخفقها ثعلب
 من الذي يعجبه أعجب
 ويضرب غير الذي نحسب
 يقول المحدثُ والمكتب
 ويقرأ غير الذي يكتب
 فنحن إذا قلت لا نظربُ
 فاني إذا جئتني أذهب
 عمائم تنزع جلد القفا
 وتنف الشوارب فيها سدى

ومن جيد ما قيل في تغير وجوه الاحداث عند خروج اللحي قول البسامي :

قالوا تغير عن ملاحظته
 يازهرة ومحاسناً مسخت
 قد كانت الابصار تجرحه
 قلت الزمان يريكم العبرا
 ماذا لحاه الشعر لو شعرا
 واليوم يجرحها إذا حضرا

وقال سعيد بن حميد :

فَلَا آنَ حِينَ بَدَتْ بِجَدِّكَ لِحْيَةً ذَهَبَتْ بِمَلْحِكِ مَلءِ كَفِّ الْقَابِضِ

وقال ابن طباطبا : يامن يزيل خلقه السر حين عسا خلقت

تب وخف الله على كفك مما اجترحت

هل لك عنده إذا الوحوشُ حشرت

بلحية ان سُئلت بأى ذنب تنفت

وقلت : حصلت في سى ذا غلظة كأننى مشطُ ابن منصور

ياحية هتك أستارها بأصبع منه وأظفور

فخذه من سح؟ تارة وتارة من قشر بلور

فتارة كالمسك في لونه وتارة في لون كافور

يعجبه المردُّ فيحكيمهم حكاية زور من الزور

يقول ما أحسن رب الورى إذ غرس الظلمة في النور

وقلت : من شقوة المرد أن تبدو شواربهم مسودة قبل أن تبدوا عوارضهم

ياويحهم من لحي جدت منافسهم فيهن أو لعبت فيها مقارضهم

قد أتيت في هذا الفصل على ما فيه مقنع وبالله التوفيق .

﴿ الفصل الثالث في الاعتذار ﴾

الاعتذار أيدك الله ذلة ولا بد منه لأن الاصرار على الذنب فيما بينك وبين

خالقك هلكة وفيما بينك وبين صديقك فرقة وعند سائر الناس مثلبة وهجنة فعليك به

إذا واقعت الذنب وقارفت الجرم ولا تستنكف من خضوعك وتذللك فيه فر بما

استثير العز من تحت الذلة واجتنى الشرف من شجرة الندلة ورب محبوب في مكروه

* والمجد شهد يجتنى من حنظل * ومما خص به الاعتذار ان الحق لا يثبت

لباطله والحقيقة لا تقوم مع تخييله وتمويهه وان رده لا يسمع مع الكذب اللائح في

صفحاته ، وقالوا المعاذير مكاذب ، ويقولون مع ذلك لا عذر في رد الاعتذار والمعتذر من الذنب كمن لا ذنب له . وهذه خصلة لا يشركه فيها غيره ، ولم يرو عن أحد قبل النابغة الذي انى في الاعتذار شعر فيه أجود منه ، ومما نرويه له فيه قوله حين سعى به المنخل اليشكري إلى النعمان وزعم أنه غشى المتجردة حظية النعمان وذلك حين وصفها النابغة فقال :

وإذا لمستَ لمستَ أحتم^(١) جأثما متحيراً^(٢) بمكانه ملءَ اليد
وإذا طعنتَ طعنتَ في مستهدفٍ رابى المحسّةِ بالعبيرِ مقرم
وإذا نزعْتَ نزعْتَ عن مستحصفٍ نزعَ الحزورَ بالرشاءِ المحصد

فقال المنخل للنعمان هذا وصف من ذاقها . فوقر في نفس النعمان ثم وفد عليه رهط من بني سعد بن زيد مناة من بني قريع فأبلغوه أن النابغة ما زال يذكرها ويصف منها فأجمع النعمان على الايقاع بالنابغة فعرفه ذلك عصام حاجب النعمان وهو الذي قيل فيه * نفس عصام سودت عصاما * فصار يتمثل به فيقال عصامي وليس بعظامي إذا كان يكسب المآثر لنفسه ولا يتكلم على مآثر الاموات من أسلافه ، ويقولون كمن عصامياً لأعظامياً . فانطلق النابغة الى آل غسان وكانوا قتلوا المنذر ولد النعمان فزادهم لحاق النابغة بهم حشمة ثم اتصلت به كثرة مدائح النابغة لهم فحسدتم عليه فأمنه وراسله في المصير اليه فصار اليه وجعل يعتذر مما قرف به ومن مدحه لآل غسان في قوله :

حلفتُ فلم أتركْ لنفسك ريبةً وليس وراءَ الله للمرءِ مذهبُ
لئن كنتَ قد بُلغتَ عنى خيانةً لمبلسك الواشى أغشهُ وأكذب
ولستَ بمستبقٍ أخاً لانهُ على شعثِ أيِّ الرجالِ المهذبُ

وقد ذكرنا هذا في أول الكتاب ، وقوله :

وعيدُ أبي قابوسَ في غيرِ كنهيه أتاني ودوفرا كس^(٣) فالضواجع^(٤)

(١) في الأصل «أجثم» . (٢) في الأصل (متحيراً) .

(٣) را كس : واد ، والضواجع : موضع .

فبتُّ كأني ساورتني ضئيلةٌ من الرُّقش في أنيابها السَّمُّ نافعٌ
أتاني أبيتَ اللعنَ انك لمتني وتلك التي تستك منها المسامعُ

إلى أن قال :

فان كنت لاذوا الضغن عنى مكذبٌ ولا أنا مأمونٌ بشيءٍ أقولهُ
ولا حياي على البراءة نافعٌ فانك كالليل الذي هو مدركي
وأنت بأمرٍ لا محالةٍ واقعٌ وقال : أنبتت أن أبا قابوس أو عدني
وان خلت أن المتأني عنك واسعٌ مهلاً فداءً لك الأقوام كلهم
ولا قرار^(١) على زارٍ من الأسد لا تقذفني بركنٍ لا كفاء له
وما أنمرُّ من مالٍ ومن ولد ما قلت من سيءٍ مما أبيت به
وان تأتمك الاعداء بالرِّفد^(٢) ها إن ذي عذرةٍ إلاتكن نفعت
إذاً فلا رفعت سوطي إلى يدي فأفٍّ صاحبها قد تاه في البلد^(٣)

فخلع عليه النعمان خلع الرضا وكن حبرات خضر امطرفة بالجوهر، وقد ذكرنا الحديث بطوله فيما تقدم . وما سلك أحد طريقتة هذه فأحسن فيها كاحسان البحتری : أخبرنا أبو أحمد أخبرنا الصولي سمعت عبد الله بن المعتز يقول : لولم يكن للبحتری إلا قصيدته السينية في وصف إيوان كسرى فليس للعرب مثلها وقصيدته في صفة البركة . ميلوا إلى الدار من ليلى نحيبها . واعتذاراته في قصائده إلى الفتح التي ليس للعرب بعد اعتذارات النابغة مثلها ، وقصيدته في دينار التي وصف فيها ما لم يصفه أحد قبله وهي التي أولها . ألم تر تغليس الربيع المبكر . وصفة حرب المراكب في البحر لكان أشعر الناس في زمانه فكيف وقد انضاف إلى هذا صفاء مدحه ورقة تشبيهه في قصائده . فمن اعتذاراته قوله في قصيدته التي أولها . لوت بالسلام بناً خضيباً . فقال فيها :

(١) في ديوان النابغة (ولامقام) . (٢) أي احتوشوك فصاروا حولك كالأنافي ، والرِّفد جمع رفدة وهي العصبة (٣) في ديوان النابغة (فان صاحبها مشارك الفكذ) .

فدَيْنَاكَ من أَىُّ خُطْبِ عِرا
 وإن كان رأيك قد حالَ فيَّ
 يرينى الشئ تَأى به
 واكرهُ أن أتمادى على
 أكذب نفسى بأن قد جنيت^(٢)
 ولو لم تكن ساخطاً لم أكن
 أيصبحُ وردى في ساحتك
 وما كان سخطك إلا الفراق
 ولو كنتُ أعرف ذنباً لما
 سأصبرُ حتى ألقى رضاك
 أراقبُ رأيك حتى يصحَّ
 وقوله: عذيرى من الايام رنقن مشربى
 واكسبنى سخط امرىء بتُّ موهنأً
 تبلجَ عن بعض الرضا وانطوى على
 إذا قات يوماً قد تجاوزَ حدَّها
 وأصيدان نازعتهُ الطرف^(٣) ردهً
 ثناه العدى غنى فأصبح معرضاً
 وقد كان سهلاً واضحاً فتوَعرتُ
 أمتخذُ عندى الاساءة محسنً
 ومكتسبً في الملامة ماجدً
 يخوفنى من سوء رأيك معشرً
 ونائبة أوشكتُ أن تنوبا
 فلقينى^(١) بعد بشرى قطوبا
 وأكبر قدرك أن أستريبا
 سبيل اغترار فألقى شعوبا
 وما كنت أعهد ظنى كذوبا
 أذمُّ الزمانَ وأشكو الخطوبا
 طرقات ومرعاى محلاً جديبا
 أفاض الدهموع وأشجى القلوبا
 تخالجنى الشكُّ في أن أنوبا
 إما بعيداً وإما قريبا
 وأنظرُ عطفك حتى يثوبا
 ولقيني نحساً من الطير أشأما
 أرى سخطه ليلاً مع الليل مظالما
 بقية عتب شارفتُ أن تصرماً
 تلبثُ في أعقابها وتلووما
 كليلاً وإن راجعتهُ القول جمعبا
 وأوهه الواشون حتى توهما
 رُباه وطلقاً ضاحكاً فتجهبا
 ومنتقمً منى امرؤً كان منعا
 يرى الحمد غناً والملاحه مغرما
 ولا خوف إلا أن تجور وتظالما

(١) فى الاصل (فأوليتنى) (٢) فى ديوان البحترى (أ كذب ظنى بأن قد سخطت).

(٣) فى ديوان البحترى (نازعتة اللحظ).

أعيدك أن أخشاك من غير حادث
 ألسنت المولى فيك نظم^(١) قصائد
 أعد نظراً فيما سخطت هل ترى
 رأيت العراق ناكرتني وأقسمت
 وكان رجائي أن أووب مملكا
 حياء فلم يذهب بي الغي مذهباً
 ولم اعرف الذنب الذي سؤتني له
 ولو كان ما خبرته أو ظننته
 أذ كرك العهد الذي ليس سؤدداً
 وما حمل الركبان شرقاً ومغرباً
 أقر بما لم أجنه متنصلاً
 لي الذنب معروفاً وان كنت جاهلاً
 ومثلك من أبدى الفعال أداة

تسبين او جرم اليك تقدماً
 هي الانجم اقتادت مع الليل أنجماً
 مقالاً دينياً أو فعلاً مذبذباً
 على صروف الدهر أن أتشأماً
 فصار رجائي أن أووب مسلماً
 بعيداً ولم أركب من الامر معظماً
 فأقتل نفسي حسرة وتندماً
 لما كان غرواً أن أوم وتكرماً
 تناسيه والود الصحيح المسلماً
 وأنجد في أعلى البلاد وأتهماً
 اليك على أني أخالك ألوما
 به فلك العتيبي على وأنا
 وان صنع المعروف زاد وتما

ونحن نقول ان لكل شيء ثمناً وثماناً وثماناً وخمسة عشر مثقالاً . وكتبت: وسيلتي
 اليك الثقة بكرم أخلاقك وشرف أعراقك وقد طلبت المسامحة منك بك وجعلت
 كرمك أقوى أسبابي اليك وقد خفضت لك جناح الذل في التنصل مما فرط
 فتفضل علي بالقبول لثلاثي هجنتان هجنتان تذلي لك وأخرى ردك لي . وقد
 قيل: ارض لطالب الخضوع ذنباً مذلة الاعتذار . وفي هذا المعنى ما كتب بعضهم:
 لما تعذر علي العذر جعلت معولي على فضلك أبلغ عذر أقدمه وأقوى سبب أو كده .
 وأخبرنا أبو أحمد عن أبي روق عن السكري عن ابراهيم الندي قال قلت لرجل:
 ما حملك على بذلك وجهك في حوائج الناس؟ قال اني لم أسمع شيئاً أحسن من بناء
 حسن على رجل أحسن ومن شكر حر وشفاعة شفيع لطالب شاكر ولا في لا أبلغ

المجهود ولا أسأل من لا يجود وليس صدق العذر عندي بدون أنجاز الوعد ولا
اكداء السائل بأغظ من الاجحاف، بالمسؤول ولا أرى السر أغبالي بالمسألة بحسن
ظنه بي أوجب حقاً على من المرغوب اليه الذي يتحمله من لدى والعرب تقول ان
مع الهيثمة الخبيثة والفرصة خلسه فثب عند صدور الأمور ولا تتبع اعجازها . وقال
ابن المعتز العذر مع التعذر واجب . ومن أعجب الاعتذار في التقاضي قول بعضهم :

هزرتك لأنى ظننتك ناسياً لوعدي ولا أنى أردتُ التقاضيا
ولكن رأيتُ السيفَ في حالِ سله الى الهزِّ محتاجاً وان كان ماضيا

ومن مليح ما يجري في هذا الباب ما أخبرنا به أبو أحمد عن ابن دريد عن أبي
حاتم عن العتبي عن أبيه عن شيخ من قریش قال قال رجل لسليمان بن عبد الملك :
ان القدرة تمنع الحفيظة وأنت تجل عن العقوبة وان تعف فأهل ذلك أنت وان تعاقب
فأهل ذلك أنا ، فعفا عنه ، فأخذه بعض المحدثين فقال :

فان عاقبتني فبسوءِ فعلي وما ظلمتُ عقوبةً مستفيدِ
وان تغفر فاحسانٌ جديدٌ دعوتَ به الى شكرِ جديدِ

تم الباب والمحمد لله وحده .

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم عونك . جمع الله شملك ووصل حبلك وتمعك بأحبتك وأعطاك مأمولك
في نفسك وأعزتك وأطذك من قطيعة أحيابك وجنبك تجنب أودائك ولا جعل
للهمجر عليك سبيلا ولا للفراق عليك دليلاً لينعم باللذة جسمك ويعمر بالسرور قلبك
فتعيش في ضمان الفرح ويوئء حاسدك باعباء الترح انه حميد مجيد فعال لما يريد .
العشق أدام الله توفيقك من شرائف أخلاق الفتيان وكرائم سجايا الشبان

يطلق لسان العيبى ويفتق حيلة البليد ويبعث على السخاء بما تسمح به نفس الكريم
وينحدرون بذله اللثيم ويدعو الى استعمال الفتوة و اظهار المروءة فى تنظيف اللباس
وتحسين الرياش ويجدد حب المساعدة والائتلاف وكراهة التباين والاختلاف
إلى غير ذلك من محمود الحال ومدوح الخصال وإذا رزقت منه نصيباً جزلاً فوفه
حقه واسلك به طريقه وتأمل ما هديت اليك فيه فإنه يعينك عليه ويحسن أسبابك
ويكبت لأمنك فيه ويكون جلاء لناظرك وشحناً لخاطرک إن شاء الله سبحانه وتعالى .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

(فى التشبب وأوصاف الحسان وما يجرى مع ذلك وهو)

﴿ الباب الرابع من كتاب ديوان المعانى ﴾

قالوا أرق بيت قالته العرب قول امرئ القيس :

وما ذرّفت عيناكِ إلا لتضربى بسهميكِ فى أعشار قلب مقتل

يقول ما بكيتِ إلا لتجرحى قلباً معشراً أى مكسراً ، يقال برمة اعشار اذا
كانت مشعوبة ، يريد أن قلبه عليل وأنت تزيدنه علة بسهميكِ يعنى عينها ، والمقتل
المدلل . ومثله قول الشاعر :

رمتك ابنة البكرى عن فرع ضالة وهنّ بنا خوص يخلنّ نعامنا

ولم نسمع للاعشار بواحد . وأخبرنا أبو أحمد قال حكى لى عن ابن سلام
أنه قال أنسب بيت قالته العرب :

ولما التقى الحيان أقيت العصا ومات الهوى لما أصيت مقاتله

وقالوا أنسب بيت قالته العرب قول الآخر :

إذا قلتُ لى مُشتفٍ بلقائِها فم التلاقي بيننا زادنا سقما

وأبلغ من هذا قول أبي نواس :
 ما يرجع الطرفُ عنها حين أبصرها حتى يعودَ إليها القلبُ مُشتاقا
 وقد أحسن ابن الرومي ولا أعرف في معناه أبلغ منه :

أعانتها والنفسُ بعدَ مَشْوَقَةٍ إليها وهل بعد العناقِ تدانى
 وأثم فها كي تموتَ حزازتي فيشدُّ ما ألقى من الهيجان
 وما كان مقدار الذي بي من الجوى ليشفيه ما ترشفتُ الشفتان
 فانَّ فؤادي ليس بشفي رسيهُ سوى أن ترى الروحان تمتازجان

ومن البليغ في الاشتياق ما أنشدنا أبو أحمد عن الصولي عن الحسين بن اسماعيل :

هبتُ شمالاً فقالَ من بلد أنت به طابَ ذلك البلدُ
 وقبَّلَ الريحَ من صباته ما قبَّلَ الريحَ قبلهُ أحدُ

وأبلغ ما قيل في شدة الحب قول بعضهم وقد قيل له ما بلغ من حبك فلانة ؟

قال أنى أرى الشمس على حيطانها أحسن منها على حيطان جيرانها . وقال نصر بن
 الحجاج لامرأة أحبك حباً لو كان فوقك لأظلك أو كان تحتك لأقلك ، أخذه بشار فقال :

إنى لا أكتم في الحشى حباً لها لو كان أصبح فوقها لأظلمها
 ويبيت بين جوانحي وجدُّ بها لو بات تحت فراشها لأقلها
 وقلت : أحبك يا شبيهة الشمس حباً تفرِّدُ بالتمام فلا تمامُ
 فلو ألقىته ما بين ماءٍ ونارٍ كان بينهما التمامُ

وقال ابن الرومي في اجتماع الأهواء على محبوبه :

سلالة نورٍ ليس يدركها^(١) اللامس إذا ما بدا أغضى له البدر والشمس
 به^(٢) أمست الأهواءُ يجمعهما هوى كأنَّ نفوس الناس في حبه نفس

وقال بشار :

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط (يدركه) . (٢) (به) سقطت من

الأصل فاستدر كنها من الديوان ، وفي الأبيات تصحيف صححناه منه .

ولست بناس من يكونُ كلامه بأذني وان غيبتُ قرطاً معلقاً

ومن ظريف التشبب أيضاً قول ابن المعتز :

كذبت يا من لحاني في مودته ما صورة البدر الأدون صورته
يارب أن لم يكن في وصله طمع ولم يكن فرج من طول جفونه
فاشف السقام الذي في لحظ مقلته واستر ملاحه خد به بلحيتيه

ومن الظريف قول كساجم :

كان الشفاء العس منها خواتم من التبر محتوم بهن على الدر

ولأعرف في وصف الغم أحسن من هذا .

وأحسن ما قيل في حث الشوق من قديم الشعر قول عمرو بن شاس الأسدي :

إذا نحن أدلجنا وأنت امامنا كفى لمطايانا بذكرك حاديا^(١)
أليس يزبن^(٢) العيس خفة أذرع وان كن حسرى ان تكون اماميا
وآتم من ذلك شرحاً قول الآخر :

إذا عقلت خبت وإن هي خلت لترتع لم ترتع بأذني المراتع
كان لديها سائقاً يستحيتها كفى سائقاً بالشوق بين الأضالع

ومن جيد ما قيل في ازدياد الشوق على القرب قول الآخر :

صبت يمت مطاياهُ بذكركم وليس ينساكم ان حل أو سارا
يرجو النجاة من البلوى بقر بكم والقلب يلهب في أحشائه نارا

ومن ظرف الاعرابي قوله أنشده المبرد :

وعود قليل الذنب عاودت ضربه إذا عاد قلبي في معاهدها ذكر
وقلت له ولقاء ويحك سببت لك الضرب فاصبر إن عادتك الصبر

ونحوه قول الآخر :

قد قطع الاحراج أعناق الابل فهي تسير سير مشتاق عجل

(١) في الأغاني « بوجهك هاديا » . (٢) في الاصل « يزبن » وفي الأغاني (يزيد) .

وقول الآخر وقد الغز :

إن لها اسانقاً خسدلجا لم يُدْجِجَ الليلةَ فيمن أدلجا
وفي خلاف ذلك يقول العباس بن الأحنف :

أيام يقتل شوقها زيارتي كلما يقتل برده عطش الصدى
فأما أجود ما قيل في التذکر علی البعد فقول بعضهم :

اذ كراخانا تولى الله صحبته انى وان كنت لالقاءه ألقاه
الله يعلم انى لست اذ كره وكيف يذكره من ليس ينساه
وقلت : ذكرتهم والنوى بينى وبينهم ذكرى الشباب الذى قد كان عاصانى
بل كيف اذكر عهداً لست ناسيه هل يعرض الذکر إلا بعد نسيان
ونحوه يقول السرى :

غضبان ينسانى واذ كره وينام عن ليلى وأسهره
وبجوره ما صار مورقه حظى وحظ سواى مثمره
وكفى الهوى لو كان مكتفياً مارحت أضمره وأظهره
لم يقتسم فى العاشقين أسى إلا وحظى منه أوفره
فأصبح فى نفس أصعده وأعوم فى دمع أجدده

ومن مליح ذلك قول بشار :

واست بناس من يكون كلامه بأذى وان غيبت قرطاً معلقاً

أجود ما قيل فى إخفاء الحركة عند زيارة المعشوق من الشعر القديم قول امرى القيس :

سموت اليها بعد ما نام أهلها سمو حباب الماء حالاً على حال
وأحسن من هذا وأظرف قول وضاح اليمن ^(١) :

واسقط علينا كسقوط الندى ليللة لاناه ولا زاجر

(١) غلب عليه هذا اللقب لبهائه ، واسمه عبدالرحمن بن اسماعيل ، شاعر عجيب

فى تشبيهه ، قتله الوليد بن عبد الملك لتشبيهه بزوجته .

وهذا أبلغ أيضاً لأن سقوط الندى أخفى من وهو حباب الماء لأن لسو حباب
الماء صوتاً خفياً ليس ذلك لسقوط الندى وهو من أبيات ظريفة أولها :

قالتُ ألا لاتلجن دارنا إن أبانا رجلٌ غائرٌ
أما رأيتَ البابَ من دوننا قلتُ فاني وائبٌ ظافرٌ
قلتُ فانَّ القصرَ من دوننا قلتُ فاني فوقهُ ظاهرٌ
قالتُ فانَّ الليثَ عادٍ به قلتُ فسيئُ مرهفٌ باترٌ
قالتُ فهذا البحرُ ما بيننا قلتُ فاني سابحٌ ماهرٌ
قالتُ أليسَ اللهُ من فوقنا قلتُ بلى وهو لنا غافرٌ
قالتُ فأما كنتَ أعينتنا فأنت إذا ما هجمَ السامرُ
واسقط علينا كسقوط الندى ليلةً لانه ولا زاجرُ

ومن مליح ماجاء في هذا المعنى قول المؤمل :

وطارقات طرقتني رسلاً والليل كالطيلسانِ مُعترِكُ
فقلنَ جننا إليك عن ثقةٍ من عند ضوءِ كأنها قمرٌ
هل لك في عادةٍ مُنعميةٍ يحار فيها من حسنها النظرُ
في الجيد منها طولٌ إذا التفتت وفي خطاها إذا مشت قصرُ
فقمتم أسعى الى مُحجَّبةٍ تضيء منها البيوتُ والحجرُ
فقلت لما بدا تخفها جودى ولا يمنعنك الخفرُ
قالت توَقَّرْ ودع مقالك ذا أنت امرؤٌ بالقبيحِ مشتهرُ
والله لا نلت ما تطالب أو يثبت في بطن راحتي شَعْرُ
لا أنت لي قيمٌ فتخبرني ولا أميرٌ عليٌّ مؤتمرُ
قلت ولكن ضيفُ أذاك به تحت الظلام القضاءُ والقدرُ
فاحتسي الأجرَ في إنائه وباشري قد تطاولَ العسرُ
قالت فقد جئتَ بتغنى عملاً تكادُ منه السماءُ تنفطرُ

فقلت لما رأيتها حرجت وغشيتها الهموم والفكر
 لا عاقب الله في الصباً أبداً أنثى ولكن يعاقب الذكراً
 قالت لقد جئتنا بمتدع وقد أتتنا بغيره التذر
 قد بين الله في الكتاب فلا وازرة غير وزرها تر
 قلت دعى سورة لهجت بها لا تحرم لذاتنا السور
 وجهك وجهه تمت محاسنه لا وأبى لا يمسه سقر

ومثل هذا أصعب ما يرام من الشعر ولا يكاد يوجد في هذا المعنى أحسن من
 هاتين المقطوعتين . ومن أحسن ما عذر به المعشوق في سوء فعله قول كشاجم:

تستدفع الأعين عن حسنها بعوذة من سوء^(١) أفعالها
 وهي من آيات قليلة النظير :

هل حاتم يعدى على ظبية ظالمة في كل أفعالها^(٢)
 دأمة الأعراس غنى فما يخطر لي ذكره على بالها
 صغيرة عظيمها حبها عندي وأغراني باجلالها
 تستدفع الأعين عن حسنها بعوذة من سوء أفعالها
 لم أطعم العذال فيها وقد أصفت إلى أقوال عذالها
 تمضى ليل فاذا أقبلت أقبلت الشمس باقبالها
 قلت وقد أبصرتها حامراً عن ساقها فاضل سر بالها
 لو لم يكن من برد ساقها لاحتترقت من نار خخالها

وأحسن في هذا المعنى ولا أظنه سبق إليه .

وقد أحسن ابن الرومي في ذكر الخلال والساق أيضاً وهو قوله :

وإذا لبسن خلالاً كذبن أسماء الخلال

يقول لا تخال الخلال في سوقهن أي لا تتحرك فقد كذبت أسماءها ، وذلك أن

(١) في ديوان كشاجم (من قبج) . (٢) في الديوان (جائرة في كل أحوالها) .

اشتقاقها من التخالخل وهو التحرك . وفي نحو ما تقدم قول كشاجم :

وكانَّ الشمسَ نيط بها قمرٌ يمناه والقدرح
صدَّ إذ مازحته غضباً ما على الأحياب إذ مزحوا
وهو لا يدري لنخوته أننا في النوم نصطرح
ثمَّ لا أنسى مقاته « أطفيلٌ ويقترح »

ومن أفراد المعاني قول الشاعر :

وإني لأغضى الطرفَ عنها تستراً ولى نظراً لولا الحياءُ شديدُ
وسها قالت لقد نلت ودهُ وما صرَّني بخلٌ فكيف أجودُ

وقالوا أنسب بيت قالته العرب قول الآخر :

سبقتي لها في مُضمرِ القلبِ والحشا سريرةٌ وُدِّ يومَ تبلى السرائرُ

ومن أجود ما قيل في حسن الحبيب في عين المحبوب قول عمر بن أبي ربيعة :

خرَّجتُ غداةَ النحرِ اعترضَ الدُّمى فلم أرَ أحلى منك في العينِ والقلبِ

فوالله ما أدري أحسنًا رزقته أم الحبُّ يعنى مثل ما قيل في الحبِّ

وهو من قول النبي صلى الله عليه وسلم « حُبُّكَ الشَّيْءُ يَعْنِي وَيَعْمَى ^(١) » وأنشدني أبو

أحمد عن الصولي عن أحمد بن سعيد الشامي عن الزبير بن بكار لعمر بن أبي ربيعة :

رَعَمَوهَا سَأَلْتُ جَارَاتِهَا وَتَعَرَّتْ يَوْمَ حَرِّ تَبْتَرِدُ

أَكَمَا يَنْعَتُنِي تَبْصِرْنَنِي عَمَرَكَنَّ اللَّهُ أَمْ لَا يَقْتَصِدُ

فَتَضَاحِكُنَ وَقَدْ قَلْنَ لَهَا حَسَنٌ فِي كُلِّ عَيْنٍ مِنْ تَوَدُّ

حَسَدًا حَمَلْنَهُ مِنْ أَجَاهَا وَقَدِيمًا كَانَ فِي النَّاسِ الْحَسَدُ

وأنشدنا عنه قال أنشدنا اسحق لرجل :

حَلَفْتُ بِصَحْرَاءِ الْحَبْجُونِ وَنَاقَتِي لَهَا يَنْ قَاعِ الْأَخْشِيِّينَ حَنِينُ

غَمُوسًا لَقَدْ فَضَلْتَ فِي الْحَسَنِ بَطَّةَ عَلَى النَّاسِ أَوْبَى مِنْ هَوَاكَ جَنُونِ

(١) رواه أبو داود والامام أحمد وغيرهما .

وأنكر بعض المحدثين أن يكون استحسانه لحبيبه لافراط حبه أو لجنونه له فيه
فقال وأحسن :

حسنٌ والله في عيـني وفي كلِّ العيون

قينةٌ بيضاء سوداء القرون

لم يصبها سقمٌ قطُّ سوى سقمِ العيون

لم أصفها بجمالٍ لهوى أم لجنون

بل لحسنٍ وجمالٍ قولٍ حقٍّ وبقين

وقد أبدع الآخر في قوله في المعنى الأول :

يا مَنْ يلوِّمُ عليه أنظر بعيني اليه

فلست تبرح حتى تصيرَ ملكَ يديه

وقد جمع القائل جمعاً حسناً في قوله * وفي أربع منى حكمت منك أربع *
أجود ما قيل في صفة النساء من الشعر القديم ما أخبرنا به أبو أحمد قال قال
ابن سلام أحسن ما قيل في صفة النساء :

كأنَّ بيضَ نعامٍ في ملاحفها إذا اجتلاهنَّ قيظ ليله ومد

وتشبيه النساء ببيض النعام تشبيه قديم وهو كثير مشتهر .

قالوا أحسن ما قيل في الوجه من الشعر القديم قول قيس بن الخطيم :

تبدَّتْ لنا كالشمس تحت غمامةٍ بدا حاجبٌ منها وضنت بحاجب (١)

مأخوذ من قول النمر بن تولب :

فصدتْ كأنَّ الشمس تحت قناعها بدا حاجبٌ منها وضنت بحاجب

وهو أحسن ما قيل في إعراض المرأة ، ونقله قيس إلى موضع آخر وزاد فيه فقال :

كانَ المنى بلقائها فلقبتها وهوتُ من هو امرئ مكدوب

فرايتُ مثلَ الشمسِ عند طلوعها في الحسنِ أو كدنوِّها لغروب

(١) في منتهى الطلب من أشعار العرب « وضنت بحاجب » :

أراد في وقتين يمكن الناظر النظر إلى الشمس فيها . ونحو ذلك قول زهير :
لو كنت من شيء سوى بشر كنت المنور ليلاً القدر
وفضلها كثير على الشمس فقال وأحسن :
بأبي وأمي أنت من معشوقة^(١) طبن^(٢) العدو لها فقير حالها
وسعى إلى بعب^(٣) عزة نسوة جعل الآله^(٤) حدودهن نعالها
ولو أن عزة خاصمت شمس الضحى في الحسن عند موقف^(٥) لفضى لها
قوله عند موقف غاية ما يكون من الاحسان .

ومن أحسن ما قيل في حسن الوجه قول عمر بن أبي ربيعة :

فلما توافقنا وسلمت أقبلت^(٦) وجوه زهاها الحسن أن تتقعا
تبالهن بالعرفان لما رأيتني وقلن امرؤ باغ أكل وأوضعا
وقربن أسباب الهوى لمتيم يقبس ذراعاً كلما قسن أصبعا
فذكر أنهم لم يتقنعن لحسن وجوههن ، أخذه من قول الشماخ :

لها شرق من زعفران وعنبر أطارت من الحسن الرداء المحبرا

ثم تصرف المحدثون في تشبيهه أى الوجه بالشمس فقال ابن الرومي
كالشمس غابت في حمرة الشفق * وزاد أبو نواس فقال في الأمين قبل الخلافة :

تبه الشمس والقمر المنير إذا قلنا كأنهما الأمير
فان يك أشبها منه قليلا فقد أخطأها شبه كثير
لأن الشمس تغرب حين تسمى وأن البدر ينقصه المسير
ونور محمد أبداً تمام على وضوح الطريقة لايجور

وقد أحسن الآخر وقد جعل في البدر مشابهة من وجه المرأة فقال :

- (١) في أمالي القالى (من مظلومة) . (٢) أى فطن ، وفى الاصل غير منقوطة .
(٣) فى الامالى « بصرم عزة » . (٤) فى الامالى (جعل المليك) .
(٥) فى الامالى (موفق) . (٦) فى الأغاني « أشرقت » .

يابدر إنك قد كسيت مشابهاً
وأراك تمصح في الحاق وحسنها
وقال العباس بن الأحنف :

قلت ظلوم وما جارت وما ظلمت
البدر ليس له عينٌ مُكحلةٌ
وقال النظام : يامشرفاً ملاً العيو
أوفى على شمس الضحى
وزاد آخر على هؤلاء كلهم فقال :

إذا عبتها شبهتها البدر طالعا
وحسبك من عيب لها شبه البدر
ومن أبلغ ما قيل في حسن الوجه من طريقة أخرى قول أبي نواس :

يزيدك وجهه حسنا إذا مازدته نظرا

فذكر أن حسنه يزداد على تكرار النظر والمعهود في كل شيء نقصانه على كثرة التأمل ولا يكاد الشيء الرائع يروعك إذا اعتدته . وقريب منه قول كشاجم :

بيضاء يحضر طيب العيش ما حضرت
كلُّ اللباس عليها معرضٌ حسنٌ وكلُّ ما تنفخى فهو مقترح
والمعارضة تمخير للجوارى على حسب ألوانهن فالبيضاء تبرز في المعرض الأحمر والأسود والأزرق والسوداء في الأصفر فذكر أن هذه تحسن في كل معرض فهو غاية . وقريب من المعنى الأول قول كشاجم أيضاً :

منعمة يُقرَّبُ بهما هواها وإن نزحت بمنزلها البلادُ
يعادُ حديثها فيزيدُ حسناً وقد يُستقبحُ الشيءُ المعادُ

وقال الخناني :

إذا كنت لم أفقد الغائبين
تباعد نفس إذا ما بعدت
وان غبت كنت فريداً وحيداً
فليس تعاود حتى تعودا

وهو من قول أبي نواس :

أشبهك الشيءَ حسناً فما أتمم ذلك حتى تزيدا

وقال بعضهم : وكلما عدت فيه يكون في العود أحمد

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن أبي العبناء عن الأصمعي قال أحسن ما قيل

في اللون قول ابن أبي ربيعة :

وهي مكنونةٌ تحير منها في أديم الخدين ماء الشباب

قال وما أعراف أحداً أخذه فأحسن فيه مثل أحمد بن إبراهيم بن اسمعيل فانه قال :

باتَ يعنى يعالج السهرا وراح نشوان يقسم النظرا

أغيد ماءُ الشباب يرغد في خديه لولا أديمه قطرا

وقال ابن الأحنف :

وقد ملئت ماءَ الشبابِ كأنها قضيبٌ من الریحانِ ريان أخضر

وقال السري : ومخطف يهتز عن ماء الصبا كأنما يهتز عن ماء العنب

وقلت : ووجهٌ تشرب ماء النعيم فلو عصر الحسن منه انهصر

يمرُّ فأمنحه ناظري فينشر ورداً عليه الخفر

تمتعت العينُ في نفسه فما جفلت بطلوع القمر

وقال ابن المعتز : يبحر الدل في أنوابه غصنا ويطلع الحسن من أزراره قمرا

وقال ابن الرومي : تمتعات وجهك في بديتها جددٌ وفي أعقابها آخرُ

وقوله : مخففة مثقلة تراها كأن لم يمد نصفها الغذاء

إذا الاغباب جدد حسن شيء من الأشياء جددها اللقاء

ومثله قوله : لا شيء إلا وفيه أحسنه فالعين منه اليه تنتقل

كأنما أخرياتها الأول فوائد العين منه طارقة

وقد أطرف أبو نواس في قوله :

ان اسم حسن لوجهها صفةٌ ولا أرى ذا غيرها اجتمعا

فهي إذا سميت فقد وصفت . قد يجمع ^(١) اللفظُ معنيينِ معا
وقد بالغ ذو الرمة في قوله :

فيا لك من خدِّ أسيلٍ ومنطقٍ رخيِمٍ ومن خلقٍ تعلل جادبه
إلا أنه ذكر خلقها أجمع ، والجادب : العائب ، هو يقول ان الذي يعيها لا يجد
عيباً فهو يتعلل . وهو في خبر حسن : أخبرنا به أبو أحمد عن العباسي عن
المبرد حدثنا عمر بن شبة ^(٢) حدثني اسحق بن ابراهيم الموصلي حدثني أبو صالح
الغزاري قال ذكر ذو الرمة في مجلس فيه عدة من الاعراب فقال عصمة بن مالك
- شيخ منهم كان قد بلغ مائة وعشرين سنة - إياي فاسألو عنه كان من أظرف بني
آدم خفيف العارضين حسن الضحك حلو المنطق وكان اذا أنشد بربر وحبس صوته
فاذا راجعك لم تسأم حديثه وكلامه ، وكان له أخوة يقولون الشعر : منهم مسعود
وحرفاس وهو أوفى وهشام وكانوا يقولون القصيدة فيزيدون فيها الأبيات فيغلب عليها ،
فجتمني وإياهم ربع فأتاني يوماً وقال لي يا عصمة إن مسياً منقرية وبنو منقر أخبث حي وأقوفه
لا أثر وأبصره في نظر فهل عندك من ناقة تزدار عليها مياً فقلت اي والله إن عندى
للجوذر قال على بها فر كبتها جميعاً وخرجنا حتى نشرف على بيوت الحبي فاذا هم خلوف
وإذا بيت مية خلو فعرف النساء ذا الرمة فقمنا إلى بيت أمي وجئن حتى
أتخنا وسلمنا وقعدنا نتحدث واذامي جارية المود؟ واردة الشعر صفراء فيها عسر
وإذا عليها سب أصفر وكان أخضر فتحدثن ملياً ثم قلن له أنشدنا يا ذا الرمة فقال
أنشدن يا عصمة فأنشدن قوله :

نظرتُ الى أظمانِ مَيِّ كَأَنَّهَا ذُرَى النخْلِ أوائل ^(٣) تميل ذوائبه
فأوشكت العينان ^(٤) والصدر كاتم بمُغْرَورٍ نمت عليه سواكبه

(١) في ديوان أبي نواس (ويجمع اللفظ). (٢) في الاصل (شعبة) وكذلك في بعض

الفاظ الخبر تصحيف صححنا أكثره من مصارع العشاق والامالي وغيرها .

(٣) في ديوان ذي الرمة المخطوط «مولية ميس تميل ذوائبه» . (٤) في ديوان

بكى وامق ^(١) جاء الفراق ولم تجل جوائلها أسرارها ومعاتبه
 فقالت ظريفة منهمن لكن الآن فليجل فنظرت اليهامى ، ثم مضيت في القصيدة الى قوله :
 اذا سرحت من حب ممي سوارح^ه عن القلب اتته جميعاً عوازيه
 فقالت الظريفة قتله قتلك الله فقالت مي ما أصحه وهينأله فتنفس ذوالرمة تنفسه
 كاد حرها يطير شعر وجهه ، ومضيت حتى انتهيت الى قوله :

وقد حلفت بالله مية ما الذي أقولُ بها إلا الذي أنا كاذبه
 اذا فرماني الله من حيث لا أرى ولا زال في أرضي عدو أحرابه
 فقالت الظريفة قتله قتلك الله فقالت مي خف عواقب الله يا غيلان ، ثم مضيت
 حتى انتهيت إلى قوله :

اذا راجعتك ^(٢) القول مية أوبدا لك الوجه منها أو نضالدرع سالبه
 فيالك من خد أسيل ومنطق رخيـم ومن خلق ^(٣) تعلل جادبه
 فقالت الظريفة للنساء ان لهنين لسانا فقمين بنا فقمين وقمت معهن فجلست في
 بيت أراها منه فسمعتها قالت له كذبت والله وما أدري ما قال لها وما كذبت به ، فلبث
 قليلاً ثم جاءني ومعه قارورة فيها دهن وقلائد فقال طيب أتحفتنا به مي وهذه قلائد
 للجؤذر ولا والله لأأقلدن بعيراً وشدهن بذوابة سيفه ثم انصرفنا فكان يختلف
 اليها حتى تقضى الربيع ودعا الناس الصيف فأتاني فقال يا عصمة قدر حلت مي ولم
 يبق إلا الآثار والنظر الى الديار فاذهب بنا ننظر في ديارها ونقفوا آثارها فخر جناحني
 أتينا منزلها فوقف ينظر ثم قال :

ألا فاسلمى يادارمي على البلى ولا زال منها لاجر عاتك القطر

قال عصمة فما ملك عينيه فقلت مه فانقبه وقال إني لجلد وان كان مني ماترى .

ذى الرمة « فأبديت من عيني » وفي المصارع والامالي (فأسبلت العينان والقلب

كاتم) . (١) في ديوان ذي الرمة (هوى الف جاء الفراق ولم تجل) .

(٢) في اللديوان والمصارع (إذا نازعتك) . (٣) في الامالي « ومن وجه » .

قال فمأريت أحداً كان أشد منه صباية ولا أحسن عزاءً وصبراً ثم انصرفنا وتفرقنا
وكان آخر العهد به . ومن بديع ما قيل في حسن الوجه قول الصنوبري :

الم قلبى ناره وما شعر دبت إليه عقرب وقت السحر
دبت إلى ظبي بعينه حور ديب لوطى توارى وانتشر
فظفرت لظفرت أى ظفر وهكذا العقرب للقمير

أحسن ما قيل في العيون : أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي
قال قال أبو عمرو لأصحابه : ما أحسن ما قيل في العيون ؟ قال بعضهم قول جرير :

إن العيون التى فى طرفها حور قتلنا ثم لم يُحيين قتلانا
يصر عن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله أركاناً
وقال آخر قول ذى الرمة :

وعينان قال الله كونا فكانتا فعولان بالالباب ما تفعل الخمر
وقال آخر بل قوله :

بذكرنى ميا من الظبي عينه مراراً وفاها الاقحوان المنور
و(مراراً) حشوا ليجتاح اليه ، فقال أبو عمرو وأحسن من هذا كله قول عدى بن الرقاع (١) :

وكأنها بين النساء أعارها عينيه أحور من جاذر جاسم
وسنان أقصده النعاس فرتقت فى عينه سنة وليس بناسم
أخذ بعض المحدثين قول جرير . وهن أضعف خلق الله أركاناً . فقال :

كأتما ازدادت قوى أجفانها ضعفاً تقوين على ضعف القوى
ومثله أيضاً قول الناشئ :

لا شىء أعجب فى جفنيه أنهما لا يضعفان القوى إلا إذا ضعفا
وقد أحسن ذو الرمة فى قوله :

(١) الرقاع هو جده وعرف بالنسبة اليه لشهرته ، كان شاعراً مقدماً عند بني أمية مداحاً لهم خاصاً بالوليد بن عبد الملك ، يعد في الطبقة الثالثة من شعراء الاسلام .

إذا عرضت بالرمل أو ماء عوهج لنا قلت هذا عين ميّ وجيدها
ومن التمثيل القليل النظير قول ابن المعتز :

ويجرح أحشائي بعين مريضة كما لان متن السيف والحدّ قاطع
ومن أحسن ما قيل في النظر قول ابن الرومي :

نظرت فأفصدت الفؤادَ بسهمها ثمّ اثنت عنه فكادَ بهم
وبلاءه إن نظرت وإن هي أعرضت وقع السهام ونزعهنّ أليم
ومن البديع النادر الغريب في ذلك قول بعضهم :

جعل الفتور بعينه كحلا فحفوته وحسن بها المسرة ؟

وقول الآخر :

ينظرن من خلل السجوف كأنما يمطرن أحشاء الكريم نبالا
ومن أظرف ما سمعناه في هذا المعنى قول محمد بن أبي الموج :

لله ما صنعت بنا تلك الحاجر في المعاجر
أمضى وأنفذ في القلوب من الحناجر في الحناجر^(١)

وقلت : فأرعى تحت حاشية الدياجي شقائق وجنة سقيت مدا

إذا اكرت لواحظ مقلتيه حسبت قلوبنا مطرت سهام

وإن مالت بعظفيه شمول سقانا من شمائله سقما

(١) دخل أعرابي على ثعلب الراوية فقال أنت الذي تزعم الناس أنك أروى

لشعر العرب؟ قال كذا يزعمون، قال أنشدني أغزل بيت قيل في العيون فأنشده

بيتى جرير * ان العيون التي في طرفها حور * فقال لا هذا شعر غث قد لا كتته السفلة

بأسنتها هات غيره ، فقال ثعلب أفدنا فقال الاعرابي :

نبارز أبطال الوغى فنبيدها ويقتلنا في السن لحظ الكواعب

وليست سيوف الهند تقى نفوسنا ولكن سهام فوقت بالحواجب

فجن ثعلب استحساناً لها وقال اكتبوها ولو بالحناجر على الحناجر - كما في هاهنا من الاصل .

وقال ابن الرومي :

تقسمها نصفان نصف مؤنث^{هـ} ونصف كخوط الخيزران مذ كرم^{هـ}
 تعبد من شاءت بعين كأنها وإن سئمت ريامن النوم تسهر^{هـ}
 وقلت : راحت تيمس^{هـ} وحولها خرد^{هـ} كالبدر بين كواكب شهب^{هـ}
 فملاّت طرفي من محاسنها ونسيت^{هـ} ما يجني على الصب^{هـ}
 عين لعل السيف لحظتها أصبحت آمنها على قلبي^{هـ}
 وقال ابن المعتز :

كم ليلة عانقت^{هـ} فيها يده حتى الصباح موسداً كفيه^{هـ}
 فسكرت^{هـ} لا أدري أمن سكر الهوى أم كأسه^(١) أم فيه أم عينيه^{هـ}
 وغدا قمت^{هـ} عليه عند وسه ؟ أثر من التقبيل في شفتيه^{هـ}
 وسقام عين لم تندق طعم البكري يدعو العوائد في الصباح اليه^{هـ}
 وقلت : إذا ما جاءني بالأخذ^{هـ} عنى تشاغل^{هـ} طرفه بالأخذ مني^{هـ}
 وقال البحرى :

أجد النار تستعار^{هـ} من النا ر وينشا من سقم عينيك سقمي^{هـ}
 وقلت : يسعى الى مفرط^{هـ} في كفه كأس^{هـ} وبين جفونه كاسان^{هـ}
 وقد أطرف البحرى في قوله :

والذى صير الملاحه في عيـــــــــنيه وقفاً والسحر في أجفانه
 لأطعت^{هـ} العذول فيه وإن أســـــــــرف في ظلمه وفي عدوانه
 فدعا اللوم في التصابي فانى لأرى في السلو^{هـ} ماتريانه
 وقلت : ومقله كحميا الكأس مسكرة وحاجب كلال الشهر مقرون^{هـ}
 وقلت أيضاً :

ونسقيك في ليل^{هـ} شبيه^{هـ} بفرعها شبيهاً بعينها وشكلاً بخدّها

(١) في نسخة « كفه » مكان (كأسه) .

فتسكرُ من عينٍ وكأسٍ ووجنةٍ تحييك أعتاب الكؤوس بوردها
 وقالوا أجود ما قيل في الثغر من شعر المتقدمين قول جرير :
 تجرى السواك على أغرَّ كأنه بردٌ تحدر من مُتونِ غمام
 وقالوا بيت النابغة :

تجلو بقادمتي حمامة أيبكة برداً أسفً لثاته بالائسدي
 كالأقوحان غداة غب سمانه جفت أعاليه وأسفله ندى
 شبه الشفتين لرقهما بقادمتي حمامة . وقالوا بيت بشر بن أبي خازم :
 يُفلجن الشفاه عن اقحوان^(١) جلاه غب سارية^(٢) قطار
 ومن أحسن ما جاء في ذلك قول البحترى :

ولما التقينا والتقى موعده لنا تبين رامى الدر منا ولاقطه
 فن بردٍ تجلوه عند ابتسامها ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه
 وهذا أحسن من قول الأول ومنه أخذ البحترى :

إذا هن ساقطن الأحاديث بالضحى سقاط حصى المرجان من كف ناظم
 ومن أحسن ما قيل في بياض الثغر قول البحترى أيضاً :
 ويرجع الليل مبيضاً إذا ضحكت عن أبيض خضل السمطين وضاح
 فجعله يجلو الظلام لبياضه ، وذكر كثرة الريق فقال خضل لأن قلة الريق
 تورث تغير الفم ، وذكر حسن تنضيد الثغر فجعله سمطين . فلا يرى في هذا المعنى
 أجمع من هذا البيت . وقد أحسن ابن طباطبا :

ثغره عند سرده كالغنياب المزرد
 مثل درٍ منظم بين درٍ منضد^(٣)

وقد أحسن البحترى وأبلغ في قوله :

(١) في الأصل «عن الخوان» والتصحيح من «منتهى الطلب من أشعار العرب» .

(٢) في الأصل (سائرة) . (٣) (منضد) غير موجودة في الأصل .

وأرتنا خدّاً يراح له الور دُ ويشتمه جنى التفاح
 وشبتتاً يفضُّ من لؤلؤ النظم — م — ويُررى على شتيت الاقاحي
 فأضاءت تحت الدُّجنة للشر ب وكادت تضيءُ للمصباح
 وأشارت إلى الغناء بالحال ظِ مرض من التصابي صحاح
 فطرنا لمن قبل المثاني وسكرنا ممن قبل الرّاح
 وتدير^(١) الجفون من عدم الألباب مالا يدورُ في الأقداح
 وقلت : مخضبة الأطراف تحسب أنها أساريع في أفواههم عقيقُ
 دها في منها زجس يرشق الحشا وهل زجس بالرجال رشوق
 ومبتمس عذبُ المذاقة مُونق تجمع فيه لؤلؤٌ ورقيقُ

وقلت لبعض البغداديين ما أحسن ما قيل في طيب النكهة والريق وحسن

الذغر ؟ فقال قول ابن الرومي :

وقبلت أفواهاً عذاباً كأنها ينابيعُ خمر خضبت لؤلؤ البحر

فقلت إلا أن قوله (لؤلؤ البحر) فضل لا يحتاج إليه لأن اللؤلؤ لا يكون إلا في

البحر ولو كان في غير البحر لؤلؤ فليس لنسبته إليه فائدة .

وقد أحسن ابن الرومي في وصف طيب النكهة فقال :

وما تعترها آفةٌ بشرية من النوم إلا أنها تتخترُ

كذلك أنفاسُ الرّياض بسحرة تطيبُ وأنفاسُ الأنام تغيرُ

هذا التمثيل مليح جداً . وأجود ما قيل في الريق أيضاً قوله :

ياربّ ريق بات بدرُ الدُّجى يمجُّه بين ثناياكا

يروى ولا ينهك عن شربه والماء يرويك وينهاكا

ولا أعرف لهذا البيت نظيراً في معناه . وقد سبق ابن الرومي إلى قوله :

سقتُه ابنةُ العمري من خمرِ عينها ووجنتها كأساً يميستُ ويدنفُ

(١) في ديوان البحترى (قد تدبر) .

فقال امزجها بالرضاب لعله يسكن من خمر الهوى ويخفف
فصدت ملياً ثم جادت بريقة
فراح بضعفى سكره من مزاجها
فهل من مزاج زاد فى سكر شارب
وقال : مزجت خمرة عينها بريقها
فاشدد إسكارها إياى إذ مزجت
وأخبرنا أبو أحمد عن يحيى عن الرياشى قال قال الاصمعى أحسن ما قيل
فى الثغر قول ذى الرمة :

وتجلى بفرع من أراك كأنه من العنبر الهندى والمسك ينفح
ذرى أقحوان واجه الليل وارتقى إليه الندى غاديه والمروح
وقد أحسن ديك الجن فى قوله :

وقهوة كوكبها يزهر
وردية لمحمدها ؟

مهيف لم يتسم ضاحكا
مذ كان إلا كنيذ الجوهر ؟

وقد جمع كشاجم فأحسن فى قوله :

البدر لا يغنيك عنها إذا غابت وتغنيك عن البدر
فى فها مسك ومشولة صرف ومنظوم من الدر
فالمسك للنكهة والخمر للبر بقة واللؤلؤ للثغر

جمع ثم قسم تقسيماً صحيحاً ولم يترك مزيداً . ومن البارع المشهور فى هذا المعنى
قول الصنوبرى :

تلك الثنايا من عقدها نظمت
وقال غيره وأحسن التقسيم :

وثنايا وريقة كغدير
وعقار وروضة من أقاح

قال ابن المعتز : شرب عذب مشارعه
وقال : قلتُ للسكّاس وهو يكرع منها
وقال : ياسر إن أنكرتني فلكم
بأبي حبيب كنتُ أعهده
عقب الكلام بمسكة نفحتُ
وقد أحسن أبو تمام في قوله :

تعطيك منطقة فتعلم أنه
وهو من قول بشار :

يا أطيّب الناس ريقاً غير مختبر
وقول بشار من قول قيس :

كانَّ على أثوابها الخمر
وما ذقتُه إلا بعيني تفرُّساً
ومثله قول الآخر : وتبسم عن ألى اللثات مفلج
وقال ابن الرومي :

بدالى وميض مؤذنٌ أن صوبه
وما ذقتُه إلا لشيم ابتسامها
وقال عمارة بن عقيل (١) :

كانَّ على أنيابها مبيت السكرى
تأمل عين لا تقيل إذا ارتأت
وقال آخر وأحسن : بأبي فم شهد المحبله
كشهادة لله خالصة
وقلت في معنى الأول : أقول للملاح من خدره
وقبعه يردى تهلل في تعب؟
وقلب وما أنباك أشعر من قلب
قبل المذاق بأنه عذب
قبل العيان بأنه ربُّ
والليل يرخى الفضل من ستره

(١) شاعر مقدم فصيح ، كان يسكن بادية البصرة ، والنحويون فيها يأخذون عنه اللغة.

أبدره أحسن من وجهه أم وجهه أحسن من بدره
 قدمات الرقعة في شطره ومالت الغلظة في شطره
 فأزره غصت بأردافه ووشحه جالت على خصره
 أصبحت لأدرى وإن لم يكن في الأرض شيء أنا لم أدريه
 أشعره أحسن من وجهه أم وجهه أحسن من شعره
 ودره يؤخذ من لفظه أم لفظه يؤخذ من دره
 وثره ينظم من عقده أم عقده ينظم من ثره
 فن عذير الصب من صده ومن يجير القلب من هجره
 ياليتيه يعرف حبي له عساه يجزيني على قدره

أحسن ما قيل في حديث النساء قول القطامي :

فهن يبنن من قول يصبن به مواقع الماء من ذى الغلة الصادى
 وقد أحسن القائل :

هى الدرُّ منشوراً إذا ما تكلمت وكالدرُّ منظوماً إذا لم تكلم
 تعبداً أحرار القلوب بذلها وتملاً عين الناظر المتوسم

وقد أحسن ابن المعتز غاية الاحسان فى قوله :

لعمرك ما أجدى هواك سوى المي على وما أفاك إلا كما أخلو
 ثم قال : وشر أحاديث عذاب لوانها جنى النحل لم يمجج حلاوتها النحل
 الناس كلهم شبهوا حلاوة الحديث بحلاوة العسل وزاد ابن المعتز هذه الزيادة فأحسن
 وعندى ان أحسن ما قيل فى وصف حديثهن قول بعض المحدثين وهو ابن الرومى :

وحديثها السحر الحلال لوانه لم يجن قتل المسلم^(١) المتحرز
 ان طال لم يمل وان هى أوجزت ودَّ المحدث أنها لم توجز
 شرك القلوب وفتنة^(٢) مامثلها للعظمى وعقلة المستوفز

(١) فى من غاب عنه المطرب (الماشق) . (٢) فى الأملى (ونزهة)

ومن جيد ما قيل في الحديث ومشهوره قول ابن الرومي :

واقعد سئمت ما ربي فكأن أطيبها خبيث

إلا الحديث فإنه مثل اسمه أبداً حديث

وقلت: وحديث كأنه عقد ربا بت أرويه للرجال وتروى

وحديث الرجال روضة أنس بات يرحاه أهل نبل وسرو

ومن جيد ما قيل في الحياء ما أخبرني به عم أبي قال قال أبو العباس الفضل

ابن محمد اليزيدي قال قال الهيثم قال لنا صالح بن حسان يوماً هل تعرفون بيتاً

شريعاً في امرأة خفرة؟ قلنا نعم بيت حاتم إذ يقول :

يضى بها البيت القليل خصاصه إذا هي ليلاً حاولت أن تبسما

قال لم يصف شيئاً ، قلنا فبيت الأعشى :

كان مشيتها من بيت جاريتها مر السحابة لاريث ولا عجل

قال قد جمعها خرجت وهذا ضد الخفر ، قلنا فهات ما عندك قال قول أبي

قيس بن الأسلت (١) :

ويكرمها جاراتها فيزورها وتعل عن إتيانها فتمتد

أجود ما قيل في العناق قول بكر بن خارجة (٢) :

أني رأيتك في نوم تعانقني كما تعانق لأم الكاتب الألفا

وهذا من المقلوب لأن الألف تعانق اللام ، ويجوز أن يحتج له بأن يقال

الألف لاتعانق اللام إلا واللوم معانقة لها . ومن أطرف ما قيل في ذلك قول ابن المعتز :

كأنني عانقت ريحانة تنفست في ليلها البارد

فلو ترانا في قميص الدجى حسبتنا من جسد واحد

وقلت في نحو ذلك :

(١) من شعراء الجاهلية ، كانت الأوس قد أسندت إليه حربها وجعلته رئيساً

عليها فساد . (٢) كان وراقاً ضيق العيش ، طيب الشعر مطبوعاً .

ونحن نظم في الهوى واحد^ه كأننا عذبان في نحر

وقال التنوخي :

لله أيام^ه مَضِينَ قطعها وطوالها بالقاصراتِ قصار^ه
 أخلو النهار على النهار وانى والشمسُ لى دونَ الشعارِ شعار^ه
 خداهُ وَرَدَ^ه والنواظرُ نرجس^ه والثغر سوسن^ه والرضابُ عُقار^ه
 حتى إذا ما الليلُ أقبَلَ ضمنا كُونَ الأزارِ من العناقِ إزار^ه
 فعلى النحورِ من النحورِ قلادة^ه وعلى الخدودِ من الخدودِ خمار^ه

وقد أحسن وطرف إلا أنه أخذ قوله «من العناق إزار» من قول ابن الرومي :

طالما التفتُ الى الصبيحِ لنا ساق^ه بساق

في قناع من^ه لثام وإزارٍ من^ه عناق

وأشده أبو أحمد عن الصولي عن أحمد بن سعيد لابن عيد كأنه الكاتب :

وكلانا مُرْتَدٍ صاحبهُ كارتداءِ السيفِ في يومِ الوغى

بمخدودِ شافياتٍ من جوى وشفاهِ مُرِوباتٍ من ظما

نتساقى الربقَ فيما بيننا زامات القطارِ زغب القطارِ

أحسن ما قيل في الشعور من الشعر القديم قول الأعمشى :

فأنضيت منها الى جنّةٍ تدلّتْ على عناقيدُها

ليس لأشعار المتقدمين نظير ، وكان بشار يتعجب من حسنه ويقدمه على جميع

ما قيل في الشعر . وقد أحسن القائل :

بيضاء تسحبُ من قيامِ فرعها وتغيبُ فيه وهو جثل^ه (١) أسحم

وكانها فيه نهار^ه ساطع^ه وكانه ليل^ه عليها مظلم

أخذه بعضهم فقال وأحسن :

(١) في الأصل غير منقوطة والنصحیح من (من غاب عنه المطرب)

وفي الامالي «وحف^ه أسحم» .

نشرت على ذوائباً من شعرها حذر الكواشح والغدو الخنق
فكأنني وكأنها وكأنه صبحان باتا تحت ليل مطبق
وقد أحسن السرى القول في سواد الشعر مع أوصاف آخر وهو قوله :

مصقولة بسنى الصباح وجوهها^(١) مصبوغة بدجى الظلام طرارها
أغصان بان أبدعت^(٢) في حملها ففرائبُ الوردِ الجنى ثمارها
طالت ليالى الحب بعد فراقها وأحبهنَّ الى الحب قصارها
ولربَّ ليالاتٍ بهنَّ تفرجتْ أسدانها وتارجتْ أسحارها
ما كان ذلك العيش إلا سكرةً رحلت لذاتها وحل خمارها
وقال ديك الجن :

أنظر الى شمس القصور وبدرها والى خزاماها^(٣) وبهجة زهرها
لم تبل عينك أبيضاً في أسود جمع الجمال كوجهها فى شعرها
وقال أبو تمام :

بيضاء تسحب شعرها من وجهها فى حسنه أو وجهها من شعرها
وقال أبو نواس :

وسالت من عقيصتها سلاسلُ كسرت حلقا
وقال آخر : سيقربُ منك الردى عنوةً اذا ماناتُ عنك أحماله
فهل أنتَ باك على اثره وهل تشجيك أطلاله
سيكثرُ من بعدِ ترحاله توَجُّعُ صبِّ وإعواله
بنفسى الذى قلقه وشحه وضاقَ بما فيه خلخاله
يريك الحنادسَ إدبارهً وييدى لك الصبحَ أقباله
مليحُ الدلالِ قليلُ النوالِ جميلٌ وان قلَّ اجماله
وقلت : رخيمٌ فاترُ اللحظ رشيقٌ مخطفُ الخصر

(١) في ديوان السرى (جباها). (٢) في الديوان (أغربت). (٣) فى الاصل (حدامها).

وقد عُدَّ بالليل وقيد قنع بالفجر
وما ينفعني حسنك يا أحسن من بدر
إذا كان نصيبي منك طول البين والهجر
وقال كشاجم :

بالله يامتفرداً في حسنه ^(١) ومقلنا هروت بين محاجره
ومحكما أردافه في خصره ومصافحاً خلخاله بصفائره
ويكتم الاسرار حتى إنه ليصونها من أن تمر بخاطره
لا تعصين على قتي يرضى بما أوليته ولو انتقلت بناظره
أخذ قوله * ومصافحاً خلخاله بصفائره * من قول أبي نواس :

باتوا وفيهم شمس دجن ينعل أقدامها القرون
تعوم أعجازهن عوماً وتلثي فوقها المتون
غريب شكل بديع حسن أفرد ^(٢) المثل والقرين
بانوا بروحي فصرت ^(٣) وقفاً لا بي حراك ولا سكون

وقال نصر بن أحمد :

سلسل الشعر فوق وجه فحاكي ظلمة الليل فوق ضوء الصباح

وقال السرى :

قصرت ليلة الخورنق حسناً واليبالي الطوال فيه قصار
إذ وجوه الأنام فيه رياض ومياه السرور فيه غار
وجنات تحير الورد فيها وتغور جرت عليها المقار
فضحاه من الذوائب ليل ودجاه من الخدود نهار
وقال : ومالت غصون طوقتها مناطق ولاحت شمس توجتها حنادس

(١) في ديوان كشاجم (بالله يامتفرداً بجماله) . (٢) في ديوان أبي نواس

(أعوزه المثل والقرين) . (٣) في الديوان (فصرت شخصاً)

وقلت : وذى غنج يأوى إلى فرعه الدُّجى
 ففيه ظلام بالصباح مقمم
 يروق سليعى منك جعد مسلسل
 وفرعك من صبغ الشباب ممسك
 ووجهك مثل الروض يغسله الحيا
 أبلغ ما قيل في صفة الاصداع والعدار : فمن بديع ما قيل في الصدغ قول ابن المعتز :
 له ظمرة كجنح الغداف
 وفي عطفة الصدغ خال له
 وقوله : وكانَّ عقربَ صدغه وقفتُ
 وقوله : غلالة خدّه وردُّ جنى
 وقلت : وكانَّ دارة صدغه وعداره
 وقال ديك الجن :

فقام مختلغاً كالبدر مطلقاً
 رقت غلالة خديه فلو رميا
 كأنَّ لآماً أديرت فوق وجنته
 وقلت : إذا التوى الصدغ فوق وجنته
 وقلت : الغيمُ بين ممسك ومكفر
 فإذا شربت فمن رحيق سلسل
 من ريق أهيف كالقضب محضراً
 فإذا جلا لك غرّة في طرّة
 فانظر عناق ممسك لمكفر
 وإذا تماق خدّه وعداره
 وقال آخر : عجبي لخضرة زعفران عذاره
 والخشف ملتفتاً والغصن منقطفا
 باللحظ أو ماها بأن يكفا
 واختطَّ كاتبها من تحتها ألفا
 رأيت تفاعّة بها عضه
 والروضُ بين مجدّد ومدبج
 وإذا رشفت فمن شتيت أفلج
 أو كفُّ أبلج كالصباح الأبلج
 أوى بقلبك أبلج في أدعج
 يجلوه حسنُ مفلج ومضرج
 فانظر عناق عقائق وبنفسج
 ومن العجائب زعفران أخضر

وقال ابن المعتز:

من كف ريم تثنى مناطقه على هضم الكشجين مشوق
يعطيك ماشاء من معانقة مقفلة من وراء معشوق
مسطر الخد بالعدار ولا يحسن غضن الا بتوريق
وقلت: له وجنتا ورْد وعينا غزالةٍ وغرّة اصباح وطرّة غيب
وصدغ يناجى الاذن وهو معقرب وطوراً يناغى الخد غير معقرب
له من ظلام الليل أحسن ملبس وفوق ضياء الصبح أحسن ملعب

وقال الصنوبري:

تلك طرارٌ عليك أم حلق زانك صدغان أم هما زرد
وقلت: يفتن القلب بخد لم يدع للورد قدرا
مثلهما تكتب بالمسك على الكافور سطرًا
وعذار يسحر الصب وما يعرف سحرا
وبصدغ دار في الخد كما تعقد عشرًا
كلما أظلم (ليلي) (١) كان (لى) وجهك فجرا

وقال ابن المعتز:

لعمرك ما أزرّت بيوسفَ حيةً ولكنه قد زاد حسناً وأضعفا
فلا تعتذر من جبه في التحائه فما يحسن الدينار إلا مسيفا
وقال في خضرة الشارب:

تَبَسَّمْ إِذْ مَا زَحْتُهُ فَكَأَنَّمَا تَكشَفَ عَنْ دُرِّ حِجَابِ زَبْرَجِدٍ (٢)
وقال بعض المتأخرين وأحسن:
ومعذرين كأن نبت خدودهم أقلام مسك تستمدُّ خلوقا
قرفوا البنفسج بالشقيق ونظموا تحت الزبرجد لؤلؤاً وعقيقا

(١) ما بين القوسين غير موجود في الأصل . (٢) في ديوان ابن المعتز (زمرد) .

وقلت : وعمافت خلف من صدغه خلفنا
كالعين في العينِ وكالجيم في الجيم ؟

وقلت وليس من هذا الباب :

كأنما النور مضحكٌ يقق
وعطفةُ الغصن شاربٌ خضر

وقلت : وترى النور مثل مضحك خود
وترى الغصن مثل شاربٍ أمرد

ولعبد الرحمن السيلي رجل من أهل خراسان :

وشادن سائقات الشعر قد سلكت°
في طارضيهِ على جهيدٍ بها طرقا
هذا البيت متكلف جداً :

لما رأته أنها قد أخطأت وجنت°
وهو مأخوذ من قول كشاجم :
وَأَتْ تَعَوْدُ فَدَارَتْ كُلُّهَا حَلَقًا

علم الشعر الذي عاجله°
أنه جار عليه فوقف

فقال هذا (وقف) وقال عبد الرحمن (دارت حلقة) الفرق بينهما هذا .

وقلت : لا والذي دار من صدغيك وانعطفنا
ما كنت إذ خنتني إلا أخافية°
لم أسبق لمعنى البيت الأول .
وقلت :

قد التوى ضدغه واختط عارضه°
وقلت أيضاً ولم أسبق الى معناه :

ومغنج قال الكمال لوجهه
زعم البنفسج أنه كهدارِهِ
كن مجمعا للطيبات فكانه°
حسناً فسلوا من قفاه لسانه°

أعنى الهنة النابتة تحت ورقة البنفسج :
وقلت :

بنفسج عارضه ينثى
فيجعل قلبي في كفه°
إلى حمرة من وجنتيه
يسبي إليه ويمدو عليه

وقال ابن المعتز :

والصدغ فوق العذار منكسر°
كصولجائٍ يرد ضربته

وقال * وصدغه كالصولجان المنكسر *
 أجود ما قيل في حسن القد ورقة الخصر وكبير المعجزة : أخبرنا أبو أحمد
 أخبرنا أبي عن عسل بن ذكوان ، وأخبرنا به أبو علي بن أبي حفص عن جعفر
 ابن محمد العسكري عن بعض رجاله قال قال أبو عمرو بن العلاء لأصحابه أنشدوني
 أحسن ما قيل في حسن القد وعظم المعجزة فأنشده بعضهم قول علقمة :
 صفر الوشاحين ملء الدرّع بهنكة^(١) كأنها رشاً في البيت ملزوم
 قال لم تأت بشيء ، فأنشديت ذى الرمة :

ترى خلفها نصفاً قناة قويمه ونصفاً نقلاً يرتج أو يتعمر
 وأنشديت الأعرشي :

صفر الوشاحين ملء الدرّع بهنكة^٢ إذا تمشت يكاد الخصر ينحول^(٢)
 وأنشديت ذى الرمة :

عجراً ممكورة خصانته فلق^٣ عنها الوشاح وتم الجسم والقصب^(٣)
 فقال أحسن من هذا كله قول الحارث :

غرثان سمط وشاحها قلق شبعان من أردافها المرط

قال أبو هلال أخذه عبد الله بن عبد الله بن طاهر فقال :

سلمى وتسلمى تفوق المتى ؟ والوصف أنواعاً وألواناً

وشاحها يحسد خلخالها كجائع يحسد شعباناً

نقله إلى وصف السلو ، وأخذه ابن المعتز بلفظه ومعناه فقال :

وظبياء^٤ غرائر مشبعات المآزر

ومن البديع قول أبي نواس :

وربان من ماء الشباب كأنه^٥ يظلم من ضمير الحشا ويجماع

(١) في ديوان علقمة (خرعبة) . (٢) في ديوان الأعرشي (ينخزل) .

(٣) قلق وشاحها لضمور بطنها ، والقصب : العظام التي بها المخ .

أخذه الآخر فقال :

ظبيُّ كَأَنَّ بَخْصِرَهُ من ضميره ظمأ وجوعاً
وقلت : وقد بعصن او فانا كشامات كافر
وقد شدت زنانيراً على مثل الزنابير

وقد أحسن ابن المعتز حيث يقول :

وتحت زنانير شددن عقودها زنانير عكان معاقدها السرر
وقال مؤمل وأفرط :

من رأى مثل حبيتي تشبه البدر إذ بدا

تدخل اليوم ثم تدخل أردافها غدا

وأشد أبو أحمد قال أنشدني أبو بكر بن دريد (١) :

قد قلت لما مرَّ يخطو ماشياً (٢) والرِّدفُ يُجذبُ خصره من خلفه

يا من يُسلمُ خصره من ردفه سلم فؤاد محبه من طرفه

وقد أحسن القائل في وصف لبن القوام والسرغ ؟

ممن له حسن الرحيق وطيبه ومزاج شاربه ومشى نريبه

وقلت : لا والظباء الآسأت إذ آرانت فاقن حسن عيونهن فتونا

ان لحن لحن كواكباً ونحن نحن لظناً أو ملن ملن غصونا

وبدرن من مقل اليك فواتر يكسين قلبك بالفتور فتونا

ماخت عهد هوى عليك وقفته وأخو المروءة لا يكون خؤونا

وقبل هذا: مترجج الارداف مضطمر الحشا لدن القوام يكاد يعقد لنا

داب النعيم له فأثمر صدره ثمراً إذا حلت الثمار حلينا

يقال حلا الشيء في الفم وحلى في القلب . وكتبت في فصل لي : والله يعلم أني

أخدمه بالضمير خدمة لو تصورت له لرآها الرائي روضاً مطوراً ووشياً منشوراً

(١) نسب البيتان في ذيل الأملى لخالد الكاتب . (٢) في الذيل (لأن بدا متبختراً)

ولؤلؤاً منظوماً ومنثوراً بل لا بصر أعطاف الفتيان تتثنى تتنى الأغصان في قراطق
 الحبير ومن ررات الديباج والحرير وقد اطلعت أزرارهم بواهر الأتقار مطرفة
 بمقارب الاصداع وحلق الاطرار فأقبلوا يسفرون عن غرة الصباح ويسمون
 عن حباب الراح ويمزجون الدلال بنجمل أسأء فيهم الوصال فاذا حضروا وكلوا
 الابصار واذا غابوا استوهبوا القلوب والافكار فهم الداء والدواء ومنهم السقم والشفاء .
 ومن الافراط في ذكر الغيد وهو لين القامة قول ماني ^(١) :

أتمنى الذى إذا أنا أوماً ت إليه بطرف عيني تجنى
 أهيف كالتضيب لو أن ريحاً حرَّكت هذب ثوبه لتثنى

وأجود ما قيل فى النهود وعظم العجيزة قول الأعرابي : بيضاء جمدة لايمس
 الثوب منها إلا مشاسنه كتفيتها وحلمتى تديبها . أخذها الشاعر فقال أو أخذها الاعرابي
 من الشاعر :

أبت الرِّوادفُ والثدى لقمصها مَسَّ البطون وان تمسَّ ظهورا
 وإذا الرِّياحُ مع العشى تناوحتُ نهن حاسدةً وهجنَ غيورا
 وقلت : تمشي بأردافِ آيين قعودها بين النساءِ كما آيينَ قيامها

وقال ابن المعتز فى النهود :

يا عُصناً ان هزه مشيه خَشيتُ أن يسقطَ رُمَّانهُ
 إرحم مليكاً صارَ مستعبداً قد ذلَّ في حبك سلطانهُ

وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن العكلى عن ابن خالد عن الهيم
 ابن عدى قال قعد اعرابي إلى جانب دار إسماعيل بن على بالكوفة فخرجت جارية
 فطفق الاعرابي ينظر اليها فقال له رجل ما نظرك إلى شىء غيرك أقبل على شأنك
 واصبر ، والجارية تسمع - فقال الاعرابي ربلات تصطك وغصن يهتز وندى يحرق
 أهابه وتقول اصطبر، فضحكت الجارية وقالت والله ما مدحتنى أحد مثل ما مدحتنى

(١) هو مان الموسوس الشاعر المصرى المشهور .

به . فقال بأبي أنت وأمي أن الهوى يظهر جيد القول ويبدى المستتر السكامن وانك
لما يما يكنى عنه الريلات مجامع الفخذين ؟ . وقلت :

أيا وِرداً على غصن بكرَّ اللحظ يلقطه
ورماناً على قنن يكادُ المشى يسقطه
أتى والبدْرُ يحسدهُ وشمسُ الدُّجن تغبطه
وخوفُ الناس يقبضهُ وحبُّ الوصل يسسطه

وأحسن ما قيل في الثدي :

قبيحٌ بمثلِك أن تهجرى وأقبح من ذلك أن تهجرى
أقاتلتى بفتورِ الجفونِ ورُماتينِ على منبر
كحقين من لبِّ كافورةٍ برأسيهما نقطتا عنبر

والناس يستحسنون قول مسلم بن الوليد :

فأقسمت أنسى الدّاعيات إلى الصبا وقد فاجأتها العينُ والستر واقع
فغظتُ بكفيها ^(١) ثمارَ نخورها كأيدي الأَسارى أنقلتها ^(٢) الجوامع
وهو حسن جداً ومثله قول النعميري :

أعيرُ كيفَ بحاجةٍ طلبت إلى صمِّ الصخور
لله دَرُّ عداكم كيفَ انتسبنَ إلى الغرور
ولقد تبيتُ أناملِي تجنينَ رمانَ الصدور

وقال علي بن الجهم :

شاخص في الصدر غضبان على قنب البطن وطى العكن
يملاً الكفَّ ولا يفضلهُ وإذا أفنيته لا ينثنى
وقد طرف ابن الرومي في قوله :

صدورٌ فوقهنَّ حقاق عاج وحلى زانه حسنُ اتساق

(١) في ديوان الصريع « فغظت بأيديها » . (٢) في الأصل « أقتلتها » .

يقول القائلون إذا رأوها أهذا الحلى من هذى الحقائق
 أجود ما قيل في الخضاب بأنامل المرأة من قديم الشعر قول الأسودين يعفر :
 يسعى بها ذو ثؤميتين مقرطق^(١) قَتَاتُ أَنَامِلُهُ مِنَ الْفَرَصَادِ
 فأخذ المحدثون ذلك وتصرفوا فيه فمن أحسن ذلك قول أبي نواس :
 يا قمرًا أبصرتُ في مآتم يندبُ شجواً بين أترابِ
 يبكي فيلقى الدرّ من نرجسٍ ويلطمُ الورْدَ بعنابِ
 وقال ديك الجن :

ودعتها لفرافق فاشتكت كبدى وشبكت يدها من لوعة يدي
 وحاذرت أعين الواشين وانصرفت تعضُّ من غيظها العناب بالبرد
 فكان أوّل عهد العين يوم نأت بالدِّمع آخر عهد القلب بالجلد
 ومن البديع في هذا المعنى قول الآخر :

قالوا الرّحيل فأمرعت أطرافها في خدّها وقد اكسنت خضابا
 فاخضرّ موضعُ كفها فكأنما غرّست بأرض بنفسج عنابا
 وقال الناشيء وهو أحسن الواصفين لهذا المعنى :

من كفّ جارية كأنّ بنانها من فضة قد طرّفت عنابا
 وكانّ يمانها إذا نطقت به يلقي على يدها الشمال حسابا
 وقال أيضاً : لناقينة ترنو بناظرتين بما في قلوب الناس عالمتين
 تخالّ تطاريف الخضاب بكفها فصوص عميق فوق قضب لجين
 وقال : متعاشقان مكآتمان هواهما قد نام بينهما العتاب فطابا
 يتناقلان اللحظ من جفنيهما فكأنما يتدارسان كتابا
 وإذا هدّت عين الرّقيب تخالست كفاهما جلس السلام سلابا
 بأنامل منه يلوح مدادها وأنامل منها كسنت خضابا

(١) في الأصل «كأتما» وفي منتهى الطلب من أشعار العرب (مقرطق).

فكأنما يجنى لها من كفه عنباً وتجنّيه له عنابا
يدكر أثر المداد بأنامله وأثر الخضاب بأناملها. وقلت:

انظر الى النقش من أطرافها البضه مثل البنفسج منشوراً على فضه
أوخلتها أخذت أطراف جرمة فنضدته على جمارة غضه
ومن غريب ما قيل في نظم حليهن قول النمر بن تواب:

كهاب عليها لؤلؤٌ وزبرجدٌ ونظمٌ كأجوان الجراد مفصل
قوله «كأجوان الجراد» غريب بديع لم يسبق اليه ولا أعرف أحداً أخذه منه.
ومن البديع قول الدمشقي:

بدر بدا والشمسُ في كفه وأنجمُ الليل عليه رعات
وهو من الليل ومن طرفه وشعره في ظلماتٍ ثلاث

أحسن ما قيل في صفة الدمع إذا امتزج بالدم قول أبي الشيبس:

لهوت عن الأحزان إذا سفر الضحى وفي كبدى من حرّهن حريق
مزجت دماً بالدمع حتى كأنما يذاب عليها لؤلؤٌ وعقيق
وقول أبي تمام: نثرت فريداً مدام لم تنظم والدمع يحمل بعض ثقل المغرم^(١)
وصلت نجيباً بالدموع^(٢) فخذها في مثل حاشية الرداء المعلم
وقال: أبيت أراعى أنجم الليل بعدكم فيا ليت شعرى هل تراعونها بعدى
ودمع نثرت حرّه وعقيقه كأنى حلت العقد من طرف العقد

ومن أجود ما قيل في بياض الدمع على حمرة الخدما أنشدناه أبو أحمد عن الصولي:

لو كنت يوم الوداع حاضراً وهنّ يطفئنّ لوعةً الوجد
لم ترّ إلا الدموعَ جاريةً تسقطُ من مقلة على خدّ
كأنّ تلك الدموعَ قطرٌ ندى يقطرُ من زرجسٍ على وردٍ

ونحوه قول ابن الرومي:

(١) في ديوان أبي تمام (شجو المغرم). (٢) في الديوان (وصلت دموعاً بالنجيع)

لَمَّا دَنَا الْبَيْنُ وَرَاحَ الدَّلُّ وَتَمَّعْتَهَا وَدَمَعَهَا مُنْهَلٌ
وَخَدَّهَا مِنْ قَطْرِهِ مُخْضَلٌ كَأَنَّهُ وَرَدُّ عَلَيْهِ طَلٌّ

ومن أجمع بيت قيل قول المحدثين :

فَأَسْلَبْتُ لَوْلَاؤًا مِنْ نَرْجَسٍ وَسَقَتْ وَرَدًّا وَعَضَّتْ عَلَى الْعِنَابِ بِالْبَرْدِ

ليس لهذا البيت نظير . وقلت :

يَبْكِي فَيَسْقِي الدَّمْعُ وَجْتَهُ كَمَا يَسْقِي الطَّلُّ وَرَدَةَ غَضِهِ؟

ومن المشهور قول بعضهم وهو حسن :

كَأَنَّ الدَّمْعَ عَلَى خَدِّهَا بَقِيَّةُ طَلٍّ عَلَى جِلْنَارِ

ونحوه ما أنشدناه أبو أحمد في العرق :

يَحْدَرُ مِنْ أَرْجَاءِ صُورَةٍ وَجْهَهُ مِنْ الْفَمِ سَحَابٌ فِي الْجَبِينِ وَفِي الْخَدِّ
فِرَادِيٌّ وَمِثْنِيٌّ يَسْتَبِينُ كَأَنَّهُ سَقِيطٌ نَدَىٌّ فِي عَالِيٍّ وَرَقٌّ الْوَرْدِ

ومثله ما قلت :

أَخْرَجَهُ الحَمَامُ كَالْفَضِّ يُحْسَدُ مِنْهُ بَعْضُهُ بَعْضَهُ
كَأَنَّمَا المَاءُ عَلَى جِسْمِهِ طَلٌّ عَلَى سَسْوَسَةٍ غَضِهِ

وفي صفة الدمع :

تُورِدُ دَمْعِي مِنْ خَدَّيْكَ مُخْتَلِسٌ وَسَقَمُ جِسْمِي مِنْ عَيْنَيْكَ مُسْتَرْقٍ
لَمْ يَبْقَ لِي رَمَقٌ أَشْكُوهُ هُوَ أَكْبَهُ وَإِنَّمَا يَتَشَكَّى مِنْ بِهِ رَمَقٌ

وأبلغ ما قيل في امتلاء العين من الدمع قول بعض الاعراب أظنه :

فَظَلْتُ كَأَنِّي مِنْ وَرَاءِ زَجَاجِيَةِ إِلَى الدَّارِ مِنْ فِرْطِ الصَّبَابَةِ أَنْظُرُ

وقول البحترى في معناه :

وَيُحْسِنُ دَلَّهَا وَالمَوْتَ فِيهِ وَقَفْنَا وَالعَيُونَ مُشْغَلَاتٌ
وَقَدْ يَسْتَحْسِنُ المَوْتَ الصَّقِيلَ يَعَالِجُ دَمْعَهَا طَرَفٌ قَلِيلٌ (١)

نَهْتَهُ رَقَبَةُ الْوَاشِيَيْنَ حَتَّى تَعْلُقَ لَا يَغِيضُ وَلَا يَسِيلُ
قوله «يحسن دلها والموت فيه» أحسن ما قيل في الدلال .

ومن أعجب ما قيل في الدمع قول بعضهم ونسب إلى السرى ولأنه له :
بِنَفْسِي مِنْ رَدِّ التَّحِيَّةِ ضَاحِكًا فَجَدَّدَ بَعْدَ الْيَأْسِ فِي الْوَصْلِ مَطْمَعِي
إِذَا مَا بَدَأَ أَبْدَى الْغَرَامُ سِرَائِرِي وَأَظْهَرَ لِلْعَدَالِ مَا بَيْنَ أَضْغَعِي
وَحَالَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ كَأَنَّ دُمُوعَ الْعَيْنِ تَعَشَّقُهُ مَعِي
وهذا معنى ظريف حسن جداً .

ومن حسن الاستعارة في صفة الدمع ما أنشدناه أبو أحمد عن الصولي :
قَدْ كَانَتْ فِي طَوْلِ الْبِكَا لِي رَاحَةٌ وَعَنَّانُ سَرِّي فِي يَدِ الْكَمَّانِ
حَتَّى إِذَا الْإِعْلَانُ نَبَهَ وَاشْيَاءُ رَقَاتُ دُمُوعِي خَشِيَّةَ الْإِعْلَانِ
ومن البديع في ذلك قول بشار وهو مشهور :

مَاءُ الصَّبَابَةِ نَارُ الشُّوقِ تَحْذَرُهُ فَهَلْ سَمِعْتُمْ بِمَسَاءٍ خَافَ مِنْ نَارِ
وَقُلْتُ : أَشْكُو الْهَوَى بِدُمُوعِ قَادَهَا قَلِقُ حَتَّى عَلِقْنَ بِجَفْنِ رَدِّهَا الْغَرِقُ
فَفِي فُؤَادِي سَبِيلٌ لِلْأَسْبِي جَدُّ وَفِي الْجَفُونِ مَقِيلٌ لِلْسَكْرَى قَلِقُ
لَهَيْبُ قَلْبِي أَفْضَلُ الدَّمْعِ مِنْ بَصْرِي وَالْعُودُ يَقْطُرُ مَاءً حِينَ يَحْتَرِقُ
ولا أظنني سبقت إلى هذا التمثيل . وقال ابن المعتز :

وَلِطْمَةِ خَدِّ نَجْمِ الْوَرْدِ خَرَّمَا وَتَنْثُرُ دُمْعًا لَا يَبَاعُ بِأَثْمَانِ
ونظير المصراع الأول قول صاحب مصر :

وَاللَّهُ لَوْلَا أَنْ يُقَالَ تَغْيِرَا وَصَبَا وَإِنْ كَانَ التَّصَابِي أَجْدِرَا
لَأَعَادَ تَفَاجِخَ الْخُدُودِ بِنَفْسِجَا لَثْمِي وَكَافُورَ التَّرَائِبِ عُنْبِرَا
وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي قال أنشد الحسن بن رجاء عن المبرد يوماً بيت ذى الرمة :
لَعَلَّ انْحِدَارَ الدَّمْعِ يُعْقِبُ رَاحَةً مِنْ الْوَجْدِ أَوْ يَشْفِي نَجْمِيَّ الْبَلَابِلِ
وقال له من قال في مثله ؟ فقال قد ملح الحسن بن وهب في قوله :

إبك فما أكثر نفع البكا
إفزع إليه في ازدحام الجوى
وهو إذا أنت تأملتُه
والحبُّ إشفاقٌ وتعليلُ
ففيه مسلاةٌ وتسهيلُ
حزنٌ على الخدين محلولُ

وقد ملح العباس بن الاحنف :

إني لأجحدُ جبمَ وأسرهُ
والدمعُ يشهدُ أنني لك عاشقُ
وقال : طالَ عهدي بها فلما رأني
وقد أحسن الآخرفي قوله :

إذ لأجوابَ لفحهم متحير
إلا الدُّموع تصانُ بالاطراف
قوله « تصان بالاطراف » عبارة صحيحة جيدة . وقال آخر :

تقول غداةَ البين عندَ وداعها
وقد سبقتها عبرةٌ فدموعها
معناه إذا انحدرت إلى نحرها إنصبغت بلون الطيب والزعفران بها .
ومن غريب المعنى قول الآخر :

غدَتُ بأحبتى طولَ المطايا
وكان الدمعُ لي ذخرًا معدًّا
فبانَ النومُ وامتنعَ القرار
فأنفقتُ الذخيرةَ يومَ ساروا

أجود ما قيل في طيب عرف المرأة : جميع ما مر بي من الشعر في هذا الفن متقارب في المعنى لا يفضل بعضه بعضاً إلا في القليل ، ومنه ما هو جيد المعنى حلو المعرض قتر كته لأن الشرط قد تقدم بإيراد الجيد لفظاً ومعنى ووصفاً وذلك قليل ليس يقع إلا بعد التصفح الطويل والتعب الكثير :

فمن أجود ما قيل في ذلك من قديم الشعر قول الأعشى :

ماروضةٌ من رياض الحزن معشبة
بضاحك الشمس منها كوكبٌ مشرقٌ
خضراء جاذ عليها مسبلٌ هطل
مؤزرٌ بهيم النبتِ مكتهلٌ

يوماً بأطيب منها نشر رائحة ولا بأحسن منها إذ ذنا الأصل
 وقول القطامي وهو جيد النظم متضمن لماء الطلاوة :
 وما ریح قاع ذی حزامی وحنوة له أرج من طیب النبت طازب
 بأطيب من می إذا ما تقلبت من الليل وسنى جانباً بعد جانب^(١)
 إلا أنه جاء بالمعنى في بيتين. ومما هو مضطرب الرصف جيد المعنى قول ابن الطثرية:
 خود يكون بها القليل يمسه من طبعها عبقا يطيب ويكثر
 هذا البيت على غاية اضطراب الرصف :

شكر الكرامة جلدها فصفا لها إن القبيحة جلدها لا يشكر
 قوله (شكر الكرامة جلدها) في غاية من الحسن. أخذه ابن الرومي فقال :
 ألوف عطر تدكي وهي ذاكية إذا أساءت جوار العطر أبدان
 نعيم كل نهار من مجامرها ويشمس الليل منها فهو ضحيان
 كأنها وعثان الندى يشملها شمس عليها ضبابات وادخان
 وأخذ ابن المعتز قول القطامي ببعض لفظه إلا أنه زاد زيادة حسنة وجاء بالفاظ
 بدیعة وهو قوله :

وما ریح قاع زاهر مست الندى وروض من الریحان سحت سحائبه
 فجاء سحيراً بين يوم وليلة كما جر من ذيل الغلالة ساحبه
 بأطيب من أثواب شمر موها إذا الليل أذجى دابر كتابه
 إذا رغبت عن جانب من فراشها تضرع مسكاً أين مالت جوانبه
 وقد طرف ابن الاحنف في قوله :
 ذكرك بالریحان لما شمته وبالراح لما قابلت أوجه الشرب

(١) الذي في ديوان القطامي :

وما ریح روض ذی أقاح وحنوة وذی نقل من قلة الحزن طازب
 بأطيب من ليلى إذا ما تمايلت من الليل وسنى جانباً بعد جانب

تذكرت بالريحان^(١) منك روائح^(٢) وبالريح طعماً من مقبلك العذب
 وأنشدني أبو أحمد عن الصولي قال أنشدني عبيد الله بن عبد الله لنفسه :
 تطيرت أيام اجتنابك أن ترى مكانك عيني لا خلا منك خاليا
 فأسكنته نوراً كرياك طيبه يذكركني منك الذي لست ناسيا
 وقد أحسن وحسنه قليل . وقيل لأعرابي أية رائحة أطيب؟ قال رائحة بدن
 تحبه أو ولد تربه فقال ابن الرومي * ريح ربيع طيب الاولاد * وقلت :
 يمرُّ بي وفدُ الصبا والليل يقضي نجبهُ
 مرُّ بروض زاهرٍ ذرَّ عليه عشبهُ
 فخاتهُ من طيبهِ نشوة من أحبه
 ومن البليغ قول سحيم^(٣) :

فما زال بردى طيباً من ثيابها إلى الحول حتى أنهج البرد باليا
 وأبلغ من ذلك وصفرهم طيب المواضع التي وطنها الحبيب ، وأول من قال
 ذلك النميري^(٤) :

تضوع مسكاً بطن نعمان إذ مشت به زينب في نسوة خفرات
 ومن أحسنه وأرشقه قول جميل :
 ألا أيها الربيع الذي غير البلا عفا وخلا من بعد ما كان لا يخلو
 تداوب ربيع المسك فيه وإنما به المسك إذ جرَّت به ذيلها جمل
 وقوله : وأنت الذي حبت سعي إلى بدا إلى وأوطاني بلاد سواها
 حلت بهذي مرّة ثم مرة بهذي فطاب الأوديان كلاها

(١) في ديوانه (باتفاح) في الموضعين . (٢) في ديوانه (سوالفا) . (٣) هو عبد بنى
 الحسحاس ، كان أسود حلوا الشعر رقيق الحواشي . (٤) «النميري» ساقطة من الاصل
 فاستدر كذاها من الأغانى حيث ذكر البيت في أخبار النميري وهو محمد بن عبد الله
 شاعر غزل مولد من شعراء الدولة الأموية، وفيه «عطرات» بدل (خفرات) .

أناها بعطرٍ أهلها فتضاحكت^١ وقالت^٢ وهل يحتاج عطر^٣ إلى عطر
وقد أجاد البحترى :

لنا من ريقه راح ومن رياه ريحان

وأنشدنا أبو أحمد في طيب الريح إلا أنه وصف رجل :

سقى لأيام مضت^٤ وكان^٥ معها حلوم

أيام يقى لى ويف^٦نى رهطه الرجل العريم

إذ لا دليل على^٧ فى برد الضحى إلا النسيم

أجود ما قيل فى حب الصغار من شعر المتقدمين قول نصيب^(١) :

ولولا أن^٨ يقال صبا نصيب^٩ لقلت بنفسى النشاء الصغار

بروحى كل^{١٠} مهضوم حشاها إذا ظلمت^{١١} فليس لها انتصار^{١٢}

إذا ما للذلل ضاعفن الحشايا كفاها ان يلات^{١٣} لها الازار^{١٤}

ومن مليح ذلك قول عوف بن محلم^(٢) :

وصغيرة علقتهما كانت من العتن الكبار

كالبدر إلا أنها تبقى على ضوء النهار

وأنشدنى أبو أحمد عن الصولى قال أنشدنى عبد الله بن الحسن وقدملح وطرف :

جارية أذهلها اللعب^{١٥} عما يقاسى الهائم^{١٦} الصب^{١٧}

شكوت^{١٨} ما ألقاه من جيبها فأقبلت^{١٩} تسأل^{٢٠} ما الحب^{٢١}

ومن مليح ذلك ماروى أن عبد الملك بن مروان عرضت عليه جارية فقال لها

أبكر أنت أم ثيب ؟ فقالت بل ثيب فأنشد عبد الملك :

قالوا عشقت صغيرة^{٢٢} فأجبتهم^{٢٣} خير^{٢٤} المطي لدى^{٢٥} ما لم يركب

كم بين^{٢٦} حبة لؤلؤ^{٢٧} مثقوبة^{٢٨} لبست^{٢٩} وحب^{٣٠} لؤلؤ^{٣١} لم تثقب

(١) هو نصيب بن رباح الشاعر الفحل المتقدم فى المديح والنسيب .

(٢) الخزاعى الشاعر العالم الأديب الراوى صاحب البيت المشهور (إن الثمانين) .

فقلت الجارية: إن المطايا لا يلدُّ ركبها مالم تدلَّ كلُّ بلزِّ مالم وترك
والدرُّ ليسَ بنافع أربابه مالم يؤلف في النظام ويثقب
قد أحسنا جميعاً إلا أن وجه الكلام أن يقال يثقب ويؤلف في النظام .
أصدق ما قيل في صفة الحب قول العباس بن الأحنف :

من كان يزعم أن يدارى في الهوى حتى يشكك فيه فهو كذوب
الحبُّ أمسك للفؤادِ بقهره من أن يرى للسرِّ فيه نصيب
وقلت : آفة السرِّ من جفو نِ دوامِ دوامِ

كيف يخفى مع الدموع الهوى في الهوامع
مارأينا أخا هوى سرُّه غير ذائع
إن نيرانَ حبه باديات الطوابع

من أظرف ما قيل في ذكر الشركة في الهوى ما أنشدنيه أبو أحمد :

مالي جفيتُ وكنت لأجفني وعلامةُ الهجرانِ لا تخفى
وأراك تمزجني وتشريني ولقد عهدتكَ شاربِي صرفا

وقد أحسن العباس بن الأحنف في هذا المعنى وهو قوله :

يافور لم أهجركمُ لللالة مني ولالمقالِ واشِ حاسد
لكنفي جربتكم فوجدتكم لاتصبرونَ على طعام واحد

وقد جاء أبو نواس بهذا المعنى إلا أن قول العباس أطبع ، قال أبو نواس :

أتيت فؤادها أشكو اليه فلم أخلص اليه من الزحام
فيا من ليس يكفيها محبٌ ولا ألفا محبٌ كلَّ عام
أظنك من بقية آل موسى فهم لا يصبرون على طعام

ومما سبق به العباس الشعراء كلهم قوله :

أحرم منكم بما أقولُ وقد نال به العاشقونَ من عشقوا
صرتُ كأنِّي ذبالةٌ نصبتُ تضيء للناسِ وهي تحترق

وأول من ذكر هذا المعنى صاحب كليلة ودمنة . وإلى معنى قول البيت الأول

يوميء قول البحري :

قصائد ما تنفك فيها غرائب تألق في أضعافها وبدائع
مكرمة الانساب فيها وسائل^ه الى غير من يحبي بها وذرائع
ومما سبقت اليه من المعاني ما قلته :

رفع الستر فأنثى غصن بان يتجلى الهلال في معناه
ليس لي أن أنال ما أتمنى من جنى وصله اللذيد جناه
فلو أني كنت في بعض شعري فاذا ما شداه قبلت فاه

ومن أبلغ ما قيل في بخل المعشوق من قديم الشعر ما أنشدناه أبو أحمد عن أبي

بكر بن دريد عن عبدالرحمن عن عمه :

وما نطفة^ه كانت سلالة بارق تمت عن طريق الناس ثم استظلت
بأطيب من أتياب تلم بعدما حدا الليل أعقاب النجوم فولت
وقد بخلت حتى لو أني سألتها قذى العين من ضاحي التراب لصنت

ومن أحسن ما قيل في وقوف النظر على المعشوق قول بعضهم (قيد الحسن

الحدقا) وهو من قول امرئ القيس « قيد الأوابد » وقد أحسن الآخر في قوله :

ظبي له من قلوب الناس نابتة^ه من المودة تجني أطيب الثمر
إذا بدا رمت الأبصار وجنته دمعا فلم تختلف عيمان في نظر
ونحوه قول المتنبي :

وخصر تثبت الابصار فيه كأن عليه من حدق نطاقا

ومن أجود ما قيل في كمال الحسن ما أنشدناه أبو أحمد :

كل شيء من محاسنها كامن في حسنه مثلا

ليس فيها ما يقال له كملت لو أن ذا كمالا

وقال أبو نواس * لومنى الحسن ما تعداها * أخذه أبو تمام فقال :

معتدل لم يعتدل عليه في عاشق طال به خبله
 أطرقه أحسن أم طرفه وحسنه أكمل أم عقله
 انظر فما عاينت في غيره من حسن فهو له كله
 لو قيل للحسن تمنّ المنى إذا تمنى أنه مثله
 أي خصال حازها سيدي لولم يكدر صفوها مطله
 وقال أبو نواس: تمت وتم الحسن في وجهها
 للناس في الشهر هلال ولى فكل شيء ما خلاها محال
 وقال: متناه بجماله صلف من وجهها كل صباح هلال
 لو كانت الأشياء صورته لا استطاع كلامه تيبها
 وقال: ألاحظ حسن وجنته حتى إذا كملت تاهت على التيهها
 وقال غيره: شكوت إلى شبيهك إذ تجلي فتجرحني وأجرحها
 وكان كأنك إشرافاً وحسناً هواك فلم يُزل شكوى الحزين
 وأحسن ما قيل في إعراض الحبيب قول النمر بن تولب: وقلة رحمة المستكين

أحسن ما قيل في إعراض الحبيب قول النمر بن تولب :
 قصدت كأن الشمس تحت قناعها بداحاجب منها وضنت بحاجب

وقد مر قبل . ومن ظريف ما جاء في ذلك قول ابن الرومي :

مساء في إعراضه عني ولكن سرّني
 سالفناه عوّض عن كل شيء حسن

وقال الآخر وأحسن :

صدّ عني محمد بن سعيد أحسن العالمين ثاني جيد
 صدّ عني من غير جرم إليه ليس إلا حسنه في الصدود

والفرد الذي لا شبهة له في كثرة اعتلال المعشوق على العاشق وكثرة تجنيه عليه قول بعضهم :

شكوت فقالت كل هذا تبرما بحبي أراح الله قلبك من حبي
 فلما كتمت الحب قالت لشرما صبرت وما هذا بفعل الشجي الصب

وأدنو فتقصيني فأبعد طالباً
فشكواى تؤذيهما وصبرى يسوءها
وقريب منه قول مسلم :

ويخطىء عذرى وجه جرمى عندها
إذا أذنبت أعددتُ عذراً لذنبها
بذكرك مات الياأسُ في حضرة المنى
قد أصاب صفة العاشق . وقلت :

صبابة نفس لا ترى الهجرَ حالياً
نزلتُ على حكم الصبابة والهوى
ولولا الهوى ما كنتُ أملُ باخلاً
ومن شأنه أنى إذا ما ذكرتهُ
على أنى أنأى فأذنو تذكراً
ويعجبني حبي له وصبابتي
فلو ظننى أسلوه لم أكُ هاجراً
ولكن عشتى في ضمان جفونه

ومن أصاب وصف العاشق الصادق العشق على حقيقته الذى يقول :

إذا قربتُ داره كلفتُ وإن نأتُ
وإن وعدتُ زادا الهوى لا تتظارها
ففى كلِّ حال لا محالة فرحة
ومثله قول الآخر :

وما فى الارض أشقى من محبِّ
تراه باكياً فى كلِّ حين
فيسكى ان نأوا شوقاً إليهم
وان وجدَ الهوى حلوَ المذاق
مخافة فرقة أو لاشتياق
ويسكى ان دنوا خوفَ الفراق

فتسخن عينه عند التنائي وتبرد^(١) عينه عند التلاقي
ووصفه الهوى بالحلاوة مع هذه الصفات وصف بديع غريب . ومثله قول ابن الاحنف :

إذا رضيت لم يهنئ ذلك الرضا لصحة علمي أن سيبعه عتب^(٢)
وأبكي إذا ما أذنت خوف عتبها^(٣) فأسألها مرضاتها ولها الذنب
وصالكم صرم وحبكم قلى وعطفكم صد وسلمكم حرب

ومثل البيت الأول قول سعيد بن حميد ويروى لفضل الشاعرة:

ما كنت أيام كنت راضية عنى بذلك الرضا بمغتبط
علماً بأن الرضا سيبعه منك التجنى وكثرة السخط
فكل ما ساءنى فعن خلق منك وما سررى فعن غلط

ومن البديع في طلب نيل المعشوق قول الآخر :

عدينا موعداً ثم اجحدينا فكم من مبطل حقاً يجحد
وإلا فابلى من غير وعد فقد تكف السماء بغير وعد

وقلت في نحو ذلك :

تسي على بعد الديار تنائياً وخلفك عند القرب من عصب البعد
كثير سرورى في قليل وفائه وعند ابتسام البرق قهقهة الرعد

ومن أبلغ ما قيل في الرضا عن المعشوق بالقليل قول جميل :

أقلب طرفي في السماء لعله يوافق طرفي طرفها حين تنظر
ومثله قول ابن المعلوط :

أليس الليل يلبس أم عمرو وإيانا فذاك لنا تدان
بلى وأرى السماء كما تراها ويعلوها النهار كما علانى

وأشدنى أبو أحمد عن ابن الانباري لجميل^(٤) :

(١) في الأصل (تسخن). (٢) في ديوان ابن الاحنف (علمي به أن سوف يتبعه العتب)

(٣) في ديوان ابن الاحنف (خوف صدها). (٤) هو جميل بن معمر الهذلي

وإني لأرضى من بثينة^١ بالذي لو استيقن الواشى لقرت^٢ ببلابه
 بلا وبالا استطيع وبالمنى وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضى
 وكان جميل يصدق في حبه وكثير يكذب . ومن ردىء هذا الباب قول بعضهم :
 وما نلت^٣ منها محرماً غير أنى إذا هي بالت^٤ بلت^٥ حيث تبول
 وعفة هذا كعفة المتنبي في قوله :

إني على شغفي بمافي خمرها لأعف^٦ عما في سمر او يلاتها

سمعت بعض الشيوخ يقول من الفجور ما هو أحسن من هذه العفة إذ عبر
 عنها بهذا اللفظ . وأخبرنا أبو أحمد أخبرنا الجوهري عن عمر بن شبة قال حدثني
 أبو يحيى الزهري عن رجل ذكره قال قيل لسكثير ما أنسب بيت قالته العرب ؟
 قال الناس يقولون :

أريد^٧ لأنسى ذكرها فكأنما تمثل^٨ لي ليلي بكل^٩ سبيل
 وأنسب عندي منه :

وقل أم^{١٠} عمر وداؤه ودواؤه لديها ورياها الطيب الموافق
 وهذا البيت جيد المعنى ردىء الرصف . وأبلغ ما قيل في شدة الحب ما أنشدناه قدامة :
 يود^{١١} بأن يمسى سقيماً لعلها إذا سمعت^{١٢} منه بشكوى ترأسله
 ويهتر^{١٣} للمعروف في طلب العلى لتحمد^{١٤} يوماً عند سلمي شمائه
 وقلت في معناه :

وقلت^{١٥} عساها إن مرضت^{١٦} تعودني فأحبيت^{١٧} لو أتى غدوت^{١٨} مريضاً
 وزدت^{١٩} اتساعاً في المكارم والعلا ليصبح^{٢٠} جاهي عندهن^{٢١} عريضاً
 ومن الشعر المختار في النسب قول أبي المطاع :

كان كثير^{٢٢} راوية جميل وجميل راوية هدبة وهدبة راوية الخطيئة والخطيئة راوية
 زهير بن أبي سلمى . (١) في وقفيات الاعيان (وبالأمم المرجو) .

أفدى الذى زرته والسيفُ يخفرني
فما خلعت نجاداً في العناقِ لهُ
فباتَ أنعمنا بالآ بصاحبهِ
وقلت في معنى البيت الآخر :

تكونُ المسرَّةُ عندَ الحضور
وأطيب ما كان برُدُ الثغور
ومن المختار في صفة العذار :

وقلت الشعرُ يسليني هواهُ
فظلتُ لشقوتي أفدى وأمى
ولم أعلم بأنَّ الشعرَ حيني
سوادَ عذارهِ بسوادِ عيني

ومن أعجب ما قيل في التهلك في الحب ونهاية التقرب الى المعشوق قول ديبك الجن :

بانوا فصارَ الجسمُ من بعدهم
بأى وجهٍ أتلقاهمُ
مانصنعُ الشمسُ لهُ فياً
إذا رأوني بعدهمُ حياً

ومن أبدع ما قيل في عدم السلو قول ابن الرومي :

أسماءُ أى الواعدِينَ تربنهُ
أنتِ بنيلِ منك يبردُ غلتى
أشدُّ كما مطالاً فانى لأدرى
أم النفس بالسلوانِ عنك وبالصبر

لم يقل في بعد الحبيب أحسن من قول ابن الاحنف : أخبرنا أبو أحمد عن الصولى
عن هارون بن عبد الله المهلبى قال كنا عند دعبل فذكر العباس بن الأحنف فقال
جيده قليل ولا أعرف أحسن من شعره في الشعر :

هي الشمسُ مسكنها في السماء
فلن تستطيعَ إليها الصعودَ
فعرزُ الفؤادِ عزاءُ جميلاً
ولن تستطيعَ إليك النزولاً

ومن البديع القليل النظير قوله أيضاً يذكر كلام الناس فيه وفي معشوقه :
قد سحب الناس أذيالَ الظنونِ بنا
وفرقَ الناسُ فينا قولهم فرقا

فكاذب^(١) قد رمى بالظن غيركم^٢ وصادق^٣ ليس يدري أنه صدقا

وهذا معنى غريب بديع مأظنه سبق إليه .

ومما هو في معنى قوله * هي الشمس مسكنها في السماء * الخ قول الآخر :

شكوت^٤ إلى بدر^٥ هوأى فقال لي ألت ترى بدر^٦ السماء الذى يسرى

فقلت^٧ بلى قال التسه^٨ فأنه نظيرى ومثلى في علو^٩ وفى قدر

فان^{١٠} نلت^{١١} فاعلم^{١٢} بأنك نائلى وإن لم تنله^{١٣} فابغ^{١٤} أمراً سوى أمرى

فكان^{١٥} كلا البدرين صعباً مرامه^(١٦) فويل^{١٧} من بدر^{١٨} السماء ومن بدرى

ومن الغريب البديع في مدح الفراق لمكان القبلة والاعتناق قول محمد بن

عبد الله بن طاهر :

ليس^{١٩} عندى شحط^{٢٠} النوى بمظلم فيه غم^{٢١} وفيه كشف^{٢٢} غموم

من يسكن^{٢٣} يسكره^{٢٤} الفراق فانى أشتهيه^{٢٥} لموضع التسليم

إن^{٢٦} فيه اعتناقة لوداع وانتظار اعتناقه لقدموم

فلكم^{٢٧} قبلة^{٢٨} وغيبة شهر (هى) خير^{٢٩} من امتناع مقيم

وأخبرنا أبو أحمد عن ابن المسيب لابن الرومى :

فاذا كان^{٣٠} فى الفراق عناق^{٣١} جعل^{٣٢} الله^{٣٣} كل^{٣٤} يوم فراقا

أجود ما قيل فى خفقان القلب قول قيس بن ذريح^(٣٥) :

كان^{٣٦} القلب ليلة^{٣٧} قيل يفسدى بلىلى^{٣٨} العامرية أو يراح^{٣٩}

قطاة^{٤٠} عزها^(٤١) شرك^{٤٢} فباتت تجاذبه^{٤٣} وقد علق^{٤٤} الجناح

فلولا التضمين الذى فيه لكان غاية. ومن الغريب فى ذلك قول ديك الجن :

ومملوء من الحزن يعالج سورة^{٤٥} الأرق

(١) فى ديوان ابن الأحنف « فجاهل^{٤٦} » . (٢) فى الاصل (صعباً فراقه) .

(٣) الكنانى من شعراء العصر الاموى من سكان المدينة شعره على الطبقة فى التشبيب

والحنين . (٤) كذا فى الأمالى ، وفى الأصل « عزها^{٤٧} » وفى الصناعتين « غرها^{٤٨} »

تَكَادُ غُرُوبُ مَقْلَبِهِ تَعْمُ الْأَرْضَ بِالْفَرْقِ
كَأَنَّ فُؤَادَهُ قَلَقَا لِسَانُ الْحَيَةِ الْفَرْقِ
وقد أحسن في قوله أيضا :

علمت قلبي وجيباً لست أعرفه ما أنكر القلب إلا كلما خفقاً
ياشوق إلّفين حال البينُ بينهما فما فضاء على التوديع فاعتنقاً
لو كنت أملك عيني ما بكيت بها تطيراً من بكائي بعدم شفقا
وقد أحسن القائل وجاء بما في نفس العاشق :

ولو داوأك كلُّ طيب (ركب) بغير كلام ليلى ما شفاك
ولو أصبحت تملك كلَّ شيء سوى ليلى عتبت على غناك
ومن أعجب ما قيل في الشفقة على المعشوق قول أبي دلف العجلي :
أحبك يا جبانُ وأنت مني مكان الروح من جسد الجبان
ولو أني أحبك أحبَّ نفسي نلختُ عليك بادرَةَ الطعان
لا قدامي إذا ما الخيلُ جالتُ وهابَ شجاعها وقعَ الطعان

خص الجبان لأنه أشد شفقة على نفسه من الشجاع وهذا من جيد الاستطراد.
ومن بليغ ما قيل في الحب مع الشجاعة ومن أجود ما قيل في اليأس عن الوصل
قول مجنون ليلى أو غيره :

خرجتُ فلم أظفر وعدتُ فلم أفرز بنيل كالا اليومين يوم بلاه
فيا حسرتي ما أشبه اليأسَ بالفتى وإن لم يكونا عندنا بسواء
وقال : وقد أيقنت نفسي بأن حيلَ بينها وبينك لو يأتي بيأس يقينها
أرى النفس عن ليلى تعافى بلاعنا وقد جن من وجدى بليلي جنونها
ومثل ذلك : فإن يك عن ليلى غنى وتجلدُ فرب غنى نفس قريب من الفقر
ومن أطرف ما قيل في النحول ما أنشدنيه أبو أحمد :

إذا (يوماً) بليت وذاب جسمي لعلَّ الريح تحملي اليه

وقال ابن المعتز :

ماذا ترى في مدنف يشكوك طولَ سقمه
أضنيتهُ فما يطيقُ ضعفه^(١) حمل اسمه
فلا يراك عائدًا إلا بعينٍ وهمه

وقال كشاجم :

وما زال يرى أعظمَ الجسم حبيها
وقد ذُبتُ حتى صرتُ إن أنا زرتها
وقال ديبك الجن وبالغ :

أنحلَّ الوجدُ جسمهُ والحنين
لم نرس أنه جليدٌ ولكن
وقال نصر بن أحمد :

قد كنَّ لي فما مضى خاتمهُ
وذُبتُ حتى صرتُ لوزجٍ بي
الحسن بن وهب^(٢) :

أبليتُ جسمي من بعد جدته
كأنه رسمٌ منزلٌ خلقِ
فما تكادُ العيونُ تبصرهُ
تعرفهُ العينُ ثم تنكرهُ

ومما لا أظن أن له شبيهاً قول بعض الحول وليس في هذا المعنى :

حمدتُ إلهي إذ بليتُ بحبها
نظرتُ إليها والريبُ يظنني
على حَوْلٍ يغني عن النظرِ الشزر
نظرتُ إليه فاسترحتُ من العذر

ومن فصيح ما قيل في إفشاء الهوى صاحب ؟ قول بعض نساء الاعراب :

ألا قاتلَ اللهُ الهوى ما أشدهُ
وأصرعهُ للمرءِ وهو جليدُ

(١) في ديوان ابن المعتز المطبوع (فلم يطق من ضعفه)

(٢) هو الكاتب الشاعر الوجيه صاحب الاخبار مع أبي تمام ، رثاه البحثري لامات .

دعاني الهوى من نحوها فأجبتُهُ فأصبح بي حيثُ يريدُ
وقال كشاجم وأحسن في قوله وليس من هذا المعنى :

أقبلتُ ثمَّ عرَّجتُ ليتها لم تُعرِّج
في حدادٍ كأنها وردةٌ في بنفسج

ومن أحسن ما قيل في مجيء الفراق بعد التلاق قوله أيضاً :

لم أستتمَّ عناقهُ لقدومه حتى بدأتُ عناقهُ لوداعه
فمضى وأبقى في فؤادي حسرةً تركته موقوفاً على أوجاعه

وأنشدني أبو أحمد قال أنشدني الصولي أنشدني الحسين بن يحيى أنشدني
الحسين بن الضحاك لنفسه :

بأبي زورٌ تلفت له فتنفستُ عليه الصعدا
بينما أضحك مسروراً به إذ تقطعتُ عليه كدا
وأنشدنا عنه لأبي العميل (١) :

لقيتُ ابنةَ السهمي زينبَ عن عُفْرِ ونحن حرامٌ مسمىَ عاشرَةَ العشر (٢)
فكلمتها ثنتينِ كالثلجِ منهما وأخرى على لوحٍ أحرَّ من الحجر
الأولى تسليم اللقاء فهي باردة طيبة والأخرى تسليم الوداع .

ومن جيد ما قيل في تجدد الشوق على قرب الديار قول بعض العرب :

ويزدادُ في قرب الديار صبايةً ويبعدُ من فرطِ اشتياقِ طريقها
وما ينفع الحرَّ أن ذا اللوع أن يرى حياضَ القرى مملوءةً لا يذوقها
ومن جيد ما قيل في رد العذول :

(١) هو عبد الله بن خليل ، كان كاتب عبد الله بن طاهر وشاعره ، كان
مكثراً من نقل اللغة عارفاً بها ، شاعراً مجيداً . (٢) في البيت تصحيف صححناه
من الأملى ، وفيه : عن عُفْرِ : عن بعد أي بعد حين ، ونحن حرام : أي محرّمون ،
ومسىَ عاشرَةَ العشر يعني أنه لقيها بعرفات عشية عرفة وهو مسمى عاشرَةَ العشر .

إذا أمرتني العاذلاتُ بهجرها هفت كبدٌ مما يقلن صديع

وكيف أطيعُ العاذلاتِ ووجهها بؤرقتي والعاذلاتُ هجوع

ومن جيد ما قيل في رياضة النفس على الهجر ما أنشده أبو اسحق الموصلي :

وأنى لا أستحيى كثيراً وأنقى عيوباً وأستبقى المودَّةَ بالهجر

وأندرُ بالهجرانِ نفسي أروضها لأعلمَ عندَ الهجرِ هل لي من صبر

وقال غلام من فزارة :

وأعرض حتى يحسب الناسُ أنما هي الهجرُ لا والله ما بي لك الهجرُ

ولكن أروضُ النفسَ أنظر هل لها إذا فارقتُ يوماً أحبها صبرُ

وزاد العباس بن الأحنف فقال :

أروضُ على الهجرانِ نفسي لعلها تمسك لي أسبابها حين تهجر

والزيادة في قوله :

وأعلمُ أنَّ النفسَ تكذبُ وعدها إذا صدقَ الهجرانِ يوماً وتغدر

وما عرَّضتُ لي نظرةً مذ عرفتُها فأنظر إلا مثلتُ حين أنظر

وهذا من قول جميل :

أريدُ لأنسى ذكراً فكأنها تمثلُ لي ليلي بكلِّ سبيل

وذكر بعضهم أنه بهجرها مخافة العين تصيب وصلها : أنشدناه أبو أحمد عن

الصولي عن أحمد بن يحيى ، وأحمد بن سعيد الدمشقي عن الزبير :

خشيتُ عليها العينَ من طول وصلها فهاجرتها يومين خوفاً من الهجر

وما كانَ هجراني لها من ملالةٍ ولكنني جرَّبتُ نفسي على الصبر

ومن فصيح الشعر الداخل في هذا الباب قول إبراهيم بن العباس أنشدناه أبو

أحمد عن الصولي عن ثعلب وأبي ذكوان قالوا أنشدنا إبراهيم بن العباس لنفسه :

يمرُّ الصبا صفحاً بساكن ذى الغضا فيصدعُ قلبي أن يهبَّ هبوبها

قريةٌ عهدٍ بالحبيبِ وإنما هوى كلِّ نفسٍ أين حلَّ حبيبها

تطلع من نفسى اليك طواعٍ عوارف أن اليأس منك نصيبها
 وإنما أغار إبراهيم بن العباس على ذى الرمة حيث يقول:
 إذا هبت الأرواح من نحو جانب^(١) به أهل مى زاد شوقى^(٢) هبوبها
 هوى تذرِفُ العينان منه وإنما هوى كل نفس أين^(٣) حلَّ جيبها
 وقال العباس بن الأحنف في غير هذا المعنى :

متى تبصرنى ياظلم تبينى شمائل بادی البث منصدع القلب
 بريئاً تمنى الذنب لما هجرته^(٤) لكما يقال الهجر^(٥) من سبب الذنب
 وقد كنت أشكو عتبتها وعتابها فقد فجعتنى بالعتاب وبالعتب
 أشفق عليها من أن تهجره بغير ذنب فيقال إنها ملول فيلحقها هجنة .
 ومن أجود ما قيل في الوقوف على الديار قول امرىء القيس * قفانك من
 ذكري حبيب ومنزل * وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكري الحبيب والمنزل في
 مصراع فليس له شبيه في جميع أشعارهم . وأحسن ما قيل في وصف الديار وبلاها
 ما أنشدناه أبو أحمد عن المبرمان عن أبي جعفر عن أبيه :

ولم يترك الأرواح والقطر والندى من الدار إلا ما يشفُ ويشفق
 وقلت : قد عربت ألامها حين اكتست أرديةَ الرِّيحِ عشياً وضحى
 لم يبقَ فيها غيرُ ما يدكى الجوى ويصرفُ النومَ ويبعثُ البكى
 وأنشدنا أبو القاسم :

الأحى من أجل الحبيب المغانيا لبسنَ البلى مما لبسنَ اللياليا
 ولأعرابي : طللان طالَ عليهما الأبدُ دثرا فلا علم ولا نضدُ
 لبسا البلى فكأتما وجدا بعدَ الأحيه مثل ما أجدُ

(١) في ديوان ذى الرمة (من كل جانب) . (٢) في الديوان (هاج شوقى)

(٣) في الديوان (حيث حل) . (٤) في ديوان العباس المطبوع (صرمته)

(٥) في الديوان (الصرم) .

وهذا مثل قول جرير * أحب لحب فاطمة الديارا * والذي أورد من أنواع هذه المعاني إنما هو إشارة إلى جمهورها وتنبية على معظمها ولو اتبعت كل ما فيه أمثاله وعلقت عليه أشكاله أكثرت واتصلت وتوفرت حتى أملت وأضجرت وتجاوز الحد في القول من هذه فيه وهجنة على قائله؟. ومن أجود ما قيل في حب السودان :
 أحبُّ النساءِ السودَ من حبِّ تكتمٍ ومن أجلها أحببتُ من كانَ أسودا
 فجبثني بمثلِ المسكِ أطيبَ نفحة وجبثني بمثلِ الليلِ أطيبَ مرقدًا
 البيت الثاني على غاية الجودة وحسن التمثيل . وقلت :

صرفتُ ودِّي إلى السودان من هجر وما (أميل) إلى روم ولا خزر
 أصبحتُ أعشقُ من وجهٍ ومن بدن ما يعشقُ الناسُ من عينٍ ومن شعر
 فإنَّ حسبتُ سوادَ الجلدِ منقصةً فانظر الى سعةٍ في وجنة القمر
 وروى للجاحظ :

يكونُ الخالُ في وجهٍ مليح فيكسوه الملاحَةَ والجمالا
 ولستَ تملُّ من نظري إليه فكيفَ إذا رأيتَ الوجهَ خالا
 وقد ملح بعضهم في خلاف ذلك :
 إنَّ الذي يعشق من لا
 وإنَّ من يعشقُ زنجيةً
 السكالذي ذلك في الظلمة

أجود ما قيل في الخيال من قديم الشعر قول قيس بن الخطيم :
 أني سريت وكنت غير سرور وتقربُ الاحلامُ غير قريب
 ما تمنى يقضى فقد تؤتينه في النوم غير مكدر^(١) محسوب
 كان المنى بلقاءها فلقيتها وهوت من هو امرىء مكذوب
 وقول عمرو بن قميئة^(٢) :

(١) في ديوان قيس (غير مصرد) . (٢) من قدماء الشعراء في الجاهلية ، يقال إنه أول من قال الشعر من نزار وهو أقدم من امرىء القيس ، وهو شاعر فحل .

نأتكَ أمانة إلا سؤالا وإلا خيالاً بواني خيالاً

خيالي يخيل لي نيلها ولو قدرت لم يخيل نوالا

وهذا من معاني القدماء غريب وهو أبلغ ما قيل في بخل المشوق ، ومن هاتين القطعتين أخذ المحدثون أكثر معانيهم في الخيال ، ومن البارع الفصيح في هذا المعنى قول البعيث^(١) :

أزارتك ليلى والركاب خواضع وقد بهر الليل النجوم الطواع

فأعطتك آيات المنى غير أنها كواذب إن حصلتها وخوادم

على حين ضمَّ الليل من كلِّ جانب جناحيه وانقضت نجوم ضواجع

وأعجلها عن زورة لم أفر بها من الصبح حادٍ يزعج الليل ساطع

وأحسن النميري حيث يقول :

عجباً لطيفك أنه يشكو الجوى وهو الجوى

أخذه مسلم فقال :

طيف الخيال عهدنا منك إماما داويت سقماً وقد هيجت أسقاما

ومن اللفظ الغريب قوله : * ز الكرى طيفها وهنا لخياي *

لأعرف أنه سبق إلى هذا اللفظ . وقال أبو تمام :

استزارتُه فكرتي في المنام فأناها في خيفة^(٢) واكتتام

يا لها ليلة تزاورت^(٣) الأُر واح فيها سرّاً من الأجسام

مجلس لم يكن لنا فيه عيب غير أنا في دعوة الأحلام

وهذه معان إلا أنه ليس لألفاظها طلاوة . ومن غريب المعاني في هذا قول دعبيل :

سرى طيف ليلى حين حان هبوب وقضيت شوقي حين كاد يؤوب

ولم أر مطروقاً يحلُّ بطارق ولا طارق يقرى المنى ويثيب

(١) هو خدش بن بشر من بني مجاشع ، كان أخطب بنى تميم وسمى البعيث بقوله :

تبعت منى ما تبعث بعدما استمر فؤادي واستمر عزيمي

(٢) في ديوان أبي تمام « فأناني في خيفة » . (٣) في الديوان (تنزهت) .

يقول ان العادة أن يقرى الطارق المطروق والخيال طارق يقرى المطروق .
ومن الغريب الدقيق قول ابن الرومي :

طرقتنا فأنالت نائلاً شكره لو كان في النبة الجحود
ثم قالت وأحست عجي من سراها حيث لا تسرى الأسود
لا تعجب من سرنا فالسرى عادة الأقمار والناس هجود
فأريت في هذه الأبيات زيادة وتضميناً فقلت :

رقت غفلة الرقيب فزارت تحت ليل مطر ز بهنار
فتعجبت من سراها فقالت غير مستطرف سرى الأقمار
ثم مالت بكأسها فسقتني جلتارية على جلتار
آخر : فياليت طيفاً خيلته لي المنى وإن زادني شوقاً إليك يعود
أكلف نفسي عنك صبراً وسلوة وتكليف مالا يستطاع شديد

الجيد أن يقول (تكلف مالا يستطاع) وأما تكليفه في الحقيقة فغير شديد على المكلف
وأما جعل هذا التكليف مكان التكلف وهو ردى . وقال الحدوني :

لم انله فنلتسه بالاماني في منامي سرّاً من الهجران
واصل الحلم بيننا بعد هجر فاجتمعنا ونحن مقترنان
وكان الارواح خافت رقيباً فطوت سرّها عن الأبدان
منظره كان كزّهة العين إلا أنه ناظره بغير عيان

وقال ابن المعتز :

لا فرج الله عن عيني برؤيته ان كنت أبصرت شيئاً بعده حسنا
إلا خيالاً عسى ان نمت بطرقي وكيف يحلم من لا يعرف الوسنا
وقال : كلامه أخذع من لحظه ووعدّه أ كذب من طيفه

وليس لأحد في الخيال ما للبحترى كثرة فمنه قوله :

بعينيك اعوالى وطول شهيقى وإخفاق عيني من كرى وخفوقى

على أن تهويماً إذا عارض اطي^(١) سرى طارقاً في غير وقت طروق
 فبات يعاطيني على رقبة العدى ويمزج ريقاً من جناه بريقي
 وبت أهاب المسك منه وأتقى رداع عبير صائك وخلق
 أرى كذب الاحلام صدقاً وكم صفت إلى خبر أذناى غير صدوق
 وما كان من حق وبطل فقد شفى حرارة متبول وخبل مشوق
 وقلت في خلاف ذلك:

طرق الخيال فزار منه خيالاً فسرى يغازل في الرقاد غزالاً
 يا كشفه للكرب إلا أنه ولى على دبر الظلام فزالاً
 ففدا المتيم وهو أكبر صبوة وأشدّ بلبالاً وأكسف بالاً
 وما قيل في الامتزاج والاختلاط مثل قول الخريبي^(٢):

ليالى أرعى فى جنابك روضةً وآوى إلى حصن منيع مراتبه
 وإذ أنت لى كالحمر والشهد ضعفاً بماء لصف ضعفته جنائبه
 وقال بشار:

لقد كان ما بينى زماناً وبينها كما بين ربيع المسك والعنبر الورود
 أجود ما قيل في صفة الركب: أخبرنا أبو أحمد أخبرنا الصولى حدثنا محمد بن
 سعيد عن عمر بن شبة قال كان الناس يقدمون قول أبي النجم ويتعجبون من حسنه:
 كأن تحت درعها المنعطف ضخم القدال حسن الخط
 وقد بدا منها الذى تغطي كأنما قطعاً على مقط
 شطاً رميت فوقه بشط كمامة الشيخ اليماني الشمط
 لم يعمل فى البطن ولم ينحط

حتى قال بشار:

(١) فى الاصل (اطي) هو اسحق بن حسان ، اتصل بمحمد بن منصور بن
 زياد كاتب البرامكة ، وله فيه مدائح جياذ ، عمى بعد ما أسن ، وقال فى ذلك شعراً .

عجزاء من سرب بني مالك لها حرٌّ من بطنها أرفع
 زينَ أعلاهُ بأشرافه وأنضمَّ من أسفله المشرع
 قال أبو هلال رحمه الله تعالى أول من أتى بهذا المعنى النابتة حيث يقول :
 وإذا طعنت طعنت في مستهدفٍ رابى المجسة بالعبير مفرمد
 وإذا نزع نزعاً عن مستحصفٍ نزع الحزور بالرشاء المحصد
 بصف ضيقه ويقول إن النازع منه يتعب من نزعه كما يتعب الحزور - وهو
 الغلام - إذا استقي من البر .

وأحسن ابن الرومي في وصف الضيق والحرارة حيث يقول :
 لها هنُّ تستعيرُ وقدمته من قاب صبِّ و صدر ذى حنق
 كأنما حرُّه نطابره ما أوقدت في حشاه من حرق
 يزداد ضيقاً على المراس كما تزداد ضيقاً أنشوطه الوهق
 وقال في سخته :

يسعُ السبعة الاقاليم طراً وهو في أصبعين من إقليم
 كضمير الفؤاد يلتهمُ الدنيا وتحويه دفنا حيزوم
 ومن النادر قول الناجم :

إن ردف الفتاة عجنه خبا زِي وقد أمها من الأدم جينه
 وقال المعذل بن غيلان ^(١) :

ومركب كبيضة الأذجي كأن نبت الشعر المطلى
 عليه شونيزٌ على فرى

ومما يجرى مع ذلك قول بعضهم :

أقولُ والقومُ تعادى بهم الى الوغى مضمرة قرح
 استحمل الله على مركبٍ يحثُّ بالسير ولا يبرح

(١) هو والد عبد الصمد بن المعذل الشاعر المشهور .

وهو مثل قول مسلم :

مما ركب من ركوب الخيل يعجبني
ومثل الأول : فبات يسرى ليله ولم ينم
وقال الفرزدق : ثم اتقتني بجهم لاسلاح له
كأن رمانة في جوفه انفجرت
وأبلغ ما قيل في كبره قول الفرزدق :

إذا بطحت فوق الأثافي رفعتها
يقول إنها إذا بطحت على وجهها لم يمس الأرض منها شيء ، لأن نهود ثديها وكبر
ركبها مثل أثافي القدر لبدنها ، وهذا أبلغ من قول بشار الذي اختاره الأصمعي .
وقال الرازي في وصف الضيق :

كأن هجماً^(١) شديداً بهره يدارك المصّ ولا يفتره

ومما قيل في حب الكبار قول المجنون :

وعهدى بليلي وهي ذات موصد
فشبّ بنو ليلي وشبّ بنو ابنها
ابن المعتز : من معيني على السهر
وابلائي من شادن
كبر الحب إذ كبر

ومن البديع قول ابن الأحنف :

لعمري لقد كذب الزاعمون
ولو كان حقاً كما يزعمون
بأنّ القلوب تحاذى القلوبا
لما كان يشكو محبّ حبيبا

ومما يلحق بالفصل الأول ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولي عن البلعي عن أبي حاتم قال سمعت الأصمعي يقول سمعت الرشيد يقول قلب العاشق عليه مع معشوقه فقلت له هذا يا أمير المؤمنين أحسن من قول عروة بن حزام العذري^(٢) في آخر

(١) في نسخة (هماً) (٢) شاعر اسلامي من التميمين .

آياته التي أنشدها :

أراني تعروني لذكراك رعدة^(١) لها بين جلدى والعظام ديب
وما هو إلا أن أراها فجاءة فأبته حتى ما أكاد أجيب
وأصرف^(٢) عن رأبي الذي كنت أرتئي ويعزب عني ذكره ويغيب^(٣)
ويضمر قلبي عندها ويعينها على فمالي في الفؤاد نصيب
فقال الرشيد من قال هذا وهما فاني أقوله علماً ولله درك يا أصمعي فاني أجد عندك
ما يضل عنه العلماء ، فأخذه محدث فقال :

بؤازره قلبي على وليس لي يدان بمن قلبي على بؤازره
وأخذه سهل بن هرون فقال :

أعان طرفي على جسمي وأعضائي بنظرة وقت جسمي على دائي
وكنت غراً بما تجني على يدي لاعلم لي أن بعضي بعض أعدائي
وهذا شعر فيه تكاف ، أخذه البحري :
ولست أعجب من عصيان قلبك لي عمداً إذا كان قلبي فيك يعصيني
وقال ابن الأحنف :

قلبي الى ما صررت داعي يكثر أسقامي وأوجاعي
كيف احترازي من عدوي إذا كان عدوي بين أضلاعي

ومن جيد ما قيل في قرب الدار مع تباعد القلوب قول النظار الفقعسي :
يقولون هذي أم عمرو قريبة دنت بك أرض نحوها وسما
الإنما بعد الحبيب وقربه إذا هو لم يوصل إليه سواء
وفي خلافة : وإني زوار لمن لا يزورني إذا لم يكن في وده بمريب
يقرب لي دار الحبيب وإن نأت وما دار من أبفضته بقریب

(١) في الأغاني (وإني لتغشاني لذكراك هزة) (٢) في الأغاني (وأصدف)

وهما بمعنى . (٣) في الأغاني (وأنسى الذي أزمعت حين تغيب) .

ومن ظريف الشكاية قول ابراهيم بن العباس :

فدعني راغماً أشقى بوجدى وخذ قلبي إليك بغير حمد
سقام لا يرقُّ علىَّ منه ووجد لا يكافئهُ بودٌ
وقد أصفيتهُ ودِّي بجهدى فعارضَ في الجفاءِ بمثل جهدى

ومن جيد مامدح به الفراق قول بعض الكتاب : في الفراق مصافحة التسليم
ورجاء الأوبة والسلامة من الملل وعماراة القلب بالشوق والدلالة على فضل
المواصلة واللقاء . وقال الشاعر :

جزى الله يومَ البينِ خيراً فإنه أرانا على علاته أمّ ثابت

وكتب بعضهم في معنى قول الشاعر * وما في الأرض أشقى من محب * وقد تقدم :
تفكرى في مرارة البين يمنعنى من التمتع بحلاوة الصبر وتكره عيني أن تقر بك مخافة
ان تسخن يبعدك فى عند الاجتماع كبدترجف وعند التثنأى مقلة تكف . ومثله :
لاوالذى بيده السلامة بروح دارك وبعد مزارك ما زادنى اللقاء إلا صبا به وأسفاً والاجتماع
إلأنزاحا وكلفا لأنى منقسم القلب بين رجاء يمدنى بقربك وحذريوعدنى يبعدك وإذا
قربت دارك كلفت وان نأت أسفت فلا فى القرب أسلو ولا البعد .

وصمعت لماني الموسوس^(١) معنى أظنه ابتكره وهو :

بكت عيني غداةَ البينِ دمعاً وأخرى بالبكى بخلت علينا
فعاقتُ التي بخلت علينا بأن غمضتها يومَ التقينا

وسبكه البيت الأول ورصفه ردىء جداً لاخير فيه وإنما استغربت المعنى

فأوردته . وقد أخذه ابن الرومي فشرحه وزاد فيه وهو من قوله :

ولقد يؤلفنا اللقاءُ بلبلةٍ جعلت لنا حتى الصباح نظاما
نجزى العيون جزاءهن عن البكى وعن السهادِ فلا نصيبُ اناما
فنبيحهن مُرادهن يردنه فـيا ادعين ملاحهً ووساما

(١) هو أبو الحسين محمد المصرى ، شاعر لين الشعر رقيقه ، لم يقل غير الغزل .

ونكافي الأذان وهي حقيقة
 فنثيبهن من الحديث مثوبة
 ونكافي الأثواء عن كتابها
 فنبيحن ملائماً ومراشفاً
 نجزي الثلاثة أنصاء ثلاثة
 مقسومة آناؤها أقساما

وخلال الكتاب معنى يلحق بما تقدم وهو قوله :

بكيتُ دماً حتى بكيتُ بلا دم
 أبكى الذي فارقتُ بالدمع وحدهُ
 بكاءً قى فرد على شجن فرد
 لقد جلّ قدرُ الدمع فيه إذاً عندي
 وكنت في فصل لي : قد جل شوقي إليك ووجدى بك عن أن يبرد نارهما
 ويسكن أوارهما دمع ينصب على مثله فتحسبه دراً يتكسر على در ويمتزج بالدم
 فتحاله شذور عقيق في نظام فريد .

ومما يلحق بما تقدم أيضاً قول سعيد بن حميد ^(١) :

وما كان حبيبها لأول نظرة
 ولكنها الدنيا تولت فما الذي
 ولا غمرة من بعدها فتجلت
 يسلى عن الدنيا إذا ماتولت
 وقال أعرابي :

أعلل أصحابي بجدّي وباطلي
 ومن بديع المعاني قول ابن أبي فنين :

أدميتُ بالألحاظِ وجنتهُ
 فاقصصناظره من القلبِ
 أخذه على بن عاصم فقال :

ضربتُ إني يدي خان يميني جلدى
 فاقصصناظره من كبدى
 فلا أقلتُ بعدها سوطي من الأرض يدي

(١) هو الشاعر الكاتب المترسل ، كان حسن الكلام فصيحاً ، وكان والده شاعراً .

ومن أجود ما قيل في تكافؤ الحسن قول الراجز وكان ينبغي أن يقدم :
 جاءت تهضُّ الأرضُ أنى هضُّ يدفعُ منها بعضها من بعضِ
 يقول بتحير الناظر فيها ولا تقف عينه على واحدة فيصيدها بعين لأن بعضها
 يشغل عن بعض . ومن بديع المعاني قول بعض الشعراء :

قصاراك منى الودِّ مادمت حيةً وودك ماء المزن غير مشوب
 وآخر شيء أنت في كل مضجع وأوّل شيء أنت عند هبوب
 ومن جيد القول في الفراق قول أبي محلم :

وماخفتُ وشكّ البين حتى رأيتهم معض ؟ أنماط لهم وقطوع
 لعمرك ماشي مرّيتُ بذكره كآخر يأتي بقتة فيروع
 ومما لا أعرّف في معناه أجود منه قول بعضهم :

ما بين باب الوزير والمسجد الجا مع ظبي كالظباء في جيده
 أطاره رنة فقد ضاع لا ضاع وضاع التمييز في بلده
 ليس له ناقد فيعرفه وآفه التبر ضعف منتقده
 وفي خلاف ذلك قول صاحب البصرة :

ولستُ بواصفٍ أبداً حبيباً أعرضه لأهواء الرجال
 تراني آمن الشركاء فيه وآمن فيه أحداث الليالي
 معنى آخر :

وقائلة متى يعني هواه فقلت لها إذافنى الملاح
 معنى آخر : وإذا أتيتك زائراً متشوقاً قصر الطريق وطال عند رجوعي
 معنى آخر : إذا طلعت شمس النهار فانها أمارة تسليمي عليك فسلمي
 آخر التشبيب والحمد لله وحده وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده .

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الحمد لله الذي قال فأبلغ وأنعم فأسبغ ، أحل الملاذ ومنح لينعم
عباده في العاجل ويدل على ما أعد لمحسنهم في الآجل فقال (يا أيها الناس
كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالًا طَيِّبًا) وقال (يا أيها الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ
وَأَعْمَلُوا صَالِحًا) وقال تعالى (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ
وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ) وله الحمد على كمال بره وتمام لطفه والصلاة على خير خلقه
محمد النبي وآله .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

(في صفات النار والطبخ وألوان الطعام ، وفي ذكر الشراب
وما يجرى مع ذلك - ثلاثة فصول وهو :)

﴿ الباب الخامس من كتاب ديوان المعاني ﴾

﴿ الفصل الأول في ذكر النار ﴾

فأول ما نذكر فيها قول الله تعالى (أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ) الى
قوله (نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَنَمَاعًا لِلْمُقْبِينَ) فذكر منفعتها وحسن
عائدها في الدنيا والدين فأما منفعتها في الدين فانها تذكر ما أعد الله تعالى لعصاته
منها في دار العذاب فيكون ذلك مزجرة لمن تذكر ومنهارة لمن تبصر ، وأما منافعتها
في الدنيا وكثرة مرافقتها فغير مجهولة وقد خص الانسان بخيرها دون سائر الحيوان

فليس يحتاج إليها شيء سواه وليس به عنها غنى في حال من الأحوال ولهذا عظمها
المجوس وقالوا إنها قد أفردتنا بنفعها فينبغي أن نفردها بتعظيمنا على أنهم يعظمون
جميع ما فيه نعمة على العباد فلا يدفنون موتاهم في الأرض ولا يستنجون في الأناهار،
رؤى على عهد كسرى رجل يغتسل في دجلة فضربت رقبتة ، وكانت العرب إذا
تحالفت تحالفت على النار ويدعون على من يندرو وينقض العهد بجرمان منافعها . وقد أحكمتنا
ذلك في كتاب الأوائيل . ومن عجيب التشبيه في النار قول الأول :

كَأَنَّ الرِّيحَ تَقَطَعُ مِنْ سَنَاهَا بِنَائِقِ حَبَةِ مَنْ أَرْجَوَانِ
وقول ابن المعتز :

وموقدات بن^(١) يضر من اللهب^١ يشبعنه^٢ من فحم ومن حطب^٣
يرفن نيراناً كأشجار الذهب^٤

وقال آخر : كأن نيراننا في جنب قلعتهم مصبغات على ارسان قصار

وقول أبي تمام في إحراق الافشين :

نار يساور جسمه من حرها لهب^٥ كما عصفت شوق^٦ إزار
صلى لها حياً وكان وقودها ميتاً ويدخلها مع الفجار

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي حدثنا أحمد بن السمعيل حدثني جعفر بن علي بن

الرشيد فقال أنشدنا المعتصم قول بعض الهاشميين في فتحه هرقة :

ريمت هرقة لما أن رأت عجبها جو السماء^(٢) ترتمي بالنفط والقار

كأن نيراننا في جنب قلعتهم مصبغات^(٣) على ارسان قصار

فقال لابن داود وقد أنشدنا شاعر طائي أوصلته الى في حرق القادر أفشين شيئاً من

هذا الجنس استحسنته فقال أحمد ما أحفظه وإنما أحضر الشاعر فقال بعض أولاد

الحجاب أنا أحفظ القصيدة والموضع فقال هات فأنشد :

ما زال سر الكفر بين ضلوعه حتى اصطلى سر الزناد الواري

(١) في الأصل غير منقوطة . (٢) في الأصل (جوائم) (٣) في الأصل (مصقلات)

ناراً يساورُ جسمه من حرّها لهبٌ كما عصفت شقّ إزار
 طارت لها شررٌ^(١) يهدمُ لفحها أركانهُ هدماً بغيرِ منار^(٢)
 ففصلنَ منه كلّ مجمع مفصل وفعلنَ فاقرةً بكلّ فقار
 رمقوا أعالى جذعه فكأتما رمقوا هلالَ عشية الافطار
 كروا وراحوا في متون ضوامرٍ قيدت لهم من مربط النجار
 لا ينزلون^(٣) ومن رآهم خالهم أبداً على سفرٍ من الأسفار

فقال المعتصم أحسن ما شاء قد أمرت له بعشرة آلاف درهم ولهذا الذى حفظها
 بنصفها ، قال فتعجبنا من فطنة المعتصم ومن رزق هؤلاء على غير طلب ولا أمل
 قال فلم يبق في العسكر أحد إلا حفظ قصيدة أبى تمام . وقلت :

أوقدتُ بعدَ الهدوِّ ناراً لها على الطارقينَ عَيْنُ
 شرارها إنْ علا نضارُ لكنّه إنْ هوى لجين
 دعتهمُ فأنثى اليها محبهم قرة رأين؟
 إلى كريمِ الفعالِ سمح عطاؤه للكرمِ زين
 يقضى ديونَ العلاءِ ببذلٍ إذ ليس يقضى لهنّ دين

وقال ابن المعتز :

وقد تعلّى شررُ الكاتون كأنه تشارُ ياسمين
 وقلت : نار تلعب بالشقوق كأنها مُحللٌ مشققةٌ على حبسان
 رَدَّتْ عليها الريحُ فضلَ دخانها فأنتَ بهِ سيجاً على عصان
 فالجوُّ يضحك في ايضاضِ شرائر منها ويعبسُ في اسودادِ دخان

وقال أبو فضلة :

اشربْ على النارِ في الكوانين إذ ذهبَتْ دولةُ الرّياحين

(١) فى ديوان أبى تمام (شعل) . (٢) فى الديوان (بغير غبار) .

(٣) فى ديوان أبى تمام (لا يبرحون) .

بَدَّتْ لَنَا وَالرَّمَادُ يَجْجِبُهَا
كَجَلَنَارٍ مِنْ تَحْتِ نَسْرِينَ
وقلت في معناه:

قَصْرَتْ يَدَ الشَّوَاءِ بِحَرِّ جَمْرٍ
وَأَخْتِ الْجَمْرِ صَافِيَةَ الرَّحْبِيقِ
تَرَى نَبْدَ الرَّمَادِ بِوَجْنَتَيْهِ
كَكَافُورٍ يَذُرُّ عَلَى خَلُوقِ
وقلت: تَحْرَكَتِ الشَّمَالُ فُقْرًا لَيْسَى
فَهَاتِ الرَّاحَ مِنْ أَيْدِي الْمَلَاخِ
جَرَادِ الْجَمْرِ يَسْتَرُهُ رَمَادُهُ
كَمَثَلِ الْوَرْدِ يَسْتَرُهُ الْإِفَاحِي
وَأَنْفَاسِ الرِّيَاضِ مَعَطْرَاتُهُ
تَطِيرُ بِهِنَّ أَنْفَاسُ الرِّيَّاحِ
وَأُرْدِيَةُ الظَّلَامِ مَسَكَتُ
مَطَرَّةُ زُجَّةِ الْخَوَاشِي كَالصَّبَاحِ

وقال ابن المعتز في سقوط الشرر على الثياب والبسط:

فَتَرَكَ الْبَسَاطَ بَعْدَ الْحَمْدِ
ذَا نَقَطَ سَوْدٌ كَجِلْدِ الْفَهْدِ
وقال أيضا * وصيرت جبا بهم مناخلا * وقت:

كَأَمَّا النَّارُ بَيْنَهُ ذَهَبٌ
وَالْجَمْرُ مِنْ تَحْتِهِ يَوَاقِيتُ
ومن بديع ما قيل في القدور على النار قول بعض العرب:

كَأَنَّ صَوْتَ غَلِيهِ الْمَسْتَعْجَلِ
قَصْدَ الشُّبُوحِ لِلشُّيُوخِ الْجَهْلِ
وقال ابن المعتز:

وَالسَّيْفُ رَاعِي إِبِلِي فِي الْحَلِجِ
يَسْلَمُهَا ^(١) إِلَى قَدُورِ تَغْلِي
تَرْقُلُ فِيهَا بِالْوَقُودِ الْجَزْلِ
أَرْقَالُهَا فِي السَّيْرِ تَحْتَ الرَّحْلِ
وقالوا أحسن ما قيل في الاثافي والرماد قول ابن هرمة ^(٢):

نَبِكِي عَلَى زَمَنِ وَنَوَى هَامِدِ
وَجِوَالِمِ سَقَعِ الْخُدُودِ رِوَاكِدِ
عَرَبِينَ مِنْ عَقْدِ الْقَدُورِ وَأَهْلِهَا
فَمَكْفَنَ بَعْدَهُمْ بِهَابِ لَابِدِ
فَوْقَيْنِهِ عَثَّ الصَّبَا فَكَأَنَّهُ
دَنْفُ يَرِنُ الدَّمْعَ بَيْنَ عَوَائِدِ؟

(١) في ديوان ابن المعتز (يسوقها). (٢) إبراهيم بن علي الكنعاني

القرشي، من سكان المدينة، مدح الوليد الأموي بدمشق فأجازه.

وقال أبو تمام: أناف كالخودِ لظمنَ حزناً
ونؤى مثل ما لنفصم السوار
ومما يجري مع ذلك القول في الشمعة ، ومن أجود ما قيل فيها قول السرى

• شفاؤها ان مرضت ضرب العنق * وقول الآخر * موقوف بين حريق وغرق *

وقلت: كم قد جنيتُ اللهو من غصنه ما بين أنوارٍ ونوار
من روضة بلل أعطافها سقيطُ أنداءٍ وأمطار
وأوجه تحسبها أشمساً في ليل أصداغ وأطرار
وشققت عنها ستور الدجى نارٌ على نارٍ على نار

وقلت في السراج:

وحيةٌ في رأسها دُرّةٌ تعملُ في وجه الدجى غرّة
وجنتها أكبرُ من رأسها فهي إذا أبصرتها عبره
كم من مريبٍ أهدت كست ستره وصيرتهُ في الورى شهره
يرد فيها أصفرٌ في أصفر يقدمها أسودٌ في حمرة

وقال السرى في الكانون:

وكأنما الكانونُ أهبَ جمره أحداق أسدٍ يدّر ين أسودا
يكسو خدود الشرب من نفحاتها قبل الكؤوس وحسنها توريدا

وقلت في الكانون:

وبركةٌ مترعة الأرجاء فارغةٌ من سبل الأنواء
يفسل فيها حلة الظلماء أقامت النارَ مقامَ الماء
نارٌ كوجه غادة حسناء ترقصُ في مبدعة صفراء
والجرُّ في حلته الحمراء مثل بنانٍ عل بالحناء
وأسهم تصبغ بالحناء فيها كما ريحانة الشتاء
واشرب عليها حباب الصهباء فشرِبُ صهباء على شقراء

يطرف عين البؤس والضراء

ومن أجود ما قيل في الفحم قول بعضهم :
 فحمٌ كيومِ الفراقِ تشعله نارٌ كمنارِ الفراقِ في السكبِ
 أسود قد صارَ تحت حمرتها مثلَ العيونِ اكتحلنَ بالرمدِ

﴿ الفصل الثاني من الباب الخامس ﴾

(في ذكر ألوان الطعام)

العرب تشبه البر بقراصة الذهب وبمناقير النفران ، والنفران جمع نفرة ^(١) وهي عصفورة : أخبرنا أبو أحمد عن ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي قال قال شيخ من أهل البادية ضفت فلاناً فأتاني بخبزة من حنطة كأنها مناقير النفران قد انتفخت في الملة حتى رأيت الجمر يتحدر منها تحدر الحشو من البطان و تراها حين غمرت بالسمن يجول فيها المثراد كما يجول الضبعان في الضفرة ، ثم أتانا بتمر كأنه أعناق الورلان يدخل فيها الفرس . الحشوصغار الابل ، والضفرة الرمل المتعقد . وأخبرنا أبو أحمد عن الجلودى عن عبد الله بن محمد القرشى عن المثني بن معاذ العنبري عن بشر بن المفضل عن عقبة الراسبي قال دخلت على الحسن وهو يأكل خبزاً ولحماً فقال لي هلم إلى طعام الأحرار . والعرب تدعو الخبز أم جابر . وأخبرنا أبو أحمد حدثنا الجلودى حدثني محمد بن زكريا حدثني مهدي بن سابق حدثنا شبيب قال استأذن خالد بن صفوان على يزيد بن المهلب فأذن له فوجده يتغدى فقال يا ابن صفوان أذن فكل فقال أصلح الله الأمير لقد أكلت أكلة لست ناسيها قال وما أكلت ؟ فوصف ما أكل ثم قال أتيت بخبز أرز كأنه قطع العقيق وكانما تجرى عليه سبائك الذهب ثم أتيت بيناني بيض البطون زرق العيون سود المتون حذب الظهور مقفعات الأذنان صغار الرؤوس غلاظ القصر عراض السرر مع بصل

نظيف كأنه قطع الزند وخل ثقيف مري حريف ، قال أبو هلال ما سمعت في وصف السمك أحسن من هذا ولا أتم .

وقريب منه ما أخبرنا به أبو خليفة عن ابن سلام عن محمد بن القاسم قال قال الأعمش جليس له أما تشتهي بناني زرق العيون بيض البطون سود الظهر وأرغفة باردة لينة وخلاً حاذقاً ؟ قال بلى قال فانهض بناقال الرجل فنهضت معه فدخل منزله وقال خذ تلك السلّة فكشفها فإذا فيها رغيفان يابسان وسكرجة كأمخ وشبت قال فجعل يأكل وقال لي تعال كل قلت فأين السمك فقال ما عندي سمك وإنما قلت أتشتهيه وأنا والله أشتهيه . أخبرنا أبو أحمد عن الجلودى عن المغيرة بن محمد عن أبي عثمان المازني عن الأصمعي قال قال أبو صوارة ^(١) وكان بمكة مثل الأشعب بالمدينة في شهوة الأكل : يا أبا سعيد الأرز الأبيض باللبن الحليب بالسكر السليمانى بالسمن السلى ليس من طعام أهل الدنيا . ومن أحسن ما قيل في الرقاق قول ابن الرومي :

ما أنسَ لا أنسَ خبازاً مررتُ به يدحو الرقاقةَ وشكّ الملح بالبصر
ما بينَ رؤيتها في كفه كَرَّةٌ وبينَ رؤيتها قوراء كالتمر
وقلت : وخبز بأيدى الخبازين كأنه ترأس تعاطيها الجنود جنود
وأطعمة حلتُ بساحتها المنى إذا جاءَ من أرداحهنَّ يريد
وضمتُ إلى الخلواء فيه فواكهٌ عليهنَّ أهواءُ النفوسِ وفود
وقال الصنوبري في رقاق وروؤوس :

غير ماراج من رقاقٍ رقيقٍ فوقَ هامٍ على عدادِ الهام
ذاك كالماء ذى الحبابِ وهاتيكِ عليه كطير ماء نيام
بالأقباليهنَّ وما يبسدين من مضمم شديد الضرام
كأناس يُوشحونَ مناديسل إذا خرجوا من الحمام
ورصف هذه الأبيات غير مختار عندي ولكني أوردتها لجودة معانيها

(١) (أبو صوارة) غير موجودة في الأصل فاستدر كناها من العقد الفريد .

وإصابة التشبيهات فيها، وقوله (غير مبراج) فإن الرواج لفظ عامي لا يستعمله الفصحاء.

وقال ابن الرومي :

هامٌّ وأرغفةٌ وضاءٌ فخمةٌ قد أخرجت من جاحم فوارٍ
كوجوه أهل الجنة ابتمت لنا مقرونةً بوجوه أهل النار

وقال غيره في :

وقادم من جاحم فوارٍ مخلل الشمشق والأنوار
ملبساً حلةً جلائرٍ يقسر منه جلده النضار

عن بدن أبيض كالخار

ومن النادر البديع في هذا المعنى ما أخبرنا به أبو أحمد عن الجلودى عن محمد بن زكريا عن عبد الله بن الضحاك عن هشام بن محمد قال كان عوانة يكثر أكل الرؤوس فقيل له إنها متخمة فقال انها فاكهة اللحم . وأخبرنا عن محمد بن زكريا عن الأصمعي قال قيل لأعرابي كيف تأكل الرؤوس قال أفك لحبيه وأنخص عينيه وأفص أذنيه وا خديه وأرمى بالدماع الى من هو أحوج منى اليه فقيل له إنك لا تحق من ربع قال وما حق ربع إنه ليتجنب العدوى ويتبع المرعى ويرواح بين الأطباء فاحقه بياها^(١) وقيل لأحدهم ما أحب الفاكهة اليك قال أما الرطب فاللحم وأما اليباس فالقديد . وقلت في صفة اللحم :

تركتُ سمينَ اللحمِ بيضٌ بعضه ويحمرُّ بعضُ خلطك الدرَّ بالتبر
وأعرضتُ عن حلواءِ شق فنونها فبيضٌ الى حمرٍ وحمرٌ الى صفر
الى ثردةٍ رقطاءَ قطع فوقها مقفعةٌ خضراءُ في ورق خضر

وحاجة الانسان إلى الطعام إنما هي من أجل ما يأخذ الهواء من جسده فيحدث فيه خلل فاذا أكل اللحم فقد رم الجسد بما هو من جنسه فسكأنه رقع الديباج بالديباج فاذا أكل غير اللحم فسكأنه رقع الديباج بالسكر ياس، وفي الحديث «من

(١) في أمثال الميداني (وما حق ربع) والله إنه ليتجنب العدوى ويتبع أمه في المرعى

ويرواح بين الأطباء ويعلم أن حنينها له دعاء فأين حقه) :

ترك اللحم أربعين يوماً ساء خلقه .

وأحسن ما سمعت في جبل مشوى قول السرى :

أنعته معصر البردين أبيض صافي محررة الجنين
 خلف شهرين على خلفين ثم رعى بعدهما شهرين
 نجسه شبران في شبرين يا حسنه وهو صريع الحين
 بعرفة مرهفة الحدين بكف شاوعطر الكفنين
 كسارق حد من اليدنين ذو طرف يستوقف العينين
 يريك مرأة من اللجين مذهبة المقبض والوجهين
 شق حشاه عن شقيقتين أختين في القدر شبيبتين
 كما قرنت بين كاتين أو كرتي مسك لطيفتين^(١)
 ان شين ذورقين ناجمين فانه زين بغير شين

ومن المشهور قول ابن الرومي في دجاجة مشوية :

وسميطة صفراء دينارية^{هـ} ثمناً ولوناً زفها لك حزور^{هـ}
 طفقت تجول بذربها حوذاية^{هـ} فأنى لباب اللوز فيها السكر
 ظللنا نقشر جلدها عن لحمها فكان تبراً عن لجين يقشر^{هـ}
 يا حسنها فوق الخوان وبنتها قدأما بصهرها تنغرغر^{هـ}
 وتقدمتها قبل ذلك ثرائد^{هـ} مثل الرياض بمثلهن يصدّر^{هـ}
 ومدقات كلهن مزخرف^{هـ} بالبيض منها ملبس ومدنر^{هـ}
 وأنت قطائف بعدذاك لطائف^{هـ} ترضى اللهاة بها ويرضى الحنجر
 ضحك الوجوه من الطبرزد فوقها دمع العيون من الدهان تعصر^{هـ}

وقلت في سكباجة :

سكباجة طيبة نشرها كأنها عود على مجمر

(١) سقط هذا العجز من الاصل فاستدر كناه من ديوان السرى المخطوط .

يا حسنها في القدر إذ أقبلتُ
ويستنيرُ الشحمُ في لحمها
وهي تحاكي سفظَ الجواهر
كغرةٍ في فرسٍ أشقر
أحسن باذنجانها إذ بدا
أسمر وسط المرق الأحمر
كأنه ماء خلوق جرى
وجال فيه قطع الغنبر

وقال ابن الرومي في دجاجة :

عظيمة الزورُ بصدرٍ نهدي
مرهفة ذات شباٍّ وحدٍ
أجريتُ منها في مجال العقد
لغير ما دخل وغير حقد
بل رغبة فيها شبيه الزهد

وقلت في قدور على نار :

كتبتُ أستعجل الندامي
وقد أتاني الغلامُ يسعى
والنارُ تستعجل القدورا
بأرغف تشبه البدورا
وعندنا قهوةٌ شمولُ
لو قطعتُ صيرتُ شذورا
تكونُ قبل المزاج ناراً
فانقلبتُ بالمزاج نورا
فانهض إلى سرعة إلينا
ننثر على نفسك السرورا

وقال الشعبي ما رأيت فارساً أحسن من زبد على تمر ، وأنشد لبعض الاعراب :

ألا ليت لي خبزاً تسربل رائباً
وخيلاً من البري فرسانها زبد

ومن عجيب ما روى عن الاعراب في شهوة الطعام ما أخبرنا به أبو أحمد عن
أبي بكر عن أبي حاتم عن الأصمعي عن جعفر بن سليمان قال لقيت اعرابياً فقلت
هل لك في ثردة ؟ فتنفس الصعداء ثم قال :

وهاً على مجحومة
بالدسم مؤسومة
وصحفة مكتومة
واللحم مغمومة
قد كملت عراقا
وألخت رقاقا
منقوشة الحواشي
بطيب التماشي

بغلفـل وحصـ فكل هنيئاً وارقص

فأخذت بيده وذهبت إلى المنزل فأمرتهم فصنعوا ثردة كما وصف فلما قدمتها ارتعش طرباً ثم قال أي أبى والله هذه المرقصة ثم وثب على رجليه فرقص ساعة وجلس فأكل أربعة أرغفة في ثردة وستة ثم قبل رأسى وقال أبى أنت وأمي لك حاجة في بدونا؟ قلت تمضى ، ثم قال أي والثردة والله مادخلت الحضر إلا في طلبها ثم أنشأ يقول :

عمرتُ بطناً لم يزل مصفراً لم يعرف الرُغفَ ولا المزدرا

حتى لقد أوجعت والله ترى ماصنعت كغاي في جنب القرى

وقال ابن خلاد في خبز الأرز والملح :

إذا الطابق المنصوب ألقى ثيابهُ وقدت جيوبُ الخبز شبرين في شهر

رغيف بملح طيب النشر خلطة خوارجه تغنيك عن أرج القطر

عليه من الشونيز آتارُ كاتب وجلبابُ ورَّاق ينقطُ بالخبير

ومن مسم قد زعفرؤهُ كأنهُ قراضةُ تبرٍ في لجينية غر

وقال في الباقلاء :

فلا تنسَ فضلَ الباقلاءِ فانه من المرق قدوافى به الفضل في الزبر

إذا جعلوا فيه سذاباً ونعناعاً وجزءاً من الزيت المقدس في الذِّكر

فما صدف العاج المغشى ظواهرأ بطاشى أفرندٍ معقدة الخضر

بأحسن من محضرة العصن إذ بدت بواكرُ منها في المجاسد والازر

ثم قال : ويالك بأذنجانة سابرية جلاها نسيمُ الليل نائرة الفجر

فجاءتْ بأثواب الحداد مدلهما بأذناها العم المعقدة الخضر

وأكرم بها نياً إذا بز ثوبها فأبدت لنا عن واضح الكشح والصدر

فنجعلها شطرين نلقمُ شطرها وتنبههُ قبلَ الاساغة بالشطر

وقال ابن الرومي في الهريسة :

أياهنتاهُ هل لك في هريس
 أمل الليل صانعها بضرب
 وبين يديك من مرى عتيق
 أرانا حول صحفتها^(١) بروكا
 بدمان الفراخ أو البوط
 فجاء بها تمدد كالخيوط
 توارثه النبيط عن النبيط
 كما برك البعير على الخبيط
 تجاذب بالشجيج وبالغطيظ
 فيالله من لقم هنا كم

وقال مسكين الدارمي في قدور على النار :

كان قدور قومي كل يوم
 كان الموقدين لها جمال
 بأيديهم مغارف من حديد
 وقلت في هريسة :

هريسة بيضاء كافوريه
 للبرء فيها حمة مسكية
 تدور في مبيضة فضيه
 مثل السوار في يد الرومي

ومن عجيب ما قيل في قلة الطعام على

المائدة ما أنشدناه أبو أحمد قال أنشدني
 نصر بن أحمد لنفسه :

من حديثي أن ابن بكر دعاني
 غرني منه منظر ولباس
 مجلس كالجنان حسناً ولكن
 فلمعمرى كان الخوان ولكن
 وجفان مثل الجوابي ولكن
 وغضار الأنوان جاءت ولكن
 فاذا ما أدرت فيها بناني
 لشقائي فليتته مادعاني
 وأثاث ومجلس وأوان
 قبح الجوع حسن تلك الجنان
 لم يكن ما يكون فوق الخوان
 ليس فيهن ما يرى بالعيان
 ليس فيها روائح الأنوان
 لم أجده ما أمسه بيناني

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط « فنهرك فوق صحفتها بروكا » .

إنني ماضعٌ على غيرِ شيءٍ غيرِ صَبِّكُ الأَسنانِ بالأَسنانِ
 ترجعُ الكَفُّ وهى أفرغُ منها عندَ مدى لها فدأبى وشانى
 لو ترانى والجوعُ يضحكُ منى عندَ غسلِ يديَّ بالأشنانِ
 زادَ فى السفرِ مسرفاً مثلما أَسـرفَ عندَ الطعامِ بالنقصانِ
 والغضاراتُ فارغاتٌ أتتنا وسقانا بالمترعِ المِلالانِ
 سكرةٌ فوقَ جُوعَةٍ تركننى راحماً كلَّ جائعِ سكرانِ
 وقلتُ فى قريبِ منه :

أتدعونى وتطعمنى يسيراً وتسقىنى الكثيرَ على اليسيرِ
 فأصبحَ منك فى يومِ عسيرِ فلا ينفكُ^١ فى يومِ عسيرِ
 ها حَرَآنَ من جُوعِ وسكرِ فيالك من سَعيرِ فى سَعيرِ
 أقولُ وفى غَضائِرِهِ عظامٌ أعرق من قدورِ أم قبورِ

ومن جيد ما قيل أيضاً فى ذم الدعوة قول أبى الحسن بن طباطبا^(١) وقد
 دعاه الكراريسى فقرب إليه مائدة عليها خيار وفى وسطها جامات عليها قطر ولم
 يصحبها بوارد فساها مسيحية لأنها أشبهت موائد النصارى ، وقدم سكباجة بعظام
 عارية فساها شطرنجية ، ثم قدم مضيرة فى غضارة بيضاء فساها معقدة^(٢) لأن البياض
 لبس المعقد وهى لا تمس الدهن والطيب ، ثم قدم زير باجة بأطراف جدى صفراء
 لقللة زعفرانها فساها عابدة لأن ألوان العباد صفر ثم قدم لونا بقضبان مخلولة فساها
 قنبية ثم قدم لونا بزبيب أسود فساها موكبية ثم قلية بعظام الأضلاع فساها
 حسكية لتشجج لحمها ثم قرب زعفرانية فساها سلحية صفراء ثم قرب فالودجة قليلة
 الزعفران والحلاوة فساها صابونية ثم اعتل على الجماعة بأن ابنه عليل فحولهم من
 منزله إلى بستان قد طبق بالسكرات وأحضرهم جرة مثقلة يمزجون منها شرابهم

(١) هو محمد بن إسماعيل العلوى الشاعر الملقب العالم المحقق ، من أهل خراسان .

(٢) فى معجم الأذباء لياقوت (معقدة) .

وإذا ضرب أحدهم الفائط نقلها معه وربط الاكار^(١) بجذائهم عجلة تخور عليهم
خواراً شبيهاً بغناء فاطمة وكان اسمها فاطمة فقال :

يادعوة مغبرة قائمة كأنها من سفر قادمه
قد قدموا فيها مسيحية أضحت على أسلافها^(٢) نادمه
ثم بشرنجية لم تزك أيدٍ وأيدٍ حولها حائمه
فلم نزل في لعبها ساعة ثم نفضناها^(٣) على قائمه
وبعدها معتدة^(٤) أختها عابدة قائمة صائمه
في حجرها أطراف موودة قد قتلها أمها ظالمه
والقنبيات فلا تنسها فحيرتى في وصفها دائمه
أقنب ما امتد في أصبعي أم حية في وسطها نائمه
والحسكيات فلا تنس في خندقها أوتادها قائمه
والموكيات بسلطانها قد تركت آنا فنا راغمه
والساحة الصفراء فاعجب بها إذ سلحتها أنفس هائمه
وجام صابونية بعدها فانخر بها إذ كانت الخائمه
ظل الكراريسى مستعبراً من عصبه في داره طاعمه
وقال إن ابني عليل ولى قيامة من أجله قائمه
ووكولت داياته حوله فليس إلا عبرة ساجمه
وليس هذا لسوى كسرة تنكسر ما زالت له سالمه
وقد أكلناها فكم هيجت من لاطم خدأ ومن لاطمه
ثم هربنا نحو بستانه خوفاً من المنية العازمه
ظلنا لدى الكرات نلهوبه فياله من زهرة قائمه

(١) أى الحراث. (٢) كذا فى الاصل ومعجم الأدباء لياقوت، وفى نسخة

(إسلامها). (٣) فى الاصل (ثم نقضينا). (٤) فى الاصل (مقيدة).

وغاية اللطفِ ففي جرّةٍ محطومةٍ صارت لنا حاطمة
 نبولُ فيها ثم نسقى بها بالك من عارضةٍ لأئمة
 وعجلة تشدو بألحانها وكانت الكية الخازمه
 فكان فيما أنشدت أذشدت من لي من بعدك يافاطمه
 نشتم من أسمعتنا صوتها وهي لنا من بعدِه شامة
 ظلت تبكي شجوناً فما أبصرت من أربابه عالمه
 فلو ترانا وترى زادنا حياؤفت منا نعماً سائمه؟

فلما سمعها الكراريسى حلف لا يدخل أبا الحسن ولا أحداً من أصحابه داره واتخذ
 دعوة ودعا قوماً من الشطرنجيين فقال أبو الحسن انما دعاهم لينظروا في الشطرنجية
 التي كنا نفضناها على قائمة هل يمكن فيها من حيلة ، وكتب إليه من وقته أيأ تأمنها :
 طمعت بأحمق في قمرها لو أمكن القمر قمرناها
 فان أقاموها فما ذنبنا كنا على ذلك نفضناها
 ثم كتب إليه أبو الحسن :

يامن دعاني أطال الله عمرك لي ولا عدمتك من داع ومحتفل
 ما أنس لآنس حتى الحشر مائدة ظللنا لديك بها في أشغل الشغل
 اذ أقبل الجدى مكشوقاً ترائبه كأنه متمطٍ دائم الكسل
 قدمد كلنا يديه لي فذكرني بيتاً تمثلته من أحسن المثل
 كأنه عاشق قد مد بسطته يوم الفراق الى توديع مرتحل
 وقد تمدى بأطار الرفاق لنا مثل الفقير اذا ملاح في سمل
 فليت شعري ماذا كان أنجله فصار إيمانه قولاً بلا عمل
 مددت كفي فلم ترجع بفائدة كأنما وقعت منه على طلل

وأخذ أبو الحسن قوله شطرنجية من قول جحظة أظنه :

قدّم لي أعظم حوليةٍ قد طبخت بالماء في برمته

فلم أزل زلت به نعلهُ العَبُّ بالشطرنج في قصمته
ومن جيد الوصف قول أبي الفضل بن العميد في وسط: أنشدنا أبو أحمد أنشدنا
أبو الفضل بن العميد لنفسه :

ودونك وسطاً أجاد الصناعُ تليفَ شطريهِ بالهندمة
فمن صدر فائقةٍ قد نوت ومن عجز ناهضةٍ ملقمة
ودنر بالجوز أجوازه ودَرهمَ باللوز ما دَرهمه
وقابل زيتونها والجبن صفائح من بيضةٍ مدغمة
فمن أسطير فيه مشكولة بملح ومن أسطير معجمه
وطرز بالبقل أعطافه فوافي كحاشيةٍ معلمه
مرشا تخال به مطرفا بديع التفاوف والنممة
وأنشد في الشواريز (١) :

مامتعة العين من خدِّ تورُّدهُ بزهي عليك بخال فيه مركز
مستغرق الحسن في توسيع وجنته بدائع بين تسهيم وتطريز
يوفي على القمر الموفى إذا اتصلت يسراه بالسكأس أو يمناه بالكوز
انهى اليك من الشيراز إن وضحت في صحنِ وجنته خيلان شونيز (٢)
وقد جرى الزيتُ في مثنى أسرته فضارعتُ فضةً تعلَى بأبريز
وقال ابن خلد :

وسوفَ بزورك شيرازها فتقسم بالله ان تكرمه
يميسُ بشونيزة كالعروسِ تخطرُ في الحلة المسهمه
وتغشى موائد قد عوليت أطيابَ كالبردة المعلمه
تباهى بجاماتها والفضار كواكب في الليلة المظلمه
وأول من ذكر الغالوذ أبو الصلت جاهلي يذكر عبد الله بن جدعان :

(١) جمع شيراز وهو اللبن الرائب المستخرج مأوّه . (٢) أي الحبة السوداء .

له داع بمسكة مشعل^١ وآخر فسوق دارته^(١) ينادى
الى رُدح^(٢) من الشيزى عليها باب البر بليك^٣ بالشهاد
لباب البر يعنى النشا^(٣). وكان لعبد الله جفنة يأكل منها القائم والقاعد والراكب
وقال رسول الله ﷺ كُنْتُ أُسْتَظِلُّ بِجَفْنَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَدْعَانَ فِي الْهُوَاجِرِ.
ومن النوادر فى هذا ما أخبرنا به أبو أحمد عن رحاله قال سأل اعرابى عن رأيه فى
الفالوذ فقال والله لو أن موسى أتى فرعون بفالوذ لآمن به ولكنه أتاه بعصاه .
ومن مصيب التشبيه فيه قول بعضهم :

ولاطفه بالشهد المخلوق وجهه وإن كان بالالطاف غير خليق
كأن اصفرار اللوز فى جنبايه كواكب تهرى فى سماء عقيق
وقلت : حمراء فى بيضاء فضية وظرف كافور وحشو الخلق
يطوف^٤ الدهن بأرجائه اطافة الدمع بجفن المشوق
كأنما اللوز^٥ بحافاته أنصاف^٦ در^٧ ركبت فى عقيق

ومن المشهور قول ابن الرومى فى اللوزينج :

كأنما قرّت^٨ جلايبه^٩ من أعين القطر اذا قبا
مستكثف الحشو على أنه أرق^{١٠} جسماً من نسيم الصبا
يدور^{١١} بالنفحة فى جامه دوراً ترى الدهن له لولبا
لو أنه قمر^{١٢} لرومية لكان منه الواضع الاشبنا

وقلت فى قطائف :

كثيفة الحشو ولكنها رقيقة^{١٣} الجلد هوانيه
رشت^{١٤} بماء الورد أعطافها منشورة^{١٥} الطى ومطويه

(١) فى الأصل « وارته » . (٢) فى الأصل (لدى روح) (٣) اشعمل : أشرف والقوم فى
الطلب بادروا فيه ، والرذحة سترة تكون فى مؤخر البيت أو قطعة تزد فيه ، والشيزى
خشب أسود يتخدم منه القصاع ، والبيت الثانى نسب فى لسان العرب لابن الزبيرى .

كانها من طيب أنفاسها
جاءت من السكر فضية
قد وهب الليل لها برده
وقلت في ذم الباذنجان :

قرأنا بقولاً إذ أنخنا بيباه
وقفنا عليه الركب نسأله القرى
فصام وصوم الليل ليس بجائز
أجاز صيام الليل حين استغزاه
فبتنا أديم الليل نطوى على الطوى
وأطعمنا لما مرقتنا من الدجى
مدورة سود المتون كأنها
فأبشارها تحكى بطون عقارب
فأصبح فينا ظالماً للبهائم
ونحن على أعناق أغبر قائم
وإن جاز في فقه اللثام الأشائم
تعاور ضيف في دجى الليل عائم
كأننا على غرباء من ظهر واشم
دحاريج لانساق في حلق طاعم
خصي الزنج لاحت تحت فيش قوائم
وأرؤسها تحكى أنوف محاجم^(١)

وأخبرنا أبو أحمد حدثنا اسماعيل بن اسحق القاضي حدثنا نصر قال قال
الأصمعي قيل للغاخرى أى التمر أجود؟ قال الجرد الفطس الذى كأن نواه ألسن
الطير تضع الواحدة فى فيك فتجد حلاوتها فى كعبك يعنى الصيححاني تمر العلية .
وأخبرنا أبو أحمد حدثنا اسماعيل بن أبى أويس حدثنى أبى حدثنى عبد الله بن
دينار عن عبد الله بن عمر قال اجتمع أربعة رهط سرورى ونجدى وحجازى وشامى
فقالوا تعالوا نتناعت الطعام أىه أطيب : قال الشامى إن أطيب الطعام ريدة
موسعة زيتاً تأخذ أذناها فيضطرط عليك أقصاها تسمع لها وقيماً فى الحنجرة كنتحجم
بنات الخاض فى الخرف ، قال السروى ان أطيب الطعام خبز بر فى يوم قر على
حمر عشر موسع سمناً وعسلاً . فقال الحجازى أطيب الطعام خنس فطس باهالة
حمس يغيب فيها الضرس . فقال النجدى أطيب الطعام بكر سمنة مغتبطة نفسها

غير ضمنه في غداة شعبة بشفار خدمه في قدوره جديمه . ثم قال الشامي دعوني أنعت
لكم الطعام إذا أكلت فابرك على ركبتيك وافتح فك وأحفظ عينيك وامرح أصابعك
وعظم لقمتهك واحنسب نفسك . قال عبد الله بن دينار ما سمعت ابن عمر حدث هذا
الحديث قط فبلغ قول الشامي « واحنسب نفسك » لإضحك . وقلت في عسيده :

وعدت عسيده شقراء تحكي طرار الصباح في ثوب الظلام
تراها حين تبرز في ظلام كعرف الطرف في زمن قتام
كذى دل عليه معصفرات^{هـ} يدل على المشوق المستهام
فلما ان صبا قلبي إليها ومدت نحوها عين اهتمامي
تقاصر دونها كغاي حتى كأن الدبس علق بالنعام
فدون السجن أطراف العوالي ودون النار بادرة الحسام
أتلک عسيده أم طرف سلمى فليس يزور إلا في المنام
وقلت في ممكة طرية :

يقبض للمكتوب ماجر حنقه فجاز بنا في الغيض شر مجاز
بمثنا اليه ينسر الباز فانهى إلينا بظهير مثل جوجو باز
فأطفأ نيران الطهارة كأنها سحاب يسح الودق فوق عزاز
العزاز : الأرض الصلبة . وقال كشاجم في السمك :

ومحجوبة في البحر عن كل ناظر ولكنها في حجبتها تتخطف
أخذنا عليهن السبيل بأعين روادد إلا أنها ليس تطرف
فجاء بها بيض المتون كأنها خناجر في أيامنا تمظف

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن القاسم عن الأصمعي قال دخلت على الرشيد
وهو يأكل الفالوذ فقال يا أصمعي هل قالت العرب في هذا شيئاً ؟ فقال يا أمير
المؤمنين وأنى لها هذا ولكن قالت فيما دونه ، قال وما قالت ؟ قال قال مُرَرْد^(١)

(١) في الأصل « مرز » وفي العقد الفريد طبعة بولاق « مرزود أخي سماح »

ابن ضرار أخو الشماخ :

ولما غدت أُمى تزورُ بناتها
أغرَّتْ على العِكم الذي كان يَمنع
خلطتُ بصاعى حنطة صاعَ عَجْوَةٍ
إلى صاعِ سمنٍ فوقها بسترِيع
ودبَلتُ^(١) أمثالَ الأثافي كأنها
رؤوسُ نقادٍ قُطعتْ يومَ تَجْمع^(٢)
وقلتُ لبطنى أبشرى اليومَ أنه
حى آمناً مما تَفيدُ وتَجْمع
فانْ تَكُ مصفوراَ فهذا دواؤُه
وانْ تَكُ جوعاناَ فذا يومَ تَشبع

فضحك الرشيد وقال يا أصمى ما الدنيا ليس فيها مثلك حسن ، فدعوت له وفضلته على الملوك بالعلم ، فقال يا أصمى نحن كل يوم نشبع .

ومما يجرى مع هذا القول فى الرحا : فمن أجود ما قيل فيها ما أنشدناه أبو أحمد :

عجبتُ من سائِرةٍ لا تَبْرَحُ
ينهاك عن ركوبها من ينصحُ
دائبةٌ تسمى بحيثُ تصبحُ

والحمد لله وحده .

(الفصل الثالث)

(فى ذكر الشراب وما يجرى معه من رقيق المعانى)

للقدماء فى صفة الخمر قول الأعرشى * تريك القذى من دونها وهى دونه *
يريد أنها من صفاتها تريك القذى عالية عليها وهى فى أسفلها .

ومن أطرف ما قيل فى صفاء الخمر قول أبى نواس :

ترى حيثما كانت من البيتِ مشرقا
ومالم تسكن فيه من البيتِ مغربا

وهو تصحيف على ما فى مقدمة « القصد والأهم فى التعريف بأنساب العرب والعجم لابن عبد البر » . (١) دبل القمة : جمعها بأصابعه وكبرها ، وفى المقد الفريد طبع بولاق « وذبلت » وهو تصحيف ، وفى العقد اختلاف فى بعض الألفاظ .
(٢) كذا فى لسان العرب ، وفى الأصل « ما تجم » .

إذا عبَّ فيها شاربُ القوم خلتهُ
أخذه ابن الرومي فقال وأحسن :
ومهفهف تمت محاسنهُ
وكانه والكأسُ في فيه
يقبلُ في داج من الليل كوكبا
فجعل الشارب قمرًا وليس هذا في بيت أبي نواس . وقال أبو نواس يذ كر صفاء
الخمر ورقنها وحبابها :

فاذا ما اجتليتها فهباءُ
ثم شجبت فاستضحكت عن جمان (١)
في كؤوس كأنهنَّ نجوم
طلعاتُ مع السقاة علينا
لو ترى الشرب حولها من بعيد
وقلت في لطافة الخمر والزجاجة :

قلتُ والراحُ في أكف الندامى
أمداماً فرطمُ لمدام
وكانَّ النجومَ والليلُ داج
كنجوم تلوحُ في أبراج
أم زجاجاً سبكتُم في زجاج
نقشُ طاج يلوحُ في سقف ساج

ومن أعجب ما قيل في صفائها قول الناشء * فليس شيء عندها إلا القذى *
وقلت : ومشمولة دارت على كؤوسها
أنازعها بدرأ مع الليل طالماً
وقد شابَ لينا بالشماس وإنما
وأنشدني أبو أحمد :

فنبهتني وساقى القوم بمرزجها
فصارَ في البيتِ للمصباح مصباحُ

(١) في ديوان أبي نواس (عن لآل) . (٢) في الأصل (لضئينا) .

(٣) في الأصل « طلعات » .

قلنا على علمنا والشك يغلبنا
ومثله قول البحرى :

فأضاءت تحت الدجينة للشر

ب وكادت نضى للمصباح

وأحسن ما وصفت به كأس على فم قول ابن المعتز :

ظبي خلى من الأحزان أو دعى
كأنه وكان الكأس في فمه

ما يعلم الله من حزن ومن قلق
هلال أول شهر غاب في الشفق

وقول الآخر :

كأما الكأس على ثغرها

موصولة بالأتمل الخمس

ياقوتة صفراء قد صيرت

واسطة للبدر والشمس

قد ذهبت نفسى على نفسها

وأفة النفس من النفس

وقلت : فيسقينى ويشرب من عقيق

خليق أن يشبهه بالخلوق

كأن الكأس من يده وفيه

عقيق في عقيق في عقيق

الكأس الحمراء مثل العقيق واليد المحضوبة كالعقيق والشفة مثل العقيق في لونها. وقلت :

ودار الكأس في يد ذى دلال

رشيق القدر يعرف بالرشيق

يجلى بالتبسم در ثغر

تحلله شواير العقيق

رأيت الكأس في يده وفيه

وجنح الليل منصرف الفريق

ففي فمه هلال في غروب

وفى يده الثريا فى شروق

وأحسن ما قيل فى الشروق وآمه قول ابن الرومى وأتى بشيء لم يسبق إليه

وهو تشبيهه الجباب بفلق اللؤلؤ وهو على الحقيقة تشبيهه والناس قبله إنما شبهوه

بالؤلؤ الصحيح ، وهو قوله :

لها صريح كأنه ذهب

ورغوة كاللؤلؤ الفاق

فشرحت ذلك وقلت :

وكأس تمتطى أطراف كف

كأن بناها من أرجوان

أنازعها على العلاتِ شرباً^١ لهنّ مضاحك^٢ من أفحوانِ
يلوحُ على مفارقتها حباب^٣ كأنصافِ الفرائدِ والجانِ
وفى هذا زيادة لأن في الحباب ما هو كبير يشبه بأنصافِ الفرائدِ وهي كبار
اللؤلؤ ، ومنه ما هو صغير يشبه بأنصافِ الجمان وهي صفار اللؤلؤ :

وطالعتي الفلامُ بها سحيراً فزاد على الكواكبِ كوكبانِ
وواقفها بخدِّ أرجوانِ وخالفها بفرعِ أرجواني
وأغرب ما قيل في الحباب قول أبي نواس :

فإذا علاها الماءُ ألبسها حبيباً كمثل^(١) جلاجلِ الجبلِ
حتى إذا سكنتُ جوامعها كتبتُ بمثلِ اكراعِ النملِ
ومن غريب ذلك وبديعه قول الأول ويقال انه ليزيد بن معاوية :

وكأس سبهاها البحرُ من أرضِ بابلِ كرقعةِ ماءِ المزنِ في الأعينِ النجلِ
إذا شجها الساقى حسبتُ حبابها عيونَ الدبا من تحتِ أجنحةِ النملِ
وأبدع ما قيل في الحباب قول أبي نواس :

قامت تربيى وأمرُ الليلِ مجتمعم^٢ صبحاً تولدَ بينَ الماءِ والذهبِ^(٣)
كانَّ صغرى وكبرى من فواقها حصباءُ دُرٍّ على أرضِ من الذهبِ
وقطاه النحويون في قوله « كبرى وصغرى من فواقها » ، أخذه ابن المعتز فقال :

يا خابلي^(٣) سقياني فقد لا حَ صباحٌ وأذنَ الناقدِ
من كميتِ كأنها أرضُ تبرِ في نواحيه لؤلؤٌ مغروس
وقلت : راح إذا ما الليلُ مدَّ رواقه^٤ لاحتَ تطرُّزُ حلةِ الظلماءِ
حتى إذا مزجتِ أراك حبابها زهراتِ أرضٍ أو نجومِ سماءِ
وقلت في المعنى الأول :

(١) في الأصل « نمشاً كمثل » وفي ديوان أبي نواس « حبيباً شبيهه » .

(٢) في الأصل « والجنب » . (٣) في ديوان ابن المعتز « يا نديمي » .

تبيتُ لى اللذاتُ معقودةُ العرى
 يدبُ الدُّجى عن وجهِ نارٍ تحلُّهُ
 إذا ما أدارَ الكأسَ آحورُ قاعدُ
 كؤوس لأعناقِ الليالى قلائدُ
 وقال ابن المعتز :

قد حثني بالكأسِ أولَ فجره
 فكانَ حمرةً لونها من خده
 ساق علامةُ دينه في خصره
 وكانَ طيبَ نسيهها من نشره
 عن ثغرها فحسبته من ثغره
 كمثل نقشٍ في فصٍّ ياقوته
 واطفُ الدرُّ عليه فطفتح
 شبكَ الفضة تصطادُ الفرح
 نصب الساقى على أقداحها
 وقال ابن الرومى فى لطافتها :

لطفتُ فقد كادتُ تكونُ مشاعةً
 ومن الاستعارة البديعة قول ابن المعتز :
 وقت : وشراب طوى الزمانَ فما كى
 إن يكن بالعقول غيرُ رحيم
 ومن أحسن ما قيل فى خيال الكأس على اليد قول بعض المحدثين :
 كأنَّ المديرَ لها باليمين
 تدرِّعُ ثوباً من الياسمين
 إذا قام للسقى أو باليسار
 له فردٌ كم من الجنار
 وقال السرى فى معناه :

وبكر شربناها على الوردِ بكرةً
 إذا قامَ مبيضُ الجبين يدبرها
 فكانت لناورداً على خيرِ موردِ
 توهته يسمى بكمٍ مُوردِ
 وقال البحرى : الأربما كأس سقانى سلافها
 إذا أخذتُ أطرافه من قنوها^(١)
 رفيفُ الثنى واضح الثغر أشب
 رأيت اللجينَ بالدمامة يذهب

(١) فى ديوان البحرى (إذا ذكرت أطرافه من قنورها) .

وقلت: وقد شغلت كلنا يديه بقهوة
 كأن خيال الكأس فوق ذراعها
 فقلت أرى قدمين أم قدحين
 غشاء من العقيان فوق لجين
 وقلت أيضاً:

يسمى إلى مقرطق في كفه كأس
 وبين جفونه كأسان
 وتناست فيها بغير قرابة
 كف المدير وجنة الندمان

ومن أحسن ما قيل في الزجاجه ورقها وصفائها قول بعضهم:

رق الزجاج وراقت الخمر وتشابها
 فتقارب الأمر فكأنها
 خمر ولا قدح وكأنه قدح
 ولا خمر

وقال ابن المعتز في رقة الخمر وصفائها وذكر الكأس ولطافتها:

وكأس تحجب الأبصار عنها
 فليس لناظر فيها طريق
 كأن غمامة بيضاء بيني
 وبين الراح تحرقها البروق

وقلت: وندمان سقيت الراح صرفاً
 وجنح الليل مرتفع السجوف

صفت وصفت زجاجتها عليها
 لمعني دق في ذهن نصيف

وليس هذا التشبيه بالختار ولو أن بعض الناس يستملحه لأنه أخرج ما يرى

بالعيان إلى ما يعرف بالفكر^(١). وقال بعضهم:

خفيت على شرابها فكأنهم
 يجدون رياً من إناء فارغ
 وقال غيره: وزنا الكأس فارغة وملأى
 فكان الوزن بينهما سواء

وقال ابن الرومي:

لطفت فقد كادت تكون مشاعة
 في الجو مثل شعاعها ونسيمها^(٢)

وقلت: حملت بخصرها إناء مدامة
 صفراء تلعب في زجاج أقر

فكأنها واللحظ ليس يحورها
 شمس النهار تختمت بالمشتري

ومن أجود ما قيل في الأباريق وفضول الكأس وأنشده إسحق:

(١) لعل في الأصل نقصاً لأن الشعر المنتقل ليس من قول المصنف. (٢) تقدم قريباً.

كأن أبريق المدام لديهم ظباء بأعلى الرقمتين قيام
وقد شربوا حتى كأن رقابهم من اللين لم يخلق لمن عظام
وقد أحسن مسلم في قوله :

إبريقنا سلب الغزاة جيدها وحكى المدير بمقلته غزالا
وأحسن الآخر وينسب الى بشار :

كأن إبريقنا والقطر في فمه طير تناول ياقوتاً بمنقار
إلا أن قوله « طير » ردىء والجيد طائر ، وأجازه أبو عبيدة ولم يجزه غيره .
وقلت : تضحك في الكأس أبريقنا وحسب ما يضحكن بيكينا
كأن أعلاها إذا أسفرت تعقد في الكأس تلاينا
وأول من شبه الأبريق بالأوز ليبيد ^(١) في قوله ولم يذ كر الخمر :
نصمن أيضاً كالأوز ظروفها إذا تأقوا أعناقها والحواصلا
فأخذه بعضهم فقال :

ويوم كظل الرشح قصر طولهُ دم الزرق عنا واصطكك المزاهر
كأن أبريق المدام عشية إوز بأعلى الطف عوج الخناجر
وقال أبو الهندي ^(٢) :

سيفى أبا الهندي عن وطب سالم أبريق لم يعلق بها وضر الزبد
مقدمة قرأ كأن رقابها رقاب بنات الماء تفزع للرعد
وقوله (تفزع للرعد) زيادة على ماتقدم .

وأما فضول السكؤوس فأحسن ما قيل فيها قول أبي نواس :
قرارتها كسرى وفي جنباتها مهاً تدرىها بالقسى الفوارس

(١) هو صاحب المعلقة المشهورة ليبيد بن ربيعة العامري ، الشاعر الحكيم
الجواد الفارس الفتاك المعمر .

(٢) هو غالب بن عبد القدوس الشاعر المطبوع المسرف في وصف الخمر .

فلخمر مازرت عليه جيوبهم
وللإيه بادارت عليه القلائس
وقال السري الموصلی :

كان الكؤوس وقد كالت
بفضلاتهن أكاليل نور
جيوب من الوشي مزرورة
يلوح عليها بياض النحور
فجئت به في بيت وقلت :

وبيض تهاوى في مزعفة صفر
وهبت لها قلبي وأخدمتها فكري
فدارت بأقداح كأن فضولها
سوالف تبدو من معصرة حمر
وقال السري أيضاً :

وصفراء من ماء الكروم شربتها
على وجه صفراء الغلائل غضة
تبدت وقضل الكاس يلمع ساطعا
كأترجة زيت باكليل فضة
وقال الناشء : ملوك ساسان على كأسها
كأنها في عز سلطانها
فخمرها من فوق أذقانها
وماؤها من فوق تيجانها
بصف كأساً نقش فيه صور ملوك ساسان .

ومن أجود ما قيل في صفة صفاء الاناء وحسنه مع صفاء الخمر قول ابن المتمر :

غدا بها صفراء كرخية كأنها في كأسها تتقد
فتحسب الماء زجاجاً جرى وتحسب الأقداح ماء جمد
ومن أجود ما قيل في صوت الأباريق ما أنشدناه أبو أحمد :

وقد فجت الغيم السماء كأنها يمد عليها منه ثوب ممسك
ومجلسنا في الجو بهوى ويرتق وإبريقنا في الكأس بيكي ويضحك
ومن أحسن ما قيل في ابتداء السكر قول بعضهم :

ولها ديب بالمظام كأنه فيض النعاس وأخذه بالمفصل
عبت أكفهم بها فكأنما يتنازعون بها سخاب قرنفل
وقول أبي نواس :

فأرسلت من فم الأبريق صافيةً
 وكقوله: ثم لما مزجوها
 كأنما أخذها بالعين إغفاء
 وثبتت وثب الجراد
 أخذت أخذ الرقاد
 ثم لما شربوها

ومن شعر المتقدمين قول الأخطل^(١):

أناخوا فجرًا وشاصيات كأنها رجال من السودان لم يتسر بلوا
 « لم يتسر بلوا » تتميم حسن ، والبيت من أحسن ما قيل في الزقاق :

فقلت اصبحوني لا أبا لأبيكم وما وضعوا الانتقال إلا ليفعلوا
 تدب ديباً في العظام كأنه ديب نمل في نقأ يتهيل

أحسن ما قيل في خروج الخمر من الميزال قول أبي نواس :

وخندريس باكرت حانتها فودجوا خصرها بميزال

فسال عرق على ترائبها كأن مجراه قتل خلخال

وقال ابن المعتز: تخرج من دهنها وقد حدثت مثل هلال بدا بتقويس

قوله « بدا بتقويس » فضل لا يحتاج إليه لأن الهلال لا يبدو إلا بتقويس . وقال :

جاءتك من يدت خمار بطيبتها صفراء مثل شعاع الشمس تنقد

فأرسلت من فم الأبريق فانبعثت مثل اللسان بدا واستمسك الجسد

إلا أن هذا في وصفها جارية من فم الأبريق ، وقال في المعنى الأول :

سعى إلى الدن بالميزال يبقره ساق توشح بالمندبل حين وثب

لما وجاها بدت صفراء صافية كأنه قد سيرا من أديم ذهب

وقلت: قد زل الدن قومي انظري زنجية تفتل خلخالاً

واسقنيها واشربي واطربي وجررى في الهواء أذيالاً

تنعمي ما استطعت واستمتعي إن وراء المرء أهوالاً

(١) هو غياث بن غوث التغلبي ، يشبهه من شعراء الجاهلية بالناطقة الذياني

كان يمدح الأمويين .

أبلغ ما قيل في الكبر الذي يعتري المنتشى قول الأخطل يخاطب عبد الملك :
 إذا مانديمي علي ثم علي ثلاث زجاجاتٍ لهن هدير
 خرّجتُ أجرُ الذليل حتى كأنني^(١) عليك أمير المؤمنين أمير
 وإنما صار ذلك أحسن من غيره لأنه خاطب به ملك الدنيا وقال أنا أمير
 عليك في ملك الحال . والأصل فيه قول حسان :

ونشرها فتركنا ملوكا وأسدًا ما ينهنهنا اللقاء
 ومنه قول الأخطل :

وإذا سكرتُ فأنى ربُّ الخورنقِ والسرير
 وإذا صحوتُ فأنى ربُّ الشويبةِ والبعير

وأجاد ابن الرومي القول في تفسيح أمل السكران حتى يأمل ما لا يجوز وجوده وهو قوله :
 ومدامة كحشاشة النفس لطفت عن الإدراك والحس
 لنسيمها في قلبٍ شاربها روحُ الرجاء وراحة النفس
 وتمدُّ في أمل ابن نشوتها حتى يؤمل مرجع الأمس
 وأجود ما قيل في صفة السكران قول عبد الله بن عبد الله بن عتبة :

وشربك من ماء الكروم كأنه إذا مجَّ صرفا في الاناء خضابُ
 صريع مدام والندامي يلونه وفي الشدقِ قى سائل ولعاب
 وقريب منه قول الآخر في حماد الراوية :

نعم الفتى لو كان يعرف ربه ويقيم وقتَ صلاته حمادُ
 هدلت مشافره المدام وأنفه مثل القدوم بسنها الحدادُ
 وبيض من شرب المدامة وجهه فيياضه يوم الحساب سواد

وأبداع ما قيل في صفة أنف السكران إذا تورم من السكر قول الآخر :
 وشربت بعد أبي ظهير وابنه سكر الدنان كأن أنفك دمّل

(١) في ديوان الأخطل « جعلت أجر الذليل مني كأنني » .

ومن جيد ما قيل في مبادرة اللذات قول أحمد بن أبي قتن: ^(١)

جَدِّدِ اللذاتِ فالْيومِ جليدِ وامنض فيما تشتهي كيف تريد

انى ان أمكن يوم صالح ان يوم الشرب لا كان عتيد

وقال ديك الجن ^(٢):

تمتع من الدنيا فانك فانى وإنك فى أيدى الحوادثِ طانى

ولا تنظرن اليوم فى لهو غد ومن لغدٍ من حادثِ بأمان

فانى رأيتُ الدهرَ يسرعُ بالفتى وينقله حالينِ يختلفان

فأما الذى يمضي فأحلامُ نائم وأما الذى يبيتى له فأمانى

ونحوه قول عمران بن حطان ^(٣)

يأسفُ المرءُ على ما فاتهُ من ليلاناتٍ إذا لم يقضها

وتراهُ فرحاً مستبشراً بالتي أمضى كأن لم يمضها

عجباً من فرح النفسِ بها بعد ما قد خرجت من قبضها

أنا عندي ذاق أحلام الكرى لقريب بعضها من بعضها

وقال ابن المعتز:

وبادر بأيام السرورِ فانها سراعٌ وأيامُ الهومِ بطاءُ

وخَلَّ عتابَ الحادثاتِ لوجها فانَّ عتابَ الحادثاتِ عناءُ

تعالوا فسقوا أنفساً قبل موتها ليلالى ما يأتى وهنَّ وراءُ

ونحوه عجزير السلولى ^(٤) جملة لأصحابه وجعل يشرب معهم ويقول:

عللانى إنما الدنيا عللٌ واتركلنى من عتابٍ وعذلٌ

وانشلا ما غبر من قدرى كما واسقياى أبعده الله الجمل

(١) فى الاصل (فنس) وهو تصحيف . (٢) نسبها فى الأمالى لسعيد بن حميد باختلاف

فى البيت الثانى . (٣) شاعر فصيح ، طال عمره فضعف عن الحرب وحضورها فاقصر

على الدعوة والتحرىض بلسانه . (٤) شاعر إسلامى مقل من شعراء الذنوة الاسلامية

وقال أحمد المادرائي :

طَاقِرَ الرَّاحِ وَدَعَّ نَعْتِ الطَّلَلِ وَاعْصَنَ مِنْ لَامِكٍ فِيهَا وَعَذَلْ
غَادَهَا وَاسْعَ لَهَا وَاعْرَبَهَا وَإِذَا قِيلَ نَصَابًا قَلَّ أَجَلْ
إِنَّمَا دُنْيَاكَ فَاعْلَمْ سَاعَةً أَنْتَ فِيهَا وَسَوَى ذَلِكَ أَمَلْ
وَلابن بسام^(١) :

وَاصِلُ خَلِيكَ إِنَّمَا السُّدُّ نِيَا مُوَاصِلَةُ الْخَلِيلِ
وَإِنْعَمْ وَلَا تَتَعْجَلِ السُّمُكْرُوهَ مِنْ قَبْلِ التَّزْوِلِ
بَادِرْ بِمَا تَهْوَى فَمَا تَدْرِي مَتَى وَقْتُ الرَّحِيلِ
وَارْفُضْ مَقَالَةَ لَأْتُمَّ إِنَّ الْمَلَامَ مِنَ الْفَضُولِ

وقد أجاد ديك الجن في قوله يصف السكر ، واسمه عبد السلام بن رغبان الحمصي :

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِدُنْبِي كُلِّهِ قَتَلْتُ إِنْسَانًا بِغَيْرِ حِلِّهِ
وَإِنصَرَمَ اللَّيْلُ وَلَمْ أَصَلْهُ وَالسُّكْرُ مُفْتَاخٌ لِهَذَا كُلِّهِ

قد أوطأ إلا أنه أصاب المعنى . وقال أيضاً :

مَشْعَمَةٌ^(٢) مِنْ كَفِّ ظِيِّ كَأَنَّمَا تَنَاوَلَهَا مِنْ حَدِّهِ فَأَدَارَهَا

فَظَلْتُ بِأَيْدِينَا تَتَعْتَعُ رُوحَهَا وَتَأْخُذُ مِنْ أَقْدَامِنَا الرَّاحُ ثَارَهَا

وهذا معنى بديع حسن أخذه أبو تمام منه وكان كثير الأخذ منه فقال :

إِذَا الْيَدُ نَالَهَا بَوْتَرٍ تَوَقَّدَتْ عَلَى ضَعْفِهَا^(٣) ثُمَّ اسْتَفَادَتْ مِنَ الرَّجْلِ

وبيت عبد السلام أجود منه .

أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي وَصْفِ السَّاقِ إِذَا أَخَذَ الْكَأْسُ قَوْلَ الْآخِرِ :

يَعَدُّ فِي الطَّبَقَةِ الْخَامِسَةِ مِنْ شِعْرَاءِ الْإِسْلَامِ . (١) هُوَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ ،

كَانَ مِنْ أَعْيَانِ الشُّعْرَاءِ وَمَحَاسِنِ الظُّرْفَاءِ لَسْنَا مُطْبُوعًا فِي الْهَجَاءِ ، يُشَبِّهُ بِالْحَطِيئَةِ فِي الْهَجَاءِ .

(٢) فِي وَفِيَاتِ الْأَعْيَانِ (مُورَدَةٌ مِنْ كَفِّ) .

(٣) فِي دِيْوَانِ أَبِي تَمَامٍ (تَوَقَّرَتْ عَلَى ضَعْفِهَا) .

كَأَنَّهُ وَالسَّكَّاسُ فِي كَفِّهِ بَدْرُهُ إِلَى جَانِبِهِ كَوَكْبُ
 وَقَلْتُ: وَطَاعَنِي الْغَلَامُ بِهَا سَحِيرًا فزَادَ عَلَى الْكَوَاكِبِ كَوَكْبَانِ

ومما يدخل في مختار هذا المعنى قول ابن الرومي * ومهفهف تمت محاسنه *
 وقد مر . ولم أسمع في هذا المعنى أجود من قول الآخر :

فَسَكَانُهُ وَكَأَنَّهَا وَكَأَنَّهُمْ قمرٌ يدورُ على النجومِ بأشمس
 ومثله في الجمع قول الآخر :

فَالْكَفُّ عَاجٌ وَالْحَبَابُ لَأَلَىءُ وَالرَّاحُ تَبْرٌ وَالزُّجَاجُ زَبْرَجِدُ
 وأجود ما قيل في قيام السقاة بين الندامي قول ابن المعتز :

بَيْنَ أَقْدَاحِهِمْ حَدِيثٌ قَصِيرٌ هُوَ سَحْرٌ وَمَسَاوَاهُ الْكَلَامُ
 وَكَأَنَّ السَّقَاةَ بَيْنَ النَّدَامَى أَلْفَاتٌ بَيْنَ السُّطُورِ قِيَامُ
 فشبهه اصطفاة الشرب جلوساً بالسطر والسقاة بينهم بالألفات فأحسن .
 ومن البارع الداخل في هذا الباب قول عنتره :

وَإِذَا سَكَّرْتُ فَانِي مَسْتَهْلِكٌ مَالِي وَعَرْضِي وَافِرٌ لَمْ يَسْكَمِ
 وَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أَقْصَرَ عَن نَدَى وَكَأَ عَلِمَتْ شِمَائِلِي وَتَكَرَّمِي
 أخذه البحترى فزاد عليه في قوله :

وَمَا زِلْتُ خَلًّا لِلنَّدَامَى إِذَا انْتَشَوَا وَرَاحُوا بَدُورًا يَسْتَحْشُونَ أَنْجِمَا
 تَكَرَّمْتُ مِنْ قَبْلِ الْكَؤُوسِ عَلَيْهِمْ فَمَا اسْطَعْنِ أَنْ يَحْدِثَنَّ فَيْكَ تَكَرُّمًا
 والزيادة أن عنتره ذكر أنه يستهلك ماله إذا سكر، والبحترى ذكر أنه تكرم
 قبل الكؤوس فيبالغ حتى لا يستطيع الكؤوس أن تزيده تكراً .

ومن أطرف ما قيل في حسن الندامي قول بعضهم :

لَقَدْ عَلِمَ الرَّيْحَانُ وَالرَّاحُ أَنِّي عَلَى السَّكَّاسِ وَالنَّدَامَانَ غَيْرَ جَهُولِ
 فَانِ سَاءَ تِي مِنْهُمْ مَقَامٌ غَفَرْتَهُ وَاسْتُ إِلَى مَسَاءَهُمْ بِمَجُولِ

قوله * لقد علم الريحان والراح اني * في غاية الظرف . وشبيه البيت

الثاني قول الآخر :

ليس من شأنه إذا دارت الكأس من فادري ادمانه بالحلوم
قول ما أسخط النديم وإن أسخطه عند ذاك قول النديم
إلا أن في هذين البيتين عيين أحدهما التضمين والآخر قوله (عند ذاك)
وهي زيادة لاحتاج إليها . وقال يحيى بن زياد^(١) :

ولست له في فضلة الكأس قائلاً لأصرفه عنها تحس وقد أبي
ولكن أحبيته وأكرم وجهه وأشرب ما أبقى وأسقيه ما شتهي
وليس إذا ما نام عندي بموقظ ولا سامع يقظان شيئاً من الأذى
وهذا جامع جداً . ومن جيد ما قيل في مدح النديم قول اعرابي وقد قيل له :
كم تشرب من النبيذ ؟ قال على قدر النديم . ومن المنظوم قول بعضهم :

ورضيع أرضعت في كبر السن فأضحى أخاً لدى مطا
لم يكن بيننا رضاعاً ولكن صيرت بيننا المدام رضا
وهو من قول الناشئ : المدام الرضاع الثاني . ويقولون ذكروا الرجل عمره الثاني .
وروي ابن عون عن ابن سيرين أنه قال : لا تكرم أخاك بما يشق عليه ، قالوا مغناه
لا تسقيه من النبيذ ما لا يقوم به . وجعل آخر النديم قطب السرور في قوله :

أرى للراح حقماً لا أراه لغير الراح إلا للنديم
هو القطب الذي دارت عليه راح اللذات في الزمن القديم
وقلت : لما تبدى وجهه كالبدر من خلل الغمام
وكأنه ضوء الصبا ح يمس في خلع الظلام
آثرت طاعة جبهه واخترت معصية المدام
لا أستفيد من المدام سوى منادمة الكرام
فاذا حننت إلى الندام فقد حننت إلى المدام

(١) هو أبو الفضل الحارثي شاعر مقل .

خلق النديم اذا صفا أغناك عن صفو المدام
 وفاخر كاتب نديماً فقال : أنا معونة وأنت مؤونة وأنا للجد وأنت للهزل وأنا
 للشدة وأنت للرخاء وأنا للحرب وأنت للسلم . فقال النديم : أنا للنعمة وأنت للخدمة
 وأنا للحظوة وأنت للمهنة تقوم وأنا جالس وتحشم وأنا مؤانس تدأب لرضاتي (١)
 وتسعى لما فيه سعادتى فأنا شريك وأنت معين كأنك تابع وأنا قرين فمثلته . قلت :

ما أعافُ التبيدَ خيفةً إثم إنما عفتهُ لفقْدِ النديم
 ليس في اللهو والمدامة حظٌ لكريم دونَ النديم الكريم
 فتخير قبلَ التبيدِ نديماً ذا خلالٍ معطراتِ النسيم
 وجمالٍ إذا نظرتَ بديعٍ وضميرٍ إذا اختبرتَ سليم
 وأحسن ما قيل في احرار لون الشارب من الشعر القديم قول الاعشى :
 وسيئة مما تعتقُ بابل كدم الذبيح سلبتها جريالها
 الجريال : اللون . وقال بعض المحدثين :

نفضت على الأيامُ حمرةَ لونها وسرتْ بلذتها الى الأرواح
 وأخذ الناجم قول الاعشى (سلبتها جريالها) فقال :
 فخذها مشعشة قهوة تصبُّ على الليل توبَّ النهار
 ويسلبها الخلدُ جريالها فتهديه للعين يومَ الخمار
 إلا أن هذا فيه زيادة وهو قوله * فتهديه للعين يوم الخمار * وهو في صفة حمرة
 العين من الخمار جيد إلا أن قوله (مشعشة قهوة) ردىء ووجه نظم اللفظ أن يقال
 قهوة مشعشة ، ألا ترى أنك تقول خمر ممزوجة ولا تقول ممزوجة خمر ، وان كان
 جائزاً فليس كل جائز حسن فاعلم ذلك . وقلت :

شقائقُ كناظرِ الخمرِ وأقحوانٌ كشتورِ الخور
 ونرجسٌ كأنجمِ الديجور

فشبهت ما يعتري بياض العين والجماليق من الحمرة عند الخمار مع سواد الحدقة
بحمرة الشقائق حول سوادها. وقد أحسن أبو نواس في ذكر مراح الكأس حيث يقول:

ألا دارها بالماءِ حتى تليتها فلن تسكرم الصهباء حتى تبيتها
أغلى بها حتى إذا ما ملكتها أدلت لا كرام الصديق مصونها
وصفراء قبل المزج بيضاء بعده كأن شعاع الشمس يلقاك دونها
ترى العين تستعفيك من لمعائها وتحسر حتى ما تقل جفونها
أخذه ابن دريد فقال:

وحمرء قبل المزج صفراء بعده بدت بين ثوبى زرجس وشقائق
حكمت وجنة المعشوق صرفاً فسلطوا عليها مزاجاً فاكتست لون عاشق
ومن أجود ما قيل في صفة القيان:

بدت في نشوةٍ مثل السهما أدجن إدماجا
يجاذبن من الأردا في كشبانا وأمواجا
وقضبانا من الفضة قد أثمرت العاجا
ويسترن من الأبشار في الديباج ديباجا
وقد لانت من الكور على مفرقها ناجا
فلما طفن بالمجلس أفراداً وأزواجاً
تجاذن فغنيناك أرمالاً واهزجا
وحركن من الأوتار امسداً وادراجا
فلا لوم على قلبك إن هيح فاهتاجا

ومن جيد ما قيل في بحه حلق المغنى قوله أيضاً:

أشتهى في الغناء بحه حلق ناعم الصوت متعب مكثود
كأنين الحب أضعفه الشوق فضاهى به أنين العود
لأحب الأوتار تعلقوا كما لا أشتهى الضرب لازماً للعود

وأحبُّ المجنبت كجبي للمبادى موصولة بالنشيد
كهبوب الصبا توسط حالاً بين حالين شدة وركود
وقد أحسن ابن المعتز في صفة أنامل القينة :

وتلفظُ يمناها إذا ضربتُ بها وتثرُ بسرهما على العودِ عنابا
وقلت: وهيجتُ لى من شوقٍ ومن فرح أيدٍ نثرنَ على الأوتارِ عنابا
لا عيبَ في العيشِ إلا خوف غيبتكم إنَّ السرور إذ ما غبتمُ غابا
ومن أحسن ما قيل في وصف المغنى قول ابن المعتز :

ومغنٍ ملحقٌ كلُّ نفسٍ بهواها وهو للسكر عنذر
لا يمدُّ الصوت فيه نفورٌ لا ولا يقطعنه منه بهر

وأجمع من ذلك قول ابن الرومي :

تغنى كأنها لاتغنى من سكون الأوصالِ وهي تجيد
مدٌّ في شأور صوتها نفسٌ كما في كأنفاسِ عاشقها مديد
ولها الدهر لاثمٌ مستزبد ولها الدهر سامعٌ مستعبد
وللناجم من أبيات :

مندرة في كلِّ أصواتها لا كاتى تنذرُ في النذره

وقول الآخر :

إذا وقع بالعود زمرنا بالكؤوس (له)

فأما أعجب ما قيل في ذم المغنى والتنائى من صماعة فقول ابن الرومي :
فظلتُ أشربُ بالارطال لاطربا عليه بل طلباً للسكر والنوم
ومن أحسن ما قيل في مجالس الشرب قول أبي نواس :

في مجلسٍ ضحك السرورُ به عن ناجذيه وحلت الخمر
وقد أحسن ديك الجن في قوله :

كأنما البيتُ بريحانه ثوبٌ من السندسِ مشقوق

ومثله قول الصنوبري :

وقد نظم الروض صمطيه من سنان نؤيق إلى زجه
كفرجك خفتان وشي بد بياض الغلالة من فرجه

ورأيت قوماً يستحسنون هذين البيتين وهما بالاستهجان أولى لا لرداءة
معناها ولكن لتكلف ألفاظهما ، وليس التكلف أن تكون الألفاظ غريبة
وحشية، بل وقد يكون الكلام متكلفاً وان كان ظاهر اللفظ إذا لم يوضع في موضعه
وخولف به وجه الاستعمال . وقال السري ولا أعرف في معناه أحسن منه يدعو صديقاً له :

أست ترى ركب الغمام يساقُ وأدمعه بين الرياضِ تُراقُ
وقدرق جلاباب النسيم على الثرى ^(١) ولكن جلابيبُ الغيوم صفاق
وعندي من الریحانِ نوع تحية وكأسٌ كقراق الخلقِ دهاق
وذو أدب جلت صنائع كفه ولكن معاني الشعر فيه دقاق
لنا أبدأً من ثره ونظامه بدائعٌ حلّ مالهن حقاق
وأغيدمتهز على صحن خده غلائلٌ من صبغ الحياءِ رقاق
أحاطت عيونُ العاشقين بخصره فهنَّ له دونَ النطاقِ نطاق

هذا البيت من قول المتنبي :

وخصر تثبتُ الأبصار فيه كأنَّ عليه من حدقِ نطاقا
وقد مر ، ويبت السري أجود منه سبكاً ونظماً وورصفاً :

وقد نظم المنشور فهو قلادة علينا وعقدٌ مذهبٌ وحناق
وغرفتنا بين السحائب تلتقي لهن علينا كلة ورواق
تقسم زوارٌ من الهند سقفاها خفاف على قلب النديم رشاق ^(٢)

وليس في هذه الأبيات عيب إلا هذا الإيطاء، وهو من أسهل العيوب التي تعترض القوافي عندهم :

أعاجم تلتدُّ الخصام كأنها كواعبُ زنج راعهنَّ طلاق

(١) في ديوان السري «على الندى» . (٢) في الأصل (قلب الكريم رقاق).

أنسن بنا أنس الأمان تجببت
 مواصلة والورد في شجرته
 فزرفية برد الشراب لديهم
 وقلت : وليل ابتعت به لذة
 أصاب فيه الوصل قلب الجوى
 وقد خلطنا بنسيم الصبا
 واكؤس الرّاح نجوم إذا
 تضحك في الكأس أباريقنا
 كأن أعلاها إذا كفرت
 وقلت : هذا حبيب وصول
 وذاك شرخ شباب
 وقهوة وغناء
 فخذ نصيبك منه
 وشيمتها غدر بنا وابق
 مفارق إلف حان منه فراق (١)
 حميم إذا فارقهم وغساق
 وبعث فيه العقل والديننا
 وبات فيه الهم مسكينا
 نسيم راح ورياحينا
 لاحت بأيدينا هوت فينا
 وحسبا يضحكن بيبكينا
 يعقد الكأس ثلاثينا
 وذا رقيب صروم
 أغر وهو بهم
 وسامر ونديم
 فليس شيء يلدوم

وهذا من أجمع ما قيل في هذا الباب . وقال الصنوبري :

يوم ذبول مزنه
 بروقه سافرة
 فما سي ؟ سماه
 طلبت أقصى أملي
 بسيدين ارتقيا
 واتقيا في كنية
 نشربها عناء قد
 أكرم ذخر ذخر
 على الثرى منسجبه
 وشمسه منتقبه
 ضاحكة منتجبه
 منه فنلت الطالبه
 منتقبه فمنتقبه
 والتقيا في مرتبه
 قامت بحق الشربه
 من كرمه في عنبه

في مجلس أطنا به على العلا مطن به
 أكرم به يوماً مضت ساعاته المستعذبه
 كالحظة مخلوسة وقبلة مستلبه
 وقت : عندنا طيب وريحاً ن ونقله وغناء
 ومن المشروب لونا ن شموله وطلاه
 ومن اللحم خليطاً ن طيبخه وشواه
 ومن الحلواء ألوا ن أحاد وثناه
 ولنا غلمان صدق أدباء أرباء
 أرسلوا في الصحن ماءً فكان الصحن ماء
 واثنوا للحسن عدواً فواشيه رداء
 فأرشف الهمم عناءً أما الهمم بلاه
 واغتتم لذّة يوم قد تخطاه العناء
 فهو بطوبك ويمضي ليس للدنيا بقاء

و من المشهور في صفة السكارى قول بعضهم :

مشوا إلى الرّاح مشى الرّيح وانصرفوا والرّاح تمشى بهم مشى الفرازين
 غدوا إليها كأمثال السهام مضت عن القسي وراحوا كالعراجين
 وكان شربهم في صدر مجلسهم شرب الملوك وناموا كالساكين
 ومثل البيت الأول :

راحوا عن الرّاح وقد بدّوا مشى الفرازين بمشى الرّخاخ

ومما يجري مع هذا قول الآخر :

تزيد حسا الكأس السفيه سفاهة وتترك أخلاق الكريم كاهيا
 وإن أفل الناس عقلاً إذا انتشى أقلمهم عقلاً إذا كان صاحيا

ومن أحسن ما أنشد في الخيش ما أنشدناه أبو أحمد ولم يسم قائله ورأيت

بعد في ديوان السرى :

وقد نشأت بين الكؤوس غمامة
وعلى بماء الورد خيش كأنه
وقلت : ظني يروق الناظرين بأبيض
ومقوم مثل القضب مهفف
ومفرج من خده ومكفر
وبياض وجهه بالصباح مقنع
علقت أباريق المدام بكفه
وعلا دخان الندى أبيض ساطعاً
فكأنما الكاسات في حافاته

من الندى إلا أنها ليس تهطل
على جلده ثوب العروس المصنل
وبأسود وبأخضر وبأشكال
ومعوج كالصولجان محبل
ومخلق من شعره ومسائل
وسواد فرع بالظلام مكال
كالبدر يعلق بالسماك الاعزل
مثل الغمامة غير أن لم يهمل
شقر الخيول تجول تحت القسطل

ومن أبدع ما قيل في لذة الغناء قول الناجم :

شدو^١ أذو من ابتدا في العين في اغنائها

أحلى وأشهى من متى نفس وصدق رجائها

وأجود ما قيل في الاغناء إلى الغناء والسكوت له قول الآخر :

وأصغروا نحوها الأذان حتى كأنهم وماناموا نيام

ومن عجيب المعاني في الغناء قول أبي تمام :

حدتْكَ ليلة شرفتْ وطابتْ أقام سهادها^(١) ومضى كراها

سمعتْ بها غناءً كان أولى بأن يقتادَ نفسى من غناها

ومسمة تفوت السمع حسناً^(٢) ولم تصممه لا يصمم صداها

مرت أوتارها فشفقتْ وشاقتْ ولو يستطيعُ حاسدها فداها^(٣)

ولم أفهم معانيها ولكن ورت كبدى فلم أجعل شجائها

(١) في ديوان أبي تمام (شكرتك ليلة حسنت وطابت أقام سرورها).

(٢) في الديوان (يحار السمع فيها). (٣) هذا البيت سقط من النسخ

فكنتُ كأنني أعمى معنى بحبِّ الفانياتِ ولا يراها
 وكان ينبغي أن يقول (فداها حاسدها) وليس لقوله (فلا بسطيع حاسدها)
 معنى مختار. وأول من أتى بهذا المعنى حميد بن ثور ^(١) في قوله:

عجبت لها أني يكون غناؤها فصيحاً ولم تغفر ^(٢) بمنطقها فما
 ولم أرَ محقوراً لها مثل صوتها أحس وأشجى للحزين وأكلى
 ولم أرَ مثلي شاقه صوتٌ مثلها ولا عربياً شاقه صوتٌ أعجا
 ومن أحسن أوصاف العود إذا احتضن تشبيههم إياه بالولد في حجر أمه
 وتشبيهه بإصلاحه بعرك أذنه فمن أحسن ما قيل في ذلك وأجمعه قول بمضمون:
 فكأنه في حجرها ولدٌ لها ضمتُه بينَ ترائبٍ ولبان
 طوراً تدغدغ بطنه فاذا هفا عركت له أذنًا من الأذان
 ومثله قول الناجم:

إذا احتضنتُ عابثٌ عودها وناغتهُ أحسنَ أن يعربا
 تدغدغُ في مهيلِ بطنه فتسمعنا مضحكاً معجبا
 وذكر الضحك مع الدغدغة جيد.

ونظم كشاجم قول الحكماء إن العود مر كب على الطبائع الأربع فقال:
 شدتْ فجلتْ أسمعنا بمنخف يحدتها عن سرها وتحديثه
 مشاكلة أوتاره في طباعها عناصر منها أحدث الخلق محدثه
 فللتار منه الزيرُ والأرض وللريح متناهُ وللماء مثله
 وكلُّ امرئٍ يرتاحُ منه لنعمة على حسبِ الطبع الذي منه يبعثه
 شكاً ضربَ يمانها فظلتْ يسارها تطوقهُ طوراً وطوراً ترعته
 فما برحتْ حتى أرتنا مخارقاً يجاذبهُ في أحسنِ النقر عنثه

فاستدر كناه من ديوان أبي تمام. (١) الهلالي من فحول الخضر مين والمعرين.

(٢) أي لم تغفر.

وحتى حسبت البابلين القنا؟ على لفظها السحر الذي فيه تنفته
 وأجود ما قيل في اتفاق الضرب والزمر قول هرون بن علي المنجم :
 غصن على دعص نقا منها ل سعى بكأسٍ مثل لمع الآل
 وفاتنات الطرفِ والدلالِ هيف الخصورِ رجح الا كغمال
 يأخذنَ من طرانف الأرمال ومحكم الخفاف والنعال
 يجرى مع الناسِ بلا انفصال مثل اختلاط الخمر بالزلال
 يدعو إلى الصبوة كلَّ سال يصرع كلَّ فانك بطل
 ومن حرام اللهو والحلال أكرم من مصارع الأبطال
 وقال كشاجم في وصف العود والقينة وأحسن :

تميسُ من الوشى في حلةٍ تجرُّ من فضل أذيالها
 وتحملُ عوداً فصيحَ الجواب يضاهى اللحون بأشكالها
 لهُ عنقٌ مثل ساق الفتاة ودستانهٌ مثل خلخالها
 فظلت تطارحُ أوتارَه باهزاجها وبأرمالها
 وتعملُ جساً كجسِّ العروق وتلوى الملاوى بأمنالها

وقيل لرجل أى المغنين أحذق؟ قال ابن شريح كأنه خلق من كل قلب فهو
 يغنى لكل إنسان بما يشتهيهِ . وأخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر
 عن المدائني قال قال المغيرة للوليد بن يزيد بن عبد الملك أنى خارج إلى
 العراق فاستهد ما أحببت فقال إهدلى بربطا من عمل زلى فأهدى إليه عوداً وكتب
 إليه : قد بعثت به أرسح البطن أحذب الظهر صافى الوتر رقيق الجلد وثيق الملاوى
 كهيئة طاليه وملاحه محتضنه وحسن الضارب به وطرب المستمع له .

ومن أحسن ما قيل في حسن الضارب ما تقدم ذكره وهو قول الناشيء
 * وكان يمينها إذا ضربت بها * وقال ابن الحاجب :

إذا هي جستهُ حكمتُ متطبباً يجيلُ يديه في مجسِّ عروق

وقد استحسنَ الناسَ هذا البيتَ وأجازوه. وليس هو في طريقة الاختيار
 لأنَّ الطبيبَ يجسُّ بيدٍ واحدةً وكذلك الضاربُ فليسَ لذكر اليدين وجه .
 ومن جيد ما قيل في صحة عبارة العود عن الغناء قول ابن أبي عون :
 تناجيك بالصوت أوتارهُ فتوفيك السنه أحره
 وأبين منه قول الناجم :

إذا نوتَ الضربَ قبلَ الغناء أنشدنا شعرها عودها
 وقلت: رُبَّ ليلٍ كساكَ ثوبَ نعيم بينَ ساقِي وسامرٍ ونديم
 وكؤوسٍ جرَّت وراءَ كؤوسٍ وأعانتُ على طريقِ الهوموم
 ولنا مزهرٌ كمثلِ فطيم في يدي مطربٍ كأنَّ الفطيم
 وسموا صدرهُ بعاجٍ وذبل فزهتُه محاسنُ التوسيم
 مثل أرضٍ تحبَّتْ بأفاحٍ أو سماءٍ تكَلَّتْ بنجوم
 ذو ملاوٍ سودِ الفروعِ ومُحمر مثلَ أطرافِ فرحةٍ ونعيم
 ووساينٍ لانتجولُ عليه كخلائيلِ ماردٍ وظلوم
 أحر الزير أسود المِ أحوى هل رأيتم جداولَ التقويم
 ومن جيد ما قيل في سرعة الضرب والجس قول كشاجم :

وترى لها عوداً تحركهُ وكلامه وكلامها وفقاً
 لو لم تحركهُ أناملها كانَ الهواءُ بفيدهُ نطقاً
 جستهُ طالمةٌ بحالته جسَّ الطبيبِ لمدنفِ عرقاً
 فحسبتُ يَمناها تحركهُ رعداً وختلَ يمينها برقا
 وقال بعضهم في رقص:

عجبتُ من رجليه تبعانه يعلوها طوراً ويعلوانه
 كأنَّ أفعينَ تلسعانه

ومما لم يقل مثله في إزالة الخمار بمعاودة الشرب قول الأعشى :

وكأس شربت على لذبة وأخرى تداويت منها بها
كل من أخذ هذا المعنى منه مقصر في العبارة عنه ولا يجوز أن يؤتى بمثله ، قال
أبو نواس * وداوني بالتي كانت هي الداء * فحشا الكلام بما لا وجه له وهو قوله
كانت هي الداء ، وقال المجنون * ولا يتداوى شارب الخمر بالخمر * ولا يقع هذا مع
قول الأعرابي موقعاً ، ومثله قول البحترى :

تداويت من ليلى ليلي فما اشتفى من الداء من قد بات بالداء يشفى
ومن جيد ما قيل في الدنان والزقاق قول الأخطل * أناخوا نجروا شاصيات *
وقد مر . وقد أحسن ابن المعتز في صفة الدنان :

ودنان كمثل صف رجال قد أقيموا ليرقصوا دستبندا
وقال العلوي الأصفهاني في الزق :
عجبت من حبشي لا حراك به لا يدرك الثأر إلا وهو مذبح
طوراً يرى وهو بين الشرب مضطجع رغو الزقاق وطوراً وهو مشبوح
وفي ألفاظ العلوي زيادة على معناه في أكثر شعره ، وأخذ البيت الأول من
قول بشار يصف ركب المرأة :

وصاحب مطرق في طول صحبته لا ينفع الدهر إلا وهو محموم
وإن كان المعنيان مختلفين إلا أن حذو الكلامين حذو واحد . وقال ابن المعتز :
إن غدا ملآن أمسى فارغاً كأسير الرق أدى فعتق
وقال القطامي :

استودعتها رواقيداً مقيرة قد برنسن بالطين
مكافحات لحر الشمس قائمة كأنهن نبيط في بساتين
وقال آخر : تحسب الزق إذا أسندته حبشياً قطعت منه الشوى

وقال العلوي الأصفهاني يصف شراباً في ظرف خزف :

مخدرّة مكنونة قد تكشفت كراهية بين الحسان الأوانس

وأترابها يلبسن بيض غلائل هي العرى مقرور بها كل لابس
 مشعشة مرهأ ما خلت أنى أرى مغلها عنراء في زى عانس
 المعنى جيد وفي الألفاظ زيادة وليس لها حلاوة . وقال آخر في الراوق :
 كأنما للراوق^(١) وانتصابه خرطوم فيل سقطت أنيابه
 وفيه : سماء لا ذطرها رحيق رحب الذرى ينحط فيه الضيق
 ماء حقيق لو جرى العقيق حتى اذا ألهبها التصفيق
 صحنا إلى جيراننا الحريق

وأنشد أبو عثمان :

فبت أرى الكواكب دانيات ينلن أنامل الرّجل القصير
 بالكفين عنى وأمسح عارض القمر المنير
 أبو حكيم فمن حكمت كأسك فيه فاحكم له باقالة عند العثار . ؟ في ضعف السكر :
 فديتك لو علمت بضعف سكرى لما سقيتني إلا بمسعط
 بحسبك أن خارا يجني أمره يبابه فأكاد أسقط^(٢)
 ولا بن الرومي في نبيذ حامض :
 قد لعمرى اقتصصت من كل ضرر كان يجني عليك في رغفانك
 قد ردّ دناه فأتخذه لسكبا جك والنائبات من أدقانك
 واتخذه على خوانك خلا^(٣) فهو أولى بالخلل من إخوانك
 أضرستنا حوضه فيه تحكي رعدة^(٤) تعتريك من ضيفانك
 معنى آخر : إسقني بالكبير أو كبير إنما يشرب الصغير الصغير
 لا يفرنك يا عبيد خشوعى تحت هذا الخشوع فسق كثير

(١) الراوق : ناجود الشراب الذي يروق به ، والكأس بعينها .

(٢) نسبها التعلابي في النهاية لابن لئك باختلاف في بعض الألفاظ .

(٣) في ديوان ابن الرومي (أدماً) . (٤) في ديوانه (ضجرة)

وكان ابن عائشة ينشد :

لما رأيتُ الحظَّ حظَّ الجاهل
ولم أرَ المغبونَ غيرَ العاقل

رحلت عنا من كروم بابل

فبتُّ من عقلي على مراحل

وقال غيره في نبيذ الدبس :

عنى أحمد من الدوشاب
لو ترانى وفى يدى قدحُ الدو

شربة نفضت سوادَ الشباب
شاب أبصرتَ بازياً فى غراب

وقال بعضهم فى كيزان الققاع :

لستُ بناف خمار مخمور
يطيرُ عن رأسه القناع إذا

إلا بصافى الشرابِ مقرر
نفست عنه خناق مزور

يميلُ أعلاهُ وهو منتصبٌ

كأنه صولجانٌ بلور

وقلت : وأبيض فى أحشاء خضر كأنها

قصارُ رجال فى المسول قعود

وقال بعضهم فى الطنبور :

مخطف الخصر أجوف
أنطقتهُ يدا فتى

جيدُهُ نصفُ سائرهِ
فأنى اللحظِ ساهرهِ

فخكى عن ضميره

ماجرى فى خواطرهِ

وقال آخر فى المعزفة :

معلنة الأوتارِ صخابةٌ
مكسوةٌ أحشاؤها حلةٌ

لها حنينٌ كحنينِ الغريب
بيضاء من جلدِ غزالِ ريب

كأنما نسمه أوتاره

نصبن أشراكاً لصيد القلوب

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الحمد لله الذي جعل السماء سقفاً محفوظاً شيد بنيانها ووثق أركانها فأمنها من
 التهافت وبرأها من التفاوت فأرجع البصر هل ترى من فطور ثم أرجع البصر
 كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير وصير لونها أوفق الألوان لا بصر
 الناظرين وأحلاها في أنفس المتوسمين وحبها بالنجوم وطرزها بالرجوم وبيض
 أعلام صبحها وسود ذوائب ليلها وجلا غرة شمسها ومسح صفحة قمرها وقدره في
 منازلته وخالف بين مناظره لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق .
 وصلى الله على سيدنا محمد سيد الأنبياء وأكرم الأصفياء وعلى عترته وأصحابه المختارين
 وسلم تسليماً كثيراً .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

(في وصف السماء والنجوم والليل والصبح والشمس والقمر)

وما يجري مع ذلك : وهو

﴿ الباب السادس من كتاب ديوان المعاني - ثلاثة فصول ﴾

﴿ الفصل الأول ﴾

في ذكر النجوم

أحسن ما قيل في النجوم من الشعر القديم قول امرئ القيس :

نظرتُ إليها والنجومُ كأنها مصايحُ رهبان تشبُّ لَقْفَالُ (١)

(١) تشب : أي توقد ، والقفال : الراجعون من السفر .

وقول الآخر :

سرينا بليل والنجوم كأنها قلادة درر سل عنها نظامها
وقد أصاب القائل التشبيه في قوله :

ورأيت السماء كالبحر إلا أن مرسوبه من الدر طافي
فيه ما يملأ العيون كبير وصغير ما بين ذلك خافي

المعنى جيد وليس للألفاظ رونق . وقال ابن طباطبا في معناه :

أحسن بها لججاً إذا التبس الدجى كانت نجوم الليل حصباءها
وأحسن من هذا كله لفظاً وسبكاً مع إصابة المعنى قول ابن المعتز :
كان سماءها لما تجلت خلال نجومها عند الصباح
رياض بنفسج خضل نداء تفتح بينها نور الأقاحي

إلا أنه مضمن . وقلت :

لبسنا إلى الحمار والنجم غائر غلالة ليل بالصباح مطرر
كان يياض النجم في خضرة الدجى تفتح ورد بين رند^(١) وعبقر
وقلت : كم سرور زرعت بين الندامى وهموم طردت بين الكؤوس
وتلوح^(٢) النجوم في ظلمة الليل كعاج يلوح في ابنوس
وقلت : بليل كما ترفو الغزالة أسود على أنه من نور وجهك أبيض
كواكب زهره وصفره كأنها قبائع منها مذهب ومفضض
وفي النجوم ما هو أبيض ومنها ما هو أصفر وأحمر فشبه الأبيض بقبيعة
مفضضة والأصفر والأحمر بالمذهبة والذهب بوصف بالحمرة والصفرة ، ومثل هذا
التمييز قليل في الشعر . وقال ابن المعتز :

(١) الرند : شجر طيب الرائحة .

(٢) في هامش الأصل : ما عليه لو قال « وياض النجوم » لتم المقابلة ويخلص

من تكلف « وتلوح » .

وخلت نجوم الليل في ظلم الدجى خصاصاً أرى منه النهار نقابا
 وقد أحسن الناشيء القول في اشتباك النجوم والتفافها حيث يقول:
 وردت عايبها والنجوم كأنها كتائب جيش سوّمت لكتائب
 وقلت: وأنجم كزبرج في شهب كالشهب تجرى في خلال خطب
 والخور ترنو من خلال الحجب

ومن أحسن ما قيل في الثريا قول امرئ القيس:

إذا ما للثريا في السماء تعرضت تعرضاً أثناء الوشاح المفصل
 وقد استحسّن الناس هذا البيت في صفة الثريا على قديم الدهر وقدموه، ثم
 قال بعضهم وهو معيب لأنّ التعرض إنما هو أن يبدي لك عرضه أي جانبه قال
 والثريا تشق وسط السماء شقاً. وقالوا أحسنه قول ذى الرمة:

وردت اعتسافاً والثريا كأنها على قمة الرأس ابن ماء مخلق
 وقالوا أحسنه قول ابن الطثرية:

إذا ما للثريا في السماء كأنها جمانٌ وهي من سلكه فتبددا
 أنشد عبد الملك بن مروان هذا البيت فقال ما هي بمتبددة واسكنها مرصوفة.
 قال أبو هلال: وإنما أرادها عند غروبها وهي متبددة عند الغروب، وامرؤ القيس
 أيضاً أرادها حين تغيب لأنها حينئذ تنحرف من وسط السماء إلى جانب، وأحسن
 الوصف ما يتضمن أكثر صفات الموصوف، والوشاح وابن الماء إنما شبها بها من جهة
 البياض فقط. وأخذ معنى ابن الاسلت بعض المحدثين فقال:

قد انقضت دولة الصيام وقد بشر سقم الهلال بالعيد
 تبدو الثريا كفاغر شره يفتح فاه لأكل عنقود
 والأول أجود لذكر وهذا ذكر العنقود ولم يصفه وقد يكون العنقود أسود
 أو أحمر. وكان أبو عمرو بن العلاء: يقول أجود ما قيل فيها قول الآخر:

ولاحت لساربيها الثريا كأنها على الأفق الغربي قرطٌ مسلسل
أخذه ابن الرومي فقال :

طيب طعمه^(١) إذا ذقتَ فاهُ والثريا في جانبِ الغربِ قرط
وقد قصر عن الأول أيضاً ، ومثله قول أبي فضلة :

وتأملتُ الثريا في طلوع ومغيب

فتخيرتُ لها التشبيهَ بالمعنى المصيب

فهي كأسٌ في شروقٍ وهي قرطٌ في غروب^(٢)

وقلت : شربنا والنجوم مغفرات تمرُّ كما تصدعت الزخوف

وقد أصغت إلى الغرب الثريا بوالد لو يسلمها الضعيف

وأجود ما قال فيها محدث عندي قول بعضهم :

كأنَّ الثريا هودجٌ فوقَ ناقةٍ يسيرُ بها حادٍ من الليل مزعج

وقد لمعت بينَ النجوم كأنها قواريرُ فيها زئبقٌ يترجرج

وتروى لابن المعتز ، وفي ألفاظ البيتين زيادة على معناهما ، وقال مخلص الموصلي :

وترى النجوم المشرقات كأنها دررُ العصابة

وترى الثريا وسطها وكأنها زردُ الذؤابة

وزرد الذؤابة يشبه نجومها وتأليفه يشبه تأليفها فهو تشبيه مصيب . وقال ابن المعتز :

فناولنيها والثريا كأنها جنى نرجس حيا الندامى به الساقى

قالوا لو قال باقة نرجس كان أتم ، فقلت :

أراعى نجومَ الليل وهي كأنها نواظرُ ترنو (نحو) رافع سندس

كأنَّ الثريا فيه باقة نرجس وما حولها منهنَّ طاقات نرجس

(١) في ديوان ابن الرومي (طيب ريقه) . (٢) في هامش الاصل : وقد وصفها

الصنوبرى على كل حالاتها فقال :

في الشرق كأسٌ وفي مغاربها قرطٌ وفي أوسطِ السماء قدم

وأشدني بعض العمال :

رُبَّ لَيْلٍ قَطَعَتْهُ بِفَنُونٍ مِنْ غِنَاءٍ وَقَهْوَةٍ وَمُجُونٍ
وَالثَّرِيَا كَنَسُوهُ خَفَرَاتٍ قَدْ تَجَمَّعْنَ لِلْحَدِيثِ الْمَصُونِ
وقد أحسن وأطرف . وقد أصابَ القائلُ بعضَ وصفها في قوله
○ كأن الثريا حلة النور منخل ○ وقال ابن المعتز :

ألا فاسقتهما والظلامُ مقوِّضٌ وخيلُ الدُّجَى نحرَ المغاربِ تركِضُ
كأنَّ الثريا في أواخرِ ليلِها تفتحُ نُورَ أو لجامٍ مفضِضُ
وشبهت بالقدم ، قال ابن المعتز :

قَمٌّ يَا نَدِيمِي نَصْطَبِحُ بِسَوَادٍ قَد كَادَ يَبْدُو الصَّبْحُ أَوْ هُوَ بَادٍ
وَأَرَى الثَّرِيَا فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهَا قَدَّمَتْ تَبَدَّتْ فِي ثِيَابِ حَدَادٍ
وَقَلْتُ: كَأَنَّ نَهْوَضَ النَجْمِ وَالْأَفْقَ أَخْضَرَ تَبْلِجُ كَسْفَرٍ تَحْتَ خَضْرَاءِ شَارِبٍ
وَقَلْتُ: تَلُوحُ الثَّرِيَا وَالظَّلَامُ مُقْطَبٌ فَيَضْحَكُ مِنْهَا عَنْ أَغْرٍ مَفْجِجٍ
تَسِيرُ وَرَاءَ وَالْهَلَالُ أَمَامَهَا كَمَا أَوْمَأَتْ كَفَّ إِلَى نِصْفِ دَمَلِجٍ
وَقَلْتُ: شَمْسٌ هَوَّتْ وَهَلَالٌ أَلْفَقَ يَتْبَعُهَا كَأَنَّهَا سَافِرٌ قَدَّمَامٌ مَتَقَبٌ
تَبْدُو الثَّرِيَا وَأَمْرُ اللَّيْلِ مَجْتَمِعٌ كَأَنَّهَا عَقَرَبٌ مَقْطُوعَةٌ الذَّنْبُ
وأحسن ما قيل فيها عند طلوع الفجر قول الآخر :

وَكَأَنَّ الصَّبْحَ لَمَّا لَاحَ مِنْ تَحْتِ الثَّرِيَا
مَلِكٌ أَقْبَلَ فِي التَّاجِ يُفْدَى وَيُحْيَا
وَقَلْتُ: وَبِالثَّرِيَا أَمْرُ الْخُودِ كَالنَّارِ لَا تَسْعَفُ بِالْوَقُودِ
فِي أَنْجَمِ كَرَبْرَبٍ فِي يَدِ يَلُوحُ فِي التَّصْوِيبِ وَالتَّصْعِيدِ

كشرفات فدن مشيد

وَقَلْتُ: قَمٌّ بَدَّ نَظْرُ دُ الْهَمُومِ بِكَأْسِ وَالثَّرِيَا لِمَفْرِقِ اللَّيْلِ تَاجُ
وَقَدْ انْجَرَّتِ الْمَجْرَةُ فِيهِ كَسَبِيبٍ يَمُدُّهُ نَسَاجُ

وقال العلوى الأصفهاني في حسن الاستعارة :

رُبَّ لَيْلٍ وَهَتْ لَأَلَى دُمُوعِي فِيهِ حَتَّى وَهَتْ لَأَلَى الثَّرِيَا
وَرَدَاءُ الدُّجَى لَيْسَ دَرِيْسٌ بِيَدِ الصَّبْحِ وَهُوَ يَطْوِيهِ طِيَا
وشبه أبو فراس الثريا بالفخذ من النمر وهو من المقلوب لأن أنجم الثريا بيض
والنقط على فخذ النمر سود . وقال السري :

تَرَى الثَّرِيَا وَالبَدْرَ فِي قَرْنِ كَمَا يَحْيَا بِنَجَسِ مَلِكِ
أَجُودِ مَاقِيلِ فِي الجُوزَاءِ مِنَ الشَّعْرِ القَدِيمِ قَوْلِ كَعْبِ الغَنَوِيِّ (١) :
وَقَدْ مَالَتِ الجُوزَاءُ حَتَّى كَانَهَا فِسَاطِيطُ رُكْبٍ بِالفَلَاحَةِ نَزُولِ
وَلَوْ شَبَّهَا بِفِسَاطِطِ وَاحِدٍ كَانَتْ شَبَّهُ . وَمِنْ شَعْرِ المَحدثِينَ قَوْلُ ابْنِ المَعْتَزِ فِيهَا وَفِي الثَّرِيَا :
وَقَدْ هَوَى النَجْمُ وَالجُوزَاءُ تَبَعَهُ كَذَاتِ قِرطِ أَرَادَتْهُ وَقَدْ سَقَطَا
مَعَ أَنَّ المِصْرَاعَ الأَخِيرَ غَيْرَ مُخْتَارِ الرِّصْفِ ، وَالنَّجْمُ اسْمٌ مَخْصُوصَةٌ بِهِ الثَّرِيَا .
وَقَالَ فِيهَا وَفِي الشَّعْرَى العَبُورُ :

وَلَا حَتَّ الشَّعْرَى وَجُوزَاؤُهَا كَمَثَلِ رُمَحِ جَرَّةٍ رَامِحِ
وَقَلْتُ : سَقَانِي وَالجُوزَاءُ بِمِجْكِ شَرِّ رِقْمَا طِفْوًا غَرِيْقِي فَوْقَ مَاءِ مَطْحَلِبِ
وَهَذَا وَصَفَهَا عِنْدَ طُلُوعِهَا . وَقَلْتُ فِيهَا حِينَ تَوْسُطِ السَّمَاءِ :

شَرَّبْتَهَا وَالبَّيْلُ مُسْتَوْفِزٌ يَجْرُ فِي جَلْبَابِهِ كَوَكْبِهِ
كَأَنَّمَا الجُوزَاءُ رَقَاصَةٌ تَرْقِصُ فِي مَنْطِقَةِ مَذْهَبِهِ
كَأَنَّمَا الجُوزَاءُ طِبَالَةٌ تَحْتَضِنُ الطَّبْلَ عَلَى مَرْقَبِهِ

وَقَلْتُ فِيهَا عِنْدَ غُرُوبِهَا :

إِسْقِنِيهَا وَالبَّيْلُ فَرْعُ عُرُوسِ زَيْنُوهُ بَدْرَةٌ وَجَمَانُهُ
وَكَأَنَّ الجُوزَاءَ حِينَ تَهَاوَتْ فَارِسٌ مَالٌ عَنِ سِرَاةِ (٢) حِصَانِهِ
وَقَالَ آخَرَ : وَكَأَنَّ الجُوزَاءَ وَاتْرُقُومِ أَخَذُوا وَتَرَهْمُ بِقَطْعِ يَدَيْهِ

(١) من بني غني، وهو في الطبقة الثانية من شعراء الجاهلية. (٢) سراة كل شيء: أعلاه.

وقد استحسن قول العلوي الاصفهاني فيها :
وتلوح لي الجوزاءُ سكرى كلما ناءتُ بها الجرباءُ كادتُ تنثنى
ونطاقها متراصفٌ في نظمه فكأنما انتطقتُ بقطعة جوشن
الجرباء اسم للسماء ، وفي الفاظها تسكاف كما ترى والمعنى جيد .
وقلت : وليل أسود الجلبابِ داج كقفرع الخودِ أوعينِ الغزالِ
كأنَّ كواكبَ الجوزاءِ فيه زميلةٌ ^(١) مفعجة السبزال
تميس بالخلي قرط الثريا إذا انخفضتُ وتوج بالهلل
ركبت صدورهُ وتركت خيلي توالى تحت أنجمه التوالى
ويخبطن الصباح إذا تبدى كما يكرعن في المساء الزلال
ومن ظريف ما قيل في الشعرى قول عبد العزيز بن عبد الله بن طاهر :
أقول لما هاج شوقُ الذِّكرى واعترضتُ وسط السماء الشعرى
كأنها ياقوتةٌ في مدرى ما أطولَ الليلَ بسرِّ مرى
وقد أكثروا من وصفها بالعبير وأخذوا ذلك من اسمها وهو العبور .
أحسن ما قيل في سهيل وبعده من الكواكب قول بعضهم :
ولاح سهيلٌ من بعيدٍ كأنه شهابٌ ينحيه عن الرُّمح قابسٌ
وقال ابن المعتز :

وقد لاح لسارى سهيلٌ كأنه على كلِّ نجمٍ في السماء رقيبٌ

وأجود ما قيل في خفقانه واضطرابه قول جران العود :

أراقبُ محلاً ^(٢) من سهيلٍ كأنه إذا ما بدا من آخر الليل مطرف ^(٣)

وقلت : وبسهيل رعدةُ المزوود ^(٤) وهو من الأنجم في محيدٍ

حلَّ محلَّ الرَّجَلِ الطريدِ

(١) في نسخة « زميرة » . (٢) في ديوان جران العود « أراقب لوحاً » .

(٣) في ديوانه « بطرف » . (٤) أى المزعور .

وقال ابن طباطبا في المعنى الأول :

كأن سهيلاً والنجوم أمامه يعارضها راع أمام قطيع

أجود ما قيل في النسب الواقع قول الحماني :

وركب ثلاث كالأثافي تعاوروا دُجى الليل حتى أو مضت سنة البدر
إذا اجتمعوا سميتهم باسم واحد وإن فرقوا لم يعرفوا آخر الدهر
وهو من الغز المليح . ومن جيد ما قيل في الفرقدين قول ابن المعتز :
ورنا إلى الفرقدان كآرنت زرقاء تنظر من نقاب أسود
وفي الهجرة قول بعضهم :

كأن الهجرة جدول ماء نور الاقاح في جانبه

وقال ابن طباطبا :

مجرة كالماء إذ ترققا شقت بها الظلماء برداً أزرقا
لباس ثكلى وشيها المشققا

ونقله إلى موضع آخر فقال :

كأن التي حول الهجرة أوردت لتكرع في ماء هناك صيب
فوجدته متكلفاً جداً فقلت في معناه :

ليل كما نفض الغراب جناحه متبعم الأعلى بهيم الأسفل
تبدو الكواكب من فنون ظلامه لمع الأسننة من فتون القسطل
وترى الكواكب في الهجرة شرعاً مثل الظباء كوارعاً في جدول
وقلت : تبدو الهجرة منجر ذوائبها كالماء ينساح أو كالإيم ينساب
وزهرة بازاء البدر واقفة كأنه غرضه ينحوه نشاب

أغرب ما قيل في صفة الهلال من الشعر القديم قول الأعرابي :

كأن ابن مزته جانحاً قسيط لدى الأفق من خنصر

أي كأن ابن مزته وهو الهلال لدى الأفق قسيط من خنصر والقسيط القلامة

وهذا البيت على غاية سوء الرصف . وقد أخذه ابن المعتز فحسنه في قوله :
 ولاح ضوء هلال كاذب بفضحه مثل القلامة قد قدت من الظفر
 وقال ابن طباطبا :

وقد غمض الغرب الهلال كأنما يلاحظ منه ناظر ذات أشفار
 كأن الذي أبقى لنا منه أفقه قصيص سوارٍ أو قرأضة دينار
 ولا خير في رصف قوله * كأن الذي أبقى لنا منه أفقه *

ومن غريب ما قيل فيه وعجيبه قول ابن المعتز :
 إذا الهلال فارقته ليلته بدا لمن يبصره وينفته
 كهامة الاسود شابت هامته

قد سبق إلى هذا المعنى ولم يأخذه من أحد أعرفه ، ونقله إلى موضع آخر فقال :
 وقد بدا فوق الهلال كرته كهامة الاسود شابت لحيته
 ومن أطرف ما قيل فيه قوله أيضاً :

أهلاً بفطرٍ قد أنارَ هلاله فالآن فاغدُ إلى المدام وبكر
 وانظر اليه كزورقٍ من فضة قد أثقلته حمولةٌ من عنبر
 وقال : في ليلة أكل الحاق هلالها حتى تبدى مثل وقف العاج
 وقلت : لست من عاشقٍ أضلَّ السبيلا فسقى دمه الهطول طولاً
 برد الليل حين هبت شمالاً فجمعت الصلاة فيها الشمولا
 في هلال كأنه حية الرمسلي أصابت على البقاع مقيلا
 بات في معصم الظلام سواراً وعلى مفرق الدجى إكليلا
 وقلت : وكؤوس اذ ادجى الليل أسرت تحت سقف مرصع باللجين
 وكأنَّ الهلالَ مرآة تير تنجلي كلَّ ليلةٍ أصبعين

هذا البيت يتضمن صفة من لدن هو هلال إلى أن يتم . وقلت في هلال شهر رمضان :
 جلبب المجاعة ضامرٌ بخل قد خلت فيه لضعفه سلا

طفلٌ وسكنَ أمرُهُ عجبٌ قد عاد بعد كهولةٍ طفلاً
 قد كانَ حملَ ليلتينِ قلمٌ ترَ مثله طفلاً ولا حملاً
 ومن العجائب أن يعودَ فتى في سبع عشرة ليلةً كهلاً
 وقال السري :

قم يا غلامُ فها هنا في كأسها كالجلنارةِ في جنى نسرين
 أو ما رأيت هلالَ شهرِك قد بدا في الأفقِ مثل شعيرة السكين
 جعل الزجاج كأساً ولا يقال كأس إلا إذا كانت مملوءة ، ولا أعرفه سبق إلى هذا التشبيه . وقال بعضهم :

والجوُّ صافٍ والهلالُ مشنفٌ بالزهرة الزهراءِ نحو المغرب
 كصحيفةٍ زرقاءَ فيها نقطةٌ من فضةٍ من تحت نون مذهب
 جعل النقطة تحت النون والعادة أن تكون فوقها .

وقلت : والبدر زين للعيون هلاله فرمقن منه حاجباً مقرونا
 يبدو ويبدو النجمُ فوقَ جبينه وكأنَّ جنحَ الليلِ ينقطُ نونا
 وقد استحسنت للعلوى الأصفهاني قوله :

لاحَ الهلالُ فُويقَ مغربه والزهرةُ الزهراءُ لم تغب
 تهوى دوين مغيبها فهوت تبكي بدمع غير منسكب
 فسكانها أسماء باكية عند انفصام سوارها الذهب

ومن البديع قول الآخر :

لم أنس دجلةً والهوى مُتضرمٌ والبدرُ في أفق السماءِ مُغربٌ
 فسكانها فيه رداءٌ أزرقٌ وكأنه فيها طرازٌ مُذهبٌ

حق الدجى ان تؤنث لانها جمع دجية . وقلت :

كأن الهلالَ الشهرِ قطعة دملج تلوح على أعضاء معتكر غاس
 ترى الزهرة الزهراء تهوى وراءه كما مرَّ سهمٌ قاصدٌ نحو قرطاس

ومن أجود ما سمعته في الليلة المقمرة ما أنشدنيه أبو أحمد :

هل لك في ليلة بيضاء مقمرة كأنها فضة ذابت على البلد
وقلت: كم قد تناولت اللذائذ من كذب والدَّهر مسكونُ الحوادث والنوب
في ليلة قراء تحسب أنها تلتقى على الآفاق أردية قصب
ومن البديع قول ابن المعتز :

ماذاقت طعم النوى لوتدرى كأنما جنبي على جمر
في قمر مشرق نصفه كأنه مجرفة العطر
فريسة البق منهوشة قد ضعفت كفي عن النصر
وقال في ذم القمر :

وبات كما سرَّ أعداؤه إذا رام قوتا من النوم شد
تعززه شررات البعوض في قمرٍ مثل ظهر الجرذ

﴿ الفصل الثاني من الباب السادس ﴾

(في ذكر ظلمة الليل وطوله وقصره وما يجري مع ذلك من سائر أوصافه)

فمن أحسن ذلك قول ذى الرمة :

وليل كجلباب العروس ادرعته^(١) بأربعة والشخص في العين واحد
أحمُّ علافيٍّ وأبيض صارمٌ وأعيسٌ مهريٌّ وأروع ماجد^(٢)
فأخذه ابن المعتز ونقله إلى ماهو أظرف لفظاً منه وهو قوله :

وليل كجلباب الشباب قطعته بفتيان صدق يملكون الأمانيا

جلباب الشباب أظرف من جلباب العروس .

(١) في الأصل (ودعته) والتصحيح من ديوان ذى الرمة .

(٢) أحم : أسود يعني الرجل ، علافي : منسوب إلى علاف حي من العرب يعملون
الرحال ، والأعيس : الأبيض يعني بعيره ، والمهري منسوب إلى المهرة حي من اليمن .

قالوا من أبلغ ما قيل في ظلمة الليل قول مضر بن ربيعي^(١).

وليل يقول الناس من ظلمته سواء صحيجات العيون وعورها
 كأن لنا منه بيوتاً حصينة مسوح أعاليها وساج كسورها^(٢)
 وقريب من هذا قول الأعرابي : خرجنا في ليلة حندس قد ألتت على الأرض
 أكارعها فمحت صورة الأبدان فما كنا نتمعارف إلا بالأذان . وقلت في هذا المعنى :

وليلة كرجائي في بني زمني مسودة الوجه منسوباً إلى الفحيم
 سدت على نظر الرائي منهجه حتى تعارفت الأشخاص بالكلم
 لا أسأم الجهد فيها أن أكابده ولا ترى صاحب الحاجات ذا سأم
 أحاول النجح في أمر أزاوله والنجح في دلجات الأينق الرسم
 ومن جيد التشبيه قول أبي تمام :

إليك هتكنا جنح ليل كأنه^(٣) قد اكتحلت منه البلاد بالثمد
 أخذه من قول أبي نواس :

أين لي كيف صرت إلى حريمي وجنح الليل مكتحل بقمار
 وقول أبي تمام أجود لأن الاكتحال بالثمد لا بالقار ، وأظرف ما قيل في ذلك
 قول مسلم بن الوليد :

أجدك ما تدرين أن رب ليلة كأن دجاها من قرونك تنشر
 صبرت لها حتى تجلت بغرة كغرة يحيى يوم يذكر جعفر
 وقد طرف القائل في قوله :

لا تدعني لصبوح إن الغبوق حبيبي
 فالليل لون شبابي والصبح لون مشبي

ومن الاستعارة قول ذى الرمة :

(١) نسب البيتان في زهر الآداب إلى ابن محكان السعدي . (٢) في زهر الآداب
 (مسوحاً أعاليها وساجاً) . (٣) كذا في ديوان أبي تمام ، والذي في الأصل (كأنما) .

وَدَوِيَّةٌ مِثْلُ السَّمَاءِ عَسَفْتَهَا وَقَدْ صَبَغَ اللَّيْلَ الْحَمَى بِسَوَادٍ^(١)
أَخَذَهُ الْبَحْتَرَى فَقَالَ وَقَصْرُ :

عَلَى بَابِ قَنْسَرِينَ وَاللَّيْلُ لَأَطِخُ^٢ جَوَانِبُهُ مِنْ ظُلْمَةِ بَمْدَادٍ
لَيْسَ الْبَيْتُ عَلَى السَّكَةِ الْمُخْتَارَةِ وَقَوْلُهُ (لَأَطِخُ جَوَانِبَهُ مِنْ ظُلْمَةِ بَمْدَادٍ) مِنْ بَعِيدِ
الاسْتِعَارَةِ . وَأَخَذَ ابْنُ أَبِي طَاهِرٍ قَوْلَ مُسْلِمٍ ° كَأَنَّ دَجَاهًا مِنْ قُرُونِكَ تَنْشُرُ * فَقَالَ :

سَقْتَنِي فِي لَيْلٍ شَبِيهٍ بِشَعْرَهَا شَبِيهَةً خَدَّيْهَا بِغَيْرِ رَقِيبٍ
فَرَوَعَ بَعِيدًا عَنْهُ وَاخْتَلَفَ فِي النِّظْمِ وَأَقْلَقَ الْقَافِيَةَ . وَقَلَّتْ فِي مَعْنَاهُ :

تَسْقِيكَ فِي لَيْلٍ شَبِيهٍ بِفَرْعِهَا شَبِيهًا بِعَيْنَيْهَا وَشَكْلًا بِخَدَّيْهَا
فَتَسْكُرُ مِنْ عَيْنٍ وَكَأْسٍ وَوَجْنَةٍ تَحْيِيكَ أَعْقَابَ الْكُؤُوسِ بِوَرْدِهَا

وَمِنْ الْبَدِيعِ فِي هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَزِ :

أَرَقْتُ لَهُ وَالرَّكْبُ مِيلَ رُؤُوسِهِمْ يَخْوَضُونَ ضَحَضَاحَ الْكِرَى وَبِهِمْ قَرُّهُ
عَلَامُهُمْ جَلِيدُ اللَّيْلِ حَتَّى كَانَهُمْ بَرَاةٌ تَجَلَّى فِي مَرَاqِبِهَا قَمَرُهُ
إِلَى أَنْ تَعْرَى النُّجُومُ مِنْ حُلَّةِ الدُّجَى وَقَالَ دَلِيلُ الْقَوْمِ قَدْ نَقَبَ الْفَجْرُ
وَقَدُوا أَدِيمَ الْفَجْرِ حَتَّى تَرَفَعَتْ ° لَهُمْ لَيْلَةٌ أُخْرَى كَمَا حَوْمُ^(٢) النَّسْرِ
وَقَالَ دِيكُ الْجَنِّ :

سِيرَضِيكَ أَنِّي مَسَخَطُ فَيْكَ كَأَشْحَاءِ وَمَرْتَبُ هَوْلَانَ مَوْتِ مَرْقَبُ
وَجَانِبِ لَيْلٍ لَوْ تَعَلَّقَ قِطْعَةً بِقِطْعَةِ صَبْحٍ لَأَنْتَتْ ° وَهِيَ غَيْهَبُ
وَقَلْتُ : وَمَدَّ عَلَيْنَا اللَّيْلُ مُنَوَّبًا مَنَمَقًا وَأَشْعَلَ فِيهِ الْفَجْرُ فَهَوَّ مَحْرَقُ
وَصَبَحْنَا صَبْحًا كَأَنَّ ضِيَاءَهُ ° نَعْلَمُ مِنْهَا كَيْفَ يَبْهَى وَيَشْرَقُ
وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

نَخَلْتُ الدُّجَى وَاللَّيْلُ قَدَّمَتْ خَيْطَهُ رَدَاءً مَوْشَى بِالْكَوَاكِبِ مَعْلَمًا
وَهُوَ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى (الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ)

(١) فِي الْأَصْلِ نَصْحِيفٍ صَحْحَنَاهُ مِنْ دِيْوَانِهِ . (٢) فِي دِيْوَانِ ابْنِ الْمُعْتَزِ (حَلَقٍ) .

ومن أتم أوصاف الظلمة الذي ليس في كلام البشر مثله قول الله عز وجل
 (أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجْبِيٍّ يُغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ
 سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ) وقال الأصفهاني العلوي:
 وَرُبَّ لَيْلٍ بَاتَتْ عَسَاكِرُهُ تَحْمِلُ فِي الْجَوِّ سَوْدَ رَايَاتٍ
 لَامِعَةٍ فَوْقَهَا أَسْنَتُهَا مِثْلَ الْأَزَاهِيرِ وَسَطَرَوَاتٍ
 ولست أورد أكثر شعره إلا لاصابة معناه دون لفظه لأن أكثر لفظه متكاف
 وجل صنعته فاسد وهذا من العجب لأنه من أكثر الناس نقداً لشعر غيره وقد
 صنف كتاب عبار الشعر فأجاده وهو إذا أراد استعمال ما ذكرناه لم يكمل له
 فهو كالمن يشخذ ولا يقطع .

ومن أحسن الاستعارة في ذكر الليل قول ابن أبي فنين:

أقولُ وجنحُ الدُّجَى ملبدٌ ولليل في كلِّ فجاجٍ يدٌ
 ونحنُ ضجيجان في مسجدٍ فلاله ماضن المسجد
 أياليلة الوصل لا تنفدى كما لييلة الهجر لا تنفد
 وياغدُ إن كنت لي راحماً فلا تدن من ليلتي ياغد

وقال السري:

وشرُّ الصبحِ عنا الليلُ فاتضحت سطورهِ البيضُ في راياته السود
 وقلت: ليل كفرع الخود تخلفه ضحى زهراءُ مثل عوارض الزهراء
 عبقث بأنفاس الرِّياض كأنما نفص الرِّقيب غلالة الدلتاء
 وقلت: والليلُ يمشي مشيةً الوثيد في الخضرِ من لباسهِ والسود
 والصبحُ في أخراه ثانی الجيد

فأما أجود ما قيل في طول الليل من الشعر القديم فقول امرئ القيس:

وليل كوج البحر^(١) أرخى سدوله على أنواع الهموم ليلتي

(١) أي كوج البحر في شدة ظلمته .

فقلت له لما تمطى بصلبه ^(١) وأردف أعجازاً وناء بكل كل
 ألا أيها الليل الطويلُ ألا انجلُ بصبحٍ وما الاصبحُ منك بأمثل
 وهذا من أفصح الكلام وأبرعه إلا أن فيه تضييماً يلحق به بعض العيب
 وهو من أدل شيء على شدة الحب والهم لانه جعل الليل والنهار سواء عليه فيما
 يكابده من الوجد والحزن وجعل النهار لا ينقصه شيء من ذلك وهذا خلاف العادة
 إلا أنه دخل في باب الغلو . والذي أخبرنا بما في العادة الطرماح في قوله :

ألا أيها الليلُ الطويلُ ألا اصبحُ بصبحٍ وما الاصبحُ منك بأروح
 فهذا معنى قول امرىء القيس ، ثم استدرك فقال :
 على أنَّ للعينين في الصبحِ راحةً بطرحيهما طرفيهما كلَّ مطرح
 فجاء بما لا يشك أحد في صحته إلا أن لفظه لا يقع مع لفظ امرىء القيس
 موقعاً والتكلف في قوله * بطرحيهما طرفيهما كل مطرح * بين والكرهه فيه ظاهرة .
 وقال ابن الدمينه في معنى قول الطرماح :

أظللُ نهارى فيكم متعللاً ويجمعنى والهم بالليلِ جامع
 وقال المجنون :

يضمُّ إلى الليلِ أطفالَ حبها ^(٢) كما ضمَّ أزرارَ القميصِ البنائِقُ
 جعل ما ينشأ من الهم بالليل أطفالا ، وفي هذا المعنى يقول النابغة :
 كلينى لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطيء السكواكب
 تطاول حتى قلتُ ليس بمنقضٍ وليل الذى يرعى النجوم ^(٣) بآيب
 وصدرٍ أراح الليل عازباً همه تضاعف فيه الحزن من كل جانب

(١) وفي رواية « بجوزه » وهو ضعيف المعنى . (٢) في الاصل
 « حبكم » وفي اللسان « حبها » وقال فيه : يروى « أثناء حبها » ويروى « أبناء
 حبها » وأراد بالاطفال الاحزان المتولدة عن الحب . (٣) في ديوان النابغة
 « يهدى النجوم » وهو الذى يتقدمها .

فجعل الهم يأوى إلى قلبه بالليل كالنعم العازبة تريحها الرعاة مع الليل إلى
 أما لكنها ، وهو أول من ذكر أن الهموم تتزايد بالليل . وقلت :

وذكر نيه البدرُ والليل دونهُ فبات بحدَّ الشوق والصبر يلعب
 كذكرى الحى والحى فى منعج اللوى وذاكر الصبا والرأس أخلس أشيب
 فأزادُ فى جنح الظلام صبايةً فلا صعبَ إلا وهو بالليل أصعبُ
 وقلت نورأيتُ الهمومَ بالليلِ أدهيُ وكذلك السرورُ بالليلِ أعذبُ
 ومما استجدت من شعر أبى بكر الصولى فى معنى امرئ القيس قوله :

أسرَّ القلب فى هواه وسارا وتجنى على ظلماً وجارا
 قتهارى أراه للبعد ليلاً وأرى للسهاد ليلى نهارا
 أنت فرقت بالتفرق صبرى فأعرنى لمسا عراني اصطبارا
 ويستجد هذا بالاضافة إلى جملة شعره فأما لنفاسته لنفسه فلا .

وقال إسحق الموصلى فى معنى النابغة :

إن فى الصبح راحةً لمحَبِّ ومع الليلِ ناشتاتُ الهموم
 وهذه اللفظة مأخوذة من قول الله تعالى (إنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ
 وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً) وقال طاهر بن على بن سليمان :

إذا لاح لي صبحٌ فمعى مقسم وفي الليلِ همى بالتفرُّد أطول
 وتمنى بعض المثقلين بالدين المبتلين بالفقر دوام الليل لما يلقى بالنهار من الغرماء
 ولما يحتاج اليه من النفقة فى كل يوم فقال :

ألا ليت النهارَ يعودُ ليلاً فإنَّ الصبحَ يأتى بالهموم
 حوائج لانطبق لها قضاءً ولا رداً وروحات الغريم
 قوله « ولارداً » من التتميم الحسن . وقال التنوخى فى طول الليل :
 وليلة كأنها طولُ الأملِ ظلامها كالدهر مافيه خللُ
 كأنما الاصبحُ فيها باطلُ أزهقه الله لحقَّ فبطلُ

ساعاتها أطول من يوم النوى و ليلة الهجر وساعات العذل
 موصدة على الورى أبوابها كأن نار لا يخرج منها من دخل
 وهذا يستملح وان لم يكن مختاراً من التشبيه لأن إخراج المحسوس إلى
 ما ليس بمحسوس في التشبيه ردى . ومن التشبيه الغريب في ذلك قول بعض العرب :
 ويوم كظل الرَّمح قصرَ طولهُ دم الزَّقِّ عنا واصطكك المزاهر
 وقال البحترى :
 وقاسين ليلاً دون قاسان لم تكد أو اخره من بعد قطربه تلحق
 وقال ابن المعتز في نحوه :
 وحلت عليه ليلة أرحبية إذا ماصفا فيها الغدير تكدراً
 بعيدة ^(١) ما بين البياضين لم يكد يصدق فيها صباحها ^(٢) حين بشرا
 وقال : بمخشية الاقطار حيلة الصدى معطلة الآيات محذورة القصد
 كأن نجوم الليل في حجراته دراهم زيف لم يجزن على النقد
 يريد أن نجومه واقفة ليست تسير فكأنها دراهم زيفت ليست تنقد . وقد
 أبر بعض المحدثين على من تقدم حيث يقول في طول الليل على دناءة لفظه :
 عهدى بنا ورداء الليل مُسدل والليل أطوله كاللحم بالبصر
 والآن ليلى من باتوا فديتهم ليل الضرير فصبحت غير منتظر
 وهذا أبلغ معنى من قول امرئ القيس الذى تقدم إلا أنه لا يدخل في مختار
 الكلام لا بتبدال لفظه وزيادته على معناه وسوء صنعته ، والمعنى أن ليله ممدود
 بلا انقضاء كالليل للضرير كله عند الضرير ليل . وقال على بن الخليل :
 لا أظلم الليل ولا أدعى أن نجوم الليل ليست تعول
 ليلى كما شاءت قصير إذا جادت وإن ضنت فليلي طويل
 فأغار عليه ابن بسام فقال :

(١) في ديوان ابن المعتز المطبوع «طويلة» . (٢) في ديوانه (فجرها) .

لا أظلم الليلَ ولا أدعى أنَّ نجومَ الليلِ ليستْ تغور
 ليلى كما شاءتْ فإنَّ لمْ تَزُرْ طالَ وإنْ زارتْ فليلى قصير
 إلا أن يئته الثاني أحسن تقسيماً من بيت الخليل . وسمعت كافي الكفاة يقول
 لأبي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد وقد أنشده * جُلُّهمي وهمتي جُرْجانُ *
 فقال هذا المصراع خطبه ، قال أبو هلال العسكري وأنا أقول إن قوله :
 ليلى كما شاءت خطبه . وقال سعيد بن حميد :

يا ليلُ بلْ يا أبدُ أنا ثمَّ عنك غَدُ

وقال ابن الرومي وأحسن التشبيه * ليست تزول ولكن تزيد * وقلت :

غابوا فلم أدرِ ما ألقى مسُّ من الوَجْدِ أوجنون

ليلى لا يبتغي براحاً كأنه أدهم حَرُونُ

أجبلُ في صفحته عينا ما تتلاقى لها جفون

وملح ابن الأحنف في قوله :

حدَّثوني عن النهار حديثاً وِصفوه فقد نسيتُ النهارا

وقد أنبا بشار عن العلة التي يستطال لها الليل وهو السهر فقال :

لم يطل ليلى ولكن لم أنم ونفى عنى الكرى طيفُ الم

ولا أرى في قلة النوم أجود من قول المجنون :

ونوم كحشر الطيرِ بتنا ننوشه على شعبِ الاكوارِ والليل غاسق

على أن زهيراً قد قال * وكصفقة بالكف كان رقادى * والاول أفصح .

وأنبا العجاج أيضاً عن العلة التي لها يطول الليل * تطاول الليل على من لم يئم *
 وقال بشار :

لخدِّك من كفيك في كلِّ ليلةٍ إلى أن ترى ضوء الصباح وسادُ

وهذا مأخوذ من قول أبي ذؤيب * نام الخلى وبت الليل مشتجراً * والاشتجار

وضع اليد على الخلد والاعتماد عليها وهو جلسة المتفكر :

نبيتُ نِزاعِي الليلَ نِزجُو نِفاذُهُ
 وِليسَ ليلِ العاشِقينَ نِفاذُ
 وقال: خَليلِي ما بِالِ الدُّجى لا تَزحِجُ
 وما بِالِ ضوئِ الصِّبْجِ لا يَتوضِحُ
 كَأَنَّ الدُّجى زادتُ وما زادتُ الدُّجى
 ولكنَّ أَطالَ الليلَ هُمُ مَبْرِحُ
 وقال ديبك الجن:

من نامَ لم يَدْرِ طالَ الليلُ أم قصِرا
 ما يَعْرِفُ الليلَ إلا عاشِقٌ سَهرا
 وقد أَجادَ ابنُ طِباطِبا العُلوي القولَ في طولِ الليلِ وهو:
 كَأَنَّ نِجْومَ الليلِ سارتُ نهارها
 ووافَتُ عِشاءً وهى أنضاءُ أسفار
 فخيمنَ حتى تَسْتريحَ رِكابها
 فلا فَلَكَ جِارٌ ولا فَلَكَ سارى
 وذَكَرَ خالِدُ الكاتِبُ (١) أَنه ليسَ يَدْرِ أَطالَ ليلُهُ أم قصِرَ لِتَحْيِرِهِ وتَبَلُّدِهِ فقال:
 لستُ أَدْرِ أَطالَ ليلِي أم لا
 كيفَ يَدْرِ بِذاكَ من يَتَقَلَى
 لو تَفَرَّغْتُ لاسْتِطالَةَ ليلِي
 ولرِعي النِجْومِ كِنتُ مَخْلى
 وتبعه أبو بَكْر الصولِي فقال:
 وطولتُ ليلِي لو دَرَبْتُ بِطولِهِ
 ولكنَّهُ يَمْضى لِمَا بي ولا أَدْرِ
 وقال بشار:

طالَ هذا الليلُ بِلِ طالَ السهر
 ولقد أَعْرِفُ ليلِي بِالقصر
 لم يَطُلْ حتى دَهَّانِي بِالهُوى
 ناعِمُ الأَطرافِ فَتَنانُ النَظر
 فكانَ الهَجَرَ شَخْصٌ ما نل
 كِلا أَبْصَرَهُ النَومُ نَفَر
 وقلت: صيرني البينَ عَرْضَةَ الحينِ
 لا أَرِبحَ اللهُ صَفْقَةَ البينِ
 قد طالَ يَوْمِي وِليلَتِي بِهِمُ
 لِمَا يَزالُ بِهِمُ قَاصِرِينَ
 كانَ قَليلاً لَدِي مَكْتَمَها
 فَكِنتُ أَدعوها الجَدِيدِينَ
 فَطالَ بَعْدَ الحَبِيبِ لِبِشْمَها
 فَصَرْتُ أَدعوها عَتِيقِينَ

(١) هو خالد بن يزيد، من أهل بغداد، وأصله من خراسان، وكان أحد

كتاب الجيش في أيام المعتصم العباسي. أكثر شعره في الغزل.

وقال آخر :

بالييلة طالت على عاشقٍ
منتظري في الصبح ميعادا

كادت تكون الحول في طولها
إذا مضى أو لها عادا

أجود ما قيل في قصر الليل وأشدّه اختصاراً قول ابراهيم بن العباس :

وليلة من الليالي الزهر
قابلت فيها بدرها بيدري

لم تك غير شفقٍ وفجر
حتى تولت وهي بكر الدهر

وقال غيره : وليلة فيها قصر
عشاؤها مثل السحر

وهذا على غاية الاختصار . وقال العلوي الاصفهاني في قصر الليل واليوم :

ويوم دجن ذو ضمير متهم
مثل سرور شابه عارض غم

صحوٌ وغيمٌ وضياءٌ وظلمٌ
كأنه مستعرٌ قد ابتسم

مازلت فيه عاكفاً على صنمٍ
مهتف الكشح لذيد الملتزم

تفاحه وقف على لثمٍ وشمٍ
وبانه وقف على هصرٍ وضم

ياطيه يوم تولى وانصرم
وجوده من قصرٍ مثل العدم

وقلت : قصر العيش بأكناف الغضا
وكذا العيش إذا طاب قصر

في ليل كآباهيم القطا
لست تدري كيف تأتي وتمر

وقلت : إذا البرق من شرفي دجلة ينبري
على صفحات البارق المتألق

أشبهه دهرًا أغرَّ محجلاً
فقمنا به في ظل فينان مورق

فمرّ كرجع الطرف ليس يمسه
حنينٌ إلى مخبورة المتعشق

وقد يعرض المحذور من حيث يرتجى
ويمكنك المرجو من حيث تتقى

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن سعيد عن أبي بكرمة قال أنشدت

اعرابياً قول جرير :

أبدل الليل لانسرى كواكبه
أم طال حتى حسبت النجم حيرانا

فقال هذا حسن وأعوذ بالله منه ولكن أنشدك في ضده من قولي وأنشدني :

وليس لم يقصره رقاد
نعيم الحب أوردق فيه حتى
بمجلس لذة لم تقو فيه
بخلنا أن نقطعه بلفظ

وقصره لنا وصل الحبيب^(١)
تناولناه جناه من قريب
على الشكوى ولاعد الذنوب
فترجت العيون عن القلوب

فقلت له زدني فما رأيت أظرف منك شعراً ، فقال أمانن هذا فحسبك

ولكن غيره وأنشدني :

وكنت إذا علفتُ حبال قوم
فأحسن حين يحسن محسنوهم
أشياء سوى مشيئتهم فآتى

صحبتهم وشيمتى الوفاء
وأجنب الاساءة إن أساؤا
مشيئتهم وأترك ماأشاء

وأنشدنا عن محمد بن يزيد :

لله ليلتنا بجو سوية
طابت فقصر طيبها أيامها

والعيش غرض والزمان غرير
فكأننا فيها السنون شهور

وأنشدنا عن عون بن محمد بن إسحق الموصلى :

ظللنا فى جوارِ أبى الجنب
يقصره لنا شغف التلاقي

بيوم مثل سالفة الذباب
وبوم فراقنا يوم الحساب

وأخبرنا عنه عن محمد بن الحسن أبى الحسن العتائى عن عيسى بن اسماعيل

قال سمعت الأصمعى يقول قرأت على خلف شعر جرير فلما بلغت إلى قوله :

وبوم كاهام القطة محبب
رزقنا به الصيد العزيز ولم نكن^(٣)

إلى هواه^(٢) غالب لى باطله
كمن نبه محرومة وحبائله

فيالك يوم خيره قبل شره
تغيب وأشيه وأقصر عاذله

(١) فى زهر الآداب « وقصر طوله وصل الحبيب ». (٢) فى زهر الآداب

« إلى صباه ». (٣) فى الأصل (الصعد العزيز ولم يكن) .

فقال وبله وما ينفعه خير يؤول إلى شر؟ فقلت كذا قرأته على أبي عمرو ، قال صدقت وقال كذا قال جرير وكان قليل التنقيح مشرد الألفاظ ، وما كان أبو عمرو ليقرئك إلا كما سمع ، قلت كيف كان يجب أن يقول؟ قال الأجود له لو قال * فيالك يوماً خيره دون شره * فاروه هكذا ، وكانت الرواة قديماً تصلح من شعر القدماء ، فقلت والله لا أرويه بعدها إلا هكذا .

ومثل ذلك أن أبا الفضل بن العميد أنشد قول أبي تمام :
وكشفت لي عن صفحة الماء الذي قد كنت أعهدُه كثير الطحلب
فقال إنما قال (عن جلد الماء) فقال إذا أمكن أن يصلح قصيدته بتغيير لفظة
فن حقا وحق قائمها أن تغير . قال أبو هلال وبين الصفحة والجلدة بون بعيد .
وقال ابن طباطبا :

بأبي من نعمت فيه يوم لم يزل للسرور فيه نمو
يوم لهو قد التقي طرفاه فكان العشي فيه غدو

ومن قول إبراهيم بن العباس والناس يروونه لغيره :

ليلة كاد يلتقي طرفاها قصراً وهي ليلة الميلاذ
وقلت : وطال عمرك في دهر به قصر تمد فيه شهور العيش أياما
وقال القصاني :

ذكرتكم ليلاً فنور ذكركم دجى الليل حتى أنجاب عنا دياجره
فوالله ما أدرى أضوء مسجر لذكركم أم يسجر الليل ساجره
وبت أسقى الشوق حتى كأنني صريع مدام لم ينهنه دائره
وظلت أكف الشوق لما ذكرتكم تمثل لي منكم خيالاً أسايره
فلو كنتم أقصى البلاد لزرتكم إلى حيث يعي ورده ومصادره
أرى قصرًا بالليل حتى كأنما أوائله مما تدانى أواخره

وقد أحسن ابن المعتز في صفة ليلة طيبة فقال :

يا ليلة نسي الزمانُ بها اجدانه كوني بلا فجر
 راح الصباحُ بيدرها ووشت فيها الصبا بمواقع القطر
 ثم انقضت والقلبُ يتبعها في حيث ماسقطت من الدهر
 وقلت : وصلت نعم ولكن صلةً تشبه اللحظة في انتقالها
 لست أدري أتمتعتُ بها أم بزور الزور من خيالها
 ومضى الليلُ سريعاً مثلها أنشطت دهاء من عقالها

(الفصل الثالث من الباب السادس)

في ذكر الصباح والشمس والنهار وما يجري مع ذلك

أجود ما قيل في الصباح من شعر الاعراب : أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر
 ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي قال نزلت بقوم من عُغَي وقد جاوروا
 قبائل من بني عامر بن صعصعة^(١) فحضرت ناديتهم وهناك شيخ طويل الصمت
 عالم بالشعر^(٢) قد جعل الناس يأتونه من كل ناحية فيجلسون اليه وينشدون
 أشعارهم فاذا سمع الشعر الجيد قرع الارض بمحجنه فينفذ حكمه على من حضر منهم
 بشاة^(٣) إذا كان ذا غم وابن مخاض ان كان ذا إبل فذبح أو نحر لأهل الوادي
 فقال حضرتهم يوماً والشيخ جالس فأنشده بعضهم يصف القطا :

غَدَت في رَعِيل ذِي أَدَاوَى مَنوُطَةٍ بلباتها مربوعة^(٤) لم تُسَرِّخْ^(٥)

إِذَا سَرَّ بَخٌّ عَطَتْ^(٦) بِجَالِ سَرَائِهِ تَمَطَّتْ فَحَطَّتْ بَيْنَ أَرْجَاءِ سَرَبِيخٍ

فقرع الشيخ الأرض بمحجنه وهو صامت ، ثم أنشده آخر يصف ليلة^(٧) :

(١) في الأصل (من بني صعصعة) . (٢) في أمالي القالي زيادة (وأيام الناس)

(٣) في الأمالي (فينفذ حكمه على من حضر يبكر للنشد ، وإذا سمع مالا يعجبه

قرع رأسه بمحجنه فينفذ حكمه عليه بشاة) . (٤) في الأصل (مدبوغة)

(٥) تمرخ أي تسلين . (٦) السربخ : الأرض الواسعة ، وعطت : شقت .

(٧) في الأصل (يصف إبلا) والاستدراك من الأمالي .

كَأَنَّ شَمَيْطَ الصَّبْحِ فِي أُخْرِيَاتِهَا مُسْلَاهُ بِنْتِي مِنْ طِيَالِسَةِ خُضْرٍ
تَخَالُ بِقَايَاهَا الَّتِي أُسَارُ^(١) لَمُدَّ جُنِي مَدُّهُ وَشَيْعَا^(٢) فَوْقَ أُرْدِيَةِ الْفَجْرِ
فَقَامَ الشَّيْخُ كَالْمَجْنُونِ مُصَلِّتًا سَيْفَهُ حَتَّى خَالَطَ الْبَرْكَ^(٣) فَجَعَلَ يَضْرِبُ يَمِينًا
وَشِمَالًا وَهُوَ يَقُولُ :

لَا تُفْرَغَنَّ فِي أذُنِي بَعْدَهَا مَا يَسْتَفْزُ فَأُرِيكَ فَقْدَهَا
إِنِّي إِذَا السَّيْفُ تَوَلَّى نَدَّهَا لَا أُسْتَطِيعُ بَعْدَ ذَلِكَ رَدَّهَا

قال أبو هلال رحمه الله تعالى وهذا دليل على أن علم الشعر والتمييز بين جيده
ورديته كان غريزاً عند أهل البوادي وهم أصوله ومنبعه ومعده ، وكان فعل هذا
الشيخ واستفزاز جيد الشعر له قريباً مما روى عن محمد الأمين أنه قال إني لأطرب
على حسن الشعر كما أطرب على حسن الغناء .

ومن غريب ما قيل في الصبح من الشعر القديم قول ذى الرمة ، وقد أجمع الناس
على أنه أحسن العرب تشبيهاً :

وَقَدْ لَاحَ لِسَارِي الَّذِي كَمَلَ الشُّرَى عَلَى أُخْرِيَاتِ اللَّيْلِ فَتَقُّ مُمَشَهَّرٌ
كَلُونِ الْحِمَاَنِ الْأُنْبِطِ الْبَطْنِ قَائِمًا تَمَائِلَ عَنْهُ الْجِلُّ وَاللَّوْنُ أَشْقَرُ
وهذا أحسن تشبيهه وأكمله ، الأنبط : الأبيض البطن ، شبه بياض الصبح تحت
حمرته ببياض بطن فرس أشقر . أخذه ابن المعتز فقال :

وَمَارَعْنَا إِلَّا الصَّبَاحَ كَأَنَّهُ جَلَالُ قِبَاطِيٍّ عَلَى فَرَسٍ وَرَدٍ
وَقَالَ أَوْ قَالَ غَيْرُهُ :

بَدَا وَالصَّبْحُ تَحْتَ اللَّيْلِ بَادٍ كَمَهْرٍ أَشْقَرٍ مَرَخَى الْجَلَالِ
ومن أغرب ما قاله محدث فيه قول ابن المعتز :

(١) السور: البقية والفضلة، يقال إذا شربت فأسر . (٢) الوشيعة : لفيفة من
غزل، وتسمى القصبية التي يجعل النساج فيها لحمة الثوب للنسج وشيعة . (٣) البرك
إبل أهل الحواء بالغة ما بلغت، وقيل البرك الإبل البروك، وقيل البرك: ألف بعير .

وقد رفع الفجرُ الظلامَ كأنَّهُ ظليمٌ على بيضٍ تكشفَ جانبه
وقد أبدعَ أيضاً في قوله:

قد اغتدى والليلُ في جلبابه كالخبثيِّ قرّاً من أصحابه
والصبحُ قد كشفَ عن أنيابه كأنما يضحكُ من ذهابه
وقال أبو نواس:

فقتُ والليلُ يجلوهُ الصبحُ كما جلا التيسمُ عن عُزِّ الثنيات
وفي ألفاظ هذا البيت زيادة على معناه.

وقال: لما تبدى الصبحُ من حجابهِ كطعمة الأشمطِ من جلبابه
وهذا من قول الآخر: كطاعة الأشمطِ من بردِ شملٍ وقال ابن المعتز:
ولقد قفوتُ الغيثَ ينطفُ دجنه والصبحُ ملتبسٌ كهينِ الأشهلِ
وقلت: باكرتها والخيلُ في البكورِ والصبحُ بالليلِ مكوثِ النورِ
كما خلطت المسكُ بالكافورِ

وقال ابن المعتز:

أما ترى الصبحَ تحتَ ليلته كموقدٍ باتَ ينفخُ الفحما
وقال: والليلُ قد رَقَّ وأصفي نجمهُ واستوفزَ الصبحُ ولما ينتقب
معتزاً بفجرهِ في ليلة كفريسٍ بيضاء دهاء اللبب
وقال العلوي وأجاد المعنى:

والصبحُ في صفحِ الهواءِ مورِّدٌ مثل المدامةِ في الزُّجاجِ تشعشع
وقلت: إلى أن طويْنَا اليومَ إلا بقيةً يضلُّ ضياءُ الشمسِ عنها فيزلق
وجلل وجه الشمسِ بردٌ ممسكٌ وقابلهُ للغربِ بردٌ ممسكٌ
فلاح لنا من مشرقِ الشمسِ مغربٌ وبان لنا من مغربِ الشمسِ مشرقٌ
ومدَّ علينا الليلُ ثوباً منمقاً وأشعل فيه الفجرُ فهو يحرق
وصبحنا صبحٌ كأنَّ ضياءهُ تعلم منا كيف يبهي ويشرق

وقلت : ركبت أعجاز ليال مظلمة مطررات بالصباح معلمه
 أخطر في بردتها المشهمة والروض في حلتها المنمنمة
 قد نثر الليل عليه أنجمه والتبت قد دثره ودرهمه
 وقدوشى رداءه ورقمه

وقال بعض الاعراب :

والليل يطردُه النهارُ ولا أرى كالليل يطردُه النهارُ طريدا
 وتراه مثل البيت مالَ رواقه هتك المقوص شره الممدودا
 وهذا شعر مطبوع . وقال أبو نواس :

قد اغتدى والليل في حريمه معسكر في العز من نجومه
 والصبح قد نسّم في أديمه يدعه يطر في حيزومه
 دعى الوصى في قفا يتيمه

ومن الاستعارة المصيبة في صفة الصبح قول سالم بن ابصة :

على حين أثنى القومُ خيراً على السرى وطارَ بأخرى الليل أجنحة الفجر
 والنصف الأول من قول الآخر * عند الصباح يحمد القوم السرى *
 وقال العلوى الاصفهاني :

وليل نصرمتُ النى فيه على الرشد وأعديتُ فيه الهزل منى على الجد
 وضيمتُ فيه من عناقٍ معانقٍ فظنَّ وشاقى أنى نائمٌ وحدى
 الى أن تجلى الصبحُ من خلل الدجى كما انخرط السيفُ اليماني من الغمد
 وقلت : حتى أزال الصبحُ فاضلَ ذيله كالنيل يخطرُ في نوادى يعرب

وقد أحسن ابن المعتز في صفة النجم يبدو في حمرة الفجر حيث يقول :

قد اغتدى على الجياد الضمر والصبحُ قد أسفرَ أولم يسفر
 كأنه غرةٌ مهرٍ أشقر حتى بدا في ثوبه المعصر
 ونجمه مثل السراج الأزهر

وقال الشمردل بن شريك^(١) :

ولاحَ ضوءَ الصبحِ فاستبيننا
وقال التنوخي: والـثريا كلـواءِ
وبدا الفجرُ كسيفِ
وقلت: أديراعلي الكأس والليل راحل
ترفع عنه منكب الليل فانجلي
وقال التنوخي :

وبدا الصبح كالحسام علاه
وقال: أسامره والليل أسود أورك
تبسم محمراً أخلال سواده
علق فوقَ شفرتيه متاع
إلى أن جلا الاصباح عن أشقرورد
تبسم ورد الخلد في الصدغ الجعد

ومن حسن الاستعارة في الشفق قول ابن المعتز :

ساروا وقد خضعت شمس الاصيل لهم حتى توقد في جنح الدجى الشفق
لحاجة لم أضاجع دونها وسنا وربما جرَّ أسباب الكرى الأرق
وأبرع بيت قيل في الصبح من شعر المحدثين قول ابن المعتز :

والصبح يتلو المشتري فكأنه عريان يمشى في الدجى بسراج
والناس يظنون أنه ابتدأه وابتكره وإنما أخذه من قول ابن هرمة في
وصف السحاب والبرق :

تؤام الودق كالزأحــــــــف يزجي خلف اطلاق

صدوق البرق كالسكران يمشى خلفه الصاحي

كان العازف الحنى أو أصوات نواح

على أرجائه والبرق يهديه بمصباح

وهذا البيت مضطرب الرصف مضمن لاخير فيه والمعنى بارد .

(١) شاعر إسلامي من شعراء الدولة الاموية كان في أيام جرير والفرزدق .

ومن أطرف ما قيل في الليالي الطيبة قول ابن المعتز :

تلتقطُ الأنفاسُ بردَ الندى فيه فتهديه حرَّ الهوم
وقلت: وقد غدوتُ وصبغ الليل منتقص وغرَّة الصبح مصقولٌ حواشيها
وغربت أنجمُ الظلماءِ وانحدرتُ فشالَ أرجلها وأنحطَّ أيديها

فأما أجود ما قيل مما أنشدناه أبو القاسم عن عبد الوهاب عن العقدي عن أبي جعفر عن ابن الأعرابي قديماً في صفة الشمس فقال وهو أحسن وأتم ما قالته العرب فيها :

مخبأةُ أما إذا الليلُ جنبها فتخفي وأما بالنهار فتظهرُ
إذا انشقَّ عنها ساطعُ الفجر فانبجى دُجى الليلِ والنجابُ الحجابُ المستر
وألبس عرض الأرض لونها كأنه على الأفق الشرقي ثوبٌ معصفر
ولون كدرع الزعفران مشبه شعاع يلوح فهو أزهرُ أصفر
إلى أن علتُ وأبيضَّ عنها اصفرارها وجالتُ كما جالَ المليحُ المشهر
ترى الظلَّ يطوى حين تَعْلُو وتارة تراه إذا مالتُ إلى الأرض ينشر
وتدنف حتى ما يكاد شعاعها يبينُ إذا ولتُ لمن يتبصر
وأفنت قروناً وهي في ذلك لم تزل تموتُ وتحيَا كلَّ يوم وتنتشر

وأنشدناه أيضاً أبو أحمد عن الصولي عن علي بن الصباح عن ابن أبي محلم على غير ما تقدم هنا أخذ ابن الرومي قوله * وقد جعلت في مجنح الليل تمرض *

ومن بديع ما قيل في انقلابها عند الغروب قول الراجز :

صبَّ عليه قانصٌ لما غفلُ والشمسُ كالمرآة في كف الأشل

ونحوه قول أبي النجم * وصارت الشمس كهين الأحوال *

ولأعرابية تذكر السحاب :

تطالعي الشمسُ من دونها طلاع فتاة تخافُ اشتهارا

تخافُ الرقيبَ على سرِّها وتحدُّ من زوجها أن يغارا

فتستر غُمرتها بالبخار
وقال ابن المعتز وأغرب :

تظلُّ الشمسُ ترمقنا بلحظ
تحاولُ فتقَ غيمٍ وهو يَأبى
خفى مدنف من خلفِ سترِ
كهنين يريدُ نكاحَ بكرِ

وقال ابن طباطبا :

وأقذيت عين شمس فحكت
وقلت: فيا بهجة الدنيا إذا الشمسُ أشرقت
من خللِ الغيمِ طرفَ عشاء
ولكنَّ وجهَ الأرضِ فيها مذهبُ
كما أشرقت فوق البرية زينب
وتحسبُ عين الشمسِ إذ هي رفعتُ
على الأفقِ الغربيِّ شبراً يذربُ
يفضضُ منها الجوُّ عندَ طلوعها
وقلت في يومِ صحو :

ملاً العيونَ غضارةً ونضارةً
والشمسُ واضحةً الجبينِ كأنها
صحوٌ يطالعنا بوجهٍ مونقِ
وكأنها عندَ انبساطِ شعاعها
وجهُ المليحة في البخارِ الأزرقِ
جرتُ إذا بكرتُ ذُيولَ مزعفرِ
تبرُّ يذوبُ على فروعِ المشرقِ
فشربتها عناءَ من يدِ مثلها
وتجرُّ إن راحتُ ذُيولَ ممشقِ
تحكى الصباحَ مع الصباحِ المشرقِ

وقال ابن طباطبا :

وشمس تجلت في رداءٍ معصفر
وقال ابن المعتز فيها عند غروبها :
كما يصفر فودى رأسه الحرف
حتى علا الطود ذيل من أصائله
وقال أبو نواس :

قد اغتدى والشمسُ في حجابها
وقال ابن الرومي وهو من المشهور :

كأنَّ خَبْوَةً^(١) الشمسُ ثمَّ غَبَرُوا بِهَا
 وقد جعلتْ في مجنح الليل تمرض
 تخاص عَيْنَ بَيْنِ أَجْفَانِهَا الكرى
 يرتقُ^(٢) فيها النومُ ثمَّ تغمضُ
 ومن جيد ما قيل في احمرارها عند المغيب قول ابن الحاجب :
 وكانها عند الغرو ب جفون عين الارمد

وقال ابن الرومي وهو من المشهور :

إِذَا رَنَقَتْ^(٣) شمسُ الأصيلِ ونفضت
 على الأفقِ الغربيِّ ورساً مدعذا^(٤)
 وودَّعتِ الدُّنيا لتقتضى نجبها
 وشوَّلَ باقي عمرها وتشمعها
 ولاحظتِ النوار وهي مريضه^٥
 وقد وضعتْ خدَّاً على الأرضِ أضرها
 كما لاحظتِ عوادَه^(٥) عينُ مدنف
 وتوجَّعَ من أوصابه ما توجَّعا
 وظلتِ عيون الرِّوض^(٦) تخضل بالندى
 كما اغرَّ وراقَّتْ عينُ الشَّجِي لتدمعا
 وبَيْنَ إغضاءِ الفراقِ عليهما
 كأنهما خِلاصاً صفاءٍ تودَّعا
 وقال الآخر :

والشمسُ تُؤذِنُ بالشروقِ كأنها
 خَوْدٌ تلاحظُ من وراءِ حجابِ
 وقال السري :

ومن قصور عليه مشرفة^(٧) تضيءُ والليلُ أسودُّ الحجبِ
 يبضُّ^٥ إذا الشمسُ حانَ مغربها
 حسبت أطرافهنَّ من ذهب

-
- (١) كذا في ديوان ابن الرومي المخطوط ، وفي الأصل « جثو » .
 (٢) كذا في ديوان ابن الرومي المخطوط ، وفي الأصل (يرتق) .
 (٣) كذا في ديوان ابن الرومي المخطوط ، وفي الأصل « إذا أرققت » .
 (٤) الورس : نبات كالسمسم ، ومدعذا : متفرقا .
 (٥) في الأصل « عوادها » .
 (٦) في ديوان ابن الرومي « عيون النور » .
 (٧) كذا في ديوان السري ، وفي الأصل « على مشرفة » .

ومن بديع ما قيل فيها من شعر المتقدمين قول أبي ذؤيب :

سبقت إذا ما الشمسُ عادت^(١) كأنها صلاةٌ طيبٍ ليظها واصفرارُها

ومن جيد ما قيل في النهار قول أعرابي :

فإذا أشرقَ النهارُ تراها راملات في مثل ماء زلال

وقلت : وبخبطنَ الصباح إذا تبدى كما يكرعنَ في الماء الزلال

وقلت : وعلى الصباح غلالةٌ فضيةٌ فيها طرازٌ من خيالك مُذهب

آخر الباب السادس والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

وعلى آله وصحبه أجمعين .

(انتهى الجزء الأول)

(إستدراكات وتصويبات)

	السطر	الصفحة
هذا البيت يجب أن يكون قبل سابقه .	١٦	٥٨
يقول كان المأمون يتعصب للاوائل من الشعراء ويقول انقضى الشعر مع ملك بنى أمية ، وكان عمى الفضل بن سهل يقول الاوائل	١٩	٦٠
وقال غيره	١٦	٦٣
علمت بأن الثاب ليست رزية	١١	١٥٩
من صخر تدمر أو من وجه عثمان	١٣	١٩٨

(١) في ديوان أبي ذؤيب « آضت » .

﴿ فهرس الجزء الأول من ديوان المعاني ﴾

الصفحة	
٢	ترجمة المؤلف .
٦	صورة آخر النسخة الشنقيطية .
٧	مقدمة الديوان .
٨	أحسن ما قيل في وصف شعر .
١٠	النضر بن شميل والمأمون ، والكلام على « سداد » .
١٠	أخلب بيت قالته العرب .
١١	أنصف بيت قالته العرب ، أقنع بيت للعرب .
١٤	أبواب ديوان المعاني .
١٥	الباب الأول : في المديح والتهاني والافتخار .
١٥	الفصل الأول : في المديح .
٧٦	الفصل الثاني : في الافتخار .
٩١	الفصل الثالث : في التهاني .
١٠٣	الباب الثاني : في أوصاف خصال الانسان المحموده من الجود والشجاعة والعلم والحلم والحزم والعقل ، وما يجرى مع ذلك .
١٥٧	الباب الثالث : في المعاتبات والهجاء والاعتذار .
١٥٧	الفصل الأول : في المعاتبات .
١٧٠	الفصل الثاني : في الهجاء .
٢١٦	الفصل الثالث : في الاعتذار .
٢٢٢	الباب الرابع : في التشبيب وأوصاف الحسان وما يجرى مع ذلك .
٢٨٦	الباب الخامس : في صفات النار والطبخ وألوان الطعام ، وفي ذكر الشراب وما يجرى مع ذلك .
٢٨٦	الفصل الأول : في ذكر النار .
٢٩١	الفصل الثاني : في ذكر ألوان الطعام .
٣٠٥	الفصل الثالث : في وصف الشراب .

٣٣٢ الباب السادس : في وصف السماء والنجوم والليل والصبح والشمس والقمر ومايجرى مع ذلك .

٣٣٢ الفصل الاوّل : في ذكر النجوم .

٣٤٢ الفصل الثاني : في ذكر ظلمة الليل وطوله وقصره ، وما يجرى مع ذلك من سائر أوصافه .

٣٥٤ الفصل الثالث : في ذكر الصباح والشمس والنهار ، وما يجرى مع ذلك .

﴿ استدر كات وتصويبات ﴾

الصفحة السطر

- ٢٠ ٢٠٣ نصب اسمعيل بن نوبخت طارمة في صحن
- ١٩ ٢٠٤ ومما قيل في قبج الخلقه وغير ذلك
- ٤ ٢١٥ لا تخدعنه بأثواب مصبغة
- ١٠ ٢٢٧ وغدا فم عليه عند رقيه
- ١١ ٢٤١ كأن على أنيابها الخمر شجها
- ١ ٢٤٩ وعانقت حلق من صدغه حلقا
- ٩ ٢٦٥ لو كانت الأشياء تعرفه أجلته اجلال بارها
- لو تستطيع الأرض لاجتمعت حتى يكون جميعه فيها
- ٢٣ ٢٧١ أسر اذا بليت وذاب جسمي
- ١٥ ٢٧٦ ان الذي يعشق من لا يرى كبيت من شدة الغلبة
- ٧ ٢٩٣ يقشر جلدأ منه كالنضار
- ٦ ٣٠٠ ظلت تبكي شجو ما أبصرت من أمرنا وهي به عالمه
- ٧ ٣١٤ هذا الشعر للمخيل يشكرى لا للاخلط
- ١٣ ٣١٥ انها عندي وأحلام الكرى
- ٥ ٣١٩ كما أنك تابع وأنا قرين فغلبه
- ٢٢ ٣٢٣ أكرم ذخر ذخرته كرمه في عنبه
- ١١ ٣٢٤ فأت نف المهم عنا

﴿إختلافات نسخة المتحفة البريطانية وغيرها من الروايات والتصويبات في الجزء الاول﴾
وأكثرها من استدراك المستشرق الاستاذ الدكتور كرتكو

		الصفحة السطر			
أكفاؤه	١٢ ٧٢	بغضبتها	١٢ ٣٢	١ ١١	تقولى.. هاجعة
الخرمى	٢ ٧٤	ليسقط عنه	٥ ٣٣	٥ ١١	أبو عروذ المذنى
الماتلى الشاعرون	١٧ ٧٨	عند إتيان	٧ ٣٣	٨ ١١	نصرى
أمون.. لهماها	١٠ ٧٩	الماطرة	١٣ ٣٣	١٥ ١١	الثرة الصفى
الجحاف	١٦ ٨١	ومنا التناء	١٤ ٣٣	١٨ ١١	السوملا
أخرانا	٧ ٨٢	قسطل	١٦ ٣٤	١ ١٢	لعيس
الجمانى	١٧ ٨٥	وأنت ملىح	٧ ٣٥	٣ ١٢	وأتمزها
فقرى غنى	٢١ ٨٥	ذمارها	١٦ ٣٥	١٦ ١٢	كالسيوف أو جههم
ولا يمال	٣ ٨٦	وفوا	٥ ٣٨	١٩ ١٢	اللحاء
نبوه	٥ ٨٦	دماذ	١٤ ٤٠	١٠ ١٨	السبك
جيينه	١٨ ٨٧	١٦ ٤٠	١٦ ٤٠	١٤ ١٨	خضرا
بالأفول	٢٠ ٨٧	أبى عكرمة	١٢ ٤١	١٢ ٢٠	حول سريره
على الوقود	٢٠ ٨٧	بخفان	٩ ٤٤	١٧ ٢٠	أغر أروع
واعتددت	١ ٨٨	٢٠، ١٩ ٤٤	٢٠، ١٩ ٤٤	١٨ ٢٠	فانك كالليل
إلى الكوم	١١ ٨٨	وبصدره	٥ ٤٧	٢١ ٢١	٢ كحى أدر كته مقادره
أشوى	٦ ٨٩	٨ الكوماء.. تنحرى	٨ ٤٧	٥ ٢١	مبثوثاً
أو القنان	١٠ ٨٩	من الشجاعة	٣ ٥٧	٨ ٢١	لا عار
العاصمون	١١ ٩٠	غر الرداء	١٣ ٥٨	١٠ ٢١	فيه عار
العارمون	١١ ٩٠	وأحسن منه ما	٢١ ٦٠	١١ ٢١	سرار
ومنى	١٨ ٩٠	تفرىعاً إلى أن	١٩ ٦٠	١ ٢٢	من أخذ
الفصل الثالث	١٤ ٩١	مر كوز	١١ ٦١	٢ ٢٣	ترنو
شيبا بماء فعادا	٥ ٩٢	يا فيض	٢٠ ٦٣	٧ ٢٣	إلى بابيه
تنشر أعياداً	١٠ ٩٢	ابن حرى	٣ ٦٥	١٥ ٢٥	أبقى.. الصم
راعيه	١٣ ٩٢	هفان.. ثوابه	٢٢ ٦٥	٢ ٢٦	بن فانك
كهدا	٢٠ ٩٢	أبو الغراف	٤ ٦٦	٧ ٢٧	أبو أحمد
بلبل	١٥ ٩٣	أثلمته حوامله	٩ ٦٦	١٧ ٢٧	مجرد
أبى هفان	١٢ ٩٤	فيوم تحوط	١١ ٦٦	١٨ ٢٧	للممدوح
يهدى للجليل	١٧ ٩٥	ماتعب نوافله	١١ ٦٦	٧، ١٠، ٦٨، ٢٨	ابن دواد
عنان الفكر	١٦ ٩٦	دوارج	٥ ٦٨	٤ ٣٠	الفيض
بيديه نارها	١٧ ٩٦	كما دعيت	١٩ ٦٨		

شيمت	٩	٤٩	أن يحل به	٤	١٥٣	اقتفروا	١٥	٩٧
وما ظلم	٦	٥٠	وبادرت منه	٦	١٥٣	ولشأوه	١	١٠٠
ويمرع	٧	٥٣	زفه	١٦	١٥٥	تجلى لك	١٧	١٠٠
وتدولوا وعتودا	١٠	٥٤	راضى سنة	١٢	١٥٨	من مواليه	٦	١٠٢
مد العلاء	٧	٥٥	بجنب الستار	١٠	١٥٩	ويليقك ثواب	٢٠	١٠٢
خدى	٢٠	٥٦	بطائشة الصدور	١٧	١٧٠	إنك	٥	١٠٦
مذهبه	٧	١٤٥	١١ دوبل .. دوبل	١١	١٧٣	بلبال	٢٢	١٠٦
عليم بن جناب	١٨	١٤٩	يزقق	٢٢	١٧٥	آلف	١٠	١٠٩
سعيد بن مسلم	٢٠	١٥٠	جذمة	٢	١٧٦	يواكب	٣	١١٠
بذى شكر	٧	١٩٦	تغلب	٧	١٧٦	تقذيتها	٩	١١٠
نحوى جمية	٨	١٩٦	به الدعى	١٦	١٨١	مجدلا	١	١١١
فى التطير	١٩	١٩٦	تكن لتكون	٣	١٩٨	مسالم	٢	١١١
وأدغمت أبا	١١	١٩٩	أمين	١٠	١٩٨	أغشى	٣	١١١
ثنتى عنك	١٥	١٩٩	الدار يطوف	٢	٢٠٦	أخم	٧	١١١
فيه مذمان	٦	٢٠١	غادر الرض	١٥	٢١٣	ما ذلك	٢٠	١١١
ظهاره سوء	٧	٢٠١	وقعتما للحين	١٨	٢١٣	الصقعب النهدي	١٣	١١٢
كأ تزيد	١٧	٢٠١	زورا ذوى السنة	١٩	٢١٣	قدجبت جلبابه	٢١	١١٢
بسلب الصفات	١١	٢٠٢	فيزيد فيها	١١	٢٣٣	رفيقة	٦	١١٣
عن الأشنادانى	١٥	٢٠٢	أملود	١٦	٢٣٣	بلعاء	١٨	١١٤
كالذبخ	١٨	٢٠٢	سب. وطاق	١٧	٢٣٣	يجر	١٠	١١٥
ابن مهرويه	١٩	٢٠٣	بالسلى	١٩	٢٣٤	عبيد بن الأبرص	٦	١١٨
وتنتقى حتى	٢٠	٢٠٦	فيها بدرها	٨	٢٣٧	وأنتى غير	٥	١٢٢
كسير الجناح	٢	٢٠٨	التمزى	١٤	٢٥٣	دجاجة	١٨	١٢٢
خامد المصباح	٣	٢٠٨	يذاب بعينى	١٣	٢٥٥	ابن ميادة	٨	١٢٣
وسهاد لحة	٦	٢١٠	فأسبلك	٤	٢٥٦	عنى الحساب	٥	١٢٦
به من دمامته	٣	٢١٢	غضبة	٥	١٧	أنعمة الله	٢٢	١٢٨
أظهر فيه	١	٢١٣	تكدر عيشة	١	٤٢	المشقر	٩	١٣١
غادية	٨	٢١٤	خبث	١٤	٧٦	راوية .. ابن	١٣	١٣١
ولا تأتبنى	١٧	٢١٥	قعبان	٥	٩٢	تعتب	٣	١٣٢
فى بيتى	٧	٢١٦	بخترى	١٥	١٢٥	تجنب	٤	١٣٢
وللقارف ذنبا	١٨	٢٢٠	شارب	٤	٢٤٩	حلحلة	٦	١٣٣
أرى الراغب إلى	٢	٢٢١				بوانى	٧	١٣٣
						قول عمارة	٧	١٣٦
						التضافر	١٥	١٥١

من المن	١٥	٢٩٦	الهوامى الهوامع	٨	٢٦٣	دمع احدره	١٥	٢٢٥
في السقي	٤	٢٩٦	قوم موسى	٢٠	٢٦٣	عند خود	١٣	٢٢٦
أتعرف من	١١	٢٩٨	كمنت في	٥	٢٦٤	ونبتتها قلت	٨	٢٢٨
المعتدة	١٦	٢٩٨	الحسن عليه	١٤	٢٦٤	الحسن بسطة	٢٢	٢٢٨
السكيسة الحازمة	٣	٣٠٠	معاً فلم	١٧	٢٦٤	بيضاء كالفضة	٤	٢٢٩
صادفت منا	٧	٣٠٠	أظرفه	٢	٢٦٥	قاسنى بالبرقد	٤	٢٣١
وقد تردى	١٩	٣٠٠	لشدهما	٢٣	٢٦٥	حسنه .. حفلت	١٥	٢٣٢
موشى تحال	١٠	٣٠١	الوصل شافيا	٨	٢٦٦	عين تفل	٦	٢٣٧
ثغر .. الواضح	١٧	٣٠٢	وأرحم	١٠	٢٦٦	يحتبها أحور	١٣	٢٤٠
فدون السمن	١٠	٣٠٤	لم يك	١٤	٢٦٦	مشرب عذب	٧	٢٤١
طيف سلمى	١١	٣٠٤	في الشمس	١٨	٢٦٩	بدلها	١٤	٢٤٢
مذسر الباز	١٤	٣٠٤	فغافصاه	٥	٢٧١	وأثنتى	٤	٢٤٤
سبأها التجر	١١	٣٠٨	ياجنان	١١	٢٧١	زق أمات	١٤	٢٤٤
أرى نجمين	١	٣١٠	يعش .. المنون	١٠	٢٧٢	فأفضيت	١٦	٢٤٤
ووجنة	٥	٣١٠	اقتياد .. صاحبه	٢٠	٢٧٢	قلقت وشحه	١٩	٢٤٥
ذهن لطيف	١٣	٣١٠	في رستن	١	٢٧٣	تفضين .. اتعلت	٨	٢٤٦
وقد حجب	١٨	٣١٢	سفعة	١٠	٢٧٦	طره .. طره	٧	٢٤٧
اله ان	٣	٣١٥	يشني الجوى	١٠	٢٧٧	أوبالمنى	١٤	٢٤٧
لهوآ الى	٦	٣١٥	زف .. لخيانى	١٣	٢٧٧	قرنوا	٢٢	٢٤٨
ليأتى ما	١٧	٣١٥	معان جياذ	١٨	٢٧٧	أو كالجميم	١	٢٤٩
فأزرى	٢	٣١٨	ولاطارقاً	٢٠	٢٧٧	وما سلمى	١٦	٢٥٠
راضعت	١١	٣١٨	ونحن مفترقان	١٥	٢٧٨	وصف الساق	١٨	٢٥٠
على الأجسام	١٣	٣١٩	ليلة القرر	٥	٢٨١	نقطن أذقاناً	٣	٢٥١
ذكر مزاج	٢	٣٢٠	حجاماً	١١	٢٨١	القوام والترنح	١٣	٢٥١
يميل	٥	٣٢٥	من نزوح	١٢	٢٨٣	إلامشاشة	١٠	٢٥٢
والارض بمه	١٨	٣٢٦	فنبهن	٢	٢٨٤	يخرق	٢١	٢٥٢
ابن سريج	١٥	٣٢٧	تنفض	٨	٢٨٥	خلص	٢١	٢٥٤
عمل زلزل	١٨	٣٢٧	وجواثم سفع	١٩	٢٨٩	أطراف خرمة	٤	٢٥٥
في جس	٢١	٣٢٧	موقوفه بين	٣	٢٩٠	كما سقى	٦	٢٥٦
أحرفه	٤	٣٢٨	تصبغ بالدماء	٢١	٢٩٠	السيف الصقيل	٢١	٢٥٦
ثا يتداوى	٤	٣٢٩	في جوذابة	٥	٢٩٣	فاض من	١٢	٢٥٧
دكن الظواهر	١٩	٣٢٩	أرج العول	١١	٢٩٦	كوم المطايا	١٥	٢٥٨
في تابين	٢٠	٣٢٥				من طيها	٦	٢٥٩

القصاصي	١٦	٣٥٣	كأنه غرض	٢٠	٣٣٩	أدافع من بالكفين
الاشمط .. سمل	٩	٣٥٦	والعيد زين	١٢	٣٤١	زور
المقوض ستره	٧	٣٥٧	اللذاعة	٣	٣٤٢	ساحرة
يدعه بطرفي	١٠	٣٥٧	قول مضرس	١	٣٤٣	كما ترنو
دع الوصي	١١	٣٥٧	مذبانوا	١٦	٣٤٨	وأثقابا
قيل في الشمس	٥	٣٥٩	نعمنا به	١٧	٣٥١	دنو الدلو
هي رنقت	٩	٣٦٠	ليس يرده	١٨	٣٥١	ترنو من براقع
تبرأ يذوب	٩	٣٦٠	بجو سويقه	١١	٣٥٢	من فتوق

وهو يقع ما قبلها من شعر المتكلمين قول أي ذوات سبقت إذا ما الشمس عادت كأنها
صلاة طيب لثيابها وأصغر رها ٥ وهو جيد ما قبله الرها قول الترتيب فإذا الترتيب لها زورها
راملات في مثلها، ثم قال وتخط الصباح إذا تدرى كما يكون في الماء الكلال
وقلت على الصباح غلالة فضية فيها طائر من جنات السموات
أحوال باب السادس والخمسة وعشرون

في طبه العجز الجسم

للمرور على فمها التام، وإدارة الحاصد والخاصة في إنشاء السحاب الثقال وإجراء العيون الكلال
وتحفي والبارد السلسال اللينة العوم والشجر ورب الحلب والتمر رحمة للأمام ونظر الأبنام
فله المداوي وأقر والصلوة على نبيه الذي أرسله بالحق شاهداً وبشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله
بأذنه وبإحسانه وعلى كل ذي علم أنبأه بحدوده وعترة المنجيين وقد رأينا الحكاية كل ما في حدوده
في تقريب الحكمة وتسهيل سبلها وروح متكلمها بالوضوح والبيان وإدراك أسرارها الخفية وحملها
مساوئها ويعرف فيها كل واحد بما أخذ منها نصيب ويعرف بمرورها في نوب وكنت جعلت كتابي
الوسوم دون العاني مستقلاً على التي شراباً ينصفها من رقة رقة فربما بعض الناس يمكن
وجهه ويستغل سحره فعملت كتاباً منها كما كان بقدر نفسه وبميزان حسنة لم يرام وبسبل سحره
وتسبح الرقة البيرة ولكن الانفتاح به إن شاء الله تعالى وبه التوفيق

هذا كتاب المناغم

في صفة السحاب والمطر والبرق والرعد وذكر المياه والرياح والنبات والأشجار والرياحين
والنار والنسيم وما يجري مع ذلك وهو **الباب السابع** من كتاب
دوران العاني وفيه ثلاث فصول **الفصل الأول في صفة السحاب**
والمطر والبرق والرعد والثلج والضبب احسن الواحدين أي كبره دريد في حاتم
عن الأصمعي قال قال امرؤ القيس أي قول الشعر في المطر اشعر قال قول امرؤ القيس
دمية هطلانها وطف طوق الأرض حمرى وتدر فوه طوق الأرض غافية في وصفهم
السحاب أراد أنها على الأرض بمنزلة الطبق على الأرض كما أن السحاب إذا أخذ فاجده الملائكة الرزقي
حين يقول سبحان قبت بالبلاد فالتبت عطاء على أغوارها وتجودها
عندها السحابي مثقلت فاقبت نهدي وأيدت سيرها ككودها فوه سيرها ككودها

(وهذه صورة صفحة من نسخة المخطوطة البريطانية)

دِيْوَانُ الْمُعَسَّائِي

الإمام اللغوي الأديب أبي هلال العسكري

الجزء الثاني

عن نسخة الامامين العظيمين: الشيخ محمد عبده والشيخ محمد محمود الشنقيطي
مع مقابلة المشكل بنسخة المتحف البريطاني

عنيت بنشره

مكتبة دار الكتب
مكتبة دار الكتب

لصاحبها حسام الدين القدسي

القاهرة - باب الخلق - حارة الجداوى ١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على نعمه التامة وأياديه الخاصة والعامة في إنشاء السحاب الثقال وإجراء العذب الزلال وتفجير البارد السلسال ليغذوه النجم والشجر ورب الحب والتمر رحمة للأنام ونظراً للأنعام فله الحمد أولاً وآخراً. والصلاة على نبيه محمد الذي أرسله بالحق شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بأذنه وسراجاً منيراً وعلى آله المختارين وعترته المنتجبين .

وقد رأينا الحكماء في كل زمان يجتهدون في تقريب الحكمة وتسهيل سبيلها وشرح مشكلها وإيضاح أبوابها وإدناء أسبابها ليخف حملها ويقرب منهاؤها ويرغب فيها كل أحد ويأخذ منها بنصيب ويفترف منها بذنوب .

وكننت جعلت كتابي الموسوم بديوان المعاني مشتملاً على اثني عشر باباً يتضمنها خمسمائة ورقة فرأيت بعض الناس يستكبر بحجمه ويستثقل نسخته فجعلت كل باب منها كتاباً ينفرد بنفسه ويتميز من جنسه ليقرب أمره ويسهل نسخته ولتسرع الرغبة إليه فيكثر الانتفاع به إن شاء الله تعالى وبه التوفيق .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

في صفة السحاب والمطر والبرق والرعد وذكر المياه والرياض
والنبات والأشجار والرياحين والثمار والنسيم وما يجري مع ذلك وهو :
﴿ الباب السابع من كتاب ديوان المعاني وفيه ثلاثة فصول ﴾

﴿ الفصل الأول ﴾

في صفة السحاب والمطر والبرق والرعد والثلج والضرب
أخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي قال قال
أبو عمرو لذى الرمة أى قول الشعراء في المطر أشعر ؟ قال قول امرئ القيس :
ديعة هطلاءً فيها وطفٌ طبَّق الأرض تحرى وتدرُّ
قوله طبَّق الأرض غاية في صفة عموم السحاب أراد أنها على الأرض بمنزلة
الطبَّق على الأبناء . ولا أعرف أحداً أخذه فأجاده كاجادة ابن الرومي حيث يقول :
سحائبٌ قيستُ بالبلادِ فألقيتُ غِطاءً على أغوارها ونجودها
هدتها النعامى مُثقلاتٍ فأقبلتُ نهادى رويداً سيرها كركودها
قوله سيرها كركودها غاية في وصف ثقلها وثقلها من كثرة ماؤها .
والبيت البليغ المشار اليه من أبيات امرئ القيس قوله :
وترى الشجرَاءَ في ريقه كرووس قُطِّعت فيها الخُمرُ
الشجرَاءُ الأرض ذات الشجر وإذا غرقت الشجر من ريقه حتى لا يبين منها
إلا فروعها فكيف يكون في شدته ، وريق المطر أوله وأخفه ، وشبه رؤوس الشجر
خارجة من الماء برؤوس قطعت عليها عمامٌ ، والخمار ههنا العمامة .
وقالوا أجود ما قيل في المطر قوله :

كَأَنَّ أَبَانَا فِي أَفَانِينَ وَبِلَهٍ كَبِيرٍ رَجَالٍ فِي بَجَادٍ مُزْمَلٍ^(١)

يقول كأن أبانا - وهو جبل - من التفاف قطره وتكافئه في الهواء شيخ في كساء،
وخفض مزمل على الجواب وهو نعت كبير كما تقول جحر ضب خرب .
وقالوا أجود ما قيل فيه قول أبي ذؤيب :

لكل مسيل من تهامة بعد ما تقطع أقران السحاب عجيب

وهذا مع جودة معناه فصيح جداً . أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن عسل بن
ذكوان قال قال الأصمعي قلت لأبي عمرو ما أحسن ما قيل في المطر فقال قول القائل^(٢) :
دَانٍ مَسْفٍ فُوقَ الْأَرْضِ هَيْدَبُهُ يَكَادُ يَدْفَعُهُ مِنْ قَامٍ بِالرَّاحِ
فَمِنْ بِنَجْوَتِهِ كَمَنْ بَعْقَوْتُهُ وَالْمَسْتَكِنُ كَمَنْ يَمْشِي بِقَرَوَاحٍ^(٣)
يقول قد عم هذا السحاب فاستوى في شيم برقه وأصاب مطره المنجد والفائر
والمستكن والمصحر ، قرب من الأرض لثقله بالماء حتى يكاد يدفعه القائم براحته
وهذا غاية الوصف .

ومن أبلغ ما جاء في ذلك من نثر الأعراب ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبي
بكر بن دريد عن أبي حاتم وعبد الرحمن عن الأصمعي قال سألت أعرابياً
من عامر بن صعصعة عن مطير أصاب بلادهم فقال نشأ عارضاً فطلع ناهضاً ثم ابتسم
وامضاً فاعترض الأمطار فأعشاها وامتد في الآفاق فغطاها ثم ارتجز فهمهم ثم
دوى فأظلم فأرك^(٤) ودث وبعش ثم قطقط فأفرط ثم ديم فأغمط ثم ركذ فأجثم ثم

(١) في ديوان امرئ القيس « ودقه » مكان « وبله » و « أناس » مكان (رجال) .

(٢) قيل هو أوس بن حجر وقيل عبيد بن الأبرص ، وقبل البيت :

يَا مَنْ لِبَرْقِ أَيْتِ اللَّيْلِ أَرْقَبَهُ فِي عَارِضِ كَضَى الصَّبْحِ لِمَاحِ

(٣) القرواح الأرض الواسعة التي لانبثات فيها ، ومطلع القصيدة :

ودع ليمس وداع الصارم اللاحي إذ فنكت في فساد بعد اصلاح

(٤) أرك أتى بمطر ريك أي قليل .

وبل فسح وجاد فأنعم قمس الربى وأفرط الزبى سبعماً تباعا لا يريد انقشاعا حتى
ارتوت الحزون وتضحضحت الثنون ساقه ربك الى حيث شاء كما جلبه من
حيث شاء. الدث والبغش المطر الخفيف، والقطقط المطر الصغار، وقوله أنعم أى
بالغ من قولهم دقه دقاً ناعماً، وقمس أى غوص، وأفرط ملاً. والزبى جمع زبية وهى
حفرة تحفر للأسد ويجعل فيها طعم فيجىء حتى يقع فيها ولا تحفر إلا فى مكان
عال فاذا بلقها السيل فهو الغاية، وفى المثل « بلغ السيل الزبى » والمتن صلابة من
الأرض فيها ارتفاع، وتضحضح أى صار عليه ضحضاح وهو الماء يجرى على
وجه الأرض رقيقاً.

وأنشدنا أبو أحمد عن أبيه عن ابن أبي طاهر عن ابن الاعرابى لأعرابية :

فبيننا نرْمَقُ أحشاءنا	أضاء لنا عارضٌ فاستنارنا
فأقبل زحف زحف الكسير	سياق الرعاء البطاء العشارا
تغنى وتضحك حافاته	امام الجنوب وتبكي مرارا
كأنا تضىء لنا حرة	تشدُّ إزاراً وتلقى إزارا
فلمنا حسبنا بأن لا نجاء	وأن لا يكون فرار فرارا
أشار له أمرٌ فوقه	هلم فأم إلى ما أشارا

وأنشدنا غيرها :

تبسمت الريحُ ربيعُ الجنوبِ	فهاجت هوىً غالياً وادكرا
وساقت سحاباً كمثل الجبالِ	إذا البرق أومض فيه أنارا
إذا الرعد جلجل في جانبيه	فروى النبات وأروى الصحارى
تطالعنا الشمس من دونه	طلاع فتاة تخاف اشتهارا
تخاف الرقيب على سرها	وتحذر من زوجها أن يغارا
فنتسرها عرتها بالبخار	طوراً وطوراً تزيل الخمارا

وقدمت هذه الأبيات الثلاثة قبل :

فلما مراها هبوبُ الجنوبِ وانهمرَ الماءُ منه انهارا
 تبسّمتِ الأرضُ لما بكتَ عليها السماءُ دُموعاً غزارا
 فكان نواجذها الاقحوان وقال ابن مطير وهو أجود ما قيل في سحاب :

مستضحكٌ بلوامعٍ مستعبرٌ بدوامعٍ لم تمرها الاقضاء
 فله بلا حزن ولا بمسرة ضحكٌ يؤلفُ بينه وبسكاه
 نقلت كلاله وأنهرت^(١) أصلابه وتبعجت^(٢) من مائه الاحشاء
 غَدَقَ يُنتج بالاباطح فرقا تلدُ السيولَ وما لها اسلاء^(٣)
 وكان ريقه ولما يحتفل ودقُ السحابِ عجاجة كدراء
 غرثٌ محجلةٌ روائحُ ضمنت حقلَ اللقائِ وكلها عذراء
 سحمتُ فهن إذا كظمن فواحمٌ وإذا ضحكن فانهن وضاء^(٤)
 لو كان من ليج السواحلِ ماؤه لم يبقَ من ليج السواحلِ ماء

ومن هذا البيت أخذ المتكلمون الحجة على الفلاسفة في قول الفلاسفة المطر انما هو البخارات ترتفع من البحر ، قالوا لهم لو كان الامر كذلك لسكان ماء البحر ينقص عند كثرة الأمطار فقالت لا يلزم ذلك لأن البحر مغيص لمياه الأرض فصير ما يتحلب من الثلوج اليه ومنه مواد هذه الأشياء فثله مثل المنجنون يعرف من بحر ثم يصب فيه فليس له نقصان والذي ينقص هذا ان ماء البحر يزيد عند كثرة الأمطار وينقص عند قلتها والعادة في ذلك معروفة ولو كان الامر على ما يقولون لسكان ماء البحر ينقص على مرور الأوقات لاحالة لأن الشمس

(١) من أنهر العرق لم يرقأ دمه . (٢) تبعج السحاب تبعجاً وهو إنفراجه في الودق . (٣) ينتج أى يولد ، وفقرت الناقة أخذها الخاض فندت في الارض فهي فارق ج فوارق وتشبه بها السحابة المنفردة عن السحاب . والاسلاء جمع سلى وهي الجلدة فيها الولد من الناس والمواشي . (٤) وضاء جمع وضية .

والهواء لا شك تأخذ مما يتفرق عنه في الأرض بزعمهم ، والكلام فيه يتسع
وإنما أشرت الى موضع الدلالة على فساد قولهم .

وقال النظار الغمسي :

يا صاحبي أعيناني بطرفكما أنى تسيان^(١) برق العارض الساري
أبصرته حين غاب النجم وانسرفت عنا غفائر^(٢) من دجن وأمطار
فبات ينهض بالوادي وجلهته^(٣) نهض الكسير بذي أونين جرار^(٤)
حيران سكران يغشى كل رابية من الروابي بأرجاف وأضرار
مفرق^٥ لدمات الأرض منهجر^٥ رعب أفسدة شعال^٥ أبصار
كان بلقاً عرباً تحت ريقه عوداً تذب برمح عند امهار

وشبه البرق برمح الابلق ، وهو من قول أوس بن حجر :

كان ريقه لما علا شطبا^(٥) أقراب أبلق ينفي الخيل رماح

ومن أبلغ ما قيل في ذلك قول الاعرابية التي سألتها ذوارمة عن الغيث فقالت :
غثنا^(٦) ماشئنا . فكان ذوارمة يقول قائلها الله ما أفصحها . وترك ذوارمة هذا
المذهب على إعجابه به واختياره له وقال :

ألا يا سلمى يادارمي^٧ على البلى ولا زال منهلاً بجر عائك القطر^٧

فقيل له هذا بالدعاء عليها أشبه منه بالدعاء لها لأن القطر إذا دامت فيها
فسدت . والجيد قول طرفة :

فسقى بلادك غير مفسد^٨ها صوب^٨ الربيع وديمة^٨ نهمي

وقال اعرابي : أصابتنا سحابة وأنا لبنوطة بعيدة الارحاء فاهرمع مطرها حتى
رأيتنا ومارأينا غير السماء والماء وصهوات الطلح فضرب السيل النجاف وملا^٩

(١) شام البرق : نظر اليه أين يقصد وأين يمطر .

(٢) الغفائر جمع غفارة ما يوضع على الرأس نحو العمامة . (٣) الجملة : الجانب .

(٤) الاونان : جانبنا الخرج . (٥) اسم جبل . (٦) أي أصابتنا الغيث .

الأودية فرعها فما لبثنا إلا عشرًا حتى رأيتها روضة تندی . قوله مارأيت غير
 السماء والماء وصهوات الطلح غاية في صفة كثرة المطر . وأخبرنا أبو أحمد عن أبي
 بكر بن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة قال خرج النعمان بن المنذر في بعض
 أيامه في عقب مطر فلقى أعرابياً فأمر باحضاره فأتى به فقال كيف تركت الأرض
 وراءك ؟ قال فيجرحاب منها السهولة ومنها الصعاب منوطة بجبالها حاملة أقالها .
 قال انا عن السماء سألتك قال مطلة مستقلة على غير سقاب ^(١) ولا أطاب يختلف
 عصرها ويتعاقب سراجها ، قال ليس عن هذا أسألك قال فسل عما بدالك قال
 هل أصاب الأرض غيث يوصف قال نعم أغمطت ^(٢) السماء في أرضنا ثلاثاً هواءً
 فثرت وأرزغت ^(٣) ورسغت ثم خرجت من أرض قومي أقروها ^(٤) متواصية ^(٥)
 لاخطيطة ^(٦) منها حتى هبطت تعشار فتداعى السحاب من الأقطار فجاء السيل
 الجرار فعنا الآثار وملاً الجفار وقوب الأشجار وأجحر الحُضار ومنع السفار ثم
 ألقع عن نفع واضرار فلما اتلأبت في الفيضان ووضحت السبل في القيعان تطاعت
 رقاب العنان من أقطار الاعنان فلم أجد وزراً إلا الغيران فقات وجار الضب فعادت
 السهول كالبحار تتلاطم بالتيار والحزون متلفعة بالغناء والوحوش مقذوفة على الأرجاء
 فازلت أطال السماء وأخوض الماء حتى أطلعت أرضكم هـ . أغمطت السماء دام مطرها ،
 رهواً ساكتاً ، ثرت تركته ثرية ^(٧) ، أرزغت تركت الأرض فيرزغة والرزغة
 والرذغة الطين اذا غطي القدم ، رسغت بلغت الرسع ، متواصية متصلة ، الهطيطة
 والخطيطة أرض لم يصبها مطر بين أرضين ممطورتين ، وتعشار موضع ، والعنان
 السحاب والاعنان نواحي الشخب فقات من القى وجار الضب وهو عندهم غاية

(١) أى أعمدة . (٢) أى دامت . (٣) أرزغ المطر الأرض : بلها

ولم تسل . (٤) أى أتبعها قرية قرية . (٥) أى متصلة .

(٦) الخطيطة الأرض غير الممطورة بين أرضين ممطورتين ، أو التي مطر بعضها .

(٧) أى تراباً مبلولاً .

كأنها في جبين المزن إذ لمعت
 فالرعد مرتجس^{هـ} والبرق مختلس
 والضال فيما طما من مائه غرق
 والغم خز^{هـ} وأنها^(١) اللوى زرد
 والروض يزهوة^{هـ} عشب^{هـ} أخضر^{هـ} نضر^{هـ}
 ومما ورد في المياه^(٢) :

من سيول يمجها الواديان
 ذو استواء إذا جرى والتواء
 فهو حيث استدار وقف^{هـ} لجين
 وقال ابن المعتز :

لا مثل منزلة الدورة منزل^{هـ}
 بؤساً لدهر غيرتك صروفه
 لم يحل^{هـ} بالعينين بعدك منظر^{هـ}
 أي المعاهد منك أندب^{هـ} طيبة
 أم برد ظلك ذى الغصون وذى الحيا
 وكأتما سطعت مجامر^{هـ} عنبر^{هـ}
 وكأتما حصباء أرضك جوهر^{هـ}
 وكأف^{هـ} درعاً مفرغاً من فضة

وهذه الأبيات أحسن أبيات قيلت في صفة دار . وقلت :

شققن بنا تيسار بحر كأنه
 إذا ماجرت فيه السفين^{هـ} يُعربد^{هـ}
 ترى مستقر الماء منه كأنه
 سيب^{هـ} على الأرض الفضاء^{هـ} مُمدد^{هـ}

(١) جمع نهي وهو منتهى الرمل الذي يسكن إليه الماء .

(٢) هنا بياض في النسخ . (٣) الأرض الميثاء : السهلة .

ويجري إذا الأرواح فيه تقابلت
فان تسكن الأرواح خلت متونه
فظوراً تراه وهو سيف مهند
نصعد فيه وهو زرق حمامه
وقال ابن طباطبا العلوي في مد الوادي :

ياحسن وادينا ومد الماء
يختال في حلتها الكدراء
في صحب عال وفي ضوضاء
تري به تناطح الطباء
قد جاء بين الصيف والشتاء
أكدر يمتد على غبراء
بصافح الرياح في الهواء
جاء قد شدت إلى جاء
من كدر ينجاب عن صفاء
فانظر الى أعجب مرأى الرائي

تقشع الغيم عن السماء

وقال السري في المد وانقطاع الجسر ببغداد :

أحذرك أمواج دجلة إذ غدت
فظلت صفار السفن يرقصن وسطها
تغرقها هوج الرياح وتعتلى
فهن كدهم الخليل جالت صفوها
كأن صفوف الطير عاذت بأرضها
أوالشبح السود حلت عقوده
وقلت : مررت بنهر المسر قان عشية
كأنهم در تقطع سلكه
فكم ثم من خشف^(٢) على الماء لاعب
كأن السميريات فيه عقارب

(١) النهاي بالنون : الحداد . (٢) الخشف مثلثة الخاء : ولد الظبي .

وقال أبو بكر الصنوبري :

إذا السماء أغنقت منها إلى شطّ وشطّ
حسبت أن بطها الأموأج والاموأج بطّ
وروضة أريضة الأرجاء من ذهب الزهر لجين الماء
يجرى على زمرد الحصباء بين استواء منه والتواء
كما نفضت جونة الحواء

وقال أبو فراس بن حمدان :

أنظر إلى الزهر البديع والماء في برك الربيع
وإذا الرياح جرت عليه في الذهاب وفي الرجوع
ثرت على بيض الصفا نوح بينها حلق الدروع
ومن أوائل ماجاء في ذكر الماء المظلل بالأشجار قول لبيد :
فتوسطا عرض السماء فصدما مسجورة متجاوز قلامها
محفوظة وسط البراع يظلمها منه مصرع غابة وقيامها
وقال بشر بن أبي خازم في البحر :

ونحن على جوانبها تعود نفض الطرف كالابل القماح
إذا قطعت براكبها خليجاً تذكر مالدبه من الجناح

﴿ الفصل الثاني من الباب السابع ﴾

في ذكر الرياض والآنوار والبساتين والثمار وما يجري مع ذلك

أخبرنا أبو أحمد عن رجاله عن أبي عمرو وغيره قالوا أجود ما قيل في وصف
روضة قول الأعشى :

ماروضة من رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليها مسبل هطل
بضاحك الشمس منها كوكب شرق مؤزر بقمم النبت مكتهل

يوماً بأطيب منها نشر رائحة ولا بأحسن منها إذ دنا الأصل
قال المصنف خص العشي لأن كونه الإنسان بالعشي أحسن منه بالغداة لرقه
تلوه بالعشي وتبهيج^(١) يعتاده بالغداة وتعترى الألوان بالعشيات صفرة قليلة
تستحسن ولذلك شبهها بالروض لما في الروض من الزهر وهو أصفر، ومن
هذا قوله أيضاً ◊ وصفراء العشية كالعرارة ◊ وقال بعضهم بل خص العشي
لنقصان الحسن فيه قال فشبهها في نقصان الحسن بالروضة في حال تمام حسنها،
وليس كذلك لأن الروض بالغداة أحسن منه بالعشي.

والتشبيه المصيب من الشعر القديم قول بشر بن أبي خازم :
وروض أحجم الرواد عنه له نفلٌ وحوزان^(٢) تؤام
تعالى نبتة واعتم حتى كأن منابت العليجان^(٣) شام
الشام جمع شامة أى ظاهر كظهور الشامة في الوجه ويقال ما أنت إلا شامة
أى أمرك ظاهر . وأنشد الجاحظ قول النمر بن تولب العكلى :

ميناؤ جاد عليها مسبل هطل
فأمرعت لاحتيال فرط أعوام
إذا يجف ثراها بلها ديم
من كوكب نازل بالماء سجام
لم يرعها أحد وارتبها زمنا
فأومن الأرض محفوف بأعلام
تسمع للطير في حافات زجلا
كأن أصواتها أصوات خدام
كأن ريح خزماها وحنوتها^(٤)
بالليل ريح يلنجوج وأهضام

ولم يدع شيئاً يكون في الخصب إلا ذكره . ومن أبلغ ما وصف به كثرة الكلام ما أخبرنا
به أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن عمه عن ابن السكيت عن أبيه قال خطب
ابنة الخس ثلاثة نفر من قومها فارتضت أنسابهم وجاهلهم وأرادت أن تسبر

(١) التبهيج بالباء قبل الجيم : شئ من التورم في الوجه يظهر عند القيام من النوم .

(٢) النفل والحوزان نبتان ، وتؤام أى توأمان (٣) العليجان : نبت .

(٤) الخزامي والحنوة : نبتان طيبا الرائحة .

عقولهم فقالت لهم انى أريد أن ترنادوا إلى مرعى فلما أتوها قالت لأحدهم ما رأيت
قال رأيت بقلًا وبقيلًا وماءً غدقًا سيلاً يحسبه الجاهل ليلًا قالت أمرت .
وقال الآخر رأيت ديمة فوق ديمة على عهد غير قديمة فالناب تشبع قبل الفطيمة .
وقال الثالث : رأيت نبتاً تعداً معداً متراكباً جمعاً كأنفاذ نساء بنى سعد
تشبع منه الناب وهي تعدوا هـ . بقلًا وبقيلًا : يقول بقل قد طال وتحنه عمير
قدنشأ ، والغدق : الكثير يحسبه الجاهل ليلًا من كثافته وشدة خضرته ، والديمة
المطر يدوم أياماً في سكون ولين ، والعهاد أول ما يصبب الأرض من المطر
الواحد عهد ، تشبع منه الناب قبل الفطيمة : يريد أن العشب قد اكنهل وتم
فالناب وهي المسنة من الأبل تشبع قبل الصغيرة منها لأنها تنال الكلا وهي قائمة
لا تطلبه ولا تبرح موضعها والفطيمة تتبع ما صغر والصغير فيه قليل . وهذه صفة
بليغة . وأبلغ منها قول الآخر تشبع منه الناب وهي تعدوا أى من طول النبات
وكثرته وعمومه تعدوا وتأكل لا تحتاج إلى تتبعه وطأطأة رأسها له . ولا أعرف
في جميع ما وصف به كثرة الكلا أبلغ من هذا . والثعد : الرطب اللين والمعد
اتباع . والثرى الجعد الذى قد كثر نداءه فاذا ضمته بيدك اجتمع ودخل بعضه
في بعض كالشعر الجعد ، وخص نساء بنى سعد لأن الأدمة فيهم فاشية .

ومن أبلغ ما قيل في طول الكلا قول الآخر أنشده ابن السكيت وتعلب :

أرعىتها أطيبَ أرضِ عودا الصلِّ والصَّفصلِّ واليعضيدا
والخازباز السنمَ المَجودا بحيثُ يدعو عامرٌ مسعودا

يقول قد سد النبات من طوله وسبوغه مسعوداً فليس يراه عامر فهو يصيح
به ، الصل والصفصل وخازباز ضرب من النبات . وليس أفاظ الأبيات بالختارة
أما اخترتها لجودة معناها .

ونظر أعرابي الى يوم دجن والى نبات غض فاستحسن فقال ارتجالا :

أنتَ والله من الأيسام لَدُنُ الطَّرَقَيْنِ

كلما قلبت عيني في قرّة عين
 وقلت: أتاه يُريدُ المزنَ ينشدهُ الصبا
 فأصبحَ منها بالزواهرِ معلماً
 ومن بديعِ مقاله محدث في صفة الرياض والبساتين قول عبد الصمد بن المعدل
 أنشدناه أبو أحمد وغيره :

معان من العيش الغرير ومَعْمَرُ	ومبدي أنيق بالعذيب ومَحْضَرُ
نما الروضُ منه في غداةٍ مريّةٍ	لها كوكبٌ يستأنقُ العينَ أزهَرُ
ترى لامعَ الانوارِ فيها كأنه	إذا اعترضته العينُ وشيٌ مُدَرُّ
تسابقُ فيه الأَقْحوانُ وحنوّةٌ	وساماهما رندٌ نضيرٌ وعبهرُ
يُمجُّ ثراها فيه عفراءُ جمعةٌ	كان نداها ماءٌ وردٌ وعنبرُ
أعاد نسيمَ الريحِ أنفاسَ نشره	وخايل فيه أحرّ اللونِ أصفرُ ^(١)
بدا الشيخُ والقيصومُ عند فروعه	وشتٌ وطباقٌ وبانٌ وعرعرُ
وناضرُ رمانٌ يرفُّ شكيرةً	يكادُ إذا ماذرت الشمسُ يقطرُ
ويانعُ تفاحٌ كأنَّ جنينهُ	نجومٌ على أغصانه الخضرِ تزهَرُ
إذا زرتهُ يوماً تَعَرَدُ طائرُهُ	وراناك ظبيٌّ بين غصنينِ أحورُ
فأذهاجَ نوحِ الأيِّكِ في رونقِ الضحى	تذكر محزونٌ أوارتاحٍ مقصرُ
تجاوبنَ بالترجيعِ حتى كأنما	ترنم في الأغصانِ صنيجٌ ومِزهرُ
مرناةٌ موموقٌ وترجيعٌ شائقٌ	فللقلبِ ملهاةٌ وللعينِ منظرُ
واني إلى صحنِ العذيبِ لتائقُ	واني إليه بالموذّةِ أصوَرُ
مرعت ولا زالت تصوبك ديمةً	يجودُ بها جونُ الغواربِ أقمرُ
أحم الكلى واهي العرعى مسبل الجدى	إذا طعنت فيه الصبا يتفجرُ
كأنَّ ابتسامَ البرقِ في حجراته	مهتدةٌ بيضٌ تشامُ وتشهرُ

وقول ابن المعتز يتضمن صفة الأنوار على التمام ولا يكاد يشذمنه شيء البتة وهو :

والروض مغسولٌ بلبيلٍ ممطر
كالعضبِ أو كالوشى أو كالجوهر
وطارقٍ أجفانه لم تنظر
وتخاله العين فـألم يُففر
وفائق كادَ ولم ينـور
كأنه مبسّمٌ لم يكشـر
وأدمع الغدران لم تكدر
كأنه دراهمٌ في منـثر
أو كمشور المصحف المنشر
والشمس في أصحاء جو أخضر
كدمعة حائرة في محجر
تسقى عقاراً كالسراج الأزهر
مدامةً تعقر إن لم تعقر
يديرها كف غزالٍ أحور
ذى طرة قاطرة بالعنبر
وملثم يكشفه عن جوهر
وكفيل يشغل فضل المنزر
تخبر عيناه بفسق مضمر

يعلم الفجور إن لم يفجر

وقلت : جواهر عشبٍ ونورٍ نظيم
وأنفادٍ ظلٍّ وقطرٍ نثير
من بين صفرٍ وحمٍ وخضر
على القضبِ غيدٍ وزورٍ وصور
وليس تناسبُ لعلِّ الشفاه
وبيضٍ تعارضُ بيض الثغور
نواظرٍ من بين يقظى ووسنى
ونجلٍ وخزِرٍ وحولٍ وحور

وقد استوفى في هذه الأبيات جميع أوصاف الأنوار على اختلاف حالاتها .

وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا التنوخي لنفسه :

أما ترى الروض قد وافاك مبتسماً
ومد نحو الندامى للسلام يدا
فأخضر ناضر في أبيض يقق
وأصفر فاقع في أحمر نضدا
مثل الرقيب بدا للعاشقين ضحى
فأحمر ذا خجلا وأصفر ذا كدا
ومن المشهور قول الجاني :

ديمٌ كأنَّ رياضها يكسبن أعلامَ المطارف

وكأثما غُدْرانها فيها عُشورٌ في مصاحف
 وكأثما أنوارها تهترُّ^(١) بالريح القواصف
 طرر الوصائف يلتفت -ن بها إلى طرر الوصايف
 وقلت : وروضة حالية الصدر كاسية البطون والظهور
 محمودة الخبور والمنظور مونة المطوى والمنشور
 معجبة الظاهر والمستور ضاحكة كالوافد المخبور
 باكية كالعاشق المخبور شدَّرها الغيث بلا شذور
 شقائق كناظر الخبور واقحوان كغفور الحور
 وزجس كأنجم الديبور والطل منثور على منثور
 يرصع الياقوت بالبلور

وقال السري وأحسن ، وليس فيمن تأخر من الشاميين أصفي أفاضاً مع الجزالة
 والسهولة وألزم لعمود الشعر منه :

وجنات يُجحي الشربَ وهنا جنى وهدايا حتى رباها
 إذا ركد الهواء جرت نسيماً وان طاح الغمام طفت مياها
 يُفرجُ وشيها عن ماءٍ وردٍ يفيضُ على اللآلى من حصاها^(٢)
 تعانقُ ريحها لمم الخزامى وأعناق القرنفل في سراها
 ويأبى زهرها إلا هجوعاً ويأبى عرفها إلا انتباها
 وقال البحتري :

قطرات من السحاب وروض ثرت وردها عليه الخلود
 فالرياحُ التي تهبُّ نسيمٌ والنجومُ التي تطلُّ سعود
 وقال ابن الرومي :

أصبحت الدنيا تروقُ من نظر بمنظر فيه جلاءٌ للبصر

(١) في نسخة « تهترُّ ». (٢) في نسخة « صفاها » .

وأها لها مصطنعاً لقد شكر
والارض في روض كأفواه الخبر
أثنت على الله بالاء المطر
تبرجت بعد حياء وخفر
تبرج الانثى تصدى للذكر

وقال وأحسن :

وحلس من السكتان أخضر ناضر
إذا درجت فيه الرياح تتابعت
وقلت: أنظر إلى الصحراء كيف تزخرت
وعلى الربى حليل وشأهن الحيا
وملابس الأنواء فيها سندس
نم الرياح على الرياض نماماً
وعلى التلاع من الاقاصي حلة
والنسيم تنقشه الرياح عشية
والقطر يهيم وهو أبيض ناصع
والبرق يلع مثل سيف ينتضي

يُباكره دان الرباب مطير
ذوائبه حتى يقال غدير
وإلى دموع المزن كيف تدرّف
فمسهم ومقصب ومفوف
ومضاجع النداء فيها زخرف
ذكر نك الكافور حين يدوف^(١)
وعلى اليغاغ من الشقائق مطرف
كالتطن في زرق الثياب يندف
ويصير سيلاً وهو أغبر أكلف
والسيل يجري مثل أفعى ترجف

وقال أعرابي : باكرنا وصمى^(٢) ثم خلفه ولى فالارض كأنها وشى منشور عليه لؤلؤ
منثور ثم أتتنا غيوم جرار بمناجل حصاد فاخترت البلاد وأهلكت العباد فسبحان
من يهلك القوى الأكل بالضعيف الماء كول: وقال أبو تمام :

الروض ما بين مغبوق ومصطبح
جون إذا هطلت في روضة طفقت
من ريق محتفلات بالحيا دلح
عيون نوارها تبكي من الفرح
وقال أبو الغضبان اليمامي :

غدونا على الروض الذي طله الندى
فلم أر شيئاً كان أحسن منظرأ
سحيراً وأوداج الأباريق تسفك
من الروض يجري دمه وهو يضحك

ومن اللجين لسعبد ورق
وجديده بجديدا خلّق

يُنقلن في صفراء من حمراء

وغدا الندى في حليه يتكسر
صحو يكاد من النضارة يطر
خلت السحاب أناه وهو معدر
لو أن حسن الروض كان يُعمر
تمجّت وحسن الروض حين يغير
تريا وجوه الأرض كيف تصور
زهر الربيع فكأنما هو مقمر
جلى الربيع فأنما هي منظر
نوراً تكاد له القلوب تنور
فكأنما عين عليه تحدر
عذراء تبدو تارة وتخفر
الجيم متكاتف النبات، يقول يظهر بتحريك الرياح إياه ويستتر عند سكونها

فيغطيه الجيم :

ماعاد أصفر بعد إذ هو أخضر

طلقاً ذرّيت به على الأطلاق
يُروى الوجوه ومبسم براق
مثل الضعيف بنوء بالأوساق

وقال غيره : وإذا الزمردُ مشمر ذهباً
لازال يُمتنعنا بجديته

وقال غيره في تلون الأرض :

فترى الرياض كأنهن عرائس

وقال أبو تمام :

رقت حواشي الدهر وهي تمر مر
مطر يروق الصحو منه وبعده
وندى إذا ادّهنت به لم الثرى
ما كانت الأيام تسلب بهجة
أولا ترى الأشياء إذ هي غيرت
باصاجي تقصيا نظريكا
تريانهاراً مشمساً قد شابه
دنيا معاش للسورى حتى إذا
أضحت تصوغ ظهورها لبطونها
من كل زاهرة ترقرق بالندى
تبدو ويحببها الجيم كأنها

صنع الذى لولا بدائع لطفه

وقلت في مديح :

إني أرى لك في الساحة والندى
طلّق الغمام سرى بوجهه بأسر
ثقلت على عنق الصبا أعباؤه

فترى النبات يروقُ وسطَ رياضه
مثل الخلي تروقُ وسطَ حقائق

وقال البحرى :

إذا أردتَ ملائعَ العين من بلدٍ
يمسى السحابُ على أجاهاها فرقا
فلستَ تبصرُ إلا وا كفاً خضلا
وقال أيضاً: ولا زال مخضراً من الأرض يانع
يذكرنا رياً الأجابة كلما
شقائقُ يحمان الندى فكأنه
ومن لؤلؤ في الأرجوان منضد
كأن جنى الحوذان في رونق الضحى
رباع تروت بالرياض مجودة
إذا راوحتها مزنةً بكرت لها
كأن يد الفتح بن خاقان أقبلت
وقلت : أما ترى عود الزمان نضرا
أنته أطفافُ السحاب تترى
تبسط في الصحراء بسطاً خضرا
ونرجساً مثل العيون زهرا
كأنها يصوغ فيها تبرا
كأنها ينثر فيها دراً
كلساء لوناً والعبير نثرا
والعيش أن تسر أو تسرا
مستحسن وزمان يشبه البلدا
ويصبح الروض في صحرائها بددا
أو يانعا خضراً أو طائراً غردا
عليه بمحمر من النور حاسد
تنفس في جنح من الليسـل بارد
دموع التصابي في خدود الخرائد
على نكت مصفرة كالفرائد
دنانير تبر من توام وفارد
بكل جديد الماء عذب الموارد
شآبيب محتاز عليها وقاصد
تليها بتلك البارقات الرواعد
ترى له طلاقة وبشرا
وساقت الجنوب غمياً بكرا
وتمنح الروضة زهراً صفرا
وأقحوان كالثغور غراً
كأنها يدوف^(١) فيها عطرا
فأعمل الكاسات شمساً شقرا
شم مر الزير بناغى الزمرا
لأنفسد بالغرام العمرا

أحسن ما قيل في النرجس قول أبي نواس :

(١) أى يذيب .

لدى ترجسٍ غضَّ القطاف كأنه
مخالفة في شـكاهنَّ فـصـفـرة
إذا ما منحناه العيونَ عيون
مكان سوادٍ والبياضُ جفون

والناس يشبهونه بالعيون ولا يفضلون هذا التفضيل . ومما لم يقل مثله قول ابن الرومي:

خجلتُ حُدودُ الوردِ من تفضيله
لم يخجل الورد المورود لونه
للترجسِ الفضل المبينُ وان أبي
فصل القضية أن هذا قائدهُ
شـتـانَ بين اثنين هذا مُوعدهُ
وإذا احتفظت به فأمتعُ صاحب
يـحـكي مصابيحَ السماءِ وتارة
بنهى النديمَ عن القبيح بلحظه
ان كنتَ تطلبُ في الملاحِ سميهُ
هذي النجوم هي التي ربتهما
فانظر الى الأخوينِ من أدناهما
أين العيونُ من الحدودِ نفاسةً
وقلت : وترجس مثل أكفٍ خرد
ناولنيه مثلهُ في حسنه
مبتسمٌ عنهُ وناظرٌ به
وقلت في معناه :

ألم ترنا نعطي الغوايةَ حقها
بمحمرةِ الاجسادِ مبيضةِ الذرى
لدى الصفرِ في أوساطِ بيضِ كأنها
وقا ابن الرومي :

ونجـرى مع اللذاتِ جرى السوابق
كمثل سقيطِ الطلِّ فوق الشقائق
كيؤوسُ عُقارٍ في أكفٍ عواتق

للترجس الفضلُ برغم من رغم العينُ قبل السن وهي المبتسم
على صنوفِ الوردِ والفضلُ قسم فما لها واخذ وهو الملتدّم
مأطيبَ الريح وما أزركى النسم ومن التشبيه المصيب قول الآخر:

ونرجسٌ لاحتظى طرفها يشبهُ ديناراً على درهم

وقال ابن الرومي في الخمر والنرجس:

ريحانهم ذهبٌ على دُررٍ وشراهم دُررٌ على ذهب
وقلت: يركبُ الاقحوانُ فيها نهاراً فترى درهماً على دينار
فرشت فوقها فرائدُ طلٍّ علقت بالنباتِ والأشجار
وتدلت على الغصونِ فجاءت كشنوف الكواعبِ الابكار
وقال الآخر:

ونرجس قامَ فوقَ منبره مثلَ عروسٍ بُجلى وتشتهرُ
نامَ الندى في عيونه سحراً فاعتاده من منامه سهر
لم يغتمض والظلامُ حلَّ به كأنما في جفونه قصر
تحيرَ الطلُّ في مدامعه فليس يرقا وليس ينحدر
كدمعة الصبِّ كادَ يسكبها فردّها في جفونه الخدر
وقلت: وغنت الطيرُ بالحسانها فانتهى النرجسُ من رقدته

وأحسن ما قيل في الورد قبل أن يتفتح قول بعض المحدثين:

قد ضمه في الغصنِ قرصُ بردٍ ضمّ فم لقبلة من بعد
وفلت فيه إذا تفتح:

مرّاً بنا بهتزُّ في خطره ما بين أغصان وأقمار
يديرُ في أمّله وردة جاءت من المسك باخبار
يلوحُ في حمرتها صفرةٌ كالخلد منقوطةً بدنيار

وقال ابن المعدل :

• عشيّة حيانى بورِد . كأنه خدودٌ أضيقت بعضهم إلى بعض
 وقلت : قومي انظري ورداً كخذك أحمرّاً ترك الربيع وراءه ، وتقدما
 قد ضمه بردٌ ففتقه ندى كالصَّبِّ قبل فاك ثم تبسما
 ولم أجد في تشبيه الورد أبعد مما ذكرته ، وتشبيهه بالخد تشبيه مصيب
 ولكنى تركت الاكثار منه لشهرته وكثرته ويقال للوردة الحمراء الحوجة وللبيضاء
 الوتيرة وبشبهها قرحة الفرس^(١) قال عمرو بن معدى كرب :

بيارى قرحةً مثل الوتيرة لم تكن معدى

وقد أحسن على بن الجهم في قوله يصف الورد :

كأنهن يواقيتٌ يطيفُ بها زمردٌ وسطها شذرٌ من الذهب
 وهو من قول أزد شير : الورد ياقوت أحمر وأصفر ودر أبيض على كراسى زبرجد
 بتوسطه شذور ذهب . وقال البحترى :

وقد نبه النيروزُ في غلسِ الدحي أوائلَ وردِ كُنَّ بالأمسِ نوّماً
 يفتحه بردُ الندى فكأنه يبتُّ حديثاً كان قبلُ مكمّماً

وقلت في تفضيل الورد على النرجس :

أفضلُ الوردِ على النرجسِ لا أجعلُ الأنبجَمَ كالشمسِ
 ليس الذى يقعدُ فى مجلسِ مثلَ الذى يمثُلُ فى المجلسِ

وقال ابن بسام :

مداهنٌ من يواقيتِ مُنضدة على الزمردِ فى أوساطها الذهبُ
 كأنه حينَ يبدو من مطالعه صَبُّ يُقبَلُ صبّاً وهو مرتقب
 ومن الياقوتِ الأزرقِ والأصفرِ والأحمرِ وليس فى البيتِ دليل على أنه أراد
 الأحمر دون الأزرق فهو معيب من هذه الجهة . وقلت فى الورد على الشجر :

(١) القرحة فى وجه الفرس دون الغرة .

أصبح الورد في الغصون يحاكي
مثل فرسان غارة يستلبهم
ويلوح النهار أسفل منه
بين نبذ من الشقائق يحكي
وقال ابن المعتز:

ولا زوردية أوفت بزرقها
كأنها فوق طاقات ضعفن بها
والصحيح أنه في الخرم والشاهد قوله:

بنفسج جمعت أطرافه فحكمت
قوله كأنها فوق طاقات ضعفن بها * يدل على أنه أراد الخرم لأن ساق البنفسجة
لا يضعف عن حمل ورددتها وهذا الوصف بالخرم أشبه منه لسكب نوره ودقة ساقه
فاعرف ذلك. وقالت في البنفسج:

وروضة كأنها من حسنها
قد نثر الليل على أنوارها
بكت عليها مرزته فابتسمت
وحولها بنفسج كأنه
وقال آخر:

وكان البنفسج الغض فيه
وقلت: وبخافات البنفسج يحكي
وقلت في الهنة النادرة تحت ورقة البنفسج ولم أسمع فيها من الشعر العربي شيئاً:
ومعنعج قال الكمال خلقة
زعم البنفسج أنه كعداره
أثر اللطم في خدود الغيد
أثر القرص في خدود العذارى
كن مجتمعا للطيبات فكانه
حسناً فسألوا من قفاه لسانه

وقال ابن الرومي :

أشرب على ورد البنفسج قبل تأنيب الحسود
فكأما أوراقها آثاراً قرص في الخلود

أغرب معنى جاء في الشقائق قول الأخيطل :

هذي الشقائق قد أبصرت حمرتها مستشرفات على قضبانها الذليل
كأنها دمعَةٌ قد مسّحت كحُلاً جالت به وقفة في وجنتي خجِل
وأظن الاخيطل ابتكره إلا أنه أوردته في أهجن معرض وفي أشد ما يكون من

التكلف وأتى بالمحال لان الوقفة لا تجول فنظّمته وقلت :

وشقائقٌ نقشَ الربيعُ ثيابها فبرزنَ بينَ مكحلٍ ومجسّد
كالخلدٍ يصبغهُ الحياءُ بحمرةٍ وجرى عليه الدمعُ خلطاً الأمد

ومن غريب ما قيل فيها قول بعض المتأخرين :

طربَ الشقائقُ للحمامِ وقد شجا شجواً القيانَ فشقَّ فضلَ ردائه
وتحيرت ما بينَ إمد ماقه في الخلدِ دمعتهُ وبينَ حيائه
فكانه الحبشيُّ بضعَ جسمهُ فثيابهُ مُخضلةٌ بدمائه

وجعل الشقائق واحداً وهي جماعة مؤنثة والواحد شقيقة فاذا ذكر فعلى

معنى النور وتسميه العرب الشقر . وقلت :

وللشقائق خالٌ فوقَ وجنتها ووجنة الوردِ بالدینارِ منقوطة

وقال التنوخي :

شقائقٌ مثلُ خدودِ نقشت شواربٌ بالمسكِ فيها ولحي

وهو بعيد لأن السواد الذي فيها لا يشبه الشوارب .

ومن أحسن ما قيل في الآذريون قول ابن المعتز :

يا ربما نازعني رُوحِ دنانٍ صافيه

في روضةٍ كأنها جلد سماءٍ طاربه

كأما أنهارها بمياهٍ وردٍ جارٍه
 كأن آذرُيُونها غِبَّ سماءِ هاميه
 مداهنٌ من ذهبٍ فيها بقايا غاليه

وقال أيضاً :

وصيّر آذرِيونهُ فوقَ أذنه
 وقلت : ولاحَ آذرُيُونها
 وقال المشاطي^(١) :

تراهُ مُعيوناً بالنهارِ نواظراً
 وبعَدَ غروبِ الشمسِ أزرارَ ديباج
 وقال ابن المعتز :

كأنها مداهنٌ من ذهبٍ مُشرفاتٌ وسطهنَّ غاليه
 أتم التشبيه ههنا بقوله « مشرفات » . ومن جيد ما قيل في البهار قول ابن الرومي :
 وروضةٌ عذراءٌ غيرُ عانسِه
 فيها شمسٌ للبهارِ دارسِه
 كأنها جِجامُ الشامسِه
 ترُوقك النورُ منها الماكسِه
 بعينٍ يقظيٍّ ويجيد ناعسِه
 وخرمٌ في صبغِه الطيالسِه
 مثل الطواويسِ غدت مطاوسِه
 وقال ابن المعتز :

في روضةٍ كحلل العروسِ وخرمٌ كهامةِ الطاووسِ
 وقلت في المذهب الذي سلكه ابن الرومي :

خرمَةٌ كهامةِ الطاووسِه
 والعين في فنائها محبوسِه
 داري من بهجتها مأنوسِه
 محفوظةٌ تحسبها محروسِه
 تعجبني منظورة ملوسِه
 مرفوعة الهامة أومنكوسِه

(١) هو علي بن محمد المشاطي اتصل بأل حمدان ، له تصانيف في الأدب .

باقوتة لکنها مغروسه في زهر^(١) كالشعل المقبوسه
كجلل • ألوانها ملبوسه

وقال التنوخي :

ومن حُرِّمَ غُضَّ خِلَالَ شَتَائِقِ يُلُوحُ كَخِيْلَانٍ عَلَي وَرَدْتِي خَدِّ
وَإِذَا كَانَ فِي الْخَلْدِ خِيْلَانٌ لَمْ يَسْتَحْسِنِ انْخَالِ الْوَاحِدِ . وَقَلْتُ :

عَلَى رِيَاضِ حُرِّمَ كَأَنَّهَا رُوَّسٌ هَدَابِ حَرِيرِ الْخَلِّ
وَقَالَ ابْنُ طَبَّاطَبَا :

وَطَوَّسَ فِيهَا حُرِّمٌ فَكَأَنَّهَا صَامَاتٌ وَشِيٌّ هُمَيْتٌ لِحَازِنِ
وَقَلْتُ فِي الْبَهَارِ وَالْوَرْدِ :

وَرَدٌّ إِلَى جَنْبِهِ بَهَارٌ كَالْخُدِّ أَصْفَى إِلَيْهِ قَرَطٌ

وَقَدْ جَمَعْتُ أَصْنَافَ الْمَشْوَرِ فِي آيَاتٍ وَمَا جَمَعَهَا أَحَدٌ إِلَّا بَعْضَ الْكِتَابِ
فِي آيَاتٍ غَيْرِ مَخْتَارَةِ الرَّصْفِ فَقَلْتُ :

أَلْوَانٌ مَشْوَرٌ يَرِيكَ حَسْنَهَا أَلْوَانٌ يَاقُوتِ زَهَا فِي عَقْدِهِ
يَاحْسِنَهَا فِي كَفِّ مَنْ يَشْبِهُهَا فَانظُرْ إِلَى النَّدِّ بِكَفِّ نَدِهِ
مَنْ أَشْهَلُ كَعَيْنِهِ وَأَبْيَضُ كَشَفْرِهِ وَأَحْمَرُ كَخَدِهِ
وَأَصْفَرُ مِثْلَ صَرِيحِ حُجْبِهِ إِذَا تَفَشَّاهُ غَوَاشِي صَدِّهِ

وقال السري في الورد :

أَمَا تَرَى الْوَرْدَ قَدْ بَاحَ الرَّيْبُ بِهِ مِنْ بَعْدِ مَأمَرٍ حَوْلَهُ وَهُوَ اضْهَارُ
وَكَانَ فِي حَلْلِ خَضَرٍ وَقَدْ خَالَتْهُ الْإِعْرَى أَغْفَلَتْ مِنْهَا وَأَزْرَارُ
وَقَلْتُ : لَيْسَ يَنْفَكُ لِلْغِيَامِ أَيَادِي تَتَكَافَأُ وَأَنْعَمُ تَتَجَدَّدُ
فَتَرَى رَعْدَهُ بِشَقِّ حَرِيرٍ وَسَنِي بَرَقِهِ يَطْرُزُ مِطْرَدُ
وَتَرَى لِلزَّمَانِ غُصْنًا وَرَيْقًا يَمْلِكُ الطَّرْفَ إِذْ يَقُومُ وَيَأُودُ

أثبت الأرضَ عسجداً ولجيناً
 وجرى الريحَ سَجسجاً^(١) ورخاءً
 وسبي العينَ لؤلؤً وعقيقاً
 فترى ثمَّ مضحكاً بتجلى
 قطرات الندى أحاداً ومثنى
 وكان الشقيقَ كأسُ عقيقٍ
 فترى النجدَ في رداءٍ موشى
 وعليه من البهارِ عطاف
 وترى النورَ مثلَ مضحكِ خود
 ومن بديع ما قيل في كون النيلوفر وظهوره قول ابن الرومي :

فكانه في الماءِ صاحبُ مذهبٍ
 أغراهُ وسواسٌ بأن لا يظهر
 وقال السري^(٢) :

ونيلوفرٍ أوراقهُ الخضرُ تحتهُ
 بساطٌ إليه الأعينُ النجلُ شخصُ
 هذا البيت غير مختار الرصف ظاهر التكلف :

إذا غاص في الماءِ النميرُ حسبهُ
 رؤوسَ إوزٍ في الحياضِ تفوض
 وقوله « النمير » لا يحتاج إليه . وقال آخر من أبيات :

كأنما كلُّ قضيبٍ بها يحملُ في أعلاهُ ياقوته
 وقلت : فشربتها عذراء من يدٍ مثلها
 تحكى الصباحَ مع الصباحِ المشرق
 في روضةٍ تلقاك حينَ لقيتها
 بمنمن من نبتها ومنمق
 فانظر إلى عشبٍ هناكِ مجمع
 وانظر إلى زهرٍ هناكِ مفروق

(١) في نسخة « سجداً » . (٢) المنهي : المحل الذي ينتهى إليه الماء .

(٣) هو السري الرفاء الموصلى ، مدح سيف الدولة والوزير المهلبى والكبار ،

وكان بينه وبين الخالدين معاداة .

تجى بورِد كالجين مكفر
وكذاك تتحف من مناقع مائها
بمخلق يعلو ذؤابة أخلق
جان يحاول أن يبين ويتقى
فالى السرور لنا عنان مطلق^ه

وقد أحسن القائل في صفة الرياض :

بكين فأضحكن الرثي عن زخارف
ترى قضب الياقوت تحت زبرجد
من الروض عنهن الثرى متهامل^ه
تنوء به أعناقهن الموائل
فيصبحن أبكاراً وهن حوامل
تلقها الأنداء ليلاً بريقها

وقلت في الآس ولأعرف لأحد فيه شيئاً بديعاً :

ومهرجان^ه معجب^ه موق^ه
طالعت فيه غرراً وضحا^ه
كالنور غب السبيل الساجم
مثل شواير بني هاشم
والآس في كفى أحبيهم^ه

وقلت في الريحان :

وخضر^ه يجمع الأعجاز منها
لها حسن العوارض حين تبدو
مناطق مثل أطواق الحمام
وفيه لين أعطاف الغلام

وقال كشاجم وأحسن :

أرتك يد الغيث آثارها
وكانت أكننت لكانونها
وأعلنت الأرض أسرارها
خبثاً فأعطته آذارها

والنصف الأول من هذا البيت متكلف :

فما تقع العين إلا على
يفتح فيها نسيم الصبا
رياض تصنف أنوارها
ندى ظل يفتض أبكارها
جنها فيهتك أстарها
وتدنى الى بعضها بعضها
كضم^ه الاجبة زوارها

كأنَّ تفتحها بالضحى
 تفضُّ لرجسها أعيناً
 عذاري تحلُّ أزرارها
 وطوراً تحدقُ أبصارها
 إذا مزنةٌ سبكت ماءها
 وقال فيها: وأقبلَ ينظمُ أنجادها
 بغيضِ المياهِ وأغوارها
 وأرضع جناتها دَرَه
 فعمَّ بالنورِ أشجارها
 ودارَ بأكنافها دَوْرَه
 تنسى الاوائلِ برجارها
 وقال أيضاً في الباقي :

جنى يومٍ لم يؤخر لعدِ
 كالعقدِ إلا أنه لم يُعقدِ
 ولم ينقل من يدٍ الى يدٍ
 أو كالفصوصِ في أكفِ الخردِ
 أو ككبار اللؤلؤِ المنضدِ
 في طيِّ أصدافٍ من الزبرجدِ
 مفروشة بالكرسفِ الملبَّدِ

وقلت فيه أيضاً :

أبدى الربيعُ لنا من حُسنِ صنعتهِ
 خضرٌ ظواهرُها بيضٌ بطائنها
 شبائه اتفقت في الشكلِ والصورِ
 تحكى القباطى تحت السندسِ النضرِ
 بيضٌ شبائه في خضرٍ ملهلهِ
 مثل الزبرجدِ مثنياً على دررِ
 ينشقُّ أخضرُها عن أبيضِ يققِ
 كالنغرِ يشرقُ تحت الشاربِ الخضرِ
 ومن المشهور في ورد الباقي قول الصنوبرى :

وبنات باقلى يُشبهه نورُها
 وقلت فيه : ويُرهى ورْدُ باقلى
 بلق الحمامِ مُشيلةً أذنا بها
 كأطواقِ الشعانينِ
 وقال السرى في غير ذلك :

في زاهر عبقِ تצועه
 ضاهى ممسكهُ معنبره
 فكان عطاراً يعطره
 وحكى مدْرَهه مدْرَه

ومن أجود ما قيل في البساتين ومواضع الأشجار قول الخليل بن أحمد أخبرنا

أبو أحمد عن رجل عن الرياشي قال كان في يد الخليل بن أحمد أرض من
أراضي البصرة ليقيم فلما بلغ اليعيم مضى به الخليل إلى الأرض ومعه قارورة من
ماء زمزم فلما جاء المدُّ صب ما فيها في فوهة نهرها ليخلص إلى جميعها ثم قال يا بني
هذه أرضك فقم فصل فيها ركعتين واشكر الله على ما أعطاك منها وادع بالبركة
لك ولن بعدك ، ثم أنشأ يقول في وصفها :

ترفعت عن يدِ الاعماقِ وانخفضت عن المعاطش واستغنت بسقيهاها
فالتفَّ بالزهرِ والريحانِ أسفلها ومالَ بالنخلِ والمانِ أعلاها
وصارَ يحسده فيها أصادقهُ ولائمٌ لامَ فيها من تمنائها
أبا معاوية أشكر فضلَ واهبها وكلما جئتُها فاعمر مصلاها

وقال ابن المعتز في السرو والرجس :

لدى رجسٍ غصٍ وسروٍ كأنهُ قدودُ جوارٍ رحنَ في أرزٍ خضر
وقلت : لبسَ الماءُ والهواءُ صفاءً واكتسى الروضُ بهجةً وبهاءً
فكانَ النهاءُ صرنَ رياضاً وكانَ الرياضُ عدنَ نهاءً
وكانَ الهواءُ صارَ رحيقاً وكانَ الرحيقُ صارَ هواءً
وتخالُ السماءُ بالليلِ أرضاً وترى الأرضُ بالنهارِ سماءً
جللتها الانواءُ زهراً وصفراً يومَ ظلت تنادمُ الأنواءُ
قترها ما بينَ نوِّهٍ ونوِّرٍ تسكفا تبسماً وبكاءً
وتظلُّ الأشجارُ تتخذُ الحسنَ قميصاً أو الجمالَ رداءً
لبست حينَ أثمرت مُخلدات^(١) واكتست حينَ أورقت سِراء^(٢)
وترى السرو كلناجرٍ تزهِى وترى الطير فوقها خطباءً

وقال أبو عيينة :

تذكرني الفردوسُ طوراً فأرعوى وطوراً تواتبني على القصف والفتك

بفرس كأبكار الجوارى وتربة
وقال السرى في تفاح ودستنبورى ورمات :

إن شيطانك في الظرف في شيطان مريد
فلهذا أنت فيه مبدى ثم معيد
قد أتتفا طرف منك على الظرف تزيد
طبق فيه حدود وقدود ونهود

وقد أحسن التنوخى في وصف النارنج حيث يقول :

لم لا تجن بها القلوب وقد غدت مثل القلوب
وقلت: تطالعنا بين الغصون كأنها
خود عذارى في ملاحفها الخضر
أت كل مشتاق ربا حبيبه
فهاجت له الأحزان من حيث لا يدري
وقال: إذا لاح في أغصانه فكأنه
شموس عقيق في قباب زبرجد
وقلت في المركب :

مركب تعجب من حسنه
يشا كل العاشق في لونه
قد كنز الفضة في تبه
ويشبه المعشوق في نشره

وقال الصنوبرى في التفاح وقد ظرف :

أعطت يدها محبه تفاحة
وهذا البيت متكلف جداً:
تعطى المحب أمانه من صدّه

فعلت حين لثمتها من كفه
وقال أيضاً في الترجة وأحسن :
انى سألتهم أختها من خده

جاء فحيانى بأترجة
أتى بها ناعمة غضة
من ذهب قد حشيت فضه
تصلح أن تبذل للعضه
أحب بها من مسكة محضة
ناولنيها مسكة محضة

وقلت في الأترج والتارنج :

تري التارنج في ورق مضير
فتحسبه عقيقاً في زرجد
وأترج على الأغصان بزهي

وقال بعضهم في دستنبوية :

يا حبذا تحية رحت بها مسرورا
مخزنة من ذهب قد ملئت كافورا

وقال غيره في الليمون :

وقهوة تزهر في السراج نشربها على كراة عاج

ملبسات أصفر الديباج

وقلت فيه : أحلق ليموناً بأترجة كأنجم تحلق بالبدر
مخروطة الأجساد من فضة ملبسات قمص التبر
قد شدت من هاماتها زرها يا عجباً من ذلك الزر
اشرب عليها وتمتع بها فانها من تحف الدهر

وابعض الكتاب رسالة في التفاح ليس لها نظير في معناها وهي التي أخبرنا بها
أبو أحمد قال أخبرنا الجلودي قال حدثنا أحمد بن أبي طاهر قال أهدى ظريف من الكتاب
تفاحة وكتب : لما رأيت تنافس أحبابك وثقات أصدقائك على الهدايا وتواتر الطافهم
عليك تفكرت في هدية تخف مؤنتها وبِعظام خطرها ويجل موقعها تجمع الخصال
المحمودة وتنظم الخلال الموموقة فلم أجد شيئاً يجتمع فيه ما أحببنا ويكمل له ما وصفنا
غير التفاح فأهديت إليك منه واحدة وأحببت أن أنبهك على فضلها وأقنك على
نبلها وأكشف لك عن سرورها وأعرفك لطائف معانيها وأنعت لك مقالة الأطباء
فيها وما نظمت الشعراء في مدحها حتى تراها بعين الجلالة وتنظر إليها نظر الصيانة
فانه يحكي عن أمير المؤمنين المأمون أنه قال : اجتمع في التفاح الصفرة الدرية والحمرة
الخرية الذهبية وبياض الفضة ونور القمر يلتد بها من الخواص ثلاث العين لحسن لونها

والأنف لطيب عرفها والفم للذة طعمها ، وقال حكيم من الحكماء : الخمر صديقة
الجسم والتفاح صديق الروح ، وقال آخر منهم وقد حضرت وفاته واجتمع إليه
تلاميذته وأراد مناظرتهم فضعف عنها فقال : إئتوني بتفاحة أعصم برأحتها ربما
أقضى وطرى من المناظرة . فلم يستخفها إلا لفضلها على غيرها ، وقال آخر : جسم التفاح
صديق الجسم وريحه صديق الروح ، وقال حكيم من الأطباء : إن أجود الأشياء
لعلاج المزاج الخاد الكائن في المعدة مع المزاج البارد الكائن في الرأس وغشيان
النفس وقلة الاستمراء للطعام التفاح ، وقال إبراهيم بن هانيء : ماعلل المريض المبتلى
وسكنت حرارة الشكلى وردعت شهوة الحلبى ولا كسرت فورة السكران ولا أراضى
الغضبان ولاردت عرامة الصبييان بشيء مثل التفاح . والتفاحة إن حملتها لم تثقلك
وإن رميت بهالم تؤمك وقد اجتمع فيها لون قوس قزح من الحمرة والخضرة ولو حل
التفاح لكان قوساً ولو عقدت القوس لكانت تفاحاً ، وقال بعض الشعراء :

مُحْمَرَةُ التَّفَاحِ فِي خُضْرَتِهِ أَقْرَبُ الْأَشْيَاءِ مِنْ قَوْسِ قَزَحٍ

والحمرة تفاحة ذائبة والتفاحة حمرة جامدة . وقال الشاعر * الخمر والتفاح شكلان *

وقال آخر : تَفَاحَةٌ حَمْرَاءُ مَنقُوشَةٌ رَكِبَتْهَا فِي غُصْنِ الْأَسِّ

أَبْسَتْهَا وَرَدَاءً وَكَلَّمَتْهَا إِكْلِيلَ نَسْرِينَ عَلَى الرَّاسِ

وقال آخر في التفاحه :

كَأَنَّمَا حَمْرَتَهَا حَمْرَةٌ خَدَّيْ خَبَجَلٍ

وقال ابن أبي أمية :

مَازَلْتُ أُرْجُوكَ وَأَخْشِي الرَّدَى مَعْتَصِمًا بِاللَّهِ وَالصَّبْرِ

حَتَّى أَتَنَّى مِنْكَ تَفَاحَةً زَحْزَحَتِ الْأَحْزَانَ عَنْ صَدْرِي

حَشَوْتَهَا مَسْكَاً وَنَقَشْتَهَا وَنَقَشُ كَفَيْكَ مِنَ السَّحْرِ

وَإِهَاءً لَهَا تَفَاحَةٌ أَهْدَيْتُ لَوْلَمْ تَكُنْ مِنْ مُخَدَّعِ الدَّهْرِ

فاذا وصلت إليك - أوصلك الله إلى رحمته وعطفه - فتأمل وصفها بعينك وتناولها

بيمينك وأحضرها ذهنك وفرغ لها شغلك واجمع لها عقلك وغازها ساعة وهازلها
 أخرى ولا تكن متهاوناً بقدرها غير عالم بفضائلها فتناولها بحركة باردة وطبيعة
 جامدة وقلب ساه وعقل لاه وذهن غبي وشراهية نهم عساه أن يكلمها بأسنانها
 ولا يدري ما قدرها عند إخوانه ويقصر بمن حياه وينتقص من أهدها ولا يتخدها
 بيدك ولا تلمها بظفرك ولا تتبذلها للغبار ولا تعرضها للدخان فاذا طال لبثها لديك
 وخفت أن يرميها الزمان بسهمه ويقصدها بريبه ويذهب بهجتها ويحول نضرتها
 فهيناً لك أكلها والسلام .

وشبه بعضهم ورق الريحان بقافات وفاآت في شعر غير جيد قتر كته ولم أذكره .
 وقلت في الريحان :

ثم انثينا الى خضير مُنعمية كأنَّ أوراقها آذانُ جُرذان
 وقهوة كجنيِّ الوردِ وشحه من لؤلؤِ القطرِ والأنداءِ سمطان
 وقال السرى في دستنبوية :

وأغنَّ كلرُشا الغريبِ نشا خلالَ الربرب
 في خده وردَّ حماهُ من القفافِ بعقرب
 حيا بدستنبوية مثل السنان المذهب
 وقال أيضاً فيها :

صفراء ما عنتت لعيني ناظرٍ إلا توهمها سناناً مُذهبا
 وقلت : وأترج يحفُّ بها أقاح كبدر الليل تكنفه النجوم
 وقال السرى في نارنجية :

أهدت على نأى المحلِّ وقد أنأى التصبرَ طولَ هجرتها
 نارنجيةً منها استعيرَ لها ما ألبست من حُسنِ بهجتها
 وشاعها من نورِ وجنتها ونسيمها من عطرِ نكبتها
 وكان ما يخفيه باطنها ما أضمرت من سوءِ غدرتها

وحكى اخضرار^ه شاب وجنتها
فأتتك مكملة^ه محاسنها
فشعارها صفو اللجين ومن
تهدى إلى الأزواح من بعد
ويصونها مسرى رواجها
فاشرب عليها من شقيقتها
واعطف عنان النفس عن فكر
وقال ابن طباطبا العلوى في الاترج :

ريحانة^ه في اصفرار مهيها
أحبة^ه لم تصيخ لهاذها
شبهتها بعد فكرة فيها
تسد آذانها بأيديها

فأورد المعنى في بيتين فقصر من غرابة معناه . وجعلت دستنبوية متفعة في غصن آس
فسقطت فناولنيها بعض الأحبة فقلت :

وأصفر^ه يهوى من ذؤابة أخضر
له شعب تهوى^(٢) على سراته
فناولنيه ذو دلال كأنما
فأصبح مشهور الجمال مشهراً
وقال بعضهم في الأترج :

لها ورق^ه ريحها ريح^ه
كأن تعطف أوراقها

وقال ابن خلاد في شجر الزيتون :

إذا ذلت الأشجار يوماً لجفوة
تصرف في اللذات من كل مطعم
فإن لها عز القناعة والصبر
تصرف زيد آخذاً بقفا عمرو

وقلت في التفاح :

ليس ریحُ التفاح عندی بريحٍ
لاولکینه صدیقٌ لروحي
مُحرّة الخدِّ واخضرارُ عذارٍ
فلیحٌ یطوفُ حَولَ ملیح

وقال نصر بن أحمد :

أكلتُ تفاحةً فعاتبني
فقی رآها كخدِّ معشوقه
فقال خدُّ الجیب تأكله
فقلت لابل أمصُّ من ريقه

وقال السري :

لو جُمِدَتْ رَأْحُنَا اغتدت ذهباً
أوذابَ تفاحنا غدا راحا
وقلت في الرمان ولا أعرف فيه شيئاً مرضياً :

حكي الرمانُ أوَّلَ ما تبدى
حِقاقَ زبرجدٍ يُحشِينَ دُرّاً
فجاءَ الصيفُ يحشوهُ عقيماً
ويكسوهُ مرورُ القیظِ تبراً
ويحكي في الغصونِ ندىَّ حورٍ
شققنَ غلائلاً عنهن خضرا

وقلت في خوخة :

وخوخة ملء يدِ الجانية
تملكُ لحظَّ الأعينِ الرانية
مصفرة الوجنةِ محمرة
كانها عاشقةٌ ساليه

وأجود ما قيل في العنب قول ابن الرومي :

ورازقيَّ مخطفِ الخصورِ
كانه مخازنُ البلورِ
قد ملئتُ مسكاً إلى الشطورِ
وفي الاعالی ماءُ وردٍ جوری
لم يُبقِ منها وهجُ الحرورِ
إلا ضياءً في ظروفِ نورِ
له مذاقُ العسلِ المشورِ
وبردٌ مسٌّ الخصرِ المقرورِ
ونفحةُ المسكِ مع الكافورِ
لو أنهُ يبقى مع الدهورِ

قرَّظَ آذانَ الحسانِ الحورِ

وقال في معناه :

ورازقيّ مخطفُ خصورهُ قد أينعت أنصافهُ الأسافلُ
 كأنها مخازنُ مملوءةٌ من ماءٍ وردٍ فيه مسكٌ ثافلُ
 لا يزيد على هذا الوصف أحد . ودخل اعرابي على هشام بن عبد الملك فقال
 له هشام ما أطيب العنب عندكم ؟ قال ما خضر عوده وغلظ عموده وسبط عنقوده
 ورق لحاؤه وكثر ماؤه . فقال له كم عطاءك ؟ فقال ألفين فسكت ساعة ثم قال له
 كم عطاؤك ؟ قال ألفان . قال فلم لحت أولاً ؟ قال لم أشته أن أكون فارساً وأمير
 المؤمنين راجلاً لحت فلحت ونحوت فنحوت . فاستحسن أدهب وأجازه . وقلت :

باكرنا الدهرُ بسرَّائه وكفَّ عنا بأسَ بأسائه
 وجاءنا أيلولُ مستبشراً يثني على الدهرِ بآلائه
 أما ترى الرقةَ في جِوهٍ تناسبُ الرقةَ في مائه
 أنظر الى أنواع أثماره قد ضمها في بُردِ أحشائه
 راحت عليها نسماتُ الصبا تقرصها في بردِ أفئائه
 أما ترى حسنَ ملاحيسه يُهدى الى بهجة شعرائه
 أنظر الى رُمانه ضاحكاً حراؤه في وجهه بيضائه

وقال ابن المعتز في العنب :

ظلت عناقيدُها يخرجن من ورق
 ويروى لابن المعتز في التفاح :
 وتفاحة صفراء حمرآ غضة
 كخددٍ محبب فوق خد حبيب
 أحبها طوراً وأشربُ مثلها
 من الراح في كفي أغن ريب
 وقلت في النارنج :

روض زهاهُ المزنُ في كراته
 بمكفر^(١) ومزعفرٍ ومُضرج
 فتبسم النارنج في شجراته
 مثل العقيق يلوح في الفيروزج

(١) أي ممزوج بالكافور .

والسكاس يحملها أغصانُ بزينةٍ وجناتُ وردٍ في عذارِ بنفسج
ومن أجود ما قيل في النخل من قديم الشعر ما أنشدناه أبو أحمد عن الجلودى
عن محمد بن العباس عن أبيه عن الأصمعي للنمر بن تولب :

ضربن العرقَ في ينبوعِ عينِ طلبنَ معينه حتى ارتوينا (١)
بنات الدهرِ لا يخشينَ محلاً إذا لم تَبَقَ سائمةٌ بقينا
كاننَّ فروعهنَّ بكل ريحِ عذارى بالنوائبِ ينتصينا (٢)
وقد ملح النابغة في قوله :

صغارُ النوى مكنوزةٌ ليس قشرها إذا طارَ قشرُ التمرِ عنها بطائر
من الوارداتِ الماءَ بالقاع تستقى بأعجازها قبلَ استقاءِ الخناجر
وهذا أجود من الأول لأنه ذكر أنهم ورددن الماءَ يعنى الماء الذى فى
بطن الأرض معينا . وقال النمرُ « طلبن معينه » فجعل الماء الذى فى بطن الأرض
معيناً ، والمعين إنما هو الماء الجارى على وجه الأرض ظاهراً .

ومن أجود ما قيل فى الطلع من الشعر القديم قول كعب بن الأشرف (٣) :
ونخيل فى تلاعِ حمةٍ تخرجُ الطلعَ كأمثالِ الكف
وقال الربيع بن أبى الحقيق :

أذلك أم غرسٌ من النخلِ مترعٍ بوادى القرى فيه العيونُ الرواجعُ
لها سعفٌ جعدٌ وليفٌ كأنه حواشى بُرودِ حاكهن الصوانع
وهذا فى وصف الليف حسن . وأخبرنا أبو أحمد عن الجلودى عن الحرث بن
اسماعيل عن سهل بن محمد عن علي بن محمد عن أسلم الأزدي عن يونس عن الشعبي
قال كتب قيصر إلى عمر : إن رسلى أخبروني أن بأرضك شجرة كالرجل القائم تغلق

(١) فى نسخة « حتى روينا » . (٢) أى يأخذ بعضها بنواصي بعض .

(٣) هو كعب الطائى الشاعر الشجاع الجاهلى كان ينال من المسلمين

عن مثل آذان الحجر ثم يصير مثل اللؤلؤ ثم يعود كالزمرد الاخضر ثم يصير كالياقوت
 الاحمر والاصفر ثم يرطب فيكون كأطيب فالوذ اتخذ ثم يجف فيكون
 عصمة للمقيم وزاداً للمسافر فان كان رسلى صدقوني فهي الشجرة التي نبتت على مريم
 بنت عمران . فكتب عمر اليه : ان رسلك صدقوك وهي شجرة مريم فاتق الله
 ولا تتخذ عيسى إلهاً من دون الله .

وهذه تشبيهات مصيبة أخذها عبد الصمد بن المعذل فقال يصف النخل :

حدائقٌ ملتفة الجنانِ رست بشاطى ترع ريان
 تمتازُ بالأعجازِ للاذقانِ لاترهبُ المحلَّ من الازمان
 ولا توفى ختلَ الذؤبانِ ولا ترى ناشدة الرعيان
 ولا تخافُ عرَّةَ الاوطانِ سُحْمُ الرؤوسِ كمتُ الابدان
 لها بيوم البارح الجنانِ مثلُ تناصى الخرد الحسان
 إذ هي أبدت زينة الرهبانِ لاحت بكافورٍ على إهان
 يطلعُ منها كيد الانسانِ إذا بدت ملمومة البنان
 عُلت بورسٍ أو يزعفرانِ حتى إذا شبه بالآذان
 من حمرٍ الوحشِ لذى عيانِ وهذا لفظ زائد على معناه :
 شققه عُلجانِ ماهرانِ من لؤلؤ صيغ على قُضبان
 مصوغة من ذهب خلصانِ ثم ترى لل سبع والثمان
 قد حالَ مثلَ الشدرِ في الجنانِ يضحكُ عن مشتبهِ الأقران
 كأنه في باطن الأفنانِ زمردٌ لاح على التيجان
 حتى إذا تمَّ له شهرانِ وانسدلت عثا كل القنوان
 كأنها قضب من العميانِ فصلنَ بالياقوتِ والمرجان
 من قانيٍ أحمر أرجوانِ وفاقع أصفر كالنيران

مثل الأكميل على الغواني

ولا أعرف في النخل من شعر المحدثين أجود من هذه الارجوزة . وقلت :
 ونخيل وقفن في معطف المرسل وقوف الحبشان في التيجان
 شربت بالاعجاز حتى تروت وترأت بزينة الرحمان
 طلع الطلع في الجاجم منها كأ كف خرجن من أردان
 فتراها كأنها كمت الخيل توافت مُصرة الآذان
 أهو الطلع أم سلاسلُ عاج مُحلت في سفائن العقيان
 ثم عادت شبائهاً تتباهى بأعلى شبائه أقران
 خرزات من الزبرجد خضرة وهبتها السلوك للقضبان
 ثم حال النجارُ واختلف الشكلُ فلاحت بجوهر ألوان
 بين صُفر فواقع تتباهى في شماريخها وُحمر قواني
 وقال بعض العرب * طلماً كآذان الكلاب البيض *
 وقال ابن المعتز في الرطب :

كقطع العقيق يانعات بخالص التبر منوعات
 وأخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر بن دريد قال أخبرنا السكن بن السعيد
 قال أخبرنا محمد بن عباد قال تكلم صعصعة عند معاوية بكلام أحسن فيه فحسده
 عمرو بن العاص فقال : هذا بالتمر أبصر منه بالكلام ، قال صعصعة : أجل أجوده
 ماذق نواه ورق سحاؤه وعظم لحوؤه والريح تنفجه والشمس تنضجه والبرد
 يدجه ولكنك يا ابن العاص لا تمرأ تصف ولا الخير تعرف بل تحسد فتعرف ^(١)
 فقال معاوية رغباً فقال عمرو أضعاف الرغم لك وما بي إلا بعض ما بك .
 ومن الغلو في صفة التمر ما أخبرنا به أبو أحمد عن ابن الأباري عن اسماعيل
 ابن أسحق القاضي عن أبي نصر قال قال الأصمعي قيل للغاضري أي التمر أجود ؟
 قال : الجرد الفطس الذي كأن نواه ألسن الطير تضع الواحدة في فمك فتجدد

(١) أي تقذف .

حلاوتها في كعبك يعني الصيحاني . وقال الخباز البلدي :

ذرى شجر للطير فيه تشاجر
كأن القمارى والبلابل بينها
شربنا على ذاك الترم قهوة

وقال غيره :

أى يوم لنا على التلّ بالما
وردد الدرّ فيه في شجر اللو
وقلت : ظل يسقى حدائقاً وجناناً
خطرت بينها الرياحُ سُحيراً
وتناجى الغصونُ فيها سرّاراً
فتناجى الغصونُ شبه عتاب
من كروم تمّألت بعناقيد
وملاحية تميلُ أخرى
كلا لى تشبثت بلال
فهى كالنجم في فروع كروم

وقلت في البطيخ :

وجامعة لأصناف المعانى
وإحداهن تبرز في عباء
ومنها ماتشبههُ بُدوراً

وقلت : ولون واحد يُلقى
بسمرانٍ وسودانٍ
كوشى في يدى واشٍ

صلحن لوقتٍ إكثارٍ وقله
وأخراهن في حبرٍ وحلّه
فان قطعها رجعت أهله

فيأتينا بألوان
ومهرانٍ وصفرانٍ
وشهدى في يدى جاني

فمن أدم ومن نُقلٍ وريحانٍ وأشنانٍ
وأنشدنا أبو أحمد في الكرم :

لهنَّ ظلٌّ باردٌ الودائق يحملنَ لذّاً طعمه للذائق
كأنها غدائرُ العواتق تُنَاطُ في حُجرٍ من المعالق
كأنها أناملُ القرائق

وهو من قول الآخر : * يحملنها بأنامل النقران * وقلت في اللقاح :
انظر الى اللقاح تنظرُ معجباً يجلو عليك مفضضاً في مذهب
يعلو مفارقة قلانس أخفيت من تحتهن دراهم لم تضرب
وقلت في قصب السكر ولا أعرف فيه شيئاً لأحد :

ومشوقة القامات بيض نحورها
وما حقب لا تستطيع اطراحها
وهن رماح لا تريق دم العدى
يميل على أعرافها عذباتها
تنهى بها الأدراك حتى كأنها
ترى الريح يغيرها بنجوى خفية
ومن جيد ما قيل في السدر والطلح قول بعضهم :

لم ترَ عينا ناظرٍ منظرًا أحسن من أفنانٍ طلح مروح (٢)
كأنها والريح تسمو بها ألوية منشورة للفتوح
وسدرة مدت بأفنانها على سواقٍ كتون الصفيح
إلا أن قوله « للفتوح » فضلٌ لا يحتاج اليه لأن الألوية إذا نشرت للفتوح
مثلها إذا نشرت لغير الفتوح فذكر الفتوح لغو .

وإنما أوردني هذا الكتاب مثل هذا الشعر لأن غيري اختارها فأريد أن

(١) رميم : اسم امرأة كهنة . (٢) مروح : أى أصابته الريح .

أدُلَّ على موضع العيب فيه ليوقف عليه . ومن جيد ما قيل في النبق قول بعضهم :
 أتاني غياني بنبق كأنه حلي عروس زان ليتاً وأخذنا
 بأحر كالياقوت يقطر ماؤه وأصفر كالعقيان ضمهما معا
 وقال آخر :

أقبلت تحت الليل كالظبي الغرق بالراح والريحان والمسك عبق
 فجاء بالوصل وحيًا بالنبق وقلت نبق هكذا وتنفق
 ما خضرَّ عوداً أبداً لانفترق

وقلت في النبق :

جلى الربيعُ	علينا	كواعباً	أبكاراً
مُتَوَّجات	عقيقاً	مسورات	نهاراً
ترى لهنَّ من الور	د شوذراً	وخماراً	
أهدى لنا جواهرات	تخيرُ	الابصارا	
ياحسن حمرٌ ومُصفرٌ	تريك	جمراً	ونارا
قد راقَ ذاك احمراراً	وراع	ذاك	اصفراراً
وخلتُ هذا عقيقاً	وخلتُ	ذاك	نُضاراً
وذاك شهداً مشاراً	وذاك	راحاً	عُقاراً
لو كان يبقى سليماً	نظمتُه	تقصاراً	(١)

وقلت في الشمس ولا أعرفُ فيه لأحد شيئاً مرضياً :

جنيتها والصبحُ ورديُّ العذب بنادقاً مخروطةً من الذهب
 قد ضمنت أمثالها من الخشب والتفَّ منها خشبٌ على غرب
 وصار منه السمُّ حشواً للضرب فهي لعمرى عجبٌ من العجب

الغرب الفضة ، والضربُ العسل . ولا أعرف في التين أجود من قول القائل :

(١) التقصار : القلادة تحيط بالعنق .

أهلاً بتين جاءنا
 يحكى الصباح بعضه
 مبسماً على طبق
 وبعضه يحكى الغسق
 كسفر مضمومة
 قد جمعت بلا حلق

وقال الحلبي في الفستق :

من الفستق الشامي كلُّ مصنونة
 زرجدة ملفوفة في حريرة
 تصان من الاحداث في بطن تابوت
 مضمونة ذراً مغشى يياقوت

وقلت في خيارة :

زرجدة فيها قراضة فضة
 تلم بناطورين في كل حجة
 فان رجعت تيراً فقد خس أمرها
 وعند المصيف ليس يفقد نفعها
 فيكثر فينا خيرها ثم شرها
 وعند الخريف ليس يؤمن ضرها

وأما ذمُّ الإساتين فمن أجود ما قيل فيه قول ابن الرومي :

لله ما ضيعته من الشجر
 ومعجبات من بقول وزهر
 أطفال غرس تربحي وتنتظر
 مصفرة قد هرمت لامن كبير
 حالقة لنبتها حلق الشعر
 كل امرئ غيري من هذا البشر
 ضميرها النار وان لم تستعر

بستانه أنثى وبستاني ذكر

ومما يجري مع هذا قول الاعرابي :

مطيرنا فلما أن روينا تهادرت
 ورامت رجال من رجال ظلامه
 شقاشق فيها رائب حليب
 وعدت ذحول بيننا وذنوب
 ألا ربما حاج الحبيب حبيب
 قليلاً ويشقى المترفين طيب
 ونصت ركاب للصبا فتروحت
 بني عمنا لا تعجلوا نضب^(١) الثرى
 وحنّت ركاب الحى حين تؤوب
 ولو قد تولى الضب وامرت القرى

وصارَ غَبوقَ الخُودِ وهي كريمةٌ على أهلها ذو جدتين مَشوب
 وصار الذي في أفه خنزُوانةٌ ينادي إلى هادي الرحا فيجيب
 أولئك أيامٌ تُبَسِّينُ للفستى أكاب سليلب أوأشمُ نجيب

﴿ الفصل الثالث من الباب السابع ﴾

في ذكر النسيم

من غريب ما قيل فيه قول ابن المعتز :

ونسيمٌ يُبَشِّرُ الأرضَ بالقطرِ كذليلِ الغلالةِ المبلولِ
 ووُجوهُ البلادِ تنتظرُ الغيثَ انتظارَ المحبِّ رَدَّ الرسولِ

وقال ابن الرومي :

حيثك عنا شمالٌ طافَ طائفها بحينة فجرت رَوْحاً وربحانا
 هبت سحيراً فَناجى الغُصنُ صاحبه سراً بها وتنادى الطيرُ إعلانا
 وُرُقٌ تغنى على خضِرٍ مُهدلةٌ تسمو بها وتشمُّ الأرضَ أحيانا
 تحالُ طائرُها نشوانٌ من طربِ والغصن من هزه عطفيه نشوانا

وقال ابن المعتز :

يَشُقُّ رياضاً قد تيقظ نورها وبللها دمعٌ من المزنِ ذَارِفٌ
 كأنَّ عبابَ المسكِ بين بقاعها يفتحها أيدي الرياح الضعائف
 وقلت : والصبأُ يجلبُ الغمامَ الينا فترى القطرَ للرياضِ نديماً
 وترى للغصونِ فيها نجيباً وعلى زهرةِ الرياضِ نديماً

وقال ابن الرومي :

كَأَنَّ نَسِيمَهَا أَرْجُ الخُزَامِي ولاها بعد وسمي ولي^(١)

(١) الولي المطر يأتي بعد الأول وهو الوسمي .

لأفنان الغصون بهانجي
تنفس كالشجي لها الخلي

هدية شمال هبت بليلى
إذا أنفاسها نسمت سحيراً

وقال ابن المعتز:

وروض من الريحان درت سحائبه
كما جر في ذيل الغلالة ساحبه

وماريح قاع عازب طله الندى
فجاءت سحيراً بين يوم وليلة
وقد أحسن التشبيه أيضاً في قوله:

نغدته والدجى والصبح خيطان
أفضى الشفيق إلى تنبيهه وسمان

ومهمه كرداء الوشى مشته
والريح تجذب أطراف الرداء كما
وقلت:

فبات به ثوب الهواء مكفراً^(١)

وأقبل نشر الروض في نفس الصبا

ومما لم يجيء في معناه مثله قول بشار: أخبرنا به أبو أحمد عن الصولى قال حدثنا
المسكتفى بالله يوماً أنه كان نائماً فسمع دق باب فانتبه له مرتاعاً ثم سكن قليلاً ثم
عاد فنظر فإذا الريح تحرك الباب حركة كأنها دق بيد، قال فقلت له قد ذكر
الشاعر ذلك وما هو فأنشدته لبشار:

بهدو أفارتعت منه ارتيابا

طرقنى صبا فحرت البيا

نقر الباب نقرة ثم هابا

فكأنى سمعت حس حبيب

قال ما كنت أظن أنه قيل في هذا شيء وما أقل ما يجرى مما لم يذكروه الناس.

وقال ابن الرومى وأحسن:

من كل نوع ورق الجو والماء

لولا فواكه أيلول إذا اجتمعت

عليه هائلة الخالين غبراء

إذا لما حملت نفسى متى اشتملت

فيه مضاجعنا والريح سجواء

ياحبذا ليل أيلول إذا بردت

من الضجيعين أحشاء وأحشاء

وجمش القر في الجلد وأتلقت

وأسفر القمر السارى فصَفَحْتَهُ^١ رِيَالِهَا مِنْ صَفَاءِ الْجَوِّ لِأَلَاءِ
 ياحبذا ففحة^٢ من ريحه سحرأ^٣ يَا تَيْلُكُ فِيهَا مِنَ الرِّيحَانِ أَنْبَاءُ
 قل فيه ماشئت من شهر^٤ تعهد^٥ فِي كُلِّ يَوْمٍ يَدُ اللَّهِ بِيضَاءُ
 وقلت : وله^٦ مجنح^٧ الأصيل نسيم^٨ لَيْنُ الْعُظْفِ هَيْنَ الْخَطِرَانِ
 أرج^٩ يقتدى به نفس المسك^{١٠} وتحكيه نكهة الزعفران
 كم غدا مدنفأ^{١١} وراح حسيرأ^{١٢} يَتَهَادَى فِي دَجَلَةِ الْمَسْرُقَانِ
 فرأينا له^{١٣} لبوس^{١٤} شجاع^{١٥} وَوَجَدْنَا بِهَا ارْتِعَاشَ جَبَانَ

وإلى هذا انتهى بنا القول في هذا الباب ولو أردنا استقصاءه أضجرنا وأملنا ولم
 نأت على ما في نفوسنا منه ، والاقتصار على المشاهير^(١) والأعيان منه أولى وبالله التوفيق .
 انقضى الباب السابع من كتاب ديوان المعاني والحمد لله وحده وصلواته على
 سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون
 ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي قمع الضلالة ودمغ الجهالة وقذف بالحق على الباطل فأزهقه
 وأزاله منه حتى أوبقه بما أقام من الدلائل الواضحة وبين من الشواهد اللائحة
 وجعل نطقه حدوداً حذرهم تعديها وخوفهم تخطيها بالقول الصادق والبيان الصادق
 إغذاراً وتحذيراً وحجة وتنبية لمن لم يقنع^١ ما سبق من صدق قوله وحتم أمره ونهيه
 حكم فيه السيف وسلط عليه السوط ليرداه إلى سبيل الحق بعد أن يجعله تسكلاً
 للخلق والله عليهم حكيم . وصلى الله على نبيه محمد وآله أجمعين . وهو حسبنا ونعم الوكيل .

(١) يرى بعضهم عدم جواز جمع (مشهور) على (مشاهير) بل مشهورين .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

في صفات الحرب والسلاح والطعن والضرب وما يجري مع ذلك ، وهو :

﴿ الباب الثامن من كتاب ديوان المعاني ﴾

قالوا أبلغ ما قيل في صفة الحرب قول الأوّل :

كأنّ الأفقَ محفوفٌ بنايرٍ وتحتَ النارِ آسادٌ تزيّر

وقريب منه قولٌ محدثٌ ^(١) :

ويوم كأن المصطلينَ بحجره وان لم يكن جمره وقوفٌ على جمر

صبرنا له حتى تجلى وإنما تُفَرِّجُ أيامَ الكريهةِ بالصبرِ

ومن بليغ ما قيل في شدة الروع قول زيد الخيل :

والخيلُ تعلمُ أي كنتُ فارسها يوم الاكس به من تجدة روق

وقول المفضل الكندي :

فداءٌ خالتي لبني حبيٍّ خصوصاً يومَ كسِّ القومِ روقُ

معناه ان الاكس وهو القصيرُ الأسنان قد كلع من كراهة الحال وشدة

الروع حتى تراه كأنه أروق وهو الطويل الأسنان ، آخذهُ أبو تمام فأجاده

في قوله * فخيل من شدة التعبيس مبتسماً * على أنه ليس فيه مدح لأن

الكلوح في الحرب لا يدل على الشجاعة . ومما يدخل في هذا الباب وليس منه

قول أبي فراس بن حمدان في خيل طاردت يوم تلج :

ويوم كأن الأرضَ شابت لهوله قطعتُ بخيل حشو فرسانها الصبرُ

(١) هذا البيت لنهشل بن حري التميمي فهو ليس لمحدث وقد حضر حرب

صفين ، ولعله أراد بمحدث أنه ليس بجاهل - كما في هامش الأصل .

نَسِيرٌ عَلَى مِثْلِ الْمَلَاءِ مُنْشَرًّا وَأَثَارَهَا تُطْرَزُ وَأَطْرَافُهَا حُمْرٌ
أَجُودٌ مَاقِيلٌ فِي اصْطِفَافِ الْخَيْلِ قَوْلُ الْأَشْعَرِ :

وَكِتَابَةٌ لَبَسَتْهَا بَكْتِيْبَةٌ حَتَّى تَقُولَ نَسَاؤُهُمْ هَذَا الْفَنَى
يَخْرُجْنَ مِنْ خَلَلِ الْغُبَارِ عَوَابِسًا كَأَنَّمَلِ الْمَقْرُورِ أَمَى فَاصْطَلَى
يَتَخَالَسُونَ نَفُوسَهُمْ بِرِمَاحِهِمْ فَبِمِثْلِهِمْ بَاهَى الْمِبَاهَى وَاتَمَى
وَمَنْ أَجُودٌ مَاقِيلٌ فِي انْصِبَابِ الْخَيْلِ فِي الْغَارَةِ قَوْلُ ضَمْرَةَ بْنِ ضَمْرَةَ :
وَالْخَيْلُ مِنْ خَلَلِ الْغُبَارِ خَوَارِجٌ كَالْتَمْرِ يَنْثُرُ مِنْ جِرَابِ الْجَرِيمِ (١)
وَقَالَ آخَرُ :

وَرُبَّتْ غَارَةٌ أَوْضَعْتُ فِيهَا كَسْحَ الْخَزْرَجِيِّ جَرِيمِ تَمْرٍ
وَقَدْ أَحْسَنَ الْأَعْرَابِيُّ فِي قَوْلِهِ :
نُقَازِفُ بِالْغَارَاتِ عَبَسًا وَطَيْبًا وَقَدْ هَرَبَتْ مَنَا تَمِيمٌ وَمَذْحِجٌ
بَغْزٍ وَكَوْلُغِ الذُّئْبِ غَادٍ وَرَائِحٌ وَكَسْرٍ كَصَدْعِ السَّيْفِ لَا يَتَعَرَّجُ
وَقَالَ أَبُو فَرَّاسٍ :

وَسَمْرٌ أَعَادَ يَلْمَعُ الْبَيْضُ بَيْنَهُمْ وَيَبِيضُ أَعَادٍ فِي أَكْفِهِمُ السَّمْرِ
وَخَيْلٌ يَلُوحُ الْخَيْلُ بَيْنَ عُيُونِهَا وَنَصَلٌ إِذَا مَا شَمْتَهُ نَزَلَ النَّصْرُ
وَقَوْمٌ مَتَى مَا أَتَقَهُمْ رَوَى الْقَنَا وَأَرْضٌ مَتَى مَا أَعَزَّهَا سُبِعَ النَّسْرُ
وَمَنْ أَبْلَغَ مَاقِيلٌ فِي أَعْمَالِ السَّيْفِ قَوْلُ عَمْرِو بْنِ كَثُومٍ :

كَأَنَّ سَيْوْفَنَا فِينَا وَفِيهِمْ مَخَارِيقُ (٢) بِأَيْدِي لَاعِبِينَا

وَقَوْلُ قَيْسِ بْنِ الْخَطِيمِ * كَأَنَّ يَدِي بِالسَّيْفِ مَخْرَاقٌ لَاعِبٍ *

وَمَنْ أَحْسَنَ مَاقِيلٌ فِي الضَّرْبِ قَوْلُ الْحَمَّانِيِّ :

وَإِنَّا لَتَبْصِيحُ أَسْيَافِنَا إِذَا مَا اتْتَضَيْنَ لِيَوْمِ سُفُوكِ

مَنَابِرُهُنَّ بَطُونُ الْأَكْفِ وَأَعْمَادُهُنَّ رُؤُوسُ الْمُلُوكِ

(١) جمع جارم الذي يجنى التمر. (٢) الخراق خرقه يلويها الصبيان ويديرونها بسرع.

أخذه من قول سعيد بن نلشب :

فانَّ أسيافنا بيضٌ مُهندهٌ عتقٌ وآثارها في هامكم جددٌ
وإن هويتم سلناها فما غمدت إلوهاً بنى بكر لها غمدٌ

وقال مسلم * ونعمد السيف بين النحر والجيد * وقال أيضاً :

لو انَّ قوماً يخلقونَ منيةً من بأسهم كانوا بنى جبريلاً
قومٌ إذا حمرَّ الهجيرُ من الوغى جعلوا الجمجمَ للسيوفِ مقبلاً
وقال حسان : ويثربُ تعلمُ أنا بها أسود تنفضُ ألبادها
إذا ما غضبنا بأسيافنا جعلنا الجمجمَ أغادها

وأحسن ما قيل في الضربة الدامية قول ابن المعتز :

شقَّ الصفوفَ بسيفه وشفى حزازاتِ الأحن
داعي الجراح كأنه وردٌ تفتح في فنن

ومن عجيب ما قيل في كثرة الطعن يقع في الجسد قول بعضهم :

فلولا اللهُ والمهرُ المغدَّى لرحت وأنتِ غربالُ الأهاب

وقال قيس بن الخطيم في سعة الطعنة :

طعنتُ ابنَ عبدِ القيسِ طعنةً ثائرٍ لها نَفَذٌ لولا الشعاعُ أضاءها
ملكْتُ بها كفى فأنهرتُ فتقها يَرى قائمٌ من دونها ما وراءها

ومن أبلغ ما قيل في مضاء السيف قول النمر بن تولب :

أبقى الحوادثُ والأيامُ من نمرٍ أسبَادَ سيفٍ قديمٍ اثره بادي
تظلُّ تحفرُ عنهُ ان ضربت به بُعد الذراعينِ والساقينِ والهادي

وهذا من الإفراط والغلو وهو عند بعضهم مذمومٌ إذا كان في هذا الحدِّ وعند
آخرين ممدوحٌ ، يقول إذا ضربت به قطع المضرُّوبَ وتجاوزه حتى غاص في
الأرض فاحتجت أن تحفرَ عنه فتستخرجه . ودون ذلك في الغلو قول النابغة :

يَطِيرُ فُضاضاً بينهم كلُّ قَوْنَسٍ ^(١) ويتبعها منهم فراشُ الحوارج
تَقْدُ السَّلَوِيُّ المِضَاعَفَ نَسْجَهُ وتوقد بالصفَّاح نارَ الجِباحِ ^(٢)

يقول انها تقدّ الدرع التي ضوعف نسجها والفراس حتى تبلغ الأرض فتقدح
النار بالصفَّاح ، وهي حجارة . ومن بليغ ما قيل في صفة السيف قول ابن

يامين قال محمد بن داود بن الجراح عن أبي هفان عن الايامي القاضي عن الهيثم بن
عدي قال لما صار سيف عمرو بن معدى كرب الذي يُسمى الصمصامة إلى الهادي
وكان عمرو وهبه لسميد بن العاص فتوارثه ولده الى أن مات المهدي فاشتره موسى
الهادي منهم بمال جليل وكان موسى من أوسع بني العباس خلقاً وأكثرهم عطاءً
للمال قال فجرّده ووضع بين يديه وأذن للشعراء فدخلوا ودعا بمكمل فيه دنانير
فقال قولوا في هذا السيف فبدرهم ابن يامين فقال :

حازَ صمصامةَ الزُّبَيْدِيَّ من يمينِ جميعِ الأنامِ موسى الأُمِينُ
سيفُ عمروٍ وكانَ فيما سمعنا خيراً ما أغمدت عليه الجفون
أوقدت فوقهُ الصواعقُ ناراً ثم شابت به الرُّعافُ القُيون
فاذا ماهزرتَه ^(٣) بهرَ الشمسِ ضياءً فلم تكن تستبين
يستطيرُ الأبصارُ كالقبسِ المشعلِ ما تستقرُّ فيه العيون
وكانَ الفرندَ والجوهرَ الجا رى في صفحتيه ماءً معينُ
نعمَ مخراقُ ذى الحفيظةِ في الهيجا بمضاتها ونعمَ القرينُ
مايالى إذا اتضاهُ لضربِ أشمالٍ سطت به أم يمين
وكانَ المنونَ نيطت اليه فهو من كلِّ جانبِهِ منون
أخذَ عليه من هذه الأبيات تشبيهه السيف بالشمس ثم بالقبس لأنه قدحطه
درجات ، فقال موسى أصبت ما في نفسي واستخفه الفرخ فأمر له بالمكمل والسيف

(١) فُضاضاً متفرقا : والقونس أعلى الرأس . (٢) السلوقي : درع منسوب

لبلدة سلوق ، والجباح ما اقتدح من شرر النار . (٣) في نسخة « سلته » .

فلما خرج قال للشعراء : إنما حرمتم لأجلى فدونكم المكتل ولى في هذا
السيف غنى ، قال فقام موسى فأشترى السيْف منه بمال جزيل هـ .

وذكر الهيثم بن عدى هبة عمر بن معدى كرب^(١) الصمصامة لسعيد بن العاص
فقال قال سعيد بن العاص وهو بالكوفة لعمر بن معدى كرب هبلى الصمصامة
فانك قد ضَعُفْتَ عن حملهِ وكان وزنهُ سِتَّةَ أَرْطال فقال عمرو ما ضَعُفْتَ قناتى
ولا جناتى ولا لسانى وان اختلَّ جُثمانى وهو لك على انه اوحش من لا يؤنسه
وأظلم من لا يقبسه^(٢) ثم قال :

خليلٌ لم أهبهُ من قِلاهْ ولكنَّ المواهبَ في الكرامِ
خليلٌ لم أخنهُ ولم يخنننننى على الصمصامِ أضعافُ السلامِ

قوله « اوحش من لا يؤنسه وأظلم من لا يقبسه » بقول اذا كنت أستوحش
من جانب العدو آنسى واذا أظلم لى الليل اضاء لى . وقال البحترى :

مُصنَّغٌ الى حُكْمِ الردى فاذا مضى لم يلتفت واذا قضى لم يعدل
متوقِّدٌ يسرى بأوَّلِ ضربةٍ ما أدركتْ ولو أنها في يَدبَلِ
فاذا أصابَ فكلُّ شىءٍ مَقْتَلٌ واذا أصيبَ فماله من مَقْتَلِ
يعشى الوغى فالترسُ ليس بجنةٍ من حدهِ والدرعُ ليس بمَعْقِلِ

وذكر عمرو بن معدى كرب أنواع السلاح فأجاد: أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا
أبو عبد الله بن عرفة قال أخبرنا أحمد بن يحيى عن ابن الاعرابى قال حدثنى رجلٌ
من ولد أبى سرحة الغفارى قال قدم عمرو بن معدى كرب على عمر بن الخطاب
رضى الله عنه فسأله عن سعد بن أبى وقاص فقال عمرو اعرابى في نمرته عاتقٌ في
حجلته أسدٌ في تامورته نبطىٌ في جبايته . فقال كيف علمك بالسلاح ؟ فقال
بصيرٌ قال فأخبرنى عن النبل قال منايا تخظىء وتصيب قال فأخبرنى عن الرمح

(١) كذا، ولعل صواب رسمها « معدى كرب » . (٢) لعل المعنى أن من لم يؤنسه

هذا السيْف أصابته الوحشة ومن لم يقبسه عمته الظلمة . كما في هامش الأصل .

قال أخوك وربما خانك قال فأخبرني عن الترس قال هو المجنُّ وعليه تدور الدوائر
 قال فأخبرني عن السيف قال عنده قارعت أمك الثكلى قال بل أمك والحمى أضرتني
 لك . المرة كساء أسود تلبسه الاعراب ، والعاتق الجارية الكعاب وصفه بالحياء
 والتامورة ههنا الائمة ، فقال نبطى في جبايته وصفه بالاستقصاء في جباية الخراج ،
 وقوله الحمى أضرتني لك أى الاسلام قيدي لك وأذني ولو كنت في الجاهلية
 ما كلمتني بهذا الكلام ، وهو مثل العرب تضرُّ به عند الشيء يضطرها الى الخضوع .
 ومثل ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد عن ابن ذريرد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة
 قال قال الاغرُّ النهشلى ووقع بينه وبين قومه شرٌّ فأرسل ابنه وقال يا بُنَيَّ كن
 بدأ لأصحابك على قتالهم وإياك والسيف فانه ظلُّ الموت واتق الرمح فانه رشاً
 المنية ولا تقرب السهام فانها رُسُلٌ تعصي وتطيع قال فم أقاتل؟ قال بما قال الشاعر :
 جلاميدُ املاء الاكف كأنها رؤوسُ رجالٍ حلقت في المواسم
 فعملك بها فالصقها بالاعقاب والسوق .

وقد أحسن التنوخي في صفة الحرب حيث يقول :

في موقف وقفَ الحمامُ ولم يَزِغْ عن ساحته وزاغت الابصارُ
 فَقَنَّا يسيلُ من الدماء على قنا بطوالهنَّ تَقَصَّرُ الاعمارُ
 ورؤوسُ أبطالٍ تطايرُ بالظبي فكانها تحتَ الغبارِ غبارُ

وقد أجاد ابن المعتز في هذا المعنى حيث يقول :

قومٌ إذا غضبوا على أعدائهم جَرُّوا الحديدَ أَرْجَةً ودُروعا
 وكانَ أيديهم تُنْفَرُ عنهم طيراً على الأبدانِ كُنَّ وموقعا
 وقال أيضاً :

بطعنٍ تضيغُ الكفُّ في لهواته وضربٍ كاشقُ الرداءِ المرعبَلِ
 وقال أيضاً :

قَرَبنا بعضهم طعناً وجيعاً وضرباً مثلَ أفواهِ اللقاحِ

وقال البحترى وأحسن في ذلك :

أوى إذا طمن المدجج صكه
ليديه أونثر القناة كعوبا
فأنا النذير لمن تغطس أوطى
من مارن يدع النحور جوبوا
وقد ظرف في قوله أيضاً :

ولولم يحاجز لؤلؤ بفراره

ومن المختار قول مالك بن نورة :

بسمر كأشطان^(١) الجزور نواهل
يقعن معاً فيهم بأيدي كاتنا
يجور بها ذو المنايا ويهتدى
كأن المنايا للرماح بموعده

ومن أبلغ ما قيل في صفة الضرب والظعن من قديم الشعر قول عبدمناف بن ربي :

فالظعن شعشة والضرب هيعة
وللقسى أزامل وغفمة
ضرب المعول تحت الديمة العضدا
حس الجنوب تسوى الماء والبردا

الهيعة : وقع الشيء الصلب على مثله سمعت هيعة الحجر والحديد ، وشبه

أصوات القسى بصوت السحاب الذى فيه برد ، والمعول الذى يتخذ العالة وهو

أن يعمد الراعى إذا خاف المطر إلى الشجر بتعضده ويجعل عضده على شجرتين

متقاربتين ويستكن تحته ، والعضد ما يعضد من الشجر أى يقطع والعضد المصدر .

ومن أجود ما قيل في نفوذ التدبير في الحرب مع الغيبة عنها قول ابن الرومى في صاعد :

يظل من الحرب العوان بمعزل
كما احتجب المقدار والحكم حكمة
وأثاره فيها وان غاب شهده
على الناس طراً ليس عنه معرده^(٢)

أخذه من قول بشار بن برد :

الدهر طلاع بأحدائه
محبوبة تُنفذ أحكامها
ورُسله فيها المقادير
ليس لنا عن ذلك تأخير

وقال : حصرت عميد الزنج حتى نخاذلت
قواه وأودى زاده المتزود

وكانت نواحيه كثافاً فلم تزل
تُفرقُ عنه بالملكايدهُ جندهُ
تخيفها حتى كأنك مبردُ
وتزداهم جنداً وجيشك محصدُ (١)
سكنت سكوناً كان رهناً بوثية
عماس كذاك الليث للوثب يلبدُ
فما رمته حتى استقل برأسه
مكان قناة الظهر أسمرُ أجردُ
مناك له مقدارهُ فكأتما

فقال صندد بفتح حرف الردف وهو خطأ وليس في العربية فعل إلا درهم
وهجرع وهو الطويل الأحمق، وهبلع وهو الكثير البلع، وقلمع وهو الكثير
القلع للأشياء، وكاب بنى قصيدته على فتح الردف ولم يلزمه ذلك وكاب على
فتح صندد ورمدد وهمامكسوران فزعم محمد بن حبيب أنه رواها بالفتح، وكاب
أيضاً على فتح الراء من «درم» في قصيدته التي أولها:

* أفيضاً دماً ان الرزايالها قيم * وإنما هو «درم» .

وأحسن ما قيل في الكيد والحرب قول أبي تمام:

هزرت له سيفاً من الكيدِ انما تجذ به الاعناق مالم يجرد
يسرُّ الذي يسطو به وهو مغمدٌ ويفضح من يسطو به غير مغمد

يقول ان أخفيت الكيد ظفرت وسررت وان أظهرته افتضحت وخبت .

وقد أحسن في وصف الرماح حيث يقول:

أنهت أرواحه الأرماع إذ شرعت
فما تُردُّ لربِّ الموتِ عنه يدُ
كأنها وهي في الأرواحِ والفةُ
وفي الكلى تجدُّ الغيظَ الذي يجدُّ
من كلِّ أزرقٍ نظارٍ بلا نظيرٍ
الى المقاتلِ مافي منتهِ أودُ
كأنه كان خدنَ الحبِّ مُد زمنٍ
فليس يُعجزهُ قلبٌ ولا كبِدُ

ويُسبِّبه بياض السيف بالملح فمن أجود ما قيل فيه قول النمرى:

ذكرُّه برونقه الدماء كأنها
يعلو الرجال بأرجوان فاقع

وثرى مضارب شفرته كأنها ملح تناثر من وراء الدارع
ويشبه الفرند بمدب الدر فن قديم ما قيل فيه قول امرئ القيس :
متو سداً عضباً مضاربه في متنه كدبة النمل

وقول أوس بن حجر :

وذو شطبات قده ابن مجدع له رونق ذريه يتأكل
وأشبرنيه الهالكى كأنه غدیر جرى في متنه الريح سلسل
وأخرج منه القين أثراً كأنه مدب دباً سود سري وهو مسهل

وقال ابن المعتز وأبدع :

وجرد من اغماده كل مرهف ترى فوق متنيه الفرند كأنما
إذا ما تنضت الكف كاد يسيل تنفس فيه القين وهو صقيل

وقال اسحق بن خاف :

ألقى بجانب خصره وكانما ذر الهيا
أمضى من الأجل المتاح ما عليه أنفاس الرياح

وقال قيس بن الخطيم :

أجادهم يوم الحديقة حاسراً كأن يدي بالسيف مخراق لا لعب
بسيف كأن الماء في صفحاته طحارير غيم أوقرون جنادب

أخذه ابن المعتز فقال :

ولى صارم فيه المنايا كوامن ترى فوق متنيه الفرند كأنه
فما ينضى إلا اسفك دماء بقيه غيم رق دون سماء

وقد أجاد ابن الرومي في قوله :

خير ما استعصمت به الكف عضب ماناً ملتته بعينك إلا
ذكر متنه أنث المهرز أبرقت صفحاته من غير هز
ع ففالى به على كل بز مثله أفزع الشجاع الى الدر

ما أبالي أصممت شفرتاهُ في • محزٍ أو جازتا عن محزٍ
 وقال آخر : جرّ دُورها فألبسوها المنايا
 عَوْضاً عَوْضت من الأعمادِ
 وكان الآجالَ ممن أرادوا
 وطلبها كانت على ميعادِ
 وقلت : تميلُ كفى من سيفِ إلى قلمِ
 والعزُّ نصفانِ بين السيفِ والقلمِ
 وقال ابن المعتز :

وسيوفٍ كأنها حين سُلتِ ورق هزّه سُقوطُ قطارِ
 ودروعٍ كأنها تَمَطُّ جَمْدٌ دُهينٌ يضلُّ فيه المدّارى
 وقال ابن الأعرابي أحسن ما قيلَ في صفة الرماح :
 وبكلِّ عرّاصِ المهزّةِ مارينِ فيه سنانٌ مثلُ ضوءِ الفرقدِ
 أحسن ما قيل في صفة الرماح قول المزدرد :

أصم إذا ما هزّت مالت سراته كما مال ثعبانُ الرمالِ الموائلِ
 له رائدٌ ماضى الغرارِ كأنه هلالٌ بدا في ظلمةِ الليلِ ناحلِ
 وقال الأصمعي أحسن ما قيل في صفة الرمح قول أبي زيد :
 وأصمّ مربعٌ يرى ما أريته بصيرٌ إذا صوّبته للمقاتلِ
 وقال ابن الأعرابي أحسن ما قيل في ذلك قول مسكين :

بكلِّ رَدْبِيٍّ كانَ كعوبه قطانسق يستورد الماءَ صائفِ
 كانَ هلالاً لأح فوق سراته جلالِ الغيمِ عنه والقمامِ الحراجفِ^(١)
 وأحسن ما قيل في سرعة وقع الرماح وتداركه قول دريد بن الصمة :
 نظرتُ إليه والرماحُ تنوشهُ كوقع الصياصى في النسيجِ المعددِ
 الصيصية الشوك الذى يسوى به الحائك الثوب ، والصيصية أيضاً الحصن
 ويقال للناشر من ساق الديك الصيصية أيضاً . وقد أحسن البحرى في قوله :
 في معركِ ضنكٍ تخالُّ به القنا بين الضلوعِ إذا انحنينَ ضلوعا

(١) الحراجف : فاعل جلا وهي الرياح الشديدة :

وأجود ما قيل في إدمان حمل الرمح قول الآخر :
 وقد طال حمل الرمح حتى كأنه على فرسي غصن من البان نابت
 بطول لسانى فى العشرة مصلحاً على أنه يوم الكريهة ساكت
 والسكوت فى الحرب دليل على سكوت الجأش ، وكثرة الصوت فيها أمانة
 الفزع ، وقد قيل * وكثرة الصوت والايعاد من فشل * وقلت فى الرمح :
 يغدو بصدق الكعوب لذن يهتزه ما بين كوكبين
 أغنى الزج والسنان . وقال البحترى :

كأنما الحربة فى كفه نجم دجى شيعه البدر
 وقد شبهت العرب الرماح بالأشطان والاسنة بالشهبان فتركنا ذكر ذلك
 لشهرته واستفاضته . أجود ما قيل فى القوس من قديم الشعر قول أوس بن
 حجر^(١) وهو أوصف العرب لل سلاح :

فجردها صفراء لا الطول طابها ولا قصر أزرى بها فتعتلا
 كتوم طلاع الكف لادون ملتها ولا عجزها عن موضع الكف أفضلا
 وحشو جفير^(٢) من فروع غرائب تنطع فيها صانع وتأملا
 تخيرن أنصاء وركبن أنصلا كجمر الغضا فى يوم ربيع تزيلا
 وقال الشماخ فى صوت القوس :

إذا أنبض الرامون عنها ترنمت ترنم ثكلنى أوجعتها الجنائز
 وقال آخر : وهى إذا أنبضت عنها تسجع ترنم الثكلنى أبت لا تهجم
 وقال آخر : تسمع عند النزغ والتوتير فى سيتها رنة الطنبور
 وقال الاصمعى : أحسن كلام فى الایجاز قول عكلى فى صفة قوس :

* فى كفه معطية ممنوع * ومن أحسن ما قاله محدث فى القوس قول ابن المعتز بالله :

(١) هو الشاعر التميمى المشهور ، عمر طويل ولم يدرك الاسلام .

(٢) أى ورب حشو الخ ، وحشو الجفير هو السهام ، والجفير الكنانة .

أَبِيحٌ لَهَا هَفَانٌ يُخْطَمُ قَوْسَهُ (١)
 فَأَوْدَعَهُ سَهْمًا كَمِدْرَى مَوَاشِطٍ
 بِطَبِئًا إِذَا أَسْرَعَتْ إِطْلَاقَ فَوْقَهُ
 وَأَجُودَ مَاشِئِهِ بِهِ أَفْوَاقُ السَّهَامِ قَوْلَ الْآخِرِ :

أَفْوَاقُهَا حَشْوُ الْجَفِيرِ كَأَنَّهَا

وَالنَّغْرَانُ جَمْعُ نَغْرَةٍ وَهِيَ عَصْفُورَةٌ . وَقَالَ الْفَنْدُ الزَّمَانِي (٢) :

* وَنَبِيٍّ وَقَفَاهَا كَمِرَاقِبٍ قَطَاً طَحَل * أَخَذَهُ عَتَّابُ بْنُ وَرْقَاءٍ فَقَالَ (٤) :

وَحَطَّ عَنْ مَنْكِبِهِ شِرْيَانَةَ

أُمَّ بَنَاتٍ عَدَّهَا صَانَهُهَا

ذَاتِ رُؤُوسٍ كَالْمَصَابِيحِ لَهَا

أَنْ حُرِّكَتْ حَنْتٌ إِلَى أَوْلَادِهَا

حَتَّى إِذَا مَاقَرَنْتَ بِيَعِضِهَا

لَانَتْ وَمَالَ طَرْفَاها وَإِثْنِي

وَقَالَ ابْنُ الرَّوْمِيِّ فِي قَوْسٍ بِنْدَقٍ (٦) :

كَأَنَّ قَرَاهَا وَالغُرُورَ (٧) الَّتِي بِهَا

مَذَرْتُ سَحِيقَ الْمَسْكِ فَوْقَ صَلَابَةِ

لِهَا أَوْلَى طَوْعِ الْيَدَيْنِ وَآخِرَهُ

تَطْوَعُ لِرَامِيهَا الرَّمَايَا كَأَنَّهَا

يُقَلِّبُ نَحْوَ الْجَوْعِ عَيْنًا بِصِيرَةٍ

(١) جعل الاثر بمنزلة الخطام . (٢) القرى: الظهر . (٣) الفند الزمانى :

اسمه شهل بن شيبان ، وهو الشاعر الجاهلى ، كان سيد بكر وقائدها فى زمانه .

(٤) من أمراء العرب الأبطال . (٥) هو الصغير من أولاد الحيوان .

(٦) كرة صغيرة يقذفون بها . (٧) الغرور : الغضون

لها عولةٌ أولى بها من تصيبه
 وهذا مثل قوله في امرأة :
 تشكى الحبَّ وتلفي الدهرَ شاكيةً
 وقال المتنبي في سداد الرمي :
 يُصيبُ ببعضها أفواقَ بعض
 وقال الرازي في ضد ذلك :
 مستهترٌ بالرمي وإهٍ عضده
 أحصن شيء يومَ رمي طرده
 وقال ابن الرومي في سهام :

مروقٌ ومنزوعٌ لدى حومةِ الجذب
 فجاءَ كما سُلَّ النخاعُ من الصلب
 لسانٌ مُشجاعٌ مخرجٌ همٌّ بالسلب
 وقال ابن المعتز في قوس البندق :

وماءٍ به الطيرُ مربوطةٌ
 غدونا عليه وشمسُ النهار
 فظلمنا وظلت عيونُ القسيِّ
 تهاكي الخليَّ بأطواقها
 لم تكسهُ ثوبَ إشراقها
 ترمي الطيورَ بأحداقها

وقد أحسن القائل في صفة الرماح على العواتق :

ترى غابةَ الخطيِّ فوق رؤوسهم
 كما أشرفت فوق الصوار (١) قرونها

ومما يجري مع ذلك قول أبي فراس بن حمدان :

وما الذنبُ إلا العرير كبهُ الفتى
 وما ذنبهُ أن جاوزتهُ المطالبُ

ومن كان غير السيفِ كافل رزقه
 فللذللِّ منه لا محالةً جانب

وما جاء عن أهل الجاهلية في النشاب شيءٌ إلا قول سيف بن

ذى يزن يذ كر القوس :

هَزُّوا بناتِ الرياحِ نحوهمُ أعوجُجُها طامحٌ وزمزمها
 كأنها بالفضاءِ أرشبيةٌ يخفُّ منقوضها ومبرمها
 فأما النبلُ فقد جاء فيها عنهم شيءٌ كثيرٌ.

أجود ما قيل في الدروع : قال أبو عبيدة أحسن ما قيل فيها قول كعب بن زهير :
 ويبيض من النسج القديم كأنها نهاء^(١) بقاع ماؤها مترايع^(٢)
 تصفقها هوجُ الرياح إذا صفت وتعبها الأمطارُ فلما راجع
 وهو مأخوذٌ من قول امرئ القيس :

تَفِيضٌ عَلَى المرءِ أردانها كَفِيضُ الأقي^(٣) عَلَى الجَدِّ جَدِّ
 وقال البحترى :

يمشون في زرد كأنَّ مُتونها في كل معركةٍ مُتونَ نهاءِ
 بيضٌ تُسيل على السكاة فضولها سيلَ السرابِ بقفرةٍ يبداءِ
 وإذا الأسنهُ خالطها خلتها فيها خيال كواكبٍ في ماءِ
 ومعنى البيت الأخير دقيقٌ غريبٌ حسنٌ مصيبٌ ما أظنه سبق إليه .

ومن مליح ما جاء في صفة الدرع قول بعض بني هاشم :

وعلى سابعةٍ الذُّبولِ كأنها سَلخٌ كسانيه الشجاعُ الأرقم

ومن مليح ما جاء في صفة الحرب ما أخبرنا به أبو القاسم عن العقدي عن
 أبي جعفر عن المدائني قال قال رجل من بني تميم لبيد بن ربيعة
 ربيعة صولة في الحرب قال لقد قلت بطلاً ونطقت خطلاً كانوا والله إذا أطلقوا
 عُقل الحرب رأيت فرساناً تمور كرجل الجراد وتدافع كتدافع الامداد في فيلق
 حافاته الاسل يضطرب عليها الاجل إذاهاجت لم تتناه دون بلوغ اردادتها ومنتهى غايات
 طلباتها لا يدفعها دافع ولا يقوم لها جمع جامع وقد وثقت بالظفر لعز أنفها

(١) جمع نهى وهو الغدير (٢) أى متردد. (٣) أى الجدول .

وأيقنت بالغلبة اضراوة عادتها فإلهما العلوُّ والتمكينُ ولمن ناوأها الذلُّ والتوهينُ
خصّصت بذلك على العرب أجمعين . ومما يجرى مع ذلك ما أخبرنا به أبو القاسم
عن العقدي عن أبي جعفر قال أنشد جريرُ هشام بن عبد الملك :

لقوميَ أحمي للحقيقة منكمُ وأضربُ للجبارِ والنقعُ ساطعُ
وأوثقُ عندَ المُردفاتِ عشيّةً لحاقاً إذا ماجردَ السيفُ لامعُ
فقال هشام لم تركت نساءك حتى أردفن ألا جعلتهن كنسوة المحبّل فما
سمعنا بعرييات قط أمنع منهن حيث يقول :

وساقطة كُورِ الخمارِ حيّةٌ على ظهرِ عُرمي زالَ عنها جلالها
تشدُّ يديها بالسنامِ وقد رأت مُسوّمةً يأوى إليها رِعالها
نزّلنا فساقينا الكُماةَ دِماءها سجال المنايا حيث أُسقى سجالها
وأجود ما قيل في ثبات الرجال في الحرب قول الحرث بن عباد :

قرباً مربطاً النعامِ مني لقصحتُ حربُ وائل عن حِمال
قرباً بها فان كفى رهنُ ان تزولَ الجبالُ قبل الرجال

وقد وصف الله ذلك في كتابه فقال (ان الله يحبُّ الذين يُقَاتلونَ في
سبيله صفّاً كأنهم بُنيانٌ مرصُوصٌ) ولم يصف أحدٌ من المتقدمين والمتأخرين
القتال في المراكب إلا البحترى : أخبرنا به أبو أحمد قال أخبرنا الصولي قال سمعتُ
عبد الله بن المعتز يقول لولم يكن للبحترى إلا قصيدته السينية في وصف ايوان
كسرى فليس للعرب سينية مثلها ، وقصيدته في البركة * ميلوا الى الدار من ليل ليحييها
واعذاراته في قصائده الى الفتح التي ليس للعرب بعد اعتذارات النابغة الى النعمان
مثلها ، وقصيدته في دينار بن عبد الله التي وصف فيها مالم يصفه أحدٌ قبله أولها
* ألم تر تغايس الربيع المبكر * ووصف حرب المراكب في البحر لكان أشعر
الناس في زمانه فكيف إذا أضيف الى هذا صفاء مدحه ورقة تشبيهه . وكان كثيراً
ما ينشد له ويعجبُ من جودته :

غدوتُ على المأمونُ صباحاً وإنما
 إذا زجرَ النوقى فوقَ علاته
 يَغضونَ دُونَ الاستنَامِ عيونهم
 إذا ما علت فيه الجنوبُ اعلى له
 إذا ما انكفا في هبوةِ الماءِ خلتُهُ
 وحولك رُكَّابونَ للهولِ عاقروا
 تميلُ المنايا حيثُ مالت أكَفهم
 إذا رشقوا بالنارِ لم يكُ رشقهم
 صدمت بهم صُهبُ العثانينِ دونهم
 كأن ضجيجَ البحرِ بينَ رماحهم
 تقارب من زحفهم فكأنما
 فمارحت حتى أجلت الحرب عن طلي
 على حين لا تقعُ يطوحه الصبا
 وكنت ابن كسرى قبل ذلك وبعده
 جدحت له الموتُ الزعافَ فعافهُ
 مضى وهو مولى الريحِ بشكرُ فضلها

غد المربكُ الميمونُ تحتَ المظفرِ
 رأيتَ خطيباً في ذُوابةٍ منبرِ
 وقوفَ السماطِ للعظيمِ المؤمِّرِ
 جناحاً عُقاب في السماءِ مُهجِرِ
 تلغع في اثناءِ بُردِ مُحَبِّرِ
 كؤوس الردى من دارعينِ وحُسرِ
 إذا أصلتوا حدَّ الحديدِ المذكَرِ
 ليقلعَ إلا عن شِواءِ مُقتَرِ
 ضرابِ كايقاد اللظى المتسعرِ
 إذا اختلفت ترجيعُ عودِ مُجرجرِ
 تؤلف من أعناقِ وحشٍ منفرِ
 مقطعة فيهم وهامِ مُطيرِ
 على الارضِ يلقى للصرعِ المقطرِ
 ملياً بأن توهى صفاة ابن قيصرِ
 وطار على ألواح شطب مسرِ
 عليه ومن يولى الصنيعة يشكرِ

ومن أجود ما قيل في السهم من قديم الشعر قول عنتره :

أيدنا فما نُعطي السَّوامنِ عدونا
 قياماً بأعضاد السراء ^(١) المعطِّفِ
 بكلِّ هتوفٍ عجبها رَضوية ^(٢)
 وقال راشد بن سَهَاب ^(٣) اليشكري :

ونبلِ قرانِ كالنَّسورِ سَلاجيمِ
 وفلقِ هتوفٍ لاسقى ولا نَشَمِ

(١) السراء : شجر تصنع منه السهام . (٢) نسبة إلى رضوى .

(٣) سَهَاب ككتاب بالسين المهملة - على ماقى القاموس .

وَمُطَرِدِ الكَعْبِينِ أَحْمَرِ عَاقِدِ وَذَاتِ قَتِيرٍ فِي مَوَاصِلِهَا دَرَمٌ
 وَصَفِ النَّبْلِ وَالْقَوْسِ وَالرَّمْحِ وَالْمِرْعِ فِي بَيْتَيْنِ فَأَحْسَنُ ، وَالْأَدْرَمِ الْأَمْلَسُ الَّذِي
 لِأَحْجَمِهِ ، وَالسَّلَاجِمِ الطَّوَالِ ، وَالسَّقَى الَّذِي يَشْرَبُ الْمَاءَ ، وَالنَّشْمُ شَجَرٌ .
 وَمِنْ أَجْوَدِ مَاقِيلِ فِي الْبَيْضِ مِنْ قَدِيمِ الشَّعْرِ قَوْلُ سَلَامَةَ بْنِ جَنْدَلٍ ^(١) :

إِذَا مَاعِلُونَا ظَهَرَ نَشْرَ كَأَنَّمَا عَلَى الْهَامِ مَنَا قَيْضٌ يُبِضُّ مَفْلَقٌ
 وَقَوْلِ الْآخِرِ * كَأَنَّ نَعَامَ الدَّوِّ بَاضٌ عَلَيْهِمْ * وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ :
 كَأَنَّ نَعَاجَ الْجَوْ بَاضٌ عَلَيْهِمْ * فَقِيلَ لَهُ أَخْطَأْتَ مِنْ وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنَّ النِّعَاجَ
 لَا يَكُونُ فِي الْجَوْ وَالْآخِرُ أَنَهَا لَا تَبِضُّ . وَمِنْ أَحْسَنِ مَاقِيلِ فِيهِ قَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَزِ :
 وَبِضٌّ كَأَنْصَافِ الْبَدْوِ أَيْبَةٌ إِذَا امْتَحَنَتْهُنَّ السِّيُوفُ خِيَارٌ
 فَتَشْبِيهًا بِأَنْصَافِ الْبَدْوِ تَشْبِيهُ غَرِيبٌ مُصِيبٌ .

أَجْوَدُ مَاقِيلِ فِي اتِّبَاعِ الرِّجَالِ الرَّئِيسِ فِي الْحَرْبِ قَوْلُ الْبَحْتَرِيِّ :

أَحْمَرُ السِّيُوفِ كَأَنَّمَا ضَرَبَتْ لَهُمْ أَيْدِي الْقَبِيونِ صَفَائِحًا مِنْ عَسْجَدٍ
 فِي فِتْنَةٍ طَلَبُوا غُبَارَكَ أَنَّهُ رَهَجٌ تَرَفَعُ عَنْ طَرِيقِ السُّوُدِ
 كَالرَّمْحِ فِيهِ بَضْعُ عَشْرَةِ فَقْرَةٍ مُنْقَادَةَ خَلْفِ السِّنَانِ الْأَصِيدِ
 وَقَدْ أَحْسَنَ ابْنُ هَرْمَةَ فِي قَوْلِهِ وَهُوَ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَعْنَى :

إِذَا شَدُّوا عَمَاتِهِمْ ثَنُوهَا عَلَى كَرَمٍ وَإِنْ سَفَفُوا أَنَارُوا
 يَبِيعُ وَيَشْتَرِي لَهُمْ سِوَاهُمْ وَلَكِنْ فِي الطَّعَانِ مُهْمُ التِّجَارِ
 وَمِنْ أَجْوَدِ مَاقِيلِ فِي صِفَةِ الشَّجَاعِ الْجَوَادِ قَوْلُ الْآخِرِ :

خَلِقَتْ أَنَامِلُهُ لِقَائِهِمْ مُرَهَفٍ وَلَبِثَ طَارِفَةً وَذِرْوَةً مِنْ سَبْرِ
 يَلْقَى الرِّمَاحَ بِوَجْهِهِ وَبِصَدْرِهِ وَيُقِيمُ هَامَتَهُ مَقَامَ الْمَغْفَرِ
 وَيَقُولُ لِلطَّرْفِ اصْطَبِرْ لِسَبَا الْقَنَا فَهَدَمْتُ رُكْنَ الْمَجْدِ إِنْ لَمْ تَعْقِرْ
 وَإِذَا تَأَمَّلَ شَخْصٌ ضَعِيفٌ مَقْبَلٌ مُتَسَرِّبِلٌ مَرَبَالٍ لَيْسَ أَغْبَرُ

(١) هُوَ الشَّاعِرُ الْجَاهِلِيُّ التَّمِيمِيُّ الْحِجَازِيُّ ، يُعَدُّ فِي طَبَقَةِ الْمُتَمَلِّسِ .

أوما الى الكوماء هذا طارق^١ نَحَرَتِيَّ الْاَعْدَاءُ إِنْ لَمْ تَنْحَرِ^(١)

ومن أبلغ ما حذر به الحرب قول بعض طالعهم : دافع بالحرب ما يمكن فان
النفقة في كل شيء من الأموال إلا الحرب فان النفقة فيها من الأرواح.

وقال النابغة الجعدي :

وتستلبُ المالَ الذي كانَ رَبِّها ضينابَه^(٢) والحربُ فيها الحرائبُ

فنبهه أبو تمام فقال : والحربُ مشتقة من الحرب * وقول جدل الطعان :

دعاني أشبُّ الحربِ بيني وبينه فقلتُ له لا بل هَلُمَّ الى السِّلْمِ

وياك والحرب السى لأديهما صحيحٌ وما تنفكُ تأتي على الرغمِ

فان يظفر الحزبُ الذي أنتَ منهمُ وينقلوا مملءَ الأُكفِ من الغنمِ

فلا بُدَّ من قتلى لعلك فيهمُ وإلا فجرحُ لا يكون على العظمِ

فلما أبى خلّيتُ فضلَ ردائه عليه فلم يرجع بحزم ولا عزم

وكان صريع الخليلِ أوّلَ وهلةٍ فبعداً له مختارَ جهلٍ على علم

ومن أجود ما قيل في تهوين الحرب والقتل ما أنشدناه أبو أحمد في خبر أخبرناه

عن الصولى عن عبيد الله السكونى قال دخل محمد بن جعفر بن محمد بن زيد بن

على على بعض أمراء الكوفة وقد جرى عليه ظلم فلم ينصفه فخرج من عنده وقال :

يا أيها الرجلُ الذى يمينه غيثُ الزمانِ وصولَةُ الحدّانِ

أنعم صباحاً بالسيوفِ وبالقتنا انّ السيوفَ تحيةُ الفتيانِ

قد أبطرتك سلامةٌ فنسيتَ ما أسلفتَ من برٍّ ومن إحسانِ

والدهرُ خدنٌ مَسْبَرَةٌ ومضرةٌ مُتقلِّبٌ بالناسِ ذو أوانِ

يخاطب نفسه ويأمرها بمجاهرة السلطان بالعصيان إذ ليس عنده للظلم نكير فيكون

ذلك سبباً للحرب فيحى بالسيوفِ فلا يفزع فانها تحيةُ الفتيانِ .

وقال على بن جبلة :

(١) تقدم بعض هذه الأبيات في الجزء الاول . (٢) في الاصل « بها » .

كأن أرماحه تُعطى إذا عملت تحت العجاجة أسماً وأبصاراً
ومن أحسن ما قيل في تقسيم الخيل في الحرب قول النابغة : أخبرنا أبو أحمد
قال أنشدنا محمد بن يحيى قال أنشدنا المبرد قول النابغة وذكر أنه أحسن ما قيل في
تقسيم الخيل في الحرب :

خيل صيامٌ وخيلٌ غيرُ صائمةٍ تحت العجاج وخيلٌ تملكُ اللججاً
قال ثعلبٌ قلت لابن الأعرابي الصائمة التي لا تصهل وغير الصائمة التي
تسهل فما هذه الأخرى ؟ قال التي تملك اللجج في الكمين .

أخذ محمد بن مسلمة البشري يصف تأديبه فرسه :

عوّذتهُ فيما يزور حبائبي إمهالهٌ وكذاك كلُّ مخاطر
فاذا احتبي قربوسه بعنانه علك الشكيم إلى انصراف الزائر
ومن أجود ما قيل في ارتفاع الغبار ولعان الأسنه فيه من قديم الشعر قول النابغة :
تبدو كواكبه والشمس طالعةٌ نوراً بنورٍ وإظلاماً بأظلام
قالوا أراد قول الناس : لأرينك الكواكب نهاراً ، وقالوا أراد توضيح الاسنة
في سواد العجاج . ومن أحسن ما قيل في ذلك قول بشار :

كأن مثارَ النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبه
وقال التمرى : ليل من النقع لاشمس ولا قمر إلا جبينك والمذروبة الشرع
وقول ابن المعتز :

وعمّ السماء النقع حتى كأنه دخانٌ وأطراف الرماح شرارٌ
وأبلغ ما قيل في الاقدام والاقنطار على العدو قول بعضهم :

عشيةً كنا بالخيار عليهم أنقص من أعمارهم أم نزيدها

ومن بديع المعاني في صفة اللقاء قول بعض الأعراب :

على كلِّ جرداء القرى^(١) أعوجيةٌ إذا طردت لم ينج منها طريدها

وما قاد من قوم الينا جياذم فنلقاهم إلا رجعنا نقودها
وقلت في معناه :

الى ابن الأولى شادوا المعالي بالظبي وعموا البرايا باللهي والراغب
إذا طلبوا روح الحياة وطيبها فبين سواقٍ للردى وحواصب
إذ البيض في سود القساطل أنجم غوارب هوى في الطلي والغوارب
وتحلمهم يوم الكريهة ضمير تشول إلى الهيجاء شول العقارب
فكم وقفة في الروع منهم وحمة أنارت بنات الختف من كل جانب
ترد الجياذ تحت قسطة الوغي جنائب أو تقتادها في الجنائب
بأبيض مصقول كأن بجدده ضرائب من تصميمه في الضرائب
ومن أجود ما قيل في كثرة الجيش قول الأحنس بن شريق^(١) :

يجأواء ينفي وردها سرعانها كأن وميض البرق فيها كواكب
الجأواء : الكتبية يضرب لونها إلى الكلفة وذلك من صدا الحديد ، والسرعان :
الأوائل ، يقول ان المياه لا تسعهم والأمكنة تضيق بهم فكما نزل فرقة منهم رحل
من تقدمهم . وقال أوس بن حجر :

ترى الأرض منا بالفضاء مريضة معضلة منا بجمع عمرم
التعضيل ان ينشب الولد في بطن أمه . ومثله قول النابغة :

جمع يظل به الفضاء معضلاً^(٢) يدع الأكام كأنهن صماري

وأنجب من هذا قول زيد الخليل^(٣) :

(١) لعله الأحنس بن شهاب التغلبي الشجاع الجاهلي الذي حضر حرب البسوس
وقال فيها شعراً . (٢) عضل المسكان تعضيلاً ضاق ، والأرض بأهلها غصت .

(٣) لقب يزيد الخليل لكثرة خيله ، وهو زيد بن مهمل أحد أبطال الجاهلية
كان إذا ركب الفرس خطت رجلاه في الأرض ، كان خطيباً شاعراً كريماً ،
وفد على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد قومه طيء ، وأسلم وسر به الرسول ﷺ

بجيش تضلُّ البلقُ في حجراته ترى الأكم فيه سُجداً للحوافرِ
 وجمع كمثل الليل مرتجس الوغى كثيرٌ تواليه سريع البوادرِ
 أخبرنا أبو أحمد عن العبشمي عن المبرد قال يروي عن حماد الراوية قال
 قالت ليلى بنت عروة بن زيد الخليل لأبيها كم كانت خيل أبيك حيث يقول
 * بجيش تضلُّ البلقُ في حجراته * قال ثلاثة أفراس أحدها فرسه .

قالوا وقتلت خثعم رجلاً من بني سليم بن منصور فقالت أخته ترضيه :

لعمري وما عمري على بهين لنعم الفتى غادرتم آل خثعما
 وكان إذا ما أورد الخليل بيشة^(١) إلى جنب اشراج أناخ فألجما
 فأرساها رهواً كأن رعالها جراد زهته ربح نجد فأتبهما

فقبل لها كم كانت خيل أخيك قالت اللهم لا أعرف إلا فرسه . قوله « تضلُّ
 البلقُ في حجراته » غاية في صفة الكثرة لأن البلق مشاهير فاذا خفي مكانها
 في جمع فليس وراءه في الكثرة شيء ، والعرب تقول أشهر من فارس الأبلق ،
 ورؤساء العرب لا يركبون البلق في الحرب لثلاثتهم فيقصدوا بشر .

أخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة أن
 النبي ﷺ لما انصرف من بدر الموعد لم يلق كيداً وأصحابه سبعون راكباً
 وفيهم فرسان فرس الزبير وفرس للمقداد^(٢) قال حسان بن ثابت :

أقمنا على الرس النزوع^(٣) لياليا بأرعن جرار عريض المبارك
 ترى العرفج الحولي^(٤) تدرى أصوله مناسم أخفاف المطى الرواتك
 إذا ارتحلوا عن منزل خلت أنه قريب المدى بالموسم المتعارك
 نسيرٌ فلا تنجو اليعافير وسطنا وان داءت منا بشد مواشك

(١) بيشة : بلد . (٢) كان هذا في بدر الأولى لا بدر الثانية .

(٣) في ديوان حسان « النزيع » وكلاهما جائز .

(٤) في الديوان « العامي » وكذلك في بعض الالفاظ اختلاف .

دعوا فليجات الشام قد حال دونها ضراب كأفواه المطى الأوارك
 بأيدى رجال هاجروا نحو ربهم وأنصاره حقاً وأيدى الملائك
 إذا قبل الغضروط من أرض عالج فقولا له ليس الطريق هنالك
 ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع ويضحك . ومثل هذا في ترهيب
 العدو حسن . وقال أبو دغفل بن شداد الكلابي في المعنى الذى تقدم :

وأقبلَ عامرٌ من لبن سيراً إلينا ثم أقسمَ لا يديم
 بجمع تهلكُ البلقاءُ فيه فتندُدُ والمفضضةُ اللطيمُ
 ومن بليغ مقاله محدث في كثرة الجيش وتكافئه واجتماعه قول أبي نواس :
 امام خميس أدجوان كأنه قميصٌ محوكٌ من قنا وجيادِ
 الأُدجوان : الأسود واشتقاقه من الدحي ، وروى الأرجوان وهو الأحمر
 وقال البحتري :

لما أتاك يقودُ جيشاً أرعناً يمشى عليه كثافةٌ وجموعا
 وقال ابن الرومي :

فلو حصبتهم بالفضاءِ سحابةٌ لظل عليهم حصبها يتدحرجُ
 وهو من قول قيس بن الخطيم :
 لو أنك تُسلقِ حنظلاً فوق بيضنا تدحرج عن ذى سامةٍ المُتقارب
 السامُ : عرق الذهب والفضة وهو ههنا الطرائق المذهبة في البيض . وقلت :
 ولقد نقودُ أخيلَ تخطرُ بالقنا فتصُبهنَّ على العدى آجالا
 ما إن يلين لها مَدَى فتخالها تجرى بطاءً إذ جرَّ بن عجالا
 وقال أبو عمرو بن العلاء أحسن ما قيل في صفة جيش قول النابغة :

أوزيروا مكفهراً لا كِفَاءَ له كالليلِ يخطُ أصراماً باصرام
 تبدو كواكبهُ والشمسُ طالعةٌ نوراً بنورٍ وإظلاماً باظلام^(١)

(١) في ديوان النابغة الطبع اختلاف عما ورد هنا .

فذكر ذلك ليونس فقال أحسن منه قول العجاج :
 كأننا زهاؤه لمن جهر ليل ورز وغره إذا وغر
 سار سري من قبل العين فجر

والأول أحسن عندي . ومن أجود ما قيل في صفة السوط قول الشعبي :
 أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن عسل قال كان الشعبي إذا تحدث كأنه لم يسمع
 من غيره لحلاوة منطقه وعدوبة لفظه فتحدث يوماً فقال له رجل كأن يجالسسه
 يقال له حنيس : اتق الله ولا تكذب فقال له الشعبي ما أحوجك الى محدرج
 عظيم الثمرة لين المهزة أحد من مغرز عنق الى عجب ذنب فيوضع على مثل ذلك
 منك فيكثر لك رقصاتك من غير جدل . قال وما هو بأبي أنت وأمي ؟ قال أمر
 لك فيه أدب ولنا فيه أرب . يعنى السوط .

ومن أحسن ما وُصف به الرأس إذا حُمِل على القناة قول مسلم :
 «ويجعل الهام تيجان القنائل» بل . مأخوذ من قول جرير * تيجان كسرى وقبصرا .

ومن أجود ما قيل في المصلوب ما أنشدنيه بعض البصريين :
 أنظر اليه ^(١) كأنه في جذعه لما توشح بالجبال ودُرعا
 رام رمى عن قوسه بمذلق وأراد صحة رميه فتسمما
 وهذا من أتم ما قيل فيه . ومن المستحسن فيه قول البحترى :
 قتره مطرداً ^(٢) على أعواده مثل أطراد كواكب الجوزاء
 وقول ابن الرومي :

يلعبُ الدسْتَبندَ ^(٣) فرداً وان كان له شاغلٌ عن الدسْتَبند
 وقال مسلم بن الوليد :

(١) في الأصل «الى» . (٢) أى مستقيماً . (٣) لعل الدسْتَبند لعبة يأخذ

فيها الرجال أو النساء بعضهم بأيدي بعض ويرقصون ، وهذا يمد يده ليرقص وحده .

كَأَنَّهُ سَلُو^(١) كَبَشٍ وَالْهَوَاءُ لَهُ نُورٌ شَاوِيَةٌ وَالْجُدْعُ سَفُودٌ^(٢)
 وَمَا يَجْرَى مَعَ ذَلِكَ مَا أَخْبَرَنَا بِهِ أَبُو الْقَسَمِ عَنِ الْعَمَقْدِيِّ عَنِ أَبِي جَعْفَرٍ عَنِ
 الْمَدَائِنِيِّ قَالَ قَالَ بَعْضُ أَهْلِ خِرَاسَانَ لَوْ كَيْعَ كَيْفَ قَتَلْتَ ابْنَ خَازِمٍ؟ قَالَ لَمَا صَرَخَ
 قَعَدْتُ عَلَى صَدْرِهِ فَحَاوَلَ الْقِيَامَ فَلَمْ يَقْدِرْ فَغَلَبْتَهُ بِغُضْلِ الْقَنَا وَقَلَّتْ يَأْتَارَاتُ دَوْبِلَةَ
 فَقَالَ لَعْنِكَ اللَّهُ أَنْتَ قَتَلْتَ كَبَشٍ مُضْرٍ بِأَخِيكَ عَلِجَ لَيْسَاوِي كَفَّ نَوِي وَتَنَخَّصَّ فِي
 وَجْهِ فَمَا رَأَيْتَ أَحَدًا أَكْثَرَ رِيْقًا مِنْهُ . فَذَكَرَ ابْنَ هُبَيْرَةَ يَوْمًا هَذَا الْحَدِيثَ فَقَالَ
 هَلِ الْبَسَالَةُ إِلَّا أَنْ يَكْثَرَ الرِّيقُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ .

وَمَنْ جِيدٌ مَاقِيلٌ فِي طَرَائِقِ الدِّمِّ عَلَى الْمُطْعُونِ قَوْلُ أَبِي خِرَاشٍ الْهَذَلِيُّ :
 وَنَهْنَهَتْ أَوْلَى الْقَوْمِ عَنِّي بَطْعَنَةٌ كَأَوْشَحَةَ الْعِذْرَاءِ ذَاتِ الْقَلَائِدِ
 أَوْشَحَةَ جَمْعٍ وَشَاحٌ وَهُوَ سَيْرٌ كَأَنَّهُ شَرَاكٌ عَلَيْهِ وَدَعَّ فَشَبَهُ لَوْنَ الدِّمِّ
 بِالسَّيْرِ وَالزَّبْدَ بِالْوَدْعِ . وَمَا يَجْرَى مَعَ ذَلِكَ ذِكْرُ الْحَنْزَرِ مِنَ الْمُوتُورِ مَا قَلَّتْ فِيهِ :
 لَا تَأْمِنَنَّ أَخَا الْعَدَاوَةِ إِنَّهُ إِنْ أَمَكَمْتَهُ فُرْصَةً لَمْ يُجْهَلِ
 اللَّهُ دَرَكُكَ كَيْفَ تَأْمَنُ مُحْتَقًا تَعْلَى عِدَاوَةَ صَدْرِهِ فِي مِرْجَلِ
 مَا الْحَزْمُ إِلَّا فِي اجْتِنَاطِ أُصُولِهِ وَالْإِيْمُ^(٣) لَمْ يُؤْمِنْ إِذَا لَمْ يَقْتُلِ
 وَمَنْ الْجِيدُ مَاقِيلٌ فِي سَعَةِ الطَّعْنَةِ قَوْلُ بَشَرٍ :

إِذَا نَفَذْتَهُمْ كَرْتٌ عَلَيْهِمْ بَطْعَنٍ مِثْلَ أَفْوَاهِ الْخُبُورِ^(٤)
 الْخُبْرُ الْمَزَادَةُ وَالْجَمْعُ خُبُورٌ . وَقَالَ عَمْرُو بْنُ شَاسٍ^(٥) :
 بَطْعَنٍ كَلْبِزَاغٍ^(٦) الْمُخَاضِ إِذَا تَقَتَّ وَضُرِبَ كَأَفْوَاهِ الْمَرْجَةِ الْمُدَلِّ
 شَبَّهَ اللَّحْمَ الَّذِي يَتَدَلَّى مِنْ فَمِ الْجَرْحِ بِمَشْفَرِ الْبَعِيرِ الَّذِي بِهِ قُرُوحٌ فِي فَمِهِ

(١) الشلو: المسلوخ. (٢) السفود كتنور: الحديدية التي يشوي بها.

(٣) الإيْم: الثعبان. (٤) الخبور: القرب.

(٥) هو الشاعر الجاهلي الاسدي، شهد القادسية في الاسلام، وله أشعار فيها.

(٦) إيزاغها أن ترفع ذباها وتقذف بشيء من حياها على سائقها.

فيهدل لها مشفره . وقال عمرو بن شاس أيضاً :
 وأسـيافنا آثارهن كأنها مشافر قرحى فى مباركها هـدل
 وقال غيره :

بضرب كآذان الفراء فضوله وطعن كإزاع الخاض تبورها
 الفراء جمع الفراء وهو حمار الوحش . وقال خلف الأحمر :
 وأطمن الشجساجة المشلشله على غشاش دَهَش وعجبه
 يردُّ فى نحر الطيب فتله

أى يسح الدم، ويشلشله : يفرقه . وقال خدّاش بن زهير (١) :

وطعنة خلس كفرع الأزاء (٢) أفرغ فى مشعب الخائر

تهال العوائد من فرغها (٣) تردُّ السبار على السابر

السبار الشئ الذى تسبر به الطعنة أى تقدر والسابر الذى يسبرها ، والخاير
 المطمئن من الأرض المرتفع الحروف والجمع حوران ، والمثعب مسيل الماء .

هذا آخر صفة الحرب والسلاح وما يجرى معهما ، والحمد لله حق حمده
 وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الطاهرين وعلى الخلفاء الراشدين .

(١) شاعر جاهلى من أشرف بنى عامر وشجعانهم ، أكثر شعره فى الحماسة والفخر .

(٢) هو منفذ الماء إلى الحوض . (٣) أى أن من يعدنه فى مرضه يهولهن فرغ الضربة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي قسم البيان بين القلم واللسان لتكون النعمة فيه مشتركة بين الغائب والحاضر والمقيم والمسافر تماماً للنعمة على عباده وإكلاً للعارفة في عمارة بلاده ودل على موضع الصنعة في البيان ونبه على موضع العارفة في اللسان حيث يقول تعالى (الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) وأخبر عن عظيم قدر القلم وما تضمن من سوايغ النعم حيث يقول تعالى (إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) وأعلى قدره وفخم أمره حين أقسم به على أجل أمرٍ وأنبله وأشرفه وأفضله فقال (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ) فسبحان من جعل جلائل النعم وسوايغ الآلاء والقسم في شخصٍ ضئيل وقد قصير تقل قيمته وتصغر قيمته مع جلالة شأنه وعلو مكانه .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

في صفة الخط والقلم والدواة والقرطاس ، وذكر البلاغة

وما يجري مع ذلك ، وهو :

﴿ الباب التاسع من كتاب ديوان المعاني وهو ثلاثة فصول ﴾

﴿ الفصل الأول ﴾

في ذكر الخط والقلم والدواة والقرطاس وما يسلك مع ذلك

من أحسن الاستعارة في ذكر الخط قول عبيد الله بن العباس بن الحسن

العلوى الخط لسان اليد . وقال جعفر بن يحيى : الخط سمط الحكمة به يفصل

شذورها وينظم منشورها . وقلت في معناه :

الكتبُ عُقلُ شوارِدِ الكُلمِ والخطُ خيطُ فرائِدِ الحُكمِ
بالخطِ نُظْمَ كُلِّ مُنتَثِرٍ منها وفُصْلَ كُلِّ مُنْتَظَمِ
والسيفُ وهو بحيثُ تُعرفُهُ فرضٌ عليه عبادةُ القلمِ

واختلف الناسُ في الخط واللفظ فقال بعضهم الخط أفضل من اللفظ لأن اللفظ يُفهم الحاضر والخط يُفهم الحاضر والغائب . وقال بعضهم الخط كلامٌ ميت والمخاطب به حي يُمكن صاحبه أن يُبصره حتى يبلغ منه غرضه .

ومن أعاجيب الخط كثرة اختلافه والأصل واحدٌ كاختلاف صور الناس مع اجتماعهم في الصفة وخط الانسان كحليته ونعته في اللزوم له والدلالة عليه والاضافة اليه كاضافة الثقافة الآثار الى أصحابها .

ومن أحسن ما قيل في حُسن الخط والشكل قول أحمد بن السمعيل :

مستودعٌ قرطاسُهُ حُكْمًا كالروضِ مَيِّزِ بينهُ زَهْرُهُ
وكانَ أَحْرَفَ خَطُهُ شَجْرُهُ والشكلُ في أضعافِهِ ثَمْرُهُ

ووصف أحمد بن صالح جاريةً كاتبةً فقال كأن خطها أشكال صورتهَا وكان

مدادها سواد شعرها وكان قرطاسها أديمٌ وجهها وكان قلبها بعض أناملها وكان بيانها سحرٌ مقلتها وكان سكينها سيفٌ لحظها وكان مقلتها قلب عاشقها .

• وقلت : وخط من التصحيح فيه معالمٌ من الحُسن إذ يبدو عليه سيبٌ

يُعبَرُ عنه الروضُ وهو مُنَمِّمٌ ويُخبرُ عنه الوشْيُ وهو قشيبٌ

سوادٌ مدادٌ في بياضِ صحيفةٍ يقولُ شبابٌ بالمشيبِ مَشوبٌ

كانَ ظلامَ الليلِ أذرى دموعه فظَلَّتْ على خَدِّ الصبَاحِ تصوبُ

ومن غريب ما قيل في الشكل ما أنشدناه أبو أحمد قال أنشدنا الصولي قال

أنشدني عبد الله بن المعتز لنفسه :

فدو نكته موشى نممته
 بشكل يؤمن الاشكال فيه
 وقلت: بياض صحيفة تلتاح حسناً
 كغيم رق في أطراف جو
 ويحكى أرض كافور صريح
 كمثل الليل في صبح صديع
 وبين سطورهِ عجم^(١) مصيب
 وحاكته الأنامل أى حوك
 كأن سطورهُ أغصان شوك
 كمن السيف في كف المليح
 وماء ساح في قاع فسيح
 بها نبذ من المسك الذبيح
 ومثل الصدغ في وجه صبيح
 كمثل الخلال في الخد المليح

وأحسن ما قيل في صفة الخط الجيد ما أخبرنا به أبو أحمد قال أخبرنا الصولى
 قال سئل بعض الكتاب عن الخط متى يستحق أن يوصف بالجوذة فقال: إذا
 اعتدلت أقسامه وطالت ألفه ولامه واستقامت سطورهُ وضاهى صعوده حذوره
 وتفتحت عيونهُ ولم تشبه راؤه ونونه وأشرق قرطاسه وأظلمت أنقاسه^(٢) ولم تختلف
 أجناسه وأسرع في العيون تصوُّره والى العقول تشره وقدرت فصوله واندمجت
 وصوله وتناسب دقيقه وجليله وخرج عن نمط الوراقين وبعُد عن تصنع المحررين
 وقام لكتابهِ مقام النسبة والحلية كان حينئذ كما قيل في صفة الخط:

إذا ما تجلجل قرطاسه وساوره القلم الأرقش
 تضمن من خطهِ حلة كمثل الدنانير أو أنقش
 حروفاً أعيد لعين الكليل نشاطاً ويقروها لاخفش

ومن ههنا أخذ المتنبي قوله:

أنا الذى نظرت الأعمى الى أدبى وأسمعت كلماتى من به صمم
 إلا أنه أحسن الاخذ وأجاد اللفظ. ومن مליح التشبيه قول الاعرابى وقد قال له
 هشام بن عبد الملك أنظر كم على هذا الميل من عدد الأميال، ولم يكن الأعرابى

(١) المعجم: النقطة. (٢) النقش بالكسر: المدادج أنقاس.

يحسن القراءة ففضى فنظر ثم عاد فقال رأيت شيئاً كراس المحجن مُتصلاً بمحاقة صغيرة
تدبها ثلاث كاظباء السكبة يفضى الى هنة كأنها قطة بلا منقار . ففهم هشام
بالصفة أنها « خمسة » (١) .

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن أبي العباس الربيعي عن الطلحي عن أحمد
ابن ابراهيم قال دخل اعرابي الى الرشيد فأنشده أرجوزة واسماعيل يكتب
بين يديه كتاباً وكان أحسن الناس خطأ وأسرعهم يداً وخاطراً فقال الرشيد
للاعرابي صف هذا الكاتب فقال ما رأيت أطيش من قلمه ولا أثبت من كلمه ثم
قال ارتجالاً :

رقيق حواشي الحليم حين تبوره يريك الهوينا والأمور تطير
له قلماً بؤسى ونعمى كلاهما صحابته في الحالتين درور
يناجيك عما في ضميرك لحظة ويفتح باب الأمر وهو عسير

فقال الرشيد قد وجب لك يا اعرابي حق عليه هو يقضيك إياه وحق علينا
فيه نحن نقوم به ، ادفموا اليه دية الحر ، فقال اسماعيل وله على عبدك دية العبد .
قوله « رقيق حواشي الحليم » ردى لان الحليم يو صف بالرزانة لالبارقة ،
واستعمل أبو تمام هذا اللفظ فغيب به . وقوله « يريك الهوينا والأمور تطير »
رويناه لمنصور النمرى .

وفاخر صاحب قلم صاحب سيف فقال صاحب القلم أنا أقتل بلاغرر وأنت
تقتل على غرر . قال صاحب السيف القلم خادم السيف ان بلغ مراده وإلا فالى
السيف معاده أما سمعت قول أبي تمام :

السيف أصدق أنباء من الكتب فى حدّه الحدّ بين الجدّ واللعب
وأبى ذلك ابن الرومي فقال :

كذا قضى الله للأقلام منذ بُرِيت ان السيوف لها منذ أُرهِفت خدم

(١) كانت مكتوبة بالحروف فرأس المحجن الخاء والحلقة الصغيرة الميم .

وقال أيضاً :

لعمرك ما السيفُ سيفُ الكميِّ
له شاهدٌ إنْ تأملتَهُ
أداةُ المنيّةِ في جانبيهِ
سنانُ المنيّةِ في جانبِ
ألم ترّ في صدره كالسنانِ
وقد أحسن الخالدي في قوله :

وفي كفّ ليث الوردى
وقلت : أبيت بالليل غريب الكرى
ياخذُ مني الدرسُ والكتبُ
وقيمُ الحكمةِ في أملي
يصوغُ ما بسبكه اللُّبُّ
أنفُ ضميري حينَ أوعفتُهُ
أفرغُ ما استوعبه القلبُ
أرضاك منه المنطقُ العذبُ
لسانُ كفي حينَ أنطقتهُ
مُعظّمٌ في فعله نَدْبُ
مُنحَفٌ في خلقه ذابلٌ
فانه في فعله عَضْبُ
ان لم يكن كالعضبِ في حدّه
ورُبّ نكسٍ غبّه نصبُ
ينكسهُ المرءُ فيعلو به
يُعبجنا الحلو ولا العذبُ
وَمُدٌّ عرفنا لذّة العليم لا

وقال البحرى في تفضيل السيف على القلم :

ولما التقت أقلامكم وسيوفهم
أبدت بُغاثَ الطيرِ زرقُ الجوارحِ
فلا غرّني من بعدكم عزُّ كاتبِ
إذا هو لم يأخذُ بحجزة راحِ
ومن أحسن ما وصّف به القلم قول أبي تمام في محمد بن عبد الملك الزيات :
لك القلمُ الأعلى الذي بشبّاهه
تُنالُ من الأمر الكلي والمفاصلِ
لعابُ الأفاعي القاتلاتِ لعابه
وأرى جنى شارته أيد عواسلِ
له ريقه طلٌّ ولكن وقعها
بأثاره في الشرقِ والغربِ وابلِ

فصيحٌ إذا استنطقته وهو راجلٌ وأعجمٌ إن خاطبته وهو راجلٌ
 إذا ما امتطى الخس اللطاف وأفرغت عليه شعابُ الفكرِ وهي حوافل
 أطاعته أطراف الرماح وقوَّضت لنجواه تقويض الخيام الجحافل
 إذا استغزى الذهن الذكي وأقبلت أعاليه في القرطاسِ وهي أسافل
 وقد رفته الخنصرانِ وسَدَّت ثلاثَ نواحيه الثلاثُ الأنامل
 رأيت جليلاً شأنه وهو مرهفٌ ضنى وسميناً خطبه وهو ناحل
 وقد أحسن القائل في تشبيه أنامل الكاتب على القلم بالقلم أنشدناه أبو أحمد
 عن الصولي عن أحمد بن محمد بن إسحاق :

ماضر من أضنى بهجرانه قلبَ كئيبِ القلبِ حرَّانه
 لو فرجَ الكربةَ عن مُدنفٍ تشفُّهُ لوعة أحزانه
 يرقعةً يَنْظُمُها كفه نظمَ لآليه ومرجانه
 بمرهفِ الأحشاءِ ذى حُلَّةٍ موشِيَّةٍ ترفعُ من شأنه
 لعابه يسرُّ وعسرُّ إذا جاد به تفلجُ أسنانه
 إذا امتطاه بشبيهاه (١) كَشَفَّ أسراراً باعلانه

يركض في ميدانِ قرطاسه ركضَ جوادٍ وسط ميدانه
 وأحسن القصار في هذا المعنى يصف جاريةً كاتبةً اسمها علم :

أفدى البنانَ وحسن الخطِّ من علمٍ إذا تقمعن بالحناءِ والكتِّم (٢)
 حتى إذا قابت قرطاسها يدها ترى ثلاثةَ أقلامٍ على قلم
 ومن أحسن ما قيل في الدواة والأقلام قول أحمد بن إسماعيل :

في كفه مثلُ سنانِ الصعده أرقش بزَّ الأفعوانِ جلدَه
 يلبسهمُ الجيشَ السَّهامَ وحده لو صادمَ الطودِ المنيفَ هدَّه
 لو صافحَ السيفَ الحسامَ قدَّه يأوى إلى ظئر له مُحْتدَّه

(١) في الأصل « امتطاه شبيهاً به ». (٢) نبت يخلط بالحناء، وإذا طبخ صار مداداً.

يُمزجُ فيها صبرٌ بشهده يُرضعها من مقلةٍ مُسوده
يَمُدُّها جارٍ كَثيفِ العُدَّةِ كأنه الليلُ إذا استمدّه
مُقَلَّتْها مكحولةٌ بِنَدَّةِ

وقلت في القلم :

أَنظُرْ إِلَى قَلَمٍ تَنكسُ رَأْسُهُ لِيَضُمَّ بَيْنَ مَوْصِلٍ وَمُفَصَّلٍ
تَنظُرْ إِلَى مَخْلَابِ لَيْثٍ ضَيْعِيمٍ وَغَرَارِ مَسْنُونِ الْمُضَارِبِ مَفْصَلٍ
يَبْسُدُو لِنَاظِرِهِ بِلَوْنِ أَصْفَرٍ وَمَدَامِعِ سَوْدٍ وَجِسْمِ مُنْحَلٍ
فَالدَّرَجُ أَيْضُ مِثْلِ خَدٍ وَاضِحٍ يَثْنِيهِ أَسْوَدٌ مِثْلِ طَرْفِ أَحَلٍ
قَسَمِ الْعَطَايَا وَالْمَنَايَا فِي الْوَرَى فَإِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهِ فَاحْذَرِ وَأَمَلِ
طَعْمَانِ شَوْبِ حَلَاوَةِ بَمْرَارَةِ كَالدَّهْرِ يَخْلَطُ شَهْدَهُ (١) بِالْحَنْظَلِ
فَإِذَا تَصَرَّفَ فِي يَدَيْكَ عِنَانُهُ أَلْحَقْتَ فِيهِ مُؤَمَّلًا بِمُؤَمَّلِ
وَمُذَلَّلًا بِمِعْرَزٍ وَلرَبَّمَا أَلْحَقْتَ فِيهِ مِعْرَزًا بِمَذَلِّ
وَقَلْتَ : لَكَ الْقَلَمُ الْجَارِيُّ بِيؤُسٍ وَأَنعمَ فَنَهَا بُوَادٍ تَرْتَجِي وَعِوَائِدُ
إِذَا مَلَأَ الْقَرطَاسُ سَوْدَ سَطُورِهِ فَتَلَكُ أَسْوَدٌ تَتَقَى وَأَسَاوِدُ
فَتَلَكُ جَنَانٌ تَجْتَنِي ثَمَرَاتِهَا وَيَلْقَاكَ مِنْ أَنفَاسِهِنَّ بُوَارِدُ
وَهِنَّ بَرُودٌ مَالِهِنَّ مَنَاسِجُ وَهِنَّ عَقُودٌ مَالِهِنَّ مَعَاقِدُ
وَهِنَّ حَيَاةٌ لِلوَلِيِّ رَضِيَّةٌ وَهِنَّ حَتُوفٌ لِلعدُوِّ رَوَاوِدُ

وَأَنشدنا أبو أحمد قال أَنشدنا أبو بكر أحمد بن محمد بن الفضل الطائي قال

أَنشدني أبو الحسين بن أبي البغل :

لَهُمْ هِمَمٌ تَنطَاطُ إِلَى الثَّرِيَا وَتَحْكَمُ فِي الطَّرِيفِ وَفِي التَّلَادِ
وَأَقْلَامٌ تَشَبَّهُهَا سُيُوفًا مَهْنَدَةٌ هَوَادٍ فِي الْهَوَادِي

(١) في الأصل « شهده » بضم الشين وهو سائغ فقد جاء في القاموس

« الشهد بالفتح وبضم » .

يُحِطُّ بِهَا سَوَادٌ فِي بِيَاضٍ فَتَحْسَبُهُ بِيَاضاً فِي سَوَادٍ
 إِذَا فَرِغَ الصَّرِيحُ أَمَّا حَيْلًا بِخَيْلٍ تَسْتَنَارُ مِنَ الْمَدَادِ
 وَقَدْ أَحْسَنَ ابْنُ الرَّومِيِّ فِي وَصْفِ الْكِتَابِ حَيْثُ يَقُولُ :

مَتَمَنَّقٌ مِنْ جِلْدِهِ مَتَخَمٌّ مِنْ خَصْرِهِ
 أَبَدًا تَرَاهُ وَصَدْرِهِ فِي بَطْنِهِ أَوْ ظَهْرِهِ

وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِيدِ كَرِ أَرْضَةً أَكَلْتُ كِتَابًا :

شَغَلَنِي إِذَا مَا كَانَ لِلنَّاسِ شَغْلٌ دَفَتُرُ فِقْهٍ أَوْ حَدِيثٍ أَوْ غَزَلٍ
 أَرْقَطُ ذُو لَوْنٍ كَشِيبِ الْمَكْتَمَلِ تَخَالُهُ مَكْتَحَلًا وَمَا كَتَمَلِ
 رَاكِبٌ كَفَّ أَيْنَ مَا شَاءَ رَحِلٌ وَهُوَ دَلِيلٌ لِمَقَالٍ أَوْ عَمَلِ
 يَقِيمُ وَزْنَ الْعَقْلِ حَتَّى يَعْتَدِلِ وَيُذَكِّرُ النَّاسِيَّ مَا كَانَ أَضَلِ
 كَأَنَّهُ يَنْشُرُ عَنِ نَقْشِ حَلَلِ يَخَاطَبُ اللَّحْظَ بِنَطْقٍ لَا يَكَلِ

وَلَا يَمِلُ صَاحِبًا حَتَّى يَمِلِ

ثُمَّ قَالَ فِي وَصْفِ الْأَرْضَةِ * تَأْكُلُ أَثْمَارَ الْقُلُوبِ لِأَنَّ كُلَّ * وَكَتَبَ الصَّاحِبُ
 فِي وَصْفِ كِتَابٍ : وَصَلَ كِتَابِكَ فَجَعَلْتَ يَوْمَ وَصُولِهِ عِيدًا أَوْرَخَ بِهِ أَيَّامَ بَهْجَتِي
 وَأَفْتَحَ بِهِ مَوَاقِيتَ غَبَطَتِي وَعَرَفْتَ مِنْ خَبَرِ سَلَامَتِكَ مَا سَأَلْتَ اللَّهُ الْكَرِيمُ أَنْ
 يَصِلَهُ بِالذُّوَامِ وَيَرْفَعَهُ عَلَى أَيْدِي الْأَيَّامِ . وَكَتَبَ أَيْضًا : وَصَلَ كِتَابَهُ أَيْدِي اللَّهِ بِضَحْكَ
 عَنِ أَخْلَاقِهِ الْأَرَجَةِ وَيَتَهَلَّلُ عَنْ عَشْرَتِهِ الْبَهْجَةِ وَيُنْخَبِرُ عَنْ عَارِيَةِ اللَّهِ إِيَّاهُ عَمَّا رَأَيْتَ
 شَمْلَ الْحَرِيَةِ بِهِ مَمْتَنًّا وَشَعْبَ الْمَرْوَةِ لَهُ مَلْتَمًا وَيَتَحَمَّلُ مِنْ أَنْوَاعِ بَرِّهِ مَا أَقْصَرَ عَنْ
 ذِكْرِهِ وَلَا أَطْمَعُ فِي شُكْرِهِ وَيُؤَدِّي مِنْ لَطِيفِ اعْتِنَاؤِهِ فِي أَثْنَاءِ عَتَبِهِ مَا تَزِدَادُ بِهِ
 أَسْبَابَ السَّرُورِ تَمَهْدًا . وَقَلْتُ فِي كِتَابِ أَكَلْتَهُ الْأَرْضَةَ :

وَجَلِيسٌ حَسَنٌ الْمُحْضِرُ مَأْمُونٌ الْمَغِيبُ
 مَيْتٌ يُخْبِرُ حَيًّا بِخَفِيَّاتِ الْغُيُوبِ
 أَبْلَهُ غَيْرُ لَيْبٍ وَهُوَ فِي حَالِ اللَّيْبِ

جاهلٌ غيرٌ أديبٍ وهو عوفٌ للأديب
 أخرسٌ غيرٌ خطيبٍ وله لفظٌ الخطيب
 مفحمٌ ينظمٌ شعراً مثل إقبال الحبيب
 ساكتٌ يروي حديثاً مثل إعراض الرقيب
 نكته الكفُّ حتى هو كالوشى القشيب
 من سوادٍ وبياضٍ كشبابٍ ومشيب
 فيه إمتاعٌ لأبصارٍ وأنسٌ للقلوب
 دبٌّ فيهن ديبٌ كان من شرِّ الأديب
 من صغيراتٍ جسومٍ وكبيراتٍ الذنوب
 أخذت منها نصيباً فالتوى منها نصيبى
 أفرحت قلباً جهولٍ وكوت قلباً لبيب
 ويل هاتيك المعانى من بديعٍ وغريب
 وأفانينٍ كلامٍ بين سهلٍ وصايب
 من بديعٍ وفصيحٍ وصحيحٍ ومُصيب
 بُدِّلَ الإصلاحُ منهم - ن - بافسادٍ عجيب
 فنجومٌ العلمِ والفهمِ - م - تهاوت للغروب
 كلُّ شئٍ سوفَ يقنى عن بعيدٍ وقريب

ومن بديع ما وُصف به الوراق ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولى
 عن أحمد بن يزيد المهلبى عن أبي هفان قال سألت ورأفاً عن حاله فقال :
 عيشى أضيّق من محبرة وجسمى أدق من مسطرة ، وجاهى أرق من الزجاج
 وحظى أخفى من شق القلم ويدي أضعف من قصبه وطعامى أمر من العفص وشرابى أسود من
 الخبر وسوء الحال أزم لى من الصمغ . فقلت عبرت عن بلاءٍ ببلاءٍ فحسبك .
 وقلت فى المحبرة والاقلام :

منهله من أشرف المناهل تضمن رى الصفر الذوابل
 مركبها ذوائب الانامل إذا مشت عالية الاسافل
 بكت على الطرس بدمع هامل فارتبطت شوارد المسائل
 وكشفت عن غرر الدلائل بيضاء تبدو في لباس الثاكل
 لكنها تلبسه من داخل

ومما لا أعرف في معناه خيراً منه قول كشاجم الكاتب (١) :

لا أحب الدواء تحشى برأعاً هي عندي من الدوى معيه
 قلم واحد وجوده خط فاذا زدت فاستزد أنوبه
 هذه قعدة الشجاع عليها أبداً سيره وتلك جنبه

ومن البديع الظريف قول أحمد بن اسماعيل :

كأنما النفس إذا استمدته غالية مذوقة بنده

ونتن الكرسف (٢) مما يُعاب به . ومن البديع المشهور ما أنشدناه أبو

أحمد عن الصولى عن أحمد بن اسماعيل للحسن بن وهب (٣) :

مداد مثل خافية الغراب وأقلام كرهفة الحراب
 وقرطاس كرقاق السراب وأفاظ كأيام الشباب
 قلت : أكثر ما نُثبته الأقلام لم تسع في زواله الأيام
 يالك من حرس لها كلام موقى إليها النقض والابرام

(١) هو أحد فحول الشعراء ، قيل إن لقبه هذا منحوت من عدة علوم كان

يتقنها : فالكاف من كاتب والشين من شاعر والألف من أديب والجيم من الجدل
 والميم من المنطق ، ثم طلب علم الطب فمهر فيه فزيد في اسمه طاء من طبيب فقيل
 طكشاجم ولكنه لم يشتهر . كان من شعراء عبد الله به حمدان والد سيف الدولة .

(٢) الكرسف : القطن ومنه كرسف الدواء .

(٣) كان معاصراً لابن تميم وهو من الشعراء الوجهاء ، لمات رثاه البحترى .

قِوَامٌ بِجِدِّ مَالِهِ قِوَامٌ نِظَامٌ مَلِكٍ خَانَهُ النِّظَامُ
أَصَاغِرُ شُؤْنِهَا الْعِظَامُ

ومن المختار في معناه قول الآخر :

إِنَّمَا الزَّعْفَرَانُ عِطْرُ الْعِذَارَى وَسِوَادُ الدَّوِيِّ عِطْرُ الرَّجَالِ
وَقَلْتُ فِي سَكِينٍ :

أَنْجَازٌ وَعِدْكَ فِي السَّكِينِ مَكْرَمَةٌ
أَحْسَنُ بِهِ أَرْزَاقِي أَيْضٌ يَبْقَى
خَلْفُ الْوَعِيدِ حَمِيدٌ لَا يَذْمُ بِهِ
غِرَاءُ قِطْلِكَ فِيهَا غَيْرٌ بِمَجْهُودٍ
لَهُ مَنَاطِقٌ مِنْ بَيْضٍ وَمِنْ سِوَدٍ
وَلَمْ يَكُنْ خَلْفَ مَوْعِدٍ بِمَجْهُودٍ

وكتب كافي السكفة في ذم قلم فأبدع : وليس العجب إلا من قلم منيت به
لا يستقر إذا تأنيت ولا يستمر إذا جريت طوله عرض وابعامه نقض تستقيث
الحروف من التوائه وتستأنس السطور من استوائه ان قلت سر وقف وان
حشنته بالانامل كطف فالفاظي في سنه مأسورة ومعاني في شقيه محصورة وقد
صبرت عليه ألبسه مع سوء عشرته وأستمعته مع فضل عشرته وأقول لهله يصلح
بطول المداراة وعسائه ينجح بكثرة المناوأة وهو يزداد نفاذاً ويتضاعف زلالاً وعثاراً .
ومما يدخل في هذا الباب قول كشاجم في غلام رآه يكتب ويخطيء فيمحو
ما يخطئه بريقه وهو :

وَرَأَيْتُهُ فِي الطَّرْسِ يَكْتُبُ مَرَّةً غَلَطًا يُوَاصِلُ مَحْوَهُ بِرُضَايِهِ
فَوَدِدْتُ أَنِّي فِي يَدَيْهِ صَحِيفَةٌ وَوَدَّتُهُ لَا يَهْتَدِي لَصَوَابِهِ

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن زكريا الغلابي قال حدثنا مهدي
ابن سابق قال رأى المأمون في يد جارية له قلماً وكان ذا شغف بها واسمها منصف فقال :
أراني منحت أوداً من ليس يعرف فما أنصفتني في الحجة منصف
وزادت لدى حظوة يوم أعرضت وفي أصبعها أسمر اللون أهيف
أصم سميع ساكن متحرك ينال جسيمات المدى وهو أعجف

عجبت له أنى ودهرك معجبٌ يُقومُ تحريفَ العبادِ مُحرفٌ
وكتب الصاحبُ أبو القاسمِ في وصف كتاب : ومن هذا الذى لا يجبُ أن يواصل
علم الفضل وواسطة الدهر وقرارة الأدب والعلم ومجمع الدراية والفهم أم من لا يرغب
فى مكائفة من ينتسب الربيعُ إلى خلقه ويكتسبُ محاسنه من طبعه ويتوشح
بأنوار لفظه ويتوضح بأثار لسانه ويده ، ووصل كتابه فارتحت لعنوانه قبل عيانه
حتى إذا فضضتُ ختامه أقبات الفكرة تتكاثرُ والدررُ تتناثرُ والغررُ تترامُ
والنكتُ تتزاحمُ فإذا حكمتُ للفظه بالسبقِ أنت أختها تنافسُ وأقبلتُ لديها
تفاخر حتى استعفيتُ من الحكومة ونفضتُ يدي من غبار الخصومة وأخذتُ
أقول كأن صوادِرُ عن أصولٍ بل أصلٌ واحدٌ قد سالمن ونواتدٌ عن معدنٍ فاردٍ
فتصالحن وقد وليتُ النظرَ بينها من كمل لنسج برودها ووفى بنظم عقودها .
ومثل ما تقدم من قوله فى ذم القلم قوله أيضاً : على أنى يامولاي أنشأتُ هذه
الأحرف وحولى أعمالٌ وأشغالٌ لا يسلمُ معها فكرٌ ولا يسمحُ بينها طبعٌ وتناولتُ
قلماً كالابن العاقيل العدو المشاق فإذا أدرتَه استطال وإذا قومته مال وإذا حثتهُ
وقف وإذا أوقفته انحدر أجدل الشق مضطرب الشق متفاوت البرى معدوم
الجرى مُحرفُ القَطِ مثيرُ الخط ثم رأيتُ العدو له عنه ضرباً من الانقياد لأمره
والانخراط فى سلكه فجهده على رغبه وكددته على صغره لاجرم أن جنابة
اللجاج يادية على صفحات الحروف لا تخفى وطادية المحك لأثمة على وجوه تجلى .
وكتبتُ فى وصف كتاب : والله أعلم أنى أخبرت بورود كتابه فاستغزنى
الفرح قبل رؤيته وهز عطفى المرح قبل مشاهدته فما أدرى أمممت بورود كتاب
أم ظفرت برجوع شباب ثم وصل بعد انتظار له شديد وتطلع إلى وروده طويل
عريض فتأملته فلم أدر ما تأمات أخطأ مسطوراً أم روضاً بمطوراً أم كلاماً منشوراً أم
شيئاً منشوراً ولم أدر ما أبصرتُ فى اثنائيه أبيات شعر أم عقودٌ دُرٌّ ولم أدر
ما حملته أعيث حل بواد ظمان أم غوث سيق إلى لهفان .

وكتب صاحب : ووصل كتاب القاضي فأعظمت قدر النعمة في مطالعه
وأجلت محل الموهبة بموقعه وفضضته عن السحر الخلال والماء الزلال وسرحت
الطرف منه في رياض رقت حواشيها وحلل تأنق واشيها فلم أتجاوز فصلا إلا
الى أخضر منه فضلا ولم أنخط سطرًا الا إلى أحسن منه نظماً ونثراً .

ورفع رَجُلٌ إلى محمد بن عبد الله بن طاهر قصةً يعتذرفيها فرأى خطه رديئاً
فوقع : قد أردنا قَبُولَ عذرِكَ فاقطعنا دونه ما قابلنا من قبح خطك ولو كنتَ
صادقاً في اعتذارك لساعدتك حركة يَدِكَ أو ما علمتَ أن حسن الخطِّ يُبْناضُ
عن صاحبه بوضوح الحجَّة ويمكن له درك البغية .

وقال عليّ رضي الله عنه : الخطُّ الحسنُ يزيدُ الحقَّ وضوحاً .

وقيل : حسن الخطِّ احدى البلاغتين .

ووصف الجاحظُ الكتابَ فقال : الكتابُ وعاءٌ مُلِيٌّ علمًا وظرفٌ حَشِيٌّ
ظرفاً^(١) وإناءٌ شحِنٌ مُزاحاً^(٢) وجراداً أنشدتَ كان أبين من سحبان وائل وانشدتَ
كان أعيان من باقل وانشدتَ ضحكت من نوادره وانشدتَ شجعتك مواعظه
ومن لك بواعظٍ مله ويزاجرٍ مغرٍ ويناسيك فاتك وبناطقٍ أخرس وبياردٍ حارٍ
ومن لك بطبيبٍ أعرابي وبرومي هندی وفارسي يوناني وبقديم مولد وبميت
مُتمِّعٍ ومن لك بشيءٍ يجمع الأول والآخِر والناقص والوافر والشاهد والغائب
والرفيع والوضيع والفت والسمين والشكل والمثل وخلافه والجنس وضده .

ودخل المأمونُ على بعض بنيهِ فوجدهُ ينظر في كتابٍ فقال يا بُني مافي
كتابك ؟ قال بعضُ ما يشحدُ الذهن ويؤنس الوحدة . فقال الحمد لله الذي رزقني
ولداً يرى بعين عقله أكثر مما يرى بعين جسده وظلٌّ مفكراً في قول ولده الطفل .

(١) الظرف بفتح الظاء بمعنى الظرافة ، ويضم بعضهم الظاء وهو غلط .

(٢) المزاح بضم الميم : الاسم من المزح .

﴿ الفصل الثاني من الباب التاسع ﴾

في ذكر البلاغة

قال بعض الحكماء : البلاغة قول تضطر العقول الى فهمه ، قال الشيخ أبو هلال
يعنى قولاً واضح المعنى غير مُشكل المغزى . وسأل معاوية عمرو بن العاص من
أبلغ الناس ؟ قال من اقتصر على الایجاز وترك الفضول . وليس يصلح الایجاز في
كل مكان كما لا تصلح الاطالة في كل أوان بل لكل واحد منهما حين يُحسن فيه
ومقام يليق به ان أرزنته عنه لم توفه حقه ولم تسلك به طرقة . وقال محمد الامين
عليكم بالایجاز فان للایجاز افهاماً وللاطالة استهماً . أى عليكم بالایجاز فيما كان
الایجاز فيه أحسن وأنجع فأما اذا كانت الاطالة أورد وأنفع فليس للایجاز موقع
يحمّد ولا حال تعتمد . والایجاز بجميع الشعر أليق وبجميع الرسائل والخُطب
وقد يكون من الرسائل والخُطب ما يكون الایجاز فيه عيباً ولأعرفه الابلاغة
في جميع الشعر لان سبيل الشعر ان يكون كلامه كالوحي ومعانيه كالسحر مع قربها
من الفهم . والذي لا بد له منه حسن المعرض ووضوح الغرض كقول النابغة
الذياني * فانك كالليل الذي هو مدركي * وقال الفرزدق :

والشيبُ ينهض بالشباب كأنه ليلٌ يصيحُ بجانبه نهارُ
وقال أعرابي : أبلغُ الناس أسهلهم لفظاً وأحسنهم بديهةً . وهذا
حسنٌ جداً لأن سهولة اللفظ وحسن البديهة يدلان على جودة القرينة
والبلاغة الفرزية ، ووعورة اللفظ تدل على تكلف وتعسف ولا شيء أذهب بماء
الكلام وطلوته وروثه منهما ولا يحسن معهما الكلام أصلاً وان كان لطيف
المعنى نبيل الصنعة . وقد أجاد ابن الرومي في قوله : البلاغة حسن الاقتضاب
عند البديهة والغزارة يوم الاطالة . فجعل البلاغة في الغزارة كما جعلها غيره في الایجاز .

وقيل لهندى ما البلاغة؟ فقال وضوح الدلالة واتمهاز الفرصة وحسن الإشارة.

وقيل لآخر ما البلاغة؟ فقال تصحيح الأقسام واختيار الكلام.

وقال الحسن بن سهل: البلاغة ما فهمته العامة ورضيته الخاصة. وقال عبيد الله بن

عتبة: البلاغة دنو المتأخر وقرع الحججة وقليل من كثير. وروى هذا عن أكرم بن صيفي

أيضاً. وقال ابن المقفع: البلاغة اسم لمعان تجري في وجوه فيها ما يكون شعراً

ومنها ما يكون سجعاً ومنها ما يكون خطباً ومنها ما يكون رسائل فعامية ما يكون من

هذه الأحوال فالوحي فيها والإشارة إلى المعنى أبلغ والابحاز البلاغة. وتأويل

هذا ما قدمناه. وقال غيره: البلاغة قول يسير يشتمل على معنى خطير.

وقال الآخر: البلاغة علم كثير في قول يسير. وقال جعفر بن يحيى:

البلاغة أن يكون الاسم محيطاً بمعناك ويحلي على مغزك ولا تستعين عليه بطول

الفكرة ويكون سليماً من التكلف بعيداً من سوء الصنعة بريئاً من التعقد

غنياً عن التأمل. وقال اعرابي: البلاغة التقرب من معنى البغية والتباعد من

حشو الكلام وقرب المأخذ وإيجاز في صواب وقصد إلى الحججة وحسن الاستعارة.

وقال محمد بن الحنفية: البلاغة قول مفقده في لطف. وقال علي رضي الله عنه: البلاغة

إيضاح الملتبسات وكشف عوار الجهالات بأحسن ما يمكن من العبارات.

ومثله قول الحسن بن علي رضي الله عنهما: البلاغة الإفصاح عن حكمة

مستغلة وابتانة علم مشكل. ومثله قول محمد بن علي رضي الله عنه: البلاغة تسير

عسير الحكمة بأقرب الالفاظ. وقال ابن المقفع: البلاغة كشف ما غمض من الحق

وتصوير الحق في صورة الباطل والباطل في صورة الحق. والذي قاله صحيح

لا يخفى موقع الصواب فيه على أحد من أهل التمييز وذلك أن الأمر الظاهر الصحيح

الثابت المكشوف ينادى على نفسه بالصحة ولا يجوز أن يتكافئ لتصحيحه

حتى يوجد العيب فيه خطيباً وإنما الشأن في تحسين ما ليس بحسن وتصحيح ما ليس

بصحيح بضرب من الاحتيال والتخييل ونوع من العلل والمعارض ليخفى موضع

الاساءة ويغض موضع التقصير فيه . وقد فسرت في كتاب صنعة الكلام مواضع الاشكال من هذه الفصول فتركتُ إعادتها ههنا فاذا أردتها فاطلبها في مظانها هناك تظفر بيغيتك منها إن شاء الله تعالى . وقد أحب قومُ الإيجاز في بعض المواضع منهم جعفر بن يحيى قال - لكتابه: إن استطعتم أن يكون كلامكم مثل التوقيع فافعلوا . وقال بعضهم في المذهب الأول إذا كان الإيجاز كافياً كان التطويل عيًّا وإذا كان التطويل واجباً كان التقصير عجزاً . وقيل لاعرابي ما البلاغة ؟ فقال الإيجاز من غير عجز والاطناب من غير خطل . فانظر إلى كلام هذا الاعرابي فهو بليغ .

﴿ جمل من بلاغات العجم ﴾

العجمُ والعربُ في البلاغة سواءٌ فمن تعلم البلاغة بلغة من اللغات ثم انتقل إلى لغة أخرى أمكنه فيها من صنعة الكلام ما أمكنه في الأولى ، وكان عبد الحميد الكاتب استخرج أمثلة الكتابة التي رسمها من اللسان الفارسي فحولها إلى اللسان العربي ، وبذلك على هذا أيضاً أن تراجمُ خطب الفرس ورسائلهم هي على نمط خطب العرب ورسائلها ، وللفرس أمثال مثل أمثال العرب معنى وصنعةً وربما كان اللفظُ الفارسي في بعضها أفصح من اللفظ العربي ، من ذلك قول العرب « ولدك من دمي عقيبك » ^(١) وقول الفرس « هرك نراد نرود » واللفظُ الفارسي في هذا أفصح من اللفظ العربي وأحسن ، وقولهم « كشندي ميد » مثل قول العربي « من يسمع يخل » سواءً في المعنى ، والفارسي أقل حروفاً ، وقولهم « أصيد بركة خورده » ^(٢) وليس للعرب في معنى هذا المثل شيء ومعناه « المأمول

(١) كانت امرأة الطفيل بن مالك ولدت له عقيل بن الطفيل فتبنته كبشة فعربد عقيل على أمه فضربته فجاءتها كبشة وقالت ابني ابني فأجابتها أمه بهذا المثل .
(٢) لعله « أميد به أزخوردن » كما يقوله بعض العارفين باللغة الفارسية حيث

خير من المأكول » ولا يعبر عنه بكلام عربي أقل حروفاً مما ذكرته ومع ذلك
فان حروف تفسيره بالعربية ضعفاً حروفه بالفارسية ، وقد جاء عن بعضهم في
معنى هذا المثل «انتظار الحاجة خير لك من قضائها» وقد خالفهم الفرس في مثل واحد
وهو قولهم « به شاه آشنه نرود هم دوره » والعرب تقول « جاور بجرأ أو ملكاً » .
وليس قصدنا لهذا المعنى فنظيل فيه ولكن لا يراد أمثلة في البلاغة
تكون مادة لصانع الكلام : فمن ذلك قول ابرويز : إذا نزل الخمول استكشف
النقص ، بحث على طلب النباهة والتماس جلائل الأمور . وقال بهرام جور :
الحاكم ميزان الله في الأرض فوافق الله تعالى في قوله (والسما رافعها
وَوَضَعَ الْمِيزَانَ) يعني العدل في الحكم . ونحوه قول علي رضي الله عنه :
السفر ميزان القوم . وقول الآخر : العروض ميزان الشعر وقال الآخر منهم :
أغلق أبواب الشهوات تفتح لك أبواب المحاسن . وقال آخر منهم : الصواب
قرين الثبوت والخطأ شرك العجلة . وقال بزرجمهر : طاملوا أحرار الناس بمحض
المودة وعاملوا العامة بالرغبة والرهبه وسوسو السفلة بالتحافة والهيبه . وقريب
من ذلك قول بعضهم : الكريم يلين إذا استعطف والثلثم يقسو إذا أظف .
وقال بعضهم : ينبغي للوالى أن يتفقد أمور رعيته فيسدا فاقة أحرارها ويقمع طغيان
سفلتها فانما يصول الكريم إذا جاع والثلثم إذا شبع . وقال بعض حكماء الفرس :
أحزم الملوك من غلب جده هزله وقهر رأيه هواه وعبر عن ضميره فعله ولم يتخذعه
رضاه عن حظه ولا غضبه عن كيد . وقال أنوشروان : القصد غاية المنافع ،
وقال لابنه هرمز لا يكن عندك لعمل البر غاية في الكثرة ولا لعمل الاثم غاية
في القلة . ووافق هذا من العربي قول الافوه الأودى :

والخير تزداد منه ما لقيت به والشر يكفك منه قلما زاد

وقالوا أيضاً : يوم العدل على الظالم أشد من يوم الظلم على المظلوم .

وقال ابرويز : لا تنفسوا قليلاً فتنفصوا به كثيراً . وقال يوماً لجنده لا يشحذا مرؤ

منكم سيفه حتى يشخذ عقله . وأظن المتنبى ألم بهذا فقال :
 الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أولٌ وهي المحلُّ الثاني
 وقال لكتابه : إذا فكرت فلا تعجل وإذا كتبت فلا تستعن بالفُضول
 فانها علاوة على الكفاية ولا تقصرن عن التحقيق فانها هُجينة في المقالة ولا تلبس
 كلاماً بكلام ولا تباعدن معنى من معنى واجمع الكثير مما تريد في القليل مما تقول .
 ووافق هذا قول العربي : ما رأيتُ بليغاً إلا رأيتُ له في المعاني اطالةً وفي الالفاظ
 تقصيراً . يحث على الایجاز . وقال له إذا أمرت فأحکم وإذا كتبت فأوضح وإذا
 ملكت فأسجع وإذا سألت فأبلغ ، ووافق هذا النمط قول أبي تمام :

يقول فيسمع ويمشى ^(١) فيسرع ويضرب في ذات الآله فيوجع
 وقال ازدشير بن بابك : من لم يرض بما قسم الله له طالت معتبه وفحش
 حرصه ومن فحش حرصه ذآت نفسه وغلب عليه الحسدُ ومن غلب عليه
 الحسدُ لم يزل مغموماً فيما لا ينفعه حزناً على ما لا يناله ، وهذا معنى قول الشاعر :
 * ليس للحاسد إلا ما حسد * وقال : من شغل نفسه بالئني لم يخل قلبه من الأسي .
 وقال بعضهم : الحقوقُ أربعةٌ حقُّ لله تعالى وقضاؤه الرضا بقضائه والعمل بطاعته
 واكرامُ أوليائه ، وحقُّ نفسك وقضاؤه تعهدا بما يصاحبها ويصحبها ويحسم مواد
 الادواء عنها ، وحقُّ الناس وقضاؤه مغمومهم بالمودة ثم تخصيص كل واحد منهم
 بالتوقير والتفضيل والصلة ، وحقُّ السلطان وقضاؤه تعريفه ما خفي عليه من منفعة
 رعية وجهاد عدوِّ وعماره بلدٍ وسدِّ ثغري . وقال بزرجهر : لا ينبغي للعاقل أن
 يجزع من حطِّ السلطان إياه عن منزلة رفع اليها خاملاً فان الاقدار لم تجر على قدر
 الاخطار . وقال بزرجهر : الزام الجهول الحجّة يسير واقارره بها عسير .
 وقال بزرجهر : ثمرة القناعة الراحة وثمره التواضع المحبّة من قلوب الخلق .

(١) في ديوان أبي تمام المطبوع « ويمشى فيسرع » .

(ومن كلام الفلاسفة)

قال ارسطاطاليس : ليس الحاجة الى العقل أقيح من الحاجة الى المال .
وقيل له ما أشد الأشياء على الأحمق ؟ قال الشكوت . وقيل له ما أحسن الأشياء ؟
قال الانسان المزين بالأدب . وقال : العقل سبب تنقيص العيش . والى هذا
المذهب ذهب ابن أبي البعل في قوله :

الصَّعُو يَصْفِرُ دَائِبًا وَلَا جِلَه
حُبِسَ الْهِيْزَارُ لِأَنَّهُ يَتَرَسَّمُ
لو كنتُ أَجْهَلُ مَا عَلِمْتُ لَسَرَّني
جَهْلِي كَمَا قَدْ سَاءَني مَا عَلِمْتُ
وقال المتنبي :

ذوالعقل يشقى في النعيم بعقله
وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم
وقلت : أو اصلُ الهمم في ضيق وفي سعة
كأنَّ ييسني وبين الهمم أرحاما
إن إمرأاً عظمت في الناس همته
رأى السرورَ جوى والوفرا أعداما
وقلت : وأكثرُ حالاتِ الزمانِ يغمنى
وليس لغمم العارفين مفرج
وروى الحسنُ البصرى حزيناً فقليل له في ذلك فقال : غمى مكتسب من
عقلي ولو كنت جاهلاً لكنت في راحة من عيشي . وافتخر قوم بالمال عند
فيثاغورس فقال : وما حاجتي إلى المال الذي يعطيه الحظ ويحفظه اللؤم ويهلكه السخاء
وقيل له ما أصعب الأشياء على الانسان ؟ قال أن يعرف قدر نفسه ويكتفم سره .

وقال بعض أهل الهند : ليس شيء أعرف بنفسه من الانسان ولا أجملُ بهامنه .
وقيل لسقراط أي السباع أجمل ؟ قال المرأة . ومن التشبيه المصيب قول سقراط لرجل
استشاره في التزويج : ان المتزوجين مثل السمك الذي يصاد بالقفاف فما حصل
فيها يروم الخروج منها وما كان خارجاً يبغي الدخول فيها . وقيل لرجل منهم ما سبب
موت أخيك ؟ قال كونه . ومثل ذلك ما أخبرني به عم أبي أبو سعيد الحسن بن سعيد
أظنه عن أبيه قال : ورد البريد الى المأمون من خراسان بموت ابن المؤيد فاستدعاه

وجعل يعظه ويعزيه من غير أن يذكر له المصيبة فقال المؤيد لا عهد لي من أمير المؤمنين بهذا الكلام فما للسبب فيه؟ قال مات ابنك قال قد عرفت ذلك قال ومتى عرفته وماسبق البريد خبره؟ قال عرفت ذلك يوم وُلد. فعجب المؤمنون من فهمه وقال بمثل هذا قدمتك هذه العصابة وجعلتلك قوام دينها ومفرز عها فيما ينوبها. وقال بعضهم حب المال وتدالبلايا. وقال سقراط اللذة خناق من عسل.

وقيل لجاوس توفي مانيدس فقال الويح لي قد ضاع مسنن عقلي. وقيل له ما أحلى الأشياء قال الذي تشتهي. وقريب منه قول الاعرابي * وقلة ما قررت به العين صالح * وقال سقراط الحظ في إعطاء ما لا ينبغي ومنع ما ينبغي سواء. ومثل ذلك قول طاهر بن الحسين: التبذير للمال ذمة كحب التقدير فاجتنب التقدير وإياك والتبذير. وقريب منه قول العربي وقد قيل له إن فيك إمساكا فقال لا أجد في حق ولا أزور في باطل. ورأى بعضهم شاباً جاهلاً جالساً على حجر فقال هذا حجر على حجر.

ونحو هذا قول بعض المحدثين:

ما ان يزالُ بيغداد يزاحمنا على البراذين أمثال البراذين

وقلت وقد رأيتُ غلاماً مليحاً طريراً يخدم لئيماً دميماً:

ان كنتَ ترتادُ منظرًا عجباً فانظر الى البدر في يدِ القردِ
وانظر الى الضبِّ كيف يغترسُ السُّطبيَّ على مرقدٍ من الوردِ
وذمُّ دهرًا يفيضُ أنعمه على اللئيم المذممِ الوغدِ
وانظر الى حمرةِ وأتهِ فوقَ مُتونِ السوابحِ الجردِ
فأسخنَ اللهُ عينهُ زماناً ماذا رأى في تجنبِ القصدِ

وقال بعض اليونانيين لاسكندر أخلاقك تجعل العدو صديقاً وأحكامك تجعل الصديق عدواً ويشهد عدم مثلك فيما كان بعدم مثلك فيما يكون. وقال بعض حكمائهم لتكبر: وددت أني مثلك في نفسك وان أعدائي مثلك في الحقيقة. وقريب من هذا المعنى قول علي رضي الله عنه لبعض أعدائه وقد مدحه: أنا دون ما تظهر بلسانك وفوق

ما تضرع في جناتك . وقيل لبطليموس ما أحسن أن يصبر الانسان عما يشتهي
قال أحسن منه أن لا يشتهي إلا ما ينبغي .

وقال أرسطاطاليس : انك ان لم تصبر على تعب التعليم صبرت على شقاء الجهل
ما بقيت - مخاطب جاهلا .

﴿ محاسن كلام العرب والاعراب والخطباء والكتاب ﴾

قال بعض حكمائهم : الصبرُ يناضل الحدثنان . وقال آخر : الحلم فدام ^(١)
السفيه . وقال آخر : خاطر من استغنى برأيه . وقال غيره : الجزع من أعوان الزمان
والمودة قرابة مُستفادة . وفضل بعضهم المودة على القرابة فقال : القرابة
مُتحتاجة إلى المودة والمودة مُستغنية عن القرابة . وقال غيره وسوى بين المودة
والقرابة : الصاحب مُناسبٌ . وقالوا عجب المرء بنفسه أحد حساد عقله . ومن
موجز الكلام قول بعضهم : من نال استطال والفاحشة كاسمها . وقولهم أصاب
مُتأملٌ أو كاد . وقولهم العفو زكاةُ الجاه . وقولهم راحي البخيل مُكد .
وقول بعضهم قلما تصدقك الامنية . وقيل الصيانة مأف المروءة . وقال بعض
الحكماء البلاء رديف الرخاء . وقيل خمول الذكر أسنى من الذكر الذميم . وهذا
خلاف ما سمعنا سمعت رجلاً يقول لأن أكون رأساً في الضلالة أحب إلى من
أن أكون ذنباً في الهداية .

وكانت قريش تستحسن من الخاطب الاطالة ومن المخطوب الايجاز فخطب
محمد بن الوليد بن عتبة إلى عمر بن عبد العزيز ابنة أخيه فتكلم بكلام جاز الحفظ
فقال عمر الحمد لله الذي أنطق البلغاء ذى الكبرياء وصلى الله على محمد خير
الأنبياء أما بعد فان الرغبة منك دعوتك الينا والرغبة فيك أجابتك منا وقد أحسن
بك ظناً من أودعك كريمته واختارك ولم يختبر عليك وقد زوجناك على كتاب الله

(١) الغدام : شيء يشد على الفم .

وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فكان هذا من أوجز خطبة وأحسنها المراد .
 ومن موجز كلامهم : ليس مع الخلاف ائتلاف . وقولهم رضا الناس غاية
 لا تبلغ . وقولهم لا ينفك من جارسوء توق . وقولهم سرك من دمك . وقيل
 من لم يمت لم يفت . وقولهم عقل الكاتب على قلبه . ومن الصدق الذي لا ارتياب
 فيه قولهم من جالس عدوه حفظ عليه عيوبه . ومن الموجز المليح ما روى أن بنى أمية
 وفدوا على عبد الملك بن مروان فقال أهل الشام ماعسى أن يقول خطيبهم فقام
 رَجُلٌ منهم فقال يا أمير المؤمنين نحن من تعرفُ وحقنا ما لا تنكرُ وجئناك من
 بعد ومنتُ من قرب فهما تفعل بنا من خير فنحنُ أهله ، فتناول عبد الملك وقال
 يا أهل الشام هذا كلام قومي . ومن جيد الاستعارة قول بعضهم : كانوا في
 ظل رقيق الحواشي فطواه الدهرُ عنهم . وقيل التلم أنف الضمير والخط
 لسان اليد . وقال النبي صلى الله عليه وسلم (جَدَعَ الحَلَالُ أنفَ
 العَيْرَةِ) وقالوا الفكرة مُنحُ العمل . وقيل الشيبُ خظام المنية . وقالوا
 المذاكرةُ حياة العلم . وقيل الحُمُولُ دفن الحى . وقلتُ السخاءُ سلمُ المجد .
 وقلتُ المراءُ ينقضُ مرارة المودة والتواني يُشعرُ الندامة والكسلُ يُنتجُ الفقر .
 وقيل البياضُ علم الجمال . وقلتُ الحياءُ عنوان الكرم . وقلتُ العتابُ مُقدِّمةُ
 السخط . وقال ابن المعتز المعروفُ غلٌّ لا يَفُكُه إلا شكرٌ أو مكافأة ، وقلتُ
 العينُ رائدُ القلب . وقلتُ الذلُّ رسيلُ الدين والشكرُ ضامنُ المزيد والغنى
 مظنة البطر . وقال آخرُ للحظ طرف الضمير . وقلتُ الشكرُ مرتبط النعم . وقال
 آخر من جرى في عنان أمله عَثُرُ بأجله . وقال الأعمالُ ثمار النيات . وقيل
 التواضعُ سلمُ الشرف . وقلتُ المالُ عدوُّ الوفاء . وقيل التجنى رسولُ القطيعة .
 وقال الاحنفُ الأدبُ عُروة العزِّ . ومن أصدق كلمة أعرها قول ابن المعتز : من
 قوى عقله كثر حلمه وقل غيظه . وقال الفرصةُ سريمةُ الفوت وبطيئة العود .
 وقال نرَقع خرق الدنيا ويتسع ونشعبها وتنصدع وتجمع منها ما لا يجتمع .

ووقع جعفر بن يحيى الى بعض إخوانه : إذا وضع العذر لم يكن لسوء الظن مكان إلا لمن أراد التجنى . وقيل للأحنف إن حارثة بن بدر يقع فيك فقال : * عُثَيْمَةٌ تَقْرِمُ جِدًا أَمْلَسًا * (١) وقال بعض الحكماء حصاد المني الأسف وعاقبتها الندامة وليس لذي لب بها مستمتع . ومن فصيح أمثال العرب قولهم : الفرار بقراب أكيس (٢) . وعزى اعرابي رجلاً فقال لا أراك الله بعد هذه المصيبة ما ينسيكها . وعزى شبيب بن شيبه ذمياً فقال أعطاك الله عن مصيبتك أفضل ما أعطى أهل ماتك . وقال عبد العزيز بن زرارة أول المعرفة الاختبار . وقال رجل للأحنف ممن أنت قال ممن ودني . وقال البلاغة البلوغ عند الكفاية . وقيل للأحنف ما أحسن المجالس قال ماسافر فيه البصر وتدع فيه البدن وأمن فيه الثقل وكثرت فيه الفائدة .

وكتب المهلب (٣) إلى عبد الملك حين هزم الازارقة أما بعد فانا لقينا المارقة ببلاد الاهواز وكانت في الناس جولة ثم تاب أهل الدين والمروءة ونصرنا الله عليهم فنزل القضاء بأمر جاوزت النعمة فيه الأمل فصاروا دريئة رماحنا وضرائب سيوفنا وقتل رئيسهم في جماعة من حماهم وذوى الثبات منهم وأجلى الباقون ليلاً عن معسكرتهم وأرجو أن يكون آخر هذه النعمة كأولها ان شاء الله تعالى .

وكتب الى الحجاج : الحمد لله الكافي بالاسلام ما وراءه الذي لا تنقطع مواد نعمه حتى تنقطع من خلقه مواد الشكر عليها وإنا كنا وعدونا على حالتين يسرنا منهم أكثر مما يسوءنا ويسوءهم منا أكثر مما يسرهم فلم يزل الله تعالى يزيدها وينقصهم ويمحضنا ويمحقهم حتى بلغ الكتاب أجله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين .

(١) مثل يضرب للرجل يجتهد أن يؤثر في شيء فلا يقدر عليه . (٢) أي

الذي يفر ومعه قراب سيفه إذا فاته السيف أكيس ممن يفيت القراب

أيضاً . (٣) هو المهلب بن أبي صفرة ، وفي الأصول « ابن عبد الملك »

وكتب ابن المعتز: قد علمتني نبوتك سلوتك وأسلمى اليأس منك الى الصبر
 عنك. وقال أعرابي لما عاوية هزرت ذوائب الرحال اليك إذ لم أجد معمولاً إلا
 عليك أمتطى الليل بعد النهار واسم المجاهل بالآثار يقودني نحوك الرجاء وتسوقني
 اليك البلوى والنفس مستبطة والاجتهاد عاذر وإذ بلغتك فقط. فقال معاوية أحطط
 رحلك يا أعرابي. وقال سفيان الثوري رأيت أعرابياً متعلقاً بأستار الكعبة وهو
 يقول يارب عندي لك حقوق فهبها لي وللناس عندي حقوق فتحملها عنى ولي عندهم
 حقوق فقيضها لي وأناضيفك اليوم فاجعل قرأى الجنة. وذكر بعضهم رجلاً
 فقال كان قريب مدى الوثبة لين العطفة يرضيه القليل ولا يسخطه الكثير.

﴿ أمثلة في البلاغة الكتابية ﴾

أولها التمجيد ومن عادة العارفين أن ينتدئوا في الأمور بالحمد لله رب العالمين
 يقدمونه أمام طلابها كما أبدى بالنعمة فيها قبل استيحابها. كتب حمد بن مهران:
 الحمد لله الذي كثرت أياديه عن الاحصاء وجلت نعمه عن الجزاء. وكتب أيضاً:
 الحمد لله ذى البلاء الجميل والعطاء الجزيل الذى جعل للأمر سنى الرتبة وعز الدعوة
 ووصل له حسن الولاية بشكر النعمة وقرن لأوليائه قوة الحجية بفضل الادالة حمداً
 يؤدى الى الحق ويقضيه ويستمد المزيد ويمتريه والى الله أرغب فى زيادة الأمر
 والزيادة به وعلى يديه والأيدي الصائلة على عدوه بمنته ولطفه. فأخذ ابن ذريرد
 قوله (ويستمد المزيد ويمتريه) فقال: تحرس نعم الله عز وجل عندنا بالحمد عليها ويمتري
 المزيد منها بالشكر عليها وترغب الأيادي اليه فى التوفيق لما يئدنى من رضاه
 ويجير من سخطه انه سميع الدعاء لطيف لما يشاء. وكتب الصابى: الحمد لله
 ذى المنن والطول والقوة والحول والغاية والوصول رافع الحق ومعلمه وقامع الباطل
 ومرديه ومعر الدين ومديله ومذل الكفر ومذيله^(١) المنزل رحمته على من جاهد

(١) أذاله: حقره وأهانته.

في طاعته والحل عُقوبَتَه بمن جاهر بمعصيته المتكفل بتأييد حربه حتى يظفر
 ويخذلان حربه حتى يدحر الذي لا يفوته الهارب ولا ينجو منه الموارب ولا يعيبه
 المعضل ولا يعجزه المشكل ولا تهبطه الأشغال ولا تؤوده الانتقال الغنى المتقرر
 اليه القوي المعتمد عليه بالغ أمره بلا مؤازر ومضى حكمه بلا مظاهر ذلكم الله
 ربكم فاعبدوه مخلصين له الدين . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لما هزم الأحزاب
 « الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده » .
 وكتبت : الحمد لله الذي وقر على الأنام المحاسن واكتنفها باليامن وبسط بالخير
 أيديها وأفاض بالاحسان وادبها وعلّمها البر بالأبرار والعطف على الأحرار واختيار
 الخيرة للاختيار فعادت وقد زكت شجرتها وحلت ثمرتها وتذنت أغصانها وتهدأت
 أفنانها ولانت أعطافها وتناهت أطرافها فكأنها هي أيام أبي تمام التي وصفها فقال :
 أيا منّا مصقولةً أطرافها بك واليالي كلها أسحارُ

بما منح من حسن رأيك أطل الله في كنف السلامة بقاءك وحجب غن
 عيون الغير نعماءك وخوّلك من العزّ أوفره ومن الظفر أخضره وأعطاك من النعم
 أصفاها من الشوائب وأبمدها من ملاحظة النوائب ومنحك من الخير برّمته
 كما قاد اليك الفضل بأزمته ولازال بك الزمان جديد الحُلّتين مُطرز الطرتين
 متوجّح المفرق بما أثرك حالي الجيد بمفاخرك ولاسلبك نعمة ألبسك جمالها ولازنع
 عنك حارفةً وفر عليك كمالها :

رأبت جمال الدهر فيك مُجددًا فكن باقياً حتى ترى الدهر فانيا
 وكتب بعضهم : الحمد لله الذي استسلمت نهاية الشكر لدون ما أزم بصنائه .
 وكتبت : الحمد لله على ما تطول به من البرّ وما أوزع ^(١) على ذلك من
 الشكر حمداً يتخطى به إلى غاية رضوانه ويستدعي المزيد من جزيل إحسانه .
 وكتبت : الحمد لله الذي قويض لك السبق إلى البرّ والفوز بالمكرمة البكر

والاستيلاء على قصبات الحمد والشكر .

وكتب آخر : الحمد لله الذي جعل من ألباننا بصائر تقودنا إلى معرفته ومعارف
ترشدنا إلى الاقرار بربوبيته ليخرجنا من الظلمات إلى النور برحمته .

(ومن جيد الأدعية)

ما كتب الصاحب أبو القاسم بن عباد : أسعد الله سيدنا بالفضل الجديد
والنيروز الحميد سعادة مُتصلة المادة حافظةً لجليل العادة مُؤذنة بظاهر العزِّ والبسطة
وتزايد السرور والغبطة مؤمنة من عوادي الأيام وبوادر الزمان وأراه سادتي
الفتيان قد ائقني كلُّ منهم مجده وحكي في طلب المعالي أباه وجده وجعل
سيدنا آخذاً من كل مادعي به ويُدعى به في الأعياد بأجزل الأقسام وأوفر الأعداد .
وكتب الصابي الى أبي القاسم عبدالعزيز بن يوسف : أطال الله بقاء مولاي
الأستاذ وأسعده بنيروزه الوارد عليه وأعاده ألف عام اليه وجعله فيه وفي أيامه كلها
معافى سالمًا فائزًا غانمًا مسرورًا مجبورًا محروسًا موفورًا محتومًا له يبلوغ الآمال
مطروفًا عليه ^(١) عين السكال محظور الافنية عن ^(٢) النوائب محمي الشرائع عن ^(٢)
الشوائب مُبلغًا غاية ماتسمو اليه همته العالية المشتطة وأمانيه المنفسحة المنبسطة
بقدرته . والفصل الأخير من هذا يُشير الى قول ابن المعتز : أصحب الله بقاءك عزاً
يبسط يدك لوليك وعلى عدوك وكلاءة تذب عن ودائع مننه عندك وزاد في
نعمك وان عظمت وبلغك آمالك وان بعت .

وكتب بعضهم عش ماشئت كما شئت ، وهو من قول أبي نواس :
دارت على فتية ذل الزمان لهم فما يُصيدهم إلا بما شاؤا
وكتب بعضهم عش أطول الاعمار مُوقى من سوء الأقدار مرزوقاً نهاية
الآمال مغبوطاً على كل حال . وكتب آخرُ بلغك الله نهاية من العمر لا نهاية
لمستزيد وراها . وقريب منه قول البحترى :

(١) في الأصل (عنه) . (٢) في الأصل (على) .

عمرت أبا السحق ماصح العمر
ولا زال معموراً بأيامك الدهر
وقول الآخر :

فلا زالت الأرض معمورة
بمرك يا خبير عمّارها
ومما يجرى مع ذلك وليس منه قول أبي تمام :

من يسأل الله أن يُبقي سرانكم
فإنما رام أن يستبق الكرام
وقول المتنبي :

أعيدكم من صروف دهركم فإنه
بالكرام منهم
قلت : فلا زالت الأقدار دون محاكم
سواقط والمكروه عنكم^(١) مقصراً

وقال بعضهم : جعلك الله من كل محبوب على شرف ومن كل محذور في كنف .
وكتب آخر : لا زالت الأيام لك مساعدة واليالي على هواك مساعدة تتلقاك
بأوفر الجبور وتطلع عليك بعوائد السرور وتجري مقاديرها لك بالمحبوب وتتقاعس
عنك بالمحذور المرهوب ويحكم لك بالرشد والسعادة ويقضى على أعدائك بالذل
والقاء^(٢) . وكتب ابن المعتز آخرتني العلة عن الوزير أيده الله فحضرت
بالدعاء في كتابي لينوب عني ويعمر ما خلّته العوائق مني أسأل الله أن يجعل هذا
العيد أعظم الأعياد السالفة بركة عليه ودون الأعياد المستقبلية فيما يحب ويجب له
ويتقبل ما تتوسل به إلى مرضاته ويضاعف الإحسان إليه على الإحسان منه ويؤتمعه
بصحبة النعمة ولباس العافية ولا يرهه في مسرة نقيصة ولا يقطع عنه فيها عادة
جميلة . وهذا مأخوذ من قول سعيد بن حميد : تابع الله لك صالح الأيام ومحمود
الأعوام حتى يكون كل يوم منها موفياً على ما قبله مقصراً عما^(٣) بعده .

وكتب ابن المعتز : حفظ الله النعمة عليك وفيك وولى إصلاحك والإصلاح
لك وأجزل من الخير حظك والحظ منك ومن عليك وعلينا بك .

وكتب إلى عليل : مسحك الله بيد العافية ووجه اليك وافداً السلامة وملاك

(١) في النسخ « منكم » . (٢) القاء : الذل ، والعطف تفسيري .

(٣) في الأصل « على ما بعده » .

مأفادك وهنأك ما قسم لك وأمتع بك وليك وألآن لك طاعة عدوك وجمال
الدولة ببقائك وزينها بدوام نعمائك . وكتب الصحاب أبو القسم : والله يديم
لمولانا ولي النعم التمكن والبسطة والعلو والقدرة والعز والنصرة ولا يساب
القلوب ما أودعها من محبة دولته ولا يعدم الصدور ماضئها من خشية صولته ليزداد
أولياؤه بصيرة في مناصحته ويضطر أعداؤه الى استعطافه واستقالته انه قد ير على
ما يشاء واليه أرغب في زيادة مولانا من فضله وصلة المناجح بسعيه وعزمه وتعرفه الميامن
في ارتحالته وحله وتوفيقه لما يحفظ رأى ولي نعمته ويستديم المقسوم له من محمده .
وكتب أبو الحسن بن أبي البغل الى علي بن عيسى : وهنأ الله الوزير
مأناه وجعله أمين أمر من أمور الدين والدنيا بدءاً وفاتحة وأسلمه
مالاً وواقبةً وأطولهُ أمداً ومدةً وأدومه انتظاماً واستقامةً وأوفره كفايةً لله
وجميل ولايته وصادق معونته حظاً وسهمةً ^(١) ويسر لديه العسير وقرب على يده
البعيد والشظير ^(٢) إنه على كل شيء قدير . وقال اعرابي لرجل النعم ثلاث نعمته
في حال كونها ونعمته ترجى مستقبله ونعمته تأتي غير محسبة فأدام الله لك
مأنت فيه وحقق ظنك فيما ترجيه وتفضل عليك بما لم تحسبه .

(المديح)

قد صدرت الكتاب بذكر المديح على مذهب الشعراء وأنا أوردته هنا
صدراً على مذهب الكتاب ليشتمل الكتاب به على الكمال إن شاء الله تعالى :
ذكر رجل لبعض البلغاء فقال : هو أحلى من رخص السعر وأمن السبل
وإدراك الأمانى وبلوغ الآمال . وكتب بعض الكتاب : وجرى لك من ذكر
ما خصك الله به وأفردك بفضيلته من شرف النفس والقدر وعلو المنزلة والذكر
وبعد الهمة ومضاء العزيمة وإكمال الاداة والآلة والتمهد في السياسة والايالة وحياطة

(١) السهمة بالضم : النصيب (٢) الشظير : البعيد والغريب .

الدين والأدب وإيجاب عظيم الحق بضعيف السبب مالا يزال يجزى مثله عند كل ذكر يتجدد لك وحديث يؤثر عنك . وكتبت : من حل محل سيدنا في شرف المنصب وطهارة العنصر وزكاه الأصل ونماء الفرع وسقى الحسب وسرى النسب مع الشيم الطاهرة والمكارم المتظاهرة كثرت الرغبة اليه وخيمت الآمال بين يديه وهو حقيق بتصديقها فيه وتحقيقها^(١) عند مؤمليه لكرمه في نفسه وتميزه من جنسه . وقال بعضهم لرجل : رحم الله أبك فانه كان يقرى العين جمالاً^(٢) والأذن بياناً . ومما يجزى مع ذلك أن بعض الملوك رأى رجلاً قبيح المنظر عيى اللسان فأمر بسقاطه وقال ان روح الحياة وهى الانسانية إذا كان ظاهراً كان جمالاً وإذا كان باطناً كان بياناً فمن خلا من الجمال والبيان فليس بانسان . وكتب الصاحب : وايس بيدع أن يوجد كلامه وتمتدل أقسامه ويتهدب بيانه ويتسم جنانه وقد راض العلوم حتى أعطته زمامها ومارس الآداب حتى ملكته خطامها فان عد الفقه كان البازل الذى ذلل الفحول موصولة وإن ذكر الكلام كان الجبل الذى فرع الأطواذ مطاولة وإن تصرف فى أيام الناس وأخبارهم وغص عن سيرهم وآثارهم حاضر مُحاضرة الافراد وكثير مُكثرة الآحاد وإن جورى فى سوائر الأمثال وفقر الأشعار ترك المجارى لا يدري أى طريق يركب وأى مذهب يذهب وأما الخطابة فهو جذيلها المحكك وعذيقها المرجب وقد سُلمت اليه اختياراً من مواليه واضطراراً من مُعاده .

وقال رجلٌ لخالد القسرى إنك لتبذل ماجلٌ وتجير ماعتل وتكثر ماقل . وكتب ابراهيم بن العباس : وإن أمير المؤمنين لو استغنى بنظر ناظرٍ من ولاته واجتهاد مجتهد من كفاته الذين لهم الأثرة عنده والموضع الأخص عن الاستظهار عليه بنظره وعنايته واهتمامه كنت أولى من خفف بمكانه عن نفسه واقتصر على عنايته وتدبيره دون إرشاده وتسديده فالله يُعزه ويزيد فى تأييده .

(١) فى الاصل (تحقيقاً) . (٢) أى يكرمها بذلك كما يكرم الضيف .

﴿ فأما الذم والتهجين ﴾

فمن بديع الاستعارة فيه قول أعرابي يذم رجلا : يقطع نهاره بألمتي ويتوسد ذراع الهم إذا أمسى . ودخل أعرابي بغداد فقال فاذا ثياب أحرار على أجساد عبيد إقبال حظهم إدار حظ الكرم شجر فروعه عند أصوله شغلهم عن المعروف ورغبتهم في المنكر . وقال بعضهم لرجل استضاف بخيلا : زلت بوادي غير ممتور ورجل غير مسرور فأقم بنديم وارحل بعديم . وقال أعرابي : أولئك قوم سلخت أبقاؤهم بالهجاء ودُبغت حلودهم باللؤم فلبأسهم في الدنيا الملامة وزادهم في الآخرة الندامة . وقال أعرابي لا تُدنس شعرك بعرض فلان فإنه سمينُ المال مهزول المعروف من المرزوقين فجأة قصير عمر الغنى طويل حياة الفقر ، ومن ههنا أخذ أبو نواس قوله :

بما أهجوك لأدرى لسانى فيك لايجرى

إذا فكرت في عرضك أشققتُ على شعري

واستشارت امرأة امرأة في رجل تزوجه فقالت لا تفعل فانه وكلةٌ تكلة يا كل خله . وكلةٌ وتكلة بمعنى واحد وهو الذى يتكل في الأمور على غيره ولا يقوم فيها بنفسه والتاء في تكلة واوكا قيل تُراث وهو من ورث ، والخلل ما يخرج من بين الأسنان عند التخلل وليس في اللؤم شيء من الكلام أبلغ من هذا . وقريب منه قولهم فلان يُشير الكلاب عن مراضها ، يريدون أنه من طمعه وشهره يُشيرها يطلبُ تحيتها شيئاً قد فضل منها ، ومن ذلك قول الشاعر :

أمن بيت الكلاب طلبت عظاماً لقد حدثت نفسك بالمحال

﴿ في الشكر (١) ﴾

وكتب ابن المعتز في الشكر : قد جلت نعمتك عن شكرى فتولى الله مكافأتك

(١) هذا العنوان غير موجود في النسخ .

عن عجزى بعد جهدى بما هو أرفع له وأقدر عليه بمنه ورافته ، وهذا من قول
 طريح بن اسمعيل ◦ فقصرت مغلوباً وإني لشاكر ◦ وكتب آخر : إذا كان
 بجهودي في شكر النعمة واعترافي بحق العارفة يبلغنى أقصى نهاية الشاكرين
 وأبعد غاية المعترفين وكانت زيادة معروفك على قدر شكرى كزيادة قيمتك في
 نفسى فقد أسقط الله تكلف ماجاوز الطاقة عنى . وكتب بعضهم قلبي نجى
 ذكرك ولسانى خادم شكرك . ومما يجرى مع ذلك ما كتب بعضهم : أما بعد فإن
 أنقل الناس حملاً من تحمل آمال المؤمنين وأولاهم بالمكافأة من أخدمك عرصه
 فتذلل لك ونفسه فتواضع دونك وقلبه فكان في رجائك وتأملك ولسانه
 فكان في ذكر محاسنك ونشر مناقبك . وقريب من هذا المعنى قول ابن الرومى :

إنَّ امرأً رفضَ المكاسبِ واعتدى يتعلمُ الآدابَ حتى أحكما
 فكسا وحلى كلَّ أروعِ ماجدٍ من حُرِّ ماحاكِ الضميرِ ونظما
 مُتَشَاغِلاً عما يُمارسُ غيرَه حتى لقد أثرى اللثامُ وأعدما
 ثقةً برعى الأكرمينَ ذمامه لأحقُّ مُلتَمَسٍ بأن لا يُحرَمَا

وكتبتُ : وتأملتُ التوقيعَ في معنى العيشة فتصور لى الغنى بصورته وقابلنى
 بصدق مخيلته وعرفتُ أن الدهر قد غضت جفونه ونامت عيونهُ وتنحّت عن
 ساحتي خطوبهُ وهذه نعمٌ أعيا بذكرها فكيف أطمعُ في إداء شكرها بل عسى
 أن يكون الاعتراف بقصور الشكر عنها شكراً لها ومقابلة بما خلاص إلى منها
 وأنا معترفٌ بذلك اعتراف الروض بحق الانواء وقائل به كما أقول بفضل الوفاء .
 وقال ابن المقفع : الشكرُ نسيمُ النعمة . وقال على بن عبيدة : النعمة كالروضه
 والشكرُ كالزهرة . وكتب ابن المعتز في معنى آخر : سألت عن خبرى وأنا فى
 عافية لا عيب فيها الا فقدك ونعمة لا مزيد فيها الا بك . وكتب أبو العباس بن
 ثوبان : وأنا أسأل الله إذا من بنعمة أن يجعلك المقدم فيها وإذا امتحن بمحنة
 أن يجعلنى وقاءً لك منها . وكتب فى فصلٍ : وإذا ضاق على أن أفعل فليس

يضيق عليك أن تتفضل إذا كان كل واحد منا يجرى إلى غاية في البر والعقوق .
 وكتب أبو علي الضرير : تجاوز بي ذكر فضلك ووصف محاسنك والاختبار
 بما وهب الله للامام والأمة فيك إلى القول بما جئني قبلك ليس لأني جهلتُ
 الحق على لك ولا لأني ادخرتُ الثناء الجميل لغيرك ولكني رأيتني فيما أعطاني
 منه كالخبير عن ضوء النهار الباهر الذي لا يخفى على ناظر وكلمنه على الأمر الواضح
 الذي يستوى فيه العالم والجاهل فانصرفتُ عن الثناء عليك إلى الدعاء لك ووكلت
 الاختبار عنك إلى علم الناس بك .

قد انتهى بنا القول في هذا الباب إلى هنا لعلمنا أنا ان أردنا استيعابه
 لم نقدر عليه لكثرة ونرجو أن يقع الاكتفاء به إن شاء الله تعالى وهو حسبنا
 ونعم الوكيل والحمد لله وحده .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذي دلَّ على قدرته وأبان عن حكمته باختلاف ما خلق من الصور
 وتباين ما أنشأ من الفطر من ملك وإنسان وبهيمة وجان وطائر يمسخ صفحات
 التراب ويأخذ باهاب السحاب وحش ينطوي على أدرجه ويستوى مرة في اعوجاجه
 إلى غير ذلك من خَلْقٍ مُخْتَلِفَةٍ وَأَجْرَامٍ مُتَبَايِنَةٍ حَقِيرٌ هَا جَلِيلٌ وصغيرها كبيرٌ
 وجعل منافعها متاعاً للإنسان الذي كرمه تكريماً وفضله على كثير ممن خلق
 تفضيلاً وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

في صفات الخيل والابل والسير والفلوات

وذكر الوحوش والطيور والحشرات وما يجرى مع ذلك وهو :

﴿ الباب العاشر من كتاب ديوان المعاني وهو ستة فصول ﴾

﴿ الفصل الأول ﴾

في صفات الخيل

قد وصفها الناس في قديم الدهر وحديثه وصفاً كثيراً واتسع فيها قولهم اتساعاً شديداً وأناحيء بالبديع الغريب من ذلك وأضرب عن غيره لكثيرته واستفاضته ولا حاجة بالناس إلى أن نورد عليهم ما عرفوه ووقفوا عليه وتداولوه إلا ما لا بُدَّ من إيراد لفقده شبيهه وعدم نظيره : فمن بديع ما جاء عن القدماء في صفة الفرس قول أبي ذؤاد :

يحمل منه بعضه بعضه فراكب منه ومركوب

وقول الاعرابي :

وأحمر كالديباج أما ساؤه فَرَيَا وأما أرضه فمحول

سأؤه : أطايه ، وأرضه : أسافله ، يعني حوافره .

ومن أجود ما قيل في تأنيف اذن الفرس ما أنشده القتيبي * كأن آذانها أطراف أقلام *
وأحسن ما قيل في اصطفايف الخيل قول الاسعر ^(١) :

يخرجن من خلل القبار عوابساً كأنامل المقرور ألقى فاصطلي ^(٢)

(١) في الأصل « الأشعر » بالمعجمة ، ولعل الصواب بالمهملة .

(٢) فإنه يمد أصابعه الى النار فتسكون جميعاً معاً لاتسبق إحداها الأخرى .

أى كلهن يُبادرُ الغارة فليس يفوت بعضها بعضاً . أخذته على بن جبلة
فقال رحمه الله :

كأنَّ خيلك في أثناء غمرتها إرسال قطر تهايم فوق أرسال
يخرجن من غمرات النقع سامية نشر الأنامل من ذى القرّة الصالى
والاول أجود . ومثل ذلك قول الراجز * مستويات كضلع الجنب *
وفى وصف وقع قوائمها قول مالك بن حريم الهمداني :

وتهدى بي الخيل المغيرة نهدة اذا صبرت صابت قوائمها معا
ومن أحسن الاستعارة قوله :

وان عثرت احدى يديه بشيرة^(١) تجاوب أثناء الثلاث بدعدعا
وكان الاحسن أن لا يصفها بالعثار الا أن قوله * تجاوب أثناء الثلاث بدعدعا *
مستعار حسن يعنى على إساءته في وصفه إياه بالعثار، ودعدع مثل قولهم «لعا» وهو دعاء
للعاثر بالحياة . وأهدى بعضهم شهرياً^(٢) وكتب : بعث بشهري حسن المجموع لين
الموضوع وطىء المرفوع همه أمامه وسوطه لجأه . وقد أحسن ابن المعتز في قوله :

وخيل طواها القود حتى كأنها أنايب سمر من قنا الخط زبل
صبنا عليهم ظالمين سياطنا فطارت بها أيدٍ سراع وأرجل
فذكر أنهم ضربوها من غير أن تمنع شيئاً من مطلوب سيرها فكانوا ظالمين
إياها . وقد أجاد في قوله أيضاً * أضيع شىء سوطه اذ تركبه *
وقالوا أحسن بيت قالته العرب قول جرير :

وطوى الطراد مع القيادة بطونها طى التجار بحضرموت برودا
وقد أحسن الاعرابي القول في سرعة الفرس حيث يقول :

غاية مجد رفعت فمن لها نحن حويناها وكنا أهلها
لو ترسل الريح لجئنا قبلها

(١) الثبرة : السكوم من التراب . (٢) الشهيرة بالكسر : ضرب من البراذين .

وقول الآخر :

جاءَ كمثلِ البرقِ جاشَ ماطرُهُ يسبحُ أولاهُ ويطفو . آخره
فما يَمَسُّ الأرضَ منه حافرُهُ

وهذا غاية في وصف سرعة العدو إلا أن قوله * يسبح أولاه ويطفو آخره *
ردىء لأنه جعله مضطرب المقاديم والمآخير . وقول عبيدة بن الطيب في الثور :
يخفي الترابَ بأظلافٍ ثمانية في أربع مسَّهنٍ الأرضَ تحليلُ
يقول ان مواصلة هذا الثور بين خطواته كمواصلة الخائف يمينه بالتحلة لا تراخي
بينهما ، والتحلة قول ان شاء الله .

ومن عجيب القول في سرعة الفرس قول ابن المعتز :

كأنَّ جنانَ الفلاةِ تضربه كأنَّ ما يهربُ منه يطالبه

وقد أجاد القائل في صفة كلاب * كأنما يرفعن مالا يوضع * ومن عجيب
ما قيل في ادامة الجري قول العرب يُبارى ظله ويُبارى عنانهُ ويُبارى شبابة
الرَّمح . ويستحبُّ في الفرس إشراف مقدمه ومؤخره فمن أجود ما قيل في
ذلك قول علي بن جبلة :

تحسبهُ أقيـدَ في استقبالهِ حتى إذا استدبرتهُ قلتَ أكبُّ

وقد أجاد المتنبي هذا المعنى في قوله :

إن أدبرتْ قلتَ لائليلَ لها أو أقبلتْ قلتَ مالها كفلُ

وقلت : طرُفَ إذا استقبلته قلتَ حبا حتى إذا استدبرتهُ قلتَ كبا

ذو أربع يلتقي الصفا بمثلها وللحصى من خلفها وثب دبا

إذا ترامينَ به في سيرهِ تحسبهُ منها على أنف الصبا

ووصف النبي ﷺ إناث الخيل بأعجب وصف في قوله « ظُهورُها حرزُ

وُبطونها كَنزُ » وقال الأشعرُ الجعفي في معنى قول النبي ﷺ « ظُهورُها حرزُ :

ولقد علمتُ على توقِّي الردي أن الحصون الخليل لامدر القرى

ومن أجد ما وصف به ^١ الحضر الفرس قول الاعرابي في فرسه
 « يحضر ما وجد أرضاً » وقد بالغ امرؤ القيس في قوله :
 على هيكل يعطيك قبل سُؤاله أفانين جري غير كز ولاوان
 قوله « قبل سُؤاله » عجيب الموقع ، وقوله « أفانين جري » أعجب وأبلغ .
 وأجد ما وصف به ظفره عند الطلب قوله :
 وقد أغتدى والطير في وكناتها بمنجرد قيد الاوابد هيكل
 فجعل الاوابد وهي الوحش مقيدة له ينالها كيف يريد .
 وقد أجاد أيضاً وأحسن القول في اليقين بالظفر حيث يقول :
 اذا ما ولدنا قال ولدان أهلنا تعالوا الى أن يأتي الصيد نحطب
 وأحسن عمارة التقسيم في قوله في هذا المعنى :
 وأرى الوحش في يميني اذا ما كان يوماً عنانه في شمالي
 ونقله الشماخ بن ضرار ^٢ إلى وصف رام فأحسن حيث يقول :
 قليل التلاد غير قوس وأسهم كأن الذي يرمى من الوحش نازر
 أي جامد بارد يصيبه كيف يريد . وجعله أبو نواس في نعت كلاب فقال :
 بأكلب تترح في قاداتها تعدد غير الوحش في أقواتها
 وهو من قول أبي النجم * تعد غابات اللوى من مالها * وقوله :
 يردى على حوافر لاتخذله صم الشوى يحملها وتحمله
 حاف وما يحفى وماتنعله نار عجاج مستطيل قسطله
 تنقش منه الخيل ما لا تعزله في جنبه الطائر ديث عجله
 كأن تراب القاع وهو يسحله ضيق شياطين رفته شماله

(١) الحضر بالضم : ارتفاع الفرس في عدوه .

(٢) هو معقل بن ضرار المازني ، من الحضرمين أدرك الجاهلية والاسلام ،

كان سريع الخاطر في الرجز وهو من طبقة لبيد .

أَوْخَلَقُ^{هُ} يَنْشَقُّ عَنْهُ سَمَلَهُ تَرَى الْفَلَاحَ سَاجِياً لَا يَرُكَلَهُ
 يَعْطِيهِ مَا شَاءَ وَلَيْسَ يَسْأَلُهُ فَوَافَقَتِ الْخَيْلَ وَنَحْنُ نَشْكَلُهُ
 وَيَسْتَحِبُّ فِي الْخَيْلِ سَعَةَ الْمَنْخَرِينَ فَمَنْ أَبْلَغَ مَا قِيلَ فِي ذَلِكَ قَوْلَ مُزَاهِمِ بْنِ
 طَفِيلِ الْعُقَيْلِيِّ * مَنْ مَنَخَرَ كَوْجَارَ الثَّعْلَبِ الْخَرْبِ * فَجَعَلَهُ خَرْباً لِيَكُونَ أَوْسَعُ .
 وَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسٍ :

مِلءُ الْحَزَامِينِ وَمِلءُ الْعَيْنِ يَنْفَشُ عِنْدَ الرَّبِّ مَنخَرِينَ
 كَنْفَشِ كَبِيرِينَ بِكَفَى قَيْنِ

وَمَنْ أَبْلَغَ مَا قِيلَ فِي طَوْلِ عُتْقِ الْفَرَسِ قَوْلَ مُزَاهِمِ الْعُقَيْلِيِّ أَيْضاً
 * كَأَنَّ هَادِيَهُ جَذَعٌ عَلَى شَرَفٍ * فَلَمْ يَرْضَ أَنْ جَعَلَهَا جَذَعاً حَتَّى جَعَلَهَا عَلَى شَرَفٍ
 كَصَنِيعِ الْخُنْسَاءِ فِي قَوْلِهَا * كَأَنَّهُ عِلْمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ * وَقَلَّتْ :

بِمَعْقُودِ السَّرَاةِ عَلَى انْدِمَاجِ وَمَزْرُورِ الْقَمِيصِ عَلَى انْشِمَارِ
 يُرِيكَ جَبِينَهُ لِمَعَانَ بَرَقَ وَسَاوَرُ جَسَمِهِ لِمَعَانَ قَارَ
 فَيَشْبَهُ تَحْتَ جُنْحِ اللَّيْلِ لَيْلًا وَيَحْكِي انْخَالَ فِي خَدِّ النَّهَارِ
 وَيَقْبَلُ حِينَ يُقْبَلُ فِي سَمَوِّ وَيُدْبِرُ حِينَ يُدْبِرُ فِي انْحِدَارِ
 وَيُمْسِكُ وَهُوَ كَالغَدَنِ الْمَعْلَى وَيَحْضُرُ وَهُوَ كَالْمَسَدِ الْمَغَارِ
 يَلُوحُ الْبَدْرُ مِنْهُ فِي جَبِينِ وَتَتَضَحُّ الثَّرِيَا فِي عَسَارِ
 وَقَدْ أَبْدَعَ الْقَائِلُ فِي وَصْفِ فَرَسٍ أَبْلَقَ أَغْرَ فَقَالَ :

وَكَأَنَّمَا لَطَمَ الصَّبَاحُ جَبِينَهُ فَاقْتَصَّ مِنْهُ فَنَاحَ فِي أَحْشَاءِهِ

إِلَّا أَنَّهُ أَسَاءَ فِي الْعِبَارَةِ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّطْمَ لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى الْخَدِّ وَضَرْبَ الْجَبِينِ
 لَا يُسَمَّى لَطْمًا وَالْقَصَاصُ يَكُونُ بِمَثَلِ الْفِعْلِ فَالْقَصَاصُ بِاللَّطْمِ لَا الْخَوْضِ
 فِي الْأَحْشَاءِ . وَقَالَ ابْنُ دَرِيدٍ وَأَحْسَنُ فِي وَصْفِ الْغَرَّةِ وَالتَّحْجِيلِ :

كَأَنَّمَا الْجَوْزَاءُ فِي أَرْسَائِهِ وَالنَّجْمُ فِي جَبِينِهِ إِذَا بَدَأَ
 وَنَحْوَهُ قَوْلُ كَشَّاحِمٍ :

قد راحَ تحتَ الصُّبحِ ليلٌ مُظلمٌ لو راحَ في السرجِ المحلى الأدمِ
ضحكُ اللجينِ على سودِ أديمه وكذا الظلامُ تنيرُ فيه الأُنجمُ
فكانهُ بيناتٍ نعشٍ مُلببٌ وكأنما هو بالثريا مُلجمُ
وقلت: عارضتُ فيه النجمَ فوقَ مطهمِ يهوى لطيفه هوى الأعتبِ
ذأوى العسبِ قصيرهُ ضافى السيبِ طويلهُ ضافى الأديمِ محبِ
كالنورِ بينَ العشبِ يمهَرُ حسنهُ بينَ الجيادِ إذا بدا في موكبِ
وتطيرُ أربعهُ بهِ في أبطحِ فكأنه من طولها في مرقبِ
صم الحوافرِ شربِ صم الصفا منها الأهلهُ في الصفا والصلبِ
وكانَ غرتهُ نفضُ وجهه والنقعُ يذهبهُ وإن لم يذهبِ
وكانَ في أكفالهِ وتليلهِ غسقِ النجومِ فتستطيلُ وترتبي
وكانما الارساعُ ماءً لم يسَلِ والجسمُ كأسُ مدامةٍ لم يقطبِ
لم يُطلبِ إلا يفوتُ ويطلبِ إلا يفوزُ فلم يخبِ في مطلبِ
والعاصفاتُ حسيرةٌ والبارقا تأسيرةٌ في شدةِ التلهبِ
وكانما يحوى مدارُ حزامهِ احناءً بيتَ بالعرأِ مطنبِ

وأول من شبه الحافر بالحجارة الأفوه في قوله * يرمى الجلاميد بأمثالها *
ثم قال رؤبة * يرمى الجلاميد بجملود مدق * وأبلغ ما وصف به شدة
قوائم الفرس ما أنشدناه أبو أحمد عن ابن دريد عن الأشنادانى عن الجرهمي :

سيانَ تحت طموه وطموره أم الفلا ومقابل الولدانِ
يطأ الخبار فلا يطيرُ غباره ويرضُ حافره حصى الحزانِ

يقول سواء عنده إذا طها في سيره أى ارتفع وإذا طهر أى وثب ، الأكم
وهى المرتفعات من الأرض فيها حجارة وطين والمقابل وهى ملاعب الصبيان
إذا لعبوا بالتراب فمدوا منه طريقين بينهما كالجدول ثم خبوا خبيثاً فن أخرجه
فقد غلب ، والخبار الأرض السهلة ، إذا مشى فيه خفف وطأه فلم يثر غباراً وإذا

جری فی الحزان وهی الغلیظ من الارض مکن جافه فرض الحصى . ونحوه قول
 جریر * ضرم الرقاق مناقل الأجرال * يقول إذا صار فی مارقاق من
 الأرض اضطرم من جریه وإذا صار فی الأجرال وهی مواضع الحجارة ناقل فیها
 لتطمئن مواقع حوافره . وقول الآخر * شادخة تشدخ من أدلاها *
 يقول تبعد عن الطریق ولا تبالی سهلاً أخذت أم حزناً .

ومن الفرد الذی لاشبیهه قول ابن المعتز :

ولقد غدوتُ على طمرٍ قادحٍ رفعت قوائمه غمامة قسطل
 ومُحجَّل غر الیمین كأنه مُتبخترٌ یمشی بکم مُسبَل

وقد أحسن القائل فی قوله :

مدى خطوه أقصى مواقع طرفه وأولُه فی منعه الخطو آخره
 وقد قطعت من لونها الشمسُ غرةً له وحجولاً ثم كالظل سائرُه

وقال ابن المعتز :

تمت له غرة كالشمس مشرقةً يكاد سائلها عن وجهه يكف
 إذا تقرَّط يوماً بالعذارِ غدا كأنه عادةً فی أذنها شنف
 وقلت : إذا تحلى بالعذارِ ومشى قلت فتاة تصدَّى لفتى
 كأنه تحت الحلى روضةً درَّ عليها الزهر أخلاف الحيا

وأبلغ ما قيل فی طول الفرس فی الهواء قول أبى دؤاد :

إذا ماجرى شأوبينِ وابتلَّ عطفه أناخ بهاد مثل جذع سحوق
 كأي إذا عاليت حوزةً منته تعلق برى عند بيض أنوق

وبيض الأنوق فی أعلى موضع من الجبل ؛ فلا ترى أشد مبالغة من هذا البيت .

وقلت : مضطرم الغدو والرواح نخاله یمشى على أرماع

وأخبرنا أبو القسم عن العسدي عن أبى جعفر عن المدائني قال أهدى رجل

من الدهاقين إلى خالد بن عبد الله القسري برذوناً وقد بين يديه فقال ما هذا ؟

فقال أصلحك الله ان تركته نعس وان حررته طار . فقال صفته خير منه .
وقال ابق المعتز :

أسرع من لحظته إذا عدا أطوع من عنانه إذا جذب
ويشبه الفرس في عدوه بالنار فأجمع ماجاء فيه قول ابن المعتز :

ربما أغدو وتحتي طرف^ه لاحق^ه بالمهاديات^(١) طمر

طوى الشحم على متنتيه مثل ما يطوى القباطى تجر

فهو نار^ه والتراب^ه دخان^ه مستطير^ه وحصى الأرض جمر^ه

وقال : وكم غدوت بفتيان^ه تسيل بهم سوابق^ه أحكمت^ه المضامير

مكنفات^ه بأذان^ه نواصيها كما يشق^ه عن الطلع الكوافير

تنزو كراتهم^ه فى كل^ه معترك^ه كما يطير^ه من الذعر^ه العصافير

قوله « تسيل بهم سوابق » من أجود ما وصف به الجرى السهل . ويستحب

فى الفرس الشدق وهو سعة الشدقين فمن المذكور فى ذلك قول بعض العرب

* وان يلق^ه كلب^ه بين^ه لحييه^ه يذهب * ومن مליح ما قيل فيه قول ابن المعتز :

ناظر فى غرة^ه شمها واسترطا

وإذا سار رمى^ه يده والتقطا

وكأن ملجمه^ه يفتحان سفظا

وقال : وغدوننا بأعنة^ه خيل^ه تأخذ^ه الأرض بأيدى^ه عجال^ه

زينتها غر^ه ضاحكات^ه كبذور^ه فى وجوه^ه الليالى

ومن غريب التشبيه تشبيههم قوائم^ه الفرس المحجلة عند السير بجراء^ه كلاب

بيض ، قال الراجز :

كان اجراء^ه كلاب^ه بيض^ه دون صافيه الى التعريض

وقال العماني الراجز :

(١) فى نسخة (بالعاديات) .

كأن تحت البطن منه أكلبا
وتبعه الحماني فقال :

وليس مثل خافية الغراب
دلفت له بأسود مستمر
عبي مذاهب وخصي باب
أجش كأنما قابلت منه
كما نظر الغضاب إلى الغضاب
تبعق جبة وحريق غاب
إذا وصل الوتاب إلى الوتاب
كأن لدي مغابنه التماسا
مهادس عنده بقع السكلاب

وليس نظم هذا البيت بمختار ، وذ كر قوائمه ثم قال :

يخالس بينها رفعا ووضعاً
كما خفقت بنائك بالحساب

ومن أحسن ما قيل في الحصى الذى يتراعى بسنبك الفرس إذا جرى قول امرى القيس :

كأن الحصى من خلفها وأمامها
و جعله أعسر لذهابها على غير استواء ، أخذها ابن المعتز فقال وغير لفظه وآتى بمعناه :

يقذف بالرجل حصى الطريق
وقال : ينفى خفاف الحصى والنقع منتشر
كأنه رام بلا تحقيق
كأنها خلف رجليه الزناير
وقد أجاد الكميت فى قوله :

كأن حصى المعزاء بين فروجها
فجعلها لكثرتها تتلاقى فى الهواء وزاد فى ذلك على الممزق ومنه أخذه وهو قوله :

كأن حصى المعزاء بين فروجها
وقد أجاد الراجز فى قوله * يرضخ ما يرضخ مالا يرضخ^(٢) * يقول إذا
وطأ الحصى نبت من تحت سنبكه فأصاب مالم يطأه فدفعه من موضعه وكان رضخه
أى رمحه والرضخ الرمح . ويشبهه الحافر بالقعب فمن قديم الشعر فى ذلك قول امرى
القيس * لها حافر مثل قعب الوليد * أخذها ابن المعتز فقال :

(١) النجل : الرمي كما هو ظاهر . (٢) فى الاصل (يرضخ) فى مواضع .

قد اغتدى بقادحٍ مُسومٍ يعبوب
 ينفي الحصى بحافرٍ كالقصدح المكبوب
 قد ضحكت غرته عن موضع التقطيب

وقد أحسن أبو تمام في قوله :

بحوافٍ حفرٍ وصلب صلب وأشاعرٍ شعرٍ وحلقٍ أحلقٍ
 فجعل البيت كله تجنيساً ولعله ماسبق إلى ذلك . وقد طاب الأمدى قوله « وصلب
 صلب » وقوله « وحوافٍ حفرٍ » وقال إن الحوافر لا تحفر الأرض وأكثر
 ما ذكر في ذلك أنها تثير الغبار قال وهو استقصاء المعنى ، قلنا وبعضهم يستحسن
 ذلك وبعضهم يكرهه . ومن المذكور في صفة الفرس قول البحترى وهو أوصف
 المحدثين للخيل وأكثرهم إجادة في نعمتها :

أما الجوادُ فقد بلونا يومهُ وكفى بيوم مخبراً عن عامه
 جارى الجيادَ فطارَ عن أوهامها سبقاً وكاد يطيرُ عن أوهامه
 جذلان تلمطه جوانب غرة جاءت محيىء البدر حين تمامه
 واسودَّ ثم صفت^(١) لعيني ناظر جنباته^(٢) فأضاء في إظلامه
 مالت نواحي عُرْفه فكانها عذباتُ أثلٍ مال تحت حمامه
 ومقدم الأذنين تحسب أنه بهما يرى الشخص الذى لأمامه
 وكان فارسه وراء قذاله ردفٌ فُلستَ تراه من قدمه
 لانت معاطفه فخيل أنه لالخيزرانٍ مناسبٌ بعظامه
 وكان سهلته إذا استعلى بها رعدٌ يقع في ازدحام غمامه
 مثل الغراب بدا يبارى صحبه بسواد صبغته وحسن قواه
 والطرفُ أجلبُ زائرٍ لمؤونة مالم يزره بسرجه ولجامه
 وقوله أيضاً : وأغرَّ في الزمن البهيم محجبلٍ قدرُحتُ منه على أغرِّ محجبلٍ

(١) في الأصل (صفا) . (٢) كذافي الدبوان ، وفي الأصل (جلبابه) .

كالهيكل المبني إلا أنه
ذنب كاسحب الرداء يدب عن
جدلان ينفض عنزة في غرة
تسوم الجوزاء في أرساغه
وتراه يسطع في الغبار لهيبه
هزج الصهيل كأن في نغماته
ملك العيون فان بدا أعطينه
وقد أحسن ابن طباطبا في قوله :

عجباً لشمس أشرقت في وجهه
وإذا تمطر في الرهان رأيتُهُ
وقال ابن المعتز :

تحملى طرفة صادرة وارده
ترضيك في يومها وهي غداً زائده
ورجلها تقتضى ويدها جاحده

وباسناد لنا أن رجلاً أنشد أبا البيداء قول أبي نخيلة :

لما رأيت الدين ديناً يؤفك وأمت القبة لا تستمسك
تفتق من أعراضها وتهتك سرت من الباب فسارت دكرك
منها الدجوجى ومنها الارمك كالليل إلا انها تحرك

فقال لعنك الله ان كنت أنشدتها وأنت على غير وضوء ، قوله

كالليل ألا إنها تحرك * استثناء عجيب . وقال ابن المعتز :

إذا ما بدا أبصرت غرة وجهه كهنقود كرم بين غصنين نوراً
وردفاً كظهر الترس أسبل خلفه عسيباً كعص الطود لما تحدرأ
ومما يجرى مع ذلك قول بعضهم :

قد أشهدُ الليل^(١) بفتيانِ غررٍ على جِياذٍ كَتَائِيسٍ الصَّوَرِ
 كَانَهَا خِيَطُوا عَلَيْهَا بِاللَّابِرِ أَوْ سَمَّرَ الْفَارِسُ فِيهَا فَانَسَمَرَ
 وَبِاسْنَادٍ لَنَا أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرِ أَرْقَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَقَالَ لِكَاتِبِهِ أَنَا نَمُّ
 أَنْتَ ؟ قَالَ لَا وَأَيَّدَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، قَالَ مَا أَطِيبَ الطَّعَامُ ؟ قَالَ طَعَامُ شَهْوَةٍ فِي
 أَبَانِ جُوعَةٍ ، قَالَ فَمَا أَلَذُّ الشَّرَابِ ؟ قَالَ شَرْبَةُ مَاءٍ بَارِدٍ تَطْفِئُ بِهَا غَلِيكَ
 أَوْ كَأْسٌ تَعَاطَى بِهَا نَدِيمُكَ ، قَالَ فَمَا أَشْهَى النِّسَاءَ ؟ قَالَ الَّتِي تَدْخُلُ إِلَيْهَا
 وَالْهَاءُ وَتَخْرُجُ عَنْهَا هَارِبًا ، قَالَ فَمَا أَجُودُ الْخَلِيلِ ؟ قَالَ الْأَسُوقُ الْأَعْنَقُ الَّذِي إِذَا
 طَلَبَ لِحَقٍ وَإِذَا طَلَبَ سَبَقٍ وَإِذَا صَهَلَ أَطْرَبَكَ وَإِذَا بَدَأَ أَعْجَبَكَ . قَالَ صَدَقْتَ
 اللَّهُ دَرَكٌ ، أَعْطَاهُ يَأْغْلَامُ أَلْفَ دِينَارٍ ، قَالَ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ وَأَيَّنَ تَعَمُّنِي أَلْفَا
 دِينَارٍ ؟ قَالَ أَوْزَدْتَ نَفْسَكَ أَلْفًا قَالَ أَوْلَيْسَ كَذَا ؟ قَالَ لَا وَلَكِنْ حَقَّقْتُ ظَنَّهُ
 يَأْغْلَامُ . فَأَعْطَاهُ أَلْفِي دِينَارٍ .

وقيل لاعرابي أتعرف الجواد المبرز من البطيء المقرف قال نعم أما الجواد
 المبرز فهو الذي لهز لهز العير وأنف تأنيف السير إذا عدا اسلهب وإذا اتضب
 اتلأب ، والبطيء المقرف هو المدلوك الحجة القحم الارنية الغليظ الرقبة
 الكثير الجلبة الذي إذا قلت أمسكه قال أرساني وإذا قلت أرسله قال أمسكني .
 وقال المهدي لمطر بن درّاج : أي الخيل أفضل ؟ قال الذي إذا استقبلته
 قلت نافر وإذا استدبرته قلت زاخر وإذا استعرضته قلت زافر ، قال فأى
 البراذين خير ؟ قال ما طرفه أمامه وسوطه عنانه ، قال فأى البراذين شر ؟
 قال الغليظ الرقبة الكثير الجلبة إذا أرسلته قال أمسكني وإذا أمسكته قال أرسني .
 ووصف رجل من العرب خيلاً فقال : إنها خلقية للجودة وآية ذلك أنها سامية
 العيون لاحقة البطون مصغية الآذان افتاء الاسنان ضخام الركبات مشرفات
 الحجبات رحاب المناخر صلاب الحوافر وقعها تحليل ورفعها تعليل ان طلبت فأت

وإن طلبت نالت . واستوصف الحجاج ابن القرية فرساً فقال طويل الثلاث قصير
الثلاث حديد الثلاث رحيب الثلاث صليب الثلاث عريض الثلاث منيف الثلاث
أسود الثلاث . فاستفسره فقال طويل العنق والسبيب والساق ، قصير الظهر والعسيب
والشعر ، حديد القلب والسمع والمنكب ، رحيب المنخرين والشدقين والجوف ،
صليب الدخيس والسكاهل والعجب ، عريض اللباب والحجبة والخذ ، منيف الجوانح
والقذال والقوائم ، أسود الذكر والخافر والعين . وقال محمد بن مُنادر في وصف فرس :

وإذا أعرَضَ قطريه لنا وفيا واستوفيا قَدَّأَ بَقْدَ
فهو كالقدح أقامت دراهُ كَفُّ باريه فما فيه أوَدَّ

ووصف النظام فرساً فقال : هو صافى التميمص جيد الفصوص وثيق القصب
نقى العصب يبوع يديه ويندس برجليه ويشير بأذنيه ويبعد مدى بصر عينيه
يلحق الأرانب في الصعداء ويجاوز الضباء في الاستواء ان حر كته طار وإن
زجرته حار وإن طرحت عِنَانَهُ سار كموج في لجة أو سيل في فجوة ان وجد علفاً
أمعن وإن فقدته ضمن . وأنفذ جعفر بن يحيى إلى أبيه برذوناً وكتب إليه :

قد بعثت اليك برذون لين المرفوع وطىء الموضوع حسن المجموع طويل العذار
أمين العثار . ومما يجرى مع ذلك ما أخبرني به أبو أحمد عن أبيه قال حدثني أحمد

ابن طاهر انه كتب إلى الحسن بن علي بن يحيى يستهديه جلاماً حماره :

جُعِلَتْ فِدَاكَ قَدِ أَمْسَى حَمَارِي لَهُ سَرَجٌ وَلَيْسَ لَهُ جِلَامٌ
مِثْلَ الْعَاطِلِ الْحَسَنَاءِ أَمْسَتْ لَهَا حَكْلِيٌّ وَلَيْسَ لَهَا نِظَامٌ
ثم قال * وأنت لكل ناقصة تمام *

﴿ الفصل الثاني من الباب العاشر ﴾

في ذكر الابل وسيرها وما يجرى مع ذلك من وصف أحوالها
أطرف ما قيل في صفة الابل قول القطامي :

يَمشِينُ زهواً فلا الاعجازُ خاذلةٌ ولا الصدورُ على الاعجازِ تتكلُّ
 فهنَّ مُعترضاتٌ والحصى رَمَضٌ والريحُ ساكنةٌ والظلُّ معتدلٌ
 قالت العلماء لو كان البيت الأول في صفة النساء لكان أحسن وذلك لما رأوا
 من تمام حسنه وظريف لفظه . والبيت الآخر هو من أبلغ ما قيل في صفة هاجرة .

ومن ملبح ما قيل في ضمير الناقاة قول ابن الخطيم :
 وقد ضمرت حتى كأنَّ وضيئها^(١) وشاحُ عروس جالٍ منها على خصرِ
 ويُشبهُ الزمام بالحية فمن أول ما قيل في ذلك قول الشاعر :
 يعالجُ مثنى حضرمي كأنَّه حباب نفا يتلوه مرَّجَلٌ يرمى
 وقال ذو الرمة :

رجيعةٌ^(٢) أسفار كأنَّ زمامها شجاع^(٣) على يسرى الذراعين مطرق
 وأخذهُ المتنبي فقال « كأنَّ على الاعناق منها الافاعي »
 من أجود ما قيل في ضمير الابل قول الفرزدق :

إذا ما نِيختُ قابلتُ عن ظهورها حراجيج أمثالِ الالهة شسَّف
 شبهها بالالهة لضمورها واحد يداها . ويُشَبَّهُ بالقسيِّ فمن أجود ما قيل في
 ذلك وأجمعه قول أبي عبادَةَ البحترى :

وخذان القلاص^(٤) حولاً إذاقا بِلنَّ حولاً من أنجم الاسحار
 يترقرقن كالسراب^(٥) وقد خضن غاراً من السرابِ الجارى
 كالقسيِّ المُعطفاتِ بل الأسمهم مبريةً بل الاوتاد
 وقال ابن دُرَيْد :

أليَّةٌ باليعمَلاتِ يرمى بها النجاءُ بينَ أجوازِ الفلا

(١) الوضين كالحزام . (٢) أى معاودة . (٣) الشجاع هنا : الحية .

(٤) كذا في ديوان البحترى ، والذي في الأصل « وحذاق القلاص » .

(٥) كذا في ديوان البحترى ، والذي في الأصل « بالسراب » .

خوص كأشباح الحنايا ضمير ير عفن بالمشاج من جذب البري
يرسبن في بحر الدجى وفي الضحى يطفون في الآل^(١) اذا لا لو طفا
ومن غريب ما قيل في عين الناقة قول ذى الرمة :

كأنما عينها منها وقد ضمرت وضمها السير في بعض الاضى ميم
فشبهها بالميم لاستدارتها وغورها ، والاضى الواحدة اضة وهي الغدير ، وقد
قصر بنى الرمة علمه بالكتابة . أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن العلاء بن
عبد الله بن الضحاك عن الهيثم بن عدى قال قرأ حماد الراوية على ذى الرمة شعره
فراه ترك في الخط لأمأ فقال له ذو الرمة أ كتب لأمأ فقال حماد وانك لتكتب قال
لا أ كتم عليك فانه كان يأتى باديتنا خطا ففعلنا الحروف تخطيطاً في الرمل في
اليسالى المقمرة فاستحسنتها فثبتت في قلبي ولم تخطها يدي .

ودخل أبو تمام على المأمون في زى اعرابي فأنشده :

دمن ألم بها فقال سلام كم حل عقدة صبره الامام
فجعل المأمون يتعجب من غريب ما يأتى به من المعانى ويقول ليس هذا
من معانى الاعراب فلما انتهى الى قوله :

هن الحمام فان كسرت عيافة من حائهن فانهن حمام
فقال المأمون الله أكبر كنت يا هذا قد خلطت على الامر منذ اليوم
و كنت حسبتك بدوياء ثم تأملت معانى شعرك فاذا هي معانى الحضريين واذا أنت
منهم فقصر به ذلك عنده . وقال أبو نواس في في وصف الناقة :

ولقد تجوب بي الغلاة اذا صام النهار وقالت العفر^(٢)
شدانية^(٣) رعت الحمي فأتت ملء^(٤) الجبال كأنها قصر

(١) في الأصل « والضحى ، بالآل » . (٢) العفر : الضباء التى يعلو

بياضها حمرة (٣) شدان : موضع باليمن تنسب اليه الابل ، وقيل هو اسم فحل .

(٤) في نهاية الأرب « مثل الجبال » ولعله تصحيف .

أخذه من قول عنثرة :

فوقفتُ فيها ناقتي وكانها فدنَّ لأقضى حاجةَ المستلوم
إلا أن بيت أبي نواس أحسن رصفاً . وذكر ذنب الناقة فقال :

أما إذا رفعته شامذةً ^(١) فتقول رنق فوقها نسراً
أما إذا وضعته عارضةً فتقول أسبل خلفها ^(٢) ستر

أخذه من قول أبي دواد * قوادم من نسور مضرجات * وليس بيت أبي
دواد شيئاً مع بيت أبي نواس ، ثم قال :

وتسفُّ أحياناً فتحسبها مسترسماً يفتاده أثر
فاذا قصرت لها الزمام سما فوق المقادِم ملطم حر
وكانها مُصغ لتُسمعه بعض الحديث بأذنه وقر

ومن أجود ما قيل في تقدم الناقة في السير قول العظامي :

ألعن يقصرن من نجب مَحَلَّسة ومن عرابِ بعيديات من الحادي
أى يسبقن الحادي فيبعدن عنه ، ثم قال أبو نواس وأحسن :

تَذرُ المطى وراءها فكانها صَفَّ تقدمهن وهى امام
وأحسن ابن المعتز في قوله :

وناقة في مهمه رمى بها هم إذا نام الورى سرى بها
فهى أمام الركب في ذهابها كسطر بسم الله في كتابها
ومن مُصيب التشبيه في موطىء الناقة قوله أيضاً :

تلقى الغلاة بخف لا يقرُّ لها كأن مسقطه في تربها طبق
وقوله في ارتفاع الناقة في الهواء وعظمتها :

كأنا عند نهضته رفعتنا خباءً فوق أطرافِ الرماح

(١) في الأصل غير منقوطة ، وفي ديوان أبي نواس «شامذة» وهى الناقة

التي تشيل ذنبها نشاطاً . (٢) في ديوان أبي نواس « أرخي فوقها ستر » .

ومثله قوله أيضاً :

ترنو بناظرة كأن حجاجها وقب أناف بشاهق لم محال
وكان مسقطها إذا ما عرست آثار مسقط ساجد مبتل
وكان آثار النسوع بدفها مسرى الأسود في دهاس أهيل
ويشد حاديا بجبل كامل كسب نخل خوصه لم ينجل

وقال أيضاً :

كان المطايا إذ عدون بسحره تركن أفاحيص القطا في المبارك

ثم قال وهو من أجود ما قيل في سمن الابل :

لنا إبل ملء الفضاء كأنما حملن التلاع الجو فوق الحوارك
وقد أحسن القائل في وصف سرعتهن حيث يقول :

مُخوص نواج إذا حث الحداة بها حسبت أرجلها قد أم أيديها

وذكر دعبل بن علي الخزاعي أن قائل هذا البيت القصافي لم يقل بيتاً جيداً

سواه وكان يقول الشعر ستين سنة ، وأخذه ابن المعتز فقال :

تخال آخره في الشد أو له وفيه عدو وراء السبق مذخور
وقد أحسن مسلم في قوله :

إلى الامام تهادانا بأرحلنا خلق من الريح في أشباح ظلمان
كان أفلاتها والفجر يأخذها أفلات صادرة عن قوس حسان

وقال آخر :

كان يد بها حين يجرى صفورها طربدان والرجلان طالبتا وتر

ومن بليغ ما جاء في ذلك قول ابن المعتز :

زجرت بها سباح قفر كأنه يخاف لحاقاً أو يبادر أولاً
توارثه الأيجاف حتى كأنه ليس ضنى أعيا الطيب المعدلاً

ومن بديع ماجاء في ذلك قول رؤبة بن العجاج^(١)
 كأنه أيديهن بالقعاق القرق أبدى العذارى يتعاطين الورق
 وقد أحسن أبو الشيص^(٢) في قوله :

وايل ير كب الركب ن في أمواجه الخضر
 توكلت على أهوا لها بالله والصبر
 وأعمال بنات الريح في المهمة القفر
 شمائل يصاغن متون الصخر بالصخر
 بإجاف يقد الليل عن ناصية الفجر
 وقلت : لنا هجات تنثى سرواتها بأسنة مثل الاكام سوامق
 خبطن الربيع وانتسفن نباته كأمرت الاجلام فوق المفارق
 بناها بناء البيت حون رواعده تجيء على آثار جون بوارق
 تدور بأحقبها البروق وتنثى كأن عليها مذهبات مناطق
 وقال ابن المعتز :

وليل ككحل العين خضت ظلامه بأزرق لماع وأخضر صارم
 وطيارة بالرحل صرف كأنما تصافح رضراض الحصى بجماجم
 وقلت : وليلة خبطت من ظلماتها بنازح الخطو إذا الخطو دنا
 قد انبرى يعترف السير بنا في طرق يخبط فيهن الهدى
 ينهى الوجى^(٣) أمثاله عن السرى وساعده مبعه تنهى الوجى
 ومن مصيب التشبيه قول الراعي :

في مهمه قلقت بها هاماتها قلقت الفؤوس إذا أردن نصولا

(١) كان عارفاً باللغة وحشيها وغريبها ، ولما مات قال الخليل : دفنا الشعر
 واللغة والفضاحة . (٢) هو محمد بن رزين الخزاعي ، كان معاصراً لأبي نواس
 ومسلم بن الوليد ، في شعره رقة . (٣) الوجى : الحفا .

وقول الآخر: حرام من نسل المهارى نسلها
حسبتها غيرى استفز عقلها
إذا ترامت يدها ورجلها
أتى التى كانت تخاف • بعلمها
أى كأنها من عملها بيديها ورجليها وسرعة تحريكها إياها غيرى تخاصم وتشير
بيديها لا تفتقر . وقلت :

ومهمه ^(١) قلقت فيهار كأبنا
والليل في قلق تسرى ركائبه
ركبته فكان الصبح راكبه
وجيته فكان النجم جائيه
بكل ذى ميعه جدّ الوجيف ^(٢) به
فانهد غاربه وانضم حالبه
وبات ينهب جنح الليل في عجل
كأنه لاعب طابت ملاعبه
حتى بدا الصبح مبيضاً ترائبه
وأدبر الليل مخضراً شواربه
وإنما النجح في ليل ترادفه
إذا تأوب أوصبح يوا كبه
وساهر الليل في الحاجات نائمه
وذاهب المال عند المجد كاسبه

وقال أبو تمام :

على كل رواد ^(٣) الملاط تهدمت
عريكته العلياء وانضم حالبه
رعته الفياق بعد ما كان حقبه
رهاها وماء الروض ينهل ساكبه
وقلت : واستنهمضتك الى المآثر والاعلا
همم تخال زهاؤهن جبالا
أردفت مرهفة النصال نصالا
أردفتهن عزائماً فكأتما
حملتها قلص الركاب كأنها
مهرية الرى السقاد بنحضاها

وقال مسلم :

اليك أمسين الله رامت بنا السرى
بنات الفياق كل مرت وفد ^(٤)
أخذن السرى أخذ العنيف وأسرعت
خطاها بها والنجم حيران مهتدى

(١) المهمه : المغازة . (٢) . الوجيف : ضرب من سير الخيل والابل .

(٣) في ديوان أبي تمام (موار) أى مضطرب . (٤) أى المغازة .

لبسن الدجى حتى نضت وتصوبت هوادى نجوم الليل كالدهو باليد
وهفه استعارة بديعة حسنة عجيبة الموقع جداً . وقال أبو نواس :
يكتسى عُثنونُهُ زبدًا فنصيلاهُ الى نجره (١)
ثم يعمُّ الحجاج (٢) به كاعتمام النوفِ في عشره
ثم تذرره الرياحُ كما طارَ قطن الندفِ عن وتره
ومن فصيح الكلام قوله في هذا المعنى :

نفحن اللغام الجعد ثم ضربنه على كلَّ خيشومٍ كريمٍ المحطَّم (٣)

وقال الشماخ بن ضرار :

كأن ذراعيها ذراعا مُدَّة بُعيد الشباب حاوأت ان تعذرا
من البيض أعطافاً إذا اتصلت دعت فراس بن غنم أولقيط بن يعمر
بها شرف من زعفران وعندير أطارت من الحسن الرداء المحبرا
تقول وقد بلَّ الدموع خمارها أبت عفتي أو منصبي أن أعيرا
كان بذفراها مناديل قارقت أ كف رجال يعصرون الصنوبرا
وقال الراجز : كأنها نائمة تُرجعُ تبكي بشجوٍ وسواها الموجهُ
وهو نحو قول الراجز : حسبتها غيري استفزَّ عقلها * ومثله قول الآخر :

كأن ذراعيها ذراعا بذية مفجعة لاقَت حلائل من عُفر
سمعن لها واستفرغت من حديثها فلا شيء يفري باليد بن كما تفرى
فوصفها بأنها بذية وقد أوجعت ونيل منها ولقيت حلائلها عن عُفر أي بعد
زمان وتلك الشكوى في نفسها فجعلت تحدث وتحرك يديها في حديثها فلا تسكاد
تسكنهما . وقال أبو تمام :

(١) العثنون : اللحية ، ولعله يريد أن زبده صعد بعثنونه . (٢) الحجاج :

العظم المحيط بالعين . (٣) في ديوان أبي نواس (نبيل المحطَّم) ونفحن :

حركن ، واللغام : الزبد ، والمحطَّم : أنف البعير يوضع فيه الخطام .

فما صلاتي إذا كان الصلاء بها جمر الغضا الجزل إلا السير والابل
المرضياتك ما أرغمت آنفها والهادياتك وهي الشرذة الضلل
وقال البحتري :

والعيس تنصل من دجاء كما انجلى صبغ الشباب على القذال الاشب
وقال ابن المعتز :

ولم نزل نخبط الغلاة بأخفاف المطايا والظلم معتدل
كأنها طار تحتنا قرع على أكف الرياح ينتقل
يفرى بطون النقا النقى كما يطعن بيض الجوانح الاسل

وقال في الناقة :

تُصنفي الى أمر الزمام كما عطفت يد الجاني ذرى الغصن
وقال في لقاح :

حوامل شحم جامد فوق أظهر وان تستغث ضراتهن به ذابا
اذا مامكاء الدرجات بمشعب كما سئل خيط من سدى الثوب فانسابا
وهذا في دقة الشخب^(١) حسن جداً :

رأيت انهمار الدر فوق فروجها كما عصرت أیدی الغواسل اثوابا
خوازن نحض في الجلود كأنها تحمل كثناناً من الرمل أصلابا
وقد أحسن في الناقة والزمام :

وسل البيداء عن روجل يخطم الرياح بشعبان
وقال : وقت بها عيسى تطير بزجرها ويأمرها وحى الزمام قترقل
طلوباً برجلها يديها كما اقتضت يد الخصى حقاً عند آخر يمطل
وقال بعض العرب :

تطير مناسمها بالخصى كما تقد الدرهم الصيرف

(١) الشخب و يضم : ما خرج من الضرع من اللبن ، وفي الاصل بالسين المهملة .

ومن غريب ما قيل في تقدم الناقة صواحبها^(١) في السير قول بعض العرب :
 جله وقد ملّ ثوَاءَ البحرين يَنْسَلُ مِنْهُنَّ إِذَا تَدَانِينَ
 مِثْلَ انْسِلَالِ الْمَاءِ مِنْ جَفْنِ الْعَيْنِ

وأبلغ ما قيل في غزر الناقة قول أبي حية :

تَدْرُ لِلْعَصْفُورِ لَوْ مَرَاهَا يَمَلُّ مَسْكَ الْفَيْلِ لَوْ أَنَاهَا

ومن جيد ما وصف به سعة الاخلاف قول ابن جلا :

كَأَنَّهَا نَصَّتْ إِلَى ضُرَّاتِهَا مِنْ نَخْرِ الطَّلْحِ مُجَوِّفَاتِهَا

وقال مسلم بن الوليد في غير هذا المعنى :

أَتَتِكَ الْمَطَايَا تَهْتَدِي بِمِطْيَةِ عَلَيْهَا فَتِي كَالنَّصْلِ يُؤْنَسُهُ النَّصْلُ

وقال أبو نواس :

أَيَا حَبِذَا عَيْشُ الْوَجَادِ وَضَجْعَةٌ إِلَى دَفِّ مَقْلَاقِ الْوَضِينِ سَعُومٍ

ترامى بها الايجاف^(٢) حتى كأنها تحيِّفُ من أقطارها بقدم

وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر عن أبي حاتم عن الأصمعي عن أبي عمرو قال

سمعت جندل بن الراعي ينشد بلال بن أبي بردة :

نَعُوسٌ إِذَا دَرَّتْ جُرُورٌ إِذَا غَدَّتْ بُوَيْزِلٌ عَامٌ أَوْ سَدِيسٌ كَبَازِلٌ

قال فكاد صدرى ينفرج من جودتها حتى كتبتها . ودرة الأبل مع النعاس

والغنم تدر مع الاحتراس فن أجود ما قيل في ذلك قول جيبها الأشجعي :

رَقُودٌ لَوْ أَنَّ الدَّفَّ يُضْرَبُ تَحْتَهَا لَتَنَحَّاشَ مِنْ قَاقُورِهِ لَمْ تَنَّا كَر

أى من قاذورة فيها يقال رجل قاذورة إذا كان يتجنب النساء ويتقي مجامعتهن .

ومن الوصف الحسن قول القطامي في نوق :

جَفَادٌ إِذَا صَافَتْ هَضَابٌ إِذَا شَدَّتْ وَفِي الصَّيْفِ بَرْدٌ دُنَّ الْمِيَاهِ إِلَى الْعَشْرِ

يشبهها بالأبار من كثرة ألبانها في أيام الربيع والقيظ وهي في الشتاء كالهضاب

(١) في الاصل « حواجيبها » . (٢) في ديوان أبي نواس « ترامت بها الأهوال » .

سمناً واذا شربت في اليوم العاشر التثت في مثله وفي كروشها بقيه من الماء .
وعرض شريح ناقة للبيع فقال له المشتري كيف لهنها ؟ قال احلب في اى اناء
شدت ، قال فكيف الوطاء ؟ قال افرش وتم ، قال فكيف قوتها ؟ قال اجمل على
الحائط ماشئت ، قال فكيف نجارها ؟ قال علق سوطك وسر . فاشترها فلم ير
شيئاً مما توهمه بصفة شريح فعاد اليه فقال لم ار شيئاً مما وصفت قال ما كذبتك
قال فأقلى قال نعم فأقاله . وأنشد أبو أحمد رحمه الله :

جاءت تهادى مائلا ذراها تحنُّ أولاهها على أخراها
مشى العروس قصرت خطاها فاسمطت القيعان من رغاها
واتخذتنا كلنا طلاها

يقول انها كبيرة غزيرة إذا مشت سالت ألبانها فايضت القيعان منها والرغا
جمع رغوّة ، واتخذتنا كلنا طلاها أى لشربنا ألبانها كأننا أولادها .

ومن أجود ما قيل في ارتفاع الابل وارتفاع اسنمها قول أبي ذؤاد :
فاذا أقبلت تقولُ اكأمُّ مشرفاتٌ فوقَ الأكامِ اكأمُّ
وإذا أعرضت تقولُ قصورُ من سماهيج فوقها آطامُ
وإذا ما فجيبتها بطن غيبٍ قلت نخلٌ قد حان منه صرام
الغيب ما وارك من الشجر ، وسماهيج أرض بالبحرين .

(الفصل الثالث)

في ذكر الفلوات والظلال والسير والنعاس وما يجرى مع ذلك

فن أبلغ ما قيل في صفة بعد الفلاة قول مسعود أخى ذى الرمة :

ومهمه فيه السرابُ يلمحُ يدأبُ فيه القومُ حتى يطلحوا
ثم يظنونَ كأن لم يبرحوا كأنما أمسوا بحيثُ أصبحوا

وقال رؤبة بن العجاج * يكلُّ وقد الريح من حيث انخرق *

ذَكَرَ أَنَّ الرِّيحَ تَكُلُ فِيهِ لِبَعْدِهِ ، وَوَفِدَ الرِّيحَ مَأْخُودٌ مِنْ قَوْلِ تَابُطِ شَرًّا
* وَيَسْبِقُ وَفِدَ الرِّيحَ مِنْ حَيْثُ يُتَّحَى * وَقَالَ مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ :

تَجْرِي الرِّيحُ بِهَا مَرْضَى مَوْلَاهُ حَسْرَى تَلُوذُ بِأَطْرَافِ الْجَلَامِيدِ
قَوْلُهُ « بِأَطْرَافِ الْجَلَامِيدِ » زِيَادَةٌ لَيْسَتْ فِي بَيْتِ رُؤْبَةٍ . وَيَشْبَهُونَ اسْتِوَاءَ الْفَلَاةِ
بِاسْتِوَاءِ ظَهْرِ التَّرْسِ قَالَ الشَّاعِرُ * وَمَهْمَةٌ كَمَثَلِ ظَهْرِ التَّرْسِ *
وَأَحْسَنَ ذُو الرِّمَةِ حَيْثُ يَقُولُ فِي هَذَا الْمَعْنَى :

وَدَوَّ كَكَفِّ الْمَشْتَرَى غَيْرَ أَنَّهُ بَسَاطٌ لِأَخْمَاسِ الْمَرَاثِيلِ وَاسِعٌ
شَبَّهُهُ بِكَفِّ الْمَشْتَرَى لِأَنَّ كَفَّهُ أَلْصَقَ ، وَفِي رَوَايَةٍ أُخْرَى لِأَنَّ الْمَشْتَرَى يَبْسُطُ
كَفَّهُ لِلصَّفْقِ . وَقَلْتُ فِي نَحْوِهِ :

وَبِحَرِّ كَكَفِّ الْأَكْرَمِينَ يَحْفَهُ صَعِيدٌ كَأَيْدِي السَّائِلِينَ مَدِيدٌ
وَقَالَ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ :

وَدَوَّ بِهٖ مِثْلَ السَّمَاءِ قَطَعْتَهَا مَطْوُوقَةٌ آفَاقَهَا بِسَائِمَاتِهَا

وَمِنْ عَجِيبِ التَّشْبِيهِ فِي وَصْفِ الْأَلِّ قَوْلُ بَعْضِ الْأَعْرَابِ :

كَفِي حَزَنًا نَأَانِي أَطَالَتُ كِي أَرَى ذَرَى عَلِيٍّ دَمَخَ فَمَا يُرْيَانُ
كَأَنَّهُمَا وَالْأَلُّ يُنْجَابُ عَنْهُمَا مِنْ الْبَعْدِ عَيْنَا بُرْقَعِ خَلْقَانِ

وَهَذَا مِنْ أَعْرَابِ مَا رُوِيَ مِنْ تَشْبِيهِاتِ الْقَدَمَاءِ . وَقَالَ جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرٍ فِي السَّرَابِ :

أَلَا تَيْكَا أَعْلَامُ بَثْنَةً قَدْ بَدَتْ كَأَنَّ ذَرَاهَا عَمَمَتَهُ سَبِيبُ

طَوَامِسُ لِي مِنْ دُونِهِنَّ عَدَاوَةٌ وَلِي مِنْ وَرَاءِ الطَّامِسَاتِ حَيْبٌ

بَعِيدٌ عَلَى كَسْلَانٍ أَوْ ذِي مَلَالَةٍ وَأَمَّا عَلِيٌّ ذِي حَاجَةٍ فَقَرِيبٌ

وَالسَّبِيبُ الشَّقَّةُ الْبَيْضَاءُ . وَقَالَ ابْنُ الْمَعْتَزِ :

وَالْأَلُّ يُنْزَوُ بِالصَّوِيِّ أَمْوَاجُهُ نَزْوُ الْقَطَا السَّكْدَرِيِّ فِي الْأَشْرَاكِ

وَالظَّلُّ مَقْرُونٌ بِكُلِّ مَطْيِيَةٍ مَشَى الْمَهَارِ الدُّهْمِ بَيْنَ رَمَالِكِ

وَلَا أَعْرِفُ فِي هَذَا الْمَعْنَى تَشْبِيهًا أَحْسَنَ وَلَا أَصُوبَ مِنْ هَذَا .

ومن عجيب التشبيه في وصف اعتدال الظل عند الظهيرة قول الراجز

* واتعل الظل فصار جوربا * وقال آخر :

إذا شئتُ أدانى صرومٌ مُشيعٌ معى وعقامٌ تتقى الفحلُ مُقلت

يطوف بها من جانبيها ويتقى بها الشمس حتى في الاكراع مبيت

أداني : أعاني ، صرومٌ : أى صارمٌ ، مُشيعٌ : شجاع كأن معه أصحاباً يُشيعونه فهو جرى ، يعنى قلبه ، العقام : التى لاند فذاك أشد لها يعنى ناقة ، والمقلت : التى لا يبقى لها ولد ، وحى في الاكراع مبيت : يعنى ظلاً قد ضارع

عند انتصاف النهار . ومن بديع ما قيل فى السراب قول ابن المعتز :

وماراعنى بالبين إلا ظعانٌ دَعَوْنَ بكأى فاستجابت سوا كبه

بدت فى بياض الآل والبعدُ دونهُ كأسطر رِقٍ أمرض الخلط كاتبه

ولهم فى وصف الاسفار فى البحار شعرٌ قليلٌ فمن أجود ما وصف به الموج قول الهذلى :

* نجاجٌ يرتمين الى نجاج *

ولا أعرف فى السير والنعاس أجود لفظاً واستعارة مما أنشدناه أبو تمام :

يقولُ وقد مالتُ بنا نشوةُ الكرى نعاساً ومن يعلق سُرى الليل يكسل

أنخُ نعطِ انضاء النعاسِ دوائها قليلاً ورقه عن قلائص ذبل

فقلتُ له كيف الاناخةُ بعد ما حدا الليل عريان الظريفة مُنجلى

ومما يجرى مع ذلك قول الآخر :

عودٌ على عودٍ على عودٍ خلق كأنه والليل يرمى بالغسق

مَشَاجِبٌ وفلقٌ سَقَبٌ وطلق

عود : يريد شيخاً كبيراً ؟ على عود أى على بعير مُسِين ، على عود خلق أى

طريق قديم دارس فكأنه يُريدُ كأن ذلك كما قال رؤبة :

فيها خطوطٌ من سوادٍ وبلق كأنه فى الجلودِ توليعُ البهق

أى كأن ذلك شبه البعير بالمشاجب والطريق بالسقب وهو عمودٌ من عمد

الخباء ، وشبهه الشيخ بالطلق وهو القيد لانحنائه . وقريب منه قول الآخر :
 عودٌ على عودٍ قوودٌ للابل يموت بالترك ويحيا بالعمل
 عودٌ : بعير ، على عود يعنى طريقا ، يموت بالترك : يعنى الطريق يدرس اذا لم
 يسلك ، ويحيا بالعمل : اذا سلك استبان . ومن المختار فى صفة النعاس قول الآخر :
 فأصبحن بالمومة يحملن فتيةً نشاوى من الادلاج ميلُ العمام
 كأن الكرى سقاهم صرخديّةً عفاراً تمشى فى المطا^(١) والقوائم
 وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر عن عبد الرحمن عن الأصمعي أن أبا عمرو
 ابن العلاء كان يستحسن قول بشامة بن غدیر ويعجب منه غاية العجب :
 كأن يديها وقد أرقلت وقد حرن ثم اهتدين السبيلا
 يدا سايح خراً فى غمرة فادرکه الموت إلا قليلا
 وما يجرى مع ذلك قول الاعرابي :
 بدان بنا وابن الليالى كأنه حُسامٌ جلا عنه القيون صقيل
 فما زلت أقى كل يوم شبابه الى أن أتتك العيس وهو ضئيل

(الفصل الرابع)

(فى ذكر الوحوش والسباع والكلاب والصيد ومايجرى مع ذلك)
 فمن أجود ما قيل فى وصف الثور اذا عدا فيخفى تارة ويظهر أخرى قول
 الطرماح ، وكان الأصمعي يتعجب من حسنه :
 يبدو وتضمرة البلاد كأنه سيفٌ على شرف يسئل ويفمد
 وقد أحسن عدى بن الرقاع^(٢) فى وصف ثورين وما يثيران فى عدوهما من الغبار وهو
 يتعاوران من الغبار ملاءة بيضاء مُمخمة هما نسجاها

(١) المطا : الظهر . (٢) هو عدى بن زيد العاملى ، من معاصرى جرير

مدح بنى أمية فى الشام واختص بالوليد بن عبد الملك .

تطوى إذا علوا مكاناً جاسياً وإذا السنابك أسهلت نشرها
لا أعرف في صفة الغبار أحسن ولا أتم من هذا . وأما قوله في صفة قرن الظبي فليس
له شبيه وهو من المشهور :

يُزجى أغنَّ كأن إبيرة روقه قلم أصاب من الدواة مداها
وقد أحسن الراعي في وصف الوعل :

برودُ بها ذبُّ الرياد كأنه فتى فارسي في سراويل رامح
ذبُّ الرياد أي^(١) الوعل ، وبرود يجيء ويذهب ، شبه ما على قوائمه من الشعر
بالسراويل وشبه قرنه بالرمح . وقال ابن المعتز :

كأنى على طاي من الوحش ناشط تحال قرون الأجل من خلفه غابا
الأجل : القطيع من بقر الوحش ، والغاب : الاجرة . وقال أيضا :

وجرت لنا سنحاً جاذر رملة تتلو المها كاللؤلؤ المتبدد
قد أطلعت إبر القرون كأنها أخذ المراد من سحيق الأئمة
وقال ابن المعتز :

شغلته لواقح ملأته غيره فهو خلفهن كمي
قابض جمعها إليه كما يجتمع أيتامه إليه الوصى
كلما شم لا تحاسى منها رأس فخل برجلها معلى
خارج من ظلال تقع كما مسزق جلباب به الخليع الغوى
قد طواها التسويق والشدحتى هي قب كآهن القسى
هربت في رؤوسهن عيون غائرات كآهن الركى
وقال أيضاً : كأن آثار أظلاف الظباء به ودع يخلفه أضلافه نسق

ومن فصيح ما قيل في الكلب وبلغه قول أبي نواس :

كأن لحية على افتراه^(٢) شك مسامير على طواره

(١) في الأصل « على الوعل » . (٢) في ديوان أبي نواس « لدى افتراه » .

طواره : نواحيه .

سمع^(١) إذا استروخ لم يماره إلا بأن يطلق من عذاره
فانصاع كالكوكب في انحداره لفت المشير مؤهناً بناره
شداً إذا أخصف في جداره^(٢) خرق أذنيه شبا اظفاره

وهذا مثل قوله :

من كل أخذى ميسان المنكب يشبُّ في القودِ شُبوبَ المقرب
يلحق أذنيه بحد الخلب

المقرب : السكريم من الخيل يشد لسكرمه بقرب البيوت ، ميسان المنكب أى
من سعة جلده يمدس منكبته . ومن بديع الوصف قوله :

كأنما الأظفورُ في قنابه موسى صناع رُدِّ في نصابه
تراه في الخضرِ إذا هاهابه يكادُ أن يخرجَ من اهايه
أخذه من قول ذى الرمة :

لا يذخران من الايغال باقية حتى تسكاد تفرى عنهما الأهب
والقناب : الغلاف . وقد أحسن في قوله وأجاد :

فجاء بُزجها على شياتها شمَّ العراقيبِ مؤنقاتها
مفروشة الأيدي شرنبثاتها مشرفة الأكتاف موفداتها
قود الخراطيم مخرطماتها غرَّ الوجوه ومججلاتها
الموفدات : المشرفات ، خرطوم مخرطم مثل ليل أليل :

كأن أعماراً على لبَّاتها ذل المآخير عملساتها^(٣)
لثغناً الأرنب عن حياتها ان حياة الكلب في وفاتها

وقال ابن المعتز في سعة أشداق الكلاب :

(١) السمع : ولد الذئب . (٢) في ديوان أبي نواس (حتى إذا أخصف في

احضاره) . (٣) في الأصل « زل المساخير معكساتها »

كأنها في حلقِ الاطواقِ ضواحيك من سعة الأشداق
وقال في شدة عدو الكلب * كأنها تهجل شيئاً محسبه * من قول أبي نواس
* كأنما يعجلن شيئاً لقطا * ومن بليغ ما قيل في شدة العدو قول الأحرر في الثور:
وكأنما جهدت أيتها ان لا تمس الأرضَ أربعة
ومن جيد وصف السرعة قول الخناني:
ينادِرُ الناظر وهو بيدرةٌ كأنَّ من يُبصرُه لا يبصرُه
وقال الأصمعي وأحسن ما قيل في صفة الذئب قول حميد بن ثور:
ترى طرفيه ينسلانِ كلاهما كما اهتزَّ عودُ النبعةِ المتتابعِ
ينامُ باحدى مُقلتيه ويتقى بأخرى المنايا فهو يقظانٌ هاجعُ
وقال الأصمعي من أوجز الكلام قول الراجز في الذئب:
أطلس يخفي شخصه غبارُه في فمه شفرتهُ ونارهُ
هو الخبيث^(١) عينه فراره

ومما يجري مع ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن عبد الرحمن
عن عمه عن أبي عمرو قال: رأيتُ باليمن غلاماً من جرمٍ ينشدُ عنزاً فقلت
له صفها يا غلام فقال: حسراء مقبلة شعراء مدبرة بين عثرة الدهسة وقنو الدبسة
سجحاء الخدين خطلاء الأذنين فقساء الصورين كأن زمتيها تتواقلنوسة يالها
أم عيال وثمال مال. الحسراء: التي قل شعر مقدمها، والشعراء: التي قد كثر
شعرها، والعترة عثرة كدرة، والدهسة لون الأرض، والقنو شدة الحمرة،
والدبسة حمرة كدرة، والسجحاء السهلة الخدين، والخطلاء الطويلة الأذنين
المضطربتهما، والفعساء المتباعدة بين طرفي القرنين، والصور: القرن.

(١) في النسخ غير منقوطة فصححناها من لسان العرب حيث يقول « الخبيث
عينه فراره: تعرف الخبيث في عينه إذا أبصرته ». وفي النسخ « عينه » بالباء وهو تصحيف .

والزئمتان اللحمتان المعلقتان تحت حنك الشاة^(١) ، والتتو ذؤابة القلنسوة .

ولأعرابي في الذئب :

وأطلس ملء العين يحمل زوره
له ذئب مثل الشواء يمدّه
طواه الطوى حتى استمر سريره
يقضض عضلاً في أسرتها الردى
عوى ثم ألقى فارتجزت فهجته
وأبعته أخرى وأضلت نصله
وقال غيره في الفيل :

أجر د كالعود طويل الناين بعيد ما بين محطّ الرجلين

ينفض أذنين كفضلى بردين

وقال ابن الرومى فيه :

ولأعضل الناين حامل مخطم
يقب جئاناً عظيماً موثقاً
ويسطو بخرطوم يطاوع أمره
ولست ترى بأساً يقوم لبأسه
به حجج طوراً وطوراً به فعم
يهد بركنيه الجبال إذا زحم
ومشتبهات ما أصاب بها عثم
إذا عمل الناين فى الناس أو صدم

﴿ الفصل الخامس من الباب العاشر ﴾

فى ذكر الطيور

مما جاء من منشور الكلام فى وصف الحمام قول بعضهم : بهرمانى العينين طاجى

(١) قال المحبى فى جنى الجنين فى تمييز المثنيين « الزئمتان هنتان تكون للمعز فى حلوقها ، فان كاتتا فى الاذنين فهما زئمتان بالنون » ولم يخص فى القاموس هذا التخصيص .

المنقار أصهب القرطمتين ^(١) سبجى الجناحين كأنما خطا بقلمين درى الدفتين
 فضى الحقيمية والبطن والكشحين أرجوانى الساقين والقدمين مُعتدل الهامة جاحظ
 الحدقتين رحب الأذنين والمنخرين واسع الحوصلة والشدين محدد المنكبين
 والركبتين سبط الذنب والكفين طويلُ العنق والقوادم والفخذين قصير الخوافي
 والساقين عريضُ الصدر والدفتين والوظيفتين غليظ القصب أجش الهدرة منتصب
 الهامة ذكي الحركة بعيد الذرقة .

ووصف ابن المعتز حماماً طلبه من انسان : أريد حرمي الطرق عاجي المنقار
 أغنَّ الهدير ذا ذنبٍ قصيرٍ يسحبُ حوصلته إذا هدر وتروح صفقته إذا صفق
 قرطاسيِّ الدفتين سبجى الجناحين كأن رجليه خاضتا دماً أو شربتا عندما وكأن
 عينيه جمره ورأسه زُبدة . وقلت في حمام أبلق :

وَمُتَعَفَاتِ الشَّكْلِ مُخْتَلِفَاتِهِ لِبَسْنِ ظَلَامًا بِالصَّبَاحِ مَرَقَمَا
 أَخَذْنَ مِنَ الْكَافُورِ أَنْفًا وَمَنْسِرًا وَخَضِبْنَ بِالْحِنَاءِ كَفًا وَأَصْبَعَا
 وَتَدَنُو بِأَبْصَارِ إِذَا مَا أَدْرَتْهَا جَلُونَ عَقِيقًا لِلْعَيُونِ مَرْصَعَا
 تَطِيرُ بِأَمْثَالِ الْجَلَامِ كَأَنهَا جِنَادِلُ تَدَحُوهَا ثَلَاثًا وَأَرْبَعَا
 تَبُوعٌ ^(٢) بِهَا فِي الْجَوِّ مِنْ غَيْرِ فِتْرَةٍ كَأَنَّ بِجَاذِيقًا تَبُوعُ بِهَا مَعَا
 إِذَا هِيَ عَبَّتْ فِي الْغَدِيرِ حَسْبَتَهَا تَرَقُّ فَرَاخًا فِي الْمَقَادِرِ جُوعَا
 وقال بعضهم في عين العمق :

يُقَلِّبُ عَيْنَيْنِ فِي رَأْسِهِ كَأَنَّهُمَا نَقَطْنَا زُبُقًا

ومن المختار في الديك ما أنشده الجاحظ :

كَأَنَّ الدِّيكَ دِيكَ بَنِي نَمِيرٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى السَّرِيرِ

والناس يستحسنون قول ابن المعتز في الديك :

(١) قرطمتا الحمام : نقطتان على أصل منقاره - كما في جنى الجنيتين للمحبي .

(٢) أى تسرع .

صَفَّقَ إِمَّا ارْتِيَا حَةً لِسِنِي الصَّبِيحِ وَإِمَّا عَلَى الدُّحَى أَسْفَا
وَقَالَ دِيكَ الْجَنِّ :

أَوْفَى بِصَبْغِ أَبِي قَابُوسٍ مَفْرَقُهُ كَدْرَةَ التَّاجِ لَمَّا عَلَّيْتُ شَرَفَا
وَقَوْلُهُ « صَبْغِ أَبِي قَابُوسٍ » يَعْنِي شَقَائِقَ النِّعْمَانِ ، وَهَذَا كَلَامٌ بَعِيدُ التَّمَتَاوُلِ ظَاهِرُ
التَّكْلَافِ . وَقُلْتُ فِيهِ :

مُتَوَجِّحٌ بِعَقِيقٍ مَقْرَطٌ بِلَجِينِ عَلَيْهِ قَرَطُقٌ وَشِيٍّ مُشْمَرٌ الْكَفِينِ
قَدَزَيْنَ النَّحْرَمَنَةَ ثِنْتَانِ كَالرُّودَيْنِ حَتَّى إِذَا الصَّبِيحُ يُبْدُو مُطَرَّرَ الطَّرَّتَيْنِ
دَعَا دُعَاءَ طُرُوبٍ مُصَفَّقِ الْكَفِينِ يَزْهِي بِتَاجِ وَطُوقٍ كَأَنَّهُ ذُورَعَيْنِ

وَقَالَ السَّرِيُّ الرَّفَاءُ :

كَشَفَ الصَّبَا حُ قَنَاعَهُ فَتَأَلَّمَا وَسَطَا عَلَى اللَّيْلِ الْبَهِيمِ فَأَطْرَقَا
وَعَلَا فَبَشَرَ بِالصَّبَا حُ مَدْرَعٌ بِالْوَشِيِّ تَوَجَّحَ بِالْعَقِيقِ وَطُوقًا
مُرَخِي فُضُولِ التَّاجِ فِي لُبَّاتِهِ وَمُشْمَرٌ ثَوْبًا عَلَيْهِ مَغْمَقَا

وَقَالَ ابْنُ الْمَعْتَزِ :

وَقَامَ فَوْقَ الْجِدَارِ مُشْتَرَفٌ كَمَثَلِ طَرَفِ أَعْلَاهُ أَسْوَارُ
رَافِعُ رَأْسٍ طَوْرًا وَخَافِضُهُ كَأَمَّا الْعَرَفِ مِنْهُ مَنَشَارُ

وَمَنْ أَجُودَ مَا قِيلَ فِي وَصْفِ النِّعْمَانِ قَوْلَ عَدِيِّ بْنِ زَيْدٍ :

وَمَكَانَ زَعَلٍ ظَلَمَانُهُ كَرَجَالِ الْخُبُشِ تَمْشِي بِالْعَمَدِ
فَقَالَ شَبَّهَ أَعْنَاقَهَا إِذَا مَدَّتْ بِالْعَمَدِ . وَمَنْ أَحْسَنَ تَشْبِيهِهُ أَخَذَهُ الْعَمَانِي :

كَأَنَّهَا حِينَ مَدَّتْ عُنُقَهَا حَرَقَا سُودُ الرِّجَالِ تَعَادَى بِالْمَزَارِيقِ

وَكَانَ يَدْبَعِي أَنْ يَقُولَ « مَدَّتْ أَعْنَاقَهَا » وَالَّذِي قَالَ رَدِيءٌ ، وَوَقَدْ جَاءَ مِثْلُهُ .

وَقَالَ ابْنُ أَبِي عَيْنَةَ :

يَا جَنَّةَ فَانْتِ الْجَنَانَ فَمَا تَبْلَغُهَا قِيَمَةٌ وَلَا تُنَمِّنُ
أَلْفُتْهَا فَاتَّخِذْهَا وَطَنًا إِنَّ فُؤَادِي لِحُبِّهَا وَطَنٌ

أَنْظُرْ وَفَكِّرْ فِيهَا تَطْيِيفٌ بِهِ
 مِنْ سَفِينٍ كَالنَّعَامِ مَقْبَلَةٌ
 وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ :

زُرْ وَادَى الْقَصْرِ نَعْمَ الْقَصْرِ وَالْوَادِي
 تَرْتَقِي قَرَاقِيرُهُ وَالْعَيْسُ وَأَقْفَةٌ
 وَحَبِذَا أَهْلُهُ مِنْ حَاضِرٍ بَادِي
 وَالضَّبُّ وَالنُّونُ^(١) وَالْمَلَا حُ وَالْحَادِي
 وَقَوْلُ الْآخِرِ :

كَأَنَّ بِالسَّهْبِ عَلَى خَرْبَائِهِ
 يَضْحَكُ جَنُّ الْأَرْضِ مِنْ نَحَائِهِ
 عَرْشًا يُخْرِجُ الرِّيحَ فِي قُصْبَائِهِ
 كَأَنَّ قَوْسَ الْغَيْمِ مِنْ وَرَائِهِ
 يَعْنِي الْغُبَارَ الْمُنْعَرَجَ خَلْفَهُ . وَقُلْتُ فِي فَاخْتَةٍ :

مَرَرْتُ بِمَطْرَابِ الْغَدَاةِ كَأَنَّهَا
 تُعَلُّ مَعَ الْأَشْرَاقِ رَاحًا مُغْفَلًا
 وَيُرْوَى « تُعَلُّ رَحِيقًا فِي الْعُصُونِ مُغْفَلًا » :

مَنْعَرَةٌ كَدِرَاءٍ تَحْسَبُ أَنَّهَا
 بَدَتْ تُجْتَلِي لِأَعْيُنٍ طَوْقًا مُمْسَكًا
 تَجَلُّلٌ مِنْ جِلْدِ السَّحَابَةِ مَفْصَلًا
 وَطَرْفًا كَمَا تَرْنُو الْخُرَيْدَةُ أَكْحَلًا
 لَهَا ذَنْبٌ وَفِي الْجَوَانِبِ مِثْلُ مَا
 إِذَا حَلَقْتَ فِي الْجَوْخَلِ جَنَاحَهَا
 وَقَالَ أَبُو نُوَاسٍ فِي حُبَارِيَاتٍ :

يَحْطِرْنَ مِنْ بَرَانِسٍ قُشُوبٍ
 مِنْ حَبِيرِ عُولَيْنَ بِالْتَهْدِيبِ
 فَهِنَّ أَمْثَالُ النَّصَارَى الشَّيْبِ

وَقُلْتُ فِي قَبِيحَةٍ^(٢) :

أَهْدَيْتَهَا كَالْهَدَى آنَسَةٌ
 تَلْبَسُ سُؤْرَةَ مُشْمَرَةٍ
 وَهِيَ سَلِيلُ النَّوَاشِرِ النَّفْرِ
 تَصُونُ أَطْرَافَهَا مِنَ الْعَفْرِ
 وَقَدْ جَرَى الْمَسْكُ مِنْ مَحَاجِرِهَا
 فَضَمَّ لِبَانَتِهَا مَعَ النَّفْرِ

تُخَطَّرُ فِي حَلَّةٍ مُصَدَّرَةٍ كَأَنَّ أَكْمَاهَا مِنَ الْحَبِيرِ
 وَاجْمَرٌ مَنقَرُهَا وَمَنخَرُهَا تَفْتَشِحُ الْوَرْدَ فِي نَدَى السَّحَرِ
 كَأَنَّهَا حِينَ نَقَطَ قَرَطْمَهَا تَضْرِبُ بِقُوَّةٍ عَلَى دُرَّرِ
 وَقَالَ أَبُو نُوَاسٍ فِي طَيْرِ الْمَاءِ :

كَأَنَّا يَصْفَرْنَ مِنْ مَلَاعِقِ صِرْصِرَةَ الْأَقْلَامِ فِي الْمَهَارِقِ
 وَنَقَلَهُ إِلَى مَوْضِعٍ آخَرَ فَقَالَ أَيْضًا :
 يَصْفَرُّ أحيانًا إِذَا لَمْ يَهْزَجْ مِنْ مِثْلِ حُرْفِ الْمَجْدَحِ الْمُغْنَجِ

المجدح : ما يجدهح به السويق ، والمغنج : المعطف .

وأحسن ما شُبِّهَ بِهِ ذَلِكَ قَوْلُ بَعْضِ الْأَعْرَابِ يَصِفُ طَيْرًا أَنْشَدَهُ الْأَصْمَعِيُّ :

يَضْرِبْنَ أَحْنَاكَ إِلَى الْمَاءِ كُلِّهَا لِيَبْقَ كَمَفْرُوجِ الْمُنَاقِيشِ أَسْجَحِ
 لِيَبْقَ : أَي رَفِيقٌ بِذَلِكَ حَازِقٌ بِهِ ، يَقُولُ هَذِهِ الْأَحْنَاكُ لِيَبْقَةَ بِالشَّرْبِ ،

والمفروج : المفتوح ما بينه . وَقَلْتُ فِي الْخَطِّافِ :

وَزَائِرَةٌ فِي كُلِّ طَامٍ تَزُورُنَا فَيُخْبِرُنِي عَنْ طَيْبِ الزَّمَانِ مَزَارَهَا
 تَخْبِرُنِي^(١) أَنَّ الْجَوَّ رَقَّ قَمِيصُهُ وَأَنَّ الرِّيَاضَ قَدْ تَوَشَّى أَزَارَهَا
 وَأَنَّ وَجْهَ الْغُدْرِ رَاقٍ بِيَاضِهَا وَأَنَّ وَجْهَ الْأَرْضِ رَاعٍ أَخْضَرَارَهَا
 تَحْنُ الْيَنَا وَهِيَ مِنْ غَيْرِ شَكْلِنَا فَتَدْنُو عَلَيَّ بَعْدَ مِنَ الشَّكْلِ دَارَهَا
 فَيُعْجِبُنَا وَسَطَ الْعِرَاصِ وَقَوْعُهَا وَيُؤَنِّسُنَا بَيْنَ الدِّيَارِ مَطَارَهَا
 أَغَارَ عَلَى ضَوْءِ الصَّبَاحِ قَمِيصِهَا وَفَازَ بِالْوَانِ اللَّيَالِي خِمَارَهَا
 تَصِيحُ كَمَا صرَّتْ نَعَالُ عِرَائِسِ تَمَشَّتْ إِلَيْهَا هِنْدَهَا وَنَوَارَهَا
 تَجَاوَرُنَا حَتَّى تَشَبَّ صَغَارُهَا وَتَقْضِي لِبَانَاتِ النُّفُوسِ كِبَارَهَا

وَلَمْ أَسْمَعْ فِي ذَلِكَ أَحْسَنَ مِنْ قَوْلِ بَعْضِ الْمُحَدِّثِينَ :

وَعَرَبِيَّةٌ حَنَّتْ إِلَى أَوْطَانِهَا جَاءَتْ تَبْشُرُ بِالزَّمَانِ الْمُقْبِلِ

فرشت جناح الآبنوس وسطرت
وقلت في أصواتها :

أبا عجباً من آنس لك نافر
يُعاوِدُ وصلاً وهو في حالِ هاجر
يزور على بُعدِ المسكانِ ولم يُرد
وصالاً فقل في زائرٍ غيرِ زائر
له في الذرَى شدرٌ يمرُّ وينثى
كما حرك الكعبين كفٌ مُقامر
وهذا معنى لم أسبق إليه . وقال أبو نواس في أصوات الخطاف :

كأنَّ أصواتها في الجوّ طائرةٌ
وقال ابن المعتز في البازي :

فارسٌ كفّ مائل كالأسوار
ذو جُؤجُؤٍ مثل الرخام المرمار
أو مصحف منمنم بأسطار
ومقلاة صفراء مثل الدينار
يرفع جفنًا مثل حرف الزُّنار

وهذا تشبيه في غاية الاصابة . ومن أحسن ما قيل في منسر البازي قول أبي نواس :

ومنسر أكلف فيه شيخا كأنه عقد ثمانينا

وقال ابن المعتز في عين البازي وأجاد فيه :

ومقلاة تصدقه إذا رَمَقَ
كأنها نرجسةٌ بلا وِرَقِ

وقال أبو نواس :

في هامةٍ عليها تهدي^(١) منسراً
كعطفة الجيم يكفّ أعسرا

وقال ابن المعتز في بُزاة :

وفتيان غدوا والليلُ داجٍ
وضوءُ الصبحِ متهمُ الطلوعِ

كأن بُزاتهم أمراءُ جيشٍ
على أكتافها صدأُ الدُرُوعِ

وقال في عين البازي * كأنها في الرأسِ مسمار ذهب *

(١) في الأصل « غلباء تهدي » .

وقال أيضاً: ومنسر غضب الشباه دام كعقدك الحسين بالايهام
 وخافو للصيد ذي اصطلام ينشره للنهض والاقدام

كنشرك البرد على المستام

وقال أيضاً: ذي جؤ جؤ محبر موسى ومقلة تلحق بالقصى
 كأنها دينار صيرفي واتصلت براته القوهي

صاف كفصن الذهب المجلي

وقال أيضاً: أقر من ضرب بزاة قمر بصقل حلاقاً شديد الطحر
 كأنه مكتمل متبر في هامة لت كلم الفقر
 من منخر رحب كعقد العشر تزيح ان راح لأمر بهر
 وقلت في الصقر:

وصلتان فلتان أتمر كأنه إذا هوى للأعفر
 معبر هوى الى مزعفر بأبيض من البزاة أقر
 منمنم الصدر كصدر الدفتر بمثل اهداب جفون الاحور
 وقلت: بصلتان سلط جصور تخاله في مفصل مزور
 ضم جناحيه على ممرور معوج المنسر والأظفور

كالجيم في منقطع السطور

وقلت في عصفورة يقال لها السقا:

ومفتنة الألوان بيض وجوها ونمر تراقبها وصفر جنوبها
 كأن دراريماً عليها قصيرة مرقة أعطافها وجيوبها
 تعدل ألوان الأغاني كأنما تعدل أوزان الأغاني عريها
 تسام استقاء في العشاء إذا عرى وعطل أيام المصيف ذنوبها

وكان الأضمعي يتعجب من حسن بيت الطرماح في صفة الظليم

بجتاب . وقلت في بلابل:

مررتُ بدكن القمص سودِ العائمِ تغنى على أعرافِ غيدِ نواعمِ
 زهينَ بأصداغِ تروقُ كأنها نجومٌ على أعضاءِ أسودِ فاحمِ
 ترى ذهباً ألقتهُ تحتَ ماخرِ لها ولجيناً بطنه بالمقدامِ
 فياحسنَ خلقٍ من نضارِ وفضةٍ وخزٍ وديباجِ أحمرٍ وقامِ
 وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن أبي ذكوان وأبي خليفة عن التوزى قال
 قال عمرو بن الحارث الجحى مارأى الاصمعى مثل نفسه قال الرشيد يوماً أنشدونا
 أحسن ما قيل في وصف العقاب فعذر القوم ولم يأتوا بشيء فقال الاصمعى أحسن ما قيل فيها:
 باتتُ يورقها في وكرها سغبٌ وناهضٌ يخلص الأوقات من فيها
 وقال امرؤ القيس:

كأن قلوبَ الطيرِ رطباً وياساً لدى وكرها العنابُ والحشفُ البالى
 فقال الرشيدُ ما بعلٌ^(١) القوم بشيء إلا وجدت عندك فيه شيئاً .
 وقال آخر في الغراب:

وجرى بينهم غداةً تحملوا من ذى الأبارقِ شاجحٌ يتفندُ
 شبحُ النسا خرقُ الجناحِ تخالهُ فى الدارِ إثرِ الظاعنينِ مُقيدُ
 وقال آخر فى عمق:

إذا بارك اللهُ فى طائرٍ فلا بارك اللهُ فى عمقٍ
 طويلِ الذنابى قصيرِ الجنا حرمى ما يجد غفلةً يسرق
 يُقلِّبُ عينينِ فى رأسه كأنها قطرتا زئبق
 وقال آخر فى الزنابير:

لها حماةٌ كأنها شعر تظهرُ مسودةً وتستترُ
 قد أذهبت فى الجبينِ غرته إذ فضضت فى جياتنا الفرر
 وقلت فى ظبية داجنة وقارى:

(١) بعل بأمره كفرح: دهش وفرق وبرم فلم يدر ما يصنع .

فيها مؤانسة لنا وحشية
 تومى بناظرها إلى ظمياء
 تختال في متصنديل متكفر
 تبرأ أضراً بفضة بيضاء
 ودقيقة الأطراف وهي جسمة
 رياء تمرر في متون ظاء
 ومغنيات من وراء ستائر
 مشقوقة الأوساط والاحناء
 غنت فلم تحوج إلى مشهورة
 وشدت فلم تفقر إلى الميلاء
 تبدو على أعناقهن أهلة
 سود تبدل ظلمة بضياء

﴿ الفصل السادس من الباب العاشر ﴾

(في ذكر بقية الحيوان من السنور والقنفذ والفأرة والحية والعقرب والحرباء
 والضب والبق والبراغيث وما يجري مع ذلك)

كتب الصحاح أبو القاسم في وصف قنفذ : قد آخفتك ياسيدي بعنق نفيس
 يتعجب المتأمل من أحواله ويحار الناظر في أوصافه ويتبدل المعبر في آياته فما تعرف
 بدببة النظر أمن الحيوان هو أم من الجماد أم هو من الشجر أم من النبات ومن
 الناطق هو أم من الصامت أم من الحار أم من البارد أم من الرطب أم من اليابس
 حتى إذا أعطى متدبره النظر أوفى حقوقه والفحص أكمل شروطه علم أنه حي
 سلاحه في حصنه ورام سهامه في ضمنه ومقاتل رماحه على ظهره ومخاتل سره خلاف
 جهره ومحارب حصنه من نفسه يلقاك بأخشن من حد السيف ويستتر بألين من
 مسه حتى إذا حذر جمع أطرافه فتحسبه رابية قتاد أو كرة حرشف ومتى أمن بسط
 أكنافه وهي أمضى من الأجل وأرمى من عمل ان رأته الأرقام رأته حينها أو
 عاينته الأسود عاينت حتفها صعلوك ليل لا يحجم عن دامسه وحارس ظلام لا يجبن
 في حنادسه - شعر :

كفشم الغتيان غير مهبل سهد إذا ما نام ليل الهوجل

لجرمه من الضب شبهه ومن الغار شكل ومن الورل نسبة ومن الدليل
سبب ولم أعمه عليك هو أنقد ولذلك قيل من لم يذق غماضا ولم يرقد حثا
بات بلبلة الأنقد ، وذكره الشيهم وهو الشيطم وأثناء عيمة معرفة لا يدخل الألف
واللام عليها كمنخوط ودجلة وكحل ، ولا أعنيك هو القنفذ ، ومن أحواله أن العرب
تسلخ جلده فتخرجه كالشحة البيضاء وتجعله من أنفس ما كلفها وأفخر مطاعها حتى تراه
أرفع من الأفاعى وأنفع من الجرذان وتدعى جهلة الاعراب انه من مراكب
الشيطان وهو أطف من الفرس حساً وأصدق سمماً وقد جاء في المثل (أسمع من
قنفذ) ومن أوأيدته أنه يسود إذاهرم ويصير كأبر ما يكون من الكلاب وأعظم
ويشبهه به ركب المرأة عقب النتف والنورة ولذلك قال ابن طارق في أرجوزة له :

يَصِيرُ بَعْدَ حَلَقِهِ وَنُورَتِهِ كَقَنْفَذِ الْقَفِّ اخْتِي فِي فِرْوَتِهِ
وَيُشَبَّهُ السَّاعِي وَالنَّامَ بِهِ نَجْبَتِهِ وَمَكْرَهُ وَاضْطْرَابَهُ فِي لَيْلِهِ قَالَ أَيْمَنُ بِهِ خَرِيمُ :

كَقَنْفَذِ الرَّمْلِ لَا تَخْفَى مَدَارِجُهُ خَبٌّ إِذَا نَامَ لَيْلُ النَّاسِ لَمْ يَنِمِ
وقال عبدة بن الطيب (١) :

قَوْمٌ إِذَا دَمَسَ الظَّلامُ عَلَيْهِمْ حُدِّجُوا قَنَافِذَ البَنِيْمَةِ تَمْرَعُ
وقال جرير :

يَدْبُونُ حَوْلَ رِكِيَانِهِمْ دَيْبَ القَنَافِذِ فِي العَرَفِجِ
فخذه ياسيدى ممتعاً واقبله شاكرآ برى فيه فاحتط عليه احتياط الشحيح
على ماله والجبان على روجه وارغب إلى الله تعالى في حفظه واسأله إطالة عمره وهو
حسبي ونعم الوكيل .

ولم أسمع في صفة الهرة أظرف من قول ابن طباطبا العلوى الاصفهاني قال فيها :
أَرَقْتُ مُقَلَّتِي لِحَبِّ عَرُوسِ طِفْلَةٍ فِي المَلَّاحِ غَيْرِ شَمُوسِ
فَتَنَّتَنِي بِظُلْمَةٍ وَضِيَاءِ إِذْ بَدَّتْ لِي كَالعَاجِ فِي الابْنُوسِ

(١) هو الشاعر الفحل الشجاع الذي شهد الفتوح ، وقال فيها شعراً .

مُتَلَقِّ الظَّلَامِ مِنْ مُبْقَلَتِهَا بِشِعَاعٍ يَحْكِي شِعَاعَ الشَّمْسِ
ذَاتِ دَلٍّ قَصِيرَةٍ كَلِمًا قَامَتْ تَهَادَى طَوِيلَةً فِي الْجُلُوسِ
لَمْ تَنْزِلْ تَسْبَعُ الْوَضُوءَ وَتَنْقِي كُلَّ عَضْوٍ لَهَا مَسَّ التَّنْجِيسِ
دَائِبًا سَاعَةَ الطَّهَارَةِ دَفْنُ الْعَنْبَرِ الرَّطْبِ فِي الْخَنُوطِ الْيَبِيسِ
وَمِنْ أَجُودِ مَا قِيلَ فِي الْحَيَّةِ قَوْلُ النَّابِغَةِ :

صَلُّ صَفَا لَا يَنْطَوِي مِنَ الْقَصَرِ طَوِيلَةُ الْأَطْرَافِ مِنْ غَيْرِ خَفَرٍ
مَهْرُوتَةُ الشُّدْقَيْنِ ^(١) حَوْلَاءُ النَّظَرِ نَفْتَرُ عَنْ عُوجِ حَدَادِ كَالْأَبْرِ

دَاهِيَةٌ قَدْ صَفَرَتْ مِنَ الْكِبَرِ

وَقَالَ الْآخَرُ : خُلِقَتْ لِهَازِمَةِ عَرِينٍ وَرَأْسُهُ كَالْقُرْصِ فَطَحَ مِنْ دَقِيقِ شَعِيرٍ
فَكَأَنَّ شُدْقِيهِ إِذَا اسْتَعْرَضْتَهُ شَدَقًا عَجُوزٌ مَضْمُضَةٌ لَطُورٌ
وَأَجَادَ خَلْفَ فِي قَوْلِهِ :

ثُمَّ آتَى بِحَيَّةٍ مَاتَنْجِي أَبْتَرٌ مِثْلُ يَذِقِ الشُّطْرَنْجِ

وَلَيْسَ مِنْ شَعْرِ الْمُحَدِّثِينَ فِي الْحَيَّةِ أَحْسَنُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ الْمَعْتَزِ :

كَأَنِّي سَاوَرْتَنِي يَوْمَ بَيْنَهُمْ رِقْشَاءُ مَجْدُولَةٌ فِي لُونِهَا بَلَقُ
كَأَنَّهَا جِينٌ تَبْدُو مِنْ مَكَانِهَا غَصْنٌ تَفْتَحُ فِيهِ النُّورُ وَالْوَرَقُ
يَنْسَلُ مِنْهَا لِسَانٌ اسْتَغِيثُ بِهِ كَمَا تَعَوَّدُ بِالسَّبَابَةِ الْفَرِيقُ
وَقَوْلُهُ أَيْضًا :

أَنْعْتُ رِقْشَاءُ لَا يَحْيِي لَدَيْهَا لَوْ قَدَّهَا السَّيْفُ لَمْ يَلْقَ بِهِ بَلَلُ
تَلْقَى إِذَا انْسَلَخَتْ فِي الْأَرْضِ جِلْدَتَهَا كَأَنَّهَا كُمٌ دَرَعٌ قَدَّهُ بَطَلُ
وَقَلْتُ : وَخَفِيئَةُ الْحَرَكَاتِ تَقْتَرِعُ الرَّبِّيَّ كَالْبَرْقِ يَلْمَعُ فِي الْعَمَامِ الرَّائِحِ
مَنْقُوطَةٌ تَحْكِي بَطُونَ صَحَائِفِ ابَانَ تَبْدُو مِنْ بَطُونَ صَفَائِحِ
رَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِظَلِّ صَخِيرَةٍ وَمِنَ الْمَعَائِشِ بِشَتَامِ رَوَائِحِ

(١) أَيِ وَاسِعَةِ الشُّدْقَيْنِ .

وهذا من قولهم ان الحية إذا هرمت لم تخرج الى الطعام واكتفت بالتسليم
وقال اعرابي :

وحذش كحلقة السوار غايته شبره من الاشبار
كانه قضيب ماء جارى يفتش عن مثل تلظى النار

وقال آخر : يرقونه فكأما يعنى برقيقه سواه

وقال أبو العباس ثعلب يُقال أنه لم يسمع في صفة الحية أحسن من هذا البيت وأنشد:

كأما لسانه على فيه دخان مصباح ذكت ذواكبه
وقال عبد الصمد بن المعدل في العقرب :

يارب ذى إفك كثير خدعه يبرز كالقرنين حين يطلعه
في مثل ظهر السبت حين تطلعه أسود كالسيحة فيه مصبعه
لا تصنع الرقشاء مالا تصنعه

وقلت فيها أيضاً :

وإذا شتوت أمنت لسعة عقرب كالنار طارت من زناد القادح
قد خلتها نمشي بسبحة عابد كلال لقد نمشي بصعدة رامح
وقال آخر: يحمل رُمحاً إذا كوب مُشتر فيه سنان كالخريق يستعر
انف تأنيفاً على حسن قدر تأنيف أنف القوس شدت بالوتر

ومن أحسن ما قيل في الحرباء وهى دويبة شبيهة بالعضاة تأتى شجرة بالتنضبة
فتمسك يديها غصنين منها وتقابل الشمس بوجهها فكما زالت عين الشمس
عن ساق منها خلّت يديها عنه وأمسكت بساق آخر حتى تغيب الشمس فتسبح
في الأرض وترتع قال أبو دواد :

إني أتبيح لها حرباء تنضبة لا يرسل الساق إلا ممسكاً ساقا
والعرب تقول أحزم من الحرباء لأنها لا ترسل غصناً إلا أمسكت بآخره ،

وَيَسْمِيهِ بِه الرَّجُلُ الْخَصِيفُ ^(١) الَّذِي لَا يَتْرُكُ سَبَبًا إِلَّا أَخَذَ بِسَبَبِ أَمْتِنَ مِنْهُ .
قال ابن الرومي في امرأة ورقبيها :

مابالها قد حسنت ورقبيها أبدأً قبيحٌ قبح الرقباء
ماذاك إلا أنها شمس الضحى أبدأً يكونُ رقيها الحرباء

وقال بعض العلماء : الحرباء فارسيَّةٌ معرَّبةٌ وأصلها خورباء أي حافظ الشمس ،
وخور اسم للشمس بالفارسية . وكان ذو الرِّمَّة أنعت العرب للحرباء قال :

ودَوَّيَّةٌ جرداء جداء خيَّمت بها صبوات الصيف من كل جانب
كأنَّ يدي حربائها متمسكاً يدا مُذنبٍ يستغفرُ اللهُ تائب -
وقال أيضاً : وقد جعل الحرباء يصفرُّ لونه ويخضرُّ من حرِّ الهجير غباغبه
ويسبح بالكفين سبجاً كأنه أخو فجره أوفى به الجذع صالبه
وقال أيضاً : يصلى بها الحرباء للشمس مائلاً على الجدل إلا أنه لا يكبر
إذا حوَّلَ الظلَّ العشيُّ رأيتَه حنيفاً وفي قرنِ الضحى يننصر

وهذه تشبيهاتٌ مصيبةٌ مجيئةٌ الإصابة دالةٌ على شدة الخدق وثقوب الذهن ، وقد
أجمعت العرب أن ذا الرمة أحسنهم تشبيهات . وقال ابن المعتز :

ومهمه فيه ييضات القطا كسرا كأنها في الأفاحيص القوارير
كأنَّ حربائها والشمسُ تصهره صال لنا من لهيب النار مقرر

وهذا تشبيهٌ مصيبٌ أيضاً إلا أنَّ للأول ماءً وطلاوة ليس لذا .

ومن أحسن ما قيل في الضب قول الخناني :

تري ضبِّها متسعاً رأسه كما مدَّ ساعده الأقطع
له ظاهرٌ مثل بردِ الوشيِّ وبطنٌ كما حسر الأصلع
هو الضبُّ مامدٌ ساكانه فاذ ضمَّه فهو الضفدع

ومن أجود ما قيل في البعوض وأجمعه قول بعضهم أنشدته أبو عثمان :

(١) في نسخة « الخصيف » وفي أخرى « الخفيف » ولعل الصواب ما أثبتناه .

إذا البعوضُ زجلتُ أصواتها • وأخذَ اللحنُ مُغنياً لها •
 لم تُطرب السامعَ خافضاتها • وأرقَّ العيين رافعاتها •
 صغيرةٌ كبيرةٌ أذاتها • يقصر عن بُغيتها بُغاتها •
 ولا يصيبُ أبداً رُماتها • راححة خرطومها قناتها •

وقال آخر: * حنانة أعظمها أذاها * وقال ابن المعتز:

بِتُّ بليلاً كله لم أطرفِ • قرقسه^(١) كالزبير المنتفِ
 يشقُّ الجلدَ وراء المطرفِ • حتى ترى فيه كشكل المصحفِ

أو مثل روس العصفر المندفِ

وقلت: غناءٌ يسخنُ العينَ • وينفى فَرَحَ القلبِ
 ولا يأتي على الزميرِ • ولا يجرى مع الضربِ
 غناء البسقُ بالليلِ • ينافي طربَ الشربِ
 إذا ما طرَّقَ المسرءُ • جرى في طلق الكربِ
 نحيفٌ راح كالشنِّ • ولكن بات كالوطبِ
 إذا ما نقبَ الجلدَ • ة أخفى موضع النقبِ
 سوى حمري خفياتِ • تحاكي نقطَ الكتبِ

وقد ذكروا أن كل معنى للأوائل أخذه المتأخرون وتصرفوا فيه لإقوال

عنترة في الذباب فإنه لم يتعرض^(٢) له ولو رامه من رامه لافضح وهو قوله:

وترى الذبابَ بها يُغنى وحدهُ • زجلاً كفعل الشاربِ المترنمِ
 هزجاً يحكُّ ذراعَه بذراعِهِ • فعلَ المكبِّ على الزنادِ الأجدمِ
 وقلت: وبدا فغناني البعوضُ مطرباً • فهرقتُ كأس النومِ إذ غناني
 ثم انبرى البرغوثُ ينقطُ أضلعي • نقطَ المعلمِ مُشكلَ القرآنِ
 حتى إذا كشف الصباحُ قناعه • قرأتُ لى الذبانُ بالالحنِ

(١) القرقس بالكسر: البعوض. (٢) في الاصل «لاتعرض».

• ركتب أبو القسم الأمدى : وصار كاتب الديوان أفرغ من حجام سابط
وحسبك فأيدك الله أن كاتب الديوان في هذا الوقت شيخ كان يخلقى ويخلف من
كان يلى الديوان قبلى يُعرفُ بابن نوح حسن الشيبة عظيم الهامة كثير الصمت لو
رأيته لقلت هذا نوح النبي ﷺ سمناً ووقاراً وليس له عمل خلف سائته إلا صيد
الذبان فهو أعلم خلق الله بأجناسها إذا مرَّ به ذبان يطيرُ عرفه بطيرانه قبل
أن يسقط فيقول هذا ذكرٌ وهذا أنثى وهذا ربيعى وهذا صيفى وهذا ملحٌ وهذا
لجوجٌ يسقط على العين والأنف ويُطرُدُ فيعود وهذا يلسع وهذا ليس بلساع وهذا
يقع على الأقدار وهذا نزهٌ عيوف لا يقع إلا على الماء كل الحلوة والأشياء
العذبة وهذا من صيد الليث وهو جنس من العناكب وليس هذا من صيده وهذا
يقع في شبكة الخدرنق - وهو العنكبوت الطويل الأرجل - وهذا يسفد وهو
يطير وهذا لا يسفد إلا واقماً وهذا مما يدخلُ رأسه في رؤوس الذبان السبعة
التي تقع في الاكحال لأنه أقرح وهذا ان وقع رأسه في كل عمى من يكتحل به لأنه
أحمر الجبهة وهذا يقبل بدنه على خرطومه وهذا لا يقبل وهذا هزج مغن وهذا
صموتٌ وهذا يُنذِرُ وهذا يُبشِّرُ بطنينه وزمزمته فيصدق فيما يعدُّ ويوعِدُ
ويكون ذلك أخذاً بالكف . وقد ألف فيها كتاباً حسناً فيه نوادر وعبر .
وظننته قد نظر في باب الذباب والبعوض من كتاب الحيوان واستقى من هناك
ففاتحته فإذا هو لا يعرفُ الجاحظ ولا سمع بكتاب الحيوان قط ونظرت فإذا أبو
عثمان لم ينته في معرفة الذباب إلى شيء مما انتهى إليه وعرفه .

ومن أجود ما قيل في البراغيث قول بعضهم وقد ظرف في ذلك :

فيا لعباد الله ما لقبيلة إذا ظهرت في الأرض شدَّ مغيرها
فلا الدينُ ينهاها ولا هي تنتهى ولا ذو سلاح من معدٍ يضيرها
وقال آخر :

هنيئاً لأهل الرِّى طيبُ بلادهم وأن أميرَ الرِّى يحيى بنُ خالدٍ

بلادٌ إذا جنَّ الظلامُ تقاررت
براغيثها من بينِ مثنى وواحدٍ
ديارِ جهنَّمِ سودُ الجلودِ كأنَّها
نعالُ بریدٍ أرسلتْ في المزودِ
وقلتُ: ومن براغيث تنفي النوم عن بصرى
كأنَّ جفتي عن عيني قصيران
يطلبن مني ثاراً لست أعرفه
إلا عداوة سودانٍ لبيضان
وقد شكهن الرماح الأمدى فأحسن في قوله :

تطاول بالفسطاط ليلي ولم يكن
بجنو الفضا ليلي على بطول
يؤرقني حُسدٌ صغارٌ أذلةٌ
وان الذي يؤذنه لذليل
إذا ما قتلناهن أضعفن كثيرةً
علينا ولا ينعي لهن قتيلاً
ألا ليت شعري هل أبيتن ليلةً
وليس لبرغوثٍ إلى سبيل
وقال ابن المعتز :

وبراغيث ان ظفرون بجسمى
خلت في كل موضع منه خالا
وأما القمل فأعجب ما قيل فيه قول بعضهم :

للقمل حول أبي العلاء مصارعٌ
من بين مَقْتولٍ وبين عقيرٍ
وكانهن إذا علون قميصه
فردن وتوأم سمسمٍ مقشورٍ
وقد أبدع جرير في قوله :

ترى الصبيان عاكفةً عليه
كعنفقة الفرزدق حين شابا
وقلت في النمل :

وحى أناخوا بالمنازل بالوى
فصاروا بها بعد القطارِ قطينا
إذا اختلفوا في الدارِ ظلت كأنها
تبدد فيها الريحُ بزرَّ قطونا
إذا طرقوا قدرى مع الليل أصبحت
بواطنها مثل الظواهرِ جونا
لهم نظرةٌ يمني ويُسرى إذا مشوا
كأمرٍ مرعوبٍ يخاف كينا
ويمشون صفاً في الديارِ كأننا
يجرون خيطاً في الترابِ مبينا
ففي كل بيت من يسوتى قريةً
تضمُّ صنوفاً منهم وفسونا

• فَيَأْمَنُ رَأْيَ يَتَأُ يَضِيقُ بِخُمْسِيَّةٍ وَفِيهِ قَرِيَّاتٌ يَسْمَعُنْ مِثِينًا
 قَطَّلُوا وَمِنَ الْأَبْيَاتِ الْجَامِعَةَ لِلشَّرِّ قَوْلَ بَعْضِ الْقَدَمَاءِ :
 بِهِ الْبَقُّ وَالْحَمِيُّ وَأَسَدٌ خَفِيَّةٌ وَعَمْرُو بْنُ هَنْدٍ يَعْتَدِي وَيَجُورُ
 وَبِالْمَصْرِ بَرْعُوثٌ وَبَقٌّ وَحَصْبَةٌ وَوَحْيٌ وَطَاعُونَ وَتَلْكَ شُرُورُ
 وَبِالْبَسْدِ جُوعٌ لَا يَزَالُ كَأَنَّهُ دُخَانٌ عَلَى حَدِّ الْأَكَامِ يَمُورُ
 أَلَا أُنَمَّا الدُّنْيَا كَمَا قَالَ رَبُّنَا لِأَحْمَدَ حُزْنَ تَارَةً وَسُرُورُ
 وَقَلْتُ فِي الْجِرَادِ :

أَجْنَحَةٌ كَأَنَّهَا أُرْدِيَةٌ مِنْ قَصَبٍ لَكِنَّهَا مَنْقُوطَةٌ مِثْلَ صَدُورِ الْكُتُبِ
 وَأُرْجُلُ كَأَنَّهَا مَنَاشِرٌ مِنْ ذَهَبٍ
 وَقَلْتُ : وَأَعْرَابِيَّةٌ تَرْتَادُ زَادًا فَتَمْرُقُ مِنْ بِلَادٍ فِي بِلَادٍ
 غَدَّتْ تَمَشِي بِمَنْشَارٍ كَلِيلٍ تَبُوعٌ بِهِ قَرَارَةٌ كُلُّ وَادِي
 وَتَنْشُرُ فِي الْهَوَاءِ رِدَاءَ شَرْبٍ عَلَى أَرْجَائِهِ نَقْطُ الْمِدَادِ
 وَتَلْبَسُ تَحْتَ ذَلِكَ عَطَافَ لَازٍ عَلَى أَكْنَافِهِ وَدَعِ الْجَسَادِ

وَمِنْ عَجِيبٍ مَا قِيلَ فِي الْفَأْرِ مَا أَخْبَرْنَا بِهِ أَبُو أَحْمَدَ عَنِ الصَّوْلِيِّ عَنِ مُحَمَّدِ بْنِ
 سَعِيدٍ عَنِ الرِّيَاشِيِّ قَالَ دَخَلَ أَعْرَابِيٌّ الْبَصْرَةَ فَاشْتَرَى خَبْزًا فَأَكَلَهُ الْفَأْرُ فَقَالَ فِي ذَلِكَ :

عَجَلَ رَبُّ النَّاسِ بِالْعِقَابِ لِعَامِرَاتِ الْبَيْتِ بِالْخِرَابِ
 كَحَلِّ الْعَيُونِ وَقَصِّ الرِّقَابِ بِمَجْرَدَاتِ أَحْبَلِ الْأَذْنَابِ
 مِثْلَ مِدَارِ الطِّفْلِ الْكِعَابِ كَيْفَ لَهَا بِأَمْرِ وَثَابِ
 مُسْهَرَّتِ الشَّدْوُ حَدِيدِ النَّابِ كَأَنَّمَا يَكْشُرُ عَنِ حِرَابِ

يَفْرَسُهَا كَالْأَسَدِ الْوَثَابِ

آخر الباب العاشر من كتاب ديوان المعاني والحمد لله حق حمده وصلواته على
 محمد وآله وصحبه والخلفاء الراشدين من بعده .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على ما أراد بنا من عاجل الخير وآجله ومؤتلفه وراهنه فجعل لنا في أنفسنا موعظ وفي أبداننا زواجر يرشدنا ويهدينا ويكفينا عما يُردينا من مرض بعد صحة وشيبة بعد شيبة لنعبر بتغير الأحوال علينا وتغير الحدوثان إيانا حمداً تتألف أشتاتُه وتتصلُ مواده ، وصلى الله على محمد وآله .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

(في صفة الشباب والشيب والخضاب والعلل والموت والمرأى)

والزهد وما يجري مع ذلك وهو :

﴿ الباب الحادى عشر من كتاب ديوان المعانى ﴾

فأولُ ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصُّولى قال سمعتُ ابن الأعرابى يقولُ
لأعرفُ في التفرُّج على الشباب وفي ذم الشيب أحسن من قول أبي حازم الباهلى
على قُرب عهده :

لا تكذبنَّ فما الدنيا بأجمعها من الشبابِ بيوم واحد بَدَلُ
شَرِّخِ الشَّبابِ لَقَدْ أبقيتَ لى أسفاً ما جدَّ ذكرك إلا جدَّ لى ثكلُ
كفالك بالشيب ذنباً ^(١) عندَ غانيةٍ وبالشبابِ شفيحاً أيها الرَّجُلُ

(١) في نسخة « كفالك بالشيب عيباً » .

وأحسن منه غندي قول منصور النمري^(١) :

ما تنقضى حسرة منى ولا جزعُ إذا ذكرتُ شباباً ليس يرتجعُ
 بان الشبابُ ففانتني بشرته^(٢) صروفُ دهرٍ وأيام لنا خُدعُ
 ما كنتُ أو في شبابي كنهه غرته حتى انقضى فاذا الدنيا له تبع
 قوله (فاذا الدنيا له تبع) من أشرف كلام وأنبه وأجمه وأوجزه ، وسمعه الرشيد
 فقال نعم لا خير في دنيا لا يُخطر فيها يبرد الشباب . وقال محمود الوراق :

لا يحسن النسك والشباب ولا البطالاتُ والخضاب
 كلُّ نعيم وكلُّ عيش قبلَ الثلاثينَ يُستطاب

وقال غيره :

فقلتُ وهل بعدَ الثلاثينَ مَلعبُ فقلتُ وهل قبلَ الثلاثينَ مَلعبُ
 وأخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا الصولي قال حدثنا الفضل بن الحباب الجمحي
 قال حدثنا محمد بن سلام قال من كلام يونس بن حبيب : الكبر وكل عيب والعزل
 وكل ذم والولاية وكل مدح والشباب وكل صحة واليسار وكل فضيلة والفقر وكل
 ذلة . وقال ابن المعتز :

لهفي على دهر الصبا القصيرِ وعُصنه ذى الورقِ النضيرِ
 وسُكره وذنبه المغفورِ و مَرَحِ القلوبِ في الصدورِ
 وطولِ جبلِ الأملِ المجرورِ في ظلِّ عيشِ غافلِ غريرِ
 أغدو وجنى الصبا أميري ملء العيونِ الغاياتِ الحورِ

وقال الحماني :

وأيامه العسرُ مثل الخطوطِ في المسكِ فوقَ خُدودِ الحسانِ

(١) من شعراء الدولة العباسية ، استقدمه الفضل به يحيى واستصحبه ثم وصله

بالرشيد ، وفي حضرته أنشد هذه الأبيات .

(٢) سيرة الشباب : نشاطه ، وفي الأغاني (بلدته) .

وأيامه وعُذيق الغواي

كالسوامِ من القلوبِ

بين الخناقِ والجيوبِ

ليالى أنت جُذيل الصِّبا

وقال أيضاً: أيام كنتُ من الغواي

فاذا استظمنَ خبائى

وقال أبو عبد الله بن المعتز:

فاحزنُ فليستَ بمثله مفعوعا

يا قلبُ ليسَ الى الصبا من مرجع

وقال يصف نفسه في شببته:

كقضيبي بانِ ناعمِ رطبِ

قالتُ أوابدُ طرفها حسي

فليستَ تخطاني الى من ورائيا

لهنَّ بأَ كفافِ الشبابِ ملاعبُ

وشاهدُ آفاتِ المحبينَ غائبُ

من بعدِ ما قد كنتُ أى فتى

فاذا رأيتى عَيْنُ غائبةِ

ونحوه قوله: إذا ما عشتُ في عين خريدةِ

وقال أعرابي: سقى الله أياماً لنا وليالياً

إذ العيشُ غضُّ والشبابُ بغرةِ

وانما آتى بالبيت والبيتين لا في اعتماد الفقرة فأوردوها وأقصد النادرة فأكتبها

وأتوخى المعنى الشريف واللفظ الظريف فأزفهما اليك وأجلوهما عليك ولو

تحدقت^(١) في المعاني وأضفتُ الى كل شىء منها شكلاً وقرنتُ اليه مثله أو أكثر

من عدد ما أورده من الأبيات لصار كل فصل من فصول كتابنا باباً طويلاً وكل

باب منه كتاباً كبيراً حتى يكون جديراً بالاملال والاضجار وداخلاً في حدِّ

الاكثر والاهذار ونعوذ بالله منهما .

وقلتُ في معنى ابن المعتز:

عليه للحسنِ رداءٌ قشيبُ

ماء شبابٍ لم يرقه المشيبُ

غابر فيه الشكل حسن رطيبُ

وأنتَ من بعدُ قضيبي قضيبي

مُعفرُ الوجهِ حريبُ سليبُ

تذكرُ إذ أنتَ قضيبي رطيبُ

خالطَ ماء الحسنِ في وجهه

إذا مشى يخطر في برده

كنتَ قضيبي البانِ لم يقتضب

فاللهو مغبر مقاديمه

(١) في الأصل (تخرقت)

خَذَ بِنَصِيبٍ مِنْ سُرُورِ الْإِصْبَا فَمَا لَشَيْخٍ مِنْ سُرُورٍ نَصِيبٌ
 وَأَوَّلُ مَنْ بَكَى الشَّبَابَ وَذَمَّ الْمَشِيبَ عُبَيْدُ بْنُ الْأُبْرَصِ فِي قَوْلِهِ :
 وَالشَّيْبُ شَيْنٌ لِمَنْ أَمْسَى بِسَاحَتِهِ اللَّهُ دَرُّ الشَّبَابِ اللَّهُ الْخَالِي
 وَقَالَ مُزَاهِمُ الْعَقِيلِيُّ (١) :

عِزَاءٌ عَلَى مَافَاتٍ مِنْ وَصْلِ خَلَّةٍ وَرَيْقُ شَبَابٍ سَلَّهُ الشَّيْبُ مِنْجَلِي
 وَمِثْلُ لَيَالِنَا بِحَطْمَةِ فَالْوَى بَلِينٍ وَأَيَّامٍ قِصَارٍ بِمَاسَلِ
 وَقَدْ أَحْسَنَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فِي قَوْلِهِ :

عَرِيتَ مِنَ الشَّبَابِ وَكَانَ غَضًّا كَمَا يَعْرِى مِنَ الْوَرَقِ التَّقْضِيبُ
 أَلَا لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ يَوْمًا فَأَخْبِرُهُ بِمَا فَعَلَ الْمَشِيبُ
 وَقُلْتُ : قَوَامٌ كَمَا شَاءَ الْمَشِيبُ مَعُوجٌ وَوَجْهٌ كَمَا لَا تَشْتَهِيهِ مُشْنَجٌ (٢)
 وَفَرَعٌ جَلَاهُ الشَّيْبُ حَتَّى كَأَنَّهَا تَعَشَّاهُ مَعْرُوفٌ مِنَ الصَّبْحِ أَيْلَجُ
 وَعَهْدِي بِهِ بِالْأَمْسِ جَوْنًا كَأَنَّهَا تَجَلَّلَهُ عَرَفٌ مِنَ اللَّيْلِ أَدْعَجُ
 لِيَالِيَّ جَاءَتْكَ اللَّيَالِيَّ عِرَائِسًا تَرُوقُ وَتَصْبِي أَوْ تَضُوعُ وَتَأْرَجُ
 حَسَانَ الْوَجُوهِ كَالرِّيَاضِ أُنَيْقَةٍ تَخْطِطُ لَهَا كَفُّ الْغَيَامِ وَتَنْسَجُ
 رِقَاقٌ جَلَايِبِ النَّسِيمِ أَرِيحَةٌ لَهَا نَكْهَةٌ كَالْمَسْكَ ابَانَ يَمْزِجُ
 وَقَالَ رُؤْبَةُ وَأَحْسَنُ فِي ذَلِكَ :

كَرَّ الْجَدِيدَانِ بِنَاوَانِطَلْقَا وَلَا يَجِدَانِ إِذَا مَا أَخْلَقَا

(١) شاعر فصيح إسلامي صاحب قصيد ورجز كان معاصراً لجرير والفرزدق ، وكانت الشعراء تقرظه ، روى أن الفرزدق دخل على عبد الملك بن مروان فقال له أتعرف أحداً أشعر منك ؟ قال لا إلا أن غلاماً من بني عقيل يركب أعجاز الأبل وينعت الغلوات فيجيد ، ثم جاءه جرير فسأله فأجابه بجوابه ، ثم جاءه ذوالرمة فسأله كذلك فأجاب بمثله جوابيهما وقال : غلام يقال له مزاحم يسكن الروضات يقول وحشياً من الشعر لا يقدر على مثله . (٢) أى تقبض جلده .

ولو يبيعان الشباب أنفقا
وقال المقنع أظنه :

وذادت عن هواه البيض بيضه
جديده واللبيس^(١) أعز منه
وقد أحسن الفرزدق في قوله :

وفي الشيب لذات نخادع نفسه
ومن قبله عيشه تعلق جادبه

ومن الشعر الجذل السهل المطيع الممتع القريب البعيد الممكن المتعذر قول النمرى :

ومنازل لك بالحي وبها الخليط نزل

أيامهن قصيرة ومروهن طويل

وسعودهن طوال ونحوهن أفسول

والمالكية والشباب وقينه وشمول

ومن أبلغ ما قيل في كراهة الشيب قول البحترى :

وددت بياض السيف يوم لقينى
مكان بياض الشيب حل بمفرقى

وقد أحسن أبو تمام الاحتجاج للشيب في قوله :

فأصغرى أن شيباً لاح بي حدثاً
وأكبرى أنى فى المهدي لم أشب

لاتنكرى منه تجديداً تجلله^(٢)
فالسيف لايزدرى ان كان ذا شطب

ولا يرو عنك ايماض القدير به
فان ذاك ابتسام الرأى والأدب

ووجدت بيتاً فاسد السبك فأصلحته وقلت :

نجوم مشيب في ظلام شبيبة
وما حسن ليل ليس فيه نجوم

وقال أبو عبد الله الاسباطى :

لا يرعك المشيب يا ابنة عبد الله
فالشيب زينة وو قار

انما تحسن الرياض إذا ما
ضحكت في خلالها الأنوار

وقال الخوارزمى - متأخر :

(١) أى الذى لبس كثيراً . (٢) فى ديوان أبى تمام «تجديداً تجلله» .

وقالوا أفق من سكرة الهموم والبصبا
فقد لاح صبح في دجلك عجيب
فقلت لهم كفوا الملام وأقصروا
فان السكرى عند الصباح يطيب
وهذا معنى مليح أظنه ماسبق اليه . وأول من تهاون بالشيب جرير في قوله :
يقول العاذلات علاك شيب^ه أهذا الشيب^ه يمنعني مراحي
وتبعه الناس فمن أحسنهم قولاً فيه ابن الرومي حيث يقول :

لاح شيبى فرحت^ه أمرح^ه فيه^ه مَرَحَ الطرفِ في العذارِ المحلى
وتولى الشباب^ه فازددت^ه غياً^ه في ميادينِ باطلى اذ تولى
إن من ساءه الزمان^ه بشيء^ه لأحق^ه امرئ^ه بأن يتسلى
وهذا من قول أحمد بن زياد الكاتب :

ولما رأيت^ه الشيب^ه حل^ه بياضه^ه بمفرق^ه رأسى قلت^ه للشيب^ه مرحبا
ولوخلت^ه أنى إن كفت^ه تحيتى^ه تنكب^ه عنى رمت^ه أن يتنكباً
ولكن إذا ما لكره^ه حل^ه تسامحت^ه به النفس يوماً كان للكره^ه أذهباً
وفي ألفاظ هذه الأبيات زيادة على معناها ، وأبيات ابن الرومي متوازنة اللفظ
والمعنى مع اصابة تشبيهه في قوله * مرح الطرف في العذار المحلى *

وقد بالغ في ذم الشيب أبو تمام فقال :
دقة^ه في الحياة تدعى^ه جلالاً^(١) مثل ماسمى^ه اللديغ^ه سليما
غرة^ه مرة^ه (٢) ألا إنما كنت^ه أغراً أيام^ه كنت^ه بهيما
وقال ابن المعتز :

لقد أبغضت^ه نفسى في مشيبي^ه فكيف^ه تحببى الخلود^ه الكعاب^ه
وقلت : فلا تعجبوا أن يعين^ه المشيب^ه فما عين^ه من ذلك إلا معيبا
إذا كان^ه شيبى^ه بغيضاً^ه إلى^ه فكيف^ه يكون^ه إليها^ه حبيبا
وقد كنت^ه أرفل^ه برد^ه الشباب^ه قشيباً^ه وأرفل^ه وشياً^ه قشيبا

(١) في ديوان أبي تمام (جلالاً) . (٢) في الديوان (غرة بهمة) .

إذا ملت ملت قضيبياً رطيباً وان صلت صلت قضيبياً قضيوباً
 ومن مليح ما قيل في الشيب وهزه النساء من صاحبه قول كشاجم :
 ضحكت من شيبه ضحكت في سواد اللمة الرجله
 ثم قالت وهي هازلة جاء هذا الشيب بأعجله
 قلت من حبيك لا كبر شاب رأسي فأنثت خجله
 وثنت جفناً على كل هي منه الدهر مكتحله
 أكثرت منه تعجبها وهي تجنيه وتضحك له
 ومن مليح ما قيل في ذلك وغريبه قول الآخر :

فظلت أطلب وصلها بتعطف والشيب يغمزها بأن لا تفعل
 وذكر مسلم بن الوليد كراهة الشيب وكراهة مفارقتة إذا جاء فأحسن حيث يقول :
 الشيب كره وكره أن يفارقتي أحب بشيء على البغضاء مودود
 فتبعه علي بن محمد الكوفي فقال :

بكي للشيب ثم بكى عليه فكان أعز فقداً من شباب
 فقل للشيب لا تبرح حميداً إذا نادى شبا بك بالذهب
 ونقله إلى موضع آخر فقال :

لعمرك للشيب على مما فقدت من الشباب أشد فوتنا
 هذا البيت مضطرب اللفظ والرصف والصنعة فاعتبره :

تمليت الشباب فكان شيباً وأبليت المشيب فصار موتنا
 وكان من تمام الصنعة أن يقول «أشد فقدا» لقوله «فقدت من الشباب». وقالت :

والشيب زور يجتوى وقربه لا يرتضى وفقده لا يشتى
 قد يشتى كل أمرى بلوغه وقل من يبلغه إلا شكا
 كأنما الشباب كان فرقة له من الأنفس حب وقل
 وقد أجاد الأعرابي في قوله في صفة الشيب : أكره ضيف وأبغض طيف أحب

غائب وأفجع آيب . وقلت :

تكلف مدح الشيبِ عندي معمرٌ ~
فقلت انظرنى أولاً منه مؤلماً
تصرم من عمرى ثلاثون حجةً
شباب أطارَ الوجدَ عنى غيابهُ
أقمت به صدرَ السرورِ فلم يرَزلُ
فطر بجناحِ اللهِ في زمن الصبا
تناولَ وخط الشيبِ أطرافَ عارضى
ومن المشهور قول دعبل الخزاعي (١) :

لا تعجبي يا سلم من رجلٍ
ضحك المشيب برأسه فبكي
ومما يحتج به للمشيب على الشباب أن الشباب قلما يبقى أكثر من أربعين سنة وقد يعيش المرء في الشيب التسعين والمائة ، وقال امرؤ القيس في ذلك :

ألا إن بعدَ الفقرِ للمرءِ قنوةً
وبعد المشيبِ طولَ عمرٍ وملبساً
وقال أعرابي : ما بال شيخ قد تحدد لحمه
أبلى ثلاثَ عمامٍ ألواناً
سوداءَ داحيةٍ وسحقٍ مغوفٍ
وأجدُّ لوناً بعد ذلك هجاناً
قصر الليالى خطوهُ فتداني
وحنونَ قائمَ ظهره فتحناني (٢)
والموت يأتي بعد ذلك كله
وكأتماً يعنى بذلك سوانا
لأعرف في وصف الشيب من أول ما يبتدىء إلى أن ينتهى أحسن من هذا ، وقوله (وكأتماً يعنى بذلك سوانا) من أبلغ ما يكون من الموعظة . وقلت :

وشباب خفَّ نازله
ليته عادَ كما كانا
ومشيب آب نازله
ليته إذ كان ما بانا

(١) شاعر متقدم مطبوع ، هجا الخلفاء ومن دونهم وهرب منهم لكيلا

ينتقموا منه . (٢) في الاصل « فتدانا ، فتحنانا » .

خانى دهر^١ وثقت به رب^٢ موثوق به خانا

وأنشدنا أبو أحمد :

وأنكرت^٣ شمس الشيب في ليل لمتي لعمرى ليلي كان أحسن من شمسى
كان الصبا والسمت بطمس^٤ نوره عروس أناس مات في ليلة العرس

ومن بديع الاستعارة في الشيب قول البحرى :

في الشيب زجر^٥ له لو كان ينزجر^٦ وبالغ منه لولا أنه حجر^٧
إبيض ما سود^٨ من فوديه وارتجعت^(١) جليلة الصبح ماقد أغفل السحر
ولفتى^٩ مهلة^{١٠} في الحب واسعة^{١١} مالم يمت في نواحي رأسه الشعر

ولا أعرف في الشيب أجمع من قول أبي تمام :

غدا الشيب^(٢) محتطاً بفودي خبطة^(٣) سبيل^(٤) الردى منها إلى النفس مهيع
هو الزور^٥ يجفى والمعاشر^٦ يجتوى وذو الألف يفتلى والجديد يرقم^٧
له منظر^٨ في العين أبيض ناصع^٩ ولكنه في القلب أسود أسفع^{١٠}
ونحن نرجيه على الكره والرضا^{١١} وأنف القى في^(٤) وجهه وهو أجدع

ومن أعجب ما سمعت في الخضاب قول بعضهم :

عجبت لما رأته غادة^١ ما بين غيد
ضحكت إذا بصرتني قد تزينت^٢ لعيد
ثم نادى^٣ جميعاً يا عتيقاً في جديد
غرنا منك^٤ خضاب^٥ قد تراءى من بعيد
لاتغالطنا فما تصـلح^٦ إلا للصدود

وقال ابن الرومى :

فدعته^١ إلى الخضاب وقالت إن^٢ دفن الميعب غير معيب

(١) في الأصل (إرتجست) . (٢) في ديوان أبي تمام (غدا الهم) .

(٣) في الديوان (طربق) . (٤) في الديوان « من وجهه » .

وقال: عذار^ه كمثل الاتحى مطر^ز
 وقد كان من صبح الشباب ممسكا
 وفرع^ه كالون العبقري^م محبر^م
 فأصبح في كف^م المشيب مكفر^م
 على الرغم من أنف الصباية مقصر^م
 من الشيب في ليل الشيبية تزه^ر
 سنى الصبح في وجه الدجنة يكشر^م
 لوائح من تحت الخضاب كأنما
 وأول من ذكر أنه شاب من غير كبر ابن مقبل^(١) في قوله :

ماشت^م من كبر^م والسكى أمرؤ^م
 فرائتها عضلا موقحة
 عاجت قرع^م نوابب الدهر
 عزت فما تسطاع بالكسر
 فلذاك صرت مع الشيبية نازلا
 في غير منزلي من العمر
 ومن أجود ما قيل في تقارب الخطو قول أبي الطمجان :

حننتي حادثات^م الدهر حتى
 قارب الخطو يحسب من رآني
 كأنني خاتل^م أدنو لصيد
 ولست^م مقيدا أني بقيد
 وقد أحسن الآخر في قوله أيضا :

الدهر أبلاني وما أبليته^م
 والدهر^م غيرني وما يتغير
 والدهر^م قيدني بقيد^م مبرم
 فمشيت فيه وكل يوم يقصر
 وقوله « وكل يوم يقصر » من أحسن العبارة عن ازدياد الضعف وتناصر الخطو
 في كل يوم . ومن أعجب ما قيل في الصلح قول الاعرابي :

قد ترك الدهر عصاتي صفصفا
 فصار رأسي جبهة^م الى القفا
 كأنما قد كان ربعا^م فعفا
 يمسى ويضحى للمنايا هدفا
 ومثله قول الآخر :

ثم حسرت عن صفاة^م نلمع
 فأقبلت^م قائلة^م تسترجم
 مارأس^م ذا إلا جبيناً أجمع

(١) هو تميم بن مقبل من بني العجلان ، مخضرم معدود في الفحول .

ومثله أيضاً :

جلاده عن أهل الهوى قبح الجلا جبين ووجه وجبين في القفا
وقال ابن الرومي في معناه بهجو رجلاً يجذب طرفه من قفاه الى وجهه :

يجذب من نقرته طرة إلى مدى تقصر عن نيته
فوجهه يأخذ من رأسه أخذَ نهار الصيف من ليله

وأشدنا أبو أحمد عن الصولي خلف بن خليفة :

وقام إلى رأسه حاذقٌ فصير من رأسه قرعه

يريك بريقاً كطست الجلا بيض كما نصب الطالعه

فما شوق عيني إلى قره كشوق يميني للصلعه

يسكاد وإن لم يردّها الضمير تشوق الحليم إلى صفعه

فعلنا عليه بأيماننا نسائله عن خبر الوقعه

وقال مالك بن أسماء :

أوارى بذيل على العقب جثتي إذا الصلغ واروا هامهم بالقلانس
تود النساء المبصراتي أنه يعار فيستأجرنه للعرائس

وقلت في مدح الخلق :

قتل الشعر من خفيف ثقيل وكثير على الرؤوس قليل

ضيق الشعر حين طال قليلاً ضامه الله من قصير طويل

إنما الخلق راحة وجمال فاشد الكف بالمريح الجميل

مأرى للحسام يصدأ حسناً إنما الحسن للحسام الصقيل

ويشبهون الرأس المخلوق بالصخرة أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر بن دريد

عن عبد الرحمن عن عمه قال كان يزيد بن الطثيرة زير نساء يتحدث إليهن فتحدث

إلى امرأة من بنى أسد فهويها وهويته فخطبها إلى أبيها فرده ، وخطبها ابن عم له

فزوجه فدخل عليها ابن عمها وهي تقول :

لم يبق إلا شبحاً وعظماً وأدمعاً تنهلُ منها سجماً
 علمت ما بي فجعوتُ عاماً من سئم الوصل تجنى الجرماً
 فنهاها زوجها أن تتمثل فأنشأت تقول :
 تمثلتُ بيتاً ثم أذريتُ دمعاً فمن لامي فيه فبدل مايا
 فما أشرف الأيفاع إلا صبايةً وما أضربُ الأمثال إلا تداويا
 فأتى الزوج أباه فأخبره فأناها أبوها فقال والله لأن تمثلت لأضربن ظهرك
 وبطنك ، فدخل عليها زوجها وهي تقول :

فان تضربوا ظهري وبطني كلاهما فليس لقلب بين جنبي ضارب
 فاستد ذلك على زوجها وهم بطلاقها وخرج مغضبا وإذا يزيد بفنائها وهو يقول :
 تراءتُ وأستارُ من البيت دونها الينا وحانت غفلة المتفقد
 بعيني مهابةً تحدرُ الدمع منها بريمين شتى من دموع واثمد
 فجمع أهل بيته واخوته وأتى أخاه واستعداه عليه فضربه أخوه وحلقه . فقال
 وهو يحلق :

أقول لثور وهو يحلقُ لمتي بعقفاء مردودٌ عليها نصابها
 ترفقُ بها ياتورُ ليس ثوابها بهذا ولكن غير هذا ثوابها
 فيأربُ يوم قد تغلل وسطها أنامل رخصات حديث خضابها
 تولى بها ^(١) ثورٌ ترفقُ كأنها سلاسل درع لينها ^(٢) وانسكابها
 وأصبح رأسي كالصخيرة أشرفتُ عليها عقابٌ ثم طارت عقابها
 وقد أحسن الفرزدقُ الاستعارة في وصف الشيب وهو قوله :

والشيب ينهض بالشباب كأنه ليلٌ يصيحُ بجانبه نهار
 ولأبي إسحق الصابي آيات في الصلع لم يسبق إلى معناها قالها على وجه المجون :
 لما رماني الزمان بالصلع وقلّ مالي وضاق متسعى

(١) رواية الاغانى « فراح بها » (٢) في الاغانى « خبؤها » .

حاسبت عن لثى مزيفها حساب شيخ للحق متبع •
 قلت له اقنع من أصل واجبها بالثلث • مما به عملت مهى
 واعمل على أنها مزارعة شكوت فيها شكاة متضع
 فاحفظ خراج الذى أصبت به واستوف منى خراج مزرع

ومما جاء فى مدح الصلغ ما أخبرنا به أبو أحمد عن ابن الأنبارى عن ثعلب
 عن ابن الأعرابى قال ألح رجل النظر الى أمير المؤمنين على عليه السلام فقال له
 الى أى شىء تنظر؟ قال الى بطن مندح وهامة صلعاء فقال عليه السلام أما البطن
 فأسفله طعم وأعلاه علم وأما الهامة فكما قال الشاعر:

بنى انا المجد آباء لهم شرفٌ مُصلعُ الرؤوسِ وسيا السؤددِ الصلغُ
 وقال آخر: كفى حزناً أنى أدب على المصا فيأمن أعدائى ويغضى أهلى
 ويوصى بنى الوغد الضعيف مخافةً على وما قام الحواضن عن مثلى
 أقيم المصا بالرجل والرجل بالعصا فما عدلت ملى عصاى ولا رجلى
 وقال محمود الوراق فى ذم الخضاب:

يشيبُ الناسُ فى زمنٍ طويلٍ ولى فى كلِّ نائثةٍ مشيبُ
 وأخفى الشيبَ جهدى وهو يبدو كما غطى على الريب المريبُ
 وقت: جريت لعارض غيث الليالى تحالك لونه فابيض جله
 وصرت تقص ما يبيض منه أتخلقه إذا ما يبيض كله
 تعز عن الشبيبة واله عنها فان الليل ليس يدوم ظله
 وخل الشيب يضحك ناجذاه فان الصبح لا يخفى مظه
 وان حلت عرى اللذات فيه فلست بعاقب ماجذ حبله

الفصل الثاني من الباب الحادي عشر

(في ذكر العلل والامراض والمرأى والتعازى والزهد)

أحسن ما قيل في الرمد قول الواثق أنشدناه أبو أحمد عن الصولى قال وجدت
مع هرون بن محمد بن عبد الملك الزيات من شعر الواثق بالله في خادم له قد اشتكت عينه :

لى حبيبٌ قد طال شوقى اليه لا أسميه من حذارى عليه
لم تكن عينه أتجحد قلى ودمى شاهد على جفنيه

ومن ههنا أخذ هذا المعنى فتدوول قال ابن الرومى أو الناجم :

قالوا اشتكت عينه فقات لهم من كثرة القتل مسها الوصب
محرتهما من دمء من قتلت والدم فى النصل شاهد عجب

ومن بديع ذلك وغريبه ما أنشدناه أبو أحمد عن الصولى أيضاً :

يكسر لى طرفاً به حمرة قد خلط النرجس فى ورده
ما حمرت العين ولكنة يكحلها من وردنى خده

أخذه من بعض أهل زمانه :

قالوا بدت فى عينه حمرة قد حازها من وردة الخد

فقلت لم يرمد ولكنة يصفح النرجس بالورد

ومن مديح ما قيل فى شكاية الحبيب قول العباس بن الأحنف (١)

زعموا لى أنها صارت تحم ابتلى الله بهذا من زعم

اشتكت أكل ما كانت كما يكسف البدر إذا ما قيل تم

ومما قيل فى اصفرار اللون من العلة قول أبى تمام :

معدن الحسن والملاحة قد أصـبح لاسقم معدناً وقراراً

(١) شاعر غزل شريف مطبوع من شعراء الدولة العباسية ، قدمه المبرد على

نظرائه وأطنب فى وصفه وقال رأيت جماعة من الرواة يقدمونه .

لم تشن وجهه الجميل ولكن جعلت ورد وجنتيه بهاره
ونحوه قول أحمد بن إسحق الطالقاني :

لقد حلت الحمى بساحة خده فأبدلت التفاح بالسوسن الغض
والأصل في ذلك قول عبد بنى الحسحاس أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا
أبو اسحق الشطبي قال حدثنا ابن أبي سعيد قال حدثنا الخزامي قال حدثنا عبد
الملك الماحشون عن يوسف بن عبد العزيز الماحشون قال كتب عبد الله بن
عامر إلى عثمان بن عفان : انى اشتريت لك عبداً حبشياً شاعراً . فكتب اليه عثمان
لا حاجة لي فيه فان قصارى الشاعر منهم أن يهجو أعراضهم ويشب بكريماتهم
فاشتراه بنو الحسحاس وكان يكسر في كلامه فقال يوسف لحدثني من رآه
في شجرة واضعاً إحدى رجليه على الأخرى يقرض الشعر وينسب بأخبث نسب ويقول :

ماذا يُريدُ السقامُ من قمرٍ كلُّ جمالٍ لوجهٍ تبعُ

ما يبتغي خابَ من محاسنها أمله في القباح متسع

لو كان يبغى الغداء قلتُ له ها أنا دون الحبيب يا وجع

ثم يقول لنفسه « أحسنك والله » يُريدُ أحسنت . وكان كما حدث عثمان
رضي الله عنه فانه ما زال يهجو مواليه ويشب بفتياتهم حتى قتلوه فضحكت منه
امرأةٌ وقد ذهبوا ليقتلوه فقال فيها :

فان تضحكى منى فيارب ليلة جعلتك فيها كالقباة المفرج

وقال أيضاً :

ولقد تحدرَ من جبين فتاتكم عرقٌ على وجه الفراش وطيبُ

ومن عجيب ما يُروى له قوله بمدح نفسه :

إن كنت عبداً فنفسى حرةٌ كرماء أو أسود اللون انى أبيض الخلق

وهذا أحسن ما مدح به أسود .

ومن أحسن ما وصف به نحول العليل قول أبى نواس الحسن بن هانيء :

ياقمرأ للنصف من شهره أبدى ضياءً ثمان بقين
ومن أحسن ما قيل في تهوين الحمى على المحموم قول محمد بن زياد الكاتب :
قالوا محمدُ محمدُ المجدُّ موجدُ الشمسُ تكسفُ ساعةً وتعودُ
فلئن مُحمت فلا مُحمت فانها داءُ الأسودِ وفي الرجالِ أسودُ
وهذا عندي أحسن من قول البحترى :

وما الكلبُ محموداً وإن طال عمرهُ ألا إنما الحمى على الأسدِ الورد
على أنه معنى مولد وشيء تدعيه العامة ولا تعرف صحته . وقلت :
وقد سرّني اني رأيتك واطناً على عقي داء تراخى فأدبرا
وقد ظلّ يبغى رائد البرء مورداً لديك ويبغى فارط السقم مصدرا
ولا غرو أن يغشاك عارضُ علة فاني رأيتُ الورد يغشى الغضنفر
ولو كنتَ نجماً ما كسفتَ وإنما كسوفك ان أمسيتَ بدرأً منوراً
ومن ذلك قول على بن العباس النوبختي :

لئن تخطتُ اليك نائبةً حطتْ بقلبي ثقلاً من الألم
فالدهرُ لا بُدَّ محدثٌ طبعاً في صفحتي كلِّ صارمٍ خذم^(١)
وفي ألفاظ هذا البيت زيادة على معناه . وقال أيضاً في رجل اعتل :
طالَ فكري تعجباً لمصوغ ذهباً كان يقبلُ الاقضاء
والحسامُ الهذاذ^(٢) يزدادُ حسناً كلما زادهُ الصقالُ جلاءً

والرغبة من هذين البيتين في معناهما وأما سبكهما ووصفهما فلا خير فيه والبيت
الثاني أصلح والبيت الأول متكلف جداً . وقال عبد الصمد بن المعذل^(٣) يذكر الحمى :
فظوراً ألقبها سُخنةً وطوراً ألقبها فسترة

(١) سيف خذم : أى قاطع . (٢) أى القطاع .

(٣) من شعراء الدولة العباسية بصرى المولد والمنشأ ، كان هجاءً شديد
العارضة ، أبوه وجده وأخوه من الشعراء .

وقد أعقت خلفي حدةً وأورثني الفها ضجره
 فلأعبد ان غاظني لطمه وللحر ان ساءني زجره
 ويربو الطحال إذا ما شبت فتعلو الترائب والصدرة
 وأمسي كآني من معدتي لبست ثيابي على ذكره
 أسائل أهلي عن سحنتي وأمنحهم نظرة نظره
 وأجزع إن قيل بي صفة وأشفق إن قيل بي حمره

ومن أجود ما قيل في الفصد قول ابن الرومي :

أيها البدر لم تزل في كمال الإبر بدراً وفي التمام هلالاً
 كيف كانت عقبى افتصادك كانت صحة مستفاداً واندمالاً
 واعتدالاً بين المزاج كما أو تبت في الخلق والخلق اعتدالاً
 فعل الله ذلك انك ما زلت لمرضى ما ارتضى فعلاً
 وفي الفصد شعر كثير ليس في أكثر ما مر بي مختاراً إلا ما أنشدته لعلي بن

عبد العزيز الجرجاني :

يا ليت عيني تحملت أملك وليت نفسي تقسمت سقمك
 أوليت كف الطيب إذ فصدت عرقك أجرى من ناظري دمك
 أعرته حسن وجنتيك كما تعيره ان لثمت من لثمك
 طرفك أمضى من حد مبضعه فالخط به العرق واغنم أملك

ومن مליح ما قيل في الزكام ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولي عن أبي ذكوان
 الجرمي قال دعا عيسى بن علي عبد الله بن المقفع الى الغداء فقال : أعزك الله
 لست يومى هذا للكرام باكيل . قال ولم ؟ قال لأنى مزكوم والزكمة قبيحة
 الجوار مانعة من عشرة الاحرار . قال وكانت عجوز من بنى عجل تقول :
 حقر من يحقر الزكام . ولم يمر بى فى الصداغ شىء ملىح أثبتته لك غير أنى سمعت
 لبعضهم أحياناً في صفر العمامة حتى أشبهت عصابة يعصب بها الصداغ وهى هذه الايات :

وقدّمت إلي وعداً بأنك مُلبسى ثياباً اليهنّ المحاسنُ تُنسبُ
فلا تعكسني منهنّ إلاّ عمامةً بأمثالها الامثالُ في النقصِ تضربُ
يقول أناسٌ لي إذا مالبستها أراسك هذا من صداعٍ مُعصّبُ

على أن رصفها ليس بمختار . ولبشار بيت حسنٌ فيهِ ذكر الصداع وهو قوله :

حلّ من قلبه محلّ شرابٍ يشتهي شربه ويخشي صداعه
وقد قارب الآخر :

لطيرتي بالصداع نالتُ فوقَ منال الصداعِ مني
وجدتُ فيه اتفاقَ سوءٍ صدعني مثل صدعني

وقنت في المعنى الأول :

يقومُ بقامة كنوانةٍ قسبٍ وينشر لحية مثلَ الشراعِ
عليه عمامةٌ قصرت ودقت فتحسبه تعصباً من صداع

وقال بعضهم في الجدرى :

وجبهٌ للحسن معدنٌ فتأمل وتبيّن
نقطٌ من جدرى كدباقي معيّن

وأما النقرس فقد مرّ بي فيه آياتٌ جيادٌ أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن
سوار بن أبي شراعة عن عبد الله بن محمد الدمشقي الكاتب عن محمد بن الفضل
ابن اسماعيل بن علي بن عبد الله أن أبا الفضل ناله نقرس في رجله فدخل إليه أبوه
اسماعيل يعوده فقال له كيف أنت يا بني ؟ فقال :

أشكو إلى الله ما أصبتُ به من ألمٍ في أنامل القدم
كأنني لم أطأ بها كبدًا من حاسدٍ سرّ قلبه إلي
والحمد لله لا شريك له لحمي للأرض بعد ما ودمي

مامن صحيح إلا ستنقله إلا يأم من صحة إلى سقم

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن المبرد وأبي العينا. قال كان أبو علي الحرّ مازي

في ناحية عمرو بن مسعدة وكان يجرى عليه فخرج عمرو الى الشام مع المأمون ومخلف
الحرمازي ببغداد لنقرس ناله فقال :

أقام بأرض الشام فاختلَّ جانبي ومطابهُ بالشام غيرُ قريب
ولاسيا من مفلسٍ حلف نقرس أما نقرسٌ في مفلسٍ بعجيب
أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن زكريا قال ذكر اعرابيُّ رجلاً قد
أثرى فقال قد تنقرس ، وذلك لقول الناس إن النقرس يعرض لذوى النعمة
والترفة ، ومنه قول الاعرابي :

فصرتُ بعدَ الفقرِ والتأيسِ يخشى على القومِ داءَ النقرسِ

وبقال للرجل العالم نقرس وللهاهية نقرس قال المتلمس * يخشى عليك من الجباء النقرس
ومن مليح النوادر ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولي عن يموت بن المزرع قال
حضر الجواز عند أبي يوماً ودخل رجلٌ فقال له ما أخرجك عنا فقال أصابني خلفه
أما ترى وجهي فقال الجواز ما بين الاختلاف على وجهك . وقال المتنبي في الحمى :

وزاثرني كأنَّ بها حياةٌ فليس تزورُ إلا في الظلام

جعلتُ لها المطارفَ والحشايا فعاقتها وباتت في عظامي

إذا ما فارقتني غسلتني كأننا عاكفان على حرام

وهذا البيت معيب لان الغسل غير مقصور على الحرام وحده بل هو من الحلال
والحرام جميعا فليس لتخصيص الحرام به وجه . وقلت في حمى نالتني :

وأخبرني رحتُ في حلة الضنى ليالي عشرًا ضامها الله من عشر

تنفضني الحمى ضحى وعشية كما اتفضت في الدجن قادمي نسر

تذرُّ على الأورس في وضوح الضحى وتبدله بالزعفران لدى العصر

إذا انصرفت جاء الصداع مشرراً فأرني عليها في الأذية والشر

وتجعلُ أعضائي عيوناً دوامعا توصل بين السكب والسجم والهمر

فمحسبه طلاً على أبقوانة وعهدى به يحكى حباباً على خمر

ولما تَمَدَّتْ عَدَتْ مِنْهَا بِحِمِيَّةٍ كَمَنْ تَرَكَ الرَّمْضَاءَ وَأَنْفَلَ فِي الْحَجْرِ
 وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا بَلَاءٌ وَفِتْنَةٌ وَضُرٌّ عَلَى الْأَحْرَارِ يَأْلِكُ مِنْ ضَرِّ
 مِنْ مَرَضِ لِمَرَضِ الْجَفُونَ : أَنْشَدَنِي أَبُو أَحْمَدَ عَنِ الصَّوَلِيِّ قَالَ أَنْشَدَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ
 ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ لِنَفْسِهِ :

تَمَارَضْتَ لِمَا لَمْ تَكُنْ لَكَ عِلَّةٌ وَقَلْتَ شَهِيدِي مَا يَطْرُقُ مِنَ السَّقَمِ
 فَلَا تَجْمَانُ سَقَمًا بِطَرْفِكَ عِلَّةً فَقَدْ كَانَ ذَلِكَ السَّقَمُ فِي صِحَّةِ الْجَسْمِ
 وَقَالَ غَيْرُهُ :

أَحْبَبْتُ مِنْ أَجَلِهِ مَنْ كَانَ يَشْبَهُهُ وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْمَعْشُوقِ مَعْشُوقٌ
 وَقَدْ جَلَبْتُ بِجَسْمِي سَقَمَ مَقْلَتِهِ كَأَنَّ جَسْمِي مِنْ عَيْنِيهِ مَسْرُوقٌ
 وَقَالَ الْأَخِيطَلُ : كَيْفَ يَضُنِّي بَعْدَ مَا كَانِ الضَّنَى عَوْنًا لِعَيْنِهِ

وَقَالَ ابْنُ الرَّومِيِّ وَقَدْ مَرَضَ فَتَخَلَّفَ إِخْوَانُهُ عَنْ عِيَادَتِهِ :
 عَلَيْكُمْ لَا يَبْعُدُ مِنْ عِلَّةٍ وَضَيْفِكُمْ لَا يَسُدُّ مِنْ خَلَلِهِ
 لَا ابْنَ جَفَوْتُمْ دَنَا الْمَمَاتُ وَلَا أَنْ زُرْتُمْ تُنْسَوْنَ فِي أَجَلِهِ
 مَا ضَرَّ بِجَفْوَتِكُمْ جَفَاؤُكُمْ بِالْأَمْسِ فِي جَسْمِهِ وَلَا أَمَلُهُ

وَأَنْشَدَنِي أَبُو أَحْمَدَ عَنِ الصَّوَلِيِّ لِمُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْبِزْيَدِيِّ :

مَالِي مَرَضْتُ فَلَمْ تَعُدْ وَرَغِبْتُ فَيْكَ فَلَمْ تَجِدْ
 الْحَبُّ يُذِيبُهُ الْأَذَى فَاحْذَرْ عَلَيْهِ وَلَا تَعُدْ

وَهَذَا شِعْرٌ مَطْبُوعٌ مُخْتَارٌ ، وَالْبَيْتُ
 فَإِنِّي رَأَيْتُ الْحَبَّ فِي الْقَلْبِ وَالْأَذَى إِذَا اجْتَمَعَا لَمْ يَلْبِثِ الْحَبُّ يَذْهَبُ
 وَقُلْتُ : وَقَدْ عَادَنِي الْإِخْوَانُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَمَا قَصُرُوا فِي الْعُرْفِ وَالْفَضْلِ وَالْبِرِّ
 فَلَمْ لَمْ تَكُنْ فِيهِمْ فَيَكْمُلُ حَسَنُهُمْ أَيَاظْمًا أَخْلَى النُّجُومَ مِنَ الْبَدْرِ
 وَإِذْ كُنْتُ لَمْ تَنْهَضْ إِلَيَّ وَلَمْ تَكُدْ فَلَمْ تَسَلْ عَنِّي فَتَخْبِرْ عَن أَمْرِي
 وَمَالِكَ لَمْ تَبْعَثْ إِلَيَّ بِأَسْطَرِ تَمَجِّجَهَا إِحْدَى يَمِينِكَ فِي ظَهْرِ

تُضنُّ بِتَسْلِيمِ وَزْرَةِ سَاعَةِ فَكَيْفَ يُرْحَى جُودُ كَفِيكَ بِالْوَفْرِ
فَإِنْ كُنْتَ لَا تَبْقَى عَلَى الْحَالِ بَيْنَنَا فَهَلَّا تُخَافُ سَوْءَ بَادِرَةِ لِلشَّعْرِ
إِذَا لَمْ تَسْكُونُوا لِلْحَقْوِقِ فَمَنْ لَهَا وَأَنْتُمْ كِرَامُ النَّاسِ فِي الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ
وَأَنْتَ إِذَا أَنْجِيتَ تَفْرَى أَدِيمَهَا فَمَا ذَنْبُ ذِي جَهْلِ فَرَى مِثْلَ مَا تَفْرَى
وَمَا لِعِدَادَةِ الْعِلْمِ تَسْذُكُرُ عِيْمَهُمْ وَأَنْتَ عَلَى أَمْثَالِ غَايِرِهِمْ تَجْرَى
وَمَنْ الْغَرِيبِ الْبَدِيعِ مَدَحِ الْمَوْتِ وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ الرُّومِيِّ :

قَدْ قُلْتَ إِذْ مَدَحُوا الْحَيَاةَ فَأَكْثَرُوا الْمَوْتَ أَلْفُ فَضِيلَةٍ لَا تَعْرِفُ
فِيهَا أَمَانٌ لِقَائِهِ بَلْقَائِهِ وَفِرَاقٌ كُلِّ مُعَاشِرٍ لَا يَنْصِفُ
وَمَنْ أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي مَكَابِدَةِ النَّفْسِ عِنْدَ الْمَوْتِ قَوْلُهُ أَيْضًا :

بَاتَ الْأَمِيرُ وَبَاتَ بَدْرُ سَمَائِنَا هَذَا يُودِّعُنَا وَهَذَا يَكْشِفُ
وَلَعَلَّ ذَلِكَ مَأْخُودٌ مِنْ قَوْلِ الْأَوَّلِ :

أَلَمْ يَبْلُغْكَ وَالْأَنْبَاءُ تَنْمَى وَلِلدُّنْيَا بِأَهْلِهَا صُرُوفُ
صَرِيعٌ لَمْ يُوسِّدْهُ قَرِيبٌ وَلَمْ يَشْرِكْهُ فِي الشُّكْوَى أَلِيفُ
يَظَلُّ كَأَنَّهُ قَمَرٌ مُنِيرٌ يَجُولُ عَلَى مَحَاسِنِهِ كَسُوفُ

ولهذا البيت رونقٌ عجيبٌ وطلاوةٌ حسنة . ومن عجيب ما جاء في وصف
المصيبة قول حذيفة بن اليمان : إن الله تعالى لم يخلق شيئاً إلا صغيراً ثم يكبر
إلا المصيبة فإنها خلقت كبيرة ثم تصغر . وهذا قول مصيب لا يُتَمَارَى به ومنه أخذ قوله :

وَمَا تَبَلَى وَجْوهَ فِي الشَّرَى فَكَيْدًا يَبْلَى عَلَيْهِنَّ الْحَزْنَ

ولأعرف في التعرّي عن المصيبة كلاماً أحسن تقسيماً من قول الأعرابي ومات له
ثلاثة بنين في يوم واحد فدفنهم وعاد إلى مجلسه فجعل يتحدث كأن لم يفقد واحداً
فليتم على ذلك فقال : ليسوا في الموت يبدع^(١) ولا أنا في المصيبة بأوحد
ولا جدوى للجزع فعلاً تلوموني . فهذه الثلاثة الأقسام لارابع لها .

وعزى رجل رجلاً وقد ولدت امرأته ابناً وماتت في نفاسها فقال أعظم الله أجرك
فيما أبادو أجزل حفظك فيما أفاد .

ولا أعرف أحداً أجاده هذا المعنى كما أجاده عبد الملك بن صالح الكاتب : أخبرنا
أبو أحمد عن الصولى قال قيل للرشيدي ان عبد الملك بن صالح يُعِدُّ كلامه ويفكر فيه
فلذلك بانته بلاغته فأنكر ذلك الرشيدي وقال هو طبع فيه ثم أمسك حتى جاء يوماً ودخل
عبد الملك فقال للفضل بن الربيع إذا قرب من سريري فقل له وُلد لأمير المؤمنين
في هذه الليلة ابنٌ ومات له ابنٌ فقال له الفضل ذلك فدنا عبد الملك فقال :
يا أمير المؤمنين سررك الله فياساءك ولاسواءك فياسرك وجعلها واحدة بوأحدة ثواب
الشاكرين وأجر الصابرين . فلما خرج قال الرشيدي أهذا الذي زعموا أنه يتصنع
للإسلام ما رأى الناس أطبع من عبد الملك في الفصاحة قط ^(١) . وعزى اعرابى
رجلاً فقال لا أراك الله بعد مصيبتك ما ينسيكها .

أحسن ما قيل في مدفون قول ابن الرومى في بستان جارية أم على بنت الراس :
الله ما ضمنت حفيرتها من حُسنِ مرأى وطُهرِ مُختبر
أضحت من الساكنى حفاثرهم سُكنى الغوالى مداهن السرر
لو علم القبر من أتيح له لانهفض القبر غير محتفر
وهذا البيت مأخوذ من قول الأوّل :

لو علم القبر من يوارى تاه على كل من يليه

وقالوا أحسن مرثية للعرب ابتداءً قول أوس بن حجر :

أيتها النفس أجلى جزءاً ان الذى تحذرين قد وقعا

وأحسن مرثية لمحدث ابتداءً قول أبى تمام الطائى :

أصم بك الداعى ^(٢) وإن كان أسما وأصبح مغنى الجود بعدك بلقما

فقال فيها : فتى كان شرّاً للعفا ومرعى فاصبح للهنديّة البيض مرتعا

(١) تقدمت هذه القصة . (٢) في ديوان أبى تمام « الناعى » .

إذا ساءَ يوماً في السكر بهمةً منظرًا تصلاهُ علياً ان سيحسنُ مسمعا
فان ترم عن عمير تداني به المدى فخانك حتى لم يجد فيك مغزعا
فما كنت إلا السيف لاقى ضريبةً فقطعها ثم انثى فتقطعها
وقالوا أرثي بيت قالته العرب قول متمم بن نويرة في أخيه مالك قتل
في الردة قتله خالد بن الوليد : أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر بن دريد عن
أبي حاتم عن الأصمعي قال كان متمم بن نويرة قدم العراق فأقبل لا يرى قبراً
إلا بكى عنده فقبل له يموت أخوك بالملأ وتبكي على قبره بالعراق ! فقال :
لقد لا منى عند القبور على البكا رفيق لتذراف الدموع السوافك
هذا البيت غير مختار الرصف عندي وفي ألفاظه زيادة على معناه :
أمن أجل قبر بالملأ أنت نائحٌ على كل قبر أو على كل هالك
فقلت له إن الشجي يبعث الشجي فدعني فهذا كله قبر مالك
يقول قد ملأ الأرض مصابه عظماً فكأنه مدفون بكل مكان . وهذا
أبلغ ما قيل في تعظيم الميت .

ومنه أخذ القائل قوله أخبرنا به أبو أحمد عن ابن الأباري عن ثعلب عن
الرياشي لرجل يرثي عمر بن عبد العزيز وهو عندي من أرثي ما قيل :
لهفي عليك للهفة من خائف كنت المجير له وليس مجير
عمت صنائعه فعم مصابه فالناس فيه كلهم ماجور
فالناس ما تمهم عليه واحد في كل واد رنة وزفير
يتنى عليك لسان من لم توله خيراً لأنك بالثناء جدير
ردت صنائعه إليه حياته فكأنه من نشرها منشور
والصحيح أن يقول «منشر» لأنه يقال انشر الله الموتى فنشروا هم .

وقالوا أرثي بيت قالته العرب قول المحدث :
على قبره بين القبور مهابةً كما قبلها كانت على صاحب القبر

وقالوا بل قول الآخر :

أراهوا ليخفوا قبره عن عدوه
فطيب تراب القبر دك على القبر

وقالوا أرثاه قول ابن منادير :

أنعي فتى الجود الى الجود
أنعي فتى مص الثرى بعده
مماثل من أنعي بموجود
بقية المساء من العود

وأخبرنا أبو أحمد قال سمعت محمد بن يحيى قال سمعت محمد بن يزيد يقول

لو سئلت عن أحسن أبيات تعرف في المرثى لم أختار على أبيات الخريبي :

ألم ترفى أبني على الليث بنية
وأعدته ذخرًا لكل ميلة
وإني وإن أظهرت مني جلادة
ولو شئت أن أبكي دمًا لبكيتيه
وأحسني عليه الترب لا تخشع
وسهم المنايا بالذخائر مولع
وصانعت أعدائي عليه لموجع
عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

وقال أبو عمرو بن العلاء أرثى بيت قول عبدة :

فما كان قيس هلكه هلك واحد
وقال خلف الأحمر أرثى بيت :

الآن لما كنت أكل من مشي
وتكاملت فيك المروءة كلها
وافترت نأبك عن شباه القارح
وأعنت ذلك بالفعال الصالح

وقال الأضمعي أرثى بيت للعرب :

ومن عجب أن بت مستشعر الثرى
ولو أننى أنصفتك الود لم أبت
وردن^(١) بما رودتني متمتعا
خلافك حتى نطوى في الثرى معا

ومن أحسن ما قيل في بقايا آثار الميت قول الحسين بن مطير^(٢) :

فتى عيش في معروفه بعد موته
كما كان بعد السيل مجراه مرتعا

(١) لعله (وبت) . (٢) في الاصل (الحسن) وهو شاعر من مخضرمي الدولتين

وفي هذه القصيدة :

أيا قبرَ معنٍ كنت أولَ حفرةٍ من الأرضِ خطتُ للسباحةِ مضجعا
وياقبرَ معنٍ كيفَ وارتيتَ شخصه ولو كان حياً ضقتَ حتى تصدعا
فلما مضى معنٌ مضى الجودُ والندى وأصبحَ عرنينُ المكارمِ أجدا
وأنا أقول إن هذه الأبيات أرتي ما قيل في الجاهلية والاسلام .

وقالوا أرتي بيت قيل قول مهلهل في كليب :

نبئتُ أنَّ النارَ بعدك أوقدتُ واستبَّ بعدك يا كليبُ المجلسُ
وتكلموا في أمرٍ كلِّ عظيمه لو كنتَ شاهدهم إذا لم ينبسوا
وكان كليب إذا أوقد ناراً لم يوقد أحدٌ ناراً ولم ينزل ضيفٌ إلا عليه وإذا
جلس مجلساً لم يتكلم فيه أحدٌ إلا هو .

وقالوا أحسن ما قيل في المرثي قول متمم بن نويرة في أخيه مالك :

وكنا كندمانى جديمةً حقةً من الدهرِ حتى قيلَ لن تتصدعا
فلما تفرقنا كأني ومالكاً لطولِ اجتماعٍ لم نبت ليلةً مما
وليس في المحدثين أحسن مرثي من أبي تمام فمن ذلك قوله :

غدا غدوة والمجد^(١) نسج رداه فلم ينصرف إلا وأكفانه الأجر^(٢)
فأثبت في مستنقع الموتِ رجله وقال لها من تحت أخمصك الحشر
فتي مات بين الضرب والطعن ميتة تقوم مقام النصر أن فاته النصرُ
فتي سلبته الخيل وهو لها حى وبزته نارُ الحرب وهو لها حجر
كأنَّ نبي نهبان يوم وفاته نجوم سماءٍ خرَّ من بينها البدرُ
مضى طاهر الاثواب لم يبق روضة غداة ثوى إلا اشتهدت أنها قبرُ
وكيف احتمالى للسحاب^(٣) صنيعة بأسقائه قبراً وفي لحده البحرُ
ولولا كراهة الاطالة لاوردت القصيدة كلها إذ ليس فيها الا مختارُ .

(١) في ديوان أبي تمام «والحمد» . (٢) في الاصل (أجر) . (٣) في الديوان (للغيوث) .

وقوله ^(١) في ادريس بن بدر السامي :

أدريس ضاع المجد بعدك كله
وضل بك المرتاد من حيث يهتدى
وتبسط كفاً في الخطوب ^(٢) كأنما
ولم أنس سعي الجود حول سريره
وقد كان يدعى لابس الصبر حازماً
وقوله في بني حميد :

عهدي بهم تستنير الأرض انزلوا
ويضحك الدهر منهم عن غطارفة
فيا الشماتة إعلاناً بأسد وغي
وقوله أيضاً: إذا فقد المفقود من آل مالك
خليلي من بعد الأسي والجوى قفا
الما فهذا مصرع البأس والندی
ألم تريا الأيام كيف فجعننا
خطون إليه من نداءه وبأسه
وقد كثرت على محاسنه في هذا الباب فما أدري ما أورد وما أترك . وقد أحسن القائل :

وسميته يحيى ليحيا ولم يكن
تيممت فيه الغال حين رزقته
الى رد أمر الله فيه سبيل
ولم أدري أن الغال فيه بفيل

وأخذ أبو تمام قول الفرزدق في جارية له ماتت وفي بطنها غلام :

* وجفن سلاح من معد رزقته : والبيت :

وفي جوفه من دارم ذو حفيظة لو أن الليالي أنسأته لياليا

(١) أى قول أبي تمام . (٢) في ديوان أبي تمام « في الحقوق » .

(٣) في الديوان (فأصبح يدعى) . (٤) في الديوان « وحسب البكا ان قلت » .

وكان وجه الكلام أن يقول « وفي جوفه ذو حفيظة من دارم » فقال أبو ثميّام
وزاد زيادةً أسقط بها بيت الفرزدق حتى صار لا قيمة له معها وهو قوله في ابنين
لعبد الله بن طاهر قد ماتا صغيرين في يومٍ واحدٍ :

نجمان شاء الله أن لا يطلعا إلا ارتداد الطرف حتى يافلا
أنّ الفجيمة بالرّياض نواضراً لا جلاً منها بالرياض ذوابلا
لو ينسيان لكان هذا غاربا للمكرّمات وكان هذا كاهلا
لهفي على تلك الشواهد فيهما لو أمهلت^(١) حتى تكون شمائلنا
لغدا سكونهما حجا وصباهما حلماً وتلك الأريحية نائلنا
أنّ الهلال إذا رأيت نموّه أيقنت أن سيكون^(٢) بدرأ كاملا
ثم قال يوسيه :

ان ترز في طرفي نهار واحد رزّين هاجاً لوعة وبلا بلا
فالتقل ليس مضاعفاً لمطية إلا إذا ما كان وهماً بازلا
ثم قال أيضاً :

شمخت^(٣) خلالك أن يؤسيك امرءٌ أو أن تذكر^(٤) ناسياً أو غافلا
إلا مواظ قادهالك سمحة اسجاح لبك سامعاً أو قائلنا
هل تكف الأيدي بهزّ مهنّدٍ إلا إذا كان الحسام الفاصلا
وقالوا ليس للعرب مرثية أجود من قصيدة كعب بن سعد التي يرثي فيها أخاه
أبا المغوار ويقول فيها :

أتى دون حلو العيش حتى امرءٌ تُنكوبٌ على آثارهنّ تُنكوب
هوت أمه ما يبعثُ الصبح غاديا وماذا يؤدي الليل حين يؤوب
حليمٌ إذا ما الحلم زين أهله مع العلم في عين العدو مهيب

(١) في الأصل « قد أمهلت ». (٢) في ديوان أبي تمام « سيعود » .

(٣) في الأصل (شمخت) . (٤) في الأصل (أو كان يذكر) .

هوت أمه ماذا تضمن رحله
 فعتى أريحي كيف بهتر للندی
 حليف الندى يدعو الندى فيجيبه
 فان تكن الأيام أحسن مرة
 وحدتها في انما الموت بالقرى
 وقال فيها: وداع دعا نمان يجيب الى الندى
 فقلت ادع أخرى وارفض^(١) الصوت مسمعا

ومن عجيب المرأى قول الرقاشى فى البرامكة :
 الآن استرحنا واستراحت ركابنا
 وقل للعطايا قد أمنت من السرى
 وقل للمنايا قد ظفرت بجمفر
 وقل للعطايا بعد فضل تعطلى
 ودونك سيفاً برمكياً مهنداً
 ومن جيد المرأى قول الآخر :

سأبكيك للدينيا والدين انى
 ربيع إذا ضن الغام بمائه
 وقد أحسن أبو الحسن بن الانبارى القول فى ابن بقیة^(٢) حين صاب :
 علو في الحياة وفى المات
 كأن الناس بعدك حين قاموا
 رأيت يد المعروف بعدك شلت
 وليث إذا ما المشرفية سلت
 وبحق أنت^(٣) احدى المعجزات
 وفود نذاك أيام الصلات
 وهذا البيت مأخوذ من قول ابن المعتز فى عبد الله بن سليمان حين توفي :
 وصلوا عليه خاشعين كأنهم
 قيام خضوع للسلام عليه

(١) المعروف «وارفع الصوت» . (٢) كان برا جواداً ، نقم عليه عز الدولة أمراً
 فقبض عليه وممل عينيه ، ولما ملك عضد الدولة صلبه (٣) وفى رواية (لحق تلك) .

كَأَنَّكَ قَائِمٌ فِيهِمْ خَطِيئاً
 مَدَدْتَ يَدَيْكَ نَحْوَهُمْ جَمِيعاً
 وَمَا ضَاقَ بَطْنُ الْأَرْضِ عَنْ أَنْ
 أَصَارُوا الْجَوْقَ قَبْرَكَ وَاسْتَنَابُوا^(١)
 فَلَمْ أَرَ قَبْلَ جَذْعِكَ قَطُّ جَذْعاً
 وَمَنْ جَيِّدٌ مَا قِيلَ فِي عَظْمِ شَأْنِ الْمَيِّتِ قَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَزِ:

هَذَا أَبُو الْقَاسِمِ فِي نَعَشِهِ
 قَوْمُوا انظُرُوا كَيْفَ تَزُولُ الْجِبَالُ
 وَقَوْلُ أَبِي تَمَامٍ:

بَنِي مَالِكٍ قَدْ نَيْهَتْ خَامِلَ الثَّرَى
 رَوَاكِدَ قَيْدِ^(٢) الْكُفِّ مِنْ مَتَنَاوِلِ
 وَقَلْتُ: سَائِلُ الْقَبْرِ كَيْفَ أَضْمَرْتَ قَدْساً
 مِنْ رَأْيِ الْبَدْرِ بِالْتَرَابِ تَوَارَى
 وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ وَأَحْسَنُ:

تَعَالَوْا نَزُرْ قَبْرَ السَّمَاحَةِ وَالرَّفْدِ
 لَقَدْ عَشْتُ لَمْ يَمَلُقْ بِفِعْلِكَ ذِمَّةً
 وَقَالَ أَيْضاً:

أَلَسْتَ تَرَى مَوْتَ الْعَلِيِّ وَالْحَمَامِدِ
 وَلِلدَّهْرِ أَيَّامٌ يُسْتَنْ عَوَامِداً
 وَقَالَ دَعْبَلُ بْنُ عَلِيٍّ الْخُرَازِيُّ:

حَنَطْتَهُ يَا نَصْرُ بِالْكَافُورِ
 هَلَا يَبِيعُضُ خِلَالَهُ حَنَطْتَهُ
 وَرَفَعْتَهُ لِلْمَنْزِلِ الْمَهْجُورِ
 فَيَضُوعُ أَفْقَ مَنَازِلِ وَقَبُورِ

(١) فِي رِوَايَةٍ (وَاسْتَعَاذُوا). (٢) فِي الْأَصْلِ (وَذَا كَمْ مَشْرِفَاتٍ).

(٣) فِي الْأَصْلِ (رَوَاكِدَ قَيْسٍ).

وقلت: على الرغم من أنف المكابر والعلو
 ألم تر أن البأس أصبح بعده
 فمرا على قبر المسود وانظرا
 فان بك واره التراب فكبرا
 ولا تسأما نوحاً عليه مُكرراً
 فما كان قيس هلكه هلك واحد
 ولا تحسبا أنى أواريه وحده

ومن بارع المرأى قول ديك الجن الحمصى :

مات حبيب فمات ليث
 سمّت عيون الردى إليه
 ماأمك اجتاحت المنايا
 كل فؤاد عليك أم

ومما جاء فى صفة القبر قول الشاعر :

ورسم دار مُقفر الجنب
 يزداد عمراناً على الخراب

وقالوا أصدق ما قيل فى صفة الدنيا قول أبى نواس :

إذا امتحن الدنيا لييب تكشفت
 له عن عدو فى ثياب صديق

وهو مأخوذ من قول جرير فى وصف النساء :

دعين الهوى ثم ارتمين قلوبنا
 بأسهم أعداء وهن صديق

وقالوا بل أصدق ما قيل فى صفة الدنيا قول الأول :

حُتوفها رصد وعيشها نكد
 وصفوها رتق وملكها دول

وقلت : ما بال نفسك لانهوى سلامتها
 فأنت فى عرض الدنيا ترغبتها

دار إذا أت الآمال تعمرها
 جاءت مقدمة الآجال تخر بها

أصبحت تطلب دنيا لست تدر كها
 فكيف تُدر ك أخرى لست تطلبها

ومن جيد ما قيل فى الزهد قول ابن المعتز :

نسيرُ إلى الآجال في كلِّ لحظةٍ
 ولم أرَ مثلَ الموتِ حقاً كأنه
 وقلت: ألسَتَ ترى موتَ العالو والفضائل
 فما المنايا أغفلتُ كلَّ ناقصٍ
 على الرِّغمِ من أنفِ العلاءِ سبقَ الردى
 على أنَّ من أبقتهُ ليسَ بخالدٍ
 رأيتُ المنايا بينَ غادٍ ورائحٍ
 ولم أرَ كاللدينا حبيباً مُضرةً
 وقال ابن المعتز:

كم بدارِ الموتِ من ذى إربةٍ
 ومُلوِكٍ بليتِ أيديهم
 وقلت: فتمعجتُ كيفَ لانهدرُ الموتُ
 عجزتُ منه على الموتِ الحيلُ
 ولقد كانتُ مطايا للقبلِ
 وأنفاسنا خطانا إليه

وقرأت للجاحظ كلاماً مفقود النظر معدوم الشبيه لا أعرف لأحد مثله
 وهو: أيها المستدل على أمور الدنيا كفاك بها على نفسها دليلاً ويومها لك من
 غدها تشبيهاً وتمثيلاً تالله لقد أطلعتك بمؤلفاتها على حدوث تأليفها وأبمدت لك
 الصانع بآثار صنعته فيها ووقفتك على معرفة كمالها بما توافى فيك من أجزائها
 ودلتك بتحليل المركبات فيها على التحلل تركيبها. ووقفتك بقطع الشمس والقمر
 قطرها على إدارها وانقطاعها فكشف لك انتهاء حدودها عن تنهاى أمدها وأبان
 لك دؤوب أطراد نهارها وليلها وتتابع دوران بروجها ونجومها وتعاقب أزمنة
 بردها وحرها واعتدالها وحركات نيرانها ورياحها ومياها أنها مسوقة محشوة
 إلى أمدها كما تحس براياها بالأوقات الجارية إلى آجالها. ثم قال وتحدث ما تخوفك به
 طوارق أحداثها وتوطنك على إيطان جثمانها حدثاً من أحداثها لاتمسك منها
 بعروة الإلشهدت على أشكالها فأبى نصيحة أصدق لك من نصيحتها أو عظة أشقى

وأبلغ من عظمتها أو شهادة أصح وأعدل من شهادتها بالفناء على نفسها ، ألم تر أجزءها مؤتلفة بالاجتماع مختلفة بالطباع يهلك بعضها بعضاً ويعود إربامها نقضاً ، فيا ناسياً للصخر وتهدمه وللحديد وثامه واثقاً ببقاء لحمه ودمه ومساءفاً لشبهه وقرمه إذ كر أن جسدهك وشيكا مفارقك وأنه وإن جدته مخلقتك وأنتك تطلقه في شهواته ويوثقك وتبقى عليه من التعب ويوبقك ففيم تشتغل به عن مصلحتك وعلام تتكل في عقبيك - إلى أن قال وتقوى على الزهد فيما يتنافسه الجهال بذكر الموت وفجأته وبغائته ووضوح آياته وغموض ميقاته وانخزال الحالة عن دمه وبأس النفوس من منعه عند غوصه عليها في الابدان وتحليله لها من الأَعْظَم والأَعْصاب والعروق واللحم والاهاب حتى يسوقها من الاغراض والأوصال سياتي رهاق مضيق للحناق محقق للفراق مؤيس من التلاق عند إحساسه بموت جسده عضواً فعضواً وفقدان قوته جزءاً جزءاً أو هي تمرح في الصدر حشرجة وفي الجوانح رجرجة وفي اللهوات غرغرة وفي الخلقوم خرخرة بالترزع الجاذب والعلان الكاذب والفُواق الدائب والانفاس الذواهب فهناك تنفس الصمعداء وتوقد البرحاء وفي سمعه وبصره بقية يرمق بها أولاده يتامى ونساءه أيامى وأموا له نهى وجموعه شتى ووجوه الشامتين به مشرقة والدموع من أحبته مستبقة والجيوب عليه مشققة والشعور مقطعة والحدود باللطم مبقعة وذلك غير عائد عليه ولا عليهم بمنفعة في كلام طويل .

ومن جيد ما قيل في إفضاء السلامة بصاحبها الى الهلاك قول النمرين تولب :
 تدارك ما قبل الشباب وبعدهُ حوادث أيام - تمرُّ وتغفلُ
 يودُ الفتى طولَ السلامة والغنى فكيف ترى طولَ السلامة تعقل
 يرد الفتى بعد اعتدال وصحة ينوءُ إذا دام القيام ويحملُ
 وقيل لرجل من الاوائل : ما كان سبب موت أخيك ؟ قال كونه فأحسن ما شاء .
 وقال بعضهم في معناه :

ما بالُ من آفته بقاؤهُ نغصَ عيشي كله فناؤهُ

وقال آخر في نحوه :

فإنَّ الداءَ أكثرَ ما تراهُ من الأَشياءِ تحلُّو في الخلقِ
ومن جيد ما قيل في موت الولد قول ابن الرومي :

بكاؤُ كما يشفي وإن كان لا يجدي فجوداً فقد أودى نظيرُ كما عندي
توفي حمامُ الموتِ أوسطَ صبيتي فله كيف اختارَ واسطةَ العقدِ
طواه الردي عنى فأضحى مزاره بعيداً على قرب قريباً على البعدِ
عجبت لقلبي كيف لم ينفطر له ولو أنه أقسى من الحجر الصلدِ
وماسرني أن بعته بثوابه ولو أنه التخليد في جنة الخلدِ
ولا بعته طوعاً ولا مكرهً غصبتَه وليس على ظلم الحوادثِ من معدى

وأما موت الأُخ فقد روينا فيه خبراً مديحاً أخبرنا به أبو طاهر محمد بن يوسف
قال أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن بكر قال حدثنا أيوب بن سليمان قال حدثني
يوسف قال حدثنا صهيب بن محمد قال حدثنا إسماعيل بن عمرو قال حدثنا إسماعيل
ابن عياش عن عبد الله بن دينار قال قدم لقمي من سفرٍ فلقي غلاماً له فقال
له ما فعل أبي؟ قال مات قال ملكت أمري فما فعلت أمي؟ قال ماتت قال ذهب همي
قال فما فعلت أختي؟ قال ماتت قال سترت عورتني قال فما فعلت امرأتي؟ قال ماتت قال
جدد فراشي قال فما فعل أخي؟ قال مات قال: أوه انقطع ظهري انتهى .

وذكر قدامة بن جعفر أن أبا جعفر المنصور لما دفن ابنه جعفر الأصغر قال للربيع

كيف قال مطيع بن إلياس فأنشده :

يا أهل بكونا لقلبي القريح وللدُموع الذوارفِ السفنج
راحوا بيحي ولو تطاوعني الأقدار لم تبتكر ولم ترح
ياخير من يحسن البكاء له الـيوم ومن كان أمس للمدح
قد شمت الحزن بالسرور وقد أدبل مكروهه من الفرح

فبكى المنصور ثم قال : صاحب هذا القبر أحق بهذا الشعر ، ثم أذن للناس فدخلوا
ونصبت الموائد فلم يقدر أن يمد يده من الجزع الذي كان خامره فقام شبيب بن
شيبه فأنشده قول الثقفى في ابنه على وكان شرطة عبيد الله بن العباس باليمن فقتله
بشر بن أرطاة فقال يرثيه :

لعمرى لقد أودى ابنُ أرطاةَ فارساً بصنماءَ والليث الهزبر أبى الأجر
تأمل فان كان البكا رداً هالكاً على أحدٍ فاجهدُ بكاك على عمرو
فسررى عنه وأكل مع الناس ورفع الحزن مع رفع الطعام .

ومن عجيب المراثى قول الأشجم :
مضى ابن سعيد حين لم يبق مشرق
وما كنت أدرى ما فواضل كفه
فأصبح فى لحد من الأرض ميتاً
سأبكيك ما فاضت دموعى وإن تغض
كأن لم يمت حتى سواك ولم تقم
لئن حسنت فيك المراثى وقيلها
وما أنا من رزء وإن جلّ جازع
وأنشدنا أبو القاسم عبد الوهاب بن ابراهيم قال أنشدنا العقدى قال أنشدنا

أبو جعفر عن المدائنى لعرفجة بن شريك يرثى أوساً :

رأيت المنايا تصطفى سرّواتنا كأن المنايا تبتغى من تغاخره
فما كان قيساً عاجزاً غير أنه حتى أنفه من أن يضيع مجاوره
وطاب لورد الموت نفساً ولم يخم وقد ضاق بالنكس اللثيم مصادره
فصادف رق الموت حراً ميمداً إذا سئل المعروف لانت مكاسره
حتى أنفه أوس ولم يثن وجهه ويفنى الحياء المرء والرمح شاجره
ومن ههنا أخذ أبو تمام قوله :

وقد كان فوت الموت سهلاً فرَدَّه عليه الحفظ المرث والخلق الوعر
وعزى ابن السماك الرشيد عن ابن له مات فقال : أما بعد فإن استطعت أن
يكون شركك لله حين أخذه أكثر من شركك لله حين وهبه فافعل فإنه حين قبضه
أحرز لك هبته ولو بقي لم تسلم من فتنته ، عجيباً لجزعك على ذهابه وتلفك على
فراقه أرضيت الدار لنفسك فترضاها لولدك أما هو فقد خلاص من السكر وبقيت
معلقاً بالخطر والسلام .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدًا لا يحصى عدده ولا يبلغ أمده ، وصلواته على سيدنا ونبينا محمد
وآله الطاهرين المختارين وسلم .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

(في صفة أشياء مختلفة يختم بها كتاب ديوان المعاني وهو :)

﴿ الباب الثاني عشر منه فأول ذلك ﴾

﴿ القول في الحنين إلى الأوطان ﴾

أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن عسل بن ذكوان قال قال أبو سرح سمعني
أبو دلف أنشد :

لا يمنعك خفض العيش في دعة نزوع نفس إلى أهل وأوطان
تلقى بكل بلاد أنت ساكنها أهلاً بأهل وجيراناً بجيران

فقال: هذا الأُم بيت قالته العرب. قال أبو هلال رحمه الله: النزوع ههنا ردى. والجيد النزاع، وإنما جعل أبو دلف هذا البيت الأُم بيت لأنه يدل على قلة رعابته وشدة قساوة وحنين الرجل إلى أوطانه منقبة من علامات الرشد لمسافيه من الدلائل على كرم الطينة وتمام العقل. وقالت الحكماء: حنين الرجل إلى وطنه من علامات الرشد. وقال بزرجهر: من أمارات العاقل بره بأخوانه وحنينه إلى أوطانه ومداراة لاهل زمانه. وقال أعرابي: لا تشك بداء فيه قبائلك ولا تجف أرضاً فيه قوالبك. وقالت العرب: أكرم الخليل أشدها خوفاً^(١) من السوط وأكس الصبيان أشدهم بغضاً للمكتب وأكرم الصغايا أشدها حنيناً إلى أوطانها وأكرم المهارة أشدها ملازمة لأمهاتها وأكرم الناس آفهم للناس. وقديين الله تعالى فضل الوطن وكلف النفوس به في قوله تعالى (وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اقْرَبُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ) فجعل خروجهم من ديارهم كقتلهم لأنفسهم ومنه قوله تعالى (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْهُمُ آلِهَتَكُمْ لَمْ يَقُولُوا سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَوَكَّلْنَا عَلَى اللَّهِ رَبِّنَا أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ) وقوله تعالى (وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبْنَاكَ فِي الدُّنْيَا) فجعل إخراجه إياهم من ديارهم بدلاً من العذاب المستأصل لهم لشبهه به عندهم. وقال بعض الحكماء: الخروج من الوطن أحد السبابين والجلاء أحد القتلين. وقال يحيى بن أبي طالب:

إذا ارتحلت نحو اليمامة رفقته^٢ دعاني الهوى وارتاح قلبي إلى الذكر
يقولون إن الهجر يشفى من الهوى وما زددت إلا ضعف ما بي على الهجر
وكان كثير من العرب ممن يعتزى إلى فضل كرم لا ينتجعون وكذلك
كانت قريش. وقال الحارث بن ظالم:
رفعت الرَّمح^(٢) إذ قالوا قريش^٣ وشبهت الشائل والقبابا^(٣)

(١) سقط من الأصل «خوفاً» أو ما بمعناها. (٢) في الأغاني «السيف»

(٣) في الأغاني «وينت الشائل والعتابا»

ولو أنى أطاوعُ كنتُ فيهمُ وما سيرتُ أتبعُ السحاي
وقال الحويدرة (١).

وتقيمُ في دار الحفاظ بيوتنا زمناً ويظنُّ غيرنا للأمرع
والأمرع جمع لا واحد له من لفظه ، وكانوا يسمون منزلهم دار الحفاظ لأنهم
كانوا يقيمون فيه لقرى الأضياف وإعطاء الفقير وصلة المسكين وابن السبيل .
وقال أبو تمام : كم منزل في الأرض يأفقهُ الفتى وحينئذُ أبدأُ لأول منزل
وقد قالت الهند : حرمة بلدك مثل حرمة أبويك لان غذاءك منها
وغذاءهما منك . وقال آخر : أرض الرجل ظنُّره وداره مهده . وقال آخر : الحنين الى
الوطن من رقة القلب ورقة القلب من الرعاية والرعاية من الرحمة والرحمة من كرم
الفطرة وكرم الفطرة من طهارة الرشد وطهارة الرشد من كرم المحتد قال الشاعر :
لقربُ الدَّارِ في الاقتار خيرُ من العيشِ المُوسَّعِ في اغتراب
وقال جالينوس : يتروح العليل بنسيم أهله كما تتقوت الحبة ببيل المطر إذا
أصاب الأرض . وقال أفلاطن : غذاء الطبيعة من أنجع أدويتها . وقال : يداوى
كل عليل بمعايير أرضه فان الطبيعة تتطلع الى هوائها وتنزع الى غذائها . وقلنا :
ليس الانسان أقنع بشيء منه بوطنه لانه يتبرم بكل شيء ردىء ويتدمم من
كل شيء كربه إلا من وطنه وان كان ردىء التربة كربه الغذاء ولولا حب الناس
للأوطان لخرب أخابث الأرض والبلدان ، قال الشاعر :

ألا ليت شعري هل تحنُّ ناقتي بصحراء من نجران ذات ثرى جعد
وهل تنفضنَّ الريحُ أفنانَ لمتى على لاحقِ الأطلين مطمر ورد
وهل أردن الدهر حسمى مزاحم وقد ضربتهُ نفحةُ من صبا نجد
وذكر ابن الرومي العلة التي يحب الوطن لاجلها وليس له في ذلك امام إلا

(١) في الاصل «الحويدرة» بالخاء المعجمة وهو غلط ، ويقال له الحادرة لقب غلب
عليه ، والحويدرة تصغيره (والحادرة الضخم) واسمه قطبة الثعلبي وهو شاعر جاهلي مقل .

أحمد بن اسحق الموصلي فانه قال :

أحبُّ الأرضَ تسكنُها سليمي
وما دهرى يحبُّ ترابَ أرض

وقال ابن الرومي :

ولي وطنٌ آليتُ أن لا أبيعهُ
عهدتُ به شرحَ الشبابِ ونعمةً
فقد أفتتُه النفسُ حتى كأنهُ
وحببَ أوطانَ الرجالِ إليهم
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم
وقد ضامني فيها اللئيمِ وغرني
فان أخطأني من يمينك نعمة
وقلت في نحو من ذلك :

ثوى في حفرةِ العاناتِ يمنُ
وإن تهوَّ البقاعِ فليس غرواً

وقال ابن الرومي :

فإذا تصور في الضميرِ وجدتهُ
وعليه أفنانُ الشبابِ ميمدُ

وقيل لأعرابي كيف تصنع بالبادية إذا اشتدَّ القيظُ وانتعل كل شيء ظلُّه ؟
فقال وهل العيش إلا ذلك يمشى أحدنا ميلاً ويرفض عرقاً ثم ينصبُ عصاهُ ويلقي
عليها كسائه ويجلسُ يكتبال الريح فكأنه في إيوان كسرى . وذكر أعرابي
بلدُهُ فقال رملَةٌ كنتُ جنين ركامها ورضيع غمامها . وقالت أعرابية : إذا كنت
في غير أهلِكَ فلا تنس نصيبك من الدلِّ . وقال الشاعر في معناه
* نصيبك من دلِّ إذا كنت خاليا * وقلت :

حسبتُ الخيرَ بكثيرٍ في التنائي
فكأنَ الخيرُ أ كثر في التداني

ذَكَرْتُ مَقَامَنَا بِسِرَاةٍ حَزْوَى فَسَرْتُ مَعَ الْوَسَاوِسِ فِي عَنَانِ
 أَلَا لِلَّهِ حَزْمٌ وَأَصْطَبَارٌ تَقَاسَمَهُ • بِنِيَاتِ الزَّمَانِ
 عَزِيزٌ أَمْرُهُ نَوَى شَطُونِ فَظَلَّ مِنَ الْمَهَانَةِ فِي ضَمَانِ
 يَنَاطُ إِلَى الْعَزِيزِ إِذَا تَبَوَّى بِمَنْزِلِ غَرْبَةِ طَرْفِ الْهَوَانِ
 وَقَالَ آخِرٌ : يَحْنُ اللَّيْبُ إِلَى وَطْنِهِ كَمَا يَحْنُ النَّجِيبُ إِلَى عَطْنِهِ . وَقَلْتُ :
 إِذَا أَنَا لَا (١) أَشْتَقُ أَرْضَ عَشِيرَتِي فَلَيْسَ مَكَانِي فِي النَّهْيِ بِمَكِينِ
 مِنَ الْعَقْلِ أَنْ أَشْتَقَ أَوَّلَ مَنْزِلِ عَنَيْتُ بِخَفْضِ فِي ذُرَاهُ وَلَسِينِ
 وَرَوْضِ رِعَاهُ بِالْأَصَائِلِ نَاطِرِي وَغَصْنِ ثَمَاهُ بِالْفَسَادَةِ يَمِينِي
 وَقَالَ ابْنُ الْمَوْلَى :

سُرِّرْتُ بِجَمْعِهِ وَالْقَرَبِ مِنْهُ كَمَا سُرَّ الْمَسَافِرُ بِالْأَيَابِ
 كَمَطُورِ بَيْلَدَتِهِ فَأَضْحَى غَنِيًّا عَنِ مَطَالَعَةِ السَّحَابِ
 وَهُوَ مِنْ قَوْلِ الْآخِرِ :

فَكُنْتُ فِيهِمْ كَمَطُورِ بَيْلَدَتِهِ فَسَرَّ أَنْ جَمَعَ الْإِوْطَانَ وَالْمَطْرَا
 وَفَضَّلَ بَعْضُهُمُ السَّفَرَ عَلَى الْمَقَامِ وَاحْتَجَّ بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى (عَلِيمٌ أَنْ سَبَّحُوا
 مِنْكُمْ مَرَضَى وَآخِرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَنْتَفِعُونَ مِنْ فَضْلِ
 اللَّهِ وَآخِرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) قَالَ فَقَسَمَ الْحَاجَاتِ فَجَعَلَ أَكْثَرَهَا
 فِي الْبُعْدِ ، وَقَالَ تَعَالَى (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ
 وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ) قَالَ فَأَخْرَجَ الْكَلَامَ مَخْرَجَ الْعُمُومِ وَلَمْ يَخْصِ أَرْضًا
 دُونَ أَرْضٍ وَلَا قَرْبًا دُونَ بَعْدٍ ، وَيُنْشَدُ فِي هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ أَبِي تَمَامٍ :

وَطُولُ مَقَامِ الْمَرْءِ فِي الْحَيِّ مَخْلُوقٌ لِدِيَابِجَتِهِ فَاغْتَرَبَ تَتَجَدَّدُ
 فَانِي رَأَيْتُ الشَّمْسَ زَيْدَتْ حُبَّةً إِلَى النَّاسِ إِذْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بِسَرْمَدُ
 وَقَالَ (٢) فِي الْحَثِّ عَلَى الْأَسْفَارِ وَالطَّلَبِ وَالتَّزْهِيدِ فِي الْمَقَامِ وَالدَّعَاةِ : الرَّاحَةُ

(١) فِي الْأَصْلِ « لَمْ » وَيُصَحَّ « لَمْ أَشْتَقُ لِأَرْضٍ » . (٢) كَذَا .

عقلةٌ والبركاتُ في الحركاتِ وهن على دماغه في الصيف غلتِ قدره في الشتاء .
 وقال عبد الله بن وهب : حبُّ الهويننا يكسب الضنى ، وقال أبو المعافى :
 وإنَّ التواني أنكحَ العجزَ بنته وساقَ إليها حينَ أنكحها مهرا
 فراشاً وطيباً ثمَّ قال لها اتكى فقُصراً كالأبدِّ أن تلد الفقرا
 وقال نُهيك بن أساف :

أُمُّ نُهيكٍ إرفعى الطرفَ صادقاً^(١) ولا تياسى أن يثرى الدهر بائس
 سيغنيك سعي^(٢) في البلادِ وغربى^(٣) وبعلى التي لم تحظَ في البيتِ^(٤) جالس
 وأخبرنا أبو أحمد عن ابن دُرَيْدٍ عن أبي حاتم عن الأصمعي قال قال أكرم بن
 صيفى : ما بودنى أنى مكفى وأنى أسمنت وألنت ، قيل ولم ذاك قال مخافة عادة العجز .
 وفي الحديث المرفوع « سافروا تغنموا »^(٥) وقال الشاعر وذمَّ طول الضجعة :

فانْ تَأْتِيَانِي بِالشَّوَاءِ وَتَلْمَسَا مَكَانَ فِرَاشِي فَهوَ بِاللَّيْلِ بَارِد
 وَقَالَ آخِرُ : أبيضُ بَسَّامٌ يَرُودُ مُضْجِعِهِ وَالقَمَّةُ الْفَرْدُ مَرَاراً تُشْبِعُهُ

وقال الخطيئة يهجو القعود والراحة :

دع المسكارمَ لا ترحلْ لبغيتها واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى
 وقال أبو عبادة البحتري :

وقد سألتُ فما أُعطيتُ مرغيةً وكان حقى أن أُعطى ولم أسئل
 أرمى بظنى ولا أعدو^(٦) الخطاءَ به فاعجب لاخطاءِ رامٍ من بنى نُعْمَل
 أسيرُ إذ كنت في طولِ المقامِ بها أ كدى لعلى أجدى عند مُرتحملى
 شرق وغرب فعهد العاهدين بما طالبت في ذملان الأينق الذمل

(١) في الأغانى (صاعدا) . (٢) في الأغانى (سبرى) . (٣) في الأغانى
 (ومطلي) . (٤) في الأغانى (في الحى) . (٥) روى هذا الحديث بألفاظ
 مختلفة وزیادات لأحمد والطبرانى والحاكم وغيرهم .

(٦) في ديوان البحتري « فما أعدو » .

ولا تغفل أمم شتى ولا فرق (١) فالأرض من تربة والناس من رجل
وقال بشار بن برد :

تخاف المنايا إذ ترحل صاحبي كأن المنايا في المقام يناسيه
أخذه من قول الأعمش : * وكم من رد أهله لم يرم * والأول أجود سبكا
وأفصح لفظاً . وأخبرنا أبو أحمد عن الجوهرى عن أبي زيد قال قال أبو الحسن .
كان خالد بن عبد الله القسرى يُطعم الأعراب في حطمة أصابتهم في كل يوم
يُطعم ثلاثين ألف إنسان خبزاً وسويقاً وتمرّاً فقيل لأعرابي لو أتيت خالداً فإنه
يُطعم الأعراب فقال :

يقول ابن حجاج تجهز ولا تمت هزالا بجران تعاوى كلابها
فقد خبر الركب أن جديده تباح ورغفانا شباعاً رغائبها
وماء فرات ما شتهيت وقرية تدب ديب النمل فيك شرابها
فأقسم لا أبتاع رغفان خالد بأرواح نجد ما أقام ترابها
إذا باحت بالعرمتين وصارة رياح الخزامى حين تندى رحابها

وأخبرنا أبو أحمد قال حدثنا أبو بكر بن دريد قال حدثنا الفضل بن محمد
العلاف قال لما قدم بغاييني نمر كنت كثيراً ما آتيهم فلا أعدم أن ألقى منهم
الفصيح فحنت يوماً إليهم في عقب مطر فاذا شاب جميل قد نهكه المرض فليس
به حراك وإذا هو ينشد :

ألا ياسنى برق على قلل الحمى ليهنك من برق على كريم
لمت اقتداء الطرف والقوم هجع فهبجت أسقاماً وأنت سقيم
فهل من معير طرف عين خلية فانسان طرف العامرى كليم
رمى قلبه البرق المياني رمية بذكر الحمى وهنا فبات بهم
قال فقلت ان فيابك لشغلاً عن الشعر قال صدقت ولكن البرق أنطقى .

وقال عبد الله بن محمد القعسي :

ألا ليت شعري هل آيتن ليلة
وهل أحدٌ باد لنا وكأنه
يحول^(١) السراب الطلح بيني وبينه
فاني لأرعى النجم حتى كأنني
وأشتاق للبرق اليماني إذا بدا
وله أيضاً :

ومن حاجتي لولا الحياء وأنني
مسيرى مع الفتيان في طلق الهوى
فلم يبق من تلك^(٢) اللذازة عندهم
وقال أعرابي :

أُمغترباً أصبحت في رآ مهراً مز
إذ أراح كعب مصعداً أن قلبه
وان الكئيب الفرد من أيمن الحمى
تفوقت ذرات الصبا في ظلاله
إذا هب علوى الرياح استمالى
ومما يجرى مع ذلك قول الآخر :

إذا عقد القضاء عليك أمراً
فمالك قد أومت بدار ذل
تبلغ بالكفاف فكل شيء
وقال امرؤ القيس :

وقد طوّفت في الآفاق حتى

رضيت من السلامة بالاياب

(١) في الأصل (يحب) . (٢) في الأصل «ذاك» .

وقال البحرى :

وكان رجائى أن أؤوب مملكاً فصار رجائى أن أؤوب سلماً

﴿ فصل فى مدح الاخوان ﴾

من أحسن التشبيه فى مدح الأخ ما^(١) أنشدنى أبو على بن أبى حفص عن جعفر بن محمد :

أخ لي كأيام الحياةِ أخاؤه
تلون ألواناً على خطوبها
إذا عبتُ منه خلةٌ فهجرته
دعتنى إليه خلةٌ لأعيبها

وقال البحرى :

قدمت فأقدمت الندى يحمل الرضا
ووجئت كما جاء السحاب^(٢) محرراً
فعدت بك الأيام وهى كواكب^(٣)
وما أنسَ لأنسَ اجتذابك همتى
فياخيراً مصحوب إذا أنا لم أقم^(٤)
بشرك فاعلم أننى شرٌّ صاحب
وكتب بعضهم : لست أذم من أيامنا إلا قصرها وطول الحسرة على أثرها .

وقريب من المعنى الأول قول الآخر :

خليل إذا ماجت أبغيه حاجة
بلوت رجالاً بعده فى إخوانهم
رجعت بما أبغى ووجهى بمائه
فما ازددت إلا رغبة فى إخوانه

وقال دعبل بن على :

أخ لى عاداه الزمان فأصبحت
متى متذوقه التجارب صاحباً
مذممة فيما لديه المطالب
من الناس رده اليك التجارب

وقال ابراهيم بن العباس :

(١) «ما» ساقطة من الأصل . (٢) فى ديوان البحرى (الربيع) .

(٣) فى الديوان «الايام زهراً كأنها» . (٤) فى الديوان (وترتيبى أخص المراتب) .

ومؤمل للنائب إذا هب الزمان بأذنه هباً
لما رأى تهب حادثة جعل الذخائر دونها نهبا

وقال أيضاً :

ولسكن الجوادَ أبا هشام وفي العهد مأمونُ المغيبُ
بطيءُ العهد ما استغنيت عنه وطلاعُ عليك مع الخطوب
والبيتُ الأخير يشير إلى قول جرير * وإني لعف الفقر مشترك الغنى *
ونحوه قول إبراهيم أيضاً :

أسدٌ صار إذا هيجته وأبٌ برٌّ إذا ماقدرا
يعرفُ الأبعدُ إن أترى ولا يعرفُ الأذى إذا ما افتقرا
وقال أيضاً :

ولسكنَّ عبدَ الله لما حوى الغنى وصارَ له من بين أخوانه مالٌ
رأى خلةً منهم تسدُّ بماله فساهمهم حتى استوت بهم الحال
ونحوه قوله أيضاً :

بدا حينَ أترى بأخوانه ففعل عنهم شبهاه العدم
وذكره الحزمُ غيباً الأمور فبادرَ قبلَ انتقالِ النعم
ومما هو في هذا السبيل ما كتب بعضهم : ماشخصتُ حتى شخص عقلي فصار
عديلك واستقل ودى فأضحى زميلك ولا مطمع لي في مستقرهما حتى تستقر
النوى بك وتحقق الأمانى فيك ولك . وقال أبو تمام :

ليالى نحنُ في غفلات عيش^(١) كأنَّ الدهرَ منها في وثاقٍ
وأياماً لنا وله^(٢) لدانا عريناً^(٣) في حواشيها الرِّفاقِ
وفي هذا الموضوع أيضاً قوله :

(١) في ديوان أبي تمام «سنبكى بعده غفلات عيش» . (٢) في الأصل «ولهم» .

(٣) في الأصل «عربيا»

أَيَّامَنَا مَا كُنْتُ إِلَّا مُوَاهِبًا وَكُنْتُ بِإِعْمَافِ الْحَبِيبِ حَبَابًا
سَنَفَرْتُ مُتَجِدِّدًا لِمَهْدِكَ فِي الْبُكَاءِ فَمَا كُنْتُ فِي الْأَيَّامِ إِلَّا غَرَابًا

وقلت في فضل الصديق على القريب :

رَأَيْتُ بِالْوَدِّ عَنِ الْقَرِيبِ غَنَى وَصَاحِبِ الْوَدِّ^(١) حُسَامٌ مُنْتَضِي
وَلَيْسَ بِالْقَرِيبِ عَنِ الْوَدِّ غَنَى يَزِينُ فِي السَّلْمِ وَيَكْفِي فِي الْوَعَى
وقلت أيضاً في قوله :

لَيْسَ حَدُّ الْحُسَامِ أَكْفَى وَأَغْنَى مِنْ أَخِ ذِي كَفَايَةِ وَغَنَاءِ
وَأَخُ الْمَرْءِ عَصَمَةٌ فِي بَلَاءِ يَعْتَرِيهِ وَزِينَةٌ فِي الرَّخَاءِ
وقال شبيب بن البرصاء :

إِذَا الْمَرْءُ أَغْرَاهُ الصَّدِيقُ بَدَّالَهُ بِأَرْضِ الْأَعْدَى بَعْضُ أَوْلِيَانِهَا الرِّبْدُ
وَمَنْ أَجُودَ مَا قِيلَ فِي الْأَغْضَاءِ عَنِ الْأَخِ قَوْلُ النَّابِغَةِ :

وَلَسْتُ بِمُسْتَبِقٍ أَخًا لَا تَلَهُهُ عَلَى شَعَثِ أَيِّ الرِّجَالِ الْمَهْدَبُ
وقال بشار بن برد :

إِذَا كُنْتُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مَعَاتِبًا صَدِيقُكَ لَمْ تَلْقَ الَّذِي لَا تَعَاتِبُهُ
فَعَشَّ وَاحِدًا أَوْ صِلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ مُقَارِفُ ذَنْبِ مَرَّةٍ وَمَجَانِبُهُ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مَرَارًا عَلَى الْقَدَى ظَلَمْتُ وَأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهُ
وَقَالَ آخَرُ : إِبْسَ أَخَاكَ عَلَى تَصْنُوعِهِ فَلَربَّ مُفْتَضِحٍ عَلَى النَّصِ
مَا ظَلْتُ أُفْخِصُ عَنْ أَخِي ثِقَةً إِلَّا ذَمْتُ عَوَاقِبَ الْفَحْصِ
وقال آخر :

وَمَنْ ذَا الَّذِي تَرْضَى سَجَايَاهُ كُلَّهَا كَفَى الْمَرْءَ نَبْلًا أَنْ تُتَعَدَّ مَعَاتِبُهُ

وكتب الصاحب في فصل : وتمثلت لي أخلاقك التي لولاها لم يسلس المساء
ولم يرق الهواء ولم ترع الحقوق والذمم ولم يعرف المجد والكرم أخلاق جدد غير

أخلاق لا تأخذ الأيام جدتها ولا تشهج الليالي بردتها .

وهن جيد ما قيل في اظهار الرغبة في الاخوان قول أبي فراس بن حمدان :

قل لآخواننا الجفأة رويداً إذ رجونا إلى احتمال الملال
ان ذاك الصدود من غير جرم لم يدع في موضعاً للوصال
أحسنوا في وصالكم أو فسيثوا لا عدمناكم على كل حال

وقلت في معناه :

كم قد منحتك حسناً وليس منك جزاءً
ترى يضرُّك أن لو يكون منك وفاءً
لا تبلننا بصدود إن الصدودَ بلاءً
بل مالنا منك بدًّا فاصنع بنا ما تشاء

وأنشدنا أبو أحمد :

اذكر أخانا تولى الله صحبته إني وإن كنت لألقاه ألقاه
الله يعلم أني لست أذكره وكيف يذكره من ليس ينساه

وقال الخريبي :

أخ لي كذوب الشهيد طعم إخائه إذا اختلفت بيض الليالي وسودها
كأمنية الملهوف حزماً وناثلاً وعوناً على عماية أمر يكيدها
له نعم عندى ضعفت بشكرها على أنه في كل يوم يزيدها
تحمل عني شكرها فأراخي وللشكر مرقاة كزود صعودها

وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدني أبو إسحق الشطبي قال أنشدنا حماد الرأوية^(١) :

(١) هو حماد بن سابور بن المبارك ، كان عالماً بأيام العرب وأخبارها وأنسابها وأشعارها ولغاتها . ولد في الكوفة وجال في البادية ودخل الشام فخطب عند بني أمية ، قال له الوليد الأموي : بم استحققت لقب الراوية ؟ قال باني أروى لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعت به ، ثم لا ينشدني أحد شعراً قديماً أو محدثاً إلا

تصفحتُ إخواني بعينِ عنايةٍ فأصلحتُ منها كلَّ ما أفسدَ الدهرُ
وأرضاك عفو الشكر دونَ اجتهادهِ وفي دونِ مأوليتِ ما اجتهدَ الشكر
ومن مليح ما قيل في مدح الزمان :

رَقَّ الزَّمانُ لفاقتي ورثي لطولِ تحرُّثي
فأنالني ما أشتهي وأراحَ مما أتقى
فلا عُفْرانٌ له الكثيرُ من الذنوبِ السَّبِّقِ
حتى جنابتهُ بما فعلَ المشيبُ بمفرقي

﴿ في ذم الاخوان والرفقاء ومايجرى مع ذلك ﴾

من قديم ما يروى في ذلك قول لبيد بن ربيعة :
ذهب الذين يُعاشُ في أكنافهم وبقيت في خانفٍ كجلدِ الأجرِبِ
وضمَّنه جحظة البرمكي فقال :

قومٌ أحاولُ نيلهم فكأنتي حاولتُ تنفَ الشعرِ من آناهم
قم فاستنيتها بالكبيرِ وغنَّني ذهبَ الذين يُعاشُ في أكنافهم
وأنشدنا أبو القسم عن المُقدِّى عن أبي جعفر لأبي الشيص :

وصاحب كان لي وكنتُ له أشفق من والدٍ على ولدٍ
كنا كساقٍ يمشى بها قدمٌ أو كذراعٍ نيطتُ إلى عضدٍ
حتى إذا دانت الحوادثُ من خطوى وحلَّ الزمان من عقدي

ميزت القديم من المحدث ، قال فكم مقدار ما تحفظ من الشعر ؟ قال كثير ولكني
أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات
من شعر الجاهلية دون الاسلام ، قال سأمتحنك في هذا ، فأنشدني ضجر الوليد
فوكل به من يثق بصدقه فأنشده ألفين وتسعمائة قصيدة للجاهلية ، وأخبر الوليد
بذلك فأمر له بمائة ألف درهم - كما في الاغانى وغيره .

• أحول عني وكان ينظر من
عيني ويرمي بساعدي ويدي
وكان لي مؤنساً وكنت له
ليس بنا حاجة إلى أحد
حتى إذا استرفدت يدي بده
كنت كاسترفد يد الأسد

ومن جيد ما قيل في ذي الوجهن :

تعاشرني ضحكاً كأنك ناصح
لسانك لي شهيدٌ وقلبك علقم
أراك إذا لم أهو شيئاً هويته
عدوك يخشى صوتي إن لقيته
وكم موطن لولاي طحت كما هوى
كأنك إن قيل ابن عمك غانم
بدا منك غش طالما قد كتتمته
وقريب من ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد قال أخبرنا الصولي قال أخبرنا أبو
ذكوان عن الرياشي قال سمعت أبا عبيدة يقول دخل رجل الكوفة فنزل بال
عطارذ فلم يضيفوه ورأى لهم أبنية عالية فقال ارتجالاً :

تناهوا برفع الدُّور حتى كأنها
فليسوا بفتيان الساحة والندي
فقد أصبحت أضياف آل عطارذ
وخاصاً مطاياها خفافاً عباها
ومن ذلك قول الشاعر :

لعمري لقد أعطيت بُرداً وحلة
وما يك من خير فما استطيعه
وعراك من ثوب الساحة سالبه
وقال يزيد المهلبي :

فاذا غنيت فكلمهم لي خاتل
وما أكثر أحد في ذم الزمان أكثر إبراهيم بن العباس فمن جيد قوله :

• كم أخ كان مني فلما أن رأيت الدهر جفاني جفاني
 مستعداً لي بسهم فلما أن رأيت الدهر رماني رماني
 وقال غيره: إحدَرَ مودَّةَ ماذقِ شابِ المرارةِ بالحلاوةِ
 يُحصي العيوبَ عليك أيـسـامَ الصداقةِ للعداوةِ

وقال إبراهيم :

بلوتُ الزَّمانَ وأهلَ الزَّمانِ وكلُّ بلوِّمٍ وذمٍّ حقيق
 فأوحشني من صديقِ الزمانِ وأنسى بالعدوِّ الصديق
 وقوله: أخ كنت آوى منه عند أدكاره إلى ظلِّ آباءٍ من العزِّ باذخ
 سعت نوبُ الأيامِ بيني وبينه فأقلعنَ منا عن ظلومٍ وصارخ
 وإني وإعدادي لدهري محمداً ككتمس إطفاءَ نارٍ بنافخ

وقال بعضُ الجعفرين :

إنَّ الجديدينَ في طولِ اختلافهما لا يفسدانَ ولكن أفسدَ الناس
 فلا يفرنك أضعافُ مزملةٍ قد يُركبُ الدبرَ الدامي باحلاس
 قالوا هو من قول زفر بن الحارث :

وقد ينبتُ المرعى على دَمِ الثرى وتبقى حزازاتُ النفوسِ كماها

قالوا يعنى الرجل يظهر لك الود ويضمخ خلافه كالنبات الحسن ينبت على
 القدر فيصير رائق الظاهر خبيث الباطن ، وقال آخرون : الدمنة حيث تنزل
 الابلُ فتدمن بالأبوال والأبعار فلا تنبت شيئاً فإذا طال عليه العهد وسفته الرياح
 وأصابته السماء نبت بعد حين ، فيقول قد ينبت ذاك وهو مما لا ينبت ويتغير
 بالنبات وتبقى حزازات القلوب لا تتغير ، وهذا التفسير هو الصحيح لأن ألفاظ
 البيت تقتضيه والأول فاسدٌ لأنه ليس على مقتضاها .

وقال أبو فراس بن حمدان في ذم الاخوان فأجاد :

تناساني الأصحابُ إلا عُصيبةً ستلحقُ بالأخرى غداً وتحولُ

فمن قبلُ كانَ الغدرُ في الناسِ سبَّةً
وفارق عمرو بن الزبير شقيقه^(١)
ومن ذا الذي يبقى^(٢) على الدهر إنهم
وصرنا نرى أن المتارك محسنٌ
أقلبُ طرفي لا أرى غير صاحبِ
وقلت: إلى كم تستمرُّ على الجفاء
فمن لي أن أرى لك مثلَ فعلي
ألا إني لأعرفُ كلَّ شيءٍ
عريتَ من الوفاءِ وليس بدعاً
فان ترجع إلى الحسنى وإلا
وإن كانَ التقاربُ ليس يُجدي
وأشدنا أبو أحمد قال أنشدني ابن لذكك البصرى لنفسه يذم الزمان:

يا زماناً أليسَ الاحـرارَ ذلاً ومهاناً
لست عندي زمان
إمّا أنتَ زمانه
وقلت: زمانٌ كثوب الغول فيه تلونٌ
وقال آخر في خلاف ذلك:

أرى حلالاً تصانُ على رجال
يقولونَ الزَّمانُ به فسادٌ
وأعراضاً تهانُ فلا تصانُ
وهم فسدوا وما فسدَ الزَّمانُ

وأشدنا أبو أحمد قال أنشدنا أبو بكر بن دريد:

مشى فوقه رجلاه والرأس تحته
فكبَّ الأعلى بارْتِفاعِ الأسافلِ

وقال أبو الشعر موسى بن سحيم:

متى ما تفكر في الزَّمانِ وأهلِهِ
تقل لآعبٌ هذا وليسَ بلاعبِ

(١) في ديوان أبي فراس « خليله ». (٢) في الديوان « وإن الذي يبقى ».

وأنشدنا الآخر أيضاً :

تبدلَ هذا الدهرَ فيمارَ جَوتهِ على أنه مَفيماً أحاذره نَدب
وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا جحظة لمحمد بن يعقوب بن داود :
لا تعجبك عمامتى فالفقرُ من تحتِ العمامةِ
والفقرُ في زمنِ اللثا م لكلِّ ذى كرمِ علامه
وقلت في قريب منه :

وليسَ ينفكُ كسُخانُ يجاذبنا علامةُ الحرِّ أن يبلى بكسُخان
وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا جحظة البرمكي لنفسه :

ربُّ قد ضاقت النفوسُ وقد قلتُ الحيلُ
فلكُ لا يدورُ إلا بما تشتهي السفلُ

وقال أبو تمام :

على أنها الأيامُ قد صرنَ كلها عجائبٌ حتى ليسَ فيها عجائبُ
ومن عادةِ الأيامِ أنْ صرَّوفها إذا سرَّ منها جانبٌ ساءَ جانبُ
وقال قابوس بن شمكير :

قلْ للذي بصروفِ الدهرِ غيرنا هل عاندَ الدهرُ إلا من له خطرُ
فإنْ تكنْ نُسبتُ أيدي الزمانِ بنا ومسننا من تهادى بؤسه ضررُ
ففي السماءِ نجومٌ غير ذى عدد^(١) وليسَ يكسِفُ إلا الشمسُ والقمرُ
أما ترى البحرَ يعلو فوقه جيفٌ وتستقرُّ بأقصى قعره الدررُ
وقريبٌ من هذا ماقلته :

إن كنتَ تسلم من شعبِ الزمانِ ولا أعطى السلامة منه كلما شغبنا
فالعاصفاتُ إذا مرَّتْ على شجرٍ حطمته وتركن البقلَ والعشبا
وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا جحظة البرمكي لنفسه في المعنى الأول :

يقولون زُرنا و اقضِ واجبَ حقنا وقد أسقطتْ حالي حقوقهمُ عنى
إذا أبصروا حالي ولم يأنفوا لها ولا لهم منها أنفتْ لهم منى

وأنشدنا أبو علي بن أبي حفص قال أنشدنى أبو جعفر للعطوى ^(١) :

لِي خَمْسُونَ صَدِيقًا بَيْنَ قَاضٍ وَأَمِيرِ

لَبَسُوا الْوَفَرَ فَلَمْ أَخْلَعْ بِهِمْ ثَوْبَ الْفَقِيرِ

كَلِمَةٌ كَلَّ لِي الْخَيْرَ مَانَ بِالصَّاعِ الْكَبِيرِ

ومن ههنا أخذ ابن الرومي قوله :

سَأَلْتُ قَفِيزِينَ مِنْ حَنْطَةِ فَجَدْتِ بَكْرًا مِنَ الْمَنْعِ وَافِي

وقد تقدم . وقلت :

أَلَيْسَ صَعْبًا أَنْ تَرَى كَاشِحًا مَالِكُ بُدٍّ مِنْ مَدَارَاتِهِ

أَصْبَحْتَ فِي دَارِ إِسَاتِهِ أَعْدَادِ أَنْفَاسِي وَسَاعَاتِهِ

وأنشدنى عم أبى لأبى الأسد الدينورى ^(٢) :

لَيْتَكَ أَدَّبْتَنِي بِوَاحِدَةٍ تَقْنَعُنِي مِنْكَ آخَرَ الْأَبْدِ

تَحَلَّفُ لِي لِاتَّبِرْتَنِي ^(٣) أَبَدًا فَانَّ فِيهَا بَرْدًا عَلَى كَبْدِي

أَشْفَ فَوَادِي مَنِي فَانَّ بِهِ عَلَى قَرْحًا ^(٤) نَكَاتِهِ يَدِي

أَنْ كَانَ رَزَقِي إِلَيْكَ فَارَمَ بِهِ فِي نَاطِرِي حَيَّةً عَلَى رَصْدِ

فَكَيْفَ أَخْطَأْتُ لِأَصْبَتُ وَلَا تَهَضَّتْ مِنْ عَشْرَةٍ إِلَى سَدِّ

(١) هو محمد بن عبد الرحمن بصرى المولد والمنشأ ، كان كاتباً شاعراً فى الدولة العباسية ، له فن من الشعر لم يسبق إليه ذهب فيه إلى مذهب أهل الكلام ففارق جميع نظرائه وخف شعره وروى واستعمله الكتاب وجعلوه إماماً .

(٢) شاعر مطبوع من بنى شيبان متوسط الشعر من شعراء الدولة العباسية

كان مداحاً هجاءً مليح النواذر . (٣) فى الأغاني « تحلف أن لاتبرنى » .

(٤) فى الأغاني (منى جرحاً نكاته) .

لو كنتُ حُرّاً كما زعمتُ وقد
 لكنني عدتُ ثم عدتُ فان
 قد صرت من سوء ما بليت به
 وقلت: العين تذرف والغواد يذوبُ
 ولقلة الكرماء أنت مُضَيِّعٌ
 تالله لم تخطئك أسباب الغنى
 فاصبر فقد عزّك عن درك الغنى
 عابوا قطوبى ان تعذرَ مطلبي
 وشحوب جسمى من مواصلة السرى
 واقدم يدك على كمال كرامتى
 ولقد جلا حزنى وفرّج كربى
 لاتلمبنّ فمن ورائك طالبٌ
 وقال أبو تمام:

هب من له شيءٌ يُريدُ حجابَهُ
 مازال وسواسى لقلبي خادعا
 ما ان سمعتُ ولا أرانى سامعاً
 ما كنت أدرى لادريت بأنه

كددتني بالمطال لم أعهد
 عدت إلى مثل هذه فعد
 أكنى أبا السكاب لأبا الاسد
 والوجد يحضر والعزاء يغيبُ
 ولكثرة الجهال أنت غريب
 إلا لأنك عاقلٌ وأديب
 أن ليس يدركه أغرٌ نجيبُ
 أرايت بدرأ ليس فيه قطوب
 هل من هلالٍ ليس فيه شحوب
 أنى الى قلب الكريم حبيب
 أن اللثيم لرؤيتى مكروب
 ومن العجائب لآعبٌ مطلوب

(فصل فيما قيل فى فضل الوعد ومدح الانجاز)

أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا الصولى قال حدثنا ابن زكريا عن ابن دينار قال
 حدثنا محمد بن عبيد الله العتيبي قال كلم منصور بن زياد يحيى بن خالد بن برمك
 فى حاجة لرجل فقال عده عنى قضاءها فقال وما يدعوك أعزك الله إلى العدة مع وجود
 القدرة؟ فقال له يحيى هذا قول من لم يعرف موضع الصنائع من القلوب إن الحاجة اذا

لم يتقدمها موعد ينتظر به تمجدها لم تتجاذب الألفس بسرورها ولم تتلذذ بتناولها
 وإن الوعد تطعمم والإنجاز طعام . وليس من فاجأه طعام كمن وجد رائحته وتمطق
 له وتطعمه ثم طعمه فدع الحاجة تحتم بالوعد ليكون لها عند المصطنع حسن موقع
 ولطف محل وحلاوة فوق .

وأخبرنا أبو أحمد قال حدثنا الصولى قال حدثنا أحمد بن يزيد المهلبى قال
 أخبرنا البحترى عن خارجة بن مسلم بن الوليد عن أبيه قال سألت الفضل بن سهل
 حاجة فقال أسوفك اليوم بالوعد وأحبوك غداً بالإنجاز فإني سمعت يحيى بن خالد
 يقول المواعيد شباك الكرام يصطادون بها محامد الاخوان وإن كان المعطي لا يعد
 لارتفعت مفاخر إنجاز المواعيد وبطل فضل صدق القول . وقال عيسى بن ماهان
 جلسائه أنى أحب أن أهب بلا وعد وأحب أن أعد لا أخرج بالإنجاز من جملة الخلفين
 وأدخل في عداد الوافين ويؤثر عنى كرم المنجزين فإن من سبق فعله وعده وصف
 بكرم فرد وسقط عنه جميع ما ذكر . وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى قال أخبرني
 عون بن محمد قال ذكر العتابي المأمون فقال إنه ألقه معروفه عندي بالوعد وتبجه
 بالذبح وأرضعه بالزيادة وشيبهه بالتههدوهره باستتمامه من جهاته وهناه بترك الامتنان به .
 ومن عجيب ما جاء في الحث على الإنجاز ما حدثني به أبو أحمد عن الصولى
 عن يموت بن المزرع قال حدثنا عبد الصمد بن المزدل قال شكارجل جمعفر بن
 يحيى الى أبيه بأنه وعده ومطله به . فوقع : يا بنى أنتم معاقل الاحرار ومظان المطالب
 ومعادن الشكوى فكونوا سواء في الأقوال والأفعال فإن الحر يدخر وعد
 الحر ويعتقده وينفقه قبل ملكته فإن أخفق أمله كان سبباً لدمه واتهامه وسوء ظنه
 حتى يوارى قبح ذلك وحسن تقيته فأنجذ الوعد والإقصار القول فإنه أعذر والسلام .
 وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن محمد بن يونس عن الحميدى عن سفيان
 قال سمعت الزهرى يقول : حقيق على من أزهى بالوعد أن يشر بالفعل .

ومن جيد ما مدح به المنجز قول أبي تمام :

نُومُ أبا الحسين وكان قدما فتي أعمارُهُ موعده قصار
 تحنُّ عداته أثر التقاضى وتنتج مثلُ ما تنتج العشار .
 وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن المغيرة بن محمد قال كلم المأمون في الحسين
 ابن الضحاك الخليع أن يردَّ عليه رزقه فقال المأمون : أليس هو القائل في الأمين :
 فلا فرحَ المأمون بالملك بعده ولا زال في الدنيا طريداً مشرداً
 فما زالوا به حتى أذن له أن ينشده فأنشده :

أبن لي فاني قد ظمئتُ الى الوعدِ متى تُنجز الوعدَ المؤكد بالعهدِ
 أعينك من صدِّ الملوك وقد ترى تقطع أنفاسي عليك من الوجد
 فاني شفيعٌ عندَ حُسنك غيره ولا سببٌ إلا التمسك بالودِّ
 أبيضلُ فردَ الحسنِ فردُ صفاتهِ عليّ وقد أفردته بهوى فرد
 فاستحسن الناسُ هذا التشبيب فلما قال :

رأى الله عبد الله خير عباده فما كهُ والله أعلم بالعبد
 قال هذه بتلك وقد عفونا عنك . فقال يأمر المؤمنين فأتبع عفوك باحسانك
 فأمر بردَّ أرزاقه عليه وكانت في كل شهر خمسمائة دينار فقال المأمون لولا اني
 نويت العفو عنه وجعلت ذلك وعداً له من قبل ما فعلته ، وإنما ذكر العهد في
 تشبيهه فذكرنيه . وما أحسن مقاله بعضُ ملوك العجم : البخل بعد وعد يُضعف
 قبحة على البخل قبله فما قولك في أمر البخل أحسن منه وأجمل .

﴿ ما قيل في الضحك والبشر عند السؤال ﴾

أول من أتى بذلك زهير في قوله :
 تراه إذا ماجتته مُتهللاً كأنك مُعطيهِ الذي أنت سائله
 ولو قال مكان « إذا ماجتته » « إذا مسألته » لكان أجود .
 ومن الجيد في ذلك قول أبي نواس :

بشرهم قبل النوال اللاحق
كالبرق يبدو قبل جود دافق
والغيث يخفي وقصته المرامق
وأخذ أبو تمام هذا فقال :

يستنزِلُ الأمل البعيد يبشره
وكذا السحائبُ قلما تدعو إلى
وتبعه البحترى فقال :

كانت بشاشتك الأولى التي بدأت
كالمزنة استؤنفت أولى مخيلتها
وقال أبو عبد الله القطريلي قلت للبحترى وقعت دون أبي تمام في هذا المعنى
فقال لعمرى ولكن سأرضيك فيه فقال في أبي الصقر :

يوليك صدر اليوم قاصية الغنى
سوم السحائب ما بدأن بوارقا
والرعد لا يكون إلا ومعه الغيث فكانه قال إلاثنين موافراً ثم رده فقال :
إنما البشرُ روضةٌ فاذا أعقب بدلاً فروضةٌ وغديرٌ
وقال البحترى :

ملكٌ عندهُ على كلِّ حال
وكأننا من وعدهِ ونداهِ
وقال : ضحكات في إثرهنَّ العطايا
وله أيضاً :

متهلَّلٌ طلقٌ إذا وعدَ الغنى
كالمزن إن سطعت لوامعُ برقه
وأشدنا أبو أحمد قال أنشدنا الصولى لنفسه :

لست تلامي سائلاً بردٌ تعيد بشر سوّدد وتبدي
 كالبرق يأتيك أمام الرعد بشري الغيوب بحباب رعد
 يلقى بك الطالب نجم السعد بلغت في الاعمار أقصى العد

﴿ فصل في تسمية الأشعار ﴾

عمى عبد كان للاحول على أبي صالح محمد بن عبيد الله بيتاً غلط فيه ورسمه :

نظيف خفيف نظيف فايق نظيف مقيل بعاب نظيف
 طريف مدل فايق نظيف فايق مقبل نظيف فايق
 رشيق بدر معلب لمن نظيف مهذب معشوق نظيف

مهذب ملاحظ رشيق مغاضب نظيف . فأخرجه وكان البيت :

إذا قلت أسلو دامت العين بالبكا دماءً وحقها مدامعٌ حفلٌ

وكان الجواب الصادر :

ألا أيها الشخص الذي كان نزهةً يخصصه ستر من الله مسبلٌ
 لماذا هتكت الست عنك تعمداً ولست بحمد الله ممن مجهلٌ
 رأيتك قد عميت بيتاً رسمته بكل خطأ فهو مثلك أحولٌ
 وكان لتبول الفؤاد معذبٌ أخي حسرة بالهجر والصد يقتل

فقال وقد رام السلو فلم يجد وبات كئيباً بالياً يتململ

إذا قلت أسلو دامت العين بالبكا دماءً وحقها مدامعٌ حفلٌ

وعنى حمزة الأصفهاني على أبي جعفر محمد بن أيوب بيتاً رسمه :

نرجس خيري بنفسج حاحم شاهسفرم اقحوان نسرين

نسرين اقحوان نسرين مرزنجوش ورد ياسمين نسرين

زعفران تمام سوسن أفرنحمشك آس منشور مرزنجوش

بنفسج بلحية ياسمين مرزنجوش نسرين تمام منشور

خيرى منشور اقحوان زعفران سيسنبر خزامي بنفسج مرزنجوش. فأخرجه وكان البيت:

كفي حزناً أن الجواهَ مُقْتَرٌ عليه ولا معروفَ عند بخيل
فكان الجواب الصادر:

فذاك أبا يعلى أخ لك لم يزلْ بعدك ذخراً عند كل جليل
إلى أن قال:

فقال وقد جاب البلاد فلم يجد أختاً ثروة يسخى له بقتيل
كفي حزناً أن الجوادَ مُقْتَرٌ عليه ولا معروفَ عند بخيل

ومن أحسن ما قيل في هذا قول أبي سعيد الأصفهاني وقد عمى عليه زياد بن

جعفر الهمداني بيتاً فأخرجه وكان الجواب:

إذا العارضُ السحُّ بالوبلِ جادا وأنزلَ غيثاً أغاثَ البلادا
وأسرجَ فيه وميضُ البروقِ مصابيحَ تزهَرُ منه اتقادا
وثج (١) فما شكَّ ذو ناظرٍ رأى سيله أن فيه مزادا
فعمَّ بشربوبه سادتي وخصَّ بأغزرِ سقى زيادا
زياد بن جعفر المستجارٍ لصفِ الزمانِ إذا ما نادى
فداؤك نفسى وإن سميتى غناءً طويلاً حماني الرشادا
أتنتى الطيورُ فساترنى بيت تعمت فيه عنادا
إلى أن تمكنتُ من صيدها وقد صدتها إذ عرفت المصادا
وقلتُ لها غردى بالذى كتمتِ فأسرعن نحوى انقيادا
وأنشدتُ بيتاً معادَ الفصولِ ولست ترى فيه معنى مُعادا
ومن ذلَّ قلٌّ ومن قلَّ ذلٌّ ومن سادَ جادَ ومن جادَ سادا
أردتُ سقاطى فما نلتُهُ فنلتُ المنى وبلغتُ المرادا
وأبقاك ربي • بقاء النعمِ عليك وملاك منه وزادا

(١) أى سال .

وكتب إلى أبي عبد الله جعفر بن القاسم السرخي جواباً عن معنى :

دمعى على الخلد سكبُ ونارُ شوقٍ تشبُّ
 وليس يبقى على ما يلقاه قلبي قلب
 لله عهد الليالي إذ مورد العيش عذب
 واذ شبابي لذنِّ وغصنُ قدي شطب
 يا جعفر القوم يامن يدعى إذا جلَّ خطب
 فذاك عبدٌ مشوقٌ إلى لقاءك صبُّ
 أبعدتني وسواءُ بعدُ لديَّ وقرب
 أخلاط طيب أتتني منها يبيسُ ورطب
 قربتها نار طبع يدوم والنار تخبو
 عودٌ ومسكٌ ذكيٌ وعنبرٌ مستحبُّ
 أوردتها نار فكري ففاح شرقٌ وغرب
 وهبٌ للفهم منها روائحٌ لا تهبُّ
 فلت بالشَّمِّ مالم ينله عُجمٌ وعرب
 بيتا كما اهتزَّ روضٌ أو أكل الوشى عصب
 شيبٌ وسنٌّ وجهل هذا لعمرك صعب
 بجعفرٍ وأخيه نال الورى ما أحبوا
 نفسى فدام وما قد أهلٌ بالحج ركب
 ذنبي انقطاعى اليكم ان عدَّ للناس ذنب
 فذاك للخلق كهف وذاك للمجد قطب
 ليثٌ إذا عضَّ دهر غيثٌ إذا اشتدَّ جذب
 لى منهما اليوم رأى يُرى غداً وهو كسب

والتعمية أن تجعل مكان كل حرف من البيت اسماً على مثال ماتقدم فاذا

مضت الكلمة تدير دائرة على ذلك حتى تأتي على آخر البيت . ووجه استخراج المعنى من تنظر الى الأسماء التي جعلت مكان الحرف فما تكرر منها وكثر في البيت فظن أنه للألف وربما لم يصدق هذا الظن ولكنه الأمر أكثر فاطلب بعده اللام فانها تقع بعد الألف كثيراً وانظر الى ما طال في البيت من الكلمات فاذا رأيت الألف في أولها فظن بالثانية أنها لام وربما تكرر ذلك في موضعين من البيت وثلاثة ، ومما يستدل به على معرفة اللام أيضا أن يقع بعد الاسم إذا ظننت أنه الألف حرفان على صورة واحدة في مثل اللبيب والليل واليـث وفي قولك الله وما أشبه ذلك ، ومما يستدل به على معرفة اللام أيضا أن يقع في البيت كلمة على حرفين وقد عرفت الألف واللام فتكون الكلمة تزداد يقيناً في الألف واللام وإذا صحت لك الألف واللام رأيت في البيت كلمة على حرفين والثاني منهما ألف فظن أنها « ما » أو « ذا » أو « يا » لأن ذلك أكثر ما يقع فاذا صحت الميم من (ما) ثم رأيت كلمة على حرفين فظن بها أنها (من) فان رأيت كلمة على حرفين وأولها ألف فظن بالثاني أنه نون أو واو أو فاء أو باء أو كاف فاذا عرفت الألف ورأيتها ورأيت قبلها حرفاً فظن أنه واو أو فاء أو باء أو كاف فاذا عرفت الألف ورأيتها وقد وقعت آخر البيت فظن بالحرف الذي قبلها انه هاء أو كاف لأن ذلك أكثر ما يقع فاذا تكررت لك هذه الحروف في البيت وقفت منه على أكثره ، ثم تعمد الى الحروف التي يقل تكرارها في البيت فتتنظر الى الكلمة الرباعية أو الخماسية فظن أنها تبدأ أن فيها أحد الحروف الستة اللام والراء والنون والفاء والتاء والميم لأنها لا تخلو من حرف منها أو حرفين . ولا ينفع ما مثلناه من هذه الأمثلة إلا مع جودة القرينة وشدة الذكاء والفطنة ومع النشاط وصدق الشهوة .

وذكر بعض أهل العلم وأظنه أبا الحسن العروضي أنه مُعَمِّي له قول الشاعر :

وكن ذا كراً بيت النوبيغ إنه سيحلو على سمع اللبيب ويعذب

فكانت تعميته : زيد بكر عمرو سعد بدر بكر بدر سهل صقر فهد بدر شهر

عمرو زيد صقر سهل رشد بدر عمرو حمد قصر عقر مكر شهر زيد بدر فخر شهر
 صقر قصر سلم فخر بدر شهر شهر سهل صقر سهل زيد صقر فخر سعد سهل صقر .
 قال فأول ما استخرجت منه الألف لأنها أكثر ما فيه من الحروف ثم عرفت
 بعدها اللام لأنها واقعتان في قوله (النويغ) وفي قوله (اللييب) فلما صحت الألف
 واللام رأيت اللام قد تكررت فعلمت أنها لا تتكرر إلا في مثل اللييب واللطف
 وكان أقربها في ظني اللييب ، عمدت بعد ذلك إلى الكلمة الثالثة فرأيت الباء
 والياء فيهما وبقى الحرف الثالث فعرضته على الحروف فخرج لي بيت ويبد وييش
 وييض وييع وبين فلم أجزم على شيء منها فتركتها موقوفة ثم قصدت إلى الكلمة
 السابعة فرأيت فيها اللام والياء فلم أشك أن الحرف الأول العين وأن الكلمة
 (على) ثم قصدت الكلمة الثامنة فرأيت العين في آخرها فطلبت على هذا المثال
 ما آخره عين فجاءني جمع ورجع ودمع وسمع فتركتها موقوفة ثم عمدت إلى الكلمة
 الأخيرة فرأيت فيها ما تبينته وعرفته الباء والياء والياء والياء والياء والياء
 فوضعتهما مع سائر الحروف فخرج لي : يعتب ويعجب ويعذب ويعرب ويعطب وما
 شاكل ذلك فقابلت ما خرج من وجوه الكلمة الأخيرة على ما يقرب في المعنى مع
 ادخال اللييب بينهما فصح لي أن الثامنة (سمع) وأن الأخيرة يعذب وعلت أن زيدا
 في أول الكلمة الأخيرة وأولها ص (على سمع اللييب) لم أشك أن الكلمة السادسة
 (سيحلو) قد ظهرت فيه السين والياء واللام والواو والألف فلما عرضت الكلمة مع
 سائر الحروف لم يطابق يعذب في المعنى إلا يحلو فلما ظهر ذلك علمت بالمعنى والوزن
 جميعاً أن الذي ظهر من البيت يدل على أنه في ذكر شيء فيه كناية في وسط
 البيت وأولها ألف والنون تليها كثيراً فأدى الوزن إلى أن بعدها ها وان الكلمة
 (إنه) فلما ظهرت النون وكنت قد عرفت الواو من الكلمة الأخيرة علمت أن
 أول كلمة في البيت (وكن) بغير شك وان الثانية « ذا كراً » لأن الذا لظهرت في
 يعذب والالف معروفة والكاف قد بان من الكلمة الأولى والالف الثانية

معرفة بقيت الراء فلما عرضتها على سائر الحروف لم يجيء غير الراء ثم قصدت الى
الكلمة الرابعة فلم أجد فيها حرفاً غير ظاهر قد عرفته إلا اللغين فقط فلم أدر ماهو
فلولا أن الوزن أدى اليه بعد طول تعب لم يكن يظهر فلما علمت أنها (النوبيغ)
لم أشك أن الثالثة (يدت) وظهر البيت كله .

ومن المعنى بقامض الحساب قول ابن طباطبا :

ان رحت مافي يديه ملتماً وكنت أشكو اليه ضيقَ يدي
أحصت أوفاً يسراً أربعة منقوصة سبعة من العدد
وفي هذا المعنى شيء كثير هذا أجوده فاعرف ذلك . وقلت في ضرب من المعنى :

وأصفرُ تحمرُّ أطرافه يا أحسنه من مطرف مُعلم
صدره الانسان في بيته وهو مُهانٌ ليس بالمكرم
والمرءُ قد يعلو على ظهره وهو سليم الدين لم يَأثم
وهو على ما كان من ذلةٌ سُمي باسم الملك الأعظم

أعني حصيراً والملك يُسمى حصيراً ، قال الشاعر :

ومقامه غاب الرقاب كأنهم جندٌ لدى باب الحصير قيام
وقلت: وميت لا يسكاد المرء يدفنه إلا إذا عادَ حياً بعد ما ماتا
وميتٌ غيبوا في الأرض جثته عمدالكي يجعلوا الأحياء أمواتا

الأول الذكر والثاني الفتح . ومن مליح المعنى ما أخبرنا به أبو أحمد قال حدثنا
ابنُ عمار قال حدثنا يعقوب بن اسرائيل قال حدثنا عبد الحميد بن عقبة قال حدثني
أبو عثمان المازني قال هجا أبو عيينة اسماعيل بن جعفر بن سليمان بشعرٍ مُورٍ
فلم يفهمه وكان كلما جاءه من يأنس به عرضه عليه حتى دخل رجلٌ فأقرأه إياه وهو قوله :

انى أحاجيك فاعلمنَّ فما لؤلؤةٌ منك قد ثقبناها
وكرمةٍ من أيبك منبتها حتى اذا أينعت قطفناها
تخبرنا ماهما وما سُبيلُ تشعبت منك قد سلسل كيناهما

لم نمش فيها ريثاً ولا عجلًا ولم نطأها وقد وطئناها
 فان تصبها فانت ذو فظنٍ وحاجتي أن تصيب معناها
 فقال أيها الأمير انه كلام ردي أكره أن أستقبلك به فقال هاته قال
 أما اللؤلؤة فالبنت وأما الكرمة من أيك فلاخت وأما السبيل التي تشعبت
 فلا لم نطأها بالاقدام ووطئناها بالفعل. وقال الآخريذ كر دعوة يدعو بها على رجل:
 وسارية لم تسر في الأرض تبتغي محلاً ولم يقطع بها البيد قاطع
 سرت حيث لم تسر الركاب ولم تنخ لورد ولم يقصر لها القيد مانع
 تسكر وراء الليل والليل مظلم إذا قرع الأبواب منهن قارع
 اذا وفدت لم يردد الله وفدها على أهلها والله راء وسامع
 واني لأرجو الله حتى كأني أرى بجميل الظن ما الله صانع

﴿ أحسن ما قيل في تقبيل اليد ﴾

أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن محمد بن خالد عن أبي بكر بن محمد بن خلاد
 الباهلى عن محمد بن الفضل عن أبي الزناد عن عبد الرحمن عن ابن أبي ليلي عن
 عبد الله بن عمر قال كنت في غزوة في بعض مصالح رسول الله ﷺ فتلقانا العدو
 فخاص الناس حيصة^(١) فكنت فيمن خاص ثم قلنا حين رجعنا إلى أنفسنا كيف
 ننظر في وجوه القوم وقد يؤنا بغضب من الله ثم قلنا نأتى المدينة فنبيت بها ثم
 نخرج فلا يرانا أحد فلما أتينا المدينة قلنا لو عرضنا أنفسنا على رسول الله ﷺ
 فأتيناه فما خرج إلى الصلاة قلنا يارسول الله نحن الفرارون. قال « بل أنتم الكرأرون »
 فقبلنا يده قال ثم قلنا يارسول الله إنا هممنا بكذا فقال إنا فئمة المسلمين ثم قرأ
 (إلا متحراً فالتسأل أو متحيزاً إلى فئمة فقد بآء بفضيب من الله).
 وباسناد لنا أن ابن أبي ليلي قبل يد أبى مسلم فقال له رجل أتقبل يد أبى مسلم؟
 قال أوليس أبو عبيدة قبل يد عمر؟ قال أو تجعل أبا مسلم مثل عمر؟ قال أو تجعلنى

(١) أى جالوا جولة يطلبون الفرار .

مثل أبي عبيدة . وحدثننا أبو أحمد عن الصولى عن محمد بن زكريا عن محمد بن عبيد
الله العتيبي قال قبل رجل^ه يد المهدي فقال يد أمير المؤمنين أحق يد بتقبيل لعلوها
في المكارم وطهارتها من المآثم وإنك ليوسفي العفو اسمعيلى الصدق شعبي الرفق
فمن أرادك بريدة خوف أو سوء فجعله الله طريداً خوفك وحصيد سيفك .
ومن أجود ما قيل في ذلك من الشعر ما أنشدنا أبو أحمد عن الصولى لبراهيم بن العباس
في الفضل بن سهل قال أنشدنا ثعلب وأبو ذؤان :

فضل بن سهل يد^ه تقاصر عنها المثل^ه
فبسطتها للغنى وسطوتها للأجل^ه
وباطنها للندى وظاهرها للقبل^ه

فأخذه ابن الرومي فقال للقسم بن عبيد الله رحمه الله :

أصبحت بين خصاصة وتجمل^ه والمرء بينهما يموت^ه هزيبلا
فامدد إلى يدا^ه تعود^ه بطنها بذل النوال وظهرها التقبيل^ه
وقال أيضاً * له راحة فيها الحطيم وزمزم * . وقلت :

فظاهرها للناس ركن^ه مقبل^ه وباطنها عين^ه من الجود عيلم^ه
هو البحر لآعين^ه من الجود عيلم^ه عفاء على عين من الجود عيلم^ه
يجل^ه عن تقبيل ظاهر^ه كفه وباطنها عن أن تقاس بزمزم

ومما جاء في كراهة ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولى عن الغلابي عن
العتبي قال استأذن رجل هرون الجعدي في تقبيل يده فأبى وقال انها لمن العربي ذلة
ومن العجمي خدعة فلا حاجة لي في أن تذلي أو تخدع فاعفتي من ذلك .

(الحض على السلام)

أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن إبراهيم بن عبد الله النمري عن الضحاک بن
مخلد عن ابن عجلان عن المقبري عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ (إذا

جاء أحدكم المجلسَ فليسلمَ فإن قام والقومُ جلوس فليسلمَ فإن الأولى ليست بأحقَّ
 من الآخرة) وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن إبراهيم بن فهد عن عبد الله بن
 رجاء عن سعيد بن سلمة عن أبي بكر عن نافع عن ابن عمر أن رجلاً مرَّ برسول الله
ﷺ وهو يهرق الماء فسلم عليه الرجل فرد عليه فقال إنه ما حملني على الرد عليك
 إلا أني خشيتُ أن تقولَ سلمتُ عليه فلم يردَّ عليَّ فإذا رأيتني هكذا فلا تسلم عليَّ فانك
 إن تفعل لأردُّ عليك السلام» وعنه عليه السلام «تمامُ التحية أخذٌ باليد» وحدثنا
 أبو أحمد عن الصولي عن الغلابي عن العباس بن بكار عن المفضل الضبي عن
 جدته عن مكعب الأسيدي قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت :

يقولُ أبو مكعبٍ صادقاً عليك السلامُ أبا القاسمِ
 سلام الآلهِ وربحانهُ وروح المصلينِ والصائمِ

فقال رسول الله ﷺ «عليك السلامُ تحيةُ الموتى» قال المصنف تقول

العرب للميت «عليك السلام» قال الشاعر :

عليك أبا بشرٍ سلامٌ ورحمةٌ وقد بذت منا كلنا لك حامد
 فلا يُبعدنك اللهُ ميتاً فانما حياةُ النقي سيراً إلى الموتِ قاصدٌ
 وقال عبدة بن الطيب :

عليك سلامُ الله قيس بن عاصمٍ ورحمتهُ ماشاء أن يترحمنا

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن الغلابي عن ابن عائشة قال دخل الحسن بن
 السكثاني على عبد الله بن جعفر ذي الجناحين ^(١) فأنشده قوله فيه :

عليك السلامُ أبا جعفرٍ وسيد فخرٍ لدى المحضر
 فانت المهذبُ من هاشمٍ وخير قریشٍ إذا تذكر

(١) لقبه به النبي ﷺ لما قتل شهيداً في غزوة مؤتة وكانت قطعت فيها يداه
 وهما ممسكتان للراية فقال الرسول ﷺ «إن الله تعالى قد أبدله بها جناحين
 يطيرُ بها في الجنة حيث شاء» كما في جني الجنتين في تمييز نوعي الثنيتين للمعجب

فقال له عبد الله أخطأت مرتين (عليك السلام) أكثر مما تستعمل هذه اللاموات وقد
 أمكنك أن تقول * سلامٌ عليك أبا جعفر * ثم جعلت لي ما كان لرسول الله ﷺ
 ووصفتني بصفته ، قال فاستمع البيت الذي سقت له ماسقت قال هاته فقال :
 فهذي ثيابي قد أخلقتُ وقد عضّني زَمَنٌ منك
 فقال عبد الله هذي ثيابي لك بها ، ودعا بغيرها ودفعها إليه .

﴿ السلام على الكفار ﴾

حدثنا أبو أحمد عن الصولي عن الغلابي عن العباس بن بكار عن أبي بكر الهذلي
 قال سلم نصراني على الشعبي فقال له الشعبي وعليك السلام ورحمة الله ، فقال له
 رجل سبحان الله تقول لهذا النصراني ورحمة الله ! فقال الشعبي أليس في رحمة الله
 يعيش قال بلا قال فما وجه الإنكار على عافك الله تعالى وإيانا برحمته .

﴿ رد السلام بالإشارة ﴾

حدثنا أبو أحمد عن الصولي عن العباس بن الفضل الاسفاطي عن ثابت عن
 عبد العزيز عن هشام بن سعد عن نافع عن عبد الله قال خرجنا مع رسول الله
 ﷺ إلى البقيع فقام فصلى فجاءت الأنصارُ تسلم عليه قال فسألت بلالاً كيف
 كان بردُ عليهم قال كان يشير إليهم بيده . وأنشدنا عنه عن محمد الأسدي عن
 أبي هفان عن أبي محلم لأبي طراد أسعد بن البكا البكري :

مررنا فقلناها السلام عليكمُ فبلغها ضيقُ المحل غيورُ
 وما كنت أدري أن في الخير ريبية ولا أن رجعاً بالسلام يضير

﴿ ماجاء في المصافحة ﴾

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن الأسفاطي عن يعقوب بن حميد عن اسحق
 ابن ابراهيم بن سعيد عن صفوان بن سليم عن ابراهيم بن عبيد بن رفاهة عن ابن
 (٢٨ — ثاني المعاني)

أبي ليسلى عن حذيفة قال قال النبي ﷺ « إذا لقي المؤمنُ المؤمنَ فصاح أحدهما صاحبه تناثرَت الخطايا بينهما كما يتناثرُ ورقُ الشجرِ » .

وقال الحسن : المصافحة تزيد المودة . وحدثنا عنه عن الغلابي عن ابن عائشة قال دخل سوار العنبري على المنصور فقال يأمر المؤمنين على ما أحدث الناس اليوم أم على ما كان عليه الأوائل ؟ قال بل على ما كان عليه ، فدنا فصاحه .

وأخبرنا عنه قال سمعت إبراهيم بن المنذر يقول دخل الفقهاء على المتوكل ونحن وقوف بين يديه فاستدناهم فكلُّ قَبَل يده إلا اسحق بن اسرئيل فإنه قال يأمر المؤمنين ما ينقصك أن أقبل يدك - ولم يُقبَل يد المتوكل - وقد حدثني الفضل ابن عياض عن هشام بن حسان عن الحسن قال المصافحة تزيد في المودة وسمي بها المؤمنين فبسط المتوكل يده فصاحه ، ووصله المتوكل بأكثر مما وصل به أصحابه .

وأنشدنا عنه عن أحمد بن إبراهيم المازحي لبعض شعراء الشام :

تصاغت الأَكفُ وكان أشهى إلينا لو تصاغت الخدودُ
موت إذا التقي كَفٌّ وكَفٌّ فكيف إذا التقي جيدٌ وجيدٌ

وقال آخر :

فصاغت من لا قيت في البيت غيرها وكلُّ الهوى مني لمن لم أصافح

وقال أبو العتاهية يهجو عبد الله بن معن بن زائدة :

أخت بني الشيبان مرّت بنا ممسوطَةٌ كوراً على بغل
قد نطقت في كفها نقطةً مخافة العين من الكحل
لقيته يوماً فصاغتَه فقال دع كفي وخذ رجلي

﴿ حياك الله ويياك ﴾

معنى حياك الله سلام عليك ، والتحية أيضاً الملك فحياك الله على هذا التأويل
مسلحك الله ، والتحية البقاء ، وهو على هذا التأويل أبقاك الله ، قال الأصمعي يياك

أضحكك ، وقال على الأحمري أرادوا بؤئك منزلاً فقال بياك للاتباع كما قالوا
 الغدايا والعشايا ، وقال ابن الأعرابي معناه قصدك بالتحية وبيد الشيء قصده
 واعتمده . وحدثنا عنه عن زياد بن خليل التستري عن إبراهيم بن بشار الرمادي
 عن سفیان عن محمد بن سوقة قال أنا ميمون بن مهران فقلت له حياك الله فقال
 مه هذه تحية الشباب قل حياك الله بالسلام .

وحدثنا عنه عن المغيرة بن محمد عن إسحق الموصلي قال نزل الطماح العقيلي
 بقوم من بني تميم فأحسنوا إليه فأراد الرحيل عنهم فقال :

حياكم الله فاني مُنقلبٌ بشكرٍ إحسانكم كذا يجب
 وإنما الشاعر كالكلب الكلب يملك عند رغبٍ وان رهب
 لا يرعوى لمبغض ولا مُحبٌ أكثر ما يأتي على فيه الكذب
 وأنشدنا عنه عن المبرد لعارة :

حياً الآله خيالها من دانٍ لو كان زارَ زيارةَ اليقظان
 لو كان عَرَجَ أو تَعَلَّ ساعةً حتى نسائلهُ عن الأوطان
 كفانٍ شيدتا بناءَ محامدٍ لمهذبٍ هشٍّ أخى إخوان
 تلقى له دعة الكهولٍ وحلمهم وتقاومٌ وحلاوةَ الفتيان
 وأنشدنا عنه عن أحمد بن إبراهيم :
 حياك من لم تكن ترجو تحيته لولا الدرهم ما حياك إنسان

﴿ قولهم مرحباً ﴾

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن يزيد المبرد النحوي عن أبي عثمان
 المازني قال لما أتى الرشيد الرقة تلقاه محمد بن ذؤيب العماني فأشده :

هرون يا ابن الأكرمين حسبا لما ترحلت و كنت كتبنا
 من أرض بغداد تؤم الغربا طابت لنا ريح الجنوب والصبا

ونزل الغيث لنا حتى ربا ما كان من نشر وما تصوبا

فرحبا ومرحبا ومرحبا

فقال الرشيد وبك مرحبا وأهلا ، ووصله بصلة سنية . وحدثنا عنه عن عميد

الله بن عبد الله قال لما دخل أبو مضر أنشده سعيد بن الوليد المعروف بالبطين :

مرحبا مرحبا وأهلا وسهلا بابن ذي الجود طاهر بن الحسين

مرحبا مرحبا وأهلا وسهلا بابن ذي الغرتين في الدولتين

مرحبا مرحبا وأهلا وسهلا بابن ذي المختدين في المصريين

مرحبا مرحبا بمن كفه البحر إذا فاض مُزبد العبرين

فوصله وقدمه . وقديما ما استعملوا مرحبا في كلامهم ، (ومنه) قول طفيل الغنوي^(١) :

وبالسهل ميمون النقيبة قوله للتمس المعروف أهل ومرحب

وأخبرنا عنه عن محمد بن العباس اليزيدي عن محمد بن الحسن الرزقي عن

الحسين بن علي العلوي المدني عن بعض أصحابه عن المازني قال كان اعرابي يلزمننا

وكان فصيحاً فقال له علي بن جعفر بن سليمان وكان جافياً لا يعطيه شيئاً إلا مرحباً

فقال فيه الاعرابي :

وما مرحباً إلا كريح تنسنت إذا أنت لم تخلط نوالاً بمرحب

ومثل هذا قول جحظة البرمكي :

قائل إن شدوت أحسنت زدني وبأحسنت لا يباع دقيق

وأخبرنا عنه عن أبي العيناء قال استأذن رجل على الحسن بن سهل فقيل له من أنت

قال رجل أمر له الأمير يوم كذا بعشرة آلاف درهم فأمر بادخاله فلما رآه قال مرحباً

بمن توسل الينا بنا وشكر إحساننا الينا ، وأكرمه .

وأخبرنا عنه قال سمعت إبراهيم بن المدبر الكاتب الضبي يثنى على ابن الجهم في

(١) هو طفيل بن عوف ، شاعر جاهلي من الفحول ، وهو أوصف العرب

للخيل ، لذلك لقب بطفيل الخيل .

صداقته ومروءته فقال في ذلك كنت واقفاً بين يدي المتوكل وقد جرى برأس
إسحاق بن إسماعيل وجه به بغا ، فارتجل على بن الجهم شعراً وقال :

أهلاً وسهلاً بك من رسول جئت بما يشفى من الغليل

بجملة تغنى عن التفصيل برأس إسحاق بن إسماعيل

ومر بأبيات فاستحسن ذلك المتوكل ووصله بصلة سنية ، قال وأنشدني ثعلب :

فمالك نعمة سلفت الينا وكيف وأنت تبخل بالسلام

سوى أن قلت لي أهلاً وسهلاً وكانت رمية من غير رام

وقلت : تضن بتسليم وزورة ساعة فكيف يرجى جودك كفيك بالوفر

وأنشدنا عنه عن أبي موسى محمد بن موسى مولى بني هاشم قال أنشدني عبد السلام

ابن رغبان الحمصي المعروف بديك الجن لنفسه :

بأبي وإن قلت له بأبي من ليس يعرف غيره أربي

قرطستُ عشرًا في مودته لبلوغ ما أملت من طربي

ولقد أراني لومددت يدي شهرين أرمي الأرض لم أصب

أنشدنا عنه قال أنشدنا عبد الله بن المعتز لنفسه :

قلت يوماً لها وحرَّكت العود بمضراها فغنت وغمي

ليتني كنتُ ظهرَ عودك يوماً فاذا مأخذته صرتُ بطنا

فبكتُ ثم أعرضتُ ثم قالت من بهذا أُنباك في النوم عنا

قلتُ لما رأيتُ ذلك منها بأبي ما عليك أن أتمني

قال وسمعت محمد بن عبيد الله بن يحيى الوزير يقول دخل أبو العيناء إلى أبي

فقال له كيف حالك فقال أبو العيناء أنت أعزك الله الحال فانظر كيف أنت لي .

فوصله ووقع له بأرزاقه . وحدثنا عنه عن عون بن محمد الكندي عن عبيد الله بن

عمر قال قيل لرجل من قريش كيف حالك ؟ فقال كيف حال من يهلك ببقائه

ويسقم بصحته ويؤتى من مأمنه . ومثله :

ماحال من آفته بقاؤه نفسَ عيشي كله فناؤه

وقال سعيد بن حميد :

لك عبدٌ فلو سألتَ بهِ كيفَ حاله
ياقريباً مزاره وبعيداً نواله
حاضرأً لى صدوده حينَ يرحى وصاله
مسعدٌ لى مقاله فانكُ لى مطاله
محسنٌ فى كلامه ومسىءٌ فعاله

(ماجاء فى أطال الله بقاءك)

أول من قاله عمر رضى الله عنه - روى عن رفاعه بن رافع قال شهدت نفرأً من أصحاب رسول الله ﷺ فيهم عمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد بن بكر بن المؤودة فاختلفوا فيها فقال عمر أنتم أصحاب رسول الله ﷺ تختلفون فكيف بمن بعدكم فقال على عليه السلام إنها لا تكون موءودة حتى يأتى عليها الحالات السبع فقال له عمر صدقت أطال الله بقاءك .

قال ابن لهيعة المعنى لا تكون موءودة حتى تكون نطفة ثم علقه ثم مضعة ثم عظماً ثم لحماً ثم تظهر ثم تستهل فينثد إذا دُفنت فقدوئدت وليس كما يقول بعض الناس إن المرأة إذا تداوت فأسقطت فقد وأدت . وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن أحمد ابن يحيى عن عبد الله بن شبيب قال كتب إلى بعض إخوانى من البصرة إلى المدينة : أطال الله بقاءك كما أطال جفاك وجعلنى فداك إن كان فى فداؤك - شعر :
كتبت ولو قدرتُ هوى وشوقاً اليك لكنتُ سطرأً فى الكتاب
قال الشيخ أبو هلال رحمه الله تعالى : والبيت لأبى تمام .

(جعلت فداك)

دخل الزبير على النبي ﷺ وهو عليلٌ فقال ما بعمدك جعلنى الله فداك فقال

الذي صلى الله عليه وسلم « يازُّبيرُ أمارتِ كَتَ أعرابيتك بعدُ » وحدثنا عنه عن يحيى بن علي عن أبي أيوب المديني عن إسحاق قال حججني خادمٌ لجمعفر بن يحيى يُقال له نافذ فانقطعت عنه فسأل عنى فعرفه سبب انقطاعى فقال قل له إن حجبتك إنسان فافعل به - لا يكنى - قال فحجئت فحججني فكتبت اليه ارتجالاً في الحال :

جُعلت فداءك من كلِّ سوءٍ الى حُسنِ رأيك أشكو أنا ما
يحولونَ بيني وبينَ الدخولِ فما إن أسلمَ إلا اختلاسا
وأنفذتُ أمرك في نافذٍ فما زاده ذلك إلا شماسا

فضحك لما قرأ الأبيات وأدخلني وقال أفعلت يا أبا إسحاق فقلت بعض ذلك، وتقدم الى نافذ وغيره أن لا أحجب متى حضرت .

﴿ دعاء المكاتبة ﴾

حدثنا عنه عن أبي ذكوان قال سمعت إبراهيم بن العباس يقول ما أظن قول الكتاب : وقد منى الله قبلك مأخوذ إلا من قول الأغر بن كاسر في أخيه صقر :
أخى أنت في دينٍ ودنيا كلاهما أسرُّ بأن تبقى سليماً وأفخرُّ
إذا ما أتى يومٌ يفرقُ بيننا بموتٍ فكن أنت الذى يتأخر
ف قيل له هذا يروى لحاتم فقال وما على من لا يدري أن ينسب شيئاً إلى غير
قائله . فأما قولهم (وآتم نعمته عليه وزاد في إحسانه إليه) فهو من قول عدى بن الرقاع :
صلى الآله على امرئٍ ودعته وآتمَّ نعمته عليه وزادها
قالوا وأول من قال « وأسأله أن يُصلى على محمد » إسحاق بن سليمان بن علي .
وأشد للسرى في ضدِّ قولهم مُتَّ قبلك وإن الحظَّ عنده أن يكون هو ومن
يحبُّ يموتان في وقت واحد :

لأمت قبلك يا أخى لا باخلاً بالنفسِ عنك ولا تمت قبلى
وبقيت لى وبقيتُ فيك مُمتعاً بالبرِّ والنعماءِ والفضلِ

حتى إذا قصد الحمام لنا
مُتْنَا جميعاً لا يُؤخِرُ واحد
وكفالك من نفسى شهيدٌ ناطقٌ
وفي نحو ذلك قول الآخر :

إني لأشفقُ أن أُؤخرها
بعدى وأكره أن أقدمها

وقال يعقوب بن الربيع :

فلو أنها إذْ حانَ وقتُ حمامها
فخلَّ بنا المقدارُ في ساعةٍ معاً
وقريب منه قول الآخر :

لامتَّ من قبلي ولامتُّ من
حتى نُوا في الموتِ في ساعةٍ
قبلك بل عشنا الى الحشرِ
لأنتَ تدرى بي ولا أدري

(كيف أصبحت)

حدثنا عنه عن أيوب بن سليمان بن داود المهلبى عن محمد بن عباد قال كان جرير
ابن حازم يقول : العربُ تقولُ كيف أصبحتَ من نصف الليل إلى نصف النهار ،
وكيف أمسيتَ من نصف الزوال إلى نصف الليل الأول ، وتقولُ في يومك
كان الليلة كذا إلى الزوال فإذا زالت الشمس قلت البارحة ، هذا معروفٌ عندهم ،
وحدثنا عنه عن الفضل بن الحُباب عن التنوخى قال العربُ تقولُ صبحتك الأُنعمه
بطيبات الأُنعمه . وحدثنا عنه عن البلعى عن أبي حاتم عن الأصمعى قال قيل
لأبي عمرو بن العلاء كيف أصبحتَ قال أصبحتُ كما قال الربيع بن ضبع الفزاري :
أصبحتُ لأحملُ السلاحَ ولا أملكُ رأسَ البعيرِ إن نفراً
والذئبُ أخشاهُ إن مررتُ بهِ وحدى وأخشى الرياحَ والمطرا
وحدثنا عنه عن أبي ذكوان عن التنوخى عن الفراء قال كنتُ عند الكسائى

فقال له رجلٌ كيف أصبحت؟ فقال أصبحت كما قال الصمة بن عبد الله بن طائيل القشيري^(١) .

أصبحتُ مالى من عزِّ أوذ بهِ إلا التمرُّز بعد السيف والبدن
 بعرضة جانب الأذنون جانبها والأهل بالشام والاخوان باليمن
 وأنشدنا عنه قال أنشدنا محمد بن يزيد المبرد النحوى قال أنشدنى المازنى
 عن أبى زيد :

كيف أصبحتَ كيف أمسيتَ مما يُثبتُ الوُدَّ في فؤادِ الكريمِ
 حدثنا عنه عن محمد بن الفضل بن الأسود عن عمر بن شبة عن الحسن بن
 ابراهيم الخليل قال كنت في المسجد الجامع بالبصرة إذ دخل علينا أبو نواس
 وعليه جبة خز جديد فقلت له من أين لك هذه يا أبا علي؟ فلم يخبرنى فتوهمت أنه
 أخذها من موسى بن عمران لأنه دخل من باب بنى تميم فقامت فأجد موسى وقد
 لبس جبة أخرى فقلت :

كيف أصبحتَ يا أبا عمرانِ يا كريمِ الاخاء والاخوانِ
 فقال صبحك الله به وأسمك خيراً. فقلت :

إنَّ لى حاجةٌ فرأيتُ فيها إننا فى قضائها سَيَّانِ

فقال هاتها على اسم الله تعالى فقلت :

جُبة من جيبك الخرز حتى لا يرانى الشتاء حيثُ يرانى
 قال خذها ، ومد كفه فذرعتهما وجئت فقال أبو نواس من أين لك هذه؟ قلت من
 حيثُ كانت لك تلك . وحدثنا عنه عن وكيع عن علي بن عبد الله بن حمزة بن
 عتبة اللهبي قال دخلت على محمد بن عبد الرحمن بن محمد الخزومي أعوده فقلت له
 كيف أصبحت فقال كما قال الشاعرُ :

(١) شاعر إسلامي بدوي مقلد ، من شعراء الدولة الأموية . ولجده قرة بن

هبيرة صحبة بالنبي صلى الله عليه وسلم .

إنَّ الليالي أسرعُ في نقضِ أخذنَ بعضي وتركنَ بعضي

أفعدنني من بعد طول نهضي

وقيل لأعرابي كيف أصبحت؟ فقال أصبحت والله كما قال الشاعر:

ياخيرُ إني قد جعلتُ أشتمرَ أرفعُ من ثوبِي ما كنتُ أؤجرُ

وحدثنا عنه عن الغلابي عن محمد بن عبد الرحمن التيمي عن أبيه قال لقي

بكر بن عبد الله المزني أبا تميمه الهجيمي فقال كيف أصبحت أبا تميمه؟ فقال أصبحت

بين ذنوب قد سترها الله عليَّ ما يقدر أحدٌ أن يعيرني منها بذنوب وبين محبة

قد ألقاها الله في قلوب الناس استُ لها بأهل وقد خفتُ أن أهلك بين هذين

وأنا ضعيف الشكر. قال وقيل لقريبة الدبيرية كيف أصبحت؟ فقالت:

بخير عليَّ أنَّ النوى مطمئنةٌ بليلي وأنَّ العينَ يجري مَعينها

وقيل لأعرابي كيف أصبحت؟ قال بخير أحسب على الله بالحسنة ولا

أحتسب على نفسي بالسيئة. وقال رجلٌ لأبي العيناء وقد كبر وضعف: كيف

أصبحت؟ فقال في الداء الذي يتمناه الناس لأعدائهم.

وحدثنا عنه عن الغلابي عن إبراهيم عن عمر عن أبي عبيدة قال قيل للنمر بن

تولب كيف أصبحت يا أباريعة؟ فقال ارتجالاً على البديه:

أصبحتُ لا يحملُ بعضي بعضاً أشكو العروقَ النايات نبضاً

كما تشكى الأرجى الغرضاً كأنما كان شبابي قرصاً

وحدثنا عنه عن القاسم بن إسماعيل عن محمد بن سلام عن ابن داب قال

قيل لمحارب بن دثار كيف أصبحت؟ فقال أصبحت كما قال الشاعر الأعمشى:

أرقتُ وما هذا السهادُ المؤرقُ ومابى من سقم ومابى تعشقُ

ولكنْ أرانى ما أزالُ بمحدثِ أغادى بمالم يس عندى وأطرقُ

وحدثنا عنه عن المقدمي عن أبي عمر بن خلاد قال قال الربيعُ الحاجب

لأبي العتاهية كيف أصبحت فقال:

أصبحتُ والله في مضيق هل من دليلٍ على الطريق
 أفّ لدنياً تلاعبتُ بي تلاعبَ الموج بالغريق
 أصبتُ فيها دُرهماتٍ فبغضتني إلى الصديق

وحدثنا عنه عن علي بن الصباح عن بشر بن مسعود المازني قال كان لسفيان بن عيينة جارٌ سمى الخال فحسنت حاله فقال له سفيان كيف أصبحت وكيف حالك لقد سررتُ بما صرتَ إليه بعد غم بما كنتَ فيه فدعا الرجل له ومضى ، فقال له بعض جلسائه كيف تكلم هذا؟ قال هو جارٌ قال إنه قد صار صراطاً لهؤلاء ، قال سفيان إن كان في الناس أحدٌ طلب الدنيا من حيث يستحق فهذا . وحدثنا عنه عن المغيرة بن محمد المهلي قال قدم أبو العتاهية البصرة إلى عيسى بن جعفر فأقام شهوراً ثم اعتل فقال :

أصبحتُ بالبصرة ذاغربة أدفعُ من همٍّ إلى كربه
 أطلبُ عتبي من حبيب نأى وليس لي عتبي ولا عتبه

وحدثنا عنه عن المبرد قال قال الجاز لأبي العالية كيف أصبحتَ ؟ قال على غير ما يحب الله وغير ما أحب وغير ما يحب إبليس لأن الله تعالى يحب أن أطيعه ولا أعصيه ولست كذلك وإبليس يحب أن أعصى الله ولا أطيعه ولست كذلك وأنا أحب أن أكون على غاية الثروة والصحة ولست كذلك .

حدثنا عنه عن الحسن بن الحسين الأزرق عن العباس بن محمد عن عمرو بن الحارث عن محمد بن سلام قال قال أبو حراثة وهو من بني ربيعة بن حنظلة يزيد بن المهلب : كيف أصبحت أصلح الله الأمير ؟ قال كما تحب يا أبا حراثة قال لو كنت كذا لكنت قائماً مثلي وكنت أنا قاعداً في مقعدك وكان قميص ابني المرقوع على ابنك والتومتان اللتان في أذن ابنك على ابني . قال يزيد فالحمد لله الذي جعلك كذا وجعلني كذا ، فقال إلا أني في ضيق أنتظر سعةً وأنت في سعة تنتظر ضيقاً . وحدثنا عنه عن أبي العيناء عن العتيبي قال قيل لأعرابي كيف

أصبحت قال أصبحت أعرثر بالبعرة وأقيد بالشعرة وأفزع من النعرة . وحدثنا عنه
 عن الغلابي عن دماذ عن الهيثم بن عدى قال كان هرم بن سنان المزني قد آلى على
 نفسه أن لا يسلم عليه زهير إلا وهب له غرة من ماله فأشفق عليه زهير من ذلك
 وكان يمر بالمجلس وهرم فيهم فيقول أنعموا صباحاً غير هرم خيركم تركت ففخر
 عقبة بن كعب بن زهير بذلك في قوله :

إني لأصرف نفسي وهرم سادية
 عن مصعب ولقد بانتي لى الطرق
 رعوى عليه كما أروعى على هرم
 قبلى زهير^{هـ} وفيما ذلك الخلق
 مدح الكرام وسعى في مـرهم
 ثم الغنى وبد الممدوح منطلق
 ومثله قول حاجز الأزدى (١) :

وإني لأستبقي إذا العسر مسنى
 بشاشة وجهى حين تبلى الطبايع
 فأعنى نرى قومي ولو شئت نولوا
 إذا ماتشكى الملحف المتضارع
 مخافة أن ألقى إذا جئت زاراً
 وترجعنى نحو الرجال المطامع
 ومن مليح ما قيل في فديتك :

فديتك النفس وهى أقل بذل
 صلى حسن المقال بحسن فعل
 أرنبى منك فى أمرى نهوضاً
 يبين أن شغلك بى كشغلى
 وأخبرنا عنه عن محمد بن خلف بن المرزبان قال اجتمع عندى أحمد بن أبى
 طاهر والناشى ومحمد بن عروس فدعوت لهم مغنية فجماعت ومعها رقيقة لم ير الناس
 أحسن منها قط فلما شربوا أخذ الناشى رقعة فكتب فيها :

فديتك لو أنهم أنصفوا
 لردوا النواظر عن ناظريك •
 ترددين أعيننا عن سواك
 وهل تنظر العين إلا إليك
 ألا يقرؤا ويحهم ما يرون
 من وحي حسنك فى وجنتيك
 وقد جعلوك رقيقاً علينا
 فمن ذا يكون رقيقاً عليك

(١) هو حاجز بن عوف ، شاعر جاهلى مقل ، مشهور بالعدو .

قال فشغفنا بالآيات فقال لعن أبى طاهر أحسنت والله وأجملت قد والله حسدتك
هذه الآيات والله لأجسنت وقام وخرج من ساعته ولم يعد الى الشرب بقية يومه .

﴿ ماجاء في الدعاء للخارج إلى السفر ﴾

أخبرنا عنه عن ابراهيم بن فهد الساجي عن نصر بن علي عن عبد الله بن
داود عن مسعر عن ميسرة عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال ودع رسول الله ﷺ
رجلأراد سفرأ فقال « أستودعُ اللهَ دينكَ وأمانتكَ وخواتمَ عملِكَ » وحدثنا عنه
عن أبى على العتابي قال رأيت أبا شراة القيسي آخذاً بسفينة ابراهيم بن
المدير وقد عزل عن البصرة وهو يريد الخروج وأبو شراة ^(١) ينشده :

ليت شعري أي قوم أجدبوا فأغيثوا بك من طول ^(٢) العجف
نزلَ الرَّحْبُ ^(٣) من الله بهم وحرمناك للذنب قد سلف
أنا أنت ربيعٌ باكرٌ حيثما صرفه اللهُ انصرف
ياأبا اسحق سِرٌّ في دَعَاٍ حيثما شئت ^(٤) فامنك خلف
وأخبرنا عنه عن الغلابي عن الزبير قال ودع ابن المعافى صديقاً له أراد سفرأ

فأنشده عند وداعه :

خلفَ اللهُ الذي خلفته ووقاك اللهُ وعشاءَ السفر
إنني أشكرُ ما أوليتني لم يضع حسن بلاء من شكر
مددك اللهُ إلينا سالماً بعدَ غمٍ واعتباطٍ وظفر

(١) هو أحمد بن محمد بن شراة شاعر بصرى من شعراء الدولة العباسية

جيد الشعر جزله وكان فصيحاً يتعاطى الرسائل والخطب مع شعره .

(٢) رواية الأغانى « أى أرض أجدبت فأغيثت بك من جهد العجف » .

(٣) في الأغانى « الرحم » . (٤) في الأغانى « وامض مصحوباً » .

﴿ الدعاء للقادم من السفر ﴾

أشدنا عنه لمحمد بن عبد الله الأخطل :

أقدمُ قدمتَ قدومَ عارضٍ مُزنةً بهتز بينَ أهابها الفضايا
 من كلِّ مشعبةِ الرِّياحِ ثقيلةً تمشي به مشىَ الوجي المنهاض
 مُسودةٌ مُبيضةٌ فكأنها دُهمٌ مولوعةُ الشوى بيباض
 وقال ابن الرومي :

قدومٌ سعادةٍ وقولٌ يمن هي السرَّاءُ تمحقُ كلَّ حزن
 أظلتك السلامة ما تغنَّت مطوِّقةً على فني نغني

قوله (أظلتك السلامة) في غاية الرشاقة وأحسن منه قوله : تمحق كل حزن .

﴿ الدعاء للمهزوم ﴾

حدثنا عنه عن الغلابي عن عبد الله بن الضحاك عن الهيثم بن عدي عن عوانة
 قال لما انهزم أسلم بن زُرعة السكبي من مرداس بن أذينة بأسك^(١) وكان في ألفي
 رجل ، ومرداس الخارجي في أربعين رجلاً ، وفيهم يقول شاعرهم :

ألفا مؤمن^(٢) منكم زعمتم ويهزمكم بأسك أربعونا
 كذبتهم ليس ذلك كما زعمتم ولكن الخوارج مؤمنونا
 هم الفئة القليلة قد علمتم^(٣) على الفئة الكثيرة ينصرونا

فدخل أسلم البصرة فقالت له امرأة من قومه والله لأن تعيش حميداً خير
 من أن تموت شهيداً ولأن تدوم عبادتك بحياتك أزلف لك من أن تنقطع بماتك ،

(١) أسك : بلد من نواحي الأهواز قرب أركان .

(٢) في معجم البلدان (ألفا مؤمن فيما زعمتم ويقتلكم) .

(٣) في معجم البلدان (هم الفئة القليلة غير شك)

قال ودخل على ابن زياد فغضبته واستعجزه فقال أيها الأمير كنت في ألفين جميعهم مثلي وقتلت أربعين كل واحد منهم مثلي ويزيد عليّ ولأن يذمني الأمير حياً خيرٌ من أن يمدحني ميتاً. وحدثنا عنه عن القاسم بن اسماعيل عن رفيع بن سلمة عن أبي عبيدة قال لما هزم أبو فديك أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بهجر قدم البصرة في ثلاثة أيام فدخل عليه الناس وفيهم صفوان بن عبد الله بن الأهم المنقري أبو خالد بن صفوان والناس لا يدرون كيف يُدعى للمهزوم حتى قال صفوان أم والله أيها الأمير لقد تعرضت للشهادة جهداً وطلبتها طاقتك ووسعك فعلم الله فقرنا اليك وقلة عوضنا منك فاختر لنا عليك ببقائك ولم يختر لك علينا باستشهادك فالحمد لله الذي زين بك مصرنا وآنس ببقائك وحشنا وجلا بسلامتك غمنا. فعلم الناس كيف يُدعى للمهزوم فسلخوا هذا المسلك.

ومن أحسن الاعتذار للمهزوم قول فروة بن مُسيك العظيفي وأجاد :

فان نهزم فهزّامون^(١) قدماً وان نهزم فغير مهزميننا

وما ان طبننا جين^٢ ولكن منايانا ودولة آخرينا

فقوله « ودولة آخرين » من أحسن الاعتذار الواقع من المهزوم.

﴿ الدعاء للمعزول ﴾

أنشدنا عنه عن عون بن محمد الكندي لأبي تمام الطائي :

ليهنك ان أصبحت مجتمعَ الشملِ وراعى المعالى والمحامى عن المجد
وانك صهتَ الأمرَ فيما وليتهُ وفرقتَ ما بين الغواية والرشدِ
فلا يحسب الأعداءُ عزلك مغنا فانّ إلى الاصدارِ ماغاية الورد
وما كنتَ إلا السيفُ جرداً للوغى وأحمد فيه ثم ردّ إلى الغمد

وأخبرنا عنه عن الحسين بن يحيى قال حدثنا إسحق قال عُزل هشام بن اسمعيل

(١) فى الأغانى (فان تغلب فغلابون قدماً).

الخرزومي عن المدينة فاشتد العزل عليه فقال له عروة بن أذينة :

فان تكن الأمانة عنك زالت فانك للعنيرة والوليد

وقدمر الذي أصبحت فيه على مروان ثم على سعيد

وأخبرنا عنه قال دخلت يوماً مع أبي العباس محمد بن يزيد النحوي إلى عبد الله

ابن الحسين القطريلي وقد صرف عن عمل فقال أقول لك ما قاله أبو عبادَةَ البحتری :

شَهِدَ الخُرْجُ إِذْ تَوَلَّيْتَهُ أَنْـكُ فِي جَمْعِهِ الأَمِينُ الأَعْفُ

حيث لا عند مجتبي منه إظا ظ^(١) ولا في سياق جايه عُنْفُ

سيرة القصد لا الخشونة عُنْفُ لتعدى المدى^(٢) ولا اللين ضعفُ

وعلى حالتك يستصلحُ الناسُ^(٣) أباءً من جانبيك وعطفُ

لن يُولى تلك الطاسيج إلا خلف منك آخر الدهر خلفُ

إن تشكت رعيةً سوءَ قبضٍ بك أو أعقبَ الولايةَ صرفُ

فقد يمسأً تداوَلَ العسرُ واليسرُ وكلَّ قذى على الريح يظفو

يفسدُ الأمرُ ثم يصلحُ عن قرُبِ الماءِ كدرةً ثم يصفو

ولما عزل إبراهيم بن المدبر عن البصرة أنشده أبو صفوان الثقفي :

أبا إسحاقَ إن تكن الليالي عطفنَ عليك بالعزلِ اللثيم

فلم أرَ صرفَ هذا الدهرِ يجري بمكروهٍ على غيرِ الكريمِ

وقال أبو العتاهية في محمد بن هشام السدري :

لا يهنا الأعداءُ عزل ابن هاشم فكلُّ مولى قصرهُ الصرفُ والعزلُ

لقد كان ميمونَ الولايةِ قابضاً يدَ الجورِ مبسوطاً به الحقُّ والعدلُ

يرومُ رجالٌ خطه وهو سابقٌ أبى الله إلا أن يطولَ وأن يعلو

(دعاء الأعياد)

أخبرنا عنه عن جبلة بن محمد الكوفي عن أبيه قال قال ابن شبرمة لعيسى

(١) أى إلحاق . (٢) فى الأصل « الندى » (٣) فى ديوان البحترى « الأرض »

أبن موسى يوم أضحى : قبل الله منك الفرض والسنة واستقبل منك الخير والنعمة
وقرأه بالاقبال يومك .

(ما قيل في القيام للآجلاء)

أخبرنا أبو أحمد عن الصولى قال حدثنا محمد بن يزيد بن عبد الأ كبر قال حضر
بعض العرب مجلساً فجاء صديق له فتلقاه من بعيد وقال :

لئن قمتُ ما فى ذلك عندى عَضَاةٌ عَلَى وِائى للشريف مُذال
على أنه منى لغيرك ذِلَّةٌ ولكنهُ يبنى وبينك يَجْمَلُ

ومن مشهور ما قيل فى هذا المعنى :

فلما بصرنا به مائلاً حللنا الحى وأبتدرنا القيامة
فلا تنكرنَّ قيامى له فان الكرىم يجلُّ الكراما

وأشدنا أبو أحمد عن الصولى عن يحيى البحترى لأبيه فى عبيد الله بن
عبد الله من قصيدة طويلة :

ومُجَلُّ وسط الرجال خفوفهم لقيامه وقيامهم تقوده
فالله يكلوهُ لئسا ويحوطهُ ويُعزِّه ويُزيدُ فى تأييده

وقال غيره :

أتعجبُ أن أقومَ إذا بدالى لأكرمه وأعظمهُ هشامُ
فلا تعجبُ لاسراعى إليه فان لمثلهُ مُخلقَ القيامُ

وقال البحترى :

يقومون من بعد إذا بصروابه لا باج موفور الكرامة (١) أروع
ويبتدر الراؤون منه إذا بدا سنى قمر من سدة الملك مطلع
إذا سار كف اللحظ عن كل منظر سواه وغضَّ السمع (٢) عن كل مسمع

فلست ترى إلا إفاضة شاخصٍ إليه بعينٍ أو مشيراً بأصبعٍ

﴿ما قيل في شعبان وشهر رمضان وشوال﴾

فنه قول الفرزدق وأجاد في ذلك :

إذا ما مضى عشرون يوماً تحركت أراجيفُ بالشهرِ الذي أنا صائمه
وطارت رِقاعُ بالمواعيدِ بيننا لكي يلتقي مظلومٌ قومٍ وظالمه
فان شالَ شوالٌ مُثلٌ في أكفنا كؤوسٌ تُعادي العقلَ حينَ تسالمه
ومعاني هذه الأبيات كلها مُبتكرة لم يسبق إليها الفرزدق .

وأنشدنا أبو أحمد عن الصولي عن الرياشي عن أبيه :

وقفنا فلولا اننا راضنا الهوى لهتكنا عندَ الرقيبِ نجيبُ
ومن دون ما نلقاهُ من لوعةِ الهوى تُشَقُّ جُيوبٌ بل تُشَقُّ قلوبُ
على أن شوالاً أشالَ بوصلنا ومرتعهُ للعاشقينَ خِصيبُ
وأنشدنا أبو أحمد عن الصولي قال أنشدنا ابن بسام لنفسه :

سقيبا لشهرِ الصومِ من شهرٍ عندى له ما شاءَ من مُشكرٍ
كم من عزيزٍ فيه فزنا به أنهضهُ الليلُ من الوكرِ
ومن إمامٍ كانَ لي وصلهُ إلى كحيلِ العينِ بالسحرِ
لو كانَ يدري بالذي خلفهُ أعجلهُ ذلكَ عن الوترِ
وخلةٌ زارتك مُشتاقه في ليلةِ القدرِ على قدرِ
فانصرفَ الناسُ بما أملاوا وُبؤت بالآتامِ والوزرِ
وأنشد المُبرد للحارثي :

شهرُ الصيامِ وإن عظمتَ حرمتهُ شهرٌ طویلٌ بطيء السيرِ والحركة
يمشى الهويونا إذا ما رامَ فرقنا كأنهُ بطةٌ تنجرُ في شبكه
لا يستقرُّ فأما حينَ يطلبنا فلا سليلك يُدانيه ولا أساكه^(١)

كأنه طالبٌ ثاراً على فرس
ياصدق من قالَ أيامَ مباركةٍ
أجدُّ في إثرِ مطلوبٍ على رمكةٍ (١)
إن كان يكفى عن اسم الطولِ بالبركة
وقال آخر :

مضى رمضانٌ محموداً وأوفى علينا الفطرُ يقدمهُ الشرورُ
وفي مرَّ الشهورِ لنا فناءً ونحنُ نحبُّ أن تغنى الشهورُ
وحدثنا أبو أحمد عن الصولى قال حدثنا الحسين بن يحيى قال كتب الحسين بن
وهب إلى الحسن بن رجاء يوم شك وقد أفطر الواثق :

هزرتك للصباح وقد نهانا أمير المؤمنين عن الصيام
وعندى من قنات المصير عشرٌ تطيبُ بهنَّ دائرةُ المدام
فكن أنتَ الجوابَ فليسَ شيءٌ أحبُّ إلىَّ من حذفِ الكلامِ
وقال غيره :

أقول لصاحبي وقد بدا لى هلالُ الفطرِ من تحتِ الغمامِ
سنسكرُ سكرةً شنعاءَ جهراً وننمرُ فى قفا شهرِ الصيامِ
وقال محمد بن عبد الله بن الحسين بن عبد الله الجعفرى :

هل لك فى صهباءَ مشمولةٍ ليست من الدبسِ الذى ينبذُ
فانَّ شعبانَ على طيبهِ دربٌ إذا فكرتَ لا ينغذُ
وقال أحمد بن يزيد :

ألا سقيانى من معتقةِ الحمرِ فلا عذرَ لى فى الصبرِ أكثرَ من شهرِ
وإن كنتما لم تعلما فتعلمنا بأنَّ زمانَ الصومِ ليس من العمرِ
وحدثنا أبو أحمد عن الصولى قال حدثنا أبو الحسن محمد بن أبى الموج الرازى
وقال حدثنى أبى قال كتب على بن جبلة الى أبى دلف يستسقيه نبذاً فى يوم عيد الفطر
فوجه اليه بما كفاه وبماتى دينار فقال على بن جبلة :

وأبيض عجلئ رأيتُ غمامهُ وأسيفهُ تقضى على الحدّان
 مَدَدتُ إليه ذمّتي فأجارها وأغنى يدي عن غيره ولساني
 شربتُ ورَوَّيتُ النديمَ بماله وأدركتُ نأراً الراح من رمضان
 وكانَ لسؤالٍ عليّ ضمانةً فكانت عطايا جوده بضمان

وحدثنا عن الصولى قال حدثنا أبو ذكوان القسّم بن اسماعيل قال حدثنا التوزى
 عن أبي عبيدة قال أسلم اعرابي في أول الاسلام فأدركه شهر رمضان فجاع وعطش
 فقال الاعرابي يذكر ذلك :

وجدنا دينكم سهلاً علينا شرائه سوى شهر الصيام

(فصل في معان مختلفة)

أخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن عمه قال كانت عند رجل من بنى
 أسد ابنة عم له ورآها فدخل إليها يوماً وهي مُتفضضة فقال ماشأنك؟ قالت إنك
 لا تشبب بى كما يشبب الرجال بنسائهم، قال أفعل نم أنشأ يقول :

تمتُ عبيدةُ إلا في ملاحظتها والحسنُ منها بحيثُ الشمسُ والقمرُ
 ماخالفَ الظبيُّ منها حينَ بُصرها إلا سوافهُ والجيدُ والنظرُ
 قلّ للذى طابها من حاسدٍ حنقٍ أقصر فرأسُ الذى قد عبتُ والحجرُ
 وأنشدنا للعديل بن الفرّج العجلي^(١) :

هل تقضينَ لستهامَ حاجةٍ نيطتُ إليك بها جبالُ رجائه
 أفنى تجلدهُ بقاءُ دموعه وأدامَ عبرتهُ فنأءُ عزائه

وحدثنا أبو أحمد عن الصولى عن أحمد بن محمد الخراسانى قال كنت في مجلس
 ابن ثوابة فناظره رجلٌ عن ضيعة له فاستقصى الحجة وأخذ بنفسه فقال ابن ثوابة

(١) شاعر مقلد من شعراء الدولة الاموية وكان له ثمانية أخوة وأهمهم جميعاً

ياما بون فوثب الرجل وهو يقول :

كلا نأيرى الجوزاء يا جمل إن بدت ونجم الثريا والمزارُ بعيدُ
فتحدث الناس بها مدة . قال أبو بكر ويشبه هذا حديثاً حدثناه أبو العيناء قال
خاصهم يوماً جيلان القمي المقبول الزيادي فقال المقبول يادعي فأنشأ جيلان يقول :
بُيْدِنَةُ قَالَتْ يَا جَمِيلُ أُرْبَتْنِي فَقُلْتَ كَلَانَا يَا بَشِينَ مُرِيبِ
فبلغ هذا ابن طائشة التيمي فقال : جيلان في التمثل بهذا البيت في هذا الموضع أشعر من
جميل قائله . أنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا أبو بكر بن دريد لنفسه بهجو بعض النحويين :

عظير إنا اختلفنا في الفعل من فاعلين
فقال قومٌ يبتى لجمعنا الهمزتين
وقال قومٌ يعدى بلمتقى الساكنين
وأنت أعلم منا بذا وذاك وذين
لأنك الدهر فعلٌ يعتل من جهتين

وأنشدني عم أبي رحمه الله :

صحبتم دهرًا طويلًا لعسرتي أرحى نجاحًا والظنونُ فنونُ
فما نلتُ منكم طائلاً غيرَ اني تعلمتُ ذلَّ العيش كيف يكونُ
وأنشدني أيضاً في مسجون :
لئن حجبك الحجبُ عنا فربما رأينا جلايبَ السحاب على الشمس

وأنشدنا أبو أحمد عن ابن المسيب عن ابن الرومي :

• خيرُ مالٍ موزونه لئوى الحمد كما خيرُ حمدٍ موزونه
وأصحُّ^(١) الآراء ما ظنَّ ذوالأفـسـنِ بذى الرأى أنه مأفونه

ومن ههنا أخذ المثني قوله :

وإذا أتتكَ مدمتي من ناقصٍ فهي الشهادةُ لي بأني فاضلُ

(١) في الأصل «وأظن» وفي ديوان ابن الرومي المخطوط «وأصح» .

والحلُّ اغْلَاءُ من كلِّ ضَيْفٍ ومضيفٍ مُعْطَلٌ مُسْكُونَةٌ
وأخسُّ الرِّجَالِ من راحَ فِيهِمْ مُسْلِمَ العَرْضِ سَالِماً مَاعُونَةٌ
أَنْفَقَ المَالِ قَبْلَ انْفَاكِكَ العَمْرَ ففِي الدَّهْرِ رَبِيهٌ وَمَمُونَةٌ
لَا تَظَنَّ أَنَّ مَالِكَ شَيْءٌ كَدَمِ الجَوْفِ خَيْرُهُ مَحْقُونَةٌ
قَلِمَا يَنْفَعُ الثَّرَاءُ بَخِيلًا عَلَقَتْ فِي الثَّرَى المِهْيَلِ رَهُونَةٌ
كُلُّ وَأَطْعَمَ فَرِيْمَارِعَ رَبِعاً^(١) زَاكِيًا مِنْ تَعُولِهِ وَمَمُونَةٌ
وَإِذَا مَا ظَنَنْتَ شَرًّا فَخَفْهُ رَبُّ شَرِّ يَقِينُهُ مَظْنُونَةٌ
كَمْ رَكُونٍ جَنَى عَلَيْكَ حَذَارًا مِنْ أَطَالِ الرَّثِّ كُونَ قَلَّ رَكُونَةٌ

وَأَنشَدَنَا أَبُو أَحْمَدَ عَنِ ابْنِ الْأَنْبَارِيِّ عَنِ أَبِيهِ :

يَمُوتُ قَوْمٌ فِيحْيِي العِلْمُ ذَكَرَهُمْ وَيُلْحَقُ الجُهْلُ أَحْيَاءَ بِأَمْوَاتٍ
وَنَحْوَهُ قَوْلُ دَعْبِلِ :

سَأَقْضِي بَيْتِي بِحَمْدِ النَّاسِ أَمْرَهُ وَيَكْثُرُ مِنْ أَهْلِ الرِّوَايَةِ حَامِلُهُ
يَمُوتُ رَدِيءُ الشَّعْرِ مِنْ قَبْلِ رَبِّهِ وَجَيِّدُهُ يَبْقَى وَإِنْ مَاتَ قَائِلُهُ

أَخْبَرَنَا أَبُو أَحْمَدَ عَنِ أَبِي بَكْرٍ عَنِ أَبِي عَثْمَانَ عَنِ التَّوْزِيِّ عَنِ أَبِي عُبَيْدَةَ عَنِ
خَالِدِ عَنِ يُونُسَ : دَخَلَ الطَّرْمَاحُ بْنُ حَكِيمٍ عَلَى خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ فَقَالَ لَهُ :
أَنشَدَنِي بَعْضُ شَعْرِكَ فَأَنشَدَهُ قَوْلُهُ :

وَشَيْبِنِي أَنْ لَا أَزَالَ مُنَاهِضًا بِغَيْرِ غِنَى أَسْمُو بِهِ وَأَبُوعُ
وَأَنَّ رِجَالَ المَالِ أَضْحُوا وَمَالَهُمْ لَهُمْ عِنْدَ أَبْوَابِ المُلُوكِ شَفِيعُ
أُمْتَحَرْتُمِي رَبِيبُ المُنُونِ وَلَمْ أَنْلِ مِنْ المَالِ مَا عَصَى بِهِ وَأَطِيعُ
فَأَمْرُ لَهُ بَعْشَرِينَ أَلْفًا وَقَالَ لَهُ اعْصِ بِهَا الآنَ وَأَطِعْ إِذَا شِئْتَ .

(١) فِي الْأَصْلِ «فَكُلُّ مَارَاعِ رَبِعاً» وَالتَّصْحِيحُ مِنْ دِيوَانَ ابْنِ الرُّومِيِّ المَخْطُوطِ .

﴿ التفاضل بين الاخوان ﴾

أفشدنا أبو أحمد عن أبي بكر :
 وبعض الأمر أصاحه ببعض
 ترى بين الرجال العين فضلا
 وفيما أضمروا الفضل المبين
 كلون الماء مشتبهاً وليست
 تحير عن مذاقته العيون

﴿ الحث على موافقة الناس ﴾

من أحسن ماورد في ذلك قول الشاعر :
 الناس أن وافقتهم عذبوا
 أولاً فإن جنهم مر
 كم من رياض لا نظير لها
 تركت لأن طريقها وعر
 ولما أدل أملني فسلوته
 من ذا يدل فلابل محبه
 نال الله ما أتبع النبي محمد
 لو كان فظاً أو غليظاً قلبه

﴿ إغباب الزيارة ﴾

قال مسلم بن الوليد :
 إنى كثرت عليه في زيارته
 فملّ والشيء مملول إذا كثرا
 قد رابني منه أنى لا أزال أرى
 في عينه قصراً عني إذا نظرا
 وقال السكيت : * ولولم تغب شمس النهار لمّلت * فأخذه أبو تمام فقال :
 فأنى رأيت الشمس زبدت حجة
 إلى الناس إذ ليست عليهم بسرمد
 ونقله آخر إلى ذكر الغيث :

عليك باقلال^(١) الزيارة إنها
 فأنى رأيت القطر^(٢) يسأم^(٣) دائباً^(٤)
 تكون متى دامت^(٥) إلى الهجر مسلكا
 ويطلب بالأيدى^(٥) إذا هو أمسكا

(١) وفي رواية « باغباب » (٢) وفي رواية (إذا كثرت كانت إلى) . (٣) في

رواية (الغيث) . (٤) في الأصل (دائماً) ، (٥) وفي رواية (ويسال بالأيدي) .

وقال آخر: وأغيبتُ الزيارَةَ لاملالاً ولكن من محاذرةِ الملالِ
وهذا كله من قول النبي ﷺ « زُرْ غَيْباً تَزِدُّكَ حُبّاً » (١)
وقلت: مازلتَ تلقاهُ فضاقَ صدرُهُ وعادَ من بعد الوصالِ هجره
من أكثر الغشيانِ خسَّ قدرُهُ لو كثرَ الياقوتُ هانَ أمره
ولم يعزَّ محرهُ ومُصفرهُ ولا علا بين الأنامِ ذكرهُ

(في ذم العجائز قول الشعراء)

رأيتُ البيضَ قد أعرضَ عنى فمن لى أن تساعدنى عجوزُ
كانَّ بمجامع اللحينِ منها إذا حسرت عن اللحينِ كوز
ومن المشهور قول الحرمازى:
لا تنسكنَّ عجوزاً إن دعيتَ لها واخلع ثيابك عنها ممعناً هرباً
فان أتوك وقالوا إنها نصفُ فان أطيبَ نصفها الذى ذهباً
وقال آخر: وما غرنى (٢) إلا خضابُ بكفها وحلُّ بعينها وأثوابها الصفرُ
وجاءوا بها قبلَ المحاقِ بلبلةٍ فسكانَ محاقاً كله ذلك الشهرُ

(ما ورد في فضل الحمام)

قال السرى بن عبد الله الرفاء:
أسعيدُ هل لك في زيارة منزلٍ نثنى عليه جوارحُ الزوارِ
رحب ترى الجدران فيه بنابعاً (٣) وترى السماء كثيرة الأقار (٤)
ينضو حبي الوجه ثوب حياثه فيه فيخطر كالحسام العنارى
وترى على غدراثة (٥) بهم الوغى يخطر ما بين القنا الخطارِ

(١) رواه البزار وأبو نعيم والبيهقي في الشعب وابن حبان في صحيحه (٢) في نسخة (وما راغنى) . (٣) في ديوان السرى المخطوط . « رحب تلاقى الجدر منه بنابع » . (٤) في الديوان (عليه كالأقمار) . (٥) في الديوان « على جدرانه » .

سُئِلَتْ سَيْوْفُهُمْ بِغَيْرِ بَوَارِقٍ وَجَرَتْ مُخْبِوْلُهُمْ بِغَيْرِ غُبَارٍ
مَعَ آيَاتٍ أُخْرٍ غَيْرِ مُخْتَارَةِ الرَّصْفِ . وَقَلْتُ :

قَمٌ بِنَا نَنْزَلُ فِي خَيْرِ دَارٍ وَهِيَ إِنْ مَيَّزَتْهَا شَرُّ دَارٍ
مَنْزَلٌ تَخْلَعُ دِينُكَ فِيهِ حِينَ تَأْتِيهِ خَلِيعَ الْإِزَارِ
لَا تَرَى فِيهِ الشَّمْسُ نَهَارًا وَتَرَى الْإِقْمَارِ نَصْفَ النَّهَارِ
وَعَلَى حَيْطَانِهِ أَسَدٌ حَرْبٍ فَوْقَ امْهَارٍ وَفَوْقَ مَهَارِ
شَهِدُوا الْحَرْبَ بِأَرْمَاحِ زَوْرٍ وَسَيْوْفِ نَائِيَاتِ الشَّفَارِ
وَتَرَى الْإِبْدَانَ حِينَ أَتَتْهُ تَسْكُتُ الصِّحَّةُ وَهِيَ عَوَارِي
بَيْنَايِعَ كَقَضْبَانِ دُرٍّ تَتَكَافَأُ مِنْ وَرَاءِ الْجِدَارِ
وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَزِ فِي ذِمِّ حَمَامٍ :

وَحَامِنَا كَالعُجُوزِ يَشْقَى بِهَا الْوَارِدُ
فِيَتْ لَهُ مُنْتَنٌ وَبَيْتٌ لَهُ بَارِدٌ

وَلَقَدْ أَخَذَ هَذَا اللَّفْظَ بَعِينَهُ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ وَزَادَ فِيهِ فَقَالَ :

وَحَامِنَا هَذِهِ كَالعُجُوزِ نَلْذُ وَيَشْقَى بِهَا الْوَارِدُ
فِيَتْ لَهَا مُنْتَنٌ ضَيْقٌ وَبَيْتٌ لَهَا وَاسِعٌ بَارِدٌ

وَمِنْ أَجْوَدِ مَا قِيلَ فِي صِفَةِ الثُّورَةِ قَوْلُ الْآخِرِ :

وَمَجْرَدٌ كَالسَّيْفِ أَسْلَمَ نَفْسَهُ لِجَرْدِ بَكْسُوهِ مَا لَا يُنْسَجُ
ثَوْبًا تَمَزَّقُهُ الْأَنْمَالُ رِقَّةً وَيَذِيْبُهُ الْمَاءُ الْقَرَّاحُ فَيَهْجُ
وَكَأَنَّهُ لَمَّا التَّقَى فِي خَصْرِهِ نَصْفَانِ ذَاعَاجٌ وَذَا فَيَرْوِجُ

(الشطرنج - قلت فيه)

إِذَا أَهْفَيْتِ الصَّهْبَا مِنْ قَدْحٍ وَمِنْ شَجٍّ
وَكَانَ الْكَأْسُ لَا يُجْدَى وَمَزَجَى الرَّاحَ لَا يُزْجَى

وأرجى الشرب من يرجى وألقى اللهو من يلغى
 من الأعراب في الحج لأيام أخاضتنا
 ومنها القلب في وهج فمنها الجسم في نقص
 وإن أصبحت في تلج فما أفك في حر
 وما من كيدها منجى وما من شرها ناج
 مليح النظم والنسج تمتعنا بمسموع
 على نرد وشطرنج وتلو ذكر من نهوى
 ولسنا منه في هرج كأننا منه في هرج
 وقام الرثوم للزنج تمشى الزنج للروم
 تمشين إلى دعج فما أحسنها أيضاً
 بلا عجب ولا عجب أقمنا بيننا حرباً
 ولا بوق ولا صنج شهدناها بلا طبل
 ولا رُمح ولا زج وجئناها بلا سيف
 بلا لجم ولا سرج ترى أفراسنا تمدو
 لأمر غير معوج مشى الفرزان معوجاً
 فلا يعدو عن النهج ورخ ينتحي نهجاً
 يدا شلح ولا عالج وفيل ليس يحدوه
 لوام النصر والفالج وعند الشاة منصوب
 عليها سيمه السرج وحولى أوجهه غر
 تراهم أول الدرج إذا مادون الحسن

(ماورد في النرد)

وقال السرى بن عبد الله الرفاء :

ومحكان على النفوس وربما لم يحكما فيهن حكماً عادلا

يلقاهما المرزوقُ سعيداً طالعاً ويراها المحرومُ سعداً آفلاً
فإذا هما اصطجبا على كف الفتي ضرّاه أو نفعاه نفعاً عاجلاً

(وأما القدح)

فأجود ما قيل فيه قول ابن مقبل :

خروجٌ من العمى إذا صكَّ صكَّةً بدا والعيونُ المستكفةُ تلمحُ
غدا وهو يحدولُ وراح كأنَّهُ من المسِّ والتقليبُ بالسكفِ أو طحُ
إذا امتحنتهُ من معدِّ عصابةً غدا وبهٍ قبل المفيضين مقدحُ

(انتظار الفرج)

أنشدنا أبو أحمد عن ابن دُرَيْد :

إذا اشتملتُ على اليأسِ القلوبُ وضاقَ بما بهِ الصدرُ الرَّحيبُ
وأوطنتِ المكارهُ وأطأنتِ وأرستِ في مطامِها الخطوبُ
أناك على قنوطِ منك غوثُ يمينُ بهِ اللطيفُ المستجيبُ
وكلُّ الحادثاتِ إذا تناهتُ فمقرونُ بها الفرجُ القريبُ
وقلت : لكلِّ مُلمةٍ فرجٌ قريبُ كمثلِ الليلِ يتلوهُ الصباحُ
وإنَّ لكلِّ صالحَةٍ فساداً كذلكِ لكلِّ فاسدةٍ صلاحُ
وللايامِ أيدٍ باسطاتُ وأفنيةٌ موسعةٌ فساحُ
وقد تأتى وأوجهها صباحُ كما تأتى وأوجهها قباحُ
وللجالاتِ ضيقُ واتساعُ وللدنيا انفلاقُ وانفتاحُ
فلا تجزعُ لها واصبرِ عليها فإنَّ الصبرَ عقباهُ النجاحُ
وكلُّ الحادثاتِ إذا تناهتُ فمقرونُ بها الفرجُ المتاحُ

(معنى آخر)

قد ينفعُ الأدبُ الاحداثَ في مهلٍ وليسَ ينفعُ بعدَ الكبرةِ الأدبُ

إنَّ الفصونَ إِذَا قَوَّمتها اعتدلتُ ولا يَلينُ إِذَا قَوَّمته الخشبُ
 وأجود ما قيل في ازدحام المتجمعين على أبواب المفصلين البيت المشهور:
 من أكثر الاحسان من فعله وعم بالفضل جميع الأنام
 يزدهم الناس على بابه والمشرَب العذب كثير الزَّجام
 وقال أبو الهول:

إِذَا السماء أَبَتْ إِلا محاذرةً سَحَّتْ يد الفضل ياقوتاً وعقيانا
 ترى الرِّفاق إلى أبوابه زمراً ورد القطا أقبلتُ مثني ووحدانا

﴿ معنى آخر ﴾

ليسَ جودٌ أعطيته بسؤالٍ قد يهزُّ السؤالُ غيرَ جوادٍ
 إنما الجودُ ما أتاك ابتداءً لم تذقْ فيه ذلَّةَ الترداد

﴿ ومن أجود التشبيهات في المحجمة قول بعضهم ﴾

وخضراء لا من بناتِ الهديلِ يلفُفُ بالسيرِ مِنقارها
 كأنَّ مشقَّ عيونِ القطا إِذَا هنَّ تؤمن آتارها
 وقال أيضاً في الحجامة:

أما وأبيك لا أنساهُ تدمي مضاربُ سيفه البطل الكميا
 وبرقاً في أنامله إِذَا ما نالِقَ فتَّحَ الوردَ الجنيا
 إِذَا ظمئتُ فراخُ أبيك يوماً سقاها من رقابِ الناسِ وياً
 وإن جرحَ الأخدعَ مطمئناً كسا الوجناتِ ديباجاً بهيا
 ولم أرَ مثلهُ يأتى عُقوقاً ويدعوهُ الورى برّاً تقيا
 وقال آخر: أبوك أوهى النجادُ عاتقه كم من كمي آدمي ومن بطلِ
 يأخذن من ماله ومن دمه لم يمس من ثأره على وجلِ

﴿ ومما قيل في خطل الرأي قول الآخر ﴾

عُذْرِكَ عِنْدِي بِكَ مَبْسُوطٌ وَالْعَتْبُ عَنْ مِثْلِكَ مَحْطُوطٌ
لَيْسَ بِمَسْخُوطٍ فَعَالٌ أَمْرِي كُلُّ الَّذِي يَأْتِيهِ مَسْخُوطٌ
وقال آخر :

يَأْمَنُ يِقْلِقُهُ طَيْنٌ ذِبَابٍ وَيَقْلُقُهُ عَزْمَةٌ صَرِيرُ الْبَابِ
ضَرْبُ السَّرَادِقِ فِي رُوقِي بَابِهِ وَالذَّارُ تَعْجُزُ عَنْ مَقِيلِ ذِبَابِ
وَأَقَامَ لِلْبُؤَابِ حَاجِبَ حَاجِبِ أَرَأَيْتَ حَاجِبَ حَاجِبِ الْبُؤَابِ

﴿ إفساد المعروف باليمن ﴾

قال بعضهم :

الْبَانُ إِبْلٌ تَعَلَّهَ بِنِ مُسَاوِرٍ مَا دَامَ يَمْلِكُهَا عَلَى حَرَامٍ
وِطْعَامِ عَمْرٍ وَابْنِ أَوْفَى مِثْلَهُ مَا دَامَ يَسْلُكُ فِي الْبَطُونِ طَعَامِ
أَنَّ الَّذِينَ يَسُوعُ فِي أَحْلَاقِهِمْ زَادَتْ يَمْنٌ عَلَيْهِمْ لِلثَّامِ
لَعْنِ الْإِلَهِ تَعَلَّهَ بِنِ مُسَاوِرٍ لَعْنًا يَشْنُ عَلَيْهِ مِنْ قُدَّامِ

﴿ من يعيب غيره وهو معيب ﴾

من المشهور في ذلك قول الشاعر :

أَرَى كُلَّ إِنْسَانٍ يَرِي عَيْبَ غَيْرِهِ وَيَعْمَى عَنِ الْعَيْبِ الَّذِي هُوَ فِيهِ
وَمَا خَيْرٌ مِنْ تَخْفِي عَلَيْهِ عَيْبُ بِهِ وَيَبْدُو لَهُ الْعَيْبُ الَّذِي لِأَخِيهِ
وَلَأَبِي دَلَامَةٌ (١) فِي مَعْنَاهُ :

إذا الناسُ غَطُونِي تَغْطِيَتْ عَنْهُمْ وَإِنْ بَحْثُوا عَنِّي فَفِيهِمْ مَبَاحِثُ

(١) هو زند بن الجون، وأكثر الناس يصحف اسمه فيقول زيد - بالياء - وهو

زيد بالنون . وهو كوفي ، نبغ في أيام بني العباس وانقطع إلى أبي عباس والمنصور
والمهدي فكانوا يصلونه .

وان حفروا بئرى حفرتُ بئارهم ليعلم قومٌ ماتضمُّ النبأثُ^(١)

(معنى آخر)

صديقك حينَ تستغنى كثيرٌ ومالك عندَ فقرك من صديق
فلا تفضبُ على أحدٍ إذا ما طوى عنك الزَّيارَةَ عند ضيق
في مدح قوادة حاذقة :

تكادُ لو لم تك إنسيةً تجري من الانسانِ مجرى الدم
لا تعصم الحسناءُ من كيدها ولو توتَ في منزلِ الأعصم
وقول الآخر في ذلك :

نُسهلُ كلِّ ممتنعٍ عسيرٍ وتأتى بالمرادِ على اقتصادِ
فلو كلفتها تحصيلَ طيفِ الخيالِ ضحى لزارَ بلارقادِ
وقريبٌ من ذلك قول الآخر :

من ذمَّ إدريسَ في قيادتهِ فاني شاكرٌ لادريس
منَّ بمستصعبٍ فجاءَ بهِ أطوعَ من آدمٍ لابليس
وكانَ في سرعةِ المجيءِ بهِ آصفَ في حملِ عرشِ بلقيس

(معنى آخر)

مازددتُ في أدبي حرقاً أَسْرُ بهِ إلا تزيَّدتُ حرقاً تحتَه شوم
انَّ المقدمَ في حذقٍ بصنعتِه أنى توجَّهَ منها فهو محروم
وقريب منه : ولرُبَّما رزقَ الفتى بسكوته
ومن الجيِّدِ في ذلك قول الآخر :

إذا اجتمعت في امرئين صناعةٌ وأحبيتَ أن تدرى الذى هو أحذق
فحيث يكون النقص فالمالُ واسعٌ وحيث يكون الحذق فالرزق ضيق

(١) في نسخة « النوابث » وفي الأغاني « ليعلم يوماً كيف تلك النبأث »

﴿ معنى آخر ﴾

وإذا قلَّ مال المرءٍ لانت قناته
ومثله قول الآخر : المرءُ يكرمُ للغنى
وقال آخر : غضبان يعلم أن المال ساق له
فمن يكن عن كرام الناس يسأني
وقال آخر : كفي حزناً أني أروح وأغتندي
وأكثر ما ألقى صديقي بمرحباً
وقال آخر في معناه :

أجلك قومٌ حين صرت إلى الغنى
وليس الغنى إلا غنى زين الفتى
وكلُّ غنى في القلوب جليل
عشية يقرى أو غداة ينيل

﴿ ماورد في حظ الجاهل ﴾

فمن جملة ذلك قول الشاعر :

ومالب اللبيب بغير حظٍّ
رأيت الحظَّ يستركل عيب
بأغنى في المعيشة من فتيل
وهيهات الحظوظ من العقول

والعرب تقول إسع بجحد أودع . وقال الخارث بن حلزة :

والعيش خيرٌ في ظلا
الكلُّ حرٌّ مبتلى
وقلت :
والنحسُ في طالعه
فكن رقيماً ساقطاً
وكن رقيماً ماجداً
هيهات أن يحظى الفتى

وقال آخر : الجدُّ أنهضُ بالفتى من عقله
وإذا تعسرت الأمور فارجهما
فانهضُ بجدي في الحوادثِ أودر
واستأنف الأمر الذي لم يعسر

مأقرب الأشياء حين يسوقها قدراً وأبعدها إذا لم يقدر

﴿ الاستعانة بالجاهل في وقت الحاجة ﴾

قال بعضهم: ولن يلبث الجاهل أن يتمضموا
وقال الأحنف بن قيس:

وذى ضغن أمت القول منه
ومن يحلم وليس له سفية
وقال غيره: لأبد للسيد من أرماع
ومن سفية دائم النباح

ومن سفية دائم النباح

﴿ معنى آخر ﴾

وما الجود من فقر الرجال ولا الغنى
فنفسك أكرم عن أمور كثيرة
وقد تخدع الدنيا فيمسي غنيها
وكم طامع في حاجة لا ينالها

ولسكنه خيم النفوس وخيرها

فمالك نفس بعدها تستعيرها

فقيراً وبغى بعد بؤس فقيرها

وكم آيس منها أتاه بشيرها

﴿ الاقتداء بالقرين ﴾

أجود ما قيل فيه قول رسول الله ﷺ «المرء على دين خليله» (٢)

ومن أقدم ما قيل فيه قول عدى بن زيد العبادي:

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه
فإن القرين بالمقارن مقتدى

(١) في الأصل (ومن) . (٢) بقية الحديث « فلينظر أحدكم من يخال له »

رواه أبو داود والترمذي وحسنه والبيهقي والقضاعي وغيرهم، قال الشاعر:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه

فان كان ذا شر فجنبه سرعة

وان كان ذا خير فقارنه تهدي

اذا كنت في قوم فصاحب خيارهم

ولا تصحب الأردى فتزدى مع الردى

وليس رصفه بالجيد . وقال غيره :

ولا يسئل الانسان إلا قرينه^١ وإن لم يكونا من قبيل ولا بلد

﴿ المأخوذ بذنب غيره ﴾

قال الشاعر في ذلك :

جنى ابن عمك ذنباً فابتليت به^٢ إن القتي بابن عم السوء مأخوذ

ومن قديم ما قيل في ذلك قول النابغة :

أحملتني ذنب امرئ وتركتهُ كذى العر يكوى غيره^٣ وهوراتع

وقال غيره : إني وقتلي سليكاً ثم أعقله كالثور يضرب لما عافت البقر

﴿ في النهي عن الظلم قول الاول : ﴾

البغي يصرع أهله والظلم مرتعه وخيم

وقال النبي ﷺ « الظلم ظلمات^٤ يوم القيامة »^(١) . وقال بعضهم :

ظلمك من خلقك مستخرج^٥ والظلم مشتق^٦ من الظلمة

وقلت في عامل صودر :

لو أنصف الظالم من نفسه لأنصف الظالم في نفسه

إن كان لا يرحم في يومه لكان لا يرحم في أمسه

﴿ ماورد في الجبن ﴾

وأفتنا هجين بنى سليم يُغدى^٧ الشهر من حب الاياب

فلولا الله والشهر المغدى لا بت وأنت غربال^٨ الاهاب

وقال آخر :

باتت تُشجفني هند^٩ وقد علمت أن الشجاعة مقرر^{١٠}ون بها العطب^{١١}

(١) حديث متفق عليه عن ابن عمر مرفوعاً ، ورواه مسلم وغيره عن جابر

بلفظ « إئتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة » .

ياهندُ لاوالذي حجَّ الحجاجُ لهُ
وقال آخر في المعنى :

نجوتُ نجاتاً لم يرَ الناسُ مثله
وقال آخر :

يقولُ ليَ الأميرُ بغيرِ شكِّ
ومالي إن أظمتك من حياةٍ
تقدّم حين جدبنا الميراسُ
ومالي بعد هذا الرأسِ راس

(ومن المضحكات قول الآخر)

ألم ترني وعمراً حين نغدو
أسايرُهُ على يميني يديه
إلى الحاجاتِ ليس لنا نظيرُ
وفيما بيننا رجلٌ ضريبُ
ومن المضحكات قول القاساني في الجبن والتطفيل :

أرأى في النوم رُحماً أوسناناً
ولسكني المبارزُ حين أَدعى
فأسلحُ في الفراشِ على مكاني
وما عمروُ هناك أشدُّ مني
إلى أكل العصيدةِ والفراني
ولا العبسيُّ عنترَةَ الطعان
فألقي بالسكلاكِ والجراتِ
ترأى عندها ليثاً نفيراً
إذا ما اصطك مني الماضغان
أشدُّ على الخبيصةِ لأبالي
بأى جنوبها وقعتُ بناني
وكم طبق رَدَدْتُ وليس فيه
من البقلِ المحصلِ حبتان

(الخلق من الثياب)

قال الحمدوني :

طالَ تردّأدهُ إلى الرَّفِّوحتى
وقال آخرُ : قال غسّالي لما
لو بعثناهُ وحندهُ تهدي
جئته قولاً صحيحاً
باعزيزي أنا لا أغسلُ بالصابونِ ريحا

وأحسن من ذلك كلمة وأشهر قول الآخر :
يا ابن حرب كسوتني طيلساناً ملّ من صُحبة الزّمان وصدّاً
إن تمنجنحت فيه ينحز عيراً أو تحركت فيه ينقدّ قدّاً

﴿ من أحب لبناته الموت ﴾

قال بعض الأعراب :

انى وإن سيقَ إلى المهرُ ألفٌ وعبدان وذودٌ عشرُ
أحبُّ أصهارى إلى القبرُ

وقال عبيدُ الله بن عبد الله بن طاهر :

لكلِّ أبى بنتٍ يُراعى شؤونها ثلاثةُ أصهارٍ إذا طُلبَ الصهرُ
فبعلٌ يُراعيها وخدرٌ يكنهما وقبرٌ يُوارىها وخيرٌهما القبرُ
جعل القبر خير الثلاثة الأصهار فإنه نعم الصهر في الستر . كلام الملحدين لعنهم الله :

فمنهم ديك الجن عبد السلام بن رغبان الحمصي :

هى الدنيا وقد نعموا بأخرى وتسويفُ النفوس من السوافى
فان كذبوا أمنت وإن أصابوا فان المبتليك هو المُعافى
وأصدق ما أثبتك ان قلبي بتصديقِ القيامةِ غير صافى

وقال ابن أبي البغلة :

باح ضميرى بمضمرة الأمرِ وذاك أنى أقولُ بالدهرِ
وليسَ بعد الماتِ حادثةٌ وإنما الموتُ بيضةُ العقرِ
وقال آخرُ : يا ناظرأ فى الدين ما الأمرِ لا قدرٌ صحَّ ولا جبرُ
ماصح عندي من جميع الورى يُذكرُ إلا الموتُ والقبرُ

قبحهم الله لقد أعظموا القول ولم ينتفعوا إلا بالفضيحة فى الدنيا والاثم فى

الآخرة . وإنما أورد مثل هذا لتعرف أهله ولأن تسمية الكتاب توجبه . ونحوه

قول ابن الرومي وأجاد :

أيارب إن سوّيتَ بيني وبينه
فكيفَ وقد أعلّيتهُ وخفضتني
لما كانَ عدلاً أنْ نكونَ سواءَ
فسكنتُ له أرضاً وكانَ سماءَ

(فصل آخر)

كتب أبو الشيبس إلى رجل كان وعده مخدّة فأبطأت عليه :
ياصديقي وأخي في كلِّ مايعرو وشدّه
ليت شعري هل زرعتم بذرَ كتانِ المخدّه
وأخبرني أبو أحمد عن أبيه عن أحمد بن أبي طاهر قال أهدى بعض العمال
إلى دعبل بن علي الخزاعي برذوناً زمناً فرده وكتب إليه :

وأهديتهُ زَمِناً فانياً فلا للُّ كوبٍ ولا للثمنِ
حملتَ علي زَمِنٍ شاعراً فسوف يكافي بشعرِ زمنِ
أيا الفضل ذمّاً وُغرمامعاً فما كنتَ ترجو بهذا الغينِ

ووعد رجل دعبلاً فعلا بهد بها إليه عند قدمه من الحج فأبطأت عليه فقال دعبل الخزاعي :

وعدتَ النعلَ ثمَّ صدفتَ عنها كأنك تشتهي شتاً وقذاً
فإن لم تُهدِ لي نعلاً فكنها إذا أعجمتَ بعد النونِ حرفاً

وأخبرني أبو أحمد عن أبيه عن أحمد بن أبي طاهر قال كتب إلى أبو علي
البصير يستهديني بخوراً كنتُ أهديتُ منه إلى بعض إخواني ، والأبيات :

ياشقيقى وياخيلى إباءَ المرجبي لسكلِّ خيرٍ ومير
أنتَ من أطيبِ الأنامِ بخوراً غيرَ أنى شممتهُ عندَ غيرى
وهوجمٌ لديك فابعثْ بدرجٍ منه إن لم أكنْ تعديتُ طورى
فكُتبتُ إليه :

قد بعثنا اليك منه بدرج وأزرنك منه أطيبَ زور

بين ندي وبي عود مطراً
 أنت منه أزكي وأطيب عرفاً
 ماله مشبه بنجدٍ وغورٍ
 وهو أزكي من كل طيبٍ ونورٍ
 ما تعديت فيه طورك عندي
 فتبخر منه بأيمن طير

• وحدثني أبو أحمد عن أبيه عن أحمد قال حدثني أبو دعامة الشاعر قال
 كتب العتابي إلى مالك بن طوق يستزيده ويستهديه ويدعوه إلى صلة الرحم والقراءة
 بينه وبينه ومكان مما كتب : إن قرابتك من قرب منك خيره وإن ابن عمك من
 عم نفعه وإن عشيرتك من أحسن معاشرتك وإن أحب الناس إليك أجداهم
 بالمنفعة عليك وإن أهداهم إلى مودتك من أهدى إليك ، ولذلك أقول :

ولقد بلوتُ الناسَ شمْ سبرتهم
 ووصلتُ ما قطعوا من الأسباب
 فإذا القرابة لا تقربُ قاطعاً
 وإذا المودة أقربُ الانسابِ

قال أبو هلال رحمه الله : هذا آخر ما رأينا تضمنه هذا الكتاب وبالله التوفيق
 والحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه آمين .

﴿ فهرس الجزء الثاني من ديوان المعاني ﴾

الصفحة

- ٣ الباب السابع : في صفة السحاب والمطر والبرق والرعد وذكر المياه والرياض والنبات والأشجار والرياحين والثمار والنسيم .
- ٣ الفصل الأول : في صفة السحاب والمطر والبرق والرعد والمياه ---
- ١٢ الفصل الثاني : في ذكر الرياض والأنوار والبساتين والثمار وما يجري مع ذلك .
- ٤٦ الفصل الثالث : في ذكر النسيم .
- ٤٩ الباب الثامن : في صفات الحرب والسلاح والطعن والضرب ، وما يجري مع ذلك .
- ٧٤ الباب التاسع : في صفة الخط والقلم والدواة والقرطاس وذكر البلاغة ، وما يجري مع ذلك .
- ٧٤ الفصل الأول : في ذكر الخط والقلم والدواة والقرطاس ، وما يسلك مع ذلك .
- ٨٧ الفصل الثاني : في ذكر البلاغة .
- ٩٢ من كلام الفلاسفة وما يقاربه من شعر ونثر الأدباء .
- ٩٤ محاسن كلام العرب والاعراب والخطباء والكتاب .
- ٩٧ أمثلة في البلاغة الكتابية .
- ٩٩ ومن جيد الأدعية .
- ١٠١ المديح عند الكتاب نثراً .
- ١٠٣ النهم والتعجب نثراً ، كلمات في الشكر مأثورة عن البلغاء .
- ١٠٦ الباب العاشر : في صفات الخيل والابل والسير والقلوات وذكر الوحوش والطيور والحشرات ، وما يجري مع ذلك .
- ١٠٦ الفصل الأول : في صفات الخيل .
- ١١٨ الفصل الثاني : في ذكر الابل وسيرها ، وما يجري مع ذلك من وصف أحوالها .
- ١٢٨ الفصل الثالث : في ذكر القلوات والظلال والسير والنعاس وما يجري مع ذلك .

- ١٣١ . الفصل الرابع . في ذكر الوحوش والسباع والكلاب والصيد وما يجري مع ذلك .
- ١٣٥ . الفصل الخامس . في ذكر الطيور .
- ١٤٣ . الفصل السادس : في ذكر بقية الحيوان من السنور والقتنذ والفأرة والحية والعقرب والحرباء والضب والبق والبراغيث ، وما يجري مع ذلك .
- ١٥٢ . الباب الحادى عشر : في صفة الشباب والشيب والخضاب والعلل والموت والمرائى والزهد ، وما يجري مع ذلك .
- ١٥٢ . الفصل الاول : في الشباب والشيب والخضاب ، وما يتصل بها .
- ١٦٥ . الفصل الثانى : في ذكر العلل والأمراض والمرائى والتعازى والزهد .
- ١٨٦ . الباب الثانى عشر : في صفة أشياء مختلفة يختم بها ديوان المعانى .
- ١٨٦ . القول فى الحنين إلى الأوطان .
- ١٩٤ . فصل فى مدح الاخوان .
- ١٩٨ . فى ذم الاخوان والرفقاء . وما يجرى مع ذلك .
- ٢٠٤ . فصل فيما قيل فى فضل الوعد ومدح الانجاز .
- ٢٠٦ . ما قيل فى الضحك والبشر عند السؤال .
- ٢٠٨ . فصل فى تعمية الأشعار .
- ٢١٤ . أحسن ما قيل فى تقبيل اليد .
- ٢١٥ . الخض على السلام .
- ٢١٧ . السلام على الكنمار ، رد السلام على الكنمار ، ماجاء فى المصافحة .
- ٢١٨ . قولهم : حياك الله ويياك .
- ٢١٩ . قولهم مرحباً .
- ٢٢٢ . ماجاء فى : أطال الله بقاءك - جعلت فداك .
- ٢٢٣ . دعاء المكاتبة .
- ٢٢٤ . قولهم : كيفه أصبحت .
- ٢٢٩ . ماجاء فى الدعاء للخارج إلى السفر .

- ٢٣٠ الدعاء للقادم من السفر . الدعاء للمهزوم .
 ٢٣١ الدعاء للعزول .
 ٢٣٢ دعاء الأعياد .
 ٢٣٣ ما قيل في القيام للاجلاء .
 ٢٣٤ ما قيل في شعبان وشهر رمضان وشوال .
 ٢٣٦ فصل في معان مختلفة : نسيب ، هجو ، مدح . .
 ٢٣٩ التفاضل بين الاخوان . الحث على موافقة الناس . اغياب الزيارة .
 ٢٤٠ في ذم العجائز . ماورد في فضل الحمام .
 ٢٤١ الشطرنج وما قيل فيه .
 ٢٤٢ ما ورد في الرد .
 ٢٤٣ القدح . انتظار الفرج . معان أخرى .
 ٢٤٤ العطاء بلا سؤال . ما قيل في المحجمة والحجام .
 ٢٤٥ ما قيل في خطل الرأي . إفساد المعروف بالمن . من يعيب غيره وهو معيب .
 ٢٤٦ فرار الأصدقاء عند الضيق . حرفة الأدب .
 ٢٤٧ اغترار الناس بالغنى . حظ الجاهل .
 ٢٤٨ الاستعانة بالجاهل في وقت الحاجة . عزة النفس . الاقتداء بالقرين .
 ٢٤٩ المأخوذ بذنب غيره . النهي عن الظلم . ماورد في الجبن .
 ٢٥٠ ومن المضحكات . الخلق من الثياب .
 ٢٥١ من أحب لبناته الموت .
 ٢٥٢ أبو الشيص ورجل وعده بمخدة . نعل دعبل الخزاعي . استهداء بخور .
 ٢٥٣ المودة أقرب الانساب . متبى الديوان .

(اختلافات نسخة المتحفة البريطانية وغيرها من الروايات والتصويبات في الجزء الثاني)

وأكثرها من استدرجات الأستاذ الدكتور كرنكو

الصفحة السطر	الصفحة السطر	الصفحة السطر
٢٠ ١٠٩	١٢ ٤٣	٤ ١
٢٢ ١٠٩	١١ ٤٩	٢٣ ٤
١٥ ١١٠	١ ٥١	٥ ٦
٢ ١١١	٤٣ ٥٣	١٠ ٦
٤ ١١١	٧ ٥٥	١١ ٦
١٩ ١١٢	١٨ ٦٤	١٢ ٦
٧ ١١٤	١٩ ٦٤	٨ ٧
١٨ ١١٤	٢٠ ٦٤	٢٢ ١٢
١ ١١٥	٢١ ٦٤	٢٢، ٩ ١٣
١٧ ١١٦	١ ٦٥	٤ ١٥
٦ ١١٨	١ ٦٦	٦ ١٥
١ ١١٩	٦ ٦٦	١٢ ١٥
٦ ١٢١	١٠ ٦٨	٢٢ ١٦
١٢ ١٢١	١١ ٦٨	١٣ ١٧
١٧ ١٢٢	٣ ٧٠	١٤ ١٨
١١ ١٢٣	٨ ٧١	١ ١٩
١٨ ١٢٤	٨ ٧٢	٦ ٢٠
٩ ١٢٥	٨ ٧٣	٩ ٢٠
١١ ١٢٥	٢ ٧٧	١٢ ٢٠
٢١ ١٢٧	٥ ١٠٨	١ ٢٣
٢٢ ١٢٨	٢٢ ١٠٨	٨ ٢٣
٢٠ ١٣٢	١٣ ١٠٩	٢ ٣٢
٢٠، ١٦ ١٢٤	١٨ ١٠٩	٨ ٣٣
٤ ١٣٥	١٩ ١٠٩	٢٢ ٣٧

الصفحة السطر	الصفحة السطر	الصفحة السطر
يداشلج ١٧ ٢٤٢	معز الدولة ٢٢ ١٧٩	فيه شنج ١٣ ١٤٠
وعند الشاه ١٨ ٢٤٢	تمر وأغفل ١٨ ١٨٣	يتفيد ١٣ ١٤٢
من الغمي ٥ ٢٤٣	يفعل ١٩ ١٨٣	شنج ١٤ ١٤٢
بالكف أفتح ٦ ٢٤٣	رام ٢٠ ١٨٣	كتحوط ٤ ١٤٤
أبه .. يقدر ٧ ٢٤٣	بسر بن ارطاة ٤ ١٨٥	لهازمه ... فطرح ٩ ١٤٥
الهديل ١٢ ٢٤٤	أرضافيا ٦ ١٨٧	بالعطاءة التنضية ١٧ ١٤٦
د م ٢٣ ١٦	يحي بن طالب ١٦ ١٨٧	حجرة ١٠ ١٤٧
يتأكل ٥ ٥٧	راح ركب ١٣ ١٩٣	على الجدل ١١ ١٤٧
ونواقد ٩ ٨٥	بأخلاق ٩ ١٩٤	تقافزت ١ ١٥٠
الهمزار ٦ ٩٢	عياها ١٧ ١٩٩	الشدق ١٩ ١٥١
ومواد ١٦ ٩٦	أبو الشعر ٢١ ٢٠١	بعد شيبية ٤ ١٥٢
وعدوننا ١٧ ٩٦	أفرنجمشك ٢١ ٢٠٨	سواد اللبة ٣ ١٥٥
ولباته ١٢ ١٣٧	بشؤبويه ١٣ ٢٠٩	مخطمة ٦ ١٥٥
أدب ١٠ ١٦٤	مروان الجعدى ١٨ ٢١٥	بان الأمبروبان ١٠ ١٧٢
جنديمة ١٢ ١٧٦	مكعت ٩٠٨ ٢١٦	ابن مناذر ٣ ١٧٥
	الزرقى ١١ ٢٢٠	الخرمى ٧ ١٧٥
	الارحبي ١٧ ٢٢٦	عن شباة ١٥ ١٧٥
	معشوق ٢٠ ٢٢٦	وزدت بمازودتى ١٨ ١٧٥
	قدرأ وأسلم ماسواه البرجد	مجتاب شملة برجد بسراته ٢٣ ٢٤١

﴿ فهرس لأسماء الشعراء مرتبة على الحروف ﴾

باعتبار الشهرة في الأكثر

الأخمس بن شهاب ٦٨
 الأخطل ج ٢ : ٢٥ ، ١٧١ ، ٢٣٠
 ادريس بن أبي حفصة ٦٣
 اسحق بن خلف ج ٢ : ٥٧
 اسحق الموصلي ٣٤٧
 الأسدى ٣٥
 أسعد بن البكاء البكري ج ٢ : ٢١٧
 الأضر الجعفي ج ٢ : ١٠٨ ، ١٠٦ ، ٥٠
 الأسود بن يعفر ٢٥٤
 أشجع ١٧ ، ٦٣ ، ٩٢ ، ٦٤ ، ١٤٥
 ج ٢ : ١٨٥
 الأعشى ٢٤ ، ٤٤ ، ٧٩ ، ١٠٩ ، ١٤٣
 ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤
 ٢٥٠ ، ٢٥٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٨ ، ج ٢ :
 ١٢ ، ٢٢٦
 الأغر بن كاسر ج ٢ : ٢٢٣
 الأوفه الأودي ج ٢ : ٩٠
 الأقبيل القيني ٨٨
 أمامة بنت الجلاح ٦١
 امرؤ القيس ٨١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٥ ، ٢٦١
 ٣٢٢ ، ٣٣٤ ، ٣٤٥ ، ج ٢ : ٣٠٣ ، ٥٧
 ٦٢ ، ١٠٩ ، ١١٤ ، ١٤٢ ، ١٥٩ ، ١٩٣
 أمية بن أبي الصلت ٢٦ ، ٤٦ ، ١١٠
 أوس بن حجر ١٢٤ ، ١٣٩ ، ١٧٦
 ج ٢ : ٤ ، ٧ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦٨ ، ١٧٣
 أيمن بن خريم ج ٢ : ١٤٤

(١)

ابراهيم بن اسماعيل النسائي ١٨٢
 ابراهيم بن العباس ٦٦ ، ٩٠ ، ١٧٨ ، ١٨٣
 ٢٧٤ ، ٢٨٢ ، ٣٥١ ، ٣٥٣ ، ج ٢ :
 ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ٢٠٠ ، ٢١٥
 ابن أبي أمية ج ٢ : ٢٤
 ابن الأعرابي ٣٥٩
 ابن أمية الكاتب ٥٩
 ابن الأنباري ١٤٨ ، ج ٢ : ٢٣٨ ، ١٧٩
 أبو الأسد الدينوري ٣٠ ، ٦٣ ، ج ٢ : ٢٠٣
 أحمد بن ابراهيم ٢٣٢ ، ج ٢ : ٢١٩
 أحمد بن أبي طاهر ٤٨ ، ٩٤ ، ج ٢ : ١١٨ ، ٢٥٢
 أحمد بن اسحق الطالقاني ج ٢ : ١٦٦
 أحمد بن اسحق الموصلي ج ٢ : ١٨٩
 أحمد بن اسماعيل الخطيب ١٣٠
 أحمد بن اسماعيل ج ٢ : ٧٥ ، ٧٩
 ٨٣
 أحمد بن زياد الكاتب ج ٢ : ١٥٧
 أحمد بن محمد بن اسحق ج ٢ : ٧٩
 أحمد بن يزيد ج ٢ : ٢٣٥
 أحمد بن يوسف ٩٥
 أحمد المادرائي ٣١٦
 الأحمر ج ٢ : ١٣٤
 الأخطل ٢١ ، ٢٧ ، ٥٨ ، ٦٢ ، ٨٣
 ١٧٥ ، ٣١٣ ، ٣١٤

(ب)

البحري ٢١، ٢٩، ٣٠، ٣٤، ٣٥،
 ٤٦، ٥٤، ٥٥، ٥٧، ٦٠، ٦٣،
 ٦٥، ٦٩، ٧١، ٧٢، ٩٩، ١٠٦،
 ١٠٨، ١١٧، ١١٩، ١٢٧، ١٢٨،
 ١٤٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٧، ٢٠٠،
 ٢١٨، ٢١٩، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٥٦،
 ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٧٨، ٢٨٢،
 ٣٠٧، ٣٠٩، ٣١٧، ٣٢٩، ٣٤٤،
 ٣٤٨، ج ٢: ١٧، ٢٠، ٢٣، ٥٣،
 ٥٥، ٥٨، ٥٩، ٦٢، ٦٣، ٦٥،
 ٧٠، ٧١، ٧٨، ٩٩، ١١٥، ١١٩،
 ١٢٦، ١٥٦، ١٦٠، ١٦٧، ١٩١،
 ١٩٤، ٢٠٧، ٢٣٢، ٢٣٣

ابن بسام ٣١٦، ٣٤٨، ج ٢: ٢٣٤،
 بشار ٣٣، ٤٢، ٥٩، ١٣٦، ١٤٣،
 ١٨٩، ٢٠٣، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٤١،
 ٢٥٧، ٢٧٩، ٣١١، ٣٤٩، ٣٥٠،
 ج ٢: ٤٧، ٥٥، ٦٧، ١٦٩،

١٩٢، ١٩٦

بشامة بن الغدير ج ٢: ١٣١

بشر بن أبي خازم ١٣٩، ٢٣٨، ج ٢:

١٢، ١٣، ٧٢

البصير ١٢١

البيث ٢٧٧

بكر بن خارجه ٢٤٣

بلعاء بن قيس ١١٤

(ت)

تأبط شراً ٣٢٢، ج ٢: ١٢٩،
 أبو تمام ٨، ١٧، ٢١، ٢٤، ٢٩، ٣١،
 ٣٣، ٤٢، ٤٣، ٤٥، ٥٤، ٥٦،
 ٥٧، ٦٥، ٦٨، ٧٢، ٨٠، ٨٣،
 ٨٤، ١٠٤، ١٠٩، ١١٥، ١١٧،
 ١٣٠، ١٤٠، ١٤٤، ١٦١، ١٦٤،
 ١٦٨، ١٧٥، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٥،
 ١٨٧، ١٩٥، ١٩٨، ٢٠٥، ٢١٣،
 ٢٤١، ٢٤٥، ٢٥٥، ٢٦٥، ٢٧٧،
 ٢٨٧، ٢٩٠، ٣١٦، ٣٢٥، ٣٤٣،
 ٣٥٣، ج ٢: ١٩، ٥٦، ٦٦، ٧٧،
 ٧٨، ٩١، ٩٨، ١٠٠، ١١٥، ١٢٠،
 ١٢٤، ١٢٥، ١٣٠، ١٥٦، ١٥٧،
 ١٦٠، ١٦٥، ١٧٣، ١٧٦، ١٧٨،
 ١٨٠، ١٨٥، ١٩٠، ١٩٥، ٢٠٢،
 ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢٢٢، ٢٣١، ٢٣٩،
 التوخي ٣٢، ٧٠، ٢٤٤، ٣٤٧،
 ٣٥٨، ج ٢: ١٦، ٢٥، ٢٧، ٣٢، ٥٤،
 التوزي ١٢٢

(ث)

ثابت قنطة ١٣٨

الثقفي ج ٢: ١٨٥

(ج)

جسياء الاشجعي ج ٢: ١٢٧

الجحاف ٨١

جحظة البرمكي ٣١، ١٦٣، ٢٠٦،

الحسين بن اسماعيل ٢٢٣
 الحسين بن الضحاك ٢٠٢ ، ٢٧٣ ، ج ٢ :
 ٢٢٥ ، ٢٠٦
 الحسين بن مطير الاسدي ٤١ ، ج ٢ :
 ١٧٦ ، ١٧٥ ، ٦
 أبو الحسين بن أبي البغل ج ٢ :
 ٩٢ ، ٨٠
 حصين بن حمام ١١٥
 الخطيئة ٢٢ ، ٢٧ ، ٣٣ ، ٣٨ - ٤٠
 ٤٣ ، ١١٨ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٩٩ ،
 ج ٢ : ١٩١
 الحلبي ج ٢ : ٤٥
 حاحلة بن قيس ١٣٣
 حماد الراوية ١٨١ ، ج ٢ : ١٩٨
 حماس بن ثامل ٤٤
 الحماني ٨٥ ، ٢٣١ ، ٣٣٩ ، ج ٢ :
 ١٦ ، ٥٠ ، ١١٤ ، ١٣٤ ، ١٤٧ ،
 ١٥٤ ، ١٥٣
 الحمدوني ٢٧٨ ، ج ٢ : ٢٥٠
 حمزة بن بيض ١٠
 حميد بن ثور ٣٢٦
 الحويدرة ج ٢ : ١٨٨
 أبو حية ج ٢ : ١٢٧

(خ)

خارجة بن ملبغ المكي ٦٢ ، ٦٣
 خالد بن زهير ١٥٨

٣٠٥ ، ج ٢ : ١٩٨ ، ٢٠٢
 جذل الطعان ج ٢ : ٢٦٦
 جرآن العود ٣٣٨
 جرير ٣١ ، ٦٦ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٩ ،
 ١٧٠ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٨١ ،
 ٢٠٦ ، ٢٣٥ ، ٢٣٨ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ،
 ج ٢ : ٦٣ ، ١٠٧ ، ١٤٤ ، ١٥٠ ،
 ١٥٧ ، ١٨١
 جعفر بن محمد ج ٢ : ١٩٤
 جميل ٧٨ ، ١٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٧ ، ٢٧٤ ،
 ج ٢ : ١٢٩ ، ٢٣٧
 جندل بن الراعي ج ٢ : ١٢٧
 أبو جندب ٨٢ ، ٨٣

(ح)

حاجز الازدي ج ٢ : ٢٢٨
 الحارث بن ظالم ١٧٠ ، ج ٢ : ١٨٧
 الحارث بن عباد ج ٢ : ٦٣
 الحارثي ج ٢ : ٢٣٤
 أبو حازم الباهلي ج ٢ : ١٥٢
 ابن حرثان ١٧٤
 أبو علي الحرمازي ج ٢ : ١٧٠ ، ٢٤٠
 حسان بن ثابت ٣٢ ، ٣٧ ، ١٨٩ ، ١٨٢ ،
 ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ٣١٤ ، ج ٢ :
 ٦٩ ، ٥١
 الحسن بن وهب ٢٥٧ ، ٢٧٢ ، ج ٢ :
 ٨٣ ، ٢٣٥
 الحسن بن الكنتاني ج ٢ : ٢١٦

ابن المدينة ٣٤٦
 أبو دهب الجعفي ١٣٩
 أبو دواد ١٤٢، ج ٢: ١٠٦، ١١٢،
 ١٤٦، ١٢٨
 ديك الجن ٥٦، ٨٥، ١٠٦، ١٣٥،
 ١٩٤، ٢٤٠، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٥٤،
 ٢٦٩، ٢٧٠ - ٢٧٢، ٣١٥، ٣١٦،
 ٣٢١، ٣٤٤، ٣٥٠، ج ٢: ١٣٧،
 ١٨١، ٢٢١
 الديلمي ٢٠١

(ذ)

أبو ذؤيب ١٢٠، ١٣١، ١٥٧ - ١٥٩،
 ٣٦١، ج ٢: ٤

(ر)

راشد بن شهاب اليشكري ج ٢: ٦٤
 الراعي ج ٢: ١٢٣، ١٣٢
 روبة بن العجاج ج ٢: ١٢٣، ١٢٨،
 ١٣٠، ١٥٥
 الربيع بن أبي الحقيق ج ٢: ٣٩
 الربيع بن ضبع الفزاري ج ٢: ٢٢٤
 رزين العروضي ١٩٩
 الرقاشي ج ٢: ١٧٩
 الرياح الأسدي ج ٢: ١٥٠
 ذوالرمة ١٨١، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٤٠،
 ٢٥٠، ٢٥٧، ٢٧٥، ٢٣٤، ٣٤٢، ٣٤٣،
 ٣٥٥، ج ٢: ٧، ١١٩، ١٢٠،

خالد الكاتب ٣، ٢٥١، ٢٨٤، ٣٥٠،
 الخالدي ٢٠٨، ج ٢: ٧٨
 الحجاز البلدي ج ٢: ٤٢
 خدأش بن زهير ج ٢: ٧٣
 أبو خراش ١٣١، ج ٢: ٧٢
 خريم بن فاتك ٢٦
 الخريبي ٧٤، ٢٧٩، ج ٢: ١٧٥، ١٩٧
 ابن خلاد ٢٩٦، ٣٠١، ج ٢: ٣٦
 خلف بن خليفة ٧٥، ١٠٤، ج ٢:
 ١٤٥، ١٦٢

خلف الأحمر ج ٢: ٧٣

الخليل بن أحمد ١٣٤، ١٤٧، ١٨٥،
 ج ٢: ٣٠

الخنساء ٤١، ١٣٨

الخوارزمي - متأخر ج ٢: ١٥٦

(د)

دريد بن الصمة ٥٥، ١٢٢، ١٤١،
 ج ٢: ٥٨
 ابن دريد ٢٧، ٣٢٠، ج ٢:
 ١١٠، ١١٩، ٢٣٧
 دعبل الخزاعي ١٢٧، ١٨١، ١٨٤،
 ٢٠٧، ج ٢: ١٥٩، ١٨٠، ١٩٤،
 ٢٣٨، ٢٥٢، ٢٧٧
 أبو دغفل الكلابي ج ٢: ٧٠
 أبو دلالة ج ٢: ٢٤٥
 أبو دلف العجلي ٩١، ٢٧١

زياد الأشعجم ١٧٠ ، ١٧٧ ، ١٨٠

زيد الخليل ج ٢ : ٤٩ ، ٦٨

زينب بنت الطثرية ٥٧

(س)

سلم بن وابصة ٣٥٧

أبوسرح ج ٢ : ١٨٦

السري الرفاء ٧٢ ، ١٩٩ ، ٢٢٥

٢٣٢ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٩٠ ، ٢٩٤

٣٠٩ ، ٣١٢ ، ٣٢٢ ، ٣٢٥ ، ٣٣٧

٣٤١ ، ٣٤٥ ، ٣٦١ ، ج ٢ : ١١ ، ١٧

٢٧ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٥ ، ٣٧

١٣٧ ، ٢٢٣ ، ٢٤٠ ، ٢٤٢

سعد بن ناشب ج ٢ : ٥١

سعيد بن أبان بن عينة ١٣٣

سعيد بن حميد ٩٥ ، ٢١٦ ، ٢٦٧ ، ج ٢ :

٢٢٢ ، ٢٨٤ ، ٢٤٩

سعيد بن العاص ١٩٦

سعيد بن الوليد البطين ج ٢ : ٢٢٠

أبو سعيد الاصفهاني ج ٢ : ٢٠٩

أبو سعيد الخزومي ١٨١

ابن السكن ٢٠٨

سلامة بن جندل ج ٢ : ٦٥

أبو السمح الطائي ٢٩

السموأل ٣٧ ، ٨٣

سهل بن هرون ٢٨٢

سيف بن ذى يزن ج ٢ : ٦٢

١٢٩٠ ، ١٣٣ ، ١٤٧

ابن الرومي ٢٦ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٤٢

٤٣ ، ٤٥ ، ٥٤ ، ٦٨ ، ٧١ ، ٧٤ ، ٧٥

١١٩ ، ١٢٥ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٤٤

١٥٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ، ١٧٩

١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٧ ، ١٩٠

١٩٤ ، ١٩٦ ، ٢٠٠ ، ٢٠٤ ، ٢١٠

٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٥ ، ٢٢٣ ، ٢٢٧

٢٣٢ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤٤

٢٥٣ ، ٢٥٥ ، ٢٥٩ ، ٢٦٥ ، ٢٦٩

٢٧٠ ، ٢٧٨ ، ٢٨٠ ، ٢٨٣ ، ٢٩٢

٢٩٦ ، ٣٠٢ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٩

٣١٠ ، ٣١٤ ، ٣٢١ ، ٣٣٠ ، ٣٣٥

٣٦٠ ، ٣٦١ ، ج ٢ : ٣٢ ، ١٧ ، ١٨

٢١ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٧

٤٥ ، ٤٧ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٦٠ ، ٦١

٧٠ ، ٧١ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨١ ، ٨٤ ، ١٠٤

١٣٥ ، ١٤٧ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٦٢

١٦٥ ، ١٦٨ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٨٤

١٨٩ ، ٢٠٣ ، ٢١٥ ، ٢٣٠ ، ٢٣٧

الرياشي ج ٢ : ٢٣٤

(ز)

أبو زيد ج ٢ : ٥٨

زفر بن الحارث ج ٢ : ٢٠٠

ابن الزمكدم ١٩٥

زهير ٢٩ ، ٣١ ، ٤٦ ، ٥٢ ، ١٠٥

١١٤ ، ٢٣٠ ، ج ٢ : ٢٠٦

(ش)

- شبيب بن البرصاء ج ٢: ١٩٦
 أبو شراة ج ٢: ٢٢٩
 الشماخ بن ضرار ١١٥، ٢٣٠، ج ٢: ٥٩
 ١٢٥، ١٠٩
 الشمردل بن شريك ٣٥٨
 أبو الشمقمق ١٩٨
 أبو الشيص ٢٥٥، ج ٢: ١٢٣، ١٩٨، ٢٥٢

(ص)

- أبو إسحق الصابي ج ٢: ١٦٣
 صاحب بن عباد ١٦٧
 أبو صفوان الثقفي ج ٢: ٢٣٢
 صفية الباهلية ١٧
 أبو الصلت ٩٢، ٣٠١

الصلتان ١١٩

الصمة بن عبد الله القشيري ج ٢: ٢٢٥

الصموت الكلابي ٦٨

الصنوبري ٢٣٥، ٢٤٠، ٢٤٨، ٢٩٢

٣٢٢، ٣٢٣، ج ٢: ١٢، ٣٠، ٣٢

الصولي ١٤٦، ١٤٨، ٢٥٥، ٢٥٧

٣٤٧، ٣٥٠، ج ٢: ١٦٥، ٢٠٧

(ض)

ضمرة بن ضمرة ٨١

(ط)

ابن طارق ج ٢: ١٤٤

أبو طالب عم النبي ﷺ ٣٧

طاهر بن علي بن سليمان ٣٤٧

ابن طباطبا ١٣٠، ١٩٨، ٢١٢، ٢٣٣

٢١٦، ٢٣٨، ٢٩٨، ٣٠٠، ٣٣٣

٣٣٩، ٣٤٠، ٣٥٠، ٣٥٣، ٣٦٠

ج ٢: ١١، ٢٧، ٣٦، ١١٦، ١٤٤، ٢١٣

طرفة ج ٢: ٧

الطرماح ٣٤٦، ج ٢: ١٣١، ١٤١

١٧٥، ٢٣٨

طريح بن اسماعيل الثقفي ٢٤، ٥٢، ١٢٦

طفيل الغنوي ج ٢: ٢٢٠

الطراح العقيلي ج ٢: ٢١٩

أبو الطمجان ٢٢، ٢٣، ج ٢: ١٦١

(ع)

عائشة بنت أبي وقاص ٩

العباس بن الاحنف ١٦١، ٢٢٥

٢٣١، ٢٣٢، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦١

٢٦٣، ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧٤، ٢٧٥

٢٨١، ٢٨٢، ٣٤٩، ج ٢: ١٦٥

العباس بن جرير ١٢٣

العباس بن مرداس ١١٠، ١١٤

ج ٢: ١١٠

عبد الصمد بن المعذل ١٢١، ١٢٥

١٧٨، ج ٢: ١٥، ٢٣، ٤٠، ١٤٦، ١٦٧

عبد العزيز بن زرارة ٨٨

عبد العزيز بن عبد الله بن طاهر ٣٣٨

عبد الله بن أيوب التيمي ٦٠

عبد الله بن الحسن ٢٦٢

غروة بن حزام العذرى ٢٨١
 غروة بن الورد ١٠٧، ١٩٥
 أبو غروة المدني ١١
 العطوى ج ٢ : ٢٠٣
 عقبة بن كعب بن زهير ج ٢ : ٢٢٨
 علقمة بن عبدة ١٠٤، ٢٥٠
 العلوى الأصفهاني ٣٢٩، ٣٣٧، ٣٣٨،
 ٣٤١، ٣٤٥، ٣٥١، ٣٥٦، ٣٥٧
 على بن جبلة العكوك ٢١، ٢٨، ٥٠، ٥١،
 ١٠٦، ٦٦، ١٠٧، ١٠٨، ٢٣٥
 على بن الجهم ٨٠، ١٠٤، ٢٥٣، ٢٣،
 ٢٢١
 على بن الخليل ٣٤٨
 على بن عاصم ٢٨٤
 على بن العباس النوبختي ج ٢ : ١٦٧
 على بن عبد العزيز الجرجاني ج ٢ : ١٦٨
 على بن محمد بن الأفوه ٤٩
 على بن محمد البصرى ١٠٨
 على بن محمد الكوفي ج ٢ : ١٥٨
 عمارة بن عقيل ٧٧، ١٣٦، ٢٤١، ج ٢ :
 ١٠٩، ٢١٩
 العاني ج ٢ : ١٣٧
 عمران بن حطان ٣١٥
 عمران بن عصام ٣٣
 عمر بن أبي ربيعة ١٢٢، ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٣٢
 عمرو بن الاطنابة ١١٤
 عمرو بن شاس الأسدي ٢٢٤، ج ٢ : ٧٢، ٧٣
 عمرو بن قبيصة ٢٧٦

عبد الله بن عبد الله بن عبدة ٣١٤
 عبد الله بن محمد الفقعسي ج ٢ : ١٩٣
 أبو عبد الله الاسباطي ج ٢ : ١٥٦
 ابن عبد الأسد ١١
 عبد الملك بن مروان ٢٦٢
 عبد مناف بن ربيع ج ٢ : ٥٥
 عبد بن الحساس ٢٦٠، ج ٢ : ١٦٦
 عبدة بن الطيب ج ٢ : ١٠٨، ١٤٤،
 ١٧٥، ٢١٦
 عبيد بن الأبرص ١١٨، ج ٢ : ١٥٥
 عبيد بن أيوب ١١٣
 عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ١٠٨،
 ٢٥٠، ج ٢ : ٢٥١، ٢٦٠
 عتاب بن ورقاء ج ٢ : ٦٠
 العتابي ج ٢ : ٩٠
 أبو العتاهية ٢٠، ٧١، ١٠٥، ١٢٠،
 ١٢٥، ج ٢ : ١٥٥، ٢١٨، ٢٢٦،
 ٢٢٧، ٢٣٢
 ابن أبي العتاهية ١٩٨
 العجاج، ج ٢ : ٧١
 عجير السلولى ٣١٥
 عدى بن الرقاع ج ٢ : ١٣١، ١٣٢،
 ٢٢٣، ٢٣٥
 عدى بن زيد ج ٢ : ١٣٧، ٢٤٨
 العديل بن الفرغ العجلي ج ٢ : ٢٣٦
 عرجة بن شريك ج ٢ : ١٨٥
 العرجي ١٠
 عروة بن أذينة ج ٢ : ٢٣٢

القاسم بن حنبل ٤٣

القصار ج ٧٩

القصاني ٣٥٣

القطامي ١٢٤، ٢٤٢، ٢٥٩، ٣٢٩،

ج ٢: ١١٨، ١٢١، ١٢٧،

قيس بن الأسلت ٢٤٣

قيس بن الخطيم ١٧٠، ٢٢٩، ٢٧٦،

ج ٢: ٥٠، ٥١، ٥٥٧، ٧٠، ١١٩،

قيس بن ذريح ٢٧٠

قيس بن عاصم ١٣٥، ١٥١،

(ك)

أبو كبير ٣٨

كثير ٥٨، ٦٣، ٢٣٠،

كشاحم ٦٨، ٢٠٥، ٢١٤، ٢٢٤،

ج ٢: ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣١، ٢٤٠،

٢٩، ٣٠، ٨٣، ٨٤، ١١٠، ١٥٨،

٢٤٦، ٢٤٩، ٢٧٢، ٢٧٣، ٣٠٤،

٣٢٦ - ٣٢٨

كعب بن الأشرف ج ٢: ٣٩

كعب بن زهير ١٩٩، ج ٢: ٦٢

كعب بن سعد ج ٢: ١٧٨

كعب بن مالك ١١٥

كعب الغنوي ٣٣٧

كلثوم بن عمرو ١٥٤

الكميت ج ٢: ١١٤

(ل)

ليبد ١١٨، ٣١١، ج ٢: ١٢، ١٩٨،

عمرو بن كلثوم ٩٠، ج ٢: ٥٠،

عمرو بن محمد الثقفي ٢٩

عمرو بن معد يكرب ١١١، ج ٢: ٥٣، ٢٣،

أبو العميتل ٥٣، ١٦٣، ٢٧٣،

عسيرة العبيسي ١١٠، ٣١٧، ج ٢:

٦٤، ١٢١، ١٤٨،

عوف بن قطن ١١٧

عوف بن محم ٢٦٢

عون بن محمد الموصلی ٣٥٢

عيسى بن أوس ٢٤

ابن أبي عينة ١٩٠، ١٩١، ج ٢:

١٣٧، ١٣٨،

أبو عينة ج ٢: ٣١، ٢١٣،

(ف)

أبو فراس ج ٢: ١٢، ٤٩، ٥٠،

٦١، ١٩٧، ٢٠٠،

الفرزدق ٢١، ٤٩، ٧٨، ٤٣، ١٤٥،

١٧٤، ١٧٤، ١٨٣، ج ٢: ٨٧، ١١٩،

١٥٦، ١٦٣، ١٧٧، ٢٣٤، ٢٨١،

فروة بن مسيك الغطيفي ج ٢: ٢٣١

أبو الفضل بن العميد ٣٠١

أبوفضلة ٣٣٥

القند الزماني ج ٢: ٦٠،

ابن أبي فتن ٢٨٤، ٣١٥، ٣٤٥،

(ق)

قابوس بن وشمكير ج ٢: ٢٠٢،

القاساني ج ٢: ٢٥٠،

محمد بن أبي الموج ٢٣٦
 محمد بن يعقوب بن داود ج ٢ : ٢٠٢
 محمود الوراق ج ٢ : ١٥٣ ، ١٦٤
 المخبل ج ٢ : ٦٣
 مخاد الموصلی ٣٣٥
 المرار الفقعسی ١٢٤
 مروان بن أبي حفصة ٤٧ ، ٥٢ ،
 ١٠٥ ، ١٣٥
 مزاحم العقيلي ج ٢ : ١١٠ ، ١٥٥
 مزرد بن ضرار ، ٣٠٥ ، ج ٢ : ٥٨
 مسعود أخو ذی الرمة ج ٢ : ١٢٨
 مسكين الدارمی ٧٩ ، ٢٩٧ ، ج ٢ : ٥٨
 مسلم بن الوليد ، ٢٠ ، ٧١ ، ١٠٣ ، ١١٦ ،
 ١١٧ ، ١٦٢ ، ١٧٨ ، ٢٥٣ ، ٢٦٦ ،
 ٢٧٧ ، ٢٨١ ، ٣١١ ، ٣٤٣ ، ج ٢ :
 ٥١ ، ٧١ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ،
 ١٥٨ ، ٢٣٩
 مصعب بن عمير الليثی ٢٠٢ ، ٢٠٣
 المصيصی ٢١٥
 مضر بن ربیع ٣٤٣
 أبو مطاع ٢٦٨
 مطيع بن إلياس ج ٢ : ١٨٤
 أبو المعافى ج ٢ : ١٩١ ، ٢٢٩
 ابن المعتز ٧٠ ، ٧٧ ، ٨٨ ، ١٤٤ ،
 ٢٠٧ ، ٢٢٤ ، ٢٣٢ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ،
 ٢٤١ - ٢٤٣ ، ٢٤٧ - ٢٥٢ ، ٢٥٧ ،
 ٢٥٩ ، ٢٧٢ ، ٢٧٨ ، ٢٨١ ، ٢٨٧ -

ابن لجاج ٢ : ١٢٧
 لقيط بن زرارۃ ٨١
 لقيط بن يعمر الأيادي ٥٥
 ابن لنكك ١٨٩ ، ج ٢ : ٢٠١ ، ١٨٠
 ليلي الأخيلية ٤٤

(م)

المؤمل ٢٢٦ ، ٢٥١
 مالك بن أسماء ج ٢ : ١٦٢
 مالك بن حريم الهمداني ج ٢ : ١٠٧
 مالك بن نويرة ج ٢ : ٥٥
 مان الموسوس ٢٥٢ ، ٢٨٣
 المبرد ١٤٥
 مبشر بن هذيل الشمخي ٨٩
 المتلس ١٣٥
 متم بن نويرة ج ٢ : ١٧٤ ، ١٧٦
 المتنبی ، ١٠٨ ، ١٩٦ ، ج ٢ : ٦١ ،
 ٧٦ ، ٩١ ، ٩٢ ، ١٠٠ ، ١٠٨ ، ١١٩ ،
 ١٧٠ ، ٢٣٧ ، ٢٦٤ ، ٢٦٨ ، ٣٢٢
 المجنون ٢٧١ ، ٢٨١ ، ٣٤٦ ، ٣٤٩
 محمد بن أيوب ج ٢ : ٢٠٩
 محمد بن بشر الأزدي ٣٤
 محمد بن جعفر بن محمد ج ٢ : ٦٦
 محمد بن ذؤيب العماني ج ٢ : ٢١٩
 محمد بن زياد الكاتب ج ٢ : ١٦٧
 محمد بن عبد الله بن طاهر ٢٧٠
 محمد بن عبد الله الجعفری ج ٢ : ٢٣٥
 محمد بن محمد اليزيدي ج ٢ : ١٧١
 محمد بن مسلمة البشري ج ٢ : ٦٧

٣٤٦ ج ٢ : ٣٩٠ ، ٥٢٠ ، ٦٧٠ ، ٦٨٠ ،
 ٧٠٠ ، ١٤٥٠ ، ١٩٦٠ ، ٢٤٩٠ ،
 الناجم ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٥ ، ٢١٥ ، ٢١٩ ،
 ٣٢١ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨ ، ج ٢ : ١٦٥ ،
 الناشئ ٢٣٥ ، ٢٥٤ ، ٣١٢ ، ٣٣٤ ،
 ج ٢ : ٢٢٨ ،
 التجاشي ١٧٦ ، ١٧٧ ،
 أبو النجم ١١٣ ، ٢٧٩ ،
 أبو نخيلة ج ٢ : ١١٦ ،
 أبو النشاش ٨٨ ،
 نصر بن أحمد ٢٤٦ ، ٢٧٢ ، ٢٩٧ ،
 ج ٢ : ٣٧ ،
 نصيب ١٧ ، ٣٣ ، ١٢٩ ، ٢٦٢ ،
 النظار الفقعسي ٢٨٢ ج ٢ : ٧ ،
 النمر بن تولب ١٢ ، ٨٠ ، ٢٢٩ ، ٢٥٥ ،
 ٢٦٥ ، ج ٢ : ١٣ ، ٣٩٠ ، ٥١٠ ، ٩٨٣ ،
 ٢٢٦ ،
 النميري ٢٦٠ ،
 نهشل بن حري ٦٥ ،
 نهيك بن أساف ج ٢ : ١٩٨ ،
 أبو نواس ٣٦ ، ٣٧ ، ٥٨ ، ٧١ ، ١٢٧ ،
 ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٥١ ، ١٧٩ ، ١٨٦ ،
 ١٨٧ ، ١٩٤ ، ٢٠٢ ، ٢٠٢ ، ٢٢٣ ،
 ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٥٠ ،
 ٢٥٤ ، ٢٦٣ ، ٢٦٥ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ،
 ٣٠٨ ، ٣١١ ، ٣١٣ - ٣١٣ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ،
 ٣٤٣ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٦٠ ، ج ٢ :
 ٢٠٠ ، ٢٠٣ ، ٢٩٩ ، ٣٠٣ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ،

٢٨٩ ، ٣٠٧ ، ٣١٠ - ٣١٢ ، ٣١٥ ،
 ٣١٧ ، ٣٢١ ، ٣٢٩ ، ٣٣٣ ، ٣٣٥ ،
 ٣٤٠ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٨ ، ٣٥٣ ،
 ٣٥٥ - ٣٦٠ ، ج ٢ : ١٠ ، ١٦ ، ٢٤٦ ،
 ٢٦ ، ٣١ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٦ ،
 ٤٧ ، ٥١ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٧ - ٥٩ ، ٦١ ، ٦٥ ،
 ٦٧ ، ٧٥ ، ٨١ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٢ ،
 - ١١٤ ، ١١٦ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٦ ،
 ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ،
 ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ،
 ١٥٠ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٧ ، ١٧٩ -
 ١٨٢ ، ٢٢١ ، ٢٤١ ،
 المعذل بن غيلان ٢٨٠ ،
 معن بن أوس المزني ١١٣ ، ١٥٣ ،
 المفضل النكري ج ٢ : ٤٩ ،
 ابن مقبل ج ٢ : ١٦١ ، ٢٤٣ ،
 المقنع الكندي ج ٢ : ١٥٦ ،
 أبو مكعت الأسدي ج ٢ : ٢١٦ ،
 ابن منذر ج ٢ : ١١٨ ، ١٧٥ ،
 منصور النميري ٢٨ ، ٣٥ ، ٥٨ ، ٥٩ ،
 ٢٥٣ ، ج ٢ : ٥٦ ، ٦٧ ، ١٥٣ ، ١٥٦ ،
 مهليل ١٧٣ ، ج ٢ : ١٧٦ ،
 موسى بن سحيم ج ٢ : ٢٠١ ،
 ابن ميادة ١٢٣ ،

(ن)

النايفة الجعدى ٣٤ ، ٣٦ ، ج ٢ : ٦٦ ،
 النايفة الذيباني ١٥ - ١٧ ، ١٩ ، ٢٠ ،
 ٢٧ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٣٨ ، ٢٨٠ ،

٢٧٦، ٢٦٩ - ٢٦٦، ٢٦٤، ٢٦٣
 - ٢٩٢، ٢٩٠ - ٢٨٨، ٢٧٩، ٢٧٨
 ٣٠٤، ٣٠٢، ٢٩٨، ٢٩٧، ٢٩٥
 - ٣١٧، ٣١٣ - ٣١٠، ٣٠٨ - ٣٠٦
 ٣٣١، ٣٢٨، ٣٢٤، ٣٢٣، ٣١٩
 - ٣٤٩، ٣٤٧، ٣٤٥ - ٣٣٥، ٣٣٣
 ٣٥٩، ٣٥٧، ٣٥٦، ٣٥٤، ٣٥١
 ٣٦٠، ج ٢: ٩، ١١، ١٥ - ٣٣
 ٣٥، ٣٨، ٤١، ٤٨، ٥٨، ٥٩
 - ٦٨، ٧٠، ٧٢، ٧٥، ٧٦، ٧٨، ٨٠
 ٨٤، ٩٢، ٩٣، ١٠٠، ١٠٨، ١١٠ - ١١٠
 ١١٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٩، ١٣٦ - ١٣٦
 ١٤٢، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٨، ١٥٠
 ١٥١، ١٥٤، ١٥٩، ١٦٢، ١٦٤
 ١٦٧، ١٦٩، ١٧١، ١٨٠، ١٨٢ - ١٨٢
 ١٨٩، ١٩٦، ١٩٧، ٢٠١ - ٢٠٤
 ٢١٣، ٢١٥، ٢٢١، ٢٣٩ - ٢٤١

٢٤٣، ٢٤٧، ٢٤٩

أبو الهندى ٣١١

أبو الهول ج ٢: ٢٤٤

أبو الهيدام ١٧٧

(ى)

ابن يامين ج ٢: ٥٢

يحيى بن زياد الحارثى ١٢٦، ٣١٨

يحيى بن طالب الحنفى ج ٢: ١٨٧

يزيد بن الطثرية ٢٥٩، ٣٣٤، ج ٢: ١٦٢

يزيد بن معاوية ٣٠٨

يزيد المهلبى ج ٢: ١٩٩

يعقوب بن الربيع ج ٢: ٢٢٤

١٢١٠، ١٢٥، ١٢٧، ١٣٢ - ١٣٤
 ١٣٨ - ١٤٠، ١٤٦، ١٨١، ٢٠٦

(و)

الواثق بالله ج ٢: ١٦٥

أبو وجره السعدى ٥٩

وضاح اليمن ٢٢٥، ٢٢٦

وهب بن عمرو ١٥٧

ابن وهب ٢٨

(ه)

هرون بن على ٩٣، ٣٢٧

هرون بن محمد الآملى ١٩٦

ابن هرمة ٣٣، ١١٩، ٢٨٩، ٣٥٨، ج ٢: ٦٥

أبو هفان ٦٥، ٨٠

أبو هلال العسكرى مؤلف الديوان ٢ -

٥، ١٣، ٢٠، ٢٢، ٢٣، ٢٥، ٢٧

٢٩، ٣٠، ٤٢، ٤٣، ٥٣، ٥٥، ٥٩

٦٠، ٦٤، ٦٩، ٧٥، ٧٩، ٨٠، ٨٤

٨٨، ٩٠، ٩٢، ٩٩، ١٠٠، ١٠٧

١٠٩، ١١٠، ١٢٠، ١٢٣، ١٢٤

١٢٨، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٩، ١٤٠

١٤٢، ١٤٥، ١٤٨، ١٥١، ١٦١

١٦٧، ١٧٨، ١٨٠ - ١٨٤، ١٨٦

١٨٨، ١٩١، ١٩٣، ١٩٧، ٢٠١

٢٠٣، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٠

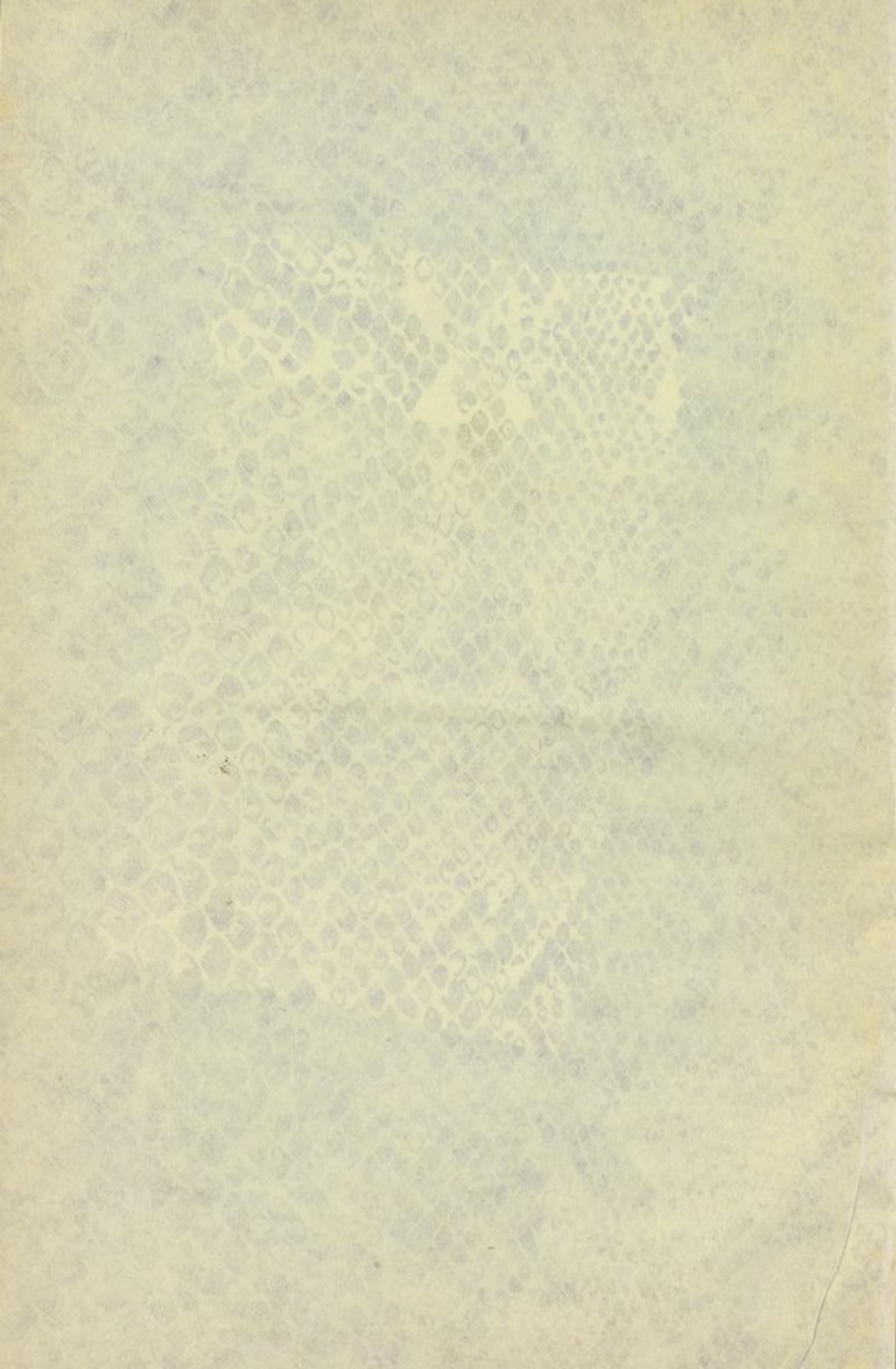
٢١١، ٢١٣، ٢١٥، ٢١٦، ٢٢٥

٢٣٢، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٤١

٢٤٣، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٤٩ - ٢٥١

٢٥٣، ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٦٠، ٢٦١

- ٣ منجد المقرئين وطبقات قراء العشرة لابن الجوزي (الورق الحشن ٢)
- ١٢٥ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيتمي (وهو في الزيادات على الكتب الستة) عشرة أجزاء.
- ٢٠٠ شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد. وهو أجمع كتاب مطبوع في التراجم ومهم الحوادث لألف سنة (ثمانية أجزاء، والورق الأصفر ١٦٠)
- ٣٠ كشف الحفاو مزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للعجلوني
- ١٢ الحاوي للفتاوى (من فقه وحديث وتفسير وأصول وتصوف ونحو...) للسيوطي
- ٢٠ ديوان المعاني (في الشعر والنثر ونقدهما) لابن هلال العسكري.
- ٢ الطب الروحاني لابن الجوزي، ١ المسائل والأجوبة لابن قتيبة.
- ١٥ شرح أدب السكاتب للجواليقي (الورق الحشن ١٠).
- ١٥ تجريد التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد المسمى بالتقصي لحديث الموطأ وتراجم شيوخ الامام مالك واختلاف الموطآت لابن عبد البر.
- ٤ الاختلاف في اللفظ لابن قتيبة (الاسمر ٣).
- ٤ المبسج في تفسير شعراء الحماسة لابن جنى، ٣ دفع شبه التشبيه لابن الجوزي.
- ٦ الانتقاء في فضائل الفقهاء: مالك والشافعي وأبي حنيفة وأصحابهم لابن عبد البر.
- ٦ القصد والاهم في التعريف بأنساب العرب والعجم، والانباه على قبائل الرواه.
- ٢٠ إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين ^{صلى الله عليه وسلم} لابن طولون.
- ٦ الاعلان بالتوخيخ لمن ذم التاريخ للسخاوي (وهو كتاب تاريخ للتاريخ الاسلامي).
- ١ الكشكش عن مساوي المتنبئ للصاحب بن عباد، وذم الخطأ في الشعر لابن فارس.
- ٢٠ تبدين كذب المفترى فيما نسب إلى الامام أبي الحسن الأشعري المعروف بطبقات الاشاعرة لابن عساكر (فيه زهاء ثمانين ترجمة) (الاسمر ١٦).
- ٣ شروط الائمة الخمسة البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي.
- ٤ انتقاد (المغنى عن الحفظ والكتاب) للقدسي.
- ٨ جنى الجنتين في تمييز نوعي المثنيين للبحي (وهو كعجم للمثنيات العربية).
- ٤ أخبار الظراف والمتماجنين (من الرجال والنساء) لابن الجوزي.
- ٧ رسائل تاريخية لابن طولون: الفلك المشحون بأحوال محمد بن طولون، والشمعة المضية في أخبار القلعة الدمشقية، والمعزة في تاريخ المازة، والنكت التاريخية.
- ١ الحث على التجارة والصناعة والعمل والرد على من يدعى التوكل بترك العمل للخلال.
- ٢٥ ذبول تذكرة الحفاظ للحسيني وابن فهد والسيوطي والطباطبائي (الاسمر ٢٠)
- ١ بيان زغل العلم والطلب للذهبي، ٣ الدرر المضية في الرد على ابن تيمية للسبكي.
- ٢ إتخاف الفاضل بالفعل المبني لغير الفاعل لابن علان، ورسالة في النحو للصادق.
- ١ المتوكلي فيما وافق من العربية اللغات العجمية، وأصول السكلمات اللغوية للسيوطي
- ٥ التظليل وأخبار الطفيليين وأشعارهم للخطيب البغدادي.



DATE DUE

SEP 30 2010

PRINTED IN U.S.A.

GAYLORD

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



0022262342

AUG 3 1978

DEMCO

